الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
و الدين أبي عبدالله محمّد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث و السبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة و الانحراف و على كم ينحرف من المقابلة)

ملائكة الإله أتت إلينا لتوقفنا على النبإ اليقين
فقالت قول معصوم عليم بريء من ملابسة الظنون
ثمانية و عشر قد أتتنا جهارا ثم عشر في كمين
ثمانية أشداء غلاظ و خمستهم أشداء بلين
بأربعة و عشرين افتتحنا و ما يعلو بسبعتهم قريني
و خامس عشرة في لين عيش و أربعة لتطبيق الجفون
و في إحدى و عشرين انسفلنا عن التقويم بالبلد الأمين
مددنا ظلنا لحجاب غصن على الأقوام في عطف و لين
صلاة المشركين بها مكاء مثلثة تحليني بديني
و واحد استطال فصال قهرا و منحرف توحد في الوتين
إذا انفش الوحيد يصير جمعا و يهوى مثله يهواه دوني
تفرقت الهموم غداة ثبت و يعرفها المتيم بعد حين
بشفع من بناتكم غنينا فكرر واحد الصبح المبين
و إن زوائد الأفلاك عشر و للبدلاء أبراج الشئون
و من عقد المئين لنا ثلاث على قلب لآدم عن يقين
و إن الأربعين لقلب نوح على بيضاء بالنور المبين
على قلب الخليل لنا رجال سباعية كآساد العرين
و خمسة أنفس لهم ثبات بقلب الطاهر الروح الأمين

و ميكائيل يتلوه ثلاث تمسكهن بالحبل المتين
و إسرافيل يتبعه وحيد بقلب قد تفنن بالفنون
تقلقلهم عن التثبيت خمس و لولاهن كانوا في سكون
و ينصرني على الإشراك و ترى تلقى نصر ذلك باليمين
نجيب من ثمانية كرام و ثنتا عشرة نقباء دين
أقاليم البلاد لها رجال على التمثيل في رأى العيون
و تحرسنا بأربعة رجال من الأوتاد في الحصن الحصين
إماما العالمين هما وزيرا مليك العالم القطب المكين
و ستة أنفس لجهات ست أئمتهن من نور و طين
فهذا الرمز إن فكرت فيه ترى سر الظهور مع الكمون

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن هذا الباب يتضمن أصناف الرجال الذين يحصرهم العدد و الذين لا توقيت لهم و يتضمن المسائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة و هي النبوة العامة فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخا لشرعه صلى الله عليه و سلم و لا يزيد في حكمه شرعا آخر و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي أي لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي و لا رسول أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه فهذا هو الذي انقطع و سد بابه لا مقام النبوة فإنه لا خلاف إن عيسى عليه السلام نبي و رسول و أنه لا خلاف أنه ينزل في آخر الزمان حكما مقسطا عدلا بشرعنا لا بشرع آخر و لا شرعه الذي تعبد الله به بنى إسرائيل من حيث ما نزل هو به بل ما ظهر من ذلك هو ما قرره شرع محمد صلى الله عليه و سلم و نبوة عيسى عليه السلام ثابتة له محققة فهذا نبي و رسول قد ظهر بعده صلى الله عليه و سلم و هو الصادق في قوله إنه لا نبي بعده فعلمنا قطعا أنه يريد التشريع خاصة و هو المعبر عنه عند أهل النظر بالاختصاص و هو المراد بقولهم إن النبوة غير مكتسبة و أما القائلون باكتساب النبوة فإنهم يريدون بذلك حصول المنزلة عند الله المختصة من غير تشريع لا في حق أنفسهم و لا في حق غيرهم فمن لم يعقل النبوة سوى عين الشرع و نصب الأحكام قال بالاختصاص و منع الكسب فإذا وقفتم على كلام أحد من

أهل الله أصحاب الكشف يشير بكلامه إلى الاكتساب كأبي حامد الغزالي و غيره فليس مرادهم سوى ما ذكرناه و قد بينا هذا في فصل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم في آخر باب الصلاة من هذا الكتاب و هؤلاء هم المقربون الذين قال الله فيهم عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ و به وصف الله نبيه عيسى عليه السلام فقال وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ من الْمُقَرَّبِينَ و به وصف الملائكة فقال وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ و معلوم قطعا أن جبريل كان ينزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يطلق عليه في الشرع اسم نبي مع أنه بهذه المثابة فالنبوة مقام عند الله يناله البشر و هو مختص بالأكابر من البشر يعطي للنبي المشرع و يعطي للتابع لهذا النبي المشرع الجاري على سنته قال تعالى وَ وَهَبْنا لَهُ (من رَحْمَتِنا) أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا فإذا نظر إلى هذا المقام بالنسبة إلى التابع و أنه باتباعه حصل له هذا المقام سمي مكتسبا و التعمل بهذا الاتباع اكتسابا و لم يأته شرع من ربه يختص به و لا شرع يوصله إلى غيره و كذلك كان هارون فسددنا باب إطلاق لفظ النبوة على هذا المقام مع تحققه لئلا يتخيل متخيل أن المطلق لهذا اللفظ يريد نبوة التشريع فيغلط كما اعتقده بعض الناس في الإمام أبي حامد فقال عنه إنه يقول باكتساب النبوة في كيمياء السعادة و غيره معاذ الله أن يريد أبو حامد غير ما ذكرناه و سأذكر إن شاء الله ما يختص به صاحب هذا المقام من الأسرار الخاصة به التي لا يعلمها إلا من حصله فإذا سمعتني أقول في هذا الباب و مما يختص بهذا المقام كذا فاعلم أن ذلك الذي أذكره هو من علوم أهل هذا المقام فلنذكر أولا شرح ما بوبنا عليه من المقابلة و الانحراف

(وصل) اعلم أن للحق سبحانه في مشاهدة عباده إياه نسبتين نسبة تنزيه و نسبة تنزل إلى الخيال بضرب من التشبيه فنسبة التنزيه تجليه في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و النسبة الأخرى تجليه في قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه و قوله إن الله في قبلة المصلي و قوله تعالى فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ و ثم ظرف و وجه الله ذاته و حقيقته و الأحاديث و الآيات الواردة بالألفاظ التي تطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها و لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها إذ لم يرد عن الله شرح ما أراد بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الإلهي قال تعالى وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ يعني بلغتهم ليعلموا ما هو الأمر عليه و لم يشرح الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فننسب تلك المعاني المفهومة من تلك الألفاظ الواردة إلى الله تعالى كما نسبها لنفسه و لا يتحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذي نزلت هذه الألفاظ بلغتهم فنكون من الذين يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ و من الذين يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ بمخالفتهم و نقر بالجهل بكيفية هذه النسب و هذا هو اعتقاد السلف قاطبة من غير مخالف في ذلك فإذا تقرر عندك ما ذكرناه من هاتين النسبتين للحق المشروعتين و أنت المطلوب بالتوجه بقلبك و بعبادتك إلى هاتين النسبتين فلا تعدل عنهما إن كنت كاملا أو إلى إحداهما إن كنت نازلا

عن هذه المرتبة الكمالية إما لما يقوله أهل الكلام في الله من حيث عقولهم و إما لما توهمه القاصرة عقولهم من تشبيه الحق بخلقه فهؤلاء جهلوا و هؤلاء جهلوا و الحق في الجمع بينهما و قد ورد الخبر في النشأة الآدمية أن الله خلق آدم على صورته ورد في القرآن أن الله خلقه بيديه على جهة التشريف لقرينة الحال حين عرف بذلك إبليس لما ادعى الشرف على آدم بنشأته فقال ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية و لا على أن تكون الواحدة يد النعمة و الأخرى يد القدرة فإن ذلك سائغ في كل موجود فلا شرف لآدم بهذا التأويل فلا بد أن يكون لقوله بيدي خلاف ما ذكرناه مما يصح به التشريف فتوجهت على خلق الإنسان هاتان النسبتان نسبة التنزيه و نسبة التشبيه فخرج بنو آدم لهذا على ثلاث مراتب كامل و هو الجامع بين هاتين النسبتين أو واقف مع دليل عقله و نظر فكره خاصة أو مشبه بما أعطاه اللفظ الوارد و لا رابع لهم من المؤمنين فالمقابلة أو الانحراف لا تكون إلا من جهة نسبة التنزل الإلهي الخيالي في قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه في هذا هي المقابلة للمعبود و الانحراف عن هذه المقابلة إما بتنزيه و هو انحراف المتكلمين و إما بتشبيه محدود و هو انحراف المجسمين و الكمل هم أهل القول بالأمرين و هذه الحضرة التي ذكرناها تحوي على ستين و ثلاثمائة مقام منها ستة و ثلاثون أمهات و ما بقي فهي نازلة عن هذه الستة و الثلاثين تحصل كلها لأهل الشهود من الاسم الدهر فإن الله هو الدهر و لا يتوهم من هذا القول الزمان المعروف الذي تعده حركات الأفلاك و تتخيل من ذلك درجات للفلك التي تقطعها الكواكب ذلك هو الزمان و كلامنا إنما هو في الاسم الدهر و مقاماته التي ظهر عنها الزمان و الزمان على التحقيق قد عرفناك أنه نسبة لا أمر وجودي و أنه للمحدث بمنزلة الأزل للقديم فهذه المقامات تحصل لأهل الشهود إذا قابلوها بذواتهم من حيث خلقهم على الصورة كذلك يقابل الزمان الدهر و الأبد يقابله الأزل و لا يكون منهم عند المقابلة نظر إلى كون أصلا يميزونه عن ذواتهم و ذوات ما قابلوه فإن وقع لمن هذا مقامه تميز لكون من الأكوان أو للذي قابلوه يميز لهم عما قابلوه من ذواتهم فقد حدوه و انحرفوا عن المقابلة و انحطوا بذلك إلى ثمانية عشر مقاما و هو النصف فأما أن يكون انحرافهم إليه أو إليهم فإن كان إليه تعالى فقد غابوا عنهم و المطلوب منهم حضورهم بهم له و إن كان الانحراف إليهم فقد غابوا عنه و المطلوب حضورهم معه فإن زاد الانحراف انحطوا إلى نصف ذلك و هو تسعة مقامات فغاب عنهم من الذي انحطوا عنه النصف فإن زاد الانحراف انحطوا إلى ستة مقامات و هو غاية الانحطاط و هو الثلث من الثمانية عشر و السدس من المجموع الذي هو ستة و ثلاثون فمنزل العبد الكامل يكون بين هاتين النسبتين يقابل كل نسبة منهما بذاته فإنه لا ينقسم في ذاته و ما لا ينقسم لا يوصف بأنه يقابل كل نسبة بغير الذي يقابل بها الأخرى و ما ثم إلا ذاته كالجوهر الفرد بين الجوهرين أو الجسمين يقابل كل واحد مما هو بينهما بذاته لأن ما لا ينقسم لا يكون له جهتان مختلفتان في حكم العقل و إن كان الوهم يتخيل ذلك كذلك الإنسان

من حيث حقيقته و لطيفته يقابل بذاته الحق من حيث نسبه التنزيه و بذلك الوجه عينه يقابل الحق من حيث صفة النزول الإلهي إلى الاتصاف بالصفات التي توهم التشبيه و هي النسبة الأخرى و كما أن الحق الذي هو الموصوف بها تين النسبتين واحد في نفسه و أحديته و لم تحكم عليه ها تان النسبتان بالتعداد و الانقسام في ذاته كذلك العبد الكامل في مقابلة الحق في ها تين النسبتين لا يكون له وجهان متغايران فهذه هي المقابلة للحق من جميع النسب على كثرتها فإنها و إن كثرت فهي راجعة إلى ها تين النسبتين و ليستا بأمر زائد على عين الموصوف بها فالكل عين واحدة و ما ثم كل وجودي و إنما جئنا به من حيث النسب و هي لا أعيان لها فالعين من الحق واحدة و العين من العبد واحدة لكن عين العبد ثبوتية ما برحت من أصلها و لا خرجت من معدنها و لكن كساها الحق حلة وجوده فعينها باطن وجوده و وجودها عين موجدها فما ظهر إلا الحق لا غيره و عين العبد باق على أصله لكنه استفاد ما لم يكن عنده من العلم بذاته و بمن كساه حلة وجوده و بمعرفة أمثاله و رأى العالم بعضه بعضا بعين وجود ربه . فمن نظر إلى ذاته بعين ربه و لم يميز فقد انحرف عما ينبغي له فهو العبد الموصوف بالجهل في عين الحق و حكمه في هذا الوصف و الحال حكم من لم يتصف بالوجود لأن الجهل عدم فمن قال في رؤيته ما رأى الله إلا الله فهو العبد الكامل و هكذا في كل نسبة و هذه أسنى درجات المعارف و تليها المعرفة الثانية التي يقول فيها صاحبها كنت مغمض العينين ففتحتهما فما وقعت على شيء إلا كان هو الله فما رأيت إلا الله و الأعيان على أصولها لا أثر لها في رؤيتي إياها و المعرفة الثالثة هي التي يقول فيها صاحبها ما رأيت شيئا و المعرفة الرابعة أن يقول ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله و هذه رؤية تحديد و كذلك فيما نزل عن هذه المعرفة من فيه و بعده و عنده و غير ذلك و هي هذه المعارف التي تعطي التحديد من النسبة النزولية التي توهم التشبيه و المعارف الأول التي ذكرناها من مقام كون العبد بين النسبتين لا غير و أما المعارف التي تحصل من نسبة التنزيه فلا تنقال و لا تأخذها عبارة و لا تصح فيها الإشارة فانحصر لك الأمر في ثلاث معارف أمهات معرفة نسبة التنزيه و معرفة نسبة التحديد و التشبيه و معرفة أعطاها مقامك بين ها تين النسبتين و هو عينك لا وجود عينك لكون وجود عينك هو وجود الحق فلا ينسب إليك فمن لا علم له بهذه الأمهات فهو المنحرف و اعلم أن لله في كل نوع من المخلوقات خصائص و قد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب و هذا النوع الإنساني هو من جملة الأنواع و لله فيه خصائص وصفوه و أعلى الخواص فيه من العباد الرسل عليهم السلام و لهم مقام النبوة و الولاية و الايمان فهم أركان بيت هذا النوع و الرسول أفضلهم مقاما و أعلاهم حالا أي المقام الذي يرسل منه أعلى منزلة عند الله من سائر المقامات و هم الأقطاب و الأئمة و الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم كما يحفظ البيت بأركانه فلو زال ركن منها زال كون البيت بيتا ألا إن البيت هو الدين ألا إن أركانه هي الرسالة و النبوة و الولاية و الايمان إلا أن الرسالة هي الركن الجامع للبيت و أركانه إلا إنها هي

المقصودة من هذا النوع فلا يخلو هذا النوع أن يكون فيه رسول من رسل الله كما لا يزال الشرع الذي هو دين الله فيه ألا إن ذلك الرسول هو القطب المشا ر إليه الذي ينظر الحق إليه فيبقى به هذا النوع في هذه الدا ر و لو كفر الجميع إلا أن الإنسان لا يصح عليه هذا الاسم إلا أن يكون ذا جسم طبيعي و روح و يكون موجودا في هذه الدا ر الدنيا بجسده و حقيقته فلا بد أن يكون الرسول الذي يحفظ الله به هذا النوع الإنساني موجودا في هذا النوع في هذه الدا ر بجسده و روحه يتغذى و هو مجلى الحق من آدم إلى يوم القيامة و لما كا ن الأمر على ما ذكرناه و مات رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ و الشرع الذي لا يبدل و دخلت الرسل كلهم في هذه الشريعة يقومون بها و الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه فإنه قطب العالم الإنساني و لو كانوا ألف رسول لا بد أن يكون الواحد من هؤلاء هو الإمام المقصود فأبقى الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدا ر الدنيا ثلاثة و هم إدريس عليه السلام بقي حيا بجسده و أسكنه الله السماء الرابعة و السموات السبع هن من عالم الدنيا و تبقي ببقائها و تفني صورتها بفنائها فهي جزء من الدا ر الدنيا فإن الدا ر الأخرى تبدل فيها السموات و الأرض بغيرهما كما تبدل هذه النشأة الترابية منا نشئات أخر غير هذه كما وردت الأخبا ر في السعداء من الصفاء و الرقة و اللطافة فهي نشأت طبيعية جسمية لا تقبل الأثقال فلا يغوطون و لا يبولون و لا يتمخطون كما كانت هذه النشأة الدنياوية و كذلك أهل الشقاء و أبقى في الأرض أيضا الياس و عيسى و كلاهما من لمرسلين و هما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع عليهم إنهم رسل و أما الخضر و هو الرابع فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدا ر الدنيا فكلهم الأوتاد و اثنا ن منهم الإماما ن و واحد منهم القطب الذي هو موضع نظر الحق من العالم فما زال المرسلون و لا يزالون في هذه الدا ر إلى يوم القيامة و إن لم يبعثوا بشرع ناسخ و لا هم على غير شرع محمد صلى الله عليه و سلم وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ و الواحد من هؤلاء الأربعة الذين هم عيسى و الياس و إدريس و خضر هو القطب و هو أحد أركان بيت الدين و هو ركن الحجر الأسود و اثنان منهم هما الإمامانو أربعتهم هم الأوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان و بالثاني يحفظ الله الولاية و بالثالث يحفظ الله النبوة و بالرابع يحفظ الله الرسالة و بالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء لا يموت أبدا أي لا يصعق و هذه المعرفة التي أبرزنا عينها للناظرين لا يعرفها من أهل طريقنا إلا الأفراد الأمناء و لكل واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة في كل زمان شخص على قلوبهم مع وجودهم هم نوابهم فأكثر الأولياء من عامة أصحابنا لا يعرفون القطب و الإمامين و الوتد إلا النواب لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم و لهذا يتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات فإذا حصلوا أو خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب و نائب الإمام يعرف أن الإمام غيره و أنه

نائب عنه و كذلك الوتد فمن كرامة رسول الله صلى الله عليه و سلم محمد أن جعل من أمته و أتباعه رسلا و إن لم يرسلوا فهم من أهل المقام الذي منه يرسلون و قد كانوا أرسلوا فاعلم ذلك و لهذا صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة إسرائه بالأنبياء عليهم السلام في السموات لتصح له الإمامة على الجميع حسا بجسمانيته و جسمه فلما انتقل صلى الله عليه و سلم بقي الأمر محفوظا بهؤلاء الرسل فثبت الدين قائما بحمد الله ما انهدم منه ركن إذ كان له حافظ يحفظه و إن ظهر الفساد في العالم إلى أن يرث الله الْأَرْضَ وَمن عَلَيْها و هذه نكتة فاعرف قدرها فإنك لست تراها في كلام أحد منقول عنه أسرار هذه الطريقة غير كلامنا و لولا ما ألقى عندي في إظهارها ما أظهرتها لسر يعلمه الله ما أعلمنا به و لا يعرف ما ذكرناه إلا نوابهم خاصة لا غيرهم من الأولياء فاحمدوا الله يا إخواننا حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرار الله المخبوة في خلقه التي اختص الله بها من شاء من عباده فكونوا لها قابلين مؤمنين بها و لا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها قال أبو يزيد البسطامي و هو أحد النواب لأبي موسى الدبيلي يا أبا موسى إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة و سمعت شيخنا أبا عمران موسى بن عمران الميرتلي بمنزله بمسجد الرضي بإشبيلية و هو يقول للخطيب أبي القاسم بن عفير و قد أنكر أبو القاسم ما يذكر أهل هذه الطريقة يا أبا القاسم لا تفعل فإنك إن فعلت هذا جمعنا بين حرمانين لا نرى ذلك من نفوسنا و لا نؤمن به من غيرنا و ما ثم دليل يرده و لا قادح يقدح فيه شرعا و عقلا ثم استشهدني على ما ذكره و كان أبو القاسم يعتقد فينا فقررت عنده ما قاله بدليل يسلمه من مذهبه فإنه كان محدثا فشرح الله صدره للقبول و شكرني الشيخ و دعا لي و اعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس و هو اسم يعم جميعهم و هم على طبقات كثيرة و أحوال مختلفة فمنهم من تجمع له الحالات كلها و الطبقات و منهم من يحصل من ذلك ما شاء الله و ما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال و المقامات التي يظهرون عليها في قوله وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ كل طائفة في جنسها و منهم من يحصره عدد في كل زمان و منهم من لا عدد له لازم فيقلون و يكثرون و لنذكر منهم أهل الأعداد و من لا عدد لهم بألقابهم إن شاء الله تعالى فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب و هم الجامعون للأحوال و المقامات بالأصالة أو بالنيابة كما ذكرنا و قد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطبا كل من دار عليه مقام ما من المقامات و انفرد به في زمانه على أبناء جنسه و قد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد و شيخ الجماعة قطب تلك الجماعة و لكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقا من غير إضافة لا يكون منهم في الزمان إلا واحد و هو الغوث أيضا و هو من المقربين و هو سيد الجماعة في زمانه و منهم من يكون ظاهر الحكم و يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر و عمر و عثمان و علي و الحسن و معاوية بن يزيد و عمر بن عبد العزيز و المتوكل و منهم من له الخلافة الباطنة خاصة و لا حكم له

في الظاهر كأحمد بن ها رون الرشيد السبتي و كأبي يزيد البسطامي و أكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر و منهم رضي الله عنهم الأئمة و لا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما الواحد عبد الرب و الآخر عبد الملك و القطب عبد الله قال تعالى وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يعني محمدا صلى الله عليه و سلم فلكل رجل اسم إلهي يخصه به يدعى عبد الله و لو كان اسمه ما كان فالأقطاب كلهم عبد الله و الأئمة في كل زمان عبد الملك و عبد الرب و هما اللذان يخلفان القطب إذا مات و هما للقطب بمنزلة الوزيرين الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت و الآخر مع عالم الملك و منهم رضي الله عنهم الأوتاد و هم أربعة في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون رأينا منهم شخصا بمدينة فاس يقال له ابن جعدون كان ينخل الحناء بالأجرة الواحد منهم يحفظ الله به المشرق و ولايته فيه و الآخر المغرب و الآخر الجنوب و الآخر الشمال و التقسيم من الكعبة و هؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال لقوله تعالى أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَالْجِبالَ أَوْتاداً فإنه بالجبال سكن ميد الأرض كذلك حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض و إلى مقامهم الإشارة بقوله تعالى عن إبليس ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ فيحفظ الله بالأوتاد هذه الجهات و هم محفوظون من هذه الجهات فليس للشيطان عليهم سلطان إذ لا دخول له على بني آدم إلا من هذه الجهات و أما الفوق و التحت فربما يكون للستة التي نذكر أمرهم بعد هذا إن شاء الله و كل ما نذكره من هؤلاء الرجال باسم الرجال فقد يكون منهم النساء و لكن يغلب ذكر الرجال قيل لبعضهم كم الأبدال فقال أربعون نفسا فقيل له لم لا تقول أربعون رجلا فقال قد يكون فيهم النساء ألقابهم عبد الحي و عبد العليم و عبد القادر و عبد المريد و منهم رضي الله عنهم الأبدال و هم سبعة لا يزيدون و لا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم فيه ولايته الواحد منهم على قدم الخليل عليه السلام و له الإقليم الأول و أسوقهم على الترتيب إلى صاحب الإقليم السابع و الثاني على قدم الكليم عليه السلام و الثالث على قدم ها رون و الرابع على قدم إدريس و الخامس على قدم يوسف و السادس على قدم عيسى و السابع على قدم آدم على الكل السلام و هم عارفون بما أودع الله سبحانه في الكواكب السيارة من الأمور و الأسرار في حركاتها و نزولها في المنازل المقدرة و لهم من الأسماء أسماء الصفات فمنهم عبد الحي و عبد العليم و عبد الودود و عبد القادر و هذه الأربعة هي أربعة أسماء الأوتاد و منهم عبد الشكور و عبد السميع و عبد البصير لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الأبدال بها ينظر الحق إليهم و هي الغالبة عليه و ما من شخص إلا و له نسبة إلى اسم إلهي منه يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير و هم بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول و الإحاطة فعلى تلك الموازنة يكون علم هذا الرجل و سموا هؤلاء أبدا لا لكونهم إذا فارقوا موضعا و يريدون أن يخلفوا بدلا منهم في ذلك الموضع لأمر يرونه مصلحة و قربة يتركوا به شخصا على صورته لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك

الشخص أنه عين ذلك الرجل و ليس هو بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منه فكل من له هذه القوة فهو البدل و من يقيم الله عنه بدلا في موضع ما و لا علم له بذلك فليس من الأبدال المذكورين و قد يتفق ذلك كثيرا عايناه و رأيناه و رأينا هؤلاء السبعة الأبدال بمكة لقيناهم خلف حطيم الحنابلة و هنالك اجتمعنا بهم فما رأيت أحسن سمتا منهم وكنا قد رأينا منهم موسى السدراني بإشبيلية سنة ست و ثمانين و خمسمائة وصل إلينا بالقصد و اجتمع بنا و رأينا منهم شيخ الجبال محمد بن أشرف الرندي و لقي منهم صاحبنا عبد المجيد بن سلمة شخصا اسمه معاذ بن أشرس كان من كبارهم و بلغني سلامه علينا سأله عبد المجيد هذا عن الأبدال بما ذا كانت لهم هذه المنزلة فقال بالأربعة التي ذكرها أبو طالب المكي يعني الجوع و السهر و الصمت و العزلة و قد يسمون الرجبيين أبدالا و هم أربعون و قد يسمون الاثني عشر أيضا أبدالا و سيأتي ذكر هؤلاء في الرجال المعدودين فمن رأى الرجبيين قال إن الأبدال أربعون نفسا فإنهم أربعون و منهم رضي الله عنهم النقباء و هم اثنا عشر نقيبا في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجا كل نقيب عالم بخاصية كل برج و بما أودع الله في مقامه من الأسرار و التأثيرات و ما يعطي للنزلاء فيه من الكواكب السيارة و الثوابت فإن للثوابت حركات و قطعا في البروج لا يشعر به في الحس لأنه لا يظهر ذلك إلا في آلاف من السنين و أعمار أهل الرصد تقصر عن مشاهدة ذلك و اعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة و لهم استخراج خبايا النفوس و غوائلها و معرفة مكرها و خداعها و أما إبليس فمكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه و هم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل العلماء بالآثار و القيافة و بالديار المصرية منهم كثير يخرجون الأثر في الصخور و إذا رأوا شخصا يقولون هذا الشخص هو صاحب ذلك الأثر و يكون كذلك و ليسوا بأولياء الله فما ظنك بما يعطيه الله هؤلاء النقباء من علوم الآثار و منهم رضي الله عنهم النجباء و هم ثمانية في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و هم الذين تبدو منهم و عليهم إعلام القبول من أحوالهم و إن لم يكن لهم في ذلك اختيار لكن الحال يغلب عليهم و لا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم و هم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة و الإدراك الثامن و مقامهم الكرسي لا يتعدوه ما داموا نجباء و لهم القدم الراسخة في علم تسيير الكواكب من جهة الكشف و الاطلاع لا من جهة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشأن و النقباء هم الذين حازوا علم الفلك التاسع و النجباء حازوا علم الثمانية الأفلاك التي دونه و هي كل فلك فيه كوكب و منهم رضي الله عنهم الحواريون و هو واحد في كل زمان لا يكون فيه اثنان فإذا مات ذلك الواحد أقيم غيره و كان في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم الزبير بن العوام هو كان صاحب هذا المقام مع كثرة أنصار الدين بالسيف فالحواري من جمع في نصرة الدين بين السيف و الحجة فأعطى العلم و العبارة و الحجة

و أعطى السيف و الشجاعة و الإقدام و مقاومة التحدي في إقامة الحجة على صحة الدين المشروع كالمعجزة التي للنبي فلا يقوم بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم بدليله الذي يقيمه على صدقه فيما ادعاه إلا حواريه فهو يرث المعجزة و لا يقيمها الأعلى صدق نبيه صلى الله عليه و سلم هذا مقام الحواري و يبقى عليها اسم المعجزة أعني على تلك الدلالة فإنه يقترن بها مع الحواري ما يقترن بها مع النبي صلى الله عليه و سلم و يضيفها إلى النبي كما يضيفها النبي إلى نفسه و لا يسمى مثل هذا كرامة لولي لأنه ما كان معجزة النبي على حدها و شمول لوازمها لا يكون ذلك أبدا كرامة لولي و إلى هذا ذهب الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني و لكن على غير هذا الوجه الذي أومأنا إليه فإن أبا إسحاق يحيل وقوع عين الفعل المعجز و أكثر المتكلمين لا يحيله أن يكون كرامة لا على طريق الإعجاز فإذا وقع من الشخص على حد ما وقع من النبي بطريق الإعجاز لصدق ذلك النبي من هذا التابع فإنه يقع و لا بد و هذا لا يكون إلا من الحواري خاصة فمن ظهر منه مثل هذا على حد ما رسمناه فهو حواري ذلك العصر و قد رأيناه في زماننا سنة ست و ثمانين و خمسمائة فهذا هو المسمى بالحواري و منهم رضي الله عنهم الرجبيون و هم أربعون نفسا في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و هم رجال حالهم القيام بعظمة الله و هم من الأفراد و هم أرباب القول الثقيل من قوله تعالى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و سموا رجبيون لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أول استهلال هلاله إلى انفصاله ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجدونه إلى دخول رجب من السنة الآتية و قليل من يعرفهم من أهل هذا الطريق و هم متفرقون في البلاد و يعرف بعضهم بعضا منهم من يكون باليمن و بالشام و بديار بكر لقيت واحدا منهم بدنيسير من ديار بكر ما رأيت منهم غيره و كنت بالأشواق إلى رؤيتهم و منهم من يبقى عليه في سائر السنة أمر ما مما كان يكاشف به في حاله في رجب و منهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك و كان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة فكان يراهم خنازير فيأتي الرجل المستور الذي لا يعرف منه هذا المذهب قط و هو في نفسه مؤمن به يدين به ربه فإذا مر عليه يراه في صورة خنزير فيستدعيه و يقول له تب إلى الله فإنك شيعي رافضي فيبقى الآخر متعجبا من ذلك فإن تاب و صدق في توبته رآه إنسانا و إن قال له بلسانه تبت و هو يضمر مذهبه لا يزال يراه خنزيرا فيقول له كذبت في قولك تبت و إذا صدق يقول له صدقت فيعرف ذلك الرجل صدقه في كشفه فيرجع عن مذهبه ذلك الرافضي و لقد جرى لهذا مثل هذا مع رجلين عاقلين من أهل العدالة من الشافعية ما عرف منهما قط التشيع و لم يكونوا من بيت التشيع أداهما إليه نظرهما و كانا متمكنين من عقولهما فلم يظهرا ذلك و أصرا عليه بينهما و بين الله فكانا يعتقدان السوء في أبي بكر و عمر و يتغالون في علي فلما مرا به و دخلا عليه أمر بإخراجهما من عنده فإن الله كشف له عن بواطنهما في صورة خنازير و هي العلامة التي جعل الله له في أهل هذا المذهب و كانا قد علما من نفوسهما

أن أحدا من أهل الأرض ما اطلع على حالهما و كانا شاهدين عدلين مشهورين بالسنة فقالا له في ذلك فقال أراكما خنزيرين و هي علامة بيني و بين الله فيمن كان مذهبه هذا فأضمرا التوبة في نفوسهما فقال لهما إنكما الساعة قد رجعتما عن ذلك المذهب فإني أراكما إنسانين فتعجبا من ذلك و تابا إلى الله و هؤلاء الرجبيون أول يوم يكون في رجب يجدون كأنما أطبقت عليهم السماء فيجدون من الثقل بحيث لا يقدرون على أن يطرفوا و لا يتحرك فيهم جارحة و يضطجعون فلا يقدرون على حركة أصلا و لا قيام و لا قعود و لا حركة يد و لا رجل و لا جفن عين يبقى ذلك عليهم أول يوم ثم يخف في ثاني يوم قليلا و في ثالث يوم أقل و تقع لهم الكشوفات و التجليات و الاطلاع على المغيبات و لا يزال مضطجعا مسجى يتكلم بعد الثلاث أو اليومين و يتكلم معه و يقال له إلى أن يكمل الشهر فإذا فرغ الشهر و دخل شعبان قام كأنما نشط من عقال فإن كان صاحب صناعة أو تجارة اشتغل بشغله و سلب عنه جميع حاله كله إلا من شاء الله أن يبقى عليه من ذلك شيء أبقاه الله عليه هذا حالهم و هو حال غريب مجهول السبب و الذي اجتمعت به منهم كان في شهر رجب و كان في هذه الحال و منهم رضي الله عنهم الختم و هو واحد لا في كل زمان بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه و ثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي و هو عيسى عليه السلام هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر في أمة محمد صلى الله عليه و سلم و يحشر رسولا مع الرسل عليهم السلام و منهم رضي الله عنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون فاعلم إن معنى قول النبي عليه السلام في حق هؤلاء الثلاثمائة إنهم على قلب آدم و كذلك قوله عليه السلام في غير هؤلاء ممن هو على قلب شخص من أكابر البشر أو الملائكة إنما معناه إنهم يتقلبون في المعارف الإلهية تقلب ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول فإنه يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه و ربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان و هو بهذا المعنى نفسه و قد أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هؤلاء الثلاثمائة أنهم على قلب آدم و ما ذكر صلى الله عليه و سلم أنهم ثلاثمائة في أمته فقط أو هم في كل زمان و ما علمنا أنهم في كل زمان إلا من طريق الكشف و أن الزمان لا يخلو عن هذا العدد و لكل واحد من هؤلاء الثلاثمائة من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق إلهي من تخلق بواحد منها صحت له السعادة و هؤلاء هم المجتبون المصطفون و يستحبون من الدعاء ما ذكره الحق سبحانه في كتابه رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ و قال تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ و هو آدم و من كان بهذه المثابة و لهذه الطائفة من الزمان الثلاثمائة من السنين التي ذكر الله أنها لبثها أهل الكهف و كانت شمسية و لهذا قال وَازْدَادُوا تِسْعاً فإن الثلاثمائة سنة الشمسية تكون

من سنى القمر ثلاثمائة و تسع سنين على التقريب و كل سنة تمام الزمان بفصوله و هذه الجملة قريبة من ثلث يوم واحد من أيام الرب وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فإذا أخذ العا رف في مشهد من مشاهد الربوبية حصل في مقدا ر يومها في تلك اللحظة من العلوم الإلهية ما يحصل غيره في عالم الحس مع الاجتهاد و التهيؤ من العلوم الإلهية في ألف سنة من هذه السنين المعلومة و على هذا المجرى يكون ما يحصله واحد من هؤلاء الثلاثمائة من العلوم الإلهية إذا اختطف عن نفسه و حصره يوم من أيام الرب و لا يعرف قد ر ما ذكرناه و شرفه إلا من ذاقه و انطوى الزمان في حقه في تلك اللحظة كما تنطوي المسافة و المقادير في حق البصر إذا فتحه فوقع نظره على فلك الكواكب الثابتة في زمان فتح عينه اتصلت أشعته بأجرام تلك الكواكب فانظر إلى هذا البعد و انظر إلى هذه السرعة و كذلك تعلق إد راك السمع في الزمان الذي يكون فيه الصوت فيه يكون إد راك السمع له مع البعد العظيم فإن تفطنت لهذا الذي أشرنا إليه علمت معنى رؤيتك ربك مع نفي التحيز و الجهات و علمت الرائي منك و المرئي و الرؤية و كذلك السامع و السمع و المسموع و هذه الطبقة هي التي علمت الأسماء الإلهية التي توجهت على الأشياء المشا ر إليها في قوله تعالى أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إذ كان الإنباء بالأسماء عين الثناء على المسمى و الناس يأخذون هذه الآية على أن الأسماء هي أسماء المشا ر إليهم من حيث دلالتها عليهم كدلالة زيد في علميته على شخص زيد و عمر و على شخص عمرو و أي فخر في ذلك على الموصوفين بالعلم و هم الملائكة و ما تفطن الناس لقولهم نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ و قد فاتهم من أسماء الله تعالى ما توجهت على هؤلاء المشا ر إليهم انتهى الجزء الخامس و السبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

و منهم رضي الله عنهم أربعون شخصا على قلب نوح عليه السلام في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون هكذا و رد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذه الطبقة أن في أمته أربعين على قلب نوح عليه السلام و هو أول الرسل و الرجال الذين هم على قلبه صفتهم القبض و دعاؤهم دعاء نوح رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبا راً و مقام هؤلاء الرجال مقام الغيرة الدينية و هو مقام صعب المرتقى فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال إن الله غيور و من غيرته حرم الفواحش فثبت من هذا الخبر أن الفاحشة هي فاحشة لعينها و لهذا حرمها قيل لمحمد عليه السلام قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ أي ما علم و ما لم يعلم إلا بالتوقيف لغموض إد راك الفحش فكل محرم حرمه الله على عباده فهو فحش و ما هو عين ما أحله في زمان آخر و لا في شرع آخر فهذا هو الذي بطن علمه فإن الخمر التي أحلت له ما هي التي حرمت عليه و منع من شربها فعلل الأحكام قد تكون أعيان الأشياء و مذاهب أهل الكلام في ذلك مختلفة و الذي يعطيه الكشف تقرير المذهبين فإن المكاشف

يحكم بحسب الحضرة التي منها يكاشف فإنها تعطيه بذاتها ما هي عليه و من هنا كان مقام الغيرة مقام حيرة صعب المرتقى و لا سيما و الحق وصف بها نفسه على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم و هي من صفات القلوب و الباطن و هي تستدعي إثبات المغاير و لا غير على الحقيقة إلا أعيان الممكنات من حيث ثبوتها لا من حيث وجودها فالغيرة تظهر من ثبوت أعيان الممكنات و عدم الغيرة من وجود أعيان الممكنات فالله غيور من حيث قبول الممكنات للوجود فمن هناك حرم الفواحش ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ و ما ثم إلا ظاهر أو باطن و الغيرة قد انسحبت على الجميع ثم إنها في جبلة الحيوانات و لا يشعر لحكمها فمن غار عقلا كان مشهده ثبوت الأعيان و من غار شرعا كان مشهوده وجود الأعيان و هؤلاء الأربعون هم رجال هذا المقام و حقيقة مقام ميقات موسى أربعون ليلة لهؤلاء الأربعين فالليل منها لما بطن و النهار منها لما ظهر فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فأضاف الميقات إلى الرب فعلمنا إن قوله صلى الله عليه و سلم و الله أغير مني أن الاسم الله هنا يريد به الاسم الرب لأنه لا يصح أن يطلق الاسم الله من غير تقييد من طريق المعنى فإن الأحوال تقيد هذا الإطلاق باسم خاص يطلبه الحال فالغيرة للاسم الرب و إن وصف بها الاسم الله و لما كانت المكالمة و التجلي عقيب تمامها لذلك ظهر بتمام هؤلاء الأربعين رجل في العالم مقامه مقام أبيه نوح فإنه الأب الثاني على ما ذكر و كل ما تفرق في هؤلاء الأربعين اجتمع في نوح كما أنه كلما تفرق في الثلاثمائة اجتمع في آدم و على معارج هؤلاء الأربعين عملت الطائفة الأربعينيات في خلواتهم لم يزيدوا على ذلك شيئا و هي خلوات الفتح عندهم و يحتجون على ذلك بالخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه كما كانت المكالمة في التجلي عن مقدمة الميقات الأربعيني الرباني و منهم رضي الله عنهم سبعة على قلب الخليل إبراهيم عليه السلام لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان ورد به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعاؤهم دعاء الخليل رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ و مقامهم السلامة من جميع الريب و الشكوك و قد نزع الله الغل من صدورهم في هذه الدنيا و سلم الناس من سوء ظنهم إذ ليس لهم سوء ظن بل ما لهم ظن فإنهم أهل علم صحيح فإن الظن أنما يقع ممن لا علم له فيما لا علم له به بضرب من الترجيح فلا يعلمون من الناس إلا ما هم عليه الناس من الخير و قد أرسل الله بينهم و بين الشرور التي هم عليها الناس حجابا و أطلعهم على النسب التي بين الله و بين عباده و نظر الحق إلى عباده بالرحمة التي أوجدهم بها فكل خير في الخلق من تلك الرحمة فذلك هو المشهود لهم من عباد الله و لقد لقيتهم يوما و ما رأيت أحسن سمتا منهم علما و حلما إخوان صدق عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ قد عجلت لهم جناتهم المعنوية الروحانية في قلوبهم مشهودهم من الخلق تصريف الحق من حيث هو وجود لا من حيث تعلق حكم به و منهم رضي الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان ورد بذلك

الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم هم ملوك أهل هذه الطريقة لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوي المعبر عنها بالأجنحة التي بها يصعد و ينزل لا يتجاوز علم هؤلاء الخمسة مقام جبريل و هو الممد لهم من الغيب و معه يقفون يوم القيامة في الحشر و منهم رضي الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام لهم الخير المحض و الرحمة و الحنان و العطف و الغالب على هؤلاء الثلاثة البسط و التبسم و لين الجانب و الشفقة المفرطة و مشاهدة ما يوجب الشفقة و لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان و لهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من القوي و منهم رضي الله عنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام في كل زمان و له الأمر و نقيضه جامع للطرفين ورد بذلك خبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم له علم إسرافيل و كان أبو يزيد البسطامي منهم ممن كان على قلب إسرافيل و له من الأنبياء عيسى عليه السلام فمن كان على قلب عيسى عليه السلام فهو على قلب إسرافيل و من كان على قلب إسرافيل قد لا يكون على قلب عيسى و كان بعض شيوخنا على قلب عيسى و كان من الأكابر (وصل) و أما رجال عالم الأنفاس رضي الله عنهم فإنا أذكرهم و هم على قلب داود عليه السلام و لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان و إنما نسبناهم إلى قلب داود و قد كانوا موجودين قبل ذلك بهذه الصفة فالمراد بذلك أنه ما تفرق فيهم من الأحوال و العلوم و المراتب اجتمع في داود و لقيت هؤلاء العالم كلهم و لازمتهم و انتفعت بهم و هم على مراتب لا يتعدونها بعدد مخصوص لا يزيد و لا ينقص و أنا ذاكرهم إن شاء الله تعالى فمنهم رضي الله عنهم رجال الغيب و هم عشرة لا يزيدون و لا ينقصون هم أهل خشوع فلا يتكلمون إلا همسا لغلبة تجلى الرحمن عليهم دائما في أحوالهم قال تعالى وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً و هؤلاء هم المستورون الذين لا يعرفون خبأهم الحق في أرضه و سمائه فلا يناجون سواه و لا يشهدون غيره يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً دأبهم الحياء إذا سمعوا أحدا يرفع صوته في كلامه ترعد فرائصهم و يتعجبون و ذلك أنهم لغلبة الحال عليهم يتخيلون أن التجلي الذي أورث عندهم الخشوع و الحياء يراه كل أحد و رأوا أن الله قد أمر عباده أن يغضوا أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ و إذا كنا نهينا و تحبط أعمالنا برفع أصواتنا على صوت رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا تكلم و هو المبلغ عن الله فغض أصواتنا عند ما نسمع تلاوة القرآن آكد و الله يقول وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ و هذا هو مقام رجال الغيب و حالهم الذي ذكرناه فيمتاز الحديث النبوي من القرآن بهذا القدر و يمتاز كلامنا من الحديث النبوي بهذا القدر و أما أهل الورع إذا اتفقت بينهم مناظرة في مسألة دينية فيذكر أحد الخصمين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم خفض الخصم صوته عند سرد الحديث هذا هو الأدب عندهم إذا كانوا أهل

حضور مع الله و طلبوا العلم لوجه الله فأما علماء زماننا اليوم فما عندهم خير و لا حياء لا من الله و لا من رسول الله إذا سمعوا الآية أو الحديث النبوي من الخصم لم يحسنوا الإصغاء إليه و لا أنصتوا و داخلوا الخصم في تلاوته أو حديثه و ذلك لجهلهم و قلة ورعهم عصمنا الله من أفعالهم و اعلم أن رجال الغيب في اصطلاح أهل الله يطلقونه و يريدون به هؤلاء الذين ذكرناهم و هي هذه الطبقة و قد يطلقونه و يريدون به من يحتجب عن الأبصار من الإنس و قد يطلقونه أيضا و يريدون به رجالا من الجن من صالحي مؤمنيهم و قد يطلقونه على القوم الذين لا يأخذون شيئا من العلوم و الرزق المحسوس من الحس و لكن يأخذونه من الغيب و منهم رضي الله عنهم ثمانية عشر نفسا أيضا هم الظاهرون بأمر الله عن أمر الله لا يزيدون و لا ينقصون في كل زمان ظهورهم بالله قائمون بحقوق الله مثبتون الأسباب خرق العوائد عندهم عادة آيتهم قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ و أيضا إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً كان منهم شيخنا أبو مدين رحمه الله كان يقول لأصحابه أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة و أظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة يعني خرق العوائد و الباطنة يعني المعارف فإن الله يقول وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و قال عليه السلام التحدث بالنعم شكر و كان يقول بلسان أهل هذا المقام أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ هم على مدارج الأنبياء و الرسل لا يعرفون إلا الله ظاهرا و باطنا و هذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم ظهروا في عالم الشهادة و من ظهر في عالم الشهادة فقد ظهر بجميع العالم فكانوا أولى بهذا اللقب من غيرهم كان سهل بن عبد الله يقول في رجال الغيب الأول الرجل من يكون في فلاة من الأرض فيصلي فينصرف من صلاته فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة على مشاهدة منه إياهم فقلت لحاكي هذه الحكاية عن سهل الرجل من يكون وحده في الفلاة فيصلي فينصرف من صلاته بالحال الذي هو في صلاته فلا ينصرف معه أحد من الملائكة فإنهم لا يعرفون أين يذهب فهؤلاء هم عندنا رجال الغيب على الحقيقة لأنهم غابوا عنده فإن رجال الغيب قسمان في الظهور منهم رجال غيب عن الأرواح العلى ظاهرون لله لا لمخلوق رأسا و رجال غيب عن عالم الشهادة ظاهرون في العالم الأعلى فرجال الغيب أيضا أهل ظهور و لكن لا في عالم الشهادة فاعلم إن الظاهرين بأمر الله لا يرون سوى الله في الأكوان و أن الأكوان عندهم مظاهر الحق فهم أهل علانية و جهر و كل طبقة فعاشقة بمقامها تذب عنه و لهذا لا تعرف منزلة مقامها من المقامات حتى تفارقه فإذا نظرت إليه نظر الأجنبي المفارق حينئذ تعرفه فقبل أن تحصل فيه يكون معلوما لها من حيث الجملة و ترى علو منصبه فإذا دخلت فيه كان ذوقا لها و شربا فيحجبها كونها فيه عن التمييز فإذا ارتقت عنه نظرت إليه بعد ذوق فكانت عارفة بقدره بين المقامات و مرتبته فيقبل كلام هذا الشخص فيه لأنه تكلم عن ذوق و كان شهوده إياه عن صحو فتقبل شهادته لذلك المقام و عليه كما قبلنا شهادة الشبلي و قوله في الحلاج و لم نقبل قول الحلاج في نفسه و لا في الشبلي لأن الحلاج سكران و الشبلي

صاح و منهم رضي الله عنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الإلهية آيتهم من كتاب الله أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ لهم من الأسماء الإلهية ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ جمعوا ما بين علم ما ينبغي أن تعلم به الذات الواجبة الوجود لنفسها من حيث هي و بين علم ما ينبغي أن يعلم به من حيث ما هي إله فقدمها عزيز في المعارف لا تأخذهم في الله لومة لائم و قد يسمون رجال القهر لهم همم فعالة في النفوس و بهذا يعرفون كان بمدينة فاس منهم رجل واحد يقال له أبو عبد الله الدقاق كان يقول ما اغتبت أحدا قط و لا اغتيب بحضرتي أحد قط و لقيت أنا منهم ببلاد الأندلس جماعة لهم أثر عجيب و كل معنى غريب و كان بعض شيوخي منهم و من نمط هؤلاء رضي الله عنهم خمسة رجال في كل زمان أيضا لا يزيدون و لا ينقصون هم على قدم هؤلاء الثمانية في القوة غير أن فيهم لينا ليس للثمانية و هم على قدم الرسل في هذا المقام قال تعالى فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً و قال تعالى فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لَهُمْ فهم مع قوتهم لهم لين في بعض المواطن و أما في العزائم فهم في قوة الثمانية على السواء و يزيدون عليهم بما ذكرناه مما ليس للثمانية و قد لقينا منهم رضي الله عنهم و انتفعنا بهم و منهم رضي الله عنهم خمسة عشر نفسا هم رجال الحنان و العطف الإلهي آيتهم من كتاب الله آية الريح السليمانية تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ لهم شفقة على عباد الله مؤمنهم و كافرهم ينظرون الخلق بعين الجود و الوجود لا بعين الحكم و القضاء لا يولي الله منهم قط أحدا ولاية ظاهرة من قضاء أو ملك لأن ذوقهم و مقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق فهم مع الحق في الرحمة المطلقة التي قال الله فيها وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لقيت منهم جماعة و ما شيتهم على هذا القدم و انتقلت منهم إلى الخمسة التي ذكرناهم آنفا فإن مقام هؤلاء الخمسة بين رجال القوة و رجال الحنان فجمعت بين الطرفين فكانت واسطة العقد و هي الطائفة التي تصلح لهم ولاية الأحكام في الظاهر و هاتان الطائفتان رجال القوة و رجال الحنان لا يكون منهم وال أبدا أمور العباد و لا يستخلف منهم أحد جملة واحدة و منهم رضي الله عنهم أربعة أنفس في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون آيتهم من كتاب الله تعالى اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ و آيتهم أيضا في سورة تبارك الملك الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ هم رجال الهيبة و الجلال

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم　　　　لا خوف ظلم و لكن خوف إجلال

و هم الذين يمدون الأوتاد الغالب على أحوالهم الروحانية قلوبهم سماوية مجهولون في الأرض معروفون في السماء الواحد من هؤلاء الأربعة هو ممن استثنى الله تعالى في قوله وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللهُ و الثاني له العلم بما لا يتناهى و هو مقام عزيز يعلم التفصيل في المجمل و عندنا ليس في علمه مجمل و الثالث له الهمة الفعالة في الإيجاد و لكن لا يوجد عنه شيء و الرابع توجد عنه الأشياء و ليس له إرادة فيها و لا همة متعلقة بها أطبق العالم الأعلى على علو مراتبهم أحدهم على قلب محمد صلى

الله عليه و سلم و الآخر على قلب شعيب عليه السلام و الثالث على قلب صالح عليه السلام و الرابع على قلب هود عليه السلام ينظر إلى أحدهم من الملإ الأعلى عزرائيل و إلى الآخر جبريل و إلى الآخر ميكائيل و إلى الآخر إسرافيل أحدهم يعبد الله من حيث نسبة العماء إليه و الثاني يعبد الله من حيث نسبة العرش إليه و الثالث يعبد الله من حيث نسبة السماء إليه و الرابع يعبد الله من حيث نسبة الأرض إليه فقد اجتمع في هؤلاء الأربعة عبادة العالم كله شأنهم عجيب و أمرهم غريب ما لقيت فيمن لقيت مثلهم لقيتهم بدمشق فعرفت أنهم هم و قد كنت رأيتهم ببلاد الأندلس و اجتمعوا بي و لكن لم أكن أعلم أن لهم هذا المقام بل كانوا عندي من جملة عباد الله فشكرت الله على أن عرفني بمقامهم و أطلعني على حالهم و منهم رضي الله عنهم أربعة و عشرون نفسا في كل زمان يسمون رجال الفتح لا يزيدون و لا ينقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف و الأسرار و جعلهم الله على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم فكل من يفتح عليه في شيء من العلوم و المعارف في أي ساعة كانت من ليل أو نهار فهو لرجل تلك الساعة و هم متفرقون في الأرض لا يجتمعون أبدا كل شخص منهم لازم مكانه لا يبرح أبدا فمنهم باليمن اثنان و منهم ببلاد الشرق أربعة و منهم بالمغرب ستة و الباقي بسائر الجهات آيتهم من كتاب الله تعالى ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا و آية الأربعة الذين ذكرناهم قبل هؤلاء باقي الآية و هو قوله تعالى وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مع أن قدم أولئك في قوله خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً الآية و منهم رضي الله عنهم سبعة أنفس يقال لهم رجال العلى في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون هم رجال المعارج العلى لهم في كل نفس معراج و هم أعلى عالم الأنفاس آيتهم من كتاب الله تعالى وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ يتخيل بعض الناس من أهل الطريق أنهم الأبدال لما يرى أنهم سبعة كما يتخيل بعض الناس في الرجبيين أنهم الأبدال لكونهم أربعين عند من يقول إن الأبدال أربعون نفسا و منهم من يقول سبعة أنفس و سبب ذلك أنهم لم يقع لهم التعريف من الله بذلك و لا بعدد ما لله في العالم في كل زمان من العباد المصطفين الذين يحفظ الله بهم العالم فيسمعون إن ثم رجالا عددهم كذا كما إن ثم أيضا مراتب محفوظة لا عدد لأصحابها معين في كل زمان بل يزيدون و ينقصون كالأفراد و رجال الماء و الأمناء و الأحباء و الأخلاء و أهل الله و المحدثين و السمراء و الأصفياء و هم المصطفون فكل مرتبة من هذه المراتب محفوظة برجال في كل زمان غير أنهم لا يتقيدون بعدد مخصوص مثل من ذكرناهم و سأذكر إذا فرغنا من رجال العدد هذه المراتب و صفة رجالها فإنا لقينا منهم جماعة و رأينا أحوالهم فهؤلاء السبعة أهل العروج لهم كما قلنا في كل نفس معراج إلى الله لتحصيل علم خاص من الله فهم مع النفس الصاعد خاصة و لله رجال هم مع النفس الرحماني النازل الذي به حياتهم و غذاؤهم و هم أحد و عشرون نفسا و منهم رضي الله عنهم أحد و عشرون نفسا و هم رجال التحت الأسفل و هم أهل النفس الذي يتلقونه من الله

لا معرفة لهم بالنفس الخارج عنهم و هم على هذا العدد في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون آيتهم من كتاب الله تعالى ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ يريد عالم الطبيعة إذ لا أسفل منه رده إليه ليحيا به فإن الطبع ميت بالأصالة فأحياه بهذا النفس الرحماني الذي رده إليه لتكون الحياة سارية في جميع الكون لأن المراد من كل ما سوى الله أن يعبد الله فلا بد أن يكون حيا وجودا ميتا حكما فيجمع بين الحياة و الموت و لهذا قال له أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً فيريد منك في شيئيتك أن تكون معه كما كنت و أنت لا هذه الشيئية فلهذا قلنا حيا وجودا و ميتا حكما و هؤلاء الرجال لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند الله مع الأنفاس فهم أهل حضور مع الدوام و منهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس و هم رجال الإمداد الإلهي و الكوني في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون فهم يستمدون من الحق و يمدون الخلق و لكن بلطف و لين و رحمة لا بعنف و لا شدة و لا قهر يقبلون على الله بالاستفادة و يقبلون على الخلق بالإفادة فيهم رجال و نساء قد أهلهم الله للسعي في حوائج الناس و قضائها عند الله لا عند غيره و هم ثلاثة لقيت واحدا منهم بإشبيلية و هو من أكبر من لقيته يقال له موسى بن عمران سيد وقته كان أحد الثلاثة لم يسأل أحدا حاجة من خلق الله و رد في الخبر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال من تقبل لي بواحدة تقبلت له بالجنة أن لا يسأل أحدا شيئا فأخذها أبان مولى عثمان بن عفان فعمل عليها فربما وقع له السوط من يده و هو راكب فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه فينيخ راحلته فتبرك فيأخذ السوط من الأرض بيده و صفة هؤلاء إذا أفادوا الخلق ترى فيهم من اللطف و حسن التأني حتى يظن أنهم هم الذين يستفيدون من الخلق و أن الخلق هم الذين لهم اليد عليهم ما رأيت أحسن منهم في معاملة الناس الواحد من هؤلاء الثلاثة فتحه دائم لا ينقطع على قدم واحدة لا يتنوع في المقامات و هو مع الله واقف و بالله في خلقه قائم هجيره الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و الثاني له عالم الملكوت جليس للملائكة تتنوع عليه المقامات و الأحوال و يظهر في كل صورة من صور العالم له التروحن إذا شاء كقضيب البان و الثالث له عالم الملك جليس للناس لين المعاطف تتنوع أيضا عليه المقامات إمداده من البشر أي من النفوس الحيوانية و إمداد الثاني من الملائكة شأنهم عجيب و معناهم لطيف و منهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون يشبهون الأبدال في بعض الأحوال و ليسوا بأبدال آيتهم من كتاب الله وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً لهم اعتقاد عجيب في كلام الله بين الاعتقادين هم أهل وحي إلهي لا يسمعونه أبدا إلا كسلسلة على صفوان لا غير ذلك و مثل صلصلة الجرس هذا مقام هؤلاء القوم و ما عندي خبر بفهمهم في ذلك لأنه ما حصل عندي من شأنهم هل هم بأنفسهم يعطيهم الله الفهم في تلك الصلصلة إذا تكلم الله بالوحي أو هل يفتقرون في فهم ما جاء في تلك الصلصلة إلى غيرهم كما قيل عن غيرهم حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ فاستفهموا بعد صعقهم فإن الله إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان تصعق الملائكة

فإذا أفاقت و هو قوله حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ فلا أدري شأن هؤلاء الثلاثة هل هم بهذه المثابة في سماع كلام الحق أو يعطون الفهم كما أعطيه النبي صلى الله عليه و سلم فقال و أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس و هو أشده علي فيفصم عني و قد وعيت ما قال فالله أعلم كيف شأنهم في ذلك و ما أخبرني أحد عنهم و سألتهم في ذلك فما أخبرني واحد منهم بشيء لا اطلعت عليه من جانب الحق و منهم رضي الله عنهم رجل واحد و قد تكون امرأة في كل زمان آيته وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ له الاستطالة على كل شيء سوى الله شهم شجاع مقدام كبير الدعوى بحق يقول حقا و يحكم عدلا كان صاحب هذا المقام شيخنا عبد القادر الجيلي ببغداد كانت له الصولة و الاستطالة بحق على الخلق كان كبير الشأن أخباره مشهورة لم ألقه و لكن لقيت صاحب زماننا في هذا المقام و لكن كان عبد القادر أتم في أمور أخر من هذا الشخص الذي لقيته و قد درج الآخر و لا علم لي بمن ولي بعده هذا المقام إلى الآن و منهم رضي الله عنهم رجل واحد مركب ممتزج في كل زمان لا يوجد غيره في مقامه و هو يشبه عيسى عليه السلام متولد بين الروح و البشر لا يعلم له أب بشري كما يحكى عن بلقيس أنها تولدت بين الجن و الإنس فهو مركب من جنسين مختلفين و هو رجل البرزخ به يحفظ الله عالم البرزخ دائما فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل يكون مولده على هذه الصفة فهو مخلوق من ماء أمه خلافا لما ذكر عن أهل علم الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد بل اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و منهم رضي الله عنهم رجل واحد و قد يكون امرأة له رقائق ممتدة إلى جميع العالم و هو شخص غريب المقام لا يوجد منه في كل زمان إلا واحد يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب فيتخيل أنه القطب و ليس بالقطب و منهم رضي الله عنهم رجل واحد يسمى بمقامه سقيط الرفرف بن ساقط العرش رأيته بقونية آيته من كتاب الله وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى حاله لا يتعداه شغله بنفسه و بربه كبير الشأن عظيم الحال رؤيته مؤثرة في حال من يراه فيه انكسار هكذا شاهدته صاحب انكسار و ذل أعجبتني صفته له لسان في المعارف شديد الحياء و منهم رضي الله عنهم رجلان يقال لهما رجال الغني بالله في كل زمان من عالم الأنفاس آيتهم فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ يحفظ الله بهم هذا المقام الواحد منهم أكمل من الآخر يضاف الواحد منهم إلى نفسه و هو الأدنى و يضاف الآخر إلى الله تعالى قال النبي صلى الله عليه و سلم في صاحب هذا ليس الغني عن كثرة العرض لكن الغني غنى النفس و لهذا المقام هذان الرجلان و إن كان في العالم أغنياء النفوس و لكن في غناهم شوب و لا يخلص في الزمان إلا لرجلين تكون نهايتهما في بدايتهما و بدايتهما في نهايتهما للواحد منهما إمداد عالم الشهادة فكل غنى في عالم الشهادة فمن هذا الرجل و للآخر منهما له إمداد عالم الملكوت فكل غنى بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل و الذي يستمدان منه هذان الرجلان روح علوي متحقق بالحق غناه الله ما هو غناه بالله فإن أضفته إليهما فرجال الغني ثلاثة و إن نظرت إلى بشريتهما فرجال الغني

اثنان و قد يكون منهم النساء فغني بالنفس و غني بالله و غني غناه الله و لنا جزء عجيب في معرفة هؤلاء الرجال الثلاثة و منهم رضي الله عنهم شخص واحد يتكرر تقلبه في كل نفس لا يفتر بين علمه بربه و بين علمه بذات ربه ما تكاد تراه في إحدى المنزلتين إلا رأيته في الأخرى لا ترى في الرجال أعجب منه حالا و ليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من صاحب هذا المقام يخشى الله و يتقيه تحققت به و رأيته و أفادني آيته من كتاب الله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و قوله ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ لا تزال ترعد فرائصه من خشية الله هكذا شهدناه و منهم رجال عين التحكيم و الزوائد رضي الله عنهم و هم عشرة أنفس في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء و حالهم زيادات الايمان بالغيب و اليقين في تحصيل ذلك الغيب فلا يكون لهم غيبا

إذ كل غيب لهم شهادة و كل حال لهم عبادة

فلا يصير لهم غيب شهادة إلا و يزيدون إيمانا بغيب آخر و يقينا في تحصيله آيتهم من كتاب الله تعالى وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بالزيادة و قوله تعالى وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و منهم رضي الله عنهم اثنا عشر نفسا و هم البدلاء ما هم الأبدال و هم في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و سموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقون ناب منابهم و قام بما يقوم به جميعهم فكل واحد منهم في عين الجميع

و ما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

و يلتبس على الناس أمرهم مع الأبدال من جهة الاسم و يشبهون النقباء من جهة العدد آيتهم من كتاب الله تعالى قول بلقيس كَأَنَّهُ هُوَ تعني عرشها و هو هو فما شبهته إلا بنفسه و عينه لا بغيره و إنما شوش عليها بعد المسافة المعتاد و بالعادات صل جماعة من الناس في هذا الطريق و منهم رضي الله عنهم رجال الاشتياق و هم خمسة أنفس و هم أصحاب لقلق و فيهم يقول القائل يصف حالهم

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

فالأشواق تقلقهم في عين المشاهدة و هم من ملوك أهل طريق الله و هم رجال الصلوات الخمس كل رجل منهم مختص بحقيقة صلاة من الفرائض و إلى هذا المقام يؤول قوله عليه السلام و جعلت قرة عيني في الصلاة بهم يحفظ الله وجود العالم آيتهم من كتاب الله حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى لا يفترون عن صلاة في ليل و لا نهار كان صالح البربري منهم لقيته و صحبته إلى أن مات و انتفعت به و كذلك أبو عبد الله المهدوي بمدينة فاس صحبته كان من هؤلاء أيضا حتى أن بعض أهل الكشف يتخيلون أن كل صلاة تجسدت لهم ما

هي أعيان و ليس الأمر كذلك و منهم رضي الله عنهم ستة أنفس في كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون كان منهم ابن ها رون الرشيد السبتي لقيته بالطواف يوم الجمعة بعد الصلاة سنة تسع و تسعين و خمسمائة و هو يطوف بالكعبة و سألته و أجابني و نحن بالطواف و كان روحه تجسد لي في الطواف حسا تجسد جبريل في صورة أعرابي و هؤلاء الرجال الستة لما اطلعت عليهم لم أكن قبل ذلك عرفت أن ثم ستة رجال و لما عرفت بهم في هذا الزمان القريب لم أدر ما مقامهم ثم بعد هذا عرفت أنهم رجال الأيام الستة التي خلق الله فيها العالم و ما علمت ذلك إلا من هجيرهم فإن هجيرهم وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيّامٍ وَما مَسَّنا من لُغُوبٍ و لهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت بوجود الإنسان و أخبرت أن واحدا منهم بوكاً من جملة العوانية من أهل أرزن الروم أعرف ذلك الشخص بعينه و صحبته و كان يعظمني و يراني كثيرا و اجتمعت به في دمشق و في سيواس و في ملطية و في قيصرية و خدمني مدة و كانت له والدة كان برا بها اجتمعت به في حران في خدمة والدته فما رأيت فيمن رأيت من يبر أمه مثله و كان ذا مال و لي سنون فقدته من دمشق فما أدري هل عاش أو مات و بالجملة فما من أمر محصور في العالم في عدد ما إلا و لله رجال بعدده في كل زمان يحفظ الله بهم ذلك الأمر و قد ذكرنا من الرجال المحصورين في كل زمان في عدد ما الذين لا يخلو الزمان عنهم ما ذكرناه في هذا الباب فلنذكر من رجال الله الذين لا يختصون بعدد خاص يثبت لهم في كل زمان بل يزيدون و ينقصون و لنذكر الأسرار و العلوم التي يختصون بها و هي علوم تقسم عليهم بحسب كثرتهم و قلتهم حتى أنه لو لم يوجد إلا واحد منهم في الزمان اجتمع في ذلك الواحد ذلك الأمر كله فلنذكر الآن بعض ما تيسر من المقامات المعروفة التي ذكرها أهل الطريق و عينها أيضا الشرع أو عين أكثرها و سماها ثم بعد ذلك أذكر من المسائل التي تختص بهذا الباب و بالأولياء التي لا يعرفها بالمجموع إلا الولي الكامل فإن الإمام محمد بن علي الترمذي الحكيم هو الذي نبه على هذه المسائل و سأل عنها اختبار الأهل الدعوى لما رأى من الدعاوي العريضة و الضعف الظاهر فجعل هذه المسائل كالمحك و المعيار لدعواهم و لم يتعرض لخرق العوائد في ظاهر الكون التي اتخذتها العامة دلائل على الولاية و ليست بدلائل عند أهل الله و إنما القوم يختبر بعضهم بعضا فيما يدعونه من العلوم الإلهية و الأسرار فإن خرق العوائد عند الصادقين إنما ذلك في بواطنهم و قلوبهم بما يهبهم الله من الفهم عنه مما لا يشاركهم فيه ذوقا من ليس من جنسهم و ها أنا ذاكر ألقاب الرجال الذين لا يحصرهم عدد و لا يقيدهم أمد و الله المستعان انتهى الجزء السادس و السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

فمنهم رضي الله عنهم الملامية و قد يقولون الملامتية و هي لغة ضعيفة و هم سادات أهل طريق الله و أئمتهم و سيد العالم فيهم و منهم و هو محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها و أحكموها و أقروا الأسباب في أماكنها و نفوها في المواضع التي ينبغي أن تنفى عنها و لا أخلوا بشيء مما رتبه الله في خلقه على حسب ما رتبوه فما تقتضيه الدار الأولى تركوه للدار الأولى و ما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار لآخرة فنظروا في الأشياء بالعين التي نظر الله إليها لم يخلطوا بين الحقائق فإنه من رفع السبب في الموضع الذي وضعه فيه واضعه و هو الحق فقد سفه واضعه و جهل قدره و من اعتمد عليه فقد أشرك و ألحد و إلى أرض الطبيعة أخلد فالملامتية قررت الأسباب و لم تعتمد عليها فتلامذة الملامتية الصادقون يتقلبون في أطوار الرجولية و تلامذة غيرهم يتقلبون في أطوار الرعونات النفسية فالملامية مجهولة أقدارهم لا يعرفهم إلا سيدهم الذي حاباهم و خصهم بهذا المقام و لا عدد يحصرهم بل يزيدون و ينقصون و منهم رضي الله عنهم الفقراء و لا عدد يحصرهم أيضا بل يكثرون و يقلون قال تعالى تشريفا لجميع الموجودات و شهادة لهم يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ فالفقراء هم الذين يفتقرون إلى كل شيء من حيث إن ذلك الشيء هو مسمى الله فإن الحقيقة تأبى أن يفتقر إلى غير الله و قد أخبر الله أن الناس فقراء إلى الله على الإطلاق و الفقر حاصل منهم فعلمنا إن الحق قد ظهر في صورة كل ما يفتقر إليه فيه فلا يفتقر إلى الفقراء إلى الله بهذه الآية شيء و هم يفتقرون إلى كل شيء فالناس محجوبون بالأشياء عن الله و هؤلاء السادة ينظرون الأشياء مظاهر الحق تجلى فيها لعباده حتى في أعيانهم فيفتقر الإنسان إلى سمعه و بصره و جميع ما يفتقر إليه من جوارحه و إدراكاته ظاهرا و باطنا و قد أخبر الحق في الحديث الصحيح أن الله سمع العبد و بصره و يده فما افتقر هذا الفقير إلا إلى الله في افتقاره إلى سمعه و بصره فسمعه و بصره إذا مظهر الحق و مجلاه و كذلك جميع الأشياء بهذه المثابة فما ألطف سريان الحق في الموجودات و سريان بعضها في بعض و هو قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ فالآيات هنا دلالات إنها مظاهر للحق فهذا حال الفقراء إلى الله لا ما يتوهمه من لا علم له بطريق القوم فالفقير من يفتقر إلى كل شيء و إلى نفسه و لا يفتقر إليه شيء فهذه أسنى الحالات قال أبو يزيد يا رب بما ذا أتقرب إليك قال بما ليس لي الذلة و الافتقار قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أي ليتذللوا لي و لا يتذللوا لي حتى يعرفوني في الأشياء فيذلوا لي لا لمن ظهرت فيهم أو ظهرت أعيانهم بكونهم مظاهر لي فوجودهم أنا و ما يشهدون من أعيانهم سوى وجودهم فاعلم ذلك و الله المرشد منور البصائر و منهم رضي الله عنهم الصوفية و لا عدد لهم يحصرهم بل يكثرون و يقلون و هم أهل مكارم الأخلاق يقال من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف مقامهم الاجتماع على قلب واحد أسقطوا الياءات الثلاثة فلا يقولون لي و لا عندي و لا متاعي أي لا يضيفون إلى أنفسهم شيئًا أي لا ملك لهم دون خلق الله فهم فيما في أيديهم على

السواء مع جميع ما سوى الله مع تقرير ما بأيدي الخلق للخلق لا يطلبونهم بهذا المقام و هذه الطبقة هي التي يظهر عليهم خرق العوائد عن اختيار منهم ليقيموا الدلالة على التصديق بالدين و صحته في مواضع الضرورة و قد عاينا مثل هذا من هذه الطائفة في مناظرة فيلسوف و منهم من يفعل ذلك لكونه صار عادة لهم كسائر الأمور المعتادة عند أهلها فما هي في حقهم خرق عادة و هي في المعتاد العام خرق عادة فيمشون على الماء و في الهواء كما نمشي نحن و كل دابة على الأرض لا يحتاج في ذلك في العموم إلى نية و حضور إلا الملامية و الفقراء فإنهم لا يمشون و لا يخطو أحد منهم خطوة و لا يجلس إلا بنية و حضور لأنه لا يدري من أين يكون أخذ الله لعباده و قد كان صلى الله عليه و سلم كثيرا ما يقول في دعائه أعوذ بالله أن اغتال من تحتي و إن كانوا على أفعال تقتضي لهم الأمان كما هي أفعال الأنبياء من الطاعات لله و الحضور مع الله و لكن لا يأمنون أن يصيب الله عامة عباده بشيء فيعم الصالح و الطالح لأنها دار بلاء و يحشر كل شخص على نيته و مقامه و قد أخبر الله بقتل الأمم أنبياءها و رسلها و أهل القسط من الناس و ما عصمهم الله من بلاء الدنيا فالصوفية هم الذين حازوا مكارم الأخلاق ثم إنهم رضي الله عنهم علموا إن الأمر يقتضي أن لا يقدر أحد على إن يرضي عباد الله بخلق و إنه مهما أرضى زيدا ربما أسخط عمرا فلما رأوا أن حصول مقام عموم مكارم الأخلاق مع الجميع محال نظروا من أولى أن يعامل بمكارم الأخلاق و لا يلتفت إلى من يسخطه ذلك لم يجدوا إلا الله و أحباءه من الملائكة و البشر المطهر من الرسل و الأنبياء و أكابر الأولياء من الثقلين فالتزموا مكارم الأخلاق معهم ثم أرسلوها عامة في سائر الحيوانات و النباتات و ما عدا أشرار الثقلين و الذي يقدرون عليه من مكارم الأخلاق مما أبيح لهم أن يصرفوه مع أشرار الثقلين فعلوه و بادروا إليه و هو على الحقيقة ذلك الخلق مع الله إلا في إقامة الحدود إذا كانوا حكاما و أداء الشهادات إذا تفرضت عليهم فاعلم ذلك و منهم رضي الله عنهم العباد و هم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مثنيا عليهم وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ و لم يكونوا يؤدون سوى الفرائض و من هؤلاء المنقطعون بالجبال و الشعاب و السواحل و بطون الأودية و يسمون السياح و منهم من يلازم بيته و صلاة الجماعات و يشتغل بنفسه و منهم صاحب سبب و منهم تارك السبب و هم صلحاء الظاهر و الباطن قد عصموا من الغل و الحسد و الحرص و الشرة المذموم و صرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة و لا رائحة عندهم من المعارف الإلهية و الأسرار و مطالعة الملكوت و الفهم عن الله في آياته حين تتلى غير أن الثواب لهم مشهود و القيامة و أهوالها و الجنة و النار مشهودتان دموعهم في محاريبهم تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً و تَضَرُّعاً وَخِيفَةً إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً و إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً شغلهم هول المعاد عن الرقاد ضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ليسوا من الإثم و الباطل في شيء عمال و أي

عمال عاملوا الحق بالتعظيم و الإجلال سمعت بعضهم رضي الله عنهم و عنه و هو أبو عبد الله الطبخي و إلى وجدة يتأوه و ينشد ما قاله عمر بن عبد العزيز

حتى متى لا ترعوي   و إلى متى و إلى متى
ما بعد أن سميت كهلا   و استلبت اسم الفتى
لا ترعوي لنصيحة   فإلى متى و إلى متى

و كان منهم خليفة من بنى العباس هرب من الخلافة من العراق و أقام بقرطبة من بلاد الأندلس إلى أن درج و دفن بباب عباس منها يقال له أبو وهب الفاضل خرج فضائله شيخنا أبو القاسم خلف بن بشكوال رحمه الله فذكر فيها عنه إنه كان كثيرا ما ينشد لنفسه

برئت من المنازل و القباب   فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء و سقف بيتي   سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي   على مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب   يكون من السماء إلى التراب
و لا انشق الثرى عن عود تخت   أؤمل أن أشد به ثيابي
و لا خفت الإباق على عبيدي   و لا خفت الرهاص على دوابي
و لا حاسبت يوما قهرمانا   فأخشى أن أغلت في الحساب
ففي ذا راحة و بلاغ عيش   فدأب الدهر ذا أبدا و دأبي

كان خالنا أبو مسلم الخولاني رحمه الله من أكابرهم كان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده و يقول لرجليه أنتما أحق بالضرب من دابتي أ يظن أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم أن يفوزوا بمحمد صلى الله عليه و سلم دوننا و الله لازاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا لقينا منهم جماعة كثيرة ذكرناهم في كتبنا و رأينا من أحوالهم ما تضيق الكتب عنها و منهم رضي الله عنهم الزهاد و هم الذين تركوا الدنيا عن قدرة و اختلف أصحابنا فيمن ليس عنده بيده من الدنيا شيء و هو قادر على طلبها و جمعها غير أنه لم يفعل و ترك الطلب فهل يلحق بالزهاد أم لا فمن قائل من أصحابنا إنه يلحق بالزهاد و من قائل لا زهد إلا في حاصل فإنه ربما لو حصل له شيء منها ما زهد فمن رؤسائهم إبراهيم بن أدهم و حديثه مشهور و كان بعض أخوالي منهم

كان قد ملك مدينة تلمسان يقال له يحيى بن يغان لو كان في زمنه رجل فقيه عابد منقطع من أهل تونس يقال له أبو عبد الله التونسي كان بموضع خارج تلمسان يقال له للعباد كان قد انقطع بمسجد يعبد الله فيه و قبره مشهور بها يزار فبينا هذا الصالح يمشي بمدينة تلمسان بين المدينتين أقادير و المدينة الوسطى إذ لقيه خالنا يحيى بن يغان ملك المدينة في خوله و حشمه فقيل له هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته فمسك لجام فرسه و سلم على الشيخ فرد عليه السلام و كان على الملك ثياب فاخرة فقال له يا شيخ هذه الثياب التي أنا لابسها تجوز لي الصلاة فيها فضحك الشيخ فقال له الملك مم تضحك قال من سخف عقلك و جهلك بنفسك و حالك ما لك تشبيه عندي إلا بالكلب يتمرغ في دم الجيفة و أكلها و قذارتها فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول و أنت وعاء مليء حراما و تسأل عن الثياب و مظالم العباد في عنقك قال فبكى الملك و نزل عن دابته و خرج عن ملكه من حينه و لزم خدمة الشيخ فمسكه الشيخ ثلاثة أيام ثم جاءه بحبل فقال له أيها الملك قد فرغت أيام الضيافة قم فاحتطب فكان يأتي بالحطب على رأسه و يدخل به السوق و الناس ينظرون إليه و يبكون فيبيع و يأخذ قوته و يتصدق بالباقي و لم يزل في بلده ذلك حتى درج و دفن خارج تربة الشيخ و قبره اليوم بها يزار فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو لهم يقول لهم التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان فإنه ملك فزهد و لو ابتليت بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهد قال بعض الملوك في حال نفسه و قد تزهد و انقطع إلى الله تعالى

أنا في الحال الذي قد تراه | إن تأملت أحسن الناس حالا
منزلي حيث شئت من مستقر الأرض | أسقى من المياه الزلالا
ليس لي والد و لا لي مولود | أراه و لا أرى إلى عيالا
أجعل الساعد اليمين وسادي | فإذا ما انقلبت كان الشمالا
قد تلذذت حقبة بأمور | لو تدبرتها لكانت خيالا

فهؤلاء الزهاد هم الذين آثروا الحق على الخلق و على نفوسهم فكل أمر لله فيه رضي و إيثار قاموا به و أقبلوا عليه و ما كان للحق عنه إعراض أعرضوا عنه تركوا القليل رغبة في الكثير ليس للزهاد خروج عن هذا المقام في الزهد فإن خرجوا فلم يخرجوا من كونهم زهادا بل من مقام آخر و قد ينطلق اسم الزهد في اصطلاح القوم على ترك كل ما سوى الله من دنيا و آخرة كأبي يزيد سئل عن الزهد فقال ليس بشيء لا قدر له عندي ما كنت زاهدا سوى ثلاثة أيام أول يوم زهدت في الدنيا و الثاني زهدت في الآخرة و ثالث يوم زهدت في كل ما سوى الله فنوديت ما ذا تريد فقلت أريد أن لا أريد لأني أنا المراد و أنت المريد فجعل ترك كل ما سوى الله زهدا و منهم رضي الله

عنهم رجال الماء و هم قوم يعدون الله في قعور البحار و الأنهار لا يعلم بهم كل أحد أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي و كان صدوقا ثقة عارفا بما ينقل ضابطا حافظا لما ينقل عن الشيخ أبي السعود بن الشبلي إمام وقته في الطريق قال كنت بشاطئ دجلة بغداد فخطر في نفسي هل لله عباد يعبدونه في الماء قال فما استتممت الخاطر إلا و إذا بالنهر قد انفلق عن رجل فسلم علي و قال نعم يا أبا السعود لله رجال يعبدون الله في الماء و أنا منهم أنا رجل من تكريت و قد خرجت منها لأنه بعد كذا و كذا يوما يقع فيها كذا و كذا و يذكر أمرا يحدث فيها ثم غاب في الماء فلما انقضت خمسة عشر يوما وقع ذلك الأمر على صورة ما ذكره ذلك الرجل لأبي السعود و أعلمني بالأمر ما كان و منهم رضي الله عنهم الأفراد و لا عدد يحصرهم و هم المقربون بلسان الشرع كان منهم محمد الأواني يعرف بابن قائد لوانة من أعمال بغداد من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلي و كان هذا ابن قائد يقول فيه عبد القادر معربد الحضرة كان يشهد له عبد القادر الحاكم في هذه الطريقة المرجوع إلى قوله في الرجال أن محمد بن قائد الأواني من المفردين و هم رجال خارجون عن دائرة القطب و خضر منهم و نظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله و هم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه و لا يشهدون سوى ما عرفوا منه ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم و هم على الحقيقة ما عرفوا سواهم و لا وقفوا إلا معهم هم و كل ما سوى الله بهذه المثابة مقامهم بين الصديقية و النبوة الشرعية و هو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا كأبي حامد و أمثاله لأن ذوقه عزيز هو مقام النبوة المطلقة و قد ينال اختصاصا و قد ينال بالعمل المشروع و قد ينال بتوحيد الحق و الذلة له و ما ينبغي من تعظيم جلال المنعم بالإيجاد و التوحيد كل ذلك من جهة العلم و له كشف خاص لا يناله سواهم كالخضر فإنه كما قلنا من الأفراد و محمد صلى الله عليه و سلم كان قبل أن يرسل و ينبأ من الأفراد الذين نالوا الأمر بتوحيد الحق و تعظيم جلاله و الانقطاع إليه و ذلك أنه يحصل في نفوسهم أعني في نفوس من هذا طريقهم إن الله كما أنعم عليه بالإيجاد و أسباب الخير هو قادر على أن يبقى له و عليه نعمة البقاء في الخير الدائم و السعادة حيث أراد و إن لم يعلم أن ثم آخرة و لا أن الدنيا لها نهاية أم لا و لا إيمان عنده بشيء من هذا لأنه ما كشف له عن ذلك فإذا أطلعه الحق على الأمور حينئذ التحق بالمؤمنين بما هو الأمر عليه مما لا يدرك بالنظر الفكري فلو كان في زمان جواز نبوة الشرائع لكان صاحب هذا المقام منهم كالخضر في زمانه و عيسى و الياس و إدريس و أما اليوم فليس إلا المقام الذي ذكرناه و الرسالة و نبوة الشرائع قد انقطعت و لو كانت الأنبياء و الرسل في قيد الحياة في هذا الزمان لكانوا بأجمعهم داخلين تحت حكم الشرع المحمدي و أما الرسالة و نبوة الشرائع العامة أعني المتعدية إلى الأمم و الخاصة بكل نبي فاختصاص إلهي في الأنبياء و الرسل لا ينال بالاكتساب و لا بالتعمل فخطاب الحق قد ينال بالتعمل و الذي يخاطب به إن كان شرعا يبلغه أو يخصه ذلك هو الذي نقول فيه لا ينال بالتعمل و لا

بالكسب و هو الاختصاص الإلهي المعلوم و كل شرع ينال به عامله هذه المرتبة فإن نبي ذلك الشرع من أهل هذا المقام و هو زيادة على شريعة نبوته له فضلا من الله و نعمة و هو لمحمد صلى الله عليه و سلم بالقطع و كل شرع لا ينال العامل به هذا المقام فإن نبي ذلك الشرع لم يحصل له هذا المقام الذي حصل لغيره من أنبياء الشرائع قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و قال جل جلاله تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ في وجوه منها هذا قال الخضر لموسى في هذا المقام وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً فإن موسى في ذلك الوقت لم يكن له هذا المقام الذي نفاه عنه العدل بقوله و تعديل الله إياه بما شهد له به من العلم و ما رد عليه موسى في ذلك و لا أنكر عليه بل قال له سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً فإنه قال له قبل ذلك هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً قال له الخضر إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ثم أنصفه في العلم و قال له يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلم يكن للخضر نبوة التشريع التي للأنبياء المرسلين و لا أدري بعد هذا الاجتماع هل حصل لموسى من جانب الحق ذلك المقام الذي كان لخضر أم لا لا علم لي بذلك فرحم الله عبدا أطلعه الحق على أن موسى قد أحاط بالعلم الذي ناله الخضر بعد ذلك و حصل له هذا المقام خبرا فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا و نسبه إلى نفسه لا إلي و منهم رضي الله عنهم الأمناء قال النبي صلى الله عليه و سلم إن لله أمناء و قال في أبي عبيدة ابن الجراح إنه أمين هذه الأمة

و مستخبر عن سر ليلي رددته بعمياء من ليلي بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها و ما أنا إن أخبرتهم بأمين

هم طائفة من الملامية لا تكون الأمناء من غيرهم و هم أكابر الملامتية و خواصهم فلا يعرف ما عندهم من أحوالهم لجريهم مع الخلق بحكم العوائد المعلومة التي يطلبها الايمان بما هو إيمان و هو الوقوف عند ما أمر الله به و نهى على جهة الفرضية فإذا كان يوم القيامة و ظهرت مقاماتهم للخلق و كانوا في الدنيا مجهولين بين الناس قال النبي صلى الله عليه و سلم إن لله أمناء و كان الذي أمنوا عليه ما ذكرناه و لو لا إن الخضر أمره الله أن يظهر لموسى عليه السلام بما ظهر ما ظهر له بشيء من ذلك فإنه من الأمناء و لما عرض الله الأمانة على الإنسان و قبلها كان بحكم الأصل ظلوما جهولا فإنه خوطب بحملها عرضا لا أمرا فإن حملها جبرا أعين عليها مثل هؤلاء فالأمناء حملوها جبرا لا عرضا فإنه جاءهم الكشف فلا يقدرون أن يجهلوا ما علموا و لم يريدوا أن يتميزوا عن الخلق لأنه ما قيل لهم في ذلك أظهروا شيئا منه و لا لا تظهروه فوقفوا على هذا الحد فسموا أمناء و يزيدون على سائر الطبقات أنهم لا يعرف بعضهم بعضا بما عنده فكل واحد يتخيل في صاحبه أنه من عامة المؤمنين و هذا ليس إلا لهذه الطائفة خاصة لا يكون ذلك لغيرهم و منهم رضي الله عنهم

القراء أهل الله و خاصته و لا عدد يحصرهم قال النبي صلى الله عليه و سلم أهل القرآن هم أهل الله و خاصته و أهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل به و حفظوا حروفه فاستظهروه حفظا و عملا كان أبو يزيد البسطامي منهم حدث أبو موسى الديبلي عنه بذلك أنه ما مات حتى استظهر القرآن فمن كان خلقه القرآن كان من أهله و من كان من أهل القرآن كان من أهل الله لأن القرآن كلام الله و كلامه علمه و علمه ذاته وبال هذا المقام سهل بن عبد الله التستري و هو ابن ست سنين و لهذا كان بدؤه في هذا الطريق سجود القلب و كم من ولي لله كبير الشأن طويل العمر مات و ما حصل له سجود القلب و لا علم إن للقلب سجودا أصلا مع تحققه بالولاية و رسوخ قدمه فيها فإن سجود القلب إذا حصل لا يرفع أبدا رأسه من سجدته فهو ثباته على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة و هو ثابت عليها فأكثر الأولياء يرون تقليب القلب من حال إلى حال و لهذا سمي قلبا و حب هذا المقام و إن تقلبت أحواله فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب و لهذا لما دخل سهل بن عبد الله عبادان على الشيخ قال له أ يسجد القلب قال الشيخ إلى الأبد فلزم سهل خدمته فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من شاء من عباده كما قال ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فكل أمر منه إلى خلقه سبحانه من مقامات القربة في ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و سعادة بمجرد توحيد و من يبعث أمة وحده إنما هو من عناية الله به و منته عليه فإن توفيق الله للعبد في اكتساب ما قد قضى باكتسابه منة الله بذلك على عبده و اختصاص و كم من ولي قد تعرض لنيل أمر من ذلك و لم تسبق له عناية من الله في تحصيله فحيل بينه و بين حصوله مع التعمل فأهل القرآن هم أهل الله فلم يجعل لهم صفة سوى عينه سبحانه و لا مقام أشرف ممن كان عين الحق صفته على علم منه و منهم رضي الله عنهم الأحباب و لا عدد لهم يحصرهم بل يكثرون و يقلون قال تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فمن كونهم محبين ابتلاهم و من كونهم محبوبين اجتباهم و اصطفاهم أعني في هذه الدار و في القيامة و أما في الجنة فليس يعاملهم الحق إلا من كونهم محبوبين خاصة و لا يتجلى لهم إلا في ذلك المقام و هذه الطائفة على قسمين قسم أحبهم ابتداء و قسم استعملهم في طاعة رسوله طاعة لله فأثمرت لهم تلك محبة الله إياهم قال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ و قال لمحمد صلى الله عليه و سلم ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ فهذه محبة قد نتجت لم تكن ابتداء و إن كانوا أحبابا كلهم

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة   و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

فلا خفاء فيما بينهم من المنازل و ما من مقام من المقامات و إلا و أهله فيه بين فاضل و مفضول و هؤلاء الأحباب علامتهم الصفاء فلا يشوب ودهم كدر أصلا و لهم الثبات على هذه القدم مع الله و هم مع الكون بحسب ما يقام فيه ذلك الكون من محمود و مذموم شرعا

فيعاملونه بما يقتضيه الأدب فهم يوالون في الله و يعادون في الله تعالى فالموالاة من حيث وجود المكون و المعاداة و الذم من حيث عين المتكون لا من حيث ما اتصف به من الكون لأن الكون كون الله فهم يحكمون و لا يحكمون قد مكنهم الله من أنفسهم و أقامهم في حضرة الأدب فهم الأدباء الجامعون للخيرات يقول الله تعالى فيمن ادعى هذا المقام يا عبدي هل عملت لي عملا قط فيقول العبد يا رب صليت و جاهدت و فعلت و فعلت و يصف من أحوال الخير فيقول الله له ذلك لك فيقول العبد يا رب فما هو العمل الذي هو لك فيقول هل واليت في وليا أو عاديت في عدوا و هذا هو إيثار المحبوب قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و قال لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ من حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ فهم أهل التأييد و القوة ورد في الخبر الصحيح وجبت محبتي للمتحابين في و المتجالسين في و المتباذلين في و المتزاورين في و منهم رضي الله عنهم المحدثون و عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم و كان في زماننا منهم أبو العباس الخشاب و أبو زكرياء البجاى بالمعرة بزاوية عمر بن عبد العزيز بدير النقيرة و هم صنفان صنف يحدثه الحق من خلف حجاب الحديث قال تعالى وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ و هذا الصنف على طبقات كثيرة و الصنف الآخر تحدثهم الأرواح الملكية في قلوبهم و أحيانا على آذانهم و قد يكتب لهم و هم كلهم أهل حديث فالصنف الذي تحدثه الأرواح الطريق إليه بالرياضات النفسية و المجاهدات البدنية بأي وجه كان و من كان فإن النفوس إذا صفت من كدر الوقوف مع الطبع التحقت بعالمها المناسب لها فأدركت ما أدركت الأرواح العلى من علوم الملكوت و الأسرار و انتقش فيها جميع ما في العالم من المعاني و حصلت من الغيوب بحسب الصنف الروحاني المناسب لها فإن الأرواح و إن جمعهم أمر واحد فلكل روح مقام معلوم فهم على درجات و طبقات فمنهم الكبير و الأكبر كجبريل و إن كان من أكابرهم فميكائيل أكبر منه و منصبه فوق منصبه و إسرافيل أكبر من ميكائيل و جبريل أكبر من إسماعيل فالذي على قلب إسرافيل منه يأتي الإمداد إليه و هو أعلى من الذين هم على قلب ميكائيل فكل محدث من هؤلاء يحدثهم الروح المناسب لهم و كم من محدث لا يعلم من يحدثه فهذا من آثار صفاء النفوس و تخليصها من الوقوف مع الطبع و ارتفاعها عن تأثير العناصر و الأركان فيها فهي نفس فوق مزاج بدنها وقع قوم بهذا القدر من الحديث و لكن ما هو شرط في السعادة الإيمانية في الدار الآخرة لأنه تخليص نفسي فإن كان هذا المحدث أتى جميع هذه الصفات التي أوجبت له التخليص من الطبع بالطريقة المشروعة و الاتباع النبوي و الايمان الجزم اقترنت بالحديث السعادة فإن انضاف إلى ذلك الحديث الحديث مع الرب من الرب تعالى إليهم كان من الصنف الأول الذي ذكرنا أنه على طبقات في الحديث قال بعضهم

يا مؤنسي بالليل إن هجع الورى و محدثي من بينهم بنهار

فذكر هذا القائل أن حديثه مع الله و حديث الله معه إنه من بينيتهم لا أنه كلمه على ألسنتهم قال تعالى نُودِيَ من شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ في الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ من الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ و قال تعالى وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً فأكده بالمصدر لرفع الإشكال هذا هو المطلوب بالحديث في هذه الطريقة و أما قوله تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فذلك لأهل السماع من الحق في الأشياء لا من بين الأشياء لأن بينية الأشياء عبارة عن النسب و هي أمور عدمية لا وجودية فإذا كان الحديث منها كان بلا واسطة و إذا كان من الأشياء فذلك قوة الفهم عن الله ورد في الخبر الصحيح أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا عين قوله فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و الذي نطلبه في هذا الطريق كلام الله من بين الأشياء لا في الأشياء و لا من الأشياء و إن كان هو عين وجود الأشياء فإنه ليس عين الأشياء فالأعيان في الموجودات هيولى لها أو أرواح لها و الوجود ظاهر تلك الأرواح و صور تلك الأعيان الهيولائية فالوجود كله حق ظاهر و باطنه الأشياء فالحديث الإلهي من بين الأشياء أوضح عند السامع في الدلالة إنه هو المكلم من أن يكلمنا في الأشياء فافهم و الله تعالى الملهم و منهم رضي الله عنهم الأخلاء و لا عدد يحصرهم بل يكثرون و يقلون قال الله تعالى وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا و قال النبي صلى الله عليه و سلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا و لكن صاحبكم خليل الله و المخاللة لا تصح إلا بين الله و بين عبده و هو مقام الاتحاد و لا تصح المخاللة بين المخلوقين و أعني من المخلوقين من المؤمنين و لكن قد انطلق اسم الأخلاء على الناس مؤمنيهم و كافريهم قال تعالى الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ فالخلة هنا للعاشرة و قد ورد أن المرء على دين خليله و قيل في مقام الخلة

قد تخللت مسلك الروح مني و بذا سمي الخليل خليلا

و إنما قلنا لا تصح الخلة إلا بين الله و بين عبده لأن أعيان الأشياء متميزة و كون الأعيان وجود الحق لا غير و وجود الشيء لا يمتاز عن عينه فلهذا لا تصح الخلة إلا بين الله و عبيده خاصة إذ هذا الحال لا يكون بين المخلوقين لأنه لا يستفاد من مخلوق وجود عين فاعلم ذلك و اعلم أن شروط الخلة لا تصح بين المؤمنين و لا بين النبي و تابعيه فإذا لم تصح شروطها لا تصح هي في نفسها و لكن في دار التكليف فإن النبي و المؤمن بحكم الله لا بحكم خليله و لا بحكم نفسه و من شروط الخلة أن يكون الخليل بحكم خليله و هذا لا يتصور مطلقا بين المؤمنين و لا بين الرسل و أتباعهم في الدار الدنيا و المؤمن تصح الخلة بينه و بين الله و لا تصح بينه و بين الناس لكن تسمى المعاشرة التي بين الناس إذا تأكدت في غالب الأحوال خلة فالنبي ليس له خليل و لا هو صاحب لاحد سوى نبوته و كذلك المؤمن ليس له خليل و لا صاحب سوى إيمانه كما إن الملك ليس هو صاحب أحد سوى ملكه فمن كان بحكم ما يلقى إليه و لا يتصرف إلا عن أمر إلهي فلا

يكون خليلا لا حد و لا صاحبا أبدا فمن اتخذ من المؤمنين خليلا غير الله فقد جهل مقام الخلة و إن كان عالما بالخلة و الصحبة و وفاها حقها مع خليله و هو حاكم فقد قدح في إيمانه لما يؤدي ذلك إليه من إبطال حقوق الله فلا خليل إلا الله فالمقام عظيم و شأنه خطير و الله الموفق لا رب غيره و منهم رضي الله عنهم السمراء و لا عدد يحصرهم و هم صنف خاص من أهل الحديث قال تعالى وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ و هذا الصنف لا حديث لهم مع الأرواح فحديثهم مع الله من قوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ فجليسهم من الأسماء الإلهية المدبر المفصل و هم من أهل الغيب في هذا المقام لا من أهل الشهادة و منهم رضي الله عنهم الورثة و هم ثلاثة أصناف ظالم لنفسه و مقتصد و سابق بالخيرات قال تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ و قال صلى الله عليه و سلم العلماء ورثة الأنبياء و كان شيخنا أبو مدين يقول في هذا المقام من علامات صدق المريد في إرادته فراره عن الخلق و من علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق و من علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق و هذا هو حال الوارث للنبي صلى الله عليه و سلم فإنه كان يخلو بغار حراء ينقطع إلى الله فيه و يترك بيته و أهله و يفر إلى ربه حتى فجئه الحق ثم بعثه الله رسولا مرشدا إلى عباده فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته و مثل هذا يسمى وارثا فالوارث الكامل من ورثه علما و عملا و حالا فأما قوله تعالى في الوارث للمصطفى إنه ظالِمٌ لِنَفْسِهِ يريد حال أبي الدرداء و أمثاله من الرجال الذين ظلموا أنفسهم لأنفسهم أي من أجل أنفسهم حتى يسعدوها في الآخرة و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا فإذا صام الإنسان دائما و سهر ليله و لم ينم فقد ظلم نفسه في حقها و عينه في حقها و ذلك الظلم لها من أجلها و لهذا قال ظالم لنفسه فإنه أراد بها العزائم و ارتكاب الأشد لما عرف منها و من جنوحها إلى الرخص و البطالة و جاءت السنة بالأمرين لأجل الضعفاء فلم يرد الله تعالى بقوله ظالِمٌ لِنَفْسِهِ الظلم المذموم في الشرع فإن ذلك ليس بمصطفى و أما الصنف الثاني من ورثة الكتاب فهو المقتصد و هو الذي يعطي نفسه حقها من راحة الدنيا ليستعين بذلك على ما يحملها عليه من خدمة ربها في قيامه بين الراحة و أعمال البر و هو حال بين حالين بين العزيمة و الرخصة ففي قيام الليل يسمى المقتصد متهجدا لأنه يقوم و ينام و على مثل هذا تجري أفعاله و أما السابق بالخيرات و هو المبادر إلى الأمر قبل دخول وقته ليكون على أهبة و استعداد و إذا دخل الوقت كان متهيئا لأداء فرض الوقت لا يمنعه من ذلك مانع كالمتوضئ قبل دخول الوقت و الجالس في المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإذا دخل الوقت كان على طهارة و في المسجد فيسابق إلى أداء فرضه و هي الصلاة و كذلك إن كان له مال أخرج زكاته و عينها ليلة فراغ الحول و دفعها لربها في أول ساعة من الحول الثاني للعامل الذي يكون عليها و كذلك في جميع أفعال البر كلها يبادر إليها كما قال النبي

صلى الله عليه و سلم لبلال بم سبقتني إلى الجنة فقال بلال ما أحدثت قط إلا توضأت و لا توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بهما فهذا و أمثاله من السابق بالخيرات و هو كان حال رسول الله صلى الله عليه و سلم بين المشركين في شبابه و حداثة سنه و لم يكن مكلفا بشرع فانقطع إلى ربه و تحنث و سابق إلى الخيرات و مكارم الأخلاق حتى أعطاه الله الرسالة (وصل) و اعلم أن الله تعالى قد وصف أقواما من النساء و الرجال بصفات أذكرها إن شاء الله إذ كان الزمان لا يخلو أبدا عن رجال و نساء قائمين بهذا الوصف مثل قوله إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصّادِقِينَ وَ الصّادِقاتِ وَ الصّابِرِينَ وَ الصّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصّائِمِينَ وَ الصّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَ الذّاكِراتِ ثم قال أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً فأعد الله لهم المغفرة قبل وقوع الذنب المقدر عليهم عناية منه فدل ذلك على أنهم من العباد الذين لا تضرهم الذنوب و قد ورد في الصحيح من الخبر الإلهي اعمل ما شئت فقد غفرت لك فما وقعت من مثل هؤلاء الذنوب إلا بالقدر المحتوم لا انتهاكا للحرمة الإلهية قيل لأبي يزيد أ يعصي العارف قال وَ كانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَراً مَقْدُوراً فتقع المعصية من العارفين أهل العناية بحكم التقدير لنفوذ القضاء السابق فلا بد من ذكر هؤلاء الأصناف ليتبين من هو المسلم و المسلمة و المؤمن و المؤمنة و من وصف الله منهم الذين لهم هذه المرتبة من أعداد المغفرة لهم و الأجر العظيم قبل وقوع الذنب منهم و قبل حصول العمل و أمر قد عظمه الله لا يكون إلا عظيما و كذلك قوله فَأُولئِكَ (مَعَ) الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ و كذلك قوله تعالى التّائِبُونَ الْعابِدُونَ و قد ذكرنا العباد ثم قال الْحامِدُونَ السّائِحُونَ و السياحة في هذه الأمة الجهاد و قد قال تعالى في خليله إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوّاهٌ حَلِيمٌ فلا بد من ذكر الأواهين و الحلماء و قال فيه لَحَلِيمٌ أَوّاهٌ مُنِيبٌ فأثنى عليه بالإنابة و قال فيه إِنَّهُ أَوّابٌ ! فذكره بالأوبة فهؤلاء الأصناف لا بد من ذكرهم في هذا الباب ليقع عند السامع تعيين هذه الصفة و منزلة هذا الموصوف بها و كذلك أولو النهى و أولو الأحلام و أولو الألباب و أولو الأبصار فما نعتهم الله بهذه النعوت سدى و المتصفون بهذه الأوصاف قد طالبهم الحق بما تقتضيه هذه الصفات و ما تثمر لهم من المنازل عند الله فإن هذا الباب باب شريف من أشرف أبواب هذا الكتاب يتضمن ذكر الرجال و علوم الأولياء و نحن نستوفيها إن شاء الله أو نقارب استيفاء ذلك على القدر الذي رسم لنا و عينه الحق تعالى في واقعتنا فإن المبشرات هي التي أبقى الله لنا من آثار النبوة التي سد بابها و قطع أسبابها فقذف به في قلوبنا و نفث به الروح المؤيد القدسي في نفوسنا و هو الإلهام الإلهي و العلم اللدني نتيجة الرحمة التي أعطاها الله من عنده من شاء من عباده فمنهم رضي الله عنهم الأولياء قال تعالى أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ مطلقا و لم يقل في الآخرة فالولي من كان على بينة من ربه في حاله فعرف ما له بأخبار الحق

إياه على الوجه الذي يقع به التصديق عنده و بشارته حق و قوله صدق و حكمه فصل فالقطع حاصل فالمراد بالولي من حصلت له البشرى من الله كما قال تعالى لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و أي خوف و حزن يبقى مع البشرى بالخير الذي لا يدخله تأويل فهذا هو الذي أريد بالولي في هذه الآية ثم إن أهل الولاية على أقسام كثيرة فإنها أعم فلك إحاطي فنذكر أهلها من البشر إن شاء الله و هم الأصناف الذين نذكرهم مضافا إلى ما تقدم في هذا الباب من ذكرهم ممن حصرتهم الأعداد و من لا يحصرهم عدد انتهى الجزء السابع و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

فمن الأولياء رضي الله عنهم الأنبياء صلوات الله عليهم تولاهم الله بالنبوة و هم رجال اصطنعهم لنفسه و اختارهم لخدمته و اختصهم من سائر العباد لحضرته شرع لهم ما تعبدهم به في ذواتهم و لم يأمر بعضهم بأن يعدي تلك العبادات إلى غيرهم بطريق الوجوب فمقام النبوة مقام خاص في الولاية فهم على شرع من الله أحل لهم أمور أو حرم عليهم أمورا قصرها عليهم دون غيرهم إذ كانت الدار الدنيا تقتضي ذلك لأنها دار الموت و الحياة و قد قال تعالى الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ و التكليف هو الابتلاء فالولاية نبوة عامة و النبوة التي بها التشريع نبوة خاصة تعم من هو بهذه المثابة من هذا الصنف و هي مقام الرفعة في الخطاب الإلهي إذا لم يؤمر لا غير لا في المشاهدة فمقام النبوة علو في الخطاب و من الأولياء رضوان الله عليهم الرسل صلوات الله و سلامه عليهم تولاهم الله بالرسالة فهم النبيون المرسلون إلى طائفة من الناس أو يكون إرسالا عاما إلى الناس و لم يحصل ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه و سلم فبلغ عن الله ما أمره الله بتبليغه في قوله يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ و ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ فمقام التبليغ هو المعبر عنه بالرسالة لا غير و ما توقفنا عن الكلام في مقام الرسول و النبي صاحب الشرع إلا إن شرط أهل الطريق فيما يخبرون عنه من المقامات و الأحوال أن يكون عن ذوق و لا ذوق لنا و لا لغيرنا و لا لمن ليس بنبي صاحب شريعة في نبوة التشريع و لا في الرسالة فكيف نتكلم في مقام لم نصل إليه و على حال لم نذقه لا أنا و لا غيري ممن ليس بنبي ذي شريعة من الله و لا رسول حرام علينا الكلام فيه فما نتكلم إلا فيما لنا فيه ذوق فما عدا هذين المقامين فلنا الكلام فيه عن ذوق لأن الله ما حجره و من الأولياء أيضا الصديقون رضي الله عن الجميع تولاهم الله بالصديقية قال تعالى في الذين آمنوا بالله و رسوله أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ فالصديق من آمن بالله و رسوله عن قول المخبر لا عن دليل سوى النور الإيماني الذي يجده في قلبه المانع له من تردد أو شك يدخله في قول المخبر الرسول و متعلقة على الحقيقة الايمان بالرسول و يكون الايمان بالله على جهة القربة لا على إثباته إذ كان بعض الصديقين قد ثبت عندهم وجود الحق ضرورة أو نظرا و لكن ما ثبت كونه قربة و هذه الآية تدل

على شرف إثبات الوجود ثم إن الرسول إذا آمن به الصديق آمن بما جاء به و مما جاء به توحيد الإله و هو قوله قولوا لا إله إلا الله أو فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فعلم أنه واحد في ألوهيته من حيث قوله فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فذلك يسمى إيمانا و يسمى المؤمن به على هذا الحد صديقا فإن نظر في دليل يدل على صدق قوله فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ و عثر على توحيده بعد نظره فصدق الرسول في قوله و صدق الله في قوله له لا إله إلا الله فليس بصديق و هو مؤمن عن دليل فهو عالم فقد بان لك منزل الصديقية و أن الصديق هو صاحب النور الإيماني الذي يجده ضرورة في عين قلبه كنور البصر الذي جعله الله في البصر فلم يكن للعبد فيه كسب كذلك نور الصديق في بصيرته و لهذا قال أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ من حيث الشهادة وَ نُورُهُمْ من حيث الصديقية فجعل النور للصديقية و الأجر للشهادة و هي بنية مبالغة في التصديق و الصديق كشريب و خمير و سكير فليس بين النبوة التي هي نبوة التشريع و الصديقية مقام و لا منزلة فمن تخطي رقاب الصديقين وقع في النبوة الرسالية و من ادعى نبوة التشريع بعد محمد صلى الله عليه و سلم فقد كذب بل كذب و كفر بما جاء به الصادق رسول الله صلى الله عليه و سلم غير أن ثم مقام القربة و هي النبوة العامة لا نبوة التشريع فيثبتها نبي التشريع فيثبتها الصديق لإثبات النبي المشرع إياها لا من حيث نفسه و حينئذ يكون صديقا كمسألة موسى و الخضر و فتى موسى الذي هو صديقه و لكل رسول صديقون إما من عالم الإنس و الجان أو من أحدهما فكل من آمن عن نور في قلبه ليس له دليل من خارج سوى قول الرسول قل و لا يجد توقفا و بادر فذلك الصديق فإن آمن عن نظر و دليل من خارج أو توقف عند القول حتى أوجد الله ذلك النور في قلبه فآمن فهو مؤمن لا صديق فنور الصديق معد قبل وجود المصدق به و نور المؤمن غير الصديق يوجد بعد قول الرسول قل لا إله إلا الله و نور المؤمن يكونه قربة بعد النظر في الدليل الذي أعطاه العلم بالتوحيد فهو في علمه بالتوحيد صاحب نور علم لا نور إيمان و هو في كون ذلك العلم و النظر قربة إلى الله صاحب نور إيمان فإن نور العلم بتوحيد الله قد شهدوا الله بتوحيده قبل ذلك و الرسل منهم قد وحدوه قبل أن يكونوا أنبياء و رسلا فإن الرسول ما أشرك قط قال تعالى شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ و لم يقل و أولو الايمان فرتبة العلم فوق رتبة الايمان بلا شك و هي صفة الملائكة و الرسل و قد يكون حصول ذلك العلم عن نظر أو ضرورة كيفما كان فيسمى علما إذ لا قائل و لا مخبر يلزم التصديق بقوله و هذا المقام الذي أثبتناه بين الصديقية و نبوة التشريع الذي هو مقام القربة و هو للافراد هو دون نبوة التشريع في المنزلة عند الله و فوق الصديقية في المنزلة عند الله و هو المشار إليه بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر ففضل به الصديقين إذ حصل له ما ليس من شرط الصديقية و لا من لوازمها فليس بين أبي بكر و رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل لأنه صاحب صديقية و صاحب سر فهو من كونه صاحب سر بين الصديقية و نبوة التشريع و يشارك فيه فلا يفضل عليه من يشاركه

فيه بل هو مساو له في حقيقته فافهم ذلك و من الأولياء أيضا الشهداء رضي الله عن جميعهم تولاهم الله بالشهادة و هم من المقربين و هم أهل الحضور مع الله على بساط العلم به قال تعالى شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ فجمعهم مع الملائكة في بساط الشهادة فهم موحدون عن حضور إلهي و عناية أزلية فهم الموحدون و شأنهم عجيب و أمرهم غريب و الايمان فرع عن هذه الشهادة فإن بعث رسول و آمنوا به أعني هؤلاء الشهداء فهم المؤمنون العلماء و لهم الأجر التام يوم القيامة و إن لم يؤمنوا فليس هم الشهداء الذين أنعم الله عليهم في قوله فَأُولئِكَ (مَعَ) الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ من النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً و لو لا قوله وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ألحقنا هؤلاء الشهداء بحصول النعمة التي لأصحاب هذه الآية فإنهم و إن كانوا موحدين غير مؤمنين مع وجود الرسول إليهم لم تحسن مرافقتهم للمؤمنين فإنهم يشوشون على المؤمنين إيمانهم و هؤلاء الشهداء الذين تعمهم هذه الآية هم العلماء بالله المؤمنون بعد العلم بما قال سبحانه إذ ذلك قربة إليه من حيث قاله الله أو قاله الرسول الذي جاء من عند الله فقدم الصديق على الشهيد و جعله بإزاء النبي فإنه لا واسطة بينهما لاتصال نور الايمان بنور الرسالة و الشهداء لهم نور العلم مساوق لنور الرسول من حيث ما هو شاهد لله بتوحيده لا من حيث هو رسول فلا يصح أن يكون بعده مع المساوقة فكانت المساوقة تبطل و لا يصح أن يكون معه لكونه رسولا و الشاهد ليس برسول فلا بد أن يتأخر فلم يبق إلا أن يكون في الرتبة التي تلي الصديقية فإن الصديق أتم نورا من الشهيد في الصديقية لأنه صديق من وجهين من وجه التوحيد و من وجه القربة و الشهيد من وجه القربة خاصة لا من وجه التوحيد

فإن توحيده عن علم لا عن إيمان فنزل عن الصديق في مرتبة الايمان و هو فوق الصديق في مرتبة العلم فهو المتقدم في رتبة العلم المتأخر برتبة الايمان و التصديق فإنه لا يصح من العالم أن يكون صديقا و قد تقدم العلم مرتبة الخبر فهو يعلم أنه صادق في توحيد الله إذا بلغ رسالة الله و الصديق لم يعلم ذلك إلا بنور الايمان المعد في قلبه فعند ما جاءه الرسول اتبعه من غير دليل ظاهر فقد عرفت منازل الشهداء عند الله و من الأولياء رضي الله عنهم الصالحون تولاهم الله بالصلاح و جعل رتبتهم بعد الشهداء في المرتبة الرابعة لكن الشكل دائرة كما رسمناه في الهامش فالنبوة ابتدأ بها حتى انتهى إلى الصلاح و نهاية الشكل المستدير إذا كان مجعولا ترتبط بالبداية حتى تصح الدائرة و ما من نبي إلا و قد ذكر أنه صالح أو أنه دعا أن يكون من الصالحين مع كونه نبيا فدل على أن رتبة الصلاح خصوص في النبوة فقد تحصل لمن ليس بنبي و لا صديق و لا شهيد فصلاح الأنبياء هو مما يلي بدايتهم و هو عطف الصلاح عليهم فهم صالحون للنبوة فكانوا أنبياء و أعطاهم الدلالة فكانوا شهداء و أخبرهم بالغيب فكانوا صديقين فالأنبياء صلحت لجميع هذه المقامات فكانوا صالحين

فجمعت الرسل جميع المقامات كما صلح الصديقون للصديقية و صلح الشهداء للشهادة و كل موجود فهو صالح لما وجد له غير أن هؤلاء الصالحين الذين أثنى الله عليهم بأنه أنعم عليهم هم المطلوبون في هذا المقام و هم المنخرطون في سلك هذا النمط فهم رابعوأ ربعة و أراد بالنبيين هنا الرسل أهل الشرع سواء بعثوا أو لم يبعثوا أعني بطريق الوجوب عليهم فالصالحون هم الذين لا يدخل علمهم بالله و لا إيمانهم بالله و بما جاء من عند الله خلل فإن دخله خلل بطل كونه صالحا فهذا هو الصلاح الذي رغبت فيه الأنبياء صلوات الله عليهم فكل من لم يدخله خلل في صديقيته فهو صالح و لا في شهادته فهو صالح و لا في نبوته فهو صالح و الإنسان حقيقته الإمكان فله إن يدعو بتحصيل الصلاح له في المقام الذي يكون فيه لجواز دخول الخلل عليه في مقامه لأن النبي لو كان نبيا لنفسه أو لإنسانيته لكان كل إنسان بتلك المثابة إذ العلة في كونه نبيا كونه إنسانا فلما كان الأمر اختصاصا إلهيا جاز دخول الخلل فيه و جاز رفعه فصح إن يدعو الصالح بأن يجعل من الصالحين أي الذين لا يدخل صلاحهم خلل في زمان ما فهذا نعني بالصالحين في هذا الباب و الله الموفق و من الأولياء أيضا رضي الله عنهم المسلمون و المسلمات و هكذا كل طائفة ذكرناهم منهم الرجال و النساء تولاهم الله بالإسلام و هو انقياد خاص لما جاء من عند الله لا غير فإذا و في العبد الإسلام بجميع لوازمه و شروطه و قواعده فهو مسلم و إن انتقص شيئا من ذلك فليس بمسلم فيما أخل به من الشروط قال رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و اليد هنا بمعنى القدرة أي سلم المسلمون مما هو قادر على أن يفعل بهم مما لا يقتضيه الإسلام من التعدي لحدود الله فيهم فأتى بالأعم و ذكر اللسان لأنه قد يؤذي بالذكر من لا يقدر على إيصال الأذى إليه بالفعل و هو البهتان هنا خاصة لا الغيبة فإنه قال المسلمون فلو قال الناس لدخلت الغيبة و غير ذلك من سوء القول فلم يثبت الشارع الإسلام إلا لمن سلم المسلمون و هم أمثاله في السلامة فالمسلمون هم المعتبر في هذا الحديث و هم المقصود فإن المسلمين لا يسلمون من لسان من يقع فيهم إلا حتى يكونوا أبرياء مما نسب إليهم و لذلك فسرناه بالبهتان فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال إذا قلت في أخيك ما ليس فيه فذلك البهتان و في رواية فقد بهته فخاب سهمك الذي رميته به فإنه ما وجد منفذا فإنك نسبت إليه ما ليس هو عليه فسماهم الله مسلمين فمن وقع فيمن هذه صفته فليس بمسلم لأن ذلك الوصف الذي وصفه المسلم به و رماه به و لم يكن المسلم محلا له عاد على قائله فلم يكن الرامي له بمسلم فإنه ما سلم مما قال إذ صار عليه سهم كلامه الذي رماه به قال صلى الله عليه و سلم من قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما و قال تعالى ي حق قوم قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ قال الله فيهم أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ فأعاد الصفة عليهم لما لم يكن المسلمون المؤمنون أهل سفه أي ضعف رأى في إيمانهم فعاد ما نسبوه من ضعف الرأي الذي هو السفه إليهم فليس المسلم إلا من سلم من جميع العيوب الأصلية و الطارئة فلا يقول في

أحد شرا و لا يؤثر فيه إذا قدر عليه شرا أصلا و ليس إقامة الحدود بشر فإنه خير إذ جعل الله إقامة الحدود كشرب الدواء للمريض لأجل العافية و زوال المرض فهو و إن كان كريها في الوقت فإن عاقبته محمودة فما قصد الطبيب بشرب الدواء شرا للمريض و إنما أعطاه سبب حصول العافية فيتحمل ما فيه من الكراهة في الوقت كذلك إقامة الحدود و أما القصاص في مثل قوله وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فلا يخرجه ذلك عن الإسلام فإن النبي صلى الله عليه و سلم اشترط سلامة المسلمين و من آذاك ابتداء عن قصد منه فليس بمسلم فإنك ما سلمت منه و النبي صلى الله عليه و سلم يقول من سلم المسلمون فلا يقدح القصاص في الإسلام فإنك ما آذيت مسلما من حيث آذاك فإن المسلم لا يؤذي المسلم بل أسقط عنه القصاص في الدنيا القصاص في الآخرة فقد أنعم عليه بضرب من النعم فإن عَفا وَأَصْلَحَ و لم يؤاخذه و تجاوز عن سيئته فذلك المقام العالي و أجره على الله بشرط ترك المطالبة في الآخرة و حق الله ثابت قبله لأنه تعدى حده فقدح في إسلامه قدر ما تعدى فيه فإن عصى المسلم ربه في غير المسلم هل يكون مسلما بذلك أم لا قلنا لا يكون مسلما فإن الله يقول إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ و المسلم لا يكون ملعونا فلقائل أن يقول هنا بالمجموع كانت اللعنة و نحن إنما قلنا من آذى الله وحده قلنا كل من آذى الله وحده في زعمه فقد آذى المسلمين فإن المسلم يتأذى إذا سمع في الله من القول ما لا يليق به فهو مؤاخذ من جهة ما تأذى به المسلمون من قولهم في الله ما لا يليق به فإن قيل فإن لم يعرف ذلك المسلمون منه حتى يتأذوا من ذلك قلنا حكم ذلك حكم الغيبة فإنه لو عرف من اغتيب تأذى و هو مؤاخذ بالغيبة فهو مؤاخذ بإيذائه الله و إن لم يعرف بذلك مسلم قال صلى الله عليه و سلم لا أحد أصبر على أذى من الله المسلم من كان بهذه المثابة و هو السعيد المطلق وَقَلِيلٌ ما هُمْ و من الأولياء أيضا رضي الله عنهم المؤمنون و المؤمنات تولاهم الله بالإيمان الذي هو القول و العمل و الاعتقاد و حقيقته الاعتقاد شرعا و لغة و هو في القول و العمل شرعا لا لغة فالمؤمن من كان قوله و فعله مطابقا لما يعتقده في ذلك الفعل و لهذا قال في المؤمنين نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يريد ما قدموه من الأعمال الصالحة عند الله فأولئك من الذين أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً قال صلى الله عليه و سلم المؤمن من أمنه الناس على أموالهم و أنفسهم و قال صلى الله عليه و سلم المؤمن من أمن جاره بوائقه و لم يخص مؤمنا و لا مسلما بل قال الناس و الجار من غير تقييد فإن المسلم قيده بسلامة المسلمين ففرق بين المسلم و المؤمن بما قيده به و بما أطلقه فعلمنا إن للإيمان خصوص وصف و هو التصديق تقليدا من غير دليل ليفرق بين الايمان و العلم و اعلم أن المؤمن المصطلح عليه في طريق الله عند أهله الذي اعتبره الشرع له علامتان في نفسه إذا وجدهما كان من المؤمنين العلامة الواحدة أن يصير الغيب له كالشهادة في عدم الريب فيما يظهر على المشاهد لذلك الأمر الذي وقع به الايمان من الإيثار في نفس المؤمن كما يقع في نفس المشاهد له فيعلم أنه مؤمن بالغيب و العلامة الثانية أن يسرى الأمان منه في

نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أموالهم و أنفسهم و أهليهم من غير أن تتخلل ذلك الأمان تهمة في أنفسهم من هذا الشخص و انفعلت لأمانة النفوس فذلك هو المشهود له بأنه من المؤمنين و مهما لم يجد ها تين العلامتين فلا يغالط نفسه و لا يدخلها في المؤمنين فليس إلا ما ذكرناه و من الأولياء أيضا القانتون لله و القانتات رضي الله عنهم تولاهم الله بالقنوت و هو الطاعة لله في كل ما أمر به و نهى عنه و هذا لا يكون إلا بعد نزول الشرائع و ما كان منه قبل نزول الشرائع فلا يسمى قنوتا و لا طاعة و لكن يسمى خيرا و مكارم خلق و فعل ما ينبغي قال الله تعالى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ أي طائعين فأمر بطاعته و قال تعالى وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ و قال تعالى أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ و ليس يرث الصالح من الأرض إلا إتيانها لله طائعة مع السماء حين قال لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فورث العباد منها الطاعة لله و هي المعبر عنها بالقنوت إذ الساجدون لله على قسمين منهم من يسجد طوعا و منهم من يسجد كرها فالقانت يسجد طوعا و تصحيح طاعتهم لله و قنوتهم أن يكون الحق لهم بهذه المثابة للموازنة كما قال فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا فالحق مع العبد على قدر ما هو العبد مع الحق وقفت يوما أنا و عبد صالح معي يقال له الحاج مدور يوسف الإستجي كان من الأميين المنقطعين إلى الله المنورة بصائرهم على سائل يقول من يعطي شيئا لوجه الله ففتح رجل صرة دراهم كانت عنده و جعل ينتقي له من بين الدراهم قطعة صغيرة يدفعها للسائل فوجد ثمن درهم فأعطاه إياه و هذا العبد الصالح ينظر إليه فقال لي يا فلان تدري على ما يفتش هذا المعطي قلت لا قال على قدره عند الله لأنه أعطى السائل لوجه الله فعلى قدر ما أعطى لوجهه ذلك قيمته عند ربه و لكن من شرط القانت عندنا أنه يطيع الله من حيث ما هو عبد الله لا من حيث ما وعده الله به من الأجر و الثواب لمن أطاعه و أما الأجر الذي يحصل للقانت فذلك من حيث العمل الذي يطلبه لا من حيث الحال الذي أوجب له القنوت قال الله تعالى في القانتات من نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ فالأجر هنا للعمل الصالح الذي عملته و كان مضاعفا في مقابلة قوله تعالى في حقهن يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ لمكانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لفعل الفاحشة كذلك ضوعف الأجر للعمل الصالح و مكانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و بقي القنوت معرى عن الأجر فإنه أعظم من الأجر فإنه ليس بتكليف و إنما الحقيقة تطلبه و هو حال يستصحب العبد في الدنيا و الآخرة و لهذا قال إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً يعني يوم القيامة فالقنوت مع العبودية في دار التكليف لا مع الأجر ذلك هو القنوت المطلوب و الحق إنما ينظر للعبد في طاعته بعين باعثه على تلك الطاعة و لهذا قال تعالى آمرا وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ و لم يسم أجرا و لا جعل القنوت إلا من أجله لا من أجل أمر آخر فهؤلاء هم القانتون و القانتات و من الأولياء أيضا الصادقون و الصادقات

رضي الله عنهم تولاهم الله بالصدق في أقوالهم و أحوالهم فقال تعالى رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فهذا من صدق أحوالهم و الصدق في القول معلوم و هو ما يخبر به و صدق الحال ما يفي به في المستأنف و هو أقصى الغاية في الوفاء لأنه شديد على النفس فلا يقع الوفاء به في الحال و القول إلا من الأشداء الأقوياء و لا سيما في القول فإنك لو حكيت كلاما عن أحد كان بالفاء فجعلت بدله واوا لم تكن من هذه الطائفة فانظر أغمض هذا المقام و ما أقواه فإن نقلت الخبر على المعنى تعرف السامع إنك نقلت على المعنى فتكون صادقا من حيث إخبارك عن المعنى عند السامع و لا تسمى صادقا من حيث نقلك لما نقلته فإنك ما نقلت عين لفظ من نقلت عنه و لا تسمى كاذبا فإنك قد عرفت السامع أنك نقلت المعنى فأنت مخبر للسامع عن فهمك لا عمن تحكي عنه فأنت صادق عنده في نقلك عن فهمك لا عن الرسول أو من تخبر عنه إن ذلك مراده بما قال فالصدق في المقال عسير جدا قليل من الناس من يفي به إلا من أخبر السامع أنه ينقل على المعنى فيخرج عن العهدة فالصدق في الحال أهون منه إلا أنه شديد على النفوس فإنه يراعي جانب الوفاء لما عاهد من عاهد عليه و قد قرن الله الجزاء بالصدق و السؤال عنه فقال لِيَجْزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ و لكن بعد أن يسأل الصّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ فإذا ثبت لهم جازاهم به و جزاؤهم به هو صدق الله فيما وعدهم به فجزاء الصدق الصدق الإلهي و جزاء ما صدق فيه من العمل و القول بحسب ما يعطيه ذلك العمل أو القول فهذا معنى الجزاء و أما السؤال عنه فمن حيث إضافة الصدق إليهم لأنه قال تعالى عَنْ صِدْقِهِمْ و ما قال عن الصدق فإن أضاف الصادق إذا سأل صدقه إلى ربه لا إلى نفسه و كان صادقا في هذه الإضافة إنها وجدت منه في حين صدقه في ذلك الأمر في الدار الدنيا ارتفع عنه الاعتراض فإن الصادق هو الله و هو قوله المشروع لا حول و لا قوة إلا بالله فإذا كانت القوة به و هي الصدق فإضافتها إلى العبد إنما هو من حيث إيجادها فيه و قيامها به و إن قال عند سؤال الحق إياه عن صدقه إنه لما صدق في فعله أو قوله في الدنيا لم يحضر في صدقه إن ذلك بالله كان منه كان صادقا في الجواب عند السؤال و نفعه ذلك عند الله في ذلك الموطن و حشر مع الصادقين و صدق في صدقه و هذا من أغمض ما يحتوي عليه هذا المقام و يطرأ فيه غلط كبير في هذا الطريق و هو أن يقول المريد أو العارف كلاما ما يترجم به عن معنى في نفسه قد وقع له و يكون في قوة دلالة تلك العبارة أن تدل على ذلك المعنى و على غيره من المعاني التي هي أعلى مما وقع له في الوقت ثم يأتي هذا الشخص في الزمان الآخر فيلوح له من مطلق ذلك اللفظ معنى غامض هو أعلى و أدق و أحسن من المعنى الذي عبر عنه بذلك اللفظ أولا فإذا سأل عن شرح قوله ذلك شرحه بما ظهر له في ثاني الحال لا بأول الوضع فيكون كاذبا في أصل الوضع صادقا في دلالة اللفظ فالصادق يقول كان قد ظهر لي معنى ما و هو كذا فأخرجته أو كسوته هذه العبارة ثم إنه لاح لي معنى هو أعلى منه لما نظرت في مدلول هذه العبارة فتركت هذه العبارة عليه أيضا في

الزمان الثاني و لا يقول خلاف هذا و هذا من خفي رياسة النفوس و طلبها للعلو في الدنيا و قد ذم الله من طلب علوا في الأرض فإذا أراد العارف أن يسلم من هذا الخطر و يكون صادقا إذا أراد أن يترجم عن معنى قام له فليحضر في نفسه عند الترجمة أنه يترجم عن الله عن كل ما يحويه ذلك اللفظ من المعاني في علم الله و من جملتها المعنى الذي وقع له فإذا أحضر هذا و لاح له ما شاء الله أن يمنحه من المعاني التي يدل عليها ذلك اللفظ كان صادقا في الشرح أنه قصد ذلك المعنى على الإجمال و الإبهام لأنه لم يكن يعلم على التعيين ما في علم الله مما يدل عليه ذلك اللفظ إحضار مثل هذا عند كل إخبار وقت الإخبار عزيز لسلطان الغفلة و الذهول الغالب على الإنسان فليعود الإنسان نفسه مثل هذا الاستحضار فإنه نافع في استدامة المراقبة و الحضور مع الحق و هذا التنبيه الذي نبهت الصادقين عليه ما يشعر به أكثر أهل طريقنا فإنهم لا يحققون معناه و ربما يتخيلون فيه أنه شبهة فيفرون منه و ليس كذلك بل ذلك هو غاية الأدب البشري مع الله حيث يعبر عما في علم الله فهذا من الأدوية النافعة لهذا المرض لمن استعمله وفقنا الله و السامعين لاستعماله و استعمال أمثاله و من الأولياء أيضا الصابرون و الصابرات رضي الله عنهم تولاهم الله بالصبر و هم الذين حبسوا أنفسهم مع الله على طاعته من غير توقيت فجعل الله جزاءهم على ذلك من غير توقيت فقال تعالى إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ فما وقت لهم فإنهم لم يوقتوا فعم صبرهم جميع المواطن التي يطلبها الصبر فكما حبسوا نفوسهم على الفعل بما أمروا به حبسوها أيضا على ترك ما نهوا عن فعله فلم يوقتوا فلم يوقت لهم الأجر و هم الذين أيضا حبسوا نفوسهم عند وقوع البلايا و الرزايا بهم عن سؤال ما سوى الله في رفعها عنهم بدعاء الغير أو شفاعة أو طب إن كان من البلاء الموقوف إزالته على الطب و لا يقدح في صبرهم شكواهم إلى الله في رفع ذلك البلاء عنهم ألا ترى أيوب سأل ربه رفع البلاء عنه بقوله مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أي أصاب مني فشكا ذلك إلى ربه عز و جل و قال له وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ففي هذه الكلمة إثبات وضع الأسباب و عرض فيها لربه برفع البلاء عنه فاستجاب له ربه و كشف ما به من الضر فأثبت بقوله تعالى فَاسْتَجَبْنا لَهُ أن دعاءه كان في رفع البلاء فكشف ما به من ضُرٍّ و مع هذا أثنى عليه بالصبر و شهد له به فقال إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ أي رجاع إلينا فيما ابتليناه به و أثنى عليه بالعبودية فلو كان الدعاء إلى الله في رفع الضر و رفع البلاء يناقض الصبر المشروع المطلوب في هذا الطريق لم يثن الله على أيوب بالصبر و قد أثنى عليه به بل عندنا من سوء الأدب مع الله أن لا يسأل العبد رفع البلاء عنه لأن فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي بما يجده من الصبر و قوته قال العارف إنما جوعني لأبكي فالعارف و إن وجد القوة الصبرية فليفر إلى موطن الضعف و العبودية و حسن الأدب فإن القوة لله جميعا فيسأل ربه رفع البلاء عنه أو عصمته منه أن توهم وقوعه و هذا لا يناقض الرضاء بالقضاء فإن البلاء إنما هو عين المقضي لا القضاء فيرضى بالقضاء و يسأل الله في

رفع المقضي عنه فيكون راضيا صابرا فهؤلاء أيضا هم الصابرون الذين أثنى الله عليهم و من الأولياء أيضا الخاشعون و الخاشعات رضي الله عنهم تولاهم الله بالخشوع من ذل العبودية القائم بهم لتجلى سلطان الربوبية على قلوبهم في الدار الدنيا فينظرون إلى الحق سبحانه من طَرْفٍ خَفِيٍّ يوجده الله لهم في قلوبهم في هذه الحالة خفي عن إدراك كل مدرك إياه بل لا يشهد ذلك النظر منهم إلا الله فمن كانت حالته هذه في الدار الدنيا من رجل و امرأة فهو الخاشع و هي الخاشعة فيشبه القنوت من وجه إلا أن القنوت يشترط فيه الأمر الإلهي و الخشوع لا يشترط فيه إلا التجلي الذاتي و كلتا الصفتين تطلبهما العبودية فلا يتحقق بهما إلا عبد خالص العبودية و العبودة و له حال ظاهر في الجوارح التي لها الحركات و حال باطن في القلوب فيورث في الظاهر سكونا و يؤثر في الباطن ثبوتا و القنوت يورث في الظاهر بحسب ما ترد به الأوامر من حركة و سكون فإن كان القانت خاشعا فحركته في سكون و لا بد إن ورد الأمر بالتحرك فيورث القنوت في الباطن انتقالات أدق من الأنفاس متوالية مع الأوامر الإلهية الواردة عليه في عالم باطنه فالخاشع في قنوته في الباطن ثبوته على قبول تلك الأوامر الواردة عليه من غير أن يتخللها ما يخرجها عن أن تكون مشهودة لهذا الخاشع فالخاشع و القانت خشوعه و قنوته إخوان متفقان في الموفقين من عباد الله و من الأولياء أيضا المتصدقون و المتصدقات رضي الله عنهم تولاهم الله بجوده ليجودوا بما استخلفهم الله فيه مما افتقر إليه خلق الله فأحوج الله الخلق إليهم لغناهم بالله فالكلمة الطيبة صدقة و لما كان حالهم التعمل في الإعطاء لا العمل دل على أنهم متكسبون في ذلك لنظرهم أن ذلك ليس لهم و إنما هو لله فلا يدعون فيما ليس لهم فلا منة لهم في الذي يوصلونه إلى الناس أو إلى خلق الله من جميع الحيوانات و كل متغذ عليهم لكونهم مؤدين أمانة كانت بأيديهم أوصلوها إلى مستحقيها فلا يرون أن لهم فضلا عليهم فيما أخرجوه و هذه الحالة لا يمدحون بها إلا مع الدوام و الدءوب عليها في كل حال و العارفون هنا في هذه الصفة على طبقتين منهم من يكون عين ما يعطيه مشهودا له أنه حق لمن يعطيه لأن الله ما خلق الأشياء التي يقع بها الانتفاع لنفسه و إنما خلق الخلق للخلق فهذا معنى الاستحقاق و طبقة أخرى يكون مشهودا لهم كون خالق النعمة مختارا فيبطل عندهم الاستحقاق بأنهم يرون أن الله ما خلق الخلق أجمعه إلا لعبادته و لهذا قال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و يسجد له و كان إيصال بعض الخلق للخلق بحكم لتبعية لا بالقصد الأول و إن لم يكن هناك ما يقال فيه قصد أول و لا ثان و لكن العبارات من أجل إبراز الحقائق تعطي ذلك و لله عباد من المتصدقين أقامهم الحق بين هاتين الطبقتين فهم ينظرون في حين كونهم متصدقين الاستحقاق لبقاء عين من تصدق عليه ليصح منه ما خلق له من التسبيح لربه و الثناء عليه و لكن لا من حيث إنه آكل مثلا و لا شارب في حق من يكون بقاؤه بالأكل و الشرب فذلك لا يكون باستحقاق و إنما الاستحقاق ما به بقاؤه و أسبابه كثيرة ثم تنظر هذه الطبقة الثالثة المتولدة بينهما من عين آخر معا و هو أن تنظر إلى

الحق من حيث ما تقتضيه ذاته فيرتفع عندها الاختيار و ترى أن المظاهر الإلهية هي المسبحة فلا يسبح الله إلا الله و لا يحمده إلا هو فهو ثناء ذاتي لا ثناء افتقار لاكتساب ثناء فهؤلاء أحق باسم المتصدقين من غيرهم حيث أثبتوا أعيانهم و نفوا أحكامهم و الله الهادي و من الأولياء أيضا الصائمون و الصائمات رضي الله عنهم تولاهم الله بالإمساك الذي يورثهم الرفعة عند الله تعالى عن كل شيء أمرهم الحق أن يمسكوا عنه أنفسهم و جوارحهم فمنه ما هو واجب و مندوب و أما قوله تعالى لهذه الطائفة ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ تنبيها على غاية توقيت الإمساك في عالم الشهادة و هو النهار و الليل ضرب مثال محقق للغيب فإذا وصلوا إلى رتبة مصاحبة عالم الغيب المعبر عنه بالليل لم يصح هنالك الإمساك فإن إمساك النفس و الجوارح إنما هو في المنهيات و هي في عالم الشهادة فإن عالم الغيب أمر بلا نهي و لهذا سموا عالم الأمر و ذلك لأن عالم الغيب عقل مجرد لا شهوة لهم فلا نهي عندهم في مقام التكليف فهم كما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز لا يَعْصُونَ الله ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و لم يذكر لهم نهي عن شيء لأن حقائقهم لا تقتضيه فإذا صام الإنسان و انتقل من بشريته إلى عقله فقد كمل نهاره و فارقه الإمساك لمفارقة النهي و التحق بعالم الأمر بعقله فهو عقل محض لا شهوة عندهم ألا ترى إلى ظقوله صلى الله عليه و سلم في حقه إذا أقبل الليل من هاهنا و أدبر النهار من هاهنا و غربت الشمس فقد أفطر الصائم يقول و غربت الشمس عن عالم الشهادة و طلعت على عالم عقله فقد أفطر الصائم أي لم يمتنع فارتفع عنه التحجير لأن عقله لا يتغذى بما أمره الحق بالإمساك عنه و هو حظ طبعه فاعلم ذلك و إذا كان الأمر على هذا الحد و حصلت له الرفعة الإلهية عن حكم طبعه و رفعه التجلي عن حكم فكره إذ كان الفكر من حكم الطبع العنصري و لهذا لا يفكر الملك و يفكر الإنسان لأنه مركب من طبيعة عنصرية و عقل فالعقل من حيث نفسه له التجلي فيرتفع عن حضيض الفكر الطبيعي المصاحب للخيال الآخذ عن الحس و المحسوس قال الشاعر إذا صام النهار و هجرا أي ارتفع النهار فمن ليست له هذه الرفعة عن هذا الإمساك فما هو الصائم المطلوب المسمى عندنا فهذا هو صوم العارفين بالله و هم أهل الله انتهى الجزء الثامن و السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

و من الأولياء الحافظون لحدود الله و الحافظات رضي الله عنهم تولاهم الله بالحفظ الإلهي فحفظوا به ما تعين عليهم إن يحفظوه و هم على طبقتين ذكرهم الله و هم الحافظون فروجهم فعين و خصص و الحافظون لحدود الله فعمم و قال في الحافظين لحدود الله وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ على ذلك و هم الذين حبسوا نفوسهم عند الحدود و لم يتعدوها مطلقا و قال في الحافظين فروجهم أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً أي سترا لأن الفرج عورة تطلب الستر فهو إنباء عن حقيقة قال تعالى قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ فيسترها غيرة و فيها قال وَ لِباسُ

التَّقْوى و الوقاية ستر لأنه يتقي بها ما ينبغي أن يتقى منه فجعل التقوى لباسا ينبه أن ذلك ستر و الستر الغفر و العورة هي المائلة يريد المائلة إلى الحق عن نفسه و رؤية شهود وجودها فأمر بستر ذلك من أجل الأدب الإلهي لما نسب إليها من المذام و جعلها من الأسرار المكتومة المستورة ألا ترى النكاح يسمى سرا قال الله تعالى لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا و هذا كله يؤذن بالستر فمن صبر على حفظ الحدود و سترها فإن الله يستره بما تطلبه هذه الحقيقة و اعلم أن الحفظ حفظان و أهله طبقتان و قد يجتمع الحفظان في شخص واحد و قد تنفرد طبقة واحدة بحفظ واحد فلهذا فصل الله بينهما فأطلق في حق طائفة و قيد في حق أخرى ثم إن الذين أطلق في حقهم الحفظ لحدود الله هم على طبقتين فمنهم من عرف الحدود الذاتية فوقف عندها و ذلك العالم الحكيم المشاهد المكاشف صاحب العين السليمة و صاحب هذا المقام قد لا يكون صاحب طريقة معينة لأن الإنسانية تطلبها و منهم من عرف الحدود الرسمية و لم يعلم الحدود الذاتية و هم أرباب الايمان و منهم من عرف الحدود الرسمية و الذاتية و هم الأنبياء و الرسل و من دعا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ من أتباع الرسول صلى الله عليه و سلم فهؤلاء هم الأولى بأن يطلق عليهم الحافظون لحدود الله الذاتية و الرسمية معا و أما الحافظون فروجهم فهم على طبقتين منهم من يحفظ فرجه عما أمر بحفظه منه و لا يحفظه مما رغب في استعماله لأمور إلهية و حكم ربانية أظهرها إبقاء النوع على طريق القربة و منهم من يحفظ فرجه إبقاء على نفسه لغلبة عقله على طبعه و غيبته عما سنه أهل السنن من الترغيب في ذلك فإن انفتح له عين و انفرج له طريق إلى ما تعطيه حقيقة الوضع المرغب في النكاح فذلك صاحب فرج فلم يحفظه الحفظ الذي أشرنا إليه و أما صاحب الشرع الحافظ به فلا بد له من الفتح و لكن إذا اقترنت مع الحفظ الهمة فإن لم تقترن معه الهمة فقد يصل إلى هذا المقام و قد لا يصل جعلنا الله من الحافظين لحدود الله الذاتية و الرسمية فإن الله بكل شيء حفيظ و من الأولياء الذاكرون الله كثيرا و الذاكرات رضي الله عنهم تولاهم الله بإلهام الذكر ليذكروه فيذكرهم و هذا يتعلق بالاسم الآخر و هو صلاة الحق على العبد فالعبد هنا سابق و الحق مصل لأن المقام يقتضيه فإنه قال تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ فأخر ذكره إياهم عن ذكرهم إياه و قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم و قال من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و قال فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فكل مقام إلهي يتأخر عن مقام كوني فهو من الاسم الآخر و من باب قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ فالأمر يتردد بين الاسمين الإلهيين الأول و الآخر و عين العبد مظهر لحكم هذين الاسمين و هذا هو الفصل الذي تسميه الكوفيون العماد مثل قوله أنت من قوله كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ فلو لا الاعتماد على عين العبد ما ظهر سلطان هذين الاسمين إذ العين هنالك واحدة لا متحدة و في العبد متحدة لا واحدة فالأحدية لله و الاتحاد للعبد لا الأحدية فإنه لا يعقل العبد إلا بغيره لا بنفسه فلا رائحة له في الأحدية أبدا و الحق قد تعقل له الأحدية و قد تعقل بالإضافة لأن الكل له

بل هو عين الكل لا كلية جمع بل حقيقة أحدية تكون عنها الكثرة و لا يصح هذا إلا في جناب الحق خاصة فلا يصد ر عن الواحد أبدا في قضية العقل إلا واحد إلا أحدية الحق فإن الكثرة تصد ر عنها لأن أحديته خا رجة عن حكم العقل و طوره فأحدية حكم العقل هي التي لا يصد ر عنها إلا واحد و أحدية الحق لا تدخل تحت الحكم كيف يدخل تحت الحكم من خلق الحكم و الحاكم لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالذكر أعلى المقامات كلها و الذاكر هو الرجل الذي له الد رجة على غيره من أهل المقامات كما قال تعالى وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ و من الذكر سمي الذكر الذي هو نقيض الأنثى فهو الفاعل و الأنثى منفعلة كحواء من آدم فقد نبهتك بذكر الحق بمن ذكرك من كونه مصليا فحواء عن ذكر بشري صوري إلهي و عيسى عن ذكر روحي ملكي في صورة بشر فذكر حواء أتم بسبب الصورة و ذكر عيسى أتم بالملكية المتجلية في الصورة البشرية المخلوقة على الحضرة الإلهية فجمع بين الصورة و الروح فكان نشأة تمامية ظاهره بشر و باطنه ملك فهو روح الله و كلمته ف لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ أي من أجل الله لمن ظهر من المخلوقين بالعزة فذلوا لهم تحت العزة الإلهية إذ لا يصح ذلة إلا بظهورها فالأعزاء من الخلائق هم مظاهر العزة الإلهية فالمتواضع من تواضع تحت جبروت المخلوقين و الفقير على الحقيقة من افتقر إلى الأغنياء من المخلوقين لأن غنى المخلوق هو مظهر لصفة الحق فالفقير من افتقر إليها و لم يحجبه المظهر عنها و هكذا كل صفة علوية إلهية لا تنبغي إلا لله يكون مظهرها في المخلوقين فإن العلماء بالله يذلون تحت سلطانها و لا يعرف ذلك إلا العلماء بالله فإذا رأيت عا رفا بزعم أنه عا رف و تراه يتعزز على أبناء الدنيا لما يرى فيهم من العزة و الجبروت فاعلم أنه غير عا رف و لا صاحب ذوق و هذا لا يصح إلا للذاكرين الله كثيرا و الذاكرات أي في كل حال هذا معنى الكثير فإنه من الناس من يكون له هذه الحالة في أوقات ما ثم تنحجب فدل انحجابه على أنها لم تكن هذه المعرفة عنده عن ذوق و إنما كانت عن تخيل و توهم و تمثل لا عن تحقق و من الأولياء أيضا التائبون و التائبات و التوابون رضي الله عنهم تولاهم الله بالتوبة إليه في كل حال أو في حال واحد سا ر في كل مقام و اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه بالتواب لا بالتائب و ذكر محبته للتوابين فقال إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ و هم الراجعون منه إليه و أما من رجع إليه من غيره فهو تائب خاصة فإنه لا يرجع إليه من غيره من هذه صفته إلا إلى عين واحدة و من يرجع منه إليه فإنه يرجع إلى أسماء متعددة في عين واحدة و ذلك هو المحبوب و من أحبه الله كان سمعه و بصره و يده و رجله و لسانه و جميع قواه و محال قواه أي هو عين قواه بل محال قواه فما أحب إلا نفسه و هو أشد الحب من حب الغير فإن حب الغير من حب النفس و ليس حب النفس من حب الغير فالحب الأصلي هو حب الشيء نفسه ف إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ و هو التواب و التوابون مجلى صورة التواب فرأى نفسه فأحبها لأنه الجميل فهو يحب الجمال و الكون مظاهره فما تعلقت محبته إلا به فإن الصور منه و عين العبد في العناية الإلهية غرق فالتائب

راجع إليه من عين المخالفة و لو رجع ألف مرة في كل يوم فما يرجع إلا من المخالفة لي عين واحدة و هو القابل التوب خاصة و التواب ينتقل في الآنات مع الأنفاس من الله إلى الله بالموافقات بل لا يكون إلا كذلك و إن ظهرت في الظاهر ممن هذه صفته عند الله مخالفة فلجهل الناظر بالصورة التي أدخلت عليه الشبهة فإنه يتخيل أنه قد اجتمع معه في الحكم و ما عنده خبر أنه ممن قيل له اعمل ما شئت و أبيح له ما حجر على غيره ثم بين له فقال فقد غفرت لك أي سترتك عن خطاب التحجير فالتواب هو المجهول في الخلق لأنه محبوب و المحب غيور على محبوبه فستره عن عيون الخلق فإنه لو كشفه لعباده و نظروا إلى حسن المعنى في باطنه لأحبوه و لو أحبوه لصرفوا همتهم إليه فآثروا فيه الإقبال عليهم تخلقا حقيقيا من قوله فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فكان سبب إقبال الحق على العبد إقبال العبد على أمر الحق فما ظنك بالمخلوق فهو أسرع في الإقبال عليهم لأنه محل يقبل الأثر فلهذا القبول الصادر منهم لو أحبهم الخلق سترهم فلم يعرفوا فهم العرائس المخدرات خلف حجاب الغيرة فيقال فيهم مذنبون و ليسوا و الله بمذنبين بل مصانين محفوظين و هذا المقام هو مقام التوبة من التوبة أي من التوبة التي يقال في صاحبها تائب بالتوبة التي يقال في صاحبها تواب قال بعضهم في ذلك

يا ربة العود خذي في الغنا و حركي من صوته ما ونى
فإن مسود قميص الدجى لونه الصبح بما لونا
قد تاب أقوام كثير و ما تاب من التوبة إلا أنا

و لنا في هذا المقام على أتم إشارة من قول الأول

ما فاز بالتوبة إلا الذي قد تاب منها و الورى نوم
فمن يتب أدرك مطلوبه من توبة الناس و لا يعلموا

فالتوابون أحباب الله بنص كتابه الناطق بالحق الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ و من الأولياء أيضا المتطهرون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله القدوس بتطهيره فتطهيرهم تطهير ذاتي لا فعلي و هي صفة تنزيه و هو تعمل في الطهارة ظاهرا و في الحقيقة ليس كذلك و لهذا أحبهم الله فإنها صفة ذاتية له يدل عليها اسمه الْقُدُّوسُ السَّلَامُ فأحب نفسه و الصورة فيهم مثل الصورة في التوابين و لهذا قرن بينهما في آية واحدة فقال إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فعين محبته لهم ليعلم أن صفة التوبة ما هي صفة التطهير و جاور بينهما لاحدية المعاملة من الله في حقهما من كونه ما أحب سوى نفسه و اعلم أن المتطهر في هذا الطريق من عباد الله الأولياء هو الذي تطهر من كل صفة تحول بينه و بين دخوله على ربه و لهذا شرع في الصلاة الطهارة لأن الصلاة

دخول على الرب لمناجاته و الصفات التي تحول بين العبد و بين دخوله على ربه هي كل صفة ربانية لا تكون إلا لله و كل صفة تدخله على ربه و يقع بها لهذا العبد التطهير فهي صفاته التي لا يستحقها إلا العبد و لا ينبغي أن تكون إلا له و لو خلع الحق عليه جميع الصفات التي لا تنبغي إلا له و لا بد من خلعها عليه لا تبرح ذاته من حيث تجلى الرب له موصوفة بصفاته التي له فإن كان التجلي ظاهرا كان حكم صفاته عليه ظاهرا مثل الخشوع و الخضوع و خمود الجوارح و سكون الأعضاء و الارتعاش الضروري و عدم الالتفات و إن كان التجلي باطنا لقلبه كان أيضا حكم صفاته في باطنه قائما و سواء كان موصوفا في ظاهره في ذلك الحال بصفة ربانية أي حكمها ظاهر عليه من قهره استيلاء أو قبض أو عطاء أو عطف أو حنان فالتجلي في الباطن بصفات العبودة لازم لا ينفك عنه باطن المتطهر أبدا فإن طهارة القلب مثل سجوده إذا تطهر و صح تطهيره لا تنتقض طهارته أبدا و كل من قال في هذا بتجديد طهارة القلب و أن طهارته يدخل عليها في القلب ما ينقضها فهو حديث نفس أعني طهره ما تطهر قط فإن طهارة القلب مؤيدة و هؤلاء هم المتطهرون الذين أحبهم الله و هي حالة مكتسبة يتعمل لها الإنسان فإن التفعل تعمل الفعل ثم الكلام في التعمل في ذلك على صورة ما ذكرناه في التواب سواء آنفاو بالله التوفيق و هو الهادي إلى الصراط المستقيم و من الأولياء أيضا الحامدون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بعواقب ما تعطيه صفات الحمد فهم أهل عاقبة الأمور قال الله تعالى وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ فالحامد من عباد الله من يرى في الحمد المطلق على ألسنة العالم كله سواء كان الحامدون من أهل الله أو لم يكونوا و سواء كان المحمود الله أو كان مما يحمد الناس به بعضهم بعضا فإنه في نفس الأمر يرجع عواقب الثناء كله إلى الله لا إلى غيره فالحمد إنما هو لله خاصة بأي وجه كان فالحامدون الذين أثنى الله عليهم في القرآن هم الذين طالعوا نهايات الأمور في ابتدائها و هم أهل السوابق فشرعوا في حمده ابتداء بما يرجع إليه سبحانه و تعالى جل جلاله من حمد المحجوبين انتهاء فهؤلاء هم الحامدون على الشهود بلسان الحق و من الأولياء أيضا السائحون و هم المجاهدون في سبيل الله من رجال و نساء قال صلى الله عليه و سلم سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال تعالى التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ و السياحة المشي في الأرض للاعتبار برؤية آثار القرون الماضية و من هلك من الأمم السالفة و ذلك أن العارفين بالله لما علموا أن الأرض تزهو و تفخر بذكر الله عليها و هم رضي الله عنهم أهل إيثار و سعي في حق الغير و رأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر لله فيه من عامة الناس و أن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر لزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيداء التي لا يطرقها إلا أمثالهم و سواحل البحار و بطون الأودية و قنن الجبال و الشعاب و الجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها و يعبد فيها غير الله و لذلك جعل النبي صلى الله عليه و سلم سياحة هذه الأمة الجهاد فإن الأرض و إن لم يكفر عليها و لا ذكر الله فيها أحد من

البشر فهي أقل حزنا و هما من الأرض التي عبد غير الله فيها و كفر عليها و هي أرض المشركين و الكفا ر فكان السياحة بالجهاد أفضل من السياحة في غير الجهاد و لكن بشرط أن يذكر الله عليها و لا بد فإن ذكر الله في الجهاد أفضل من لقاء العدو فيضرب المؤمنون رقابهم و يضرب الكفار رقاب المؤمنين و المقصود إعلاء كلمة الله في الأماكن التي يعلو فيها ذكر غير الله ممن يعبد من دون الله فهؤلاء هم السائحون لقيت من أكابرهم يوسف المغاور الجلاء ساح مجاهدا في أرض العدو عشرين سنة وممن رابط بثغر الأعداء شاب بجلمانية نشأ في عبادة الله تعالى يقال له أحمد بن همام الشقاق بالأندلس و كان من كبار الرجال مع صغر سنة انقطع إلى الله تعالى على هذه الطريق و هو دون البلوغ و استمر حاله على ذلك إلى أن مات و من الأولياء أيضا الراكعون من رجال و نساء رضي الله عنهم وصفهم الله في كتابه بالراكعين و هو الخضوع و التواضع لله تعالى من حيث هويته سبحانه و لعزته و كبريائه حيث ظهر من العالم إذ كان العارف لا ينظر العالم من حيث عينه و إنما ينظره من حيث هو مظهر لصفات الحق قال الله تعالى كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ و قال ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و قال الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحدا منهما قصمته فالعين هالكة و الصفة قائمة فالراكعون ركعوا للصفة لا للعين لأنهم سمعوا الحق يقول من نازعني واحدا منهما قصمته فعلموا أنها صفة الحق لا صفتهم و لهذا أوقع التنازع فيهما فعرفوا من العالم ما لم يعرف العالم من نفسه فلو كان الكبرياء و الجبروت و العزة و العظمة التي يدعيها العزيز الجبار العظيم المتكبر من العباد صفة لهم حقيقة لما ذمهم و لا أخذهم أَخْذَةً رابِيَةً كما أنه لم يأخذهم بكونهم أذلاء خاشعين حقراء محقرين فإن الحقارة و الذلة و الصغار صفتهم فمن ظهر بصفته لم يؤاخذه الله لأنه كيف يؤاخذه إذا ظهر بما هو حق له و لما لم يكن لهم الجبروت و ما في معناه و ظهروا به أهلكهم الله فتحقق عند العارفين أنها صفة الحق تعالى ظهرت فيمن أراد الله أن يشقيه فتواضع العارفون للجبابرة و المتكبرين من العالم للصفة لا لعينهم إذ كان الحق هو مشهودهم في كل شيء حتى الانحناء في السلام عند الملاقاة ربما انحنى العارفون لإخوانهم عند ما يلقونهم في سلامهم فيسر بذلك الشخص الذي ينحني من أجله و سروره إنما هو من جهله بنفسه حيث تخيل أن ذلك الانحناء و الركوع له ممن لقيه إنما هو لما يستحقه من الرفعة فيفعله عامة الأعاجم مقابلة جهل بجهل و عادة و عرفا و هم لا يشعرون و يفعله العارفون مشاهدة جبروت إلهي يجب الانحناء له إذ لا يرون إلا الله قال لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل و الباطل هو العدم بلا شك و الوجود كله حق فما ركع الراكع إلا لحق وجودي باطنه عدم و هو عين المخلوق فإن قلت فالراكع أيضا وجود قلنا صدقت فإن الأسماء الإلهية التي تنسب إلى الحق على مراتب في النسبة بعضها يتوقف على بعض و بعضها لها المهيمنية على بعض و بعضها أعم تعلقا و أكثر أثرا في العالم من بعض و العالم كله مظاهر هذه الأسماء الإلهية فيركع

الاسم الذي هو تحت حيطة غيره من الأسماء للاسم الذي له المهيمنية عليه فيظهر ذلك في الشخص الراكع فكان انحناء حق لحق ألا ترى الأحاديث الواردة الصحيحة بالفرح الإلهي و التبشبش و النزول و التعجب و الضحك أين هذه الصفات من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و من هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ و أمثال ذلك من صفات العظمة فمن ركع فبهذه الصفة فهي الراكعة و من تعاظم فبتلك الصفة أيضا الإلهية فهي العظيمة و الراكعون من الأولياء على هذا الحد هو ركوعهم و من الأولياء أيضا الساجدون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بسجود القلوب فهم لا يرفعون رءوسهم لا في الدنيا و لا في الآخرة و هو حال القربة و صفة المقربين و لا يكون السجود إلا عن تجل و شهود و لهذا قال له وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ يعني اقتراب كرامة و بر و تحف كما يقول الملك للرجل إذا دخل عليه فحياه بالسجود له بين يديه فيقول له الملك ادنه ادنه حتى ينتهي منه حيث يريد من القربة فهذا معنى قوله وَاقْتَرِبْ في حال السجود أعلاما بأنه قد شاهد من سجد له و أنه بين يديه و هو يقول له اقترب ليضاعف له القربة كما قال من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا إذا كان اقتراب العبد عن أمر إلهي كان أعظم و أتم في بره و إكرامه لأنه ممتثل أمر سيده على الكشف فهذا هو سجود العارفين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يطهر بيته لهم و لأمثالهم فقال عز من قائل أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ و قال لنبيه عليه الصلاة و السلام فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ يريد الذين لا يرفعون رءوسهم أبدا و لا يكون ذلك إلا في سجود القلب و لهذا قال له عقيب قوله وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ثم فقال وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فتعرف باليقين من سجد منك و لمن سجدت فتعلم أنك آلة مسخرة بيد حق قادر اصطفاك و طهرك و حلاك بصفاته فصفاته سبحانه طلبته بالسجود لذاته لنسبتها إليه فانظر يا أخي سر ما أشرنا إليه في هذه المسألة إذ كانت النسب أو الصفات أو الأسماء لا تقوم بأنفسها لذاتها فهي طالبة بطلب ذاتي لعين تقوم بها فيظهر حكمها بأن توصف تلك العين بها أو تسمى بها أو تنسب إليها كيف ما شئت من هذا كله فقل وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و كذلك انظر في قوله و تنبه الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ فأشار إلى تنوع الحالات عليه في حال سجوده من غير رفع يتخلل ذلك و لقد رفع و قام و ركع و ثنى السجود و لم يثن حالة من حالات صلاته إلا السجود لشرفه في حق العبد فأكده بتثنيته في كل ركعة فرضا واجبا و ركنا لا ينجبر إلا بالإتيان به و من الأولياء الآمرون بالمعروف من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالأمر بالله إذ كان هو المعروف فلا فرق أن تقول الآمرون بالله أو الآمرون بالمعروف لأنه سبحانه هو المعروف الذي لا ينكر وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ مع كونهم مشركين و قالوا ما نَعْبُدُهُمْ يعني الآلهة إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى فهو المعروف عندهم بلا خلاف في ذلك في جميع النحل و الملل و العقول قال صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه فهو المعروف فمن أمر به فقد أمر بالمعروف و من نهى به فقد نهى عن المنكر

بالمعروف فالآمرون بالمعروف هم الآمرون على الحقيقة بالله فإنه سبحانه إذا أحب عبده كان لسانه الذي يتكلم به و الأمر من أقسام الكلام فهم الآمرون به لأنه لسانهم فهؤلاء هم الطبقة العليا في الأمر بالمعروف و كل أمر بمعروف فهو تحت حيطة هذا الأمر فاعلم ذلك و من الأولياء أيضا الناهون عن المنكر من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالنهي عن المنكر بالمعروف و المنكر الشريك الذي أثبته المشركون بجعلهم فلم يقبله التوحيد العرفاني الإلهي و أنكره فصار مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً فلم يكن ثم شريك له عين أصلا بل هو لفظ ظهر تحته العدم المحض فأنكرته المعرفة بتوحيد الله الوجودي فسمي مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ إذ القول موجود و ليس بمنكر عيني فإنه لا عين للشريك إذ لا شريك في العالم عينا و إن وجد قولا و نطقا فهم الناهون عن المنكر و هو عين القول خاصة فليس لمنكر من المنكرات عين موجودة فلهذا وصفهم الله بأنهم الناهون عن المنكر و لكن نهيهم بالمعروف في ذلك و من الأولياء أيضا الحلماء من رجال و نساء رضي الله عنهم و ما من صفة للرجال إلا و للنساء فيها مشرب تولاهم الله بالحلم و هو ترك الأخذ بالجريمة في الحال مع القدرة على ذلك فلم يعجل فإن العجلة بالأخذ عقيب الجريمة دليل على الضجر و حكمه في المستأنف في المشيئة فالحليم هو الذي لا يعجل مع القدرة و ارتفاع المانع و العلم السابق مانع و هو محجوب عن العبد قبل الاتصاف بصفة الحلم فالعبيد على الحقيقة إذا لم يعجلوا بالأخذ عقيب الجريمة مع القدوة هم الحلماء فإنهم لا علم لهم سابق يمنع من وقوع الأخذ لا في نفس الأمر فإن حلم العبد من العلم الإلهي السابق و لا يشعر به العبد حتى تقوم به صفة الحلم فحينئذ يعلم ما أعطاه حكم علم الله في حكمه و لهذا أن تقدمه العلم بذلك لا يسمى حليما على جهة التشريف فالحق يوصف بالحلم لعدم الأخذ لا على طريق التشريف و العبد ينعت بالحليم لعدم الأخذ أيضا و لكن على طريق التشريف لجهله بما في علم الله من ذلك قبل اتصافه بعدم المؤاخذة و الإمهال من غير إهمال فشرف الحق بالعلم لا بالحلم و شرف العبد بالحلم لا بالعلم لجهله بذلك فإن علم قبل قيام صفة الحلم به لم يكن له الحلم تشريفا فالأمر فيه بمنزلة من هو مجبور في اختيار ه فلا يثني عليه بالاختيار إلا مع رفع العلم عنه بالجبر في ذلك الاختيار سواء لأن الاختيار يناقض الجبر فيعلم الإنسان عند ذلك ما هو المراد بالاختيار و يرى أنه ما ثم في الوجودين إلا الجبر من غير إكراه فهو مجبور غير مكره و هذه المسألة من أعظم المسائل في المعارف و كم هلك فيها من الخلق قديما و حديثا و من الأولياء أيضا الأواهون من رجال و نساء رضي الله عنهم لقيت منهم امرأة بمرشانة لزيتون من بلاد الأندلس تدعى بشمس مسنة تولى الله هذا الصنف بالتأوه مما يجدونه في صدورهم من ردهم لقصورهم من عين الكمال و النفوذ و يكون عن وجود أو عن وجود وجد على مفقود أثنى الله تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام بذلك إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ و لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ فتأوه لما رأى من عبادة قومه ما نحتوه و حلم فلم يعجل بأخذهم على ذلك مع قدرته عليهم بالدعاء عليهم و لهذا سمي حليما فلو لم يقدر و لا

مكنه الله من أخذهم ما سماه سبحانه حليما و لكنه عليه السلام علم أنه في دار الامتزاج و التحول من حال إلى حال فكان يرجو لهم الايمان فيما بعد فهذا سبب حلمه وجود الموطن الذي يقتضي التحول من العبد و القبول من الله فلو علم من قومه ما علم نوح عليه السلام حيث قال وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً ما حلم عنهم فالأواه هو الذي يكثر التأوه لبلواه و لما يقاسيه و يعانيه مما يشاهده و يراه و هو من باب الغيرة و الحيرة و التأوه أمر طبيعي لا مدخل له في الأرواح من حيث عروها عن الامتزاج بالطبع و من الأولياء الأجناد الإلهيون الذين لهم الغلبة على الأعداء من رجال و نساء رضي الله عنهم قال تعالى وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فأضافهم إليه سبحانه من اسمه الملك فهم عبيد الملك و هنا سر فإن العالم أجناده سلط بعضهم على بعض وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ أي ما يحصيهم عددا تولى الله طائفة منهم بالعناية الإلهية فأضافهم إلى نفسه بضمير الكناية عن ذاته و لم يصرح باسم إلهي معين منصوص عليه اكتفاء بتسميتهم جندا و الأجناد لا تكون إلا للملك فبين أنهم أهل عدة إذ كانت العدة من خصائص الأجناد التي تقع بها الغلبة على الأعداء و الأعداء الذين في مقابلة هؤلاء الأجناد الشياطين و الأهواء و المصارف المذمومة كلها و سلطانهم الهوى و عدة هؤلاء الجند التقوى و المراقبة و الحياء و الخشية و الصبر و الافتقار و الميدان الذي يكون فيه المصاف و المقابلة إذا ترا آي الجمعان بينهم و بين الأعداء هو العلم في حق بعض الأجناد و الايمان في حق بعضهم و العلم و الايمان معا في حق الطبقة الثالثة من الجند فإن أجناد الإنابة الذين لهم الغلبة على ثلاث طبقات الطبقة الخاصة العلية أهل علم بتوحيد الله و أهل علم برسول الله عن دليل عقلي برهاني و أهل إيمان مبناه على هذا العلم و الطبقة الثانية أهل علم بتوحيد الله عن دليل قطعي من جهة النظر لا عن علم ضروري يجدونه في نفوسهم فإنه من الجند فلا بد له من آلة يدفع بها العدو المنازع و لا يقدر يدفعه صاحب العلم الضروري لكونه عالما من هذا الوجه من غير دليل فإن العدو ما يندفع إلا بالدليل و ترتيبه و أصحاب العلم بالله من جهة الضرورة طائفة أخرى لا يتميزون في الأجناد و لا يتعرضون لدفع عدو بشبهة قادحة و الطبقة الثالثة أهل إيمان لا أهل علم فهم أهل إيمان يكون عنه خرق عوائد يقوم لهم ذلك مقام الأدلة للعالم فيدفعون بخرق العوائد أعداء الله و أعداءهم كما يدفعه صاحب الدليل فمثل هذه الطبقة هم المسمون جندا و أما المؤمنون الذين ليس عندهم خرق عادة لدفع عدو فليسوا بأجناد و إن كانوا مؤمنين و الجامع لمعرفة هذه الطبقة أن كل شخص يقدر على دفع عدو بآلة تكون عنده فهو من جنده سبحانه و تعالى الذين لهم الغلبة و القهر و هو التأييد الإلهي الذي به يقع ظهورهم على الأعداء قال تعالى فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ و من الأولياء أيضا الأخيار من رجال و نساء رضي الله عنهم قال الله تعالى وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ تولاهم الله بالخيرة قال تعالى أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ جمع خيرة و هي الفاضلة من كل شيء و منه فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ و الفضل يقتضي الزيادة على ما يقع فيه

الاشتراك مما لا يشترك فيه من ليس من ذلك الجنس فالأخيار كل من زاد على جميع الأجناس بأمر لا يوجد في غير جنسه من العلم بالله على طريق خاص لا يحصل إلا لأهل ذلك الجنس ثم في هذا الجنس العالم بهذا العلم الخاص الذي به سموا أخيارا منهم من أعطى الإفصاح عما علمه و منهم من لم يعط الإفصاح عما علمه في نفسه فالذي أعطى الإفصاح أخير ممن هو دونه و هو المستحق بهذا الاسم فإن الخير بالكسر الكلام يقال في فلان كرم و خير أي كرم و فصاحة فإذا أعطى الفصاحة عما عنده اهتدى به من سمع منه فكانت المنفعة به أتم فكان أفضل من غيره فإنه أقرب إلى التشبه بالاسم النافع فاعلم ذلك فقد بينت لك مرتبة الأخيار و لهذا ورد في أوصاف المرسلين لأن الرسول لا بد أن يكون مؤيدا بالنطق ليبين لمن أرسل إليه ما أرسل به إليه فهم الأخيار أي أصحاب هذه الفضيلة و من الأولياء أيضا الأوابون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالأوبة في أحوالهم قال تعالى فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوّابِينَ غَفُوراً يقال آبت الشمس لغة في غابت فالرجال الغائبون عند الله فلم يشهد حالهم مع الله أحد من خلق الله فإن الله وصف نفسه بأنه غفور لهم أي ساتر أي يستر مقامهم عن كل أحد سواه لأنهم طلبوا الغيبة عنده حتى لا يكون لهم مشهود سواه سبحانه و الآئب أيضا الذي يأتي القوم ليلا كالطارق و الليل ستر و هم الراجعون إلى الله في كل حال من كل ناحية يقال جاءوا من كل أوبة أي ناحية فالأواب الراجع إلى الله من كل ناحية من الأربع التي يأتي منها إبليس إلى الإنسان من ناحية أيديهم و من خلفهم وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ فهم يرجعون في ذلك كله إلى الله أولا و آخرا فيما ذم و حمد من ذلك و لما اقتضى الأدب أن لا يرجعوا في حصول ما ذم إلى الله و اقتضى لهؤلاء هذا الحال أن يرجعوا فيه إلى الله سمى نفسه غفورا للأوابين أي يغفر لهم هذا القدر الذي يصحبه من مقام آخر من سوء الأدب فالرجال الذين هم بهذه المثابة و هذه الصفة هم الأوابون و من الأولياء أيضا المخبتون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإخبات و هو الطمأنينة قال إبراهيم عليه السلام وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي أي يسكن و الخبت المطمئن من الأرض فالذين اطمأنوا بالله من عباده و سكنت قلوبهم لما اطمأنوا إليه سبحانه فيه و تواضعوا تحت اسمه رفيع الدرجات و ذلوا لعزته و أولئك هم المخبتون الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم في كتابه أن يبشرهم فقال له وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ فإن قيل و من المخبتون فقل الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فهذه صفات المخبتين أي كانوا ساكنين فحركهم ذكر الله بحسب ما وقع به الذكر و صبروا أي حبسوا نفوسهم على ما أصابهم من ذلك و لم يمنعهم ذلك الوجل و لا غلبة الحال عن إقامة الصلاة إذا حضر وقتها على أتم نشأتها لما أعطاهم الله من القوة على ذلك ثم مع ما هم فيه من الصبر على ما نابهم من الشدة فسألهم سائل و هم بتلك المثابة في رزق علمي أو حسي من سد جوعة أو ستر عورة أعطوه مما سألهم منه فلم يشغلهم شأن عن شأن فهذا نعت المخبتين الذي نعتهم الله به و

هم ساكنون تحت مجاري الأقدار عليهم راضون بذلك من خبت النار إذا سكن لهبها و من الأولياء أيضا المنيبون إلى الله من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإنابة إليه سبحانه قال تعالى إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ و الرجال المنيبون هم الذين رجعوا إلى الله من كل شيء أمرهم الله بالرجوع عنه مع شهودهم في حالهم أنهم نواب عن الله في رجوعهم إذ الرجوع عن الكشف إنما هو لله إذ كانت نواصي الخلق بيده يصرفهم كيف يشاء فمن شاهد نفسه في إنابته إلى ربه نائبا عن الله كما ينوب المصلي عن الله في قوله سمع الله لمن حمده و في تلاوته كذلك رجوعه إلى الله في كل حال يسمى منيبا فلهم خصوص هذا الوصف و من الأولياء أيضا المبصرون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالأبصار و هو من صفات خصائص المتقين قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ فهم علماء أهل تقوى طرأ عليهم خاطر حسن أصله شيطاني فوجدوا له ذوقا خاصا لا يجدونه إلا إذا كان من الشيطان فيذكرهم ذلك الذوق بأن ذلك الخاطر من الشيطان فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ أي مشاهدون له بالذوق فإن اقتضى العلم أخذه و قلب عينه ليحزن بذلك الشيطان أخذه و لم يلتفت منه و كان من المبصرين فعلم كيف يأخذ ما يجب أخذه من ذلك ففرق بينه و بين ما يجب تركه كما قال عيسى عليه السلام لما قال له إبليس حين تصور له على أنه لا يعرفه فقال له يا روح الله قل لا إله إلا الله رجاء منه أن يقول ذلك لقوله فيكون قد أطاعه بوجه ما و ذلك هو الايمان فقال له عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فجمع بين القول و مخالفة غرض الشيطان لا امتثالا لأمر الشيطان فمن عرف كيف يأخذ الأشياء لا يبالي على يدي من جاء الله بها إليه و إن اقتضى العلم رد ذلك في وجهه رده فهذا معنى قوله تَذَكَّرُوا و لا يكون التذكر إلا لمعلوم قد نسي فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ أي رجع إليهم نظرهم الذي غاب عنهم رجع بالتذكر و من الأولياء أيضا المهاجرون و المهاجرات رضي الله عنهم تولاهم الله بالهجرة بأن ألهمهم إليها و وفقهم لها قال تعالى وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فالمهاجر من ترك ما أمره الله و رسوله بتركه و بالغ في ترك ذلك لله خالصا من كل شبهة عن كرم نفس و طواعية لا عن كره و إكراه و لا رغبة في جزاء بل كرم نفس بمقاساة شدائد يلقاها من المنازعين له في ذلك و يسمعونه ما يكره من الكلام طبعا فيتغير عند سماعه و يكون ذلك كله عن اتساع في العلم و الدءوب على مثل هذه الصفة و تقيده في ذلك كله بالوجوه المشروعة لا بأغراض نفسه و يكون به كمال مقامه فإذا اجتمعت هذه الصفات في الرجل فهو مهاجر فإن فاته شيء من هذه الفصول و النعوت فاته من المقام بحسب ما فاته من الحال و إنما قلنا هذا كله و اشترطناه لما سماه الله مهاجرا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فكل ما يدخل تحت هذا اللفظ مما ينبغي أن يكون وصفا حسنا للعبد فيسمى به صاحب هجرة اشترطناه في المهاجر لانسحاب هذه الحقيقة اللفظية في نفس الوضع على ذلك المعنى الذي اشتق من لفظه هذا الاسم و من

الأولياء أيضا المشفقون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإشفاق من خشية ربهم قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ يقال أشفقت منه فإنا مشفق إذ حذرته قال تعالى من عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ أي حذرون من عذاب ربهم غير آمنين يعني وقوعه بهم و لا يقال أشفقت منه إلا في الحذر و يقال أشفقت عليه إشفاقا من الشفقة و الأصل واحد أي حذرت عليه فالمشفقون من الأولياء من خاف على نفسه من التبديل و التحويل فإن أمنه الله بالبشرى مع إشفاقه على خلق الله مثل إشفاق المرسلين على أممهم و من بشر من المؤمنين و هم قوم ذوو كبد رطبة لهم حنان و عطف إذا أبصروا مخالفة الأمر الإلهي من أحد ارتعدت فرائصهم إشفاقا عليه إن ينزل به أمر من السماء و من كان بهذه المثابة فالغالب على أمره إنه محفوظ في أفعاله فلا يتصور منه مخالفة لما تحقق به من صفة الإشفاق فلما كانت ثمرة الإشفاق الاستقامة على طاعة الله أثنى الله عليهم بأنهم مشفقون للتغيير الذي يقوم بنفوسهم عند رؤية الموجب لذلك مأخوذ من الشفق الذي هو حمرة بقية ضوء الشمس إذا غربت أو إذا أرادت الطلوع و من الأولياء الموفون بعهد الله من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالوفاء قال تعالى وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا و قال الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ و هم الذين لا يغدرون إذا عهدوا و من جملة ما سأل قيصر ملك الروم عنه أبا سفيان بن حرب حين سأله عن صفة النبي صلى الله عليه و سلم هل يغدر فالوفاء من شيم خاصة الله فمن أتى في أموره التي كلفه الله أن يأتي بها على التمام و كثر ذلك في حالاته كلها فهو وفي و قد وفى قال تعالى وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى و قال تعالى وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً يقال وفى الشيء وفيا على فعول بضم فاء الفعل إذا تم و كثروهم على أشراف على الأسرار الإلهية المخزونة و لهذا يقال أوفى على الشيء إذا أشرف فمن كان بهذه المثابة من الوفاء بما كلفه الله و أشرف على ما اختزنه الله من المعارف عن أكثر عباده فذلك هو الوفي و من توفاه الله في حياته في دار الدنيا أي آتاه من الكشف ما يأتي للميت عند الاحتضار إذ كانت الوفاة عبارة عن إتيان الموت فإذا طولع العبد على هذه المرتبة أوجبت له الوفاء بعهود الله التي أخذها عليه فقد يكون الوفاء لأهل هذه الصفة سبب الكشف و قد يكون الكشف في حق طائفة منهم سبب الوفاء و من الأولياء أيضا الواصلون ما أمر الله به أن يوصل من رجال و نساء رضي الله عن جميعهم تولاهم الله بالتوفيق بالصلة لمن أمر الله به أن يوصل قال تعالى وَ(الَّذِينَ) يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يعني من صلة الأرحام و أن يصلوا من قطعهم من المؤمنين بما أمكنهم من السلام عليهم فما فوقه من الإحسان و لا يؤاخذ بالجريمة التي له الصفح عنها و التغافل و لا يقطعون أحدا من خلق الله إلا من أمرهم الحق بقطعه فيقطعونه معتقدين قطع الصفة لا قطع ذواتهم فإن الصفة دائمة القطع في حق هؤلاء اتصف بها من اتصف فهم ينتظرون به رحمة الله أن تشمله و الوصل ضد القطع و لما كان الوجود مبنيا على الوصل و لهذا دل العالم على الله و

اتصف بالوجود الذي هو الله فالوصل أصل في الباب و القطع عارض يعرض و لهذا جعل الله بينه و بين عباده حبلا منه إليهم يعتصمون به و يتمسكون ليصح الوصلة بينهم و بين الله سبحانه قال النبي صلى الله عليه و سلم الرحم شجنة من الرحمن أي هذه اللفظة أخذت من الاسم الرحمن عينا و غيبا فمن وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله و قطعه إياها هو قطع الله لا أمر زائد فلما علموا أن الحق تعالى ما دعاهم إليه و لا شرع لهم الطريق الموصل إليه إلا ليسعدوا بالاتصال به فهم الواصلون أهل الأنس و الوصال

فهم الذين هموهمو أهل المودة في القديم

و قد ورد في الخبر لا تحاسدوا و لا تدابروا و لا تقاطعوا و كونوا عباد الله إخوانا فنهوا عن التقاطع أ لا ترى اتصال الأنفاس داخلها بخارجها يؤذن بالبقاء و الحياة فإذا انقطعت الوصلة بين النفسين فخرج الداخل يطلب دخول الخارج فلم يجده مات الإنسان لانقطاع تلك الوصلة التي كانت بين النفسين فالواصلون ما أمر الله به أن يوصل ذلك هو عين وصلتهم بالله تعالى فأثنى عليهم و من الأولياء أيضا الخائفون من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالخوف منه أو مما خوفهم منه امتثالا لأمره فقال وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و أثنى عليهم بأنهم يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ و يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ فإذا خافوه التحقوا بالملإ الأعلى في هذه الصفة فإنه قال فيهم يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ فمن كان بهذه المثابة تميز مع الملإ الأعلى فمن أدبهم مع الله أنهم خافوا اليوم لما يقع فيه لكون الله خوفهم و منه و لما تحققوا بهذا الأدب أثنى الله عليهم بأنهم يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ فهذا خوف الزمان و أما خوف الحال فهو قوله وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ فهم أهل أدب مع الله وفقوا له حيث وفقهم فإن كثيرا من أهل الله لا يتفطنون لهذا الأدب و لا يعرجون على ما خوفوا به من الأكوان و علقوا أمرهم بالله فهؤلاء لهم لقب آخر غير اسم الخائف و إنما الخائفون الذين استحقوا هذا الاسم فهم الأدباء أوحى الله إلى رسوله موسى عليه السلام يا موسى خفني و خف نفسك يعني هواك و خف من لا يخافني و هم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره فامتثل الأدباء أمر الله فخافوهم في هذا الموطن كما شكروا غير الله من المحسنين إليهم بأمر الله لا من حيث إيصال النعم إليهم على أيديهم فهم في عبادة إلهية في شكرهم و في خوفهم و هذا صراط دقيق خفي على العارفين فما ظنك بالعامة و أما المتوسطون أصحاب الأحوال فلا يعرفونه لأنهم تحت سلطان أحوالهم أو من الأولياء أيضا المعرضون عمن أمرهم الله بالإعراض عنه من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بالإعراض عنهم قال تعالى وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ و قال فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا و قد علمت هذه الطبقة أنه ما ثم إلا الله فأعرضوا بأمره عن فعله فكانوا أدباء زمانهم و لم يعرضوا بأنفسهم إذ المؤمن لا نفس له ف إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ فمن ادعى الايمان و زعم أن له نفسا يملكها فليس بمؤمن فقال الحق لمن هذه صفته فأعرض

بها يعني بالنفس التي اشتريتها منك أعرض بها عن من تولى عن ذكرنا ممن لم نشتر منه نفسه لكونه غير مؤمن فقوله الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ أي عن الذي أسقطه الله عن أن يعتبر معرضون لكون الحق أسقط يقال لما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل لغو أي ساقط و منه لغو اليمين لإسقاط الكفارة و المؤاخذة بها فأثنى الله عليهم بالإعراض و إن تحققوا أنه ما ثم إلا الله و من الأولياء أيضا الكرماء من رجال و نساء رضي الله عنهم تولاهم الله بكرم النفوس فقال تعالى وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً أي لم ينظروا لما أسقط الله النظر إليه فلم يتدنسوا بشيء منه فمروا به غير ملتفين إليه كراما فما أثر فيهم فإنه مقام تستحليه النفوس و تقبل عليه للمخالفة التي جبلها الله عليها و هذه هي النفوس الآبية أي تأبى الرذائل فهي نفوس الكرام من عباد الله و التحق بهذه الصفة بالملإ الأعلى الذين قال الله فيهم إن صحفه بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ فنعتهم بأنهم كرام فكل وصف يلحقك بالملإ الأعلى فهو شرف في حقك فإن العارفين من عباد الله يجعلون بينهم و بين نعوت الحق عند التخلق بأسمائه ما وصف الله به الملأ الأعلى من تلك الصفة فيأخذونها من حيث هي صفة لعبيد من عباد الله مطهرين لا من حيث هي صفة للحق تعالى فإن شرفهم أن لا يبرحوا من مقام العبودية و هذا الذوق في العارفين عزيز فإن أكثر العارفين إنما يتخلقون بالأسماء الحسنى من حيث ما هي أسماء الله تعالى لا من حيث ما ذكرناه من كون الملإ الأعلى قد اتصف بها على ما يليق به فلا يتخلق العارف بها إلا بعد أن اكتسبت من اتصاف الملإ الأعلى روائح العبودة فمثل هؤلاء لا يجدون في التخلق بها طعما للربوبية التي تستحقها هذه الأسماء فمن عرف ما ذكرناه و عمل عليه ذاق من علم التجلي ما لم يذقه أحد ممن وجد طعم الربوبية في تخلقه و صفات أولياء الله في كتاب الله المودع كلام الله كثيرة و من أعلى الثناء و أكمله ما أوقع الاشتراك فيه بما يدل على المفاضلة و أكثر من هذا التنزل الإلهي ما يكون و لولا إن الكيان مظاهر الحق فكان نزوله منه إليه لما أطاق العارفون حمل كلام الحق و لا سماعه فجعل نفسه أرحم الراحمين بعباده و أحكم الحاكمين بفصل قضائه و أحسن الخالقين بتقديره و خير الغافرين بستر جلاله و خير الفاتحين لمغالق غيوبه و خير الفاصلين بأحكام حكمته ف هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ بكلاءته و بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ بين يديه في بساط جلاله و داعون إليه على بينة منه و بصيرة بما يطلبه حسن بلائه و هم العاملون بأوامره وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بشهادة توحيده بلسان إيمانه و أولو الأبصار بالاعتبار في مخلوقاته و أولو النهى بما زجرهم به في خطابه و أولو الألباب بما حفظهم من الاستمداد لبقاء نوره و هم العارفون عن الناس لما حجبهم به عن الاطلاع إلى سابق علمه و الكاظمون الغيظ لتعدي حدوده و المنفقون مما استخلفهم فيه أداء أمانة لمن شاء من عبيده و المستغفرون بالأسحار عند تجليه من سمائه و الشاكرون لما أسداه من آلائه و الفائزون بما وهبهم من معرفته و السابقون على نجب الأعمال إلى مرضاته و الأبرار بما غمرهم به من إحسانه و المحسنون بما أشهدهم من كبريائه و المصطفون من بين الخلائق باجتبائه

و الأعلون بإعلاء كلمته على كلمة أعدائه و المقربون بين أسمائه و أنبيائه و المتفكرون فيما أخفاه من غامض حكمته في أحكامه و المذكرون من نسي إقراره بربوبيته عند أخذ ميثاقه و الناصرون أهل دينه على من ناواهم فيه ابتغاء منازعته و إن كان بقضائه أولئك عباد الله الذين ليس لأحد عليهم سلطان لكونهم من أهل الحجة البالغة لما تكلموا بالنيابة عنه في كلامه فهو لسانهم و سمعهم و بصرهم و يدهم في نوره و ظلماته و لو تقصينا ما ذكر الله في كتابه من صفات أوليائه و شرحنا ما خصوا به لم يف بذلك الوقت فإذ و لا بد من الاقتصاد في الاقتصار فليكف هذا القدر الذي ذكرناه من ذلك إجمالا و تفصيلا و موقتا و غير موقت و اعلم أنه من شم رائحة من العلم بالله لم يقل لم فعل كذا و ما فعل كذا و كيف يقول العالم بالله لم فعل كذا و هو يعلم أنه السبب الذي اقتضى كل ما ظهر و ما يظهر و ما قدم و ما أخر و ما رتب لذاته فهو عين السبب فلا يوجد لعلة سواه و لا يعدم سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فمشيئته عرش ذاته كذا قال أبو طالب المكي إن عقلت فإن فتح لك في علم نسب الأسماء الإلهية التي ظهرت بظهور المظاهر الإلهية في أعيان الممكنات فتنوعت و تجنست و تشخصت قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنٰاسٍ مَشْرَبَهُمْ و كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ فسبب ظهور كل حكم في عينه اسمه الإلهي و ليست أسماؤه سوى نسب ذاتية فاعقل وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء التاسع و السبعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(وصل من هذا الباب)

اعلم أن الدعاوي لما استطال لسانها في هذا الطريق من غير المحققين قديما و حديثا جرد الإمام صاحب الذوق التام محمد ابن علي الترمذي الحكيم مسائل تمحيص و اختبار و عددها مائة و خمسة و خمسون سؤالا لا يعرف الجواب عنها إلا من علمها ذوقا و شربا فإنها لا تنال بالنظر الفكري و لا بضرورات العقول فلم يبق إلا أن يكون حصولها عن تجل إلهي في حضرة غيبة بمظهر من المظاهر فوقتا يكون المظهر جسميا و وقتا يكون جسمانيا و وقتا جسديا و وقتا يكون المظهر روحيا و وقتا روحانيا و هذا الباب من هذا الكتاب مما يطلب إيضاح تلك المسائل و شرحها فجعلت هذا الباب مجلاها إن شاء الله تعالى فمن ذلك

(السؤال الأول) كم عدد منازل الأولياء الجواب اعلم أن منازل الأولياء على نوعين حسية و معنوية فمنازلهم الحسية في الجنان و إن كانت الجنة مائة درجة و منازلهم الحسية في الدنيا أحوالهم التي تنتج لهم خرق العوائد فمنهم من يتبرز فيها كالإبدال و أشباههم و منهم من تحصل له و لا يظهر عليه شيء منها و هم الملامتية و أكابر العارفين و هي تزيد على مائة منزل و بضعة عشر منزلا و كل منزل يتضمن منازل كثيرة فهذه منازلهم الحسية في الدارين و أما منازلهم المعنوية في المعارف فهي مائتا ألف منزل و ثمانية و أربعون ألف منزل محققة

لم ينلها أحد من الأمم قبل هذه الأمة و هي من خصائص هذه الأمة و لها أذواق مختلفة لكل ذوق وصف خاص يعرفه من ذاقه و هذا العدد منحصر في أربعة مقامات مقام العلم اللدني و علم النور و علم الجمع و التفرقة و علم الكتابة الإلهية ثم بين هذه المقامات مقامات من جنسها تنتهي إلى بضع و مائة مقام كلها منازل للأولياء و يتفرع من كل مقام منازل كثيرة معلومة العدد يطول الكتاب بإيرادها و إذا ذكرت الأمهات عرف ذوق صاحبها فأما العلم اللدني فمتعلقه الإلهيات و ما يؤدي إلى تحصيلها من الرحمة الخاصة و أما علم النور فظهر سلطانه في الملإ الأعلى قبل وجود آدم بآلاف من السنين من أيام الرب و أما علم الجمع و التفرقة فهو البحر المحيط الذي اللوح المحفوظ جزء منه و منه يستفيد العقل الأول و جميع الملإ الأعلى منه يستمدون و ما ناله أحد من الأمم سوى أولياء هذه الأمة و تتنوع تجلياته في صدورهم على ستة آلاف نوع و مئين فمن الأولياء من حصل جميع هذه الأنواع كأبي يزيد البسطامي و سهل بن عبد الله و منهم من حصل بعضها و قد كان للأولياء في سائر الأمم من هذه العلوم نفثات روح في روع و ما كمل إلا لهذه الأمة تشريفا لهم و عناية بهم لمكانة نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و فيه من خفايا العلوم التي هي بمنزلة الأصول ثلاثة علوم علم يتعلق بالإلهيات و علم يتعلق بالأرواح العلوية و علم يتعلق بالمولدات الطبيعية فما يتعلق منه بالإلهيات على قدم واحدة لا يتغير و إن تغيرت تعلقاته و الذي يتعلق منه بالأرواح العلوية فيتنوع من غير استحالة و الذي يتعلق بالمولدات الطبيعية يتنوع و يستحيل باستحالاتها و هو المعبر عنه بأرذل العمر ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فإن المواد التي حصل له منها هذا العلم استحالت فالتحق العلم بها بحكم التبعية وكما هي أصولها ثلاث علوم فالأولياء فيها على ثلاث طبقات الطبقة الوسطى منهم لهم مائة ألف منزل و ثلاثة و عشرون ألف منزل و ستمائة منزل و سبعة و ثمانون منزلا أمهات يحتوي كل منزل منها على منازل لا يتسع الوقت لحصرها لتداخل بعضها في بعضها و لا ينفع فيها إلا الذوق خاصة و ما بقي من الأعداد فمقسم بين الطبقتين و هما اللذان ظهرا برداء الكبرياء و إزار العظمة غير أن لهما من إزار العظمة مما يزيد على هذا الذي ذكرناه ألف منزل و بضعة و عشرون منزلا لهذه المنازل خصوص وصف لا يوجد في منازل رداء الكبرياء و ذلك أن رداء الكبرياء مظهره من الاسم الظاهر و الإزار مظهره من الاسم الباطن و الظاهر هو الأصل و الباطن نسبة حادثة و لحدوثها كانت لها هذه المنازل فإن الفروع محل الثمر فيوجد في الفرع ما لا يظهر في الأصل و هو الثمرة و إن كان مددهما من الأصل و هو الاسم الظاهر لكن الحكم يختلف فمعرفتنا بالرب تحدث عن معرفة بالنفس لأنها الدليل من عرف نفسه عرف ربه و إن كان وجود النفس فرعا عن وجود الرب فوجود الرب هو الأصل و وجود العبد فرع ففي مرتبة يتقدم فيكون له الاسم الأول و في مرتبة يتأخر فيكون له الاسم الآخر فيحكم له بالأصل من نسبة خاصة و يحكم له بالفرع من نسبة أخرى هذا يعطيه النظر العقلي و أما ما تعطيه المعرفة الذوقية فهو أنه

ظاهر من حيث ما هو باطن و باطن من عين ما هو ظاهر و أول من عين ما هو آخر و كذلك القول في الآخر و إزار من نفس ما هو رداء و رداء من نفس ما هو إزار لا يتصف أبدا بنسبتين مختلفتين كما يقرره و يعقله العقل من حيث ما هو ذو فكر و لهذا قال أبو سعيد الخراز و قد قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ فلو كان عنده هذا العلم من نسبتين مختلفتين ما صدق قوله بجمعه بين الضدين و لو كانت معقولية الأولية و الآخرية و الظاهرية و الباطنية في نسبتها إلى الحق معقولية نسبتها إلى الخلق لما كان ذلك مدحا في الجناب الإلهي و لا استعظم العارفون بحقائق الأسماء ورود هذه النسب بل يصل العبد إذا تحقق بالحق أن تنسب إليه الأضداد و غيرها من عين واحدة لا تختلف و إذا كان العبد يتصور في حقه وقوع هذا فالحق أجدر و أولى إذ هو المجهول الذات فمثل هذه المعرفة الإلهية لا تنال إلا من هذه المنازل التي وقع السؤال عنها و أما عدد الأولياء الذين لهم عدد المنازل فهم ثلاثمائة و ستة و خمسون نفسا و هم الذين على قلب آدم و نوح و إبراهيم و جبريل و ميكائيل و إسرافيل و هم ثلاثمائة و أربعون و سبعة و خمسة و ثلاثة و واحد فيكون المجموع ستة و خمسين و ثلاثمائة هذا هو عند أكثر الناس من أصحابنا و ذلك للحديث الوارد في ذلك و أما طريقتنا و ما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه فهو المجموع من الأولياء الذين ذكرنا أعدادهم في أول هذا الباب و مبلغ ذلك خمسمائة نفس و تسعة و ثمانون نفسا منهم واحد لا يكون في كل زمان و هو الختم المحمدي و ما بقي فهم في كل زمان لا ينقصون و لا يزيدون و أما الختم فهذا زمانه و قد رأيناه و عرفناه تمم الله سعادته علمته بفاس سنة خمس و تسعين و خمسمائة و المجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات أقطاب و أئمة و أوتاد و أبدال و نقباء و نجباء و أما الذين زادوا على هؤلاء في الكشف فطبقات الرجال عندهم الذي يحصرهم العدد و لا يخلو عنهم زمان خمس و ثلاثون طبقة لا غير و مرتبة الختمين و لكن لا يكونان في كل زمان فلهذا لم نلحقهما بالطبقات الثابتة في كل زمان

(السؤال الثاني) أين منازل أهل القربة الجواب بين الصديقية و نبوة الشرائع فلم تبلغ منزلة بنى التشريع من النبوة العامة و لا هو من الصديقين الذين هم أتباع الرسل لقول الرسل و هو مقام المقربين و تقريب الحق لهم على وجهين وجه اختصاص من غير تعمل كالقائم في آخر الزمان و أمثاله و وجه آخر من طريق التعمل كالخضر و أمثاله و المقام واحد و لكن الحصول فيه على ما ذكرناه و من ثم يتبين الرسول من النبي و يعم الجميع هذا المقام و هو مقام المقربين و الأفراد و في هذا المقام يلتحق البشر بالملإ الأعلى و يقع الاختصاص الإلهي فيما يكون من الحق لهؤلاء و أما المقام فداخل تحت الكسب و قد يحصل اختصاصا و لهذا يقال في الرسالة إنها اختصاص و هو الصحيح فإن العبد لا يكتسب ما يكون من الحق سبحانه فله التعمل في الوصول و ما له تعمل فيما يكون من الحق له عند الوصول و من هناك منبع

العلم اللدني الذي قال الله فيه في حق عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً المعنى آتيناه رحمة علما من عندنا و علمناه من لدنا و هو من الأربعة المقامات الذي هو علم الكتابة الإلهية و علم الجمع و التفرقة و علم النور و العلم اللدني و اعلم أن منزل أهل القربة يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق الذي يدرك الأرواح بل هم ممن استثنى الله تعالى في قوله وَنُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ من في السَّماواتِ وَمن في الْأَرْضِ إِلَّا من شاءَ الله و هذا المنزل هو أخص المنازل عند الله و أعلاها و الناس فيه على طبقات ثلاث فمنهم من يحصله برمته و هم الرسل صلوات الله عليهم و هم فيه على درجات يفضل بعضهم بعضا و منهم من يحصل منه الدرجة الثانية و هم الأنبياء صلوات الله عليهم الذين لم يبعثوا بل تعبدوا بشريعة موقوفة عليهم فمن اتبعهم كان و من لم يتبعهم لم يوجب الله على أحد أتباعهم و هم فيها على درجات يفضل بعضهم بعضا و الطبقة الثالثة هي دونهما درج النبوة المطلقة التي لا يتخلل وحيها ملك و دون هؤلاء الطبقات هم الصديقون الذين يتبعون المرسلين و دون هؤلاء الصديقين الصديقون الذين يتبعون الأنبياء من غير أن يجب ذلك عليهم و دون هؤلاء الصديقين الذين يتبعون أهل الطبقة الثالثة و هم الذين انطلق عليهم اسم المقربين أعني أهل الطبقة الثالثة و لكل طبقة ذوق لا تعلمه الطبقة الأخرى و لهذا قال الخضر لموسى عليه السلام وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً و الخبر الذوق و هو علم حال و قال الخضر لموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا (السؤال الثالث) فإن قيل إن الذين حازوا العساكر بأي شيء حازوا فلنقل في الجواب نذكر أولا ما معنى العساكر و ما معنى حيازتهم لهم ثم نبين بأي شيء حازوا فإن هذا السائل إذا أرسل سؤاله من غير تقييد لفظي أو قرينة حال ينبغي للمجيب أن يجيب بالمعاني التي تدل عليها تلك الكلمة في اصطلاحهم فمهما أخل بشيء منها فما وفي الكلمة حقها فاعلم إن العساكر قد يطلقونها و يريدون بها شدائد الأعمال و العزائم و المجاهدات كما قال القائل ظل في عسكرة من حبها أي في شدة و اعلم أن مبني هذا الطريق على التخلق بأسماء الله فحاز هؤلاء العساكر بالتخلق باسمه الملك فإن الملك هو الذي يوصف بأنه يجوز العساكر و الملك معناه أيضا الشديد فلا تحاز الشدائد و العزائم إلا بما هو أشد منها يقال ملكت العجين إذا شددت عجنه قال قيس بن الحطيم يصف طعنة ملكت بها كفي فأنهرت فتقها أي شددت بها كفي حين طعنته فحازوا العساكر بالطريقين باسمه الملك فأما الشدائد التي حازوها في هذا الباب فهي البرازخ التي أوقفهم الحق في حضرة الأفعال من نسبتها إلى الله و نسبتها إلى أنفسهم فيلوح لهم ما لا يتمكن لهم معه أن ينسبوها إلى أنفسهم و يلوح لهم ما لا يتمكن لهم معه أن ينسبوها إلى الله فهم هالكون بين حقيقة و أدب و التخليص من هذا البرزخ من أشد ما يقاسيه العارفون فإن الذي ينزل عن هذا المقام يشاهد أحد الطرفين فيكون مستريحا لعدم المعارض و اعلم أن صاحب هذا المقام هو الذي أعلمه الله بجنوده

الذي لا يعلمها إلا هو قال تعالى وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و قال وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فصاحب هذا المقام يعرفه جنود الله الذين لا حاكم عليهم في شغلهم إلا الله و لهذا نسبهم إليه فهم الغالبون الذين لا يغلبون فمنهم الريح العقيم و منهم الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل و كل جند ليس لمخلوق فيه تصريف هم العساكر التي حازها صاحب هذا المقام علما و قال صلى الله عليه و سلم فيهم نصرت بالصبا قال نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر فإذا منح الله صاحب هذا المقام علم هؤلاء العساكر رمى بالحصى في وجوه الأعداء فانهزموا كما رمى رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة حنين فله الرمي و هم لا يكون منهم غلبة إلا بأمر الله و لهذا قال وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فكل منصور بجند الله فهو دليل على عناية الله به و لا يكون منصورا بهم على الاختصاص إلا بتعريف إلهي فإن نصره الله من غير تعريف إلهي فليس هو من هذه الطبقة التي حازت العساكر فلا بد من اشتراط النصر حقا في ذلك القصد و صاحب هذا المقام يعين لأصحابه مصارع القوم كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة بدر فإنه ما من شخص من أجناد الله إلا و هو يعرف عين من سلط عليه و متى يسلط عليه و أين يسلط عليه فتتشخص الأجناد لصاحب هذا المقام في الأماكن التي هي مصارع القوم كل شخص على صورة المقتول و باسمه فيراه صاحب هذا المقام فيقول هذا هو مصرع فلان و هذا هو مقام الإمام الواحد من الإمامين و أقرب شيء ينال به هذا المقام البغض في الله و الحب في الله فتكون همم هذه الطبقة و أنفاسهم من جملة العساكر التي حازوها بما ذكرناه و هو الموالاة في الله و العداوة في الله عن عزم و صدق مع كونهم لا يرون إلا الله فيجدون من الانضغاط و كظم الغيظ ما لا يعلمه إلا الله و العين تحرسهم في باطنهم هل ينظرون في ذلك أنه غير الله فإذا تحققوا ذلك حازوا عساكر الحق التي هي أسماؤه سبحانه إذ أسماؤه تعالى عساكره و هي التي يسلطها على من يشاء و يرحم بها من يشاء فمن حاز أسماء الله فقد حاز العساكر الإلهية و رئيس هؤلاء الأجناد الأسمائية كما قلنا الاسم الملك هو المهيمن عليها و من عداه فأمثال السدنة له و يكفي هذا القدر في الجواب عن هذا السؤال (السؤال الرابع) فإن قال إلى أين منتهاهم قلنا في الجواب لا شك و لا خفاء أن هذه الطبقة هم أصحاب عقد و عهد و هو قوله رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً فإذا حصلت هذه الطبقة فيما قلنا في غزوهم و سلكوا سبيل جهادهم كان منتهاهم إلى حل ما عقدوا عليه و نقض ما عسكروا إليه و ذلك أن الأعيان التي عسكروا لها و عقدوا مع الله أن يبيدوها فلما توجهوا بعساكرهم التي أوردناها إليها كانت آثار تلك العساكر فيها إيجاد أعيانها و هو خلاف مقصود العارف بهذه العساكر إذ كان المقصود إذهاب أعيانها و إلحاقها بمن لا عين له و ما علم أن الحقائق لا تتبدل و أن آثار العساكر فيها الوجود إذ كان سبق العدم لها لعينها فلا تؤثر فيها هذه العساكر العدم لأن العدم لها من نفسها فلم يبق إلا الوجود فوقع غير مقصود

العارف و علم عند ذلك العارف أن تلك الأعيان مظاهر الحق فكان منتهاهم إليه و بدأهم منه و ليس وراء الله مرمى فإن قلت فالذات الغنية عن العالمين وراء الله قلنا ليس الأمر كما زعمت بل الله وراء الذات و ليس وراء الله مرمى فإن الذات متقدمة على المرتبة في كل شيء بما هي مرتبة لها فليس وراء الله مرمى فحصلوا من العلم بالله ما لم يكن عندهم بالقصد الأول حين حازوا العساكر و كان الذي حجبهم ابتداء عن هذه المعرفة غيرتهم أن يشترك الحق مع كون من الأكوان في حال أو عين أو نسبة فلهذا كان مقصودهم أن يلحقوا الأعيان بمطلق العدم و هو المقام الذي تشير إليه الباطنية بقولها في جواب من يقول لها الله موجود فنقول ليس بمعدوم فإذا قلت لهم الله حي تقول ليس بميت فإن قيل لهم فالله قادر قالت ليس بعاجز فلا تجيب قط بلفظة تعطي الاشتراك في الثبوت فتجيب بالسلب و هذا كله من باب الغيرة و لا تقدر تنفي الأعيان فتستعين بهؤلاء العساكر على إعدام هذه الأعيان و زوال حكم الثبوت منها فتجد العساكر توجدها و تكسوها حلة الوجود فإذا رأت أنها مظاهر الحق رضيت بأن تبقيها أعيانا ثابتة و لا تراها موجودة و يكون عين شهودها ناظرة فيها إلى وجود الحق و أنه لا وجود اكتسبته من الحق بل حكمها مع الوجود حكمها و لا وجود و إن الذي ظهر ما هو غير هذا غايتها و هو قوله إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها فكان منتهاها ربها فأما من كانت عساكره العزائم فمنتهاه إلى الرخص من طريقين الطريق الواحدة أحدية المحبة فيهما فيكون منتهاهم إلى شهودها و هو الذي أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه فينحل عقد الأخذ بالعزائم بهذه المشاهدة لكونه يفوته من العلم بالله على قدر ما فاته من الأخذ بالرخصة و الطريقة الأخرى تنتهي بهم إلى شهود كونه في العزائم هو عين كونه في الرخص و هم لا نسبة لهم في واحدة منهما فينحل ما عقدوا عليه انحلالا ذاتيا لا تعمل لهم فيه و من هذا المقام يقول بعضهم بتفضيل الرسل بعضهم على بعض على أنه في نفس الأمر كما ورد في الخطاب من قوله تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فينتهي بهم هذا الأمر إلى حل عقد التفضيل بقوله لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ و من فضل فقد فرق فلولا وحدانية الأمر ما كان عين الجمع عين الفرق كما أن السالك يمشي حنبليا أو حنفيا مقتصرا على مذهب بعينه يدين الله به لا يرى مخالفته فينتهي به هذا المشهد إلى أن يصبح يتعبد نفسه بجميع المذاهب من غير فرقان و من هنا يبطل النسخ عنده الذي هو رفع الحكم بعد ثبوته لا انقضاء مدته فإلى ما ذكرناه منتهاهم على حسب ما أعطته عساكرهم فإن العساكر تختلف فإن جند الرياح ما هي جند الطير و جند الطير ما هو جند المعاني الحاصلة في نفوس الأعداء كالروع و الجبن فمنتهى كل عسكر إلى فعله الذي وجه إليه من حصار قلعة و ضرب مصاف أو غارة أو كبسة كل عسكر له خاصية في نفس الأمر لا يتعداه قال تعالى في الطير تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ و قال في الريح ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ و قال في الرعب وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ فانظر منتهى كل عسكر

إلى ما أثر في نفس من عسكر إليه فالحق لا يتقيد إذ كان هو عين كل قيد فالناس بين محجوب و غير محجوب جعلنا الله ممن أشهد الحق في عين حجابه و في رفع حجابه و فيما كان له من راء حجابه

(السؤال الخامس) فإن قيل قد عرفنا أبنية منازل أهل القربة و أبنية منتهى العساكر و منتهى من حازها فأين مقام أهل المجالس و الحديث قلنا في الجواب أما أهل المجالس المحدثون فمجالسهم خلف الحجاب الأنزل الأقدس في النزول و لهم ست حضرات لهم في الحضرة الأولى ثمانية مجالس المجلس الثاني و السادس يسمى مجالس الراحات و هي من باب وفق الله بالعباد الذين لهم هذه الأحوال و مجلسان الأول الذي هو الرابع و الثامن فهما مجلسا الجمع بين العبد و الرب و مجلس الفصل بين العبد و الرب على مراتب أبينها و أما الأربعة مجالس التي بقيت فالحديث فيها على مراتب متعددة و كذلك الحضرة الثانية و الحضرة الرابعة فيها ثمانية مجالس على ما ذكرناه و أما في الحضرة السادسة فمجلسان و أما في الحضرة الثالثة فستة مجالس و أما في الحضرة الخامسة فاربعة مجالس و انتهت أمهات مجالس أهل الحديث مع الله من حيث هم محدثون لا من حيث لهم مجالس و أما أهل المجالس لا من كونهم محدثين فهم أهل الشهود و هم على أربع مراتب في مجالسهم فالمحدثون جلوسهم من حيث هم من خلف ذلك الحجاب و أهل المجالس فمن حيث المراتب التي أعد لهم الحق فمنهم من أعد لهم منابر و منهم من أعد لهم أرائك و منهم من أعد لهم كراسي و منهم من أعد لهم درانك و الكل يشهدون جليسهم من غير حديث من الطرفين فلنذكر مجالس أهل الحديث و هي ثمانية و أربعون مجلسا و عند الترمذي الحكيم ستة و خمسون مجلسا لأن الترمذي يراعي من الإنسان حظ طبعه فيزيد اثني عشر مجلسا و هو الصحيح و من يقتصر منا في الإنسان على روحانيته من غير طبيعته فهي ستة و ثلاثون مجلسا فلهذا وقع الخلاف بيننا و بين العلماء من أهل هذه المجالس فمنا من اعتبر ذلك و منا من لم يعتبر و الأولى اعتبارها فأما مجالس الجمع بين العبد و الرب فاربعة مجالس يعلم فيما يحادثه به الحق فيها كيف يخاطب الخلق من أجل الله و كيف يثني على الحق تبارك و تعالى و يعلم معنى قوله بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَن حَوْلَهَا و يحادثه فيها بمثل قوله كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً فيعرف من أين طيب له و بما طيب له و بما طاب له و يعلم الاسم الآخر ما نسبته إلى الحق و ما حظ العبد منه و يعلم ما يقول كلما ورد على ملأ أعلى من روح و بشر في السموات و الأرض و يعلم شهادة التوحيد بالنسبة إلى الله و بالنسبة إلى الملائكة و بالنسبة إلى العلماء من البشر الحاصلة لهم من باب الشهود لا من باب الفكر و يعلم منازل الرسل و من أين خصوا بما خصوا به و بما ذا يفضل بعضهم بعضا و بما ذا لا يفضل و من أي نسبة ينسبون إلى الله و أشياء غير هذا محصورة و أما مجالس الفصل فيحصل فيها ما يحصل في هذه المجالس من طريق أخرى و ذوق آخر غير أنه يختلف عليه الحال عند انتهاء المجالسة بمشاهدة أسماء إلهية لم يكن يعرفها قبل ذلك أو

بمشاهدة أسماء إلهية من حيث أعيان أكوان خاصة أو بمشاهدة أعيان أكوان خاصة من غير ارتباط بأسماء إلهية و إن كانت في نفس الأمر مرتبطة بها و لكن يكون بينها و بين هذا العبد حجاب رقيق و أما المجالس الأربعة التي بقيت ذات المراتب فسأذكر ما يكون فيها و في هذه الست الحضرات من الحديث في الفصل الثامن في سؤاله ما حديثهم و نجواهم و هذه المجالس أيضا توجد في الحضرة الثانية و الرابعة و أما الحضرة الثالثة فمجالسها ستة مجالس و أما الحضرة الخامسة ففيها أربعة مجالس و أما الحضرة السادسة ففيها مجلسان و هذه كلها مجالس أهل الحديث لا مجالس الشهود إلا عند بعض العارفين فإنه قد تكون مجالس شهود متخيل من خلف حجاب الخيال و أما الاثنا عشر مجلسا الذي لهم على مذهب الترمذي كما قررنا و هي تمام الثمانية و الأربعين مجلسا فحديثهم فيها نذكره عند ذكر الستة و الثلاثين مجلسا في الفصل الثامن إن شاء الله فإن ذلك الفصل سورته

(السؤال السادس) فإن قلت كم عددهم قلنا في الجواب عدد أهل بدر أهل الحديث منهم أربعون نفسا و ما بقي فلهم مجالس الشهود من غير حديث فإن الحديث للحضور مع المعنى الذي يعطيه الكلام لا مع المتكلم إلا أن يكون المتكلم بحيث يتخيله السامع فيجمع بين الحديث و الشهود و لكن ما هو الشهود المطلوب لأهل الأذواق فلا بد أن تكون أنت من حيث أنت للاستفادة عند الحديث و لكن يسمعه لا بعينك بل بظهوره فيك فمن كونك مظهر تسمع و من كونك عينا تكون مظهرا فافهم و قد أشار لسان الخبر الصدق إلى هذا العدد بقوله من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أي كان من الحديث بالله عن الله و الصباح ظهور عين العبد مظهرا لا عينا و بطون عينه في مظهره كبطون الليل عند وجود الصباح و الأربعون إشارة إلى أعيان هؤلاء الأشخاص فهو عين ما قلنا إن أهل الحديث منهم أربعون نفسا فبقي أهل المجالس من غير حديث مائتين و ثلاثة و سبعين نفسا و هم تمام الثلاثمائة و الثلاثة عشر فجلوسهم جلوس مشاهدة للاستفادة من حيث إن أعيانهم مظهر لبصر الحق فيرونه به و هم غيب في ذلك المظهر و تكون استفادتهم من ذلك التجلي استفادة أصحاب الرصد فتعطيهم الأرصاد العلوم من غير حديث لكنه حديث معنوي بدلالات ظاهرة تقوم تلك الدلالات مقام الخطاب بالحروف و الإشارات في عالم الحروف و الإشارات فالغرض الحاصل من هذه المجالس سواء كانت مجالس شهود أو حديث حصول علو ينتقش في عين هذا المظهر من نظر أو سماع و هؤلاء هم المعتنى بهم من أهل الله

(السؤال السابع) فإن قلت بأي شيء استوجبوا هذا على ربهم تبارك و تعالى قلنا في الجواب الأدب الإلهي إنه لا يجب على الله شيء بإيجاب موجب غير نفسه فإن أوجب هو على نفسه أمرا ما فهو الموجب و الوجوب و الموجب عليه لا غيره و لكن إيجابه على نفسه لمن أوجب عليه مثل قوله فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ يعني الرحمة الواسعة فأدخلها تحت التقييد بعد الإطلاق من أجل الوجوب و مثل قوله

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنه الآية فهل هذا كله من حيث مظاهره أو هو وجوب ذاتي لمظاهره من حيث هي مظاهر لا من حيث الأعيان فإن كان للمظاهر فما أوجب على نفسه إلا لنفسه فلا يدخل تحت حد الواجب ما هو وجوب على هذه الصفة فإن الشيء لا يذم نفسه و إن كان للاعيان القابلة أن تكون مظاهر كان وجوبه لغيره إذ الأعيان غيره و المظاهر هويته فقل بعد هذا البيان ما شئت في الجواب و يكون الجواب بحسب ما قيده الموجب فاستوجبوا ذلك على ربهم في موطن بكونهم يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ على مفهوم الزكاة لغة و شرعا وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فهؤلاء طائفة مخصوصة و هم أهل الكتاب فخرج من ليس بأهل الكتاب من هذا التقييد الوجوبي و بقي الحق عنده من كونه رحمانا على الإطلاق و استوجبت طائفة أخرى ذلك على ربها أَنَّهُ من عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فقيد بالجهالة فإن لم يجهل لم يدخل في هذا التقييد و بقيت الرحمة في حقه مطلقة ينتظرها من عين المنة التي منها كان وجوده أي منها كان مظهرا للحق لتتميز عينه في حال اتصافها بالعدم عن العدم المطلق الذي لا عين فيه ألا ترى إبليس كيف قال لسهل في هذا الفصل يا سهل التقييد صفتك لا صفته فلم ينحجب بتقييد الجهالة و التقوى عما يستحقه من الإطلاق فلا وجوب عليه مطلقا أصلا فمهما رأيت الوجوب فاعلم إن التقييد يصحبه و أما من رأى أنهم استوجبوا ذلك على ربهم من غير ما ذكره تعالى عن نفسه فقالوا ببذلهم مراكبهم في زمان الزيادة طلبا للمواصلة و إيثار الجناب الحق في زعمهم و إن كان في ذلك نقص فهو عين الكمال التام بهذه المراعاة فهذا عندي مثل ما قال الشاعر لعمر بن الخطاب حين حبسه

ما ذا تقول لأفراخ بذي مرح — حمر الحواصل لا ماء و لا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة — فاغفر هداك مليك الناس يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها — لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

فإن كانوا بذلوا مراكبهم عن طلب إلهي يقتضي ذلك وجوبا إلهيا كان مثل الأول فإنه لو لم يرد عنه تعالى الوجوب على نفسه لم نقل به فإنه سوء أدب من العبد أن يوجب على سيده غير إن هنا لطيفة دقيقة لا يشعر بها كثير من العارفين بهذه المجالس و ذلك أنه كما نطلبه لوجود أعياننا يطلبنا لظهور مظاهره فلا مظهر له إلا نحن و لا ظهور لنا إلا به فيه عرفنا أنفسنا و عرفناه و بنا تحقق عين ما يستحقه الإله

فلولاه لما كنا — و لو لا نحن ما كانا
فإن قلنا بأنا هو — يكون الحق إيانا
فأبدانا و أخفاه — و أبداه و أخفانا

فكان الحق أكوانا و كنا نحن أعيانا
فيظهرنا لنظهره سرارا ثم إعلانا

فلما وقفوا على هذه الحقائق من نفوسهم و نفوس الأعيان سواهم تميزوا على من سواهم بأن علموا منهم ما لم يعلموا من أنفسهم و اطلع الحق على قلوبهم فرأى ما تجلت به مما أعطتها العناية الإلهية و سابقة القدم الرباني استوجبوا على ربهم ما استوجبوه من أن يكونوا أهلا لهذه المجالس الثمانية و الأربعين

(السؤال الثامن) فإن قلت عن أهل هذه المجالس ما حديثهم و نجواهم قلنا في الجواب بحسب الاسم الذي يقيمهم فلا يتعين علينا تعيينه و لكن الأصول الإلهية محفوظة و ذلك أن حديث أهل الحضرة الأولى في مجالستهم فيها و المجلس الأول الذي بين المثلين من اسمه الظاهر و المبدئ و الباعث و كل اسم يعطي البروز و وجود الأعيان تحادث الحق فيه بلسان حياة الأرواح و حياة إلهيا كل السفلية في البرازخ و عالم الحس و المحسوس و العقل و المعقول و بلسان من ضاع عن الطريق و انجبر إليه بعد ما انكسر خاطره و خاف الفوت و بلسان أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أي بين أنه أعطى كل شيء خلقه ففرق بين قوله وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ و قوله له بعينه فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا من حَوْلِكَ و قال لموسى و ها رون فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ليقابل به غلاظة فرعون فينكسر لعدم المقاوم إذ لم يجد قوة تصادم غلاظته فعاد أثرها عليه فأهلكته بالغرق فباللين هلك فرعون ف أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ في وقته فيحدث نشأة الإنسان مع الأنفاس و لا يشعر و هو قوله تعالى وَ نُنْشِئَكُمْ في ما لا تَعْلَمُونَ يعني مع الأنفاس و في كل نفس له فينا إنشاء جديد بنشأة جديدة و من لا علم له بهذا فهو في لَبْسٍ من خَلْقٍ جَدِيدٍ لأن الحس يحجبه بالصورة التي لم يحس بتغييرها مع ثبوت عين القابل للتغيير مع الأنفاس و بلسان طلب الاستقامة في المزاج ليصح نظر العقل في فكره و مزاج الحواس فيما تنقل إليه و مزاج القوي الباطنة فيما تؤديه من الأمور للعقل فإنه إذا اختل المزاج ضعفت الإدراكات عن صحة النقل فنقلت بحسب ما له انتقلت فكانت الشبه و المغالط فعقل العقل للجهل علما فيصير العدم وجود أو بلسان إزاحة الأمور التي توجب عدم المواصلة و المراسلة ففي الحضرة الأولى أربعة مجالس مما تشاكل ما ذكرناه و مثلها في الثانية و الرابعة و أما في الحضرة الثالثة من هذه المجالس فثلاثة و في الخامسة اثنان و في السادسة واحدة على هذه المشاكلة لكن في كل حضرة فنون مختلفة و لكن لا تخرج عن هذا الأسلوب و أما مجالس الراحات في الحضرة الأولى و الثانية و الرابعة هي ستة مجالس فيها أحاديث معنوية عن مشاهدة كما قيل

تكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت و الهوى يتكلم

و كما قلنا في هذا الشكل

والهوى بيننا يسوق حديثا طيبا مطربا بغير لسان

و هي المجالس التي بين الضدين يحصل منها علم للاعتماد و الكشف عن الساق و البرزخ الذي بين الضدين كالفاتر بين الحار و البارد و كالإسماع بين المخافتة و الجهر و كالتبسم بين الضحك و البكاء و كل ضدين بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فهو مجلس راحة و ليس بين النفي و الإثبات برزخ وجودي فصاحبه ينقطع في الحال لأحد الطرفين لأنه لا يجد حيث يستريح فالبرازخ مواطن الراحات أ لا ترى أن الله جعل النوم سباتا أي راحة لأنه بين الضدين الموت و الحياة فالنائم لا حي و لا ميت فأمثال هذه العلوم هي التي يقع بها الحديث لهم و نجواهم و في الحضرة الثالثة و الخامسة مجلس واحد في كل حضرة و الحضرة السادسة لا مجلس فيها من مجالس الراحة و أما مجالس الفصل بين العبد و الرب فقد ذكرنا من حديثه طرفا آنفا في السؤال الرابع من هذه السؤالات و أما لحضرة السادسة و الخامسة فليس فيهما من هذه المجالس مجلس البتة و أما مجالس الفصل الثاني بين العبد و الرب فهي ستة مجالس لا سابع لها في كل حضرة من الست مجالس واحد يفصل به بين العبد و الرب من حيث ما هو العبد عبد و من حيث ما هو الرب رب و مجالس الفصل الأول بين العبد و الرب من حيث ما هو عبد لهذا الرب و من حيث ما هو رب لهذا العبد فهو فصل في عين وصل و هذه المجالس الأخر فصل في فصول لا وصل فيها فيحصل له ما يشاء كل هذا الفن من العلم الإلهي إذ كنت لا تعلمه إلا من نفسك و لا تعلم نفسك إلا منه فهو يشبه الدور و لا دور بل هو علم محقق و أما الاثنا عشر مجلسا التي يراها الترمذي الحكيم صاحب هذه السؤالات و بها تكمل الثمانية و الأربعون من المجالس فإن الأرواح العلوية لا تعلمها و ليس لها فيها قدم مع الله و هي مخصوصة بنا من أجل الدعوى فإذا تجسدت الأرواح العلوية تبعت الدعوى جسديتها فربما تدعى فإن ادعت ابتليت و في قصة آدم و الملائكة تحقيق ما ذكرناه فابتليت بالسجود جبرا لما أخذت من طهارتها الدعوى فكان ذلك للملائكة كالسهو في الصلاة للمصلي فأمر المصلي أن يسجد لسهوه كذلك أمرت الملائكة أن تسجد لدعواها فإن الدعوى سهو في حقها فكان ذلك ترغيما للدعوى لا لهم كما كان سجود السهو منا ترغيما للشيطان لا لنا فاعلم ذلك فأما هذه المجالس الاثنا عشر فستة منها تلتحق بالمجلس الذي بين المثلين و الستة الباقية تلتحق بمجالس الفصل الثاني بين العبد من حيث ما هو عبد و بين الرب من حيث ما هو رب لكن تختلف الأذواق في ذلك آيات هذا السؤال من القرآن لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ و قوله وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ و قوله فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ و قوله وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ إلى آخرها و المدار على القطب

انتهى الجزء الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال التاسع) فإن قلت فبأي شيء يفتتحون المناجاة قلنا في الجواب بحسب الباعث و الداعي لها و ذلك أن الحق إذا أجلسهم هذه المجالس التي ذكرناها فإنما يجلسهم الحق فيها بعد قرع و فتح و استفتاح و ذلك إنهم سمعوا الحق يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ثم قال أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ و قال في إنزال الرسول منزلة الحق نفسه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ و قال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ لأنه به يدعو إليه سبحانه و قال صلى الله عليه و سلم الكلمة الطيبة صدقة و قال يصبح على كل سلامي من ابن آدم صدقة و أفضل الصدقات تصدق الإنسان بنفسه و أفضل ما يخرجها عليه من يخرجها على نفسه فإذا إذا أراد العبد نجوى ربه فليقدم بين يدي نجواه نفسه لنفسه فإن النجوى سامع و متكلم و العبد إن لم يكن الحق سمعه فمن المحال أن يطيق فهم كلام الله و إن لم يكن الحق لسان العبد عند النجوى فمن المحال أن تكون نجواه صادقة الصدق الذي ينبغي أن يخاطب به الله فاذن الحق ناجى نفسه بنفسه و العبد محل الاستفادة لأنها أمور وجودية و الوجود كله هو عينه و العبد يصدق بنفسه على نفسه لأنها أفضل الصدقات استفتاحا لنجوى ربه فكانت المناسبة بين النجوى و ما افتتحت به كون الصدقة رجعت إليه و كون الحق كانت نجواه بينه و بينه فما سمع الحق إلا الحق و لا تصدق العبد إلا على العبد فصحت الأهلية فمن كان استفتاحه هكذا كان من أهل المجالس و الحديث و أما مذهب الترمذي فإن الذي يفتتحون به المناجاة إنما هو تلبسهم بالكبرياء ثم يتعرون من بعضه بوجه خاص و يبقون عليهم ما يليق أن يسمع به كلام الحق و يكلم به الحق لتصح النجوى فيكون الابتداء من العبد فيكون له الأولية في هذا الموطن و هو وجه صحيح و هذا هو الباعث الوضعي و الذي ذكرناه أولا هو الباعث الذاتي فإن نجوى هذه الطائفة في هذا الحال بمنزلة الصلاة في العامة فإنه من هذه الحضرة التي ذكرناها خرج التكليف بها على السنة الرسل للعباد و شرع فيها التكبير لما ذكرناه و الصلاة مناجاة و من أهل الله من يجعل عاقبة الأمور استفتاحا فيردها أولا إذ كان المطلوب عين العواقب كمن يطلب الاستظلال فأول ما يقع عنده وجود السقف و هو آخر ما يقع به الفعل لأن وجوده موقوف على وجود أشياء فإذا كان من الأمور التي لا توقف لوجودها على شيء كان عين العاقبة عين السابقة فيكون استفتاح العمل بالعاقبة و هي طريقة عجيبة عملنا عليها و ناجينا بها في هذا المقام و لكن لا بد أن تكون النجوى كما قررنا بسمع الحق و كلام الحق لأن الحقيقة تأبى أن يكلمه غير نفسه أو يسمعه غير نفسه فقد أعلمتك بما ذا يفتتحون المناجاة أهل المجالس و الحديث

(السؤال العاشر) فإن قلت بأي شيء يختمونها فلنقل في الجواب بالمنزلة التي تعطيهم ذلك الاستفتاح و الافتتاح مختلف فالختام مختلف أيضا فلا يتقيد غير أنه ثم أمر جامع و هو الوقفة بين الاسمين بين الاسم الذي ينفصل عنه و بين الاسم الذي يأخذ منه فإن بينهما اسما إلهيا خفيا به يقع الختم و لا يشعر به إلا أهل المجالس و الحديث و هو وجود سار في جميع الموجودات لكن لا يشعر به لدقته كالخط الفاصل بين الظل و الشمس يعقل و لا يدرك بالحس و هي الحدود بين الأشياء لها لكل من هي بينهما وجه خاص مع كونها لا تنقسم فهي بذاتها مع كل محدود و لهذا يعز العثور على الحدود الذاتية بخلاف الحدود الرسمية و اللفظية التي بأيدي العلماء فقد يكون ذلك الذي يختم به دليل كون و قد يكون دليل عين و قد يكون دليل ذات لا تقبل المظاهر و هذا أعلى ما تختم به النجوى عندهم و دونه دليل كون و هو ما يعطي مظهرا ما و دونه دليل عين و هو الذي لا يقبل التغيير و هو المعبر عنه بباطن المظهر و اعلم أن الأمر في النجوى دائرة تنعطف بطلب أولها فيكون عين الختم هو عين الافتتاح فتنقسم بين أول و آخر و ظاهر و باطن فإذا ابتدأ فهو الظاهر فإذا انتهى صار الظاهر باطنا و عاد الباطن ظاهرا فإن الحكم له فيبطن الختم في الافتتاح عند البدء و يبطن الافتتاح في الختام عند النهاية قيل في رسول الله صلى الله عليه و سلم إنه خاتم النبيين فبطن بظهور ختمه كونه نبيا و آدم بين الماء و الطين و لما ظهر كونه نبيا و آدم بين الماء و الطين و استفتح به مراتب البشر كان كونه خاتم النبيين باطنا في ذلك الظهور و أما الإلهية فالوجود منه وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ بينهما وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فيهما وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ حيث أنتم مظاهر أسمائه الحسنى و بها تسعدون و تشقون وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ فسلم الأمر إليه و استسلم تكن موافقا لما هو الأمر عليه في نفسه فتستريح من تعب الدعوى بين الافتتاح و الختم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الحادي عشر) بما ذا يجابون الجواب بحسب حالهم و وقتهم و حالهم و وقتهم بحسب الاسم الذي هو الحاكم فيهم بين الافتتاح و الختم فإنه بين الختم و الافتتاح تكون أسماء كثيرة إلهية هي الناطقة في تلك الأعيان من أهل المجالس و الحديث فيكون الجواب بحسب ما وقع به حكم الاسم و لكن ما يجابون إلا باسم و لا بد فإن كان الحديث معنويا عن شهود فقد يقع الجواب بالذات معراة من الأسماء و هو بمنزلة المجاز من الحقيقة و يجتمع هذا مع الحديث في الإفادة و الاستفادة فمن راعى الاستفادة و الإفادة ألحق هذا المقام بأهل المجالس و الحديث و هو الذي قصده الترمذي لكونه قال أهل المجالس و الحديث و لم يقل أهل الحديث خاصة و من الناس من لا يراعي سوى الحديث فلا يجعل في هذه الحضرة حكما لحديث معنوي حالي فإنه يقول مطلبي الحقائق و لكنه صاحب هذا القول كأنه غير محقق و ما أوقعه في ذلك إلا تقيد الحديث بالألفاظ و أما نحن فعلى مذهب الترمذي في ذلك فإنا ذقناه في المجالسة حديثا معنويا في غاية الإفهام معرى عن الاحتمال و الإجمال بل هو تفصيل محقق في عين واحدة و هو الذي يعول عليه في هذا الفصل

(السؤال الثاني عشر) كيف يكون صفة سيرهم يعني إلى هذه المجالس و الحديث ابتدأ قلنا في الجواب بالهمم المجردة عن السوي و بسط ذلك ما نقول و هو أن الأمور المعنوية التي لا تقبل المواد و لا تحددها لا يصح السير إلى تحصيلها أو تحصيل ما يكون منها بقطع المسافات و تذريع المساحات لكن قد يقترن بالهمة حركات مادية مبناها على علم أو إيمان بشرط التوحيد فيهما فأما سيرهم من حيث ما هم علماء فبتصفية النفوس من كدورات الطبيعة و اتخاذ الخلوات لتفريغ القلوب عن الخواطر المتعلقة بأجزاء الكون الحاصلة من إرسال الحواس في المحسوسات فتملئ خزانة الخيال فتصور القوة المصور منها بحسب ما تعشقت به من ذلك فتكون هذه الصور حائلة بينه و بين حصول هذه المرتبة الإلهية فيجنحون إلى الخلوات و الأذكار على جهة المدح لمن بيده الملكوت فإذا صفت النفس و ارتفع الحجاب الطبيعي الذي بينها و بين عالم الملكوت انطبع في مرآتها جميع ما في صور عالم الملكوت من العلوم المنقوشة فيطلع الملأ الأعلى على هذه النفس التي هي بهذه المثابة فيرى فيها ما عنده فيتخذها مجلى ظهور ما فيه فيكون الملأ الأعلى معينا له أيضا على استدامة ذلك الصفاء و يحول بينه و بين ما يقتضيه حجاب الطبع فتتلقى هذه النفس من العالم العلوي بقدر مناسبتها منهم من العلم بالله فيؤديهم ذلك العلم إلى التلقي من الفيض الإلهي و لكن بوساطة الأرواح النورية لا بد من ذلك فيسمون ذلك سيرا و لا بد من تجريد الهمم في الطلب لذلك و لو لا تعلق الهمة بتحصيل ما تقرر عندها مجملا ما صح له توجه إلى الملإ الأعلى فإن اتفق أن يكون هذا الرجل في سيره مع علمه مؤمنا أو يكون صاحب إيمان من غير علم فإن همته لا تتعلق إلا بالله فإن الايمان لا يدله إلا على الله و العلم إنما يدله على الوسائط و ترتيب الحكمة المعتادة في العالم فصفة سير أصحاب الايمان ما لهم طريق إلى ذلك إلا بعزائم الأمور المشروعة من حيث ما هي مشروعة و هم على قسمين طائفة منهم قد ربطت همتها على أن الرسول إنما جاء منبها و معلما بالطريق الموصلة إلى جناب الحق تعالى فإذا أعطى العلم بذلك زال من الطريق و خلى بينهم و بين الله فهؤلاء إذا سارعوا أو سابقوا إلى الخيرات و في الخيرات لم يروا إمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم و انفردوا إلى الحق كرابعة العدوية فهؤلاء إذا حصلوا في المجالس و الحديث خاطبهم الحق بالكلام الإلهي من غير وساطة لسان معين و أما الطائفة الأخرى فهم قوم جعلوا في نفوسهم أنهم لا سبيل لهم إليه تعالى إلا و الرسول هو الحاجب فلا يشهدون منه أمرا إلا و يرون في سيرهم قدم الرسول بين أيديهم و لا يخاطبهم إلا بلسانه و لغته كمحمد الأواني قال تركت الكل ورائي و جئت إليه فرأيت أمامي قدما فغرت و قلت لمن هذا اعتمادا مني إنه ما سبقني أحد و إني من أهل الرعيل الأول فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن روعي و الحالة الأولى هي حالة عبد القادر و أبي السعود بن الشبل و رابعة العدوية و من جرى مجراهم و أصحاب الايمان إذا كانوا علماء جمع لهم بين الأمرين فهم أكمل الرجال بشرط أنهم إذا ساروا إليه و أخذوا مجالسهم عنده بالحديث

المعنوي كما تقدم و حديث السمع رأوا سريان سره تعالى في الموجودات من قوله من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا و من كونه ينزل إلى السماء الدنيا التي لا أقرب منها فإنها أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ فالتحق عنده عالم الطبع بالعالم الروحاني و عاد الوجود عنده كله ملأ أعلى و مكانة زلفى فلم يحجبه كون و لا شغله عين و استوى عنده الأين و عدم الأين و كان و ما كان فرآه في الحجاب و العسس و سمع كلامه و حديثه في الغث و الجرس هذا صفة سيرهم على طبقاتهم و منهم من كان سيره فيه بأسمائه فهو صاحب سير منه و إليه و فيه و به فهو سائر في وقوفه و واقف في سيره و الخضر و الأفراد من أهل هذا المقام و من هنا كانت قرة عينه صلى الله عليه و سلم في الصلاة لأنه مناج مع اختلاف الحالات المحصورة من قيام و ركوع و سجود و جلوس ما ثم أكثر من هذه الأركان و هي حالات تربيع روحاني فأشبهت العناصر في التربيع فحدثت صور المعاني من امتزاج هذه الحالات الأربعة كما حدثت صور المولدات الجسمية الطبيعية من امتزاج هذه العناصر

(السؤال الثالث عشر) فإن قلت و من الذي يستحق خاتم الأولياء كما يستحق محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبوة فلنقل في الجواب الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية و ختم يختم الله به الولاية المحمدية فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة و قد حيل بينه و بين نبوة التشريع و الرسالة فينزل في آخر الزمان وارثا خاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما أن محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده و إن كان بعده مثل عيسى من أولي العزم من الرسل و خواص الأنبياء و لكن زال حكمه من هذا المقام لحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فينزل وليا ذا نبوة مطلقة يشركه فيها الأولياء المحمديون فهو منا و هو سيدنا فكان أول هذا الأمر نبي و هو آدم و آخره نبي و هو عيسى أعني نبوة الاختصاص فيكون له يوم القيامة حشران حشر معنا و حشر مع الرسل و حشر مع الأنبياء و أما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلا و يدا و هو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس و تسعين و خمسمائة و رأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده و كشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه و هو خاتم النبوة المطلقة لا يعلمها كثير من الناس و قد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به و كما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه و سلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم و موسى و عيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي و بعده فلا يوجد ولي على قلب محمد صلى الله عليه و سلم هذا معنى خاتم الولاية المحمدية و أما ختم الولاية العامة الذي لا يوجد بعده

ولي فهو عيسى عليه السلام و لقينا جماعة ممن هو على قلب عيسى عليه السلام و غيره من الرسل عليهم السلام و قد جمعت بين صاحبي عبد الله و إسماعيل بن سودكين و بين هذا الختم و دعا لهما و انتفعا به و الحمد لله

(السؤال الرابع عشر) بأي صفة يكون ذلك المستحق لذلك الجواب بصفة الأمانة و بيده مفاتيح الأنفاس و حالة التجريد و الحركة و هذا هو نعت عيسى عليه السلام كان يحيى بالنفخ و كان من زهاد الرسل و كانت له السياحة و كان حافظا للامانة مؤديا لها و لهذا عادته اليهود و لم تأخذه في الله لومة لائم كنت كثير الاجتماع به في الوقائع و على يده تبت و دعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا و في الآخرة و دعاني بالحبيب و أمرني بالزهد و التجريد و أما الصفة التي استحق بها خاتم الولاية المحمدية أن يكون خاتما فبتمام مكارم الأخلاق مع الله و جميع ما حصل للناس من جهته من الأخلاق فمن كون ذلك الخلق موافقا لتصريف الأخلاق مع الله و إنما كان ذلك كذلك لأن الأغراض مختلفة و مكارم الأخلاق عند من يتخلق بها معه عبارة عن موافقة غرضه سواء حمد ذلك عند غيره أو ذم فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل الذي هو عنده جميل نظر في ذلك نظر الحكيم الذي يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي فنظر في الموجودات فلم يجد صاحبا مثل الحق و لا صحبة أحسن من صحبته و رأى أن السعادة في معاملته و موافقة إرادته فنظر فيما حده و شرعه فوقف عنده و اتبعه و كان من جملة ما شرعه أن علمه كيف يعاشر ما سوى الله من ملك مطهر و رسول مكرم و إمام جعل الله أمور الخلق بيده من خليفة إلى عريف و صاحب و صاحبة و قرابة و ولد و خادم و دابة و حيوان و نبات و جماد في ذات و عرض و ملك إذا كان ممن يملك فراعى جميع من ذكرناه بمراعاة الصاحب الحق فما صرف الأخلاق إلا مع سيده فلما كان بهذه المثابة قيل فيه مثل ما قيل في رسوله وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ قالت عائشة كان القرآن خلقه يحمد ما حمد الله و يذم ما ذم الله بلسان حق في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فلما طابت أعراقه و عم العالم أخلاقه و وصلت إلى جميع الآفاق أرفاقه استحق أن يختم بمن هذه صفته الولاية المحمدية من قوله وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ جعلنا الله ممن مهد له سبيل هداه و وفقه للمشي عليه و هداه

(السؤال الخامس عشر) فإن قلت ما سبب الخاتم و معناه فلنقل في الجواب كمال المقام سببه و المنع و الحجر معناه و ذلك أن الدنيا لما كان لها بدء و نهاية و هو ختمها قضى الله سبحانه أن يكون جميع ما فيها بحسب نعتها له بدء و ختام و كان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع فختم الله هذا التنزيل بشرع محمد صلى الله عليه و سلم فكان خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً و كان من جملة ما فيها الولاية العامة و لها بدء من آدم فختمها الله بعيسى فكان الختم يضاهي البدء إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ فختم بمثل ما به بدأ فكان البدء لهذا الأمر بنبي مطلق و ختم به أيضا و لما كانت أحكام محمد صلى الله عليه و سلم عند الله تخالف أحكام سائر الأنبياء و

الرسل في البعث العام و تحليل الغنائم و طها رة الأرض و تصحب الوجود و كيف تصحبه و الوجوب لهذا الوجود ذاتي و لا ذوق للعين الممكنة في الوجوب الذاتي فهو يقتضيها فيصح إن يكون معها و هي لا تقتضيه فلا يصح اتخاذها مسجدا و أوتي جوامع الكلم و نصر بالمعنى و هو الرعب و أوتي مفاتيح خزائن الأرض و ختمت به النبوة عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي فأنزل في الدنيا من مقام اختصاصه و استحق أن يكون لولايته الخاصة ختم يواطئ اسمه اسمه صلى الله عليه و سلم و يحوز خلقه و ما هو بالمهدي المسمى المعروف المنتظر فإن ذلك من سلالته و عترته و الختم ليس من سلالته الحسية و لكنه من سلالة أعراقه و أخلاقه صلى الله عليه و سلم أما سمعت الله يقول فيما أشرنا إليه وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ و جميع أنواع المخلوقات في الدنيا أمم و قال كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى في أثر قوله يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فجعل لها ختاما و هو انتهاء مدة الأجل وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فما من نوع إلا و هو أمة فافهم ما بيناه لك فإنه من أسرار العالم المخزونة التي لا تعرف إلا من طريق الكشف و الله يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(السؤال السادس عشر) كم مجالس ملك الملك الجواب على عدد الحقائق الملكية و النارية و الإنسانية و استحقاقاتها الداعية لإجابة الحق فيما سألته منه بسط ذلك اعلم أولا أنه لا بد من معرفة ملك الملك ما أرادوا به ثم بعد هذا تعرف كمية مجالسه إن كان لها كمية محصورة فالملك هو الذي يقضي فيه مالكه و مليكه بما شاء و لا يمتنع عنه جبرا فيسمى كرها أو اختيارا فيسمى طوعا قال تعالى وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً و المأمور هو الملك و الآمر هو المالك و لا بد من أخذ الإرادة في حد الأمر لأنه اقتضاء و طلب من الآمر بالمأمور سواء كان المأمور دونه أو مثله أو أعلى و فرق الناس بين أمر الدون و بين أمر الأعلى فسموا أمر الدون إذا أمر الأعلى طلبا و سؤالا مثل قوله تعالى اهْدِنَا فلا يشك إنه أمر من العبد لله فسمي دعاء و إذا فهمت هذا و علمت أن المأمور هو بالنسبة إلى الآمر ملكا و الآمر مليك ثم رأيت المأمور و قد امتثل أمر آمره و أجابه فيما سأل منه أو اعترف بأنه يجيبه إذا دعاه لما يدعوه إليه إن كان المدعو أعلى منه فقد صير نفسه هذا الأعلى ملكا لهذا الدون و هذا الدون هو تحت حكم هذا الأعلى و حيطته و قهره و قدرته و أمره فهو ملكه بلا شك و قد قررنا أن الدون الذي هو بهذه المثابة قد يأمر سيده فيجيبه السيد لأمره فيصير بتلك الإجابة ملكا له و إن كان عن اختيار منه فيصح أن يقال في السيد إنه ملك الملك لأنه أجاب أمر عبده و عبده ملك له و من أمر فأجاب فقد صح عليه اسم المأمور و هو معنى الملك فإذا أجاب السيد أمر عبده و هو ملك فبإجابته صير نفسه ملك ملكه و هذا غاية النزول الإلهي لعبده إذ قال له ادعوني أستجب لك فيقول له العبد اغفر لي ارحمني انصرني أجبرني فيفعل و يقول

الله له ادعني أقم الصلاة ائت الزكاة اصْبِرُوا رابِطُوا جاهِدُوا فيطيع و يعصي و أما الحق سبحانه فيجيب عبده لما دعاه إليه بشرط تفرغه لدعائه و قد يكون أثر المؤثر فعلا من غير أمر كالعبد يعصي فيثير كونه عاصيا غضبا في نفس السيد فيوقع به العقوبة فقد جعل العبد سيده يعاقبه بمعصيته و لو لم يعصه ما ظهر من السيد ما ظهر أو يغفر له و كذلك في الطاعة يثيبه فيكون من هذه النسبة أيضا ملك الملك أي ملكا لمن هو ملكه و بهذا وردت الشرائع كلها و أما قوله كم مجالسه فإنها لا تنحصر عقلا فإنها حالة دوام من سيد لعبد و من عبد إلى سيد فسؤاله لا يخلو إما أن يريد ما قلنا من أنها لا تنحصر عقلا فإن أجاب بانحصا ر في كمية معلومة علم أنه لا علم عنده أو يريد مجالسه من حيث ما شرع فهي مجالس في الدنيا محصورة و في الآخرة غير محصورة لأن الآثا ر الواقعة في الآخرة كلها أصلها من الشرائع فلا ينفك حكم الشرع في الدنيا و الآخرة فإن الخلود في الدا رين من حكم الشرع و ما يكون من الحق فيهم من حكم الشرع فإذا مجالس ملك الملك من جهة الشرع لا تنحصر فإن أراد السائل عن هذا حالة الدنيا خاصة فعددها عدد أنفاس الخلائق عقلا و إن أراد ما اقترن به الأمر من العبد خاصة فعلى قد ر ما دعا العبد ربه من حيث ما أمره أن يدعوه به و هي من كل داع بحسب ما سبق في علم الله من تكليفه لكل عين عبد أن يدعوه و خلق الله الذين هم بهذه المثابة يفوتون التلفظ باسم العدد الذي يحصرهم فإنه يدخل في ذلك الملائكة و الجن و الإنس فحصر كمياتها ما دام زمان الدنيا إلى أن ينقضي في حق الملك و الجن و الإنس محصور الكمية غير متصور التلفظ به لأنه قال وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و هم من الملك الذي يدعو ربه فيصيره بدعائه ملكا له فكمياتها و إن كانت محصورة فهي غير معلومة و إن علمت فهي غير مقدورة للتلفظ بها لما في ذلك من المشقة و لكن من وقف على ما رقم في اللوح المحفوظ عرف كمياتها بلا شك و إن تعذ ر النطق بها فمن كل وجه لا يتصور الجواب عنها بأكثر من هذا و إنما جعله الترمذي على سبيل الامتحان فإنه جاء بمسائل لا يصح الجواب عنها ليعلم أن المسئول إذا أجاب عنها أنه مبطل في دعواه علم ذلك إذ لو علم ذلك لكان من علمه به أنه مما لا يجاب عنه فيعلم صدق دعواه و سيأتي من ذلك ما تقف عليه في هذه السؤالات إن شاء الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال السابع عشر) بأي شيء حظ كل رسول من ربه الجواب عن هذا لا يتصور لأن كلام أهل طريق الله عن ذوق و لا ذوق لأحد في نصيب كل رسول من الله لأن أذواق الرسل مخصوصة بالرسل و أذواق الأنبياء مخصوصة بالأنبياء و أذواق الأولياء مخصوصة بالأولياء فبعض الرسل عنده الأذواق الثلاثة لأنه ولي و نبي و رسول قال الخضر لموسى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً و الخبر الذوق و قال له أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا هذا هو الذوق حضرت في مجلس فيه جماعة من العا رفين فسأل بعضهم بعضا من أي مقام سأل موسى الرؤية فقال له الآخر من مقام الشوق فقلت له لا تفعل أصل الطريق أن نهايات الأولياء

بدايات الأنبياء فلا ذوق للولي في حال من أحوال أنبياء الشرائع فلا ذوق لهم فيه و من أصولنا إنا لا نتكلم إلا عن ذوق و نحن لسنا برسل و لا أنبياء شريعة فبأي شيء نعرف من أي مقام سأل موسى الرؤية ربه نعم لو سألها ولي أمكنك الجواب فإن في الإمكان أن يكون لك ذلك الذوق و قد علمنا من باب الذوق أن ذوق مقام الرسل لغير الرسل ممنوع فالتحق وجوده بالمحال العقلي لأن الذات لا تقتضي إلا هذا الترتيب الخاص أو سبق العلم كيف شئت فقل فإن أراد السؤال عن السبب الذي اقتضى لذلك الرسول هذا الحظ الذي انفرد به فقد قال صاحب المحاسن ليس بينه و بين عباده نسب إلا العناية و لا سبب إلا الحكم و لا وقت غير الأزل و ما بقي فعمى و تلبيس و اعلم أن السبب العام الذي عين المراتب العلية لأربابها إنما هو العناية الإلهية و هو قوله تعالى وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ و أما السبب الخاص لهذا الرسول للحظ الخاص الذي له من ربه فيحتاج ذكره إلى ذكر كل رسول باسمه و حينئذ نذكر سببه و رسل الله في البشر محصورون و في الملائكة غير محصورين عندنا لكن من شرط أهل هذه الطريقة إذا ادعوا هذه المعرفة فلا بد أن يعرفوا السبب عند تعين الرسول بالذكر و لكن هو من الأسباب التي لا نذاع لئلا يتعب الخلق أو يتخيل الضعيف الرأي أن الرسالة تكتسب بذلك السبب إذا علم فيؤدي ذكر ذلك إلى فساد في العالم فيحفظ عليه الأمناء و أيضا فلا فائدة في إظهاره فإنه بكونه رسولا خص به لأنه كان رسولا بل هو رسول بأمر عام يجتمع فيه المرسلون قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ فكل واحد منهم فاضل مفضول و هو مذهب الجماعة و قد بين هذا أبو القاسم ابن قسي في خلع النعلين و هو قوله وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ فخص آدم بعلم الأسماء الإلهية التي طوى علمها عن الملائكة فلم تسبح الله بها حتى استفادتها من آدم و خص موسى بالكلام و التوراة من حيث إن الله كتبها بيده قبل أن يخلق آدم بأربع آلاف سنة و خص رسول الله صلى الله عليه و سلم بما ذكر عن نفسه من أنه أوتي جوامع الكلم و خص عيسى بكونه روحا و أضاف النفخ إليه فيما خلقه من الطين و لم يضف نفخا في إعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى إما بالنون أو بالتاء التي هي ضمير المتكلم عن نفسه و هذا و إن كانت كلها منصوصا عليها إنها حصلت لهم فليس بمنصوص الاختصاص بها و لكنه معلوم من جهة الكشف و الاطلاع

(السؤال الثامن عشر) أين مقام الرسل من مقام الأنبياء الجواب هو بالإزاء إلا أنه في المقام الرابع من المراتب فإن المراتب أربع التي تعطي السعادة للإنسان و هي الايمان و الولاية و النبوة و الرسالة و أما من مقام الأنبياء فهم من أنبياء التشريع في الرتبة الثانية و من مقام الأنبياء في الرتبة الثالثة و العلم من شرائط الولاية و ليس من شرطها الايمان فإن الايمان مستنده الخبر فلا يحتاج إليه مع الخبر إما بالمحال كالأبنية لله أو بالإمكان و هو الإخبار ببعض المغيبات التي يمكن أن ينسب إليها المخبر ما نسب فأول مرتبة العلماء بتوحيد الله الأولياء فإن الله ما

اتخذ وليا جاهلا و هذه مسألة عظيمة أغفلها علماء الرسوم فإنه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان و هو المقام الأول ثم النبوة ثم الرسالة ثم الايمان فهي فينا أعني مرتبة الولاية على ما رتبناه و هي هناك ولاية ثم إيمان ثم نبوة ثم رسالة و عند علماء الرسوم و عامة الناس الخارجين عن الطريق الخاص المرتبة الأولى إيمان ثم ولاية ثم نبوة ثم رسالة فأجبنا فيها على ما تعرفه العامة و علماء الرسوم و بينا المراتب كيف هي بالنظر إلى جهات مختلفة فالموحدون بأي وجه كان أولياء الله تعالى فإنهم حازوا أشرف المراتب التي شرك الله أصحابها من أجلها مع الله فيها فقال شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ففصل لتمييز شهادة الحق لنفسه من شهادة من سواه له بما شهد به لنفسه فقال و عطف بالواو وَ الْمَلائِكَةُ فقدم للمجاورة في النسبة من كونه إلها و الجار الأقرب في الشرع و في العرف عند أرباب الكرم و العلم مقدم على الجار إلا بعد بكل وجه إذا اتحدا في ذلك الوجه و في هذا من رحمة الله بخلقه ما لا يقدر قدره إلا العارفون به في قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لا تُبْصِرُونَ فنحن أقرب جار و للجار حق مشروع يعرفه أهل الشريعة و كذلك قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ فينبغي للإنسان أن يحضر هذا الجوار الإلهي عند الموت حتى يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع و هو قوله لنبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ أي الحق الذي شرعته لنا فعاملنا به حتى لا ننكر شيئا منه مما يقتضيه الكرم فلو علم الناس ما في هاتين الآيتين من العناية بالعباد لكانوا على أحوال لا يمكن أن تذاع يقول تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ و قال صلى الله عليه و سلم في مثل هذا المقام أ فلا أكون عبدا شكورا ثم قال تعالى وَأُولُوا الْعِلْمِ يعني من الجن و الإنس و من شاركهم من الأمهات و المولدات العلماء بالله فجعلهم جيران الملائكة لتصح الشفاعة من الملائكة فينا لحق الجوار أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الضمير في أنه يعود على الله من شهد الله فشهادتهم بتوحيده على قدر مراتبهم في ذلك فلذلك فصل بين شهادته لنفسه و شهادة العلماء له ثم قال قائِماً بِالْقِسْطِ أي بالعدل فيما فصل به بين الشهادتين ثم قال بنفسه لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ نظير الشهادة الأولى التي له فحصلت شهادة العالم له بالتوحيد بين شهادتين إلهيتين أحاطتا بها حتى لا يكون للشقاء سبيل إلى القائل بها ثم تمم بقوله الْعَزِيزُ ليعلم أن الشهادة الثالثة له مثل الأولى لاقتران العزة بها أي لا ينالها إلا هو لأنها منيعة الحمى بالعزة و لو كانت هذه الشهادة من الخلق لم تكن منيعة الحمى عن الله فدل إضافة العزة لها على أنها شهادة الله لنفسه و قوله الْحَكِيمُ لوجود هذا الترتيب في إعطاء السعادة لصاحب هذه الشهادة حيث جعلها بين شهادتين منسوبتين إلى الله من حيث الاسم الأول و الآخر و شهادة الخلق بينهما فسبحان من قدر الأشياء مقاديرها و عجز العالم أن يقدروها حق قدرها فكيف أن يقدروا حق قدر من خلقها و هذا الكشف من مقام وراثة الرسول صلى الله عليه و سلم من حيث

رسالته من قوله أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ من اتَّبَعَنِي و هم العلماء بالله من أهل الله الذين أقامهم الحق مقام الرسل في الدعوة إلى الله بلسان حق عن نبوة مطلقة اعتنى بهم في أن وصفهم بها لا نبوة الشرائع بل نبوة حفظ لأمر مشروع على بصيرة من الحافظ لا عن تقليد

(السؤال التاسع عشر) أين مقام الأنبياء من الأولياء الجواب هو خصوص فيه و هو بالإزاء أيضا إلا أنه في المقام الثالث على ما تقدم من المراتب و كان ينبغي أن يكون السؤال عن هذا بتفصيل بين نبوة الشرائع و النبوة المطلقة فهم من الأولياء إذا كانوا أنبياء شريعة في الدرجة الثالثة و إن كانوا في النبوة اللغوية فهم في الدرجة الثانية و اعلم أن الأولياء هم الذين تولاهم الله بنصرته في مقام مجاهدتهم الأعداء الأربعة الهوى و النفس و الدنيا و الشيطان و المعرفة بهؤلاء أركان المعرفة عند المحاسبي و إن كان سؤله عن مقام الأنبياء من الأولياء أي أنبياء الأولياء و هي النبوة التي قلنا إنها لم تنقطع فإنها ليست نبوة الشرائع و كذلك في السؤال عن مقام الرسل الذين هم أنبياء فلنقل في جوابه إن أنبياء الأولياء مقامهم من الحضرات الإلهية الفردانية و الاسم الإلهي الذي تعبدهم الفرد و هم المسمون الأفراد فهذا هو مقام نبوة الولاية لا نبوة الشرائع و أما مقام الرسل الذين هم أنبياء فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به أتباعهم كمحمد صلى الله عليه و سلم فيما قيل له خَالِصَةً لَكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ في النكاح بالهبة فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم و منهم من لا يختصه الله بشيء دون أمته و كذلك الأولياء فيهم أنبياء أي خصوا بعلم لا يحصل إلا لنبي من العلم الإلهي و يكون حكمهم من الله فيما أخبرهم به حكم الملائكة و لهذا قال في نبي الشرائع ما لم تحط به خبرا أي ما هو ذوقك يا موسى مع كونه كليم الله فخرق السفينة و قتل الغلام حكما و أقام الجدار مكارم خلق عن حكم أمر إلهي كخسف البلاد على يدي جبريل و من كان من الملائكة و لهذا كان الأفراد من البشر بمنزلة المهيمين من الملائكة و أنبياؤهم منهم بمنزلة الرسل من الأنبياء

(السؤال العشرون) و أي اسم منحه من أسمائه الجواب سؤالك هذا يحتمل أربعة أمور الواحد أن يكون الضمير المرفوع في منحه يعود على الله الثاني أن يعود على المقام الثالث على الاسم الإلهي الرابع أن يكون الضمير في أسمائه يعود على العبد فيكون الاسم اسم العبد لا اسم الله و كذلك الضمير المنصوب في منحه الذي هو المفعول الثاني هل هو ضمير اسم إلهي أو هل هو المقام فإن كان الضمير المرفوع الله أو المقام فيكون الممنوح الاسم بلا شك و إن كان الضمير المرفوع الله أو الاسم الإلهي أو اسم العبد فيكون المقام هو الممنوح فليكن الضمير المرفوع الله فالممنوح الاسم الإلهي الذي يسمى به العبد في تخلقه أو اسم العبد و هو الأصل في القربة الإلهية فإن العبد لا يتصف بالقرب من الله إلا باسمه قال الله لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي قال يا رب و ما ليس لك قال الذلة و الافتقار و السبب في ذلك أن أصل العبد أن يكون معلولا و لا بد و المعلولية له لذاته و كل معلول فقير ذليل بلا شك لا شفاء يرجى له من هذه العلة فيكون القرب من الله قربا

ذاتيا أصليا و إن كان الممنوح اسما إلهيا ليتخلق به العبد كالاسم الرحيم في موطنه و الاسم الملك المتكبر في موطنه فذلك قرب يعرض له من الشارع الذي عينه له فإن للعبد أسماء يستحقها و أسماء تعرض له مثل الأسماء الإلهية إذا تخلق بها العبد و لله أسماء يستحقها و أسماء عرضت له من تنزله لعقول عباده و هي الأسماء التي هي للعبد بحكم الاستحقاق فهل اتصاف الحق بها يكون تخلقا من الله بأسماء عبده أو تلك الصفات لله حقيقة جهلنا معناها بالنسبة إليه و عرفنا معناها بالنسبة إلينا فيكون العبد متخلقا بها و إن كان يستحقها من وجه معرفته بمعناها إذا نسبت إليه و من كون الباري اتصف بها على طريقة مجهولة عندنا فلا نعرف كيف ننسبها إليه لجهلنا بذاته فتكون أصلا فيه عارضة فينا فلا نستحق شيئا لا من أسمائه و لا مما نعتقد فيها أنها أسماؤنا و هذا موضع حيرة و مزلة قدم إلا لمن كشف الله عن بصيرته و نحن بحمد الله و إن كنا قد علمناها فهي من العلوم التي لا تذاع أصلا و رأسا و بمعرفته بها دعا من دعا إلى الله على بصيرة و هو الشخص الذي هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ يشهد له بصدق البينة التي هو عليها فالفطن يعلم ما سترناه بإعلام الله في قوله وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ هل تلك الأسماء إذا نسبت إلى الله هل تنسب إليه تخلقا أو استحقاقا و إذا نسبت إلى العبد هل تنسب إليه تخلقا كسائر الأسماء الإلهية التي لا خلاف فيها عند العام و الخاص أو تنسب إليه بطريق الاستحقاق فالشاهد المطلوب هنا أن عين العبد لا تستحق شيئا من حيث عينه لأنه ليس بحق أصلا و الحق هو الذي يستحق ما يستحق فجميع الأسماء التي في العالم و يتخيل أنها حق للعبد حق لله فإذا أضيفت إليه و سمي بها على غير وجه الاستحقاق كانت كفرا و كان صاحبها كافرا قال الله تعالى لَقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ فكفروا بالمجموع هذا إذا كان الكفر شرعا فإن كان لغة و لسانا فهو إشارة إلى الأمناء من عباد الله الذين علموا أن الاستحقاق بجميع الأسماء الواقعة في الكون الظاهرة الحكم إنما يستحقها الحق و العبد يتخلق بها و أنه ليس للعبد سوى عينه و لا يقال في الشيء إنه يستحق عينه فإن عينه هويته فلا حق و لا استحقاق و كل ما عرض أو وقع عليه اسم من الأسماء إنما وقع على الأعيان من كونها مظاهر فما وقع اسم الأعلى وجود الحق في الأعيان و الأعيان على أصلها لا استحقاق لها فهذا شرح قوله وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ يشهد له بصدق النسبة أنه عين بلا حكم و كونه مظهرا حكما لا عينا فالوجود لله و ما يوصف به من أية صفة كانت إنما المسمى بها هو مسمى الله فافهم إنه ما ثم مسمى وجودي إلا الله فهو المسمى بكل اسم و الموصوف بكل صفة و المنعوت بكل نعت و أما قوله سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ من أن يكون له شريك في الأسماء كلها فالكل أسماء الله أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته فما في الوجود إلا الله و الأعيان معدومة في عين ما ظهر فيها و قد اندرج في هذا الفصل إن فهمت جميع ما ذكرناه في تقسيم الضميرين المنصوب و المرفوع فالوجود له و العدم لك فهو لا يزال موجودا و أنت لا تزال معدوما و وجوده إن كان لنفسه

فهو ما جهلت منه و إن كان لك فهو ما علمت منه فهو العالم و المعلوم و الذي يقصده أكثر الناس بقولهم أي اسم منح الله الرسول من أسمائه هو الاسم الذي يستدعيه تأيد دعوته و هو المعبر عنه بالسلطان و الإعجاز أثره و إن منحه النبي فهو الاسم الذي يتأيد به في حصول الرتبة النبوية و صحتها و قد يكون لكل شخص اسم يمنحه بحسب ما تقتضيه رتبته من مقام نبوته أو رسالته غير أن الاسم الواهب هو الذي يعطي ذلك إلا إذا كان المقام مكتسبا فقد يعطيه الاسم الكريم أو الجواد أو السخي انتهى الجزء الحادي و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الحادي و العشرون) أي شيء حظوظ الأولياء من أسمائه الجواب هنا تفصيل هل يريد بالاسم الذي أوجب لهم هذه الحظوظ أو الاسم الذي يتولاهم فيها أو الاسم الذي تنتجه هذه الحظوظ فإن أراد الاسم أو الأسماء التي أوجبت لهم هذه الحظوظ فالحظوظ على قسمين حظوظ مكتسبة و حظوظ غير مكتسبة و لكل واحد من القسمين اسم يخصه من حيث ما يوجبها و من حيث ما يتولاها و من حيث ما تنتجه فما كان من الحظوظ المكتسبة فالأسماء التي توجبها هي الأسماء التي تعطيهم الأعمال التي اكتسبوها بها و هي مختلفة كل عمل بحسب اسمه فكل عامل إذا كان عارفا يعلم الاسم الذي يخص تلك الحركة العلمية من الأسماء الإلهية و يطول التفصيل فيها و الأسماء التي تتولاهم في حال وجودها لهم فهي بحسب ما هو ذلك الحظ فالحظ يطلب بذاته من يتولاه من الأسماء و الحظوظ مختلفة و كذلك الأسماء التي توجبها الحظوظ و تنتجها فهي بحسب الحظوظ أيضا فتختلف الأسماء باختلاف الحظوظ و على هذا النسق الكلام في الحظوظ التي هي غير مكتسبة من التفصيل

(السؤال الثاني و العشرون) و أي شيء علم المبدأ الجواب سأل بلفظ في العامة يعطي البدء و في الخاصة يعطي موجب النسخ في مذهب من يراه فلنتكلم على الأمرين معا ليقع الشرح باللسانين فيعم الجواب اعلم أن علم البدء علم عزيز و أنه غير مقيد و أقرب ما تكون العبارة عنه أن يقال البدء افتتاح وجود الممكنات على التتالي و التتابع لكون الذات الموجدة له اقتضت ذلك من غير تقييد بزمان إذ الزمان من جملة الممكنات الجسمانية فلا يعقل إلا ارتباط ممكن بواجب لذاته فكان في مقابلة وجود الحق أعيان ثابتة موصوفة بالعدم أزلا و هو الكون الذي لا شيء مع الله فيه إلا أن وجوده أفاض على هذه الأعيان على حسب ما اقتضته استعداداتها فتكونت لأعيانها لا له من غير بينية تعقل أو تتوهم وقعت في تصورها الحيرة من الطريقين من طريق الكشف و من طريق الدليل الفكري و النطق عما يشهده الكشف بإيضاح معناه يتعذر فإن الأمر غير متخيل فلا يقال و لا يدخل في قوالب الألفاظ بأوضح مما ذكرناه و سبب عزة ذلك الجهل بالسبب الأول و هو ذات الحق و لما كانت سببا كانت إلها لمألوه لها حيث لا يعلم المألوه أنه مألوه فمن أصحابنا من قال إن

البدء كان عن نسبة القهر و قال بعض أصحابنا بل كان عن نسبة القد رة و الشرع يقول عن نسبة أمر و التخصيص في عين ممكن دون غيره من الممكنات المميزة عنده و الذي وصل إليه علمنا من ذلك و وافقنا الأنبياء عليه أن البدء عن نسبة أمر فيه رائحة جبر إذ الخطاب لا يقع إلا على عين ثابتة معدومة عاقلة سميعة عالمة بما تسمع بسمع ما هو سمع وجود و لا عقل وجود و لا علم وجود فالتبست عند هذا الخطاب بوجوده فكانت مظهرا له من اسمه الأول الظاهر و انسحبت هذه الحقيقة على هذه الطريقة على كل عين عين إلى ما لا يتناهى فالبدء حالة مستصحبة قائمة لا تنقطع بهذا الاعتبا ر فإن معطي الوجود لا يقيده ترتيب الممكنات فالنسبة منه واحدة فالبدء ما زال و لا يزال فكل شيء من الممكنات له عين الأولية في البدء ثم إذا نسبت الممكنات بعضها إلى بعض تعين التقدم و التأخر لا بالنسبة إليه سبحانه فوقف علماء النظر مع ترتيب الممكنات حين وقفنا نحن مع نسبتها إليه و العالم كله عندنا ليس له تقييد إلا بالله خاصة و الله يتعالى عن الحد و التقييد فالمقيد به تابع له في هذا التنزيه فأولية الحق هي أوليته إذ لا أولية للحق بغير العالم لا يصح نسبتها و لا نعته بها بل هكذا جميع النسب الأسمائية كلها

فالعبد ملك إذ قد تسمى في عين حال بما تسمى

و الملك عبد في عين حال إذا تسمى بما أسمي

فإنه بي و لست أعني عني لكونى أصم أعمى

عن كل عين سوى عياني لكونه أظهرته الأسماء

هذه طريقة البدء و أما إذا أراد البدا و هو أن يظهر له ما لم يكن ظهر هو مثل قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و هو قوله وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ فيكون الحكم الإلهي بحسب ما يعطيه الحال و قد كان قرر الأمر بحال معين بشرط الدوام لذلك الحال في توهمنا فلما ارتفع الدوام الحالي الذي لو دام أوجب دوام ذلك الأمر بدا من جانب الحق حكم آخر اقتضاه الحال الذي بدا من الكون فقابل البدا بالبداء فهذا معنى علم البدا له على الطريقة الأخرى قال تعالى وَبَدَا لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ يقول صلى الله عليه و سلم اتركوني ما تركتكم و كانت الشرائع تنزل بقد ر السؤال فلو تركوا السؤال لم ينزل هذا القد ر الذي شرع و معقول ما يفهم من هذا علم البدا و بعد أن علمت هذا فقد علمت علم الظهور و علم الابتداء فكأنك علمت علم ظهور الابتداء أو ابتداء الظهور فإن كل نسبة منهما مرتبطة بالأخرى فإن كان ظهور الابتداء فما حضرة الإخفاء التي منها ظهر هذا الابتداء فلا شك أنه لم يكن يصح هذا الوصف إلا له ففيه خفي و به ظهر فحالة ظهوره عن ذلك الخفاء هو المعبر عنه بالابتداء و إن كان ابتداء الظهور و فهل له نسبة لي القدم إذ لم يكن له حالة الظهور فما نسبة القدم

إليه قلنا عينه الثابتة حال عدمه هي له نسبة أزلية لا أول لها و ابتداء الظهور عبارة عما اتصفت به من الوجود الإلهي إذ كانت مظهر الحق فهو المعبر عنه بابتداء الظهور فإن تعدد الأحكام على المحكوم عليه مع أحدية العين إنما ذلك راجع إلى نسب و اعتبارات فعين الممكن لم تزل و لا تزال على حالها من الإمكان فلم يخرجها كونها مظهرا حتى انطلق عليها الاتصاف بالوجود عن حكم الإمكان فيها فإنه وصف ذاتي لها و الأمور لا تتغير عن حقائقها باختلاف الحكم عليها لاختلاف النسب ألا ترى قوله وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا و قوله إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ فنفى الشيئية عنه و أثبتها له و العين هي العين لا غيرها

(السؤال الثالث و العشرون) ما معنى قوله عليه السلام كان الله و لا شيء معه الجواب لا تصحبه الشيئية و لا تنطلق عليه و كذلك هو و لا شيء معه فإنه وصف ذاتي له سلب الشيئية عنه و سلب معية الشيئية لكنه مع الأشياء و ليست الأشياء معه لأن المعية تابعة للعلم فهو يعلمنا فهو معنا و نحن لا نعلمه فلسنا معه فاعلم إن لفظة كان تعطي التقييد الزماني و ليس المراد هنا به ذلك التقييد و إنما المراد به الكون الذي هو الوجود فتحقيق كان إنه حرف وجودي لا فعل يطلب الزمان و لهذا لم يرد ما يقوله علماء الرسوم من المتكلمين و هو قولهم و هو الآن على ما عليه كان فهذه زيادة مدرجة في الحديث ممن لا علم له بعلم كان و لا سيما في هذا الموضع و منه كَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا و غير ذلك مما اقترنت به لفظة كان و لهذا سماها بعض النحاة هي و أخواتها حروفا تعمل عمل الأفعال و هي عند سيبويه حرف وجودي و هذا هو الذي تعقله العرب و إن تصرفت تصرف الأفعال فليس من أشبه شيئًا من وجه ما يشبهه من جميع الوجوه بخلاف الزيادة بقولهم و هو الآن فإن الآن ندل على الزمان و أصل وضعه لفظة تدل على الزمان الفاصل بين الزمانين الماضي و المستقبل و لهذا قالوا في الآن إنه حد الزمانين فلما كان مدلولها الزمان الوجودي لم يطلقه الشارع في وجود الحق و أطلق كان لأنه حرف وجودي و تخيل فيه الزمان لوجود التصرف من كان و يكون فهو كائن و مكون كقتل يقتل فهو قاتل و مقتول و كذلك كن بمنزلة اخرج فلما رأوا في الكون هذا التصرف الذي يلحق الأفعال الزمانية تخيلوا أن حكمها حكم الزمان فأدرجوا الآن تتمة للخبر و ليس منه فالمحقق لا يقول قط و هو الآن على ما عليه كان فإنه لم يرد و يقول على الله ما لم يطلقه على نفسه لما فيه من الإخلال بالمعنى الذي يطلبه حقيقة وجود الحق خالق الزمان فمعنى ذلك الله موجود و لا شيء معه أي ما ثم من وجوده واجب لذاته غير الحق و الممكن واجب الوجود به لأنه مظهره و هو ظاهر به و العين الممكنة مستورة بهذا الظاهر فيها فاتصف هذا الظهور و الظاهر بالإمكان حكم عليه به عين الظهر الذي هو الممكن فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عينا و اندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكما فتدبر ما قلناه و اعلم أن كلامنا في شرح ما ورد إنما هو على قول الولي إذا قال مثل هذا اللفظ أو نطق به من مقام ولايته لا من مقام الرتبة التي منها بعث رسولا فإن

الرسول إذا قال مثل هذا اللفظ في المعرفة بالله من مقامه الاختصاصي فلا كلام لنا فيه و لا ينبغي لنا أن نشرح ما ليس بذوق لنا و إنما كلامنا فيه من لسان الولاية فنحن نترجم عنها بأعلى وجه يقتضيه حالها هذا غاية الولي في ذلك و لا شك أن المعية في هذا الخبر ثابتة و الشيئية منفية و المعية تقتضي الكثرة و الموجود الحق هو عين وجوده في نسبته إلى نفسه و هويته و هو عين المنعوت به مظهره فالعين واحدة في النسبتين فهذه المعية كيف تصح و العين واحدة فالشيئية هنا عين المظهر لا عينه و هو معها لأن الوجود يصحبها و ليست معه لأنها لا أن تكون معه فلهذا نفى الشيء أن يكون مع هوية الحق لأن المعية نعت تمجيد و لا مجد لمن هو عديم الوجوب الوجودي لذاته فإن الشيء لا يكون مع الشيء إلا بحكم الوعيد أو الوعد بالخير و هذا لا يتصور من الدون للأعلى فالعالم لا يكون مع الله أبدا سواء اتصف بالوجود أو العدم و الواجب الوجود الحق لذاته يصح له نعت المعية مع العالم عدما و وجودا

(السؤال الرابع و العشرون) ما بدء الأسماء الجواب إطلاق هذا اللفظ في الطريق يقتضي أمرين الواحد سؤال عن أول الأسماء و الثاني سؤال عما تبتدئ به الأسماء من الآثار و هذان الأمران فرعان عن مدلول لفظ الأسماء ما هو هل هو موجود أو عدم أو لا وجود و لا عدم و هي النسب فلا تقبل معنى الحدوث و لا القدم فإنه لا يقبل هذا الوصف إلا الوجود أو العدم فاعلم إن هذه الأسماء الإلهية التي بأيدينا هي أسماء الإلهية التي سمى بها نفسه من كونه متكلما فنضع الشرح الذي كنا نوضح به مدلول تلك الأسماء على هذه الأسماء التي بأيدينا و هو المسمى بها من حيث الظاهر و من حيث كلامه و كلامه علمه و علمه ذاته فهو مسمى بها من حيث ذاته و النسب لا تعقل للموصوف بالأحدية من جميع الوجوه إذا فلا تعقل الأسماء إلا بأن تعقل النسب و لا تعقل النسب إلا بأن تعقل المظاهر المعبر عنها بالعالم فالنسب على هذا تحدث بحدوث المظاهر لأن المظاهر من حيث هي أعيان لا تحدث و من حيث هي مظاهر هي حادثة فالنسب حادثة فالأسماء تابعة لها و لا وجود لها مع كونها معقولة الحكم فإذا ثبت هذا فالقائل ما بدء الأسماء هو القائل ما بدء النسب و النسبة أمر معقول غير موجود بين اثنين فأما إن نتكلم فيها من حيث نسبتها إلى الأول أو من حيث ما دل الأثر عليها فإن نظرنا فيها من حيث المسمى بها لا من حيث دلالة أثرها كان قوله ما بدء الأسماء معناه ما أول الأسماء فلنقل أول الأسماء الواحد الأحد و هو اسم واحد مركب تركيب بعلبك و رامهرمز و الرحمن الرحيم لا نريد بذلك اسمين و إنما كان الواحد الأحد أول الأسماء لأن الاسم موضوع للدلالة و هي العلمية الدالة على عين الذات لا من حيث نسبة ما يوصف بها كالاسماء الجوامد للأشياء و ليس أخص في العلمية من الواحد الأحد لأنه اسم ذاتي له يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة فإن قلت فالله أولى بالأولية من الواحد الأحد لأن الله ينعت بالواحد الواحد و لا ينعت بالله قلنا مدلول الله يطلب العالم بجميع ما فيه فهو له كاسم الملك أو السلطان فهو اسم للمرتبة لا للذات و الأحد اسم ذاتي لا

يتوهم معه دلالة على غير العين فلهذا لم يصح أن يكون الله أول الأسماء فلم يبق إلا الواحد حيث لا يعقل منه إلا العين من غير تركيب و لو تسمى بالشيء لسميناه الشيء و كان أول الأسماء لكنه لم يرد في الأسماء الإلهية يا شيء و لا فرق بين مدلول الواحد و الشيء فإنه دليل على ذات غير مركبة إذ لو كانت مركبة لم يصح اسم الواحد و لا الشيء عليه حقيقة فلا مثل له و لا شبه يتميز عنه شخصيته فهو الواحد الأحد في ذاته لذاته و مع هذا فقد قررنا إن الأسماء عبارة عن نسب فما نسبة هذا الاسم الأول و لا أثر له منه يطلبه قلنا أما النسبة التي أوجبت له هذا الاسم فمعلومة و ذلك أن في مقابلة وجوده أعيانا ثابتة لا وجود لها إلا بطريق الاستفادة من وجود الحق فتكون مظاهره في ذلك الاتصاف بالوجود و هي أعيان لذاتها ما هي أعيان لموجب و لا لعلة كما إن وجود الحق لذاته لا لعلة و كما هو الغني لله تعالى على الإطلاق فالفقر لهذه الأعيان على الإطلاق إلى هذا الغني الواجب الغني بذاته لذاته و هذه الأعيان و إن كانت بهذه المثابة فمنها أمثال و غير أمثال متميزة بأمر و غير متميزة بأمر يقع فيه الاشتراك فلا يصح على كل عين منها اسم الواحد الأحد لوجود الاشتراك و المثلية فلهذا سمينا هذه الذات الغنية على الإطلاق بالواحد الأحد لأنه لا موجود إلا هي فهي عين الوجود في نفسها و في مظاهرها و هذه نسبة لا عن أثر إذ لا أثر لها في كون الأعيان الممكنات أعيانا و لا في إمكانها و أما إذا كان قوله ما بدء الأسماء بمعنى ما تبتدئ به الأسماء من الآثار في هذه الأعيان فيطلب هذا السؤال أمرين الأمر الواحد ما يبتدئ به في كل عين عين و الأمر الآخر ما يبتدئ به على الإطلاق في الجملة و معناه ما أول اسم يطلب أن يظهر أثره في هذه الأعيان فاعلم إن ذلك الاسم هو الوهاب خاصة في الجملة و في عين عين لا فرق و هو اسم أحدثته الهبات لهذه الأعيان من حيث فقرها فلما انطلق عليها اسم مظهر و قد كانت عرية عن هذا الاسم و لم يجب على الغني أن يجعلها مظاهر له طلبت هذه النسبة الاسم الوهاب و لهذا لا نجعله تعالى علة لشيء لأن العلة تطلب معلولها كما يطلب المعلول علته و الغني لا يتصف بالطلب إذا فلا يصح أن يكون علة و الوهب ليس كذلك فإنه امتنان على الموهوب له و إن كان الوهب له ذاتيا فإنه لا يقدح في غناه عن كل شيء و الذي يبتدئ به من الوهب إعطاء الوجود لكل عين حتى وصفها بما لا تقضيه عينها فأول ما يبتدئ به من الأعيان ما هو أقرب مناسبة للأسماء التي تطلب التنزيه ثم بعد ذلك يظهر سلطان الأسماء التي تطلب التشبيه فالأسماء التي تطلب التنزيه هي الأسماء التي تطلب الذات لذاتها و الأسماء التي تطلب التشبيه هي الأسماء التي تطلب الذات لكونها إلها فأسماء التنزيه كالغني و الأحد و ما يصح أن ينفرد به و أسماء التشبيه كالرحيم و الغفور و كل ما يمكن أن يتصف به العبد حقيقة من حيث ما هو مظهر لا من حيث عينه لأنه لو اتصف به من حيث عينه لكان له الغني و لا غنى له أصلا فإذا اتصفت هذه الأعيان التي هي المظاهر بمثل الغني و تسمت بالغنى فيكون معنى ذلك الغني بالله عن غيرها من الأعيان لا إن العين غني بذاته و كذا كل

اسم تنزيه فلها هذه الأسماء من حيث ما هي مظاهر فإن كان المسمى لسان الظاهر فيها فهو كونه إلها فهو أقرب نسبة إلى الذات من لسان المظهر إذا تسمى بالغني فالمظهر لا يزول عنه اسم الفقر مع وجود اسم الغني المقيد له و الظاهر فيه إذا تسمى بالغنى يصح له لأنه يعطي جودا و منة و هو الوهاب الذي يعطي لينعم و قد يعطي ليعبد فلا يكون هذا عطاء تنزيه بل هو عطاء عوض ففيه طلب قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فإعطاء هذا الخلق إعطاء طلب لا إعطاء هبة و منة و إعطاء الوهب إعطاء إنعام لا لطلب شكر و لا عوض يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً و هو الخنثى ثم وصف نفسه في ذلك بأنه عَلِيمٌ قَدِيرٌ و هو وصف يرجع إليه ما طلب منهم في ذلك عوضا كما طلب في قوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فمنزلة خلقهم له ما هو منزلة خلقهم لهم فخلقهم لهم من أسماء التنزيه و خلقهم له من أسماء التشبيه و هذا القدر كاف في الغرض

(السؤال الخامس و العشرون) ما بدء الوحي الجواب إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال في نوم كان أو يقظة و هو من مدركات الحس في حضرة المحسوس مثل قوله فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا و في حضرة الخيال كما أدرك رسول الله صلى الله عليه و سلم العلم في صورة اللبن و كذا أول رؤياه قالت عائشة أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح و هي التي أبقى الله على المسلمين و هي من أجزاء النبوة فما ارتفعت النبوة بالكلية و لهذا قلنا إنما ارتفعت نبوة التشريع فهذا معنى لا نبي بعده و كذلك من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت به النبوة بلا شك فعلمنا إن قوله لا نبي بعده أي لا مشرع خاصة لا أنه لا يكون بعده نبي فهذا مثل قوله إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده و إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده و لم يكن كسرى و قيصر إلا ملك الروم و الفرس و ما زال الملك من الروم و لكن ارتفع هذا الاسم مع وجود الملك فيهم و تسمى ملكهم باسم آخر بعد هلاك قيصر وكسرى كذلك اسم النبي زال بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه زال التشريع المنزل من عند الله بالوحي بعده صلى الله عليه و سلم فلا يشرع أحد بعده شرعا إلا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام فإنه بتقرير رسول الله صلى الله عليه و سلم صح فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه صلى الله عليه و سلم الذي يعطي المجتهد دليله و هو الذي أذن الله به فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله فإن ذلك كفر و افتراء على الله فإن قلت هذا الذي بديء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من أين نقول إنه بدء الوحي قلنا لا شك و لا خفاء عند المؤمنين و الأولياء أن محمدا صلى الله عليه و سلم خصه الله بالكمال في كل فضيلة فمن ذلك أن خصه بكمال الوحي و هو استيفاء أنواعه و ضروبه و هو قوله عليه السلام أوتيت جوامع الكلم و بعث عامة فما بقي ضرب من الوحي إلا و قد نزل عليه به فلما كان بهذه المثابة و بديء صلى الله عليه و سلم بالرؤيا في وحيه ستة

أشهر علمنا إن بدء الوحي الرؤيا و إنها جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة لكونها ستة أشهر و كانت نبوته ثلاثا و عشرين سنة فستة أشهر جزء من ستة و أربعين و لا يلزم أن يكون لكل نبي فقد يوحى لنبي لا من بدء الوحي الذي هو الرؤيا بل بضرب آخر من الوحي فلما بديء بالرؤيا صلى الله عليه و سلم قلنا الرؤيا بدء الوحي بلا شك لأن الكمال الذي وصف به نفسه صلى الله عليه و سلم في المقام أعطى أن يكون بدء الوحي ما بديء به رسول الله صلى الله عليه و سلم و كذا ينبغي أن يكون فإن البدء عندنا هو ما يناسب الحس أولا ثم يرتقي إلى الأمور المجردة الخارجة عن الحس فلم تكن إلا الرؤيا نوما كان أو يقظة و الوحي هنا تشريع الشرائع من كونه نبيا أو رسولا كيف ما كان و هذا كله إذا كان سؤاله عن الوحي المنزل على البشر فإن كان سؤاله عن بدء الوحي من حيث الوحي أو عن بدء الوحي في حق كل صنف ممن يوحى إليه كالملائكة و غير البشر من الجنس الحيواني مثل قوله وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ و غير الجنس الحيواني مثل عرض الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فإنه كان بوحي و مثل قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و مثل قوله وَنَفْسٍ وَ ما سَوَّاها و هي نفس كل مكلف و ما ثم إلا مكلف لقوله فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها فدخل الملك بالتقوى في هذه الآية إذ لا نصيب له في الفجور و كذلك سائر نفوس ما عدا الإنس و الجان فالإنس و الجن ألهموا الفجور و التقوى كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً فإن أراد بدء الوحي في كل صنف صنف و شخص شخص فهو الإلهام فإنه لا يخلو عنه موجود و هو الوحي و هذا جواب عن بدء الوحي من حيث الوحي و من حيث شخص شخص

(السؤال السادس و العشرون) ما بدء الروح الجواب أهل الطريق يطلقون لفظ الروح على معان مختلفة فيقولون فلان فيه روح أي أمر رباني يحيي به من قام به يعني قلبه و يطلقون الروح على الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم و يطلقون الروح و يريدون به الروح الذي ينفخ فيه عند كمال تسوية الخلق و الذي مدار الطريق عليه هو الروح الذي يجده أهل الله عند الانقطاع إليه بالهمم و العبادة فأكثر ما يقع عنه السؤال منهم غالبا فيكون قوله ما بدء الروح أي ما ابتداء حصوله في قلب العارف فنقول إن بدء الروح في نفوس أهله الذين أهلهم الله لتحصيله إن نفس الرحمن إذا تحكمت في نفوسهم المجاهدات التي تعطيهم رؤية الأغيار عرية عن رؤية الله فيها و أنها حائلة و قاطعة بين الله و بين هذا العبد فيكون صاحب هذه المجاهدة صاحب قبض و هم و غم و حجب يريد رفعها فتهب عليه من نفس الرحمن في باطنه ما يؤديه إلى رؤية وجه الحق في هذه القواطع على زعمه و في هذه الحجب و الأشياء التي يجاهد نفسه في قطع ما يتعرض إليه منها في طريقه فيريه ذلك النفس وجه الحق في كل شيء و هو العين و الحافظ عليه وجودها فلم ير شيئا خارجا عن الحق فزال تعبه من حيث ما يريد قطعها و يتألم عند ذلك ألما شديدا حيث يتوهم عدم تلك المعرفة ثم يعقب ذلك سرور عظيم لوجود هذا

النفس فيحيي به معناه و يصير به روحا و هو قوله أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا ما هو تحت كسبك و لا تعلق لك خاطر بتحصيله ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي به من نَشاءُ من عِبادِنا فهذا العارف ممن شاء من عباده فيقال فيه عند ذلك إنه ذو روح و يقال فيه إنه حي و قد التحق بالأحياء و هو قوله أَ وَمن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي به في النَّاسِ و من لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً و هو هذا الروح فَما لَهُ من نُورٍ فكان بجعل الله و لم يضفه إلى الاكتساب فإنه مجهول العين لعدم الذوق فهذا معنى بدء الروح الذي يجده العارفون في الطريق و هو مقصود السائلين و هو نور من حضرة الربوبية لا من غيرها و أصله من الروح الذي هو من أَمْرِ رَبِّي أي من الروح الذي لم يوجد عن خلق فإن عالم الأمر كل موجود لا يكون عند سبب كوني يتقدمه و لكل موجود منه شرب و هو الوجه الخاص الذي لكل موجود عن سبب و عن غير سبب فعن هذا الروح يكون هذا الروح المسؤل عنه الذي يجده أهل هذا الطريق

(السؤال السابع و العشرون) ما بدء السكينة الجواب مطالعة الأمر بطريق الإحاطة من كل وجه و ما لم يكن ذلك فالسكينة لا تصح قال إبراهيم عليه السلام أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي فجعل الطمأنينة بدء السكينة لما اختلفت عليه وجوه الأحياء فكانت تجاذبه من كل ناحية فلما أشهده الله الكيفية سكن عما كان يجده من القلق لتلك الجذبات التي للوجوه المختلفة قال بعضهم

إنما أجزع مما اتقى ... فإذا حل فما لي و الجزع

و كذا أطمع فيما أبتغي ... فإذا فات فما لي و الطمع

فحصول المطلوب أو اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب و كذلك على ما يليق به يكون ما يخاف منه فاعلم ذلك

فإذا أكمل الإنسان شرائط الايمان و أحكمها حصل من الحق تجل لقلب هذا المؤمن الذي هو بهذه الصفة يسمى ذلك التجلي ذوقا هو بدء جعل السكينة في قلبه لتكون تلك السكينة له بابا أو سلما إلى حصول أمر مغيب يقع له الايمان به فيكون معه وجود السكون لما أعطاه الأمر الأول لكونه يصير أمرا معتادا مثل سكون من تعود الأسباب إلى الأسباب و لا يكون ذلك عن غيب أصلا بل عن ذوق و هو المعاينة فإن الإنسان إذا كان عنده قوت يومه سكنت نفسه لما يعطيه قلق يومه لمعاينة ما عنده بحصوله تحت ملكه فإن حصل الايمان عنده بهذه المثابة تحت حكمه فهو صاحب سكينة و إن كان الإنسان تحت حكم الايمان نازعه العيان فلم تحصل سكينة و اعلم أن المعاني التي تتصف بها القلوب قد يجعل الله علامة على حصولها في نفوس من شاء من عباده أن يحصلها فيه علامات من خارج تسمى تلك العلامة باسم ذلك المعنى الذي يحصل في نفسه من الله و إنما يسميه به ليعلم أن تلك العلامة لحصول هذا المعنى نصبت مثل قوله

تعالى في تابوت بنى إسرائيل إن الله قد جعل فيه سكينة و هي صورة على شكل حيوان من الحيوانات اختلف الناس في أي صورة حيوان كانت و لا فائدة لنا في ذكر ما ذكروه في صورتها فكانت تلك الصورة إذا هفت أو ظهرت منها حركة خاصة بصروا فسكن قلبهم عند رؤية تلك العلامة من تلك الصورة التي سماها سكينة و إن السكينة المعلومة إنما محلها القلوب فلم يجعل لهذه الأمة علامة خارجة عنهم على حصولها فليس لهم علامة في قلوبهم سوى حصولها فهي الدليل على نفسها ما تحتاج إلى دليل من خارج كما كان في بنى إسرائيل فبدء السكينة قد بيناه و أما السكينة فهي الأمر الذي تسكن له النفس لما وعدت به أو لما حصل في نفسه من طلب أمر ما و سميت سكينة لأنها إذا حصلت قطعت عنه وجود الهبوب إلى غير ما سكنت إليه النفس و منه سمي السكين سكينا لكون صاحبه يقطع به ما يمكن قطعه به و هذا اللفظ مشتق من السكون و هو الثبوت و هو ضد الحركة فإن الحركة نقلة فالسكينة تعطي الثبوت على ما سكنت إليه النفس و لو سكنت إلى الحركة هذا حقيقتها و لا يكون ذلك إلا عن مطالعة أو مشاهدة فتنزل عليهم و هم مؤمنون فتنقلهم بنزولها عن رتبة ما كانوا به مؤمنين إلى مقام معاينة ذلك و هو تضاعف إيمانهم بالعيان لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ أ لا ترى إلى قوله تعالى إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ إلا أن الأمنة هي السكينة لا غيرها وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الثامن و العشرون) ما العدل الجواب العدل هو الحق المخلوق به السموات و الأرض فسهل ابن عبد الله و غيره يسميه العدل و أبو الحكم عبد السلام بن برجان يسميه الحق المخلوق به لأنه سمع الله يقول ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ أي بما يجب لذلك المخلوق مما تقتضيه حالة خاصة بقوله تعالى ثُمَّ هَدى أي بين أنه أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ أي ما خلقه إلا بالحق و هو ما يجب له فالعالم على الحقيقة هو الله الذي علم ما تستحقه الأعيان في حال عدمها و ميز بعضها عن بعض بهذه النسبة الإحاطية و لو لا ذلك لكانت نسبة الممكنات في قضية العقل فيما يجب لها من الوجود نسبة واحدة و ليس الأمر كذلك و لا وقع كذلك بل علم سبحانه ما يتقيد من الممكنات في وجوده بأمس لا يمكن عنده أن يوجده اليوم و لا في غد فإنه من تمام خلقه تعيين زمانه و هو القدر و هي الأقدار أي مواقيت الإيجاد فهو سبحانه يخلق من غير حكم قدر عليه في خلقه و المخلوقات تطلب الأقدار بذاتها ف أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ من زمانه فيمن يتقيد وجوده بالزمان و من حاله فيمن يتقيد وجوده بالحال و من صفته فيمن يتقيد وجوده بالصفة فإن قلت فيه مختار صدقت و إن قلت حكيم صدقت و إن قلت لم يوجد هذه الأمور على هذا الترتيب إلا بحسب ما أعطاه العلم صدقت و إن قلت ذاته اقتضت أن يكون خلق كل شيء على ما هو عليه ذلك الشيء في ذاته و لوازمه و أعراضه لا تتبدل و لا تتحول و لا في الإمكان أن يكون ذلك اللازم أو العارض لغير ذلك الممكن صدقت فبعد أن أعلمتك صورة الأمر على ما هو

عليه فقل ما تشاء فإن قولك من جملة من أعطى خلقه في ظهوره منك فهو من جملة الأعراض في حقك و له صفة ذاتية و لازمة و عرضية من حيث نفسه فاعلم ذلك و أما تحقيق هذا الاسم لهذه النسبة فاعلم أن العدل هو الميل يقال عدل عن الطريق إذا مال عنه و عدل إليه إذا مال إليه و سمي الميل إلى الحق عدلا كما سمي الميل عن الحق جورا بمعنى إن الله خلق الخلق بالعدل أي أن الذات لها استحقاق من حيث هويتها و لها استحقاق من حيث مرتبتها و هي الألوهية فلما كان الميل مما تستحقه الذات لما تستحقه الألوهية التي تطلب المظاهر لذاتها سمي ذلك عدلا أي ميلا من استحقاق ذاتي إلى استحقاق إلهي لطلب المألوه ذلك الذي يستحقه و من أعطى المستحق ما يستحقه سمي عادلا و عطاؤه عدلا و هو الحق فما خلق الله الخلق إلا بالحق و هو إعطاؤه خلقه ما يستحقونه و ليس وراء هذا البيان و بسط العبارة ما يزيد عليها في الوضوح

(السؤال التاسع و العشرون) ما فضل النبيين بعضهم على بعض و كذلك الأولياء الجواب قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً و قال في حق الناس وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ هذا عموم في الناس فدخل الأولياء في عموم هذه الآية و قال في حق المؤمنين و العلماء يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ فاختلف أصحابنا في مثل هذا فذهب ابن قسي إلى أن كل واحد منهم فاضل مفضول ففضل هذا هذا بأمر ما و فضله المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر فهو فاضل بوجه و مفضول بوجه لمن فضل عليه فادى إلى التساوي في الفضلية فصاحب هذا القول ما حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحق فيه و ذلك أن تنظر المراتب فإن كانت تقتضي الفضيلة فتنظر أية مرتبة هي أعم من الأخرى و أعظم فالمتصف بها أفضل ففضل أرباب المراتب بفضل المراتب فقد يزيد و يفضل بعض الناس غيره بشيء ما فيه ذلك الفضل فإن الفضل في هذا الوجه لا ينظر من حيث إنه زيادة و لكن ينظر من حيث اعتبار زيادات لها شرف في العرف و العقل كالعلم و النجارة و الخياطة و العلم بالأحكام الشرعية و العلم بما ينبغي لجلال الله و كل واحد منهم لا يعلم علم الآخر فيقال قد فضل النجار على الموحد بالدليل بالنجارة هذا لا يقال على جهة الفخر و المدح بل على جهة الزيادة و يقال فضل العالم بالله النجار على طريق الشرف و الفخر فمثل هذه المفاضلة هي التي تعتبر و هي أن يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي المجد و الشرف فهذا معنى قوله فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ بما يقتضيه الشرف و نحن نجمع إلى ذلك الزيادة فنقول في قوله فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ أي جعلنا عند كل واحد من صفات المجد و الشرف ما لم نجعل عند الآخر فقد زاد بعضهم على بعض في صفات الشرف و المراتب التي فضلوا بها بعضهم على بعض ما فيها مفاضلة عندنا لارتباطها بالأسماء الإلهية و الحقائق الربانية و لا تصح مفاضلة بين الأسماء الإلهية لوجهين الواحد أن الأسماء نسبتها إلى الذات نسبة واحدة فلا مفاضلة فيها فلو فضلت المراتب بعضها

بعضا بحسب ما استندت إليه من الحقائق الإلهية لوقع الفضل في أسماء الله فيكون بعض الأسماء الإلهية أفضل من بعض و هذا لا قائل به عقلا و لا شرعا و لا يدل عموم الاسم على فضله لأن الفضلية إنما تقع فيما من شأنه أن يقبل فلا يتعمل في القبول أو فيما يجوز أن يوصف به فلا يتصف به و الوجه الآخر أن الأسماء الإلهية راجعة إلى ذاته و الذات واحدة و المفاضلة تطلب الكثرة و الشيء لا يفضل نفسه فإذا المفاضلة لا تصح فمعقول فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا ما لم نعط هذا و أعطينا هذا أيضا ما لم نعط من فضله و لكن من مراتب الشرف ف مِنْهُمْ من كَلَّمَ الله و آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ فمنهم من فضل بأن خلقه بيديه و أسجد له الملائكة و منهم من فضل بالكلام القديم الإلهي با رتفاع الوسائط و منهم من فضل بالخلة و منهم من فضل بالصفوة و هو إسرائيل يعقوب فهذه كلها صفات شرف و مجد لا يقال إن خلته أشرف من كلامه و لا إن كلامه أفضل من خلقه بيديه بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة لا تقبل الكثرة و لا العدد فهي بالنسبة إلى كذا خالقة و بالنسبة إلى كذا مالكة و بالنسبة إلى كذا عالمة إلى ما نسبت من صفات الشرف و العين واحدة و أما المسألة الطفولية التي بين الناس و اختلافهم في فضل الملائكة على البشر فإني سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم في الواقعة فقال لي إن الملائكة أفضل فقلت له يا رسول الله فإن سألت ما الدليل على ذلك فما أقول فأشار إلى أن قد علمتم أني أفضل الناس و قد صح عندكم و ثبت و هو صحيح إني قلت عن الله تعالى أنه قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم و كم ذاكر لله تعالى ذكره في ملأ أنا فيهم فذكره الله في ملأ خير من ذلك الملإ الذي أنا فيهم فما سررت بشيء سروري بهذه المسألة فإنه كان على قلبي منها كثير و إن تدبرت قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ و هذا كله بلسان التفصيل و أما جهة الحقائق فلا مفاضلة و لا أفضل لارتباط الأشخاص بالمراتب و ارتباط المراتب بالأسماء الإلهية و إن كان لها الابتهاج بذاتها و كمالها فابتهاجها بظهور آثارها في أعيان المظاهر أتم ابتهاجا لظهور سلطانها كما تعطي الإشارة في قول القائل المترجم عنها حيث نطق بلسانها من كناية نحن المنزل عن الله في كلامه و هي كناية تقتضي الكثرة

نحن في مجلس السرور و لكن ليس إلا بكم يتم السرور

فمجلس السرور لها حضرة الذات و تمام السرور لها ما تعطيه حقائقها في المظاهر و هو قوله بكم و ذلك لكمال الوجود و المعرفة لا لكمال الذات إن عقلت

(السؤال الثلاثون) خلق الله الخلق في ظلمة الجواب هذا مثل قوله وَ اللهُ أَخْرَجَكُمْ من بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ فهذه أنوار فيك تدرك بها الأشياء فما أدركت إلا بما جعل فيك و ما جعل فيك سوى أنت فله تعالى مما أنت الوجود و

أنت من ذلك الوجود المدرك به المعدوم الموجود و ما لا يتصف بالعدم و لا بالوجود و هو إدراك الأفئدة مما ذكر فالممكنات على عدم تناهيها في ظلمة من ذاتها و عينها لا نعلم شيئا ما لم تكن مظهرا لوجوده و هو ما يستفيده الممكن منه و هو قوله تعالى عَلى نُورٍ مِن رَبِّهِ فخلق هنا بمعنى قدر قال تعالى وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً فقدرهم و لم يكونوا مظهرا لكن كانوا قابلين لتقديره فأول أثر إلهي في الخلق التقدير قبل وجودهم و أن يتصفوا بكونهم مظاهر للحق فالتقدير الإلهي في حقهم كإحضار المهندس ما يريد إبرازه مما يخترعه في ذهنه من الأمور فأول أثر في تلك الصورة إنما هو ما تصوره المهندس على غير مثال و آية هذا المقام قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ أي انتقالكم من وجود الدنيا إلى وجود الآخرة أقرب في العلم إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ من انتقالكم من حال عدم إلى حال وجود فأنتم في الظلمة فيكم و أنتم في الوجود فيه غير أن لكم انتقالات في وجوده و ظلمتكم تستصحبكم لا تفارقكم أبدا وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ و لم يقل نجعلهم في ظلمة بل زوال عين النور الذي هو الوجود هو عين كونكم مظلمين أي تبقي أعيانكم لا نور لها أي لا وجود لها و لو لم تكن الظلمة نسبة عدمية و هي كون ذواتكم العينية معدومة لكانت الظلمة من جملة الخلق فكانت الظلمة تستدعي أن تكون في ظلمة و الكلام في تلك الظلمة كالكلام في الأولى و يتسلسل فإن قوله خلق الله الخلق في ظلمة قد يريد بالخلق هنا المخلوقات و الظلمة إذا كانت أمرا وجوديا فهي مخلوقة فتكون أيضا في ظلمة و إذا كان الخلق هنا مصدرا كأنه قال قدر الله التقدير في ظلمة أي في غير موجودين يعني تلك الأعيان و انظر في قوله تعالى يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ثم إن الله تعالى في الوجود الأخروي إذا أراد الله بتبديل الأرض كان الخلق في الظلمة دون الجسر فالظلمة تصحبهم بين كل مقامين إذا أراد الله أن يوجدهم في عالم آخر أي ينشئهم نشأة أخرى لم تكن في أعيانهم فيعلمون بتغير الأحوال عليهم أنهم تحت حكم قهار فيكونون في حال وجودهم مثل حالهم في العدم و لهذا نبه الحق سبحانه عقولنا بقوله تعالى أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً أي قدرناه في حال شيئيته المتوجه عليها أمره إلى شيئية أخرى لقوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ يعني في حال عدمه أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ كلمة وجودية من التكوين فسماه شيئا في حال لم تكن فيه الشيئية المنفية بقوله وَلَمْ تَكُ شَيْئاً فلا بد أن يعقل العارف ما الشيئية الثابتة له في حال عدمه في قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ و ما الشيئية المنفية عنه في حال عدمه في قوله وَلَمْ تَكُ شَيْئاً فالظلمة التي خلق الله فيها الخلق نفي هذه الشيئية عنهم و النفي عدم محض لا وجود فيه و قد ذكر المفسرون معنى قوله فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ و ليس المقصود إلا ما ذكره صاحب السؤال و أما الآية فمعلوم أمرها عند العلماء بالله في خلق مخصوص و هو الخلق في الرحم لا غير انتهى الجزء الثاني و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الحادي و العشرون) فما قصتهم هناك يعني قصة المخلوقين الجواب قصتهم هناك الانتظار لما يكسوهم الحق من حلل نور الوجود لكل مخلوق نور على قدره ينفق منه و هو النور الذي يمشون فيه يوم القيامة فإن يوم القيامة ليس له ضوء جملة واحدة و الناس لا يسعون فيه إلا في أنوارهم و لا يمشي مع أحد منهم غيره في نوره كما قال عليه السلام بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة و هو الجمع بين النورين بين نورهم المبطون في أعيانهم الظاهر هناك و بين النور المبطون في ظلمة الليل الذي ينوب عنه السراج في نفي تلك الظلمة عن طريق الماشي و المسجد بيت الله يسعى إليه لمناجاته كذلك هذا النور لا يكون لهم إلا في الوقت الذي يدعون فيه إلى رؤية ربهم الذي ناجوه هنا فيمشون في ذلك الوقت في النور الذي كان مبطونا في الظلمة التي سعوا فيها في صلاة الصبح و العشاء إلى المساجد و انتظارهم هو انتظار حال فإنهم غير موصوفين في تلك الظلمة بالعلم لأن الاتصاف بالعلم تابع للوجود و هم غير موجودين بل هم في شيئيتهم القابلة لقول التكوين و لما جعل الظلمة ظرفا للخلق كذلك قال هناك فأتى بما يدل على الظرف فهم قابلون للتقدير و إن كان قوله في ظلمة في موضع الحال من الخالق فيكون المراد به العماء الذي ما فوقه هواء و ما تحته هواء الذي أثبته رسول الله صلى الله عليه و سلم بهذه الصفة للحق تعالى حين قيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال صلى الله عليه و سلم كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فنزه أن يكون تصريفه للأشياء على الأهواء فإنه لما كنى عن ذلك الوجود بما هو اسم للسحاب محل تصريف الأهواء نفى أن يكون فوق ذلك العماء هواء أو تحته هواء فله الثبوت الدائم لا على هواء و لا في هواء فإن السؤال وقع بالاسم الرب و معناه الثابت يقال رب بالمكان إذا أقام فيه و ثبت فطابق الجواب و لم يصف الحق نفسه في مخلوقاته إلا بقوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ و قال كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ فتخيل من لا فهم له تغير الأحوال عليه و هو يتعالى و يتقدس عن التغيير بل الحالات هي متغيرة ما هو يتغير بها فإنه الحاكم و لا حكم عليه فجاء الشارع بصفة الثبوت الذي لا تقبل التغيير فلا تصرف آياته يد الأهواء لأن عماءه لا يقبل الأهواء و ذلك العماء هو الأمر الذي ذكرنا أنه يكون في القديم قديما و في المحدث محدثا و هو مثل قولك أو عين قولك في الوجود إذا نسبته إلى الحق قلت قديم و إذا نسبته إلى الخلق قلت محدث فالعماء من حيث هو وصف للحق هو وصف إلهي و من حيث هو وصف للعالم هو وصف كياني فتختلف عليه الأوصاف لاختلاف أعيان الموصوفين قال تعالى في كلامه القديم الأزلي ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فنعته بالحدوث لأنه نزل على محدث لأنه حدث عنده ما لم يكن يعلمه فهو محدث عنده بلا شك و لا ريب و هذا الحادث هل هو محدث في نفسه أو ليس بمحدث فإذا قلنا فيه إنه صفة الحق التي يستحقها جلاله قلنا بقدمها بلا شك فإنه يتعالى أن تقوم الصفات الحادثات به فكلام الحق قديم في نفسه قديم بالنسبة إليه محدث أيضا كما قال عند من أنزل عليه كما أنه أيضا من وجوه قدمه نسبته إلى الحدوث

بالنظر إلى من أنزل عليه فهو الذي أيضا أوجب له صفة القدم إذ لو ارتفع الحدوث من المخلوق لم يصح نسبة القدم و لم تعقل فلا تعقل النسب التي لها أضداد إلا بأضدادها فقصة الخلق في الظلمة التهيؤ و القبول في الأعيان لظهور الحق في صور الوجود لهذه الأعيان (السؤال الثاني و الثلاثون) و كيف صفة المقادير الجواب المقادير هي الصفات الذاتية للأشياء فلا صفة لها فهي الحدود المانعة من هو متصف بها أن تكون صفة لغيره و عندي في حد الحد نظر سفإن أراد بقوله صفة المقادير المنع و يجعله صفة من حيث إنك تعبر عنها بأمر هو عينها بعد علمك بهذا فقل إن هذا صفة المقدار و إن أردت الحقيقة فلا صفة للمقادير لأن الشيء لا يكون صفة لنفسه فإن قلت فالصفات النفسية ما هي بأمر زائد على الذات قلنا صدقت قال فإذا قد وصفت الشيء بنفسه قلت إن كان غير مركب فالوصف فيه عين إطلاق لفظ يكون شرحا للفظ آخر عند السامع يقع به الإفهام عنده و إن كان الشيء مركبا فذلك الوصف للمجموع و حكم الشيء من كونه مجموعا غير حكمه من كونه غير مجموع فأنت إنما ذكرت آحاد ذلك المجموع المعقول من هذه الجمعية أمرا ما هو عين كل مفرد من هذا المجموع فهذا الشيء الموصوف بصفاته النفسية إنما تلك أسماء آحاده ألا ترى الذات لا توصف رأسا فإنها لذاتها هي ذات و لذاتها لا تقبل الوصف ثم لما قلت الله من حيث المرتبة استحق أن يوصف من حيث هذا الاسم بما يطلبه هذا الاسم من الحقائق التي تعينها المحدثات المعبر عنها بالأسماء فما ثم شيء يوصف بنفسه إلا من حيث شرح لفظ بلفظ آخر و لذا قسمنا الحدود إلى ثلاث مراتب ذاتية و رسمية و لفظية فالمقادير جمع مقدار و الأقدار جمع قدر فلا يلتبس عليك المقادير بالأقدار فبعض المقادير محل تأثير الأقدار فاعلم فحدود الأمور الذاتية عين مقاديرها فالوزن القدر و الموازين المقادير و بها توزن الأشياء فالأمور لا تعلم إلا بحدودها و من لا حد له فذلك حده فقد علم

(السؤال الثالث و الثلاثون) فما سبب علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم الجواب في السؤال حذف و هو أن يقول ما سبب طي علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم فإن كان هذا الرجل يقول بفضل أفضل البشر على أفضل الملائكة فكأنه قال الذي طوى عن كل ما سوى الله و إن كان يرى أن أفضل الملائكة أفضل من أفضل البشر فقوله فمن دونهم لا يلزم أن من هو أفضل من الرسل طوى عنه علم القدر فقد يمكن عنده أن يكون من هو أعلى يعلم ذلك فبقي الجواب عما يقتضيه الأمر في نفسه هل ثم من يعلم علم القدر أم لا قلنا لا و لكن قد يعلم سره و تحكمه في الخلائق و قد أعلمنا به فعلمناه بحمد الله و أن مظاهر الحق في أعيان الممكنات المعبر عنها بالعالم هي آثار القدر و هي علامة على وجود الحق و لا دليل أدل على الشيء من نفسه فلم يعلم الحق بغيره بل علم بنفسه و نسبة الوجود إلى هذه الأعيان قد قلنا إن ذلك أثر القدر فنعلم القدر بأثره و نعلم الحق بوجوده و ذلك لأن القدر نسبة مجهولة خاصة و الحق

وجود فيصح تعلق العلم بالحق و لا يصح تعلق العلم بالقدر فإن علمنا بظهور المظهر في العين هو عين علمنا بالحق و القدر مرتبة بين الذات و بين الحق من حيث ظهوره لا يعلم أصلا و حكمه في المظاهر حكم الزمان في عالم الأجسام فلهذا يطلقه أكثر المحققين على الأوقات المعقولة و قد أعلمناك أن الزمان نسبة معقولة غير موجودة و لا معدومة و هو في الكائنات فالوقت أعز مقاما في امتناع العلم به أو تصوره فلا ينال أبدا و قد كان العزيز رسول الله عليه السلام كثير السؤال عن القدر إلى أن قال له الحق تعالى يا عزيز لئن سألت عنه لأمحون اسمك من ديوان النبوة و يقرب منه السؤال عن علل الأشياء في تكويناتها فأفعال الحق لا ينبغي أن تعلل فإنه ما ثم علة موجبة لتكوين شيء إلا عين وجود الذات و قبول عين الممكن لظهور الوجود فالأزل لا يقبل السؤال عن العلل و إن ذلك لا يصدر إلا من جاهل بالله فالسبب الذي لأجله طوى علم القدر هو أن له نسبة إلى ذات الحق و نسبة إلى المقادير فعز أن يعلم عز الذات و عز أن يجهل لنسبة المقادير فهو المعلوم المجهول فأعطى التكليف في العالم فاشتغل العالم بما كلفوا و نهوا عن طلب العلم بالقدر و لا يعلم إلا بتقريب الحق و شهوده شهودا خاصا لعلم هذا المسمى قدرا فأولياء الله و عباده لا يطلبون علمه للنهي الوارد عن طلبه فمن عصى الله و طلبه من الله و هو لا يعلم بالنظر الفكري فلم يبق إلا أن يعلم بطريق الكشف الإلهي و الحق لا يقرب من عصاه بمعصيته و طالب هذا العلم قد عصاه في طلبه فلا ينال من طريق الكشف و ما ثم طريق آخر يعلم به علم القدر فلهذا كان مطويا عن الرسل فمن دونهم و إن نزع أحد إلى أن السائل اعتبر بسؤاله معنى الرسالة فمن حيث إنهم رسل طوى عنهم في هذه المرتبة و من دونهم من أرسل إليهم و ذلك هو التكليف فسد الله باب العلم بالقدر في حال الرسالة فإن علموه فما علموه من كونهم رسلا بل من كونهم من الراسخين في العلم فقد ينال على هذا لولا ما بيناه من أن مرتبته بين الذات و المظاهر فمن علم الله علم القدر و من جهل الله جهل القدر و الله سبحانه مجهول فالقدر مجهول فمن المحال أن يعرف المألوه الله لأنه لا ذوق له في الألوهة فإنه مألوه و لله ذوق في المألوهية لكونه يطلبها في المألوه كما يطلبه المألوه فمن هناك وصف الحق نفسه بما وصف به مظاهره من التعجب و الضحك و النسيان و جميع الأوصاف التي لا تليق إلا بالممكنات فسر القدر عين تحكمه في المقادير كما إن الوزن متحكم في الموزون و الميزان نسبة رابطة بين الموزون و الوزن بها يتعين مقدار الموزون و مقادير الموزونات على اختلافها فالحق وضع الميزان و قال وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ و يستحقه من أنزل إليه فكل شيء بقضائه أي بحكمه و قدره أي وزنه و هو تعيين وقت حالا كان وقته أو زمانا أو صفة أو ما كان فظهر إن سبب طي علم القدر سبب ذاتي و الأشياء إذا اقتضت الأمور لذواتها لا للوازمها أو أعراضها لم يصح أن تتبدل ما دامت ذواتها و الذوات لها الدوام في نفسها لا لنفسها فوجود العلم بها محال

(السؤال الرابع و الثلاثون) لأي شيء طوى الجواب هذا سؤال اختبار إن كان السائل عالما فإنه من المعلومات ما يعلل و منها ما لا يعلل هذا في المعلومات فكيف ما لا يعلم كيف يصح أن يعلل الجهل به و أما من يرى أن القدر معلوم لمن فوق مرتبة الرسل من الملائكة أو من شاء الله من خلقه الذي لا علم لنا بأجناس خلقه فيكون طيه حتى لا يشارك الحق في علم حقائق الأشياء من طريق الإحاطة بها إذ لو علم أي معلوم كان بطريق الإحاطة من جميع وجوهه كما يعلمه الحق لما تميز علم الحق عن علم العبد بذلك الشيء و لا يلزمنا على هذا الاستواء فيما علم منه فإن الكلام فيما علم منه على ذلك فإن العبد جاهل بكيفية تعلق العلم مطلقا بمعلومه فلا يصح أن يقع الاشتراك مع الحق في العلم بمعلوم ما و من المعلومات العلم بالعلم و ما من وجه من المعلومات إلا و للقدر فيه حكم لا يعلمه إلا الله فلو علم القدر علمت أحكامه و لو علمت أحكامه لاستقل العبد في العلم بكل شيء و ما احتاج إلى الحق في شيء و كان الغني له على الإطلاق فلما كان الأمر بعلم القدر يؤدي إلى هذا طواه الله عن عباده فلا يعلم فكل شخص في العالم على جهل من نفسه و علم فمن حيث جهله يفتقر و يسأل و يخضع و يتضرع و يعلمه بجهله يقع منه هذا الوصف هذا إذا اتفق أن يكون ممكنا العلم به و قد قررنا أنه محال لذاته كما يعلم أنه ليس للحق من الصفات النفسية سوى واحدة لأحديته و هي عين ذاته فليس له فصل مقوم يتميز به عما وقع له من الاشتراك فيه مع غيره بل له الأحدية الذاتية التي لا تعلل و لا تكون علة فهي الوجود و ما هي و من الأسباب التي لأجلها طوى علم ذلك عن الإنسان لكون ذات الإنسان تقتضي البوح به لأنه أسنى ما يمدح به الإنسان و لا سيما الرسل فحاجتهم إليه آكد من جميع الناس لأن مقام الرسالة يقتضي ذلك و ما ثم علم و لا آية أقرب دلالة على صدقهم من مثل هذا العلم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما وصف ربه به مما أوحى إليه به أنه لا شيء أحب إلى الله تعالى من أن يمدح و لا مدحة فوق المدحة بمثل هذا ثم إن الله خلق آدم على صورته فلا شيء أحب إلى العبد من أن يمدح و يثنى عليه و أسنى ما يمدح به العبد العلم بالله و علمه بالقدر علمه بالله فلو فتح للعبد الإنساني العلم بالقدر و قد أمر بالغيرة فيه و طيه عمن لا ينبغي أن يظهر عليه و كان الإنسان و هو مجبول على حب المدح و الرسالة تعطي الرغبة في هداية الخلق أجمعين و لا طريق للهداية أوضح من هذا الفن فالذي كانوا يلقونه من الكتم من الألم و العذاب في أنفسهم لا يقدر قدره فخفف الله عن الرسل مثل هذا الألم فطواه عنهم فإن جميع العالم ممن له قوة على إيصال ما في نفسه من الأمور إلى الخلق يكتمون علم مثل هذا و غيره إذا كان عندهم إلا الجن و الإنس فإن النشأة من هذه القوي العنصرية تقتضي لهم ذلك فمن كتم منهم فإنما يكتم على كره مما ينبغي أن يمدح به إذا بثه و لو لا إن البهائم لم تعط لها قوة التوصيل لأعلمت بما تشاهده من الأمور الغيبية التي أمر الله من يعلمها بسترها مثل خوار الميت على نعشه و عذاب القبر و حياة الشهداء فكل دابة تسمعه و تصغي يوم الجمعة شفقا من الساعة و لكن لما كوشفت على مثل هذا

أعطيت الخرس عن التوصيل فكتمها الأشياء اضطراري لا اختياري فطواه الله عن الثقلين لذلك فإنه من الأسرار المكتومة فهذا من الأسباب التي طوى لها علم القدر

(السؤال الخامس و الثلاثون) متى ينكشف لهم سر القدر الجواب سر القدر غير القدر و سره عين تحكمه في الخلائق و إنه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون الحق بصرهم فإذا كان بصرهم بصر الحق و نظروا للأشياء ببصر الحق حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه إذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شيء قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ لكونها مظلمة تمدح بإدراك الأشياء فيها كيف يشاء من أنواع الصور و التصوير لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ أي المنيع الذي نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير و لا تصور الحكيم بما تعطيه الاستعدادات المسواة لقبول الصور فيعين لها من الصور ما شاء مما قد علم أنها مناسبة له قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه تعالى أنه قال ما تقرب أحد بأحب إلي من أداء ما افترضته عليه لأنها عبودية اضطرار و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل و هي عبودية اختيار حتى أحبه إذ جعلها نوافل فاقتضت البعد من الله فلما ألزم عبودية الاختيار نفسه لزوم عبودية الاضطرار أحبه فهو معنى قوله تعالى حتى أحبه ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به الحديث فإذا كان الحق لهذه الحالة بصر العبد كيف يخفى عليه ما ليس يخفى فأعطته النوافل و اللزوم عليها أحكام صفات الحق و أعطته الفرائض أن يكون كله نورا فينظر بذاته لا بصفته فذاته عين سمعه و بصره فذلك وجود الحق لا وجوده وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال السادس و السابع و الثلاثون) أين ينكشف لهم و لمن ينكشف منهم الجواب في حال الانفعال عنهم و الاتحاد بهم و ذلك أن من المظاهر من يعلم أنه مظهر و من المظاهر من لا يعلم أنه مظهر فيتخيل أنه عن الحق أجنبي و علامة من يعلم أنه مظهر أن تكون له مظاهر حيث شاء من الكون كقضيب البان فإنه كان له مظاهر فيما شاء من الكون لا حيث ما شاء من الكون و إن من الرجال من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء و من كان له الظهور حيث شاء من الكون كان له الظهور فيما شاء من الكون فتكون الصورة الواحدة تظهر في أماكن مختلفة و تكون الصور الكثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة في عين المدرك لها فإذا حصل الإنسان في المكان الذي يعرف فيه تجلي الحق في الصور المختلفة للشخص الواحد أو الأشخاص الكثيرين فمعرفته بتلك الحيثية لا تكون إلا ذوقا و من عرف مثل هذا ذوقا كان متمكنا من الاتصاف بمثل هذه الصفة و هذا هو علم سر القدر الذي ينكشف لهم إذا كانوا في هذا المنزل و بهذه القوة

(السؤال الثامن و الثلاثون) ما الإذن في الطاعة و المعصية من ربنا الجواب قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ فالإذن الذي تشترك فيه الطاعة و المعصية هو الأذن الإلهي في كون المأذون فيه فعلا لا من طريق الحكم لأن حكمه في الأشياء بالطاعة و المعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة فلا يكون مرادا فلا يكون الحكم مأمورا به و المحكوم به و عليه هو المراد و المأمور به فلا يصح الأذن في الطاعة و المعصية من حيث إنها طاعة و معصية قال تعالى وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ من حيث إنها فعل فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً فأنكر عليهم أن تكون السيئة من عند محمد صلى الله عليه و سلم كما قال في موسى يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ فقال لهم وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ لا من محمد صلى الله عليه و سلم فاحتجاجنا في مسألتنا إنما هو بقوله قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فأضاف الكل إلى الله و الكل خير و هو بيده و الشر ليس إليه فأوهم السائل المسئول بلفظ الطاعة و المعصية ليرى ما عنده من العلم فإنه سؤال ابتلاء منه لمدعي علم الحقائق من طريق الكشف و قد قررنا هذا الفصل في كتاب المعرفة لنا

(السؤال التاسع و الثلاثون) و ما العقل الأكثر الذي قسمت العقول منه لجميع خلقه الجواب لما كان في نفس الأمر يقتضي أن يكون مراتب المعلومات من الممكنات ثلاثا مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول بطريق الأدلة و البداية و مرتبة من شأنها أن تدرك بالحواس و هي المحسوسات و مرتبة من شأنها أن تدرك بالعقل أو الحواس و هي المتخيلات و هي تشكل المعاني في الصور المحسوسة تصورها القوة المصورة الخادمة للعقل يقتضي ذلك أمر يسمى الطبيعة فيما ينشأ منها من الأجسام الإنسانية و الجنية فلما إن شاء الله أن يوضح للمكلفين من عباده أسباب سعاداتهم على ألسنة رسله من البشر إليهم بوساطة الروح العلوي المنزل بذلك على قلوب بعض البشر المسمين رسلا و أنبياء أجرى المعاني في المخاطبات مجرى المحسوسات في الصور التي تقبل التجزي و الانقسام و القلة و الكثرة و جعل محل ذلك حضرة الخيال فحصروا المعاني في الخطاب فتلقتها بالتشبيه العقول كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني التي ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها أن تكون متحيزة أو منقسمة أو قليلة أو كثيرة أو ذات حد و مقدار و كيف و كم و جعل لنا الدليل على قبول ما أتى به من هذا القبيل في هذه الصور ما يراه النائم في نومه من العلم في صورة اللبن فيشربه حتى يرى الري يخرج من أظفاره فقيل له ما أولته يا رسول الله يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت فقال العلم و معلوم أن العلم ليس بجسم يسمى لبنا و لا هو لبن و إنما هو معنى مجرد عن الصور التي من شأنها أن تدركها الحواس فكان منها ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب فمن الناس من حصل له من العقل الممثل في الصور التي من شأنها أن تكال القفيز و القفيزين و الأكثر و الأقل و المد و المدين و الأكثر من

ذلك و الأقل ليبين بهذا تفاضل الناس في العقول لأنه المشهود عندنا لأنا نرى أشخاصا كلهم يتصفون بأنهم عقلاء ذوو أحلام فمنهم من يدرك عقله غوامض الأسرار و المعاني و يحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكيم على خمسين وجها و مائة و أكثر و أقل من المعاني الغامضة و العلوم العالية المتعلقة بالجناب الإلهي أو الروحاني أو الطبائع أو العلم الرياضي أو الميزان المنطقي و عقل شخص ينزل عن هذه الدرجة إلى ما هو أقل و آخر ينزل دون هذا الأقل و عقل آخر يعلو فوق هذا الأكبر فلما شاهدنا تفاوت العقول احتجنا أن نقسمها على الأشخاص تقسيم الذوات التي تقبل الكثرة و القلة و يسمى المعنى القابل لهذه القسمة المعنوية الممثلة العقل الأكثر أي الذي قسمت منه هذي العقول التي في العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت و صورة تكوين العقول من هذا العقل الأكبر في تحقيق الأمر بطريق التمثيل و التشبيه الأقرب إلى المناسب بالسراج الأول فتوقد منه جميع الفتائل فتتعدد السرج بعدد الفتائل و تقبل الفتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها ففتيلة طبيعية في غاية النظافة صافية الدهن وافرة الجسم يكون قبولها أعظم في اتساع النور و في كمية جسم النور و أكبر من فتيلة نزلت عن هذه في الصفة من النظافة و الصفاء فكان التفاوت بين الأنوار بحسب استعدادات الفتائل و مع هذا فلم ينقص من السراج الأول شيء بل هو على كماله كما كان و كل سراج من هذه السرج يضاهيه و يقول أنا مثله و بأي شيء فضل علي و أنا يؤخذ مني كما يؤخذ منه و يصول و يقول و ما يرى فضله عليه من وجه إنه الأصل و له التقدم و الثاني إنه في غير مادة و لا واسطة بينه و بين ربه و ما عداه فلم يظهر له وجود إلا به و بالمواد التي قبلت الاشتعال منه فظهرت أعيان العقول هذا كله غاب عنها بل ما لها فيه ذوق كيف يدرك من لا وجود له إلا بين أب و أم حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة و إذا كانت العقول تعجز عن إدراك العقل الأول التي ظهرت عنه فعجزها عن إدراك خالق العقل الأول و هو الله تعالى أعظم فإنه أول ما خلق الله العقل و هو الذي ظهرت منه هذه العقول بوساطة هذه النفوس الطبيعية فهو أول الآباء و سماه الله في كتابه العزيز الروح و أضافه إليه فقال في حق النفوس الطبيعية و حق هذا الروح و حق هذه الأرواح الجزئية التي لكل نفس طبيعية فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و هو هذا العقل الأكبر و لهذا يقال فيه العقل الغريزي معناه الذي اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها الذي هو عبارة عن تسويتها و تعديلها لقبول هذا الأمر و اعلم أن أصل كل متكثر الواحد فالأجسام ترجع إلى جسم واحد و الأنفس ترجع إلى نفس واحدة و العقول ترجع إلى عقل واحد و لكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته بل بنسب إذا تأملت ما ذكرناه وجدته كذلك فيكون كان ذلك الواحد انقسم إلى هذه الكثرة لا أنه انقسم في نفسه إما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس و العقول و الأصل المرجوع إليه و إما لكونه في قوته أن تكون منه هذه

الكثرة من غير أن ينقص منه من حيث جسميته كالجسوم التي يتولد عنها الحيوان بماء أو ريح فذلك الماء أو الريح ليس هو من حد هذا الجسم الذي تكون عنه ما تكون

(السؤال الأربعون) ما صفة آدم عليه السلام الجواب إن شئت صفته الحضرة الإلهية و إن شئت مجموع الأسماء الإلهية و إن شئت قول النبي صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته فهذه صفته فإنه لما جمع له في خلقه بين يديه علمنا أنه قد أعطاه صفة الكمال فخلقه كاملا جامعا و لهذا قبل الأسماء كلها فإنه مجموع العالم من حيث حقائقه فهو عالم مستقل و ما عداه فإنه جزء من العالم و نسبة الإنسان إلى الحق من جهة باطنه أكمل في هذه الدار الدنيا و أما في النشأة الآخرة فإن نسبته إلى الحق من جهة الظاهر و الباطن و أما الملك فإن نسبته من جهة الظاهر إلى الحق أتم و لا باطن للملك و لكن إلى الحق من حيث هو مسمى الله لا من حيث ذاته فإنه من حيث ذاته هو لذاته و من حيث مسمى الله يطلب العالم فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة و هي كونه ألها ربا و لهذا لا كلام له فيه إلا في هذه النسب و الإضافات و سمي بآدم لحكم ظاهره عليه فإنه ما عرف منه سوى ظاهره كما أنه ما عرف من الحق سوى الاسم الظاهر و هو المرتبة الإلهية فالذات مجهولة و كذلك كان آدم عند العالم من الملائكة فمن دونهم مجهول الباطن و إنما حكموا عليه بالفساد أي بالإفساد من ظاهر نشأته لما رأوها قامت من طبائع مختلفة متضادة متنافرة فعلموا أنه لا بد أن يظهر أثر هذه الأصول على من هو على هذه النشأة فلو علموا باطنه و هو حقيقة ما خلقه الله عليه من الصورة لرأوا الملائكة جزءا من خلقه فجهلوا أسماءه الإلهية التي نالها بهذه الجمعية لما كشف له عنه فأبصر ذاته فعلم مستنده في كل شيء و من كل شيء فالعالم كله تفصيل آدم و آدم هو الكتاب الجامع فهو للعالم كالروح من الجسد فالإنسان روح العالم و العالم الجسد فبالمجموع يكون العالم كله هو الإنسان الكبير و الإنسان فيه و إذا نظرت في العالم وحده دون الإنسان وجدته كالجسم المسوي بغير روح و كمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح و الإنسان منفوخ في جسم العالم فهو المقصود من العالم و اتخذ الله الملائكة رسلا إليه و لهذا سماهم ملائكة أي رسلا من المالكة و هي الرسالة فإن أخذت الشرف بكمال الصورة قلت الإنسان أكمل و إن أخذت الشرف بالعلم بالله من جانب الحق لا من طريق النظر فالأفضل و الأشرف من شرفه الله بقوله هذا أفضل عندي فإنه لا تحجير عليه في إن يفضل من شاء من عباده فإن العلم بالله الذي يقع به الشرف لا حد له ينتهي إليه

(السؤال الحادي و الأربعون) ما توليته الجواب إن الله تولاه بثلاث منها توليته في خلقه بيديه و منها بما علمه من الأسماء التي ما تولى بها ملائكته و منها الخلافة و هي قوله إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فإن كان قوله خَلِيفَةً لقوله وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ فهو نائب الحق في أرضه و عليه يقع الكلام و إن أراد بالخلافة أنه يخلف من كان فيها لما فقد فما نحن بصدد ذلك و كان المقصود النيابة عن الحق بقوله خَلِيفَةً لقولهم من

يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ و هذا لا يقع إلا ممن له حكم و لا حكم إلا لمن له مرتبة التقدم و إنفاذ الأوامر فأما مقصود السائل فإنه يريد الخلافة التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه فأقامه بالاسم الظاهر و أعطاه علم الأسماء من حيث ما هي عليه من الخواص التي يكون عنها الانفعالات فيتصرف بها في العالم تصرفها فإنه لكل اسم خاصة من الفعل في الكون يعلمها من يعلم علم الحروف و ترتيبها من حيث ما هي مرقومة و من حيث ما هي متلفظ بها و من حيث ما هي متوهمة في الخيال فمنها ما له أثر في العالم الأعلى و تنزيل الروحانيات بها إذا ذكرت أو كتبت في عالم الحس و منها ما له أثر في العالم الجبروتي من الجن الروحاني و منها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل و في حس كل ذي حس و منها ما له أثر في الجانب إلا حي الأعلى الذي هو موضع النسب و لا يعرف هذا التأثير الواحد و أسماءه إلا الأنبياء و المرسلون سلام الله عليهم و هي أسماء التشريع و العمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النسبي و هو جناب عزيز لا يشعر به جعله الحق سبحانه موضع أسراره و مجلى تجلياته و هو الذي يعطي النزول و الاستواء و المعية و الفرح و الضحك و المقدار و ما يفهم منه من الآلات التي لا تكون إلا لذوات المقادير و الكميات و الكيفيات و قال تعالى وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلٰهٌ فجاء بالهوية بما ينبغي أن يظهر به في السموات من الألوهية بالاسم الذي يخصها وَفِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ بالاسم الذي ينبغي أن يظهر به في الأرض من كونه إلها فكان آدم نائبا عن هذا الاسم و هذا الاسم هو باطنه و هو المعلم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها و هكذا هو كل خليفة فيها و لهذا قال جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ أي يخلف بعضنا بعضا فيها في تلك المرتبة مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها و ذلك لاختلاف الأزمان و اختلاف الأحوال فيعطي هذا الحال و الزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان و الحال الذي كان قبله و الذي يكون بعده و لهذا اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار فآية كل خليفة و رسول من نسبة ما هو الظاهر و الغالب على ذلك الزمان و أحوال علمائه أي شيء كان من طب أو سحر أو فصاحة و ما شاكل هذا و هو قوله وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ يقول للخلفاء لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ و هاتان الصفتان لا تكونان إلا لمن بيده الحكم و الأمر و النهي فهذا النسق يقوي أنه أراد خلافة السلطنة و الملك و هي التولية الإلهية و أعظم تأثيراتها الفعل بالهمة من حيث إن النفس ناطقة لا من حيث الحرف و الصوت المعتاد في الكلام اللفظي فإن الهمة من غير نطق النفس بالنطق الذي يليق بها و إن لم يشبه نطق اللسان لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه عند جماعة أصحابنا و أوقعهم في هذا الإشكال حكم النيابة عن الله الذي إذا أراد شيئا و هو المعبر فينا بالهمة أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و هو المعبر عنه فينا بالنطق أو الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب إليه ذلك فما اكتفى سبحانه في حق نفسه بالإرادة حتى قرن معها القول و حينئذ وجد التكوين و لا يمكن أن يكون النائب عنه و هو الخليفة بأبلغ في التكوين ممن استخلفه فلهذا لم يقتصروا

على الهمة دون نطق النفس و أما نحن فنقول بهذا في موطنه و هو صحيح غير أن الذات غاب عنهم ما تستحقه لكون المرتبة لا تعقل دونها فكان كون المرتبة إنما هو عن الذات بلا شك لأن الذات تطلبها طلبا ذاتيا لا طلبا يتوقف على همة و قول بل عين همتها و قولها هو عين ذاتها فكون الألوهة لها هو ما يكون عن ذات الخليفة من حيث إنها ذات خليفة فهي الذات الخلافية لا ذات الخلق التي هي نشأة جسمه و روحه و مع هذا فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلا في موازين العلوم و شرعا فأما في العقل فأصحاب الموازين يعرفون ذلك و أما في الشرع فإنه قوله إِنَّمَا قَوْلُنا فهذا الضمير الذي هو النون من قولنا عين وجود ذاته تعالى و كناية عنه فهذا أمر واحد و قوله إِذا أَرَدْناهُ أمر ثان و قوله أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ أمر ثالث فذات مريده قائلة يكون عنها التكوين بلا شك فالاقتدار الإلهي على التكوين لم يقم إلا من اعتبار ثلاثة أمور شرعا و كذلك هو الإنتاج في العلوم بترتيب المقدمات و إن كانت كل مقدمة مركبة من محمول و موضوع فلا بد أن يكون أحد الأربعة يتكرر فيكون في المعنى ثلاثة و في التركيب أربعة فوقع التكوين عن الفردية و هي الثلاثة لقوة نسبة الفردية إلى الأحدية فبقوة الواحد ظهرت الأكوان فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور فالوجود المنسوب إلى كل مخلوق هو وجود الحق إذ لا وجود للممكن لكن أعيان الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود فتدبر ما ذكرناه في هذه التولية التي سأل عنها سمينا و ابن سمي أبينا محمد بن علي الترمذي في كتاب ختم الأولياء له و هي هذه المسائل التي أذكرها في هذا الباب

(السؤال الثاني و الأربعون) ما فطرته يعني فطرة آدم أو الإنسان الجواب إن أراد فطرته من كونه إنسانا فله جواب أو من كونه خليفة فله جواب أو من كونه إنسانا خليفة فله جواب أو من كونه لا إنسان و لا خليفة فله جواب و هو أعلاها نسبة فإنه إذا كان حقا مطلقا فليس بإنسان و لا خليفة كما ورد في الخبر كنت سمعه و بصره فأين الإنسانية هنا إذ لا أجنبية و أين الخلافة هنا و هو الأمر بنفسه فأثبتك و محاك و أضلك و هداك أي حيرك فيما بين لك فما تبينت إلا الحيرة فعلمت إن الأمر حيرة فعين الهدى متعلقة الضلال فقال أنت و ما أنت وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و ما رمى إلا محمد فما رمى إلا الله فأين محمد فمحاه و أثبته ثم محاه فهو مثبت بين محوين محو أزلي و هو قوله وَما رَمَيْتَ و محو أبدي و هو قوله وَلكِنَّ اللهَ رَمى و إثباته قوله إِذْ رَمَيْتَ فإثبات محمد في هذه الآية مثل الآن الذي هو الوجود الدائم بين الزمانين بين الزمان الماضي و هو نفي عدم محقق و بين الزمان المستقبل و هو عدم محض و كذلك ما وقع الحس و البصر الأعلى رمى محمد فجعله وسطا بين محوين مثبتا فأشبه الآن الذي هو عين الوجود و الوجود إنما هو وجود الله لا وجوده فهو سبحانه الثابت الوجود في الماضي و الحال و الاستقبال فزال عنه التقييد المتوهم فسبحان اللطيف الخبير و لهذا قال وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً فجاء بالخبرة أي قلنا هذا اختبارا للمؤمنين في إيمانهم لنا في ذلك من تناقص الأمور الذي يزلزل إيمان من في إيمانه نقص عما

يستحقه الايمان من مرتبة الكمال الذي في أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فهذا الجواب عن الوجه الرابع الذي هو أصعب الوجوه قد بان فأما فطرته من حيث ما هو إنسان ففطرته العالم الكبير و أما فطرته من حيث ما هو خليفة ففطرته الأسماء الإلهية و أما فطرته من حيث ما هو إنسان خليفة ففطرته ذات منسوب إليها مرتبة لا تعقل المرتبة دونها و لا تعقل هي دون المرتبة قال تعالى فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و هو قوله كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و الفطر الشق و قال تعالى فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ و هو الفطرة كما أنه لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ و هو قوله ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ أي قولنا واحد لا يقبل التبديل و قال صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة فالألف و اللام هنا للعهد أي الفطرة التي فطر الله الناس عليها و قد تكون الألف و اللام لجنس الفطر كلها لأن الناس أي هذا الإنسان لما كان مجموع العالم ففطرته جامعة لفطر العالم ففطرة آدم فطر جميع العالم فهو يعلم ربه من حيث كل علم نوع من العالم من حيث هو عالم ذلك النوع بربه من حيث فطرته و فطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلي الإلهي الذي يكون له عند إيجاده ففيه استعداد كل موجود من العالم فهو العابد بكل شرع و المسبح بكل لسان و القابل لكل تجلى إذا و في حقيقة إنسانيته و علم نفسه فإنه لا يعلم ربه إلا من علم نفسه إن حجبه شيء منه عن درك كله فهو الجاني على نفسه و ليس بإنسان كامل و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كمل من الرجال كثيرون و لم يكمل من النساء إلا مريم و آسية يعني بالكمال معرفتهم بهم و معرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم فكانت فطرة آدم علمه به فعلم جميع الفطر و لهذا قال وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها و كل يقتضي الإحاطة و العموم الذي يراد به في ذلك الصنف و أما الأسماء الخارجة عن الخلق و النسب فلا يعلمها إلا هو لأنه لا تعلق لها بالأكوان و هو قوله عليه السلام في دعائه أو استأثرت به في علم غيبك يعني من الأسماء الإلهية و إن كان معقول الأسماء مما يطلب الكون و لكن الكون لا نهاية لتكوينه فلا نهاية لأسمائه فوقع الإيثار في الموضع الذي لا يصح وجوده إذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال و أما الذات من حيث هي فلا اسم لها إذ ليست محل أثر و لا معلومة لأحد و لا ثم اسم يدل عليها معرى عن نسبة و لا بتمكين فإن الأسماء للتعريف و التميز و هو باب ممنوع لكل ما سوى الله فلا يعلم الله إلا الله فالأسماء بنا و لنا و مدارها علينا و ظهورها فينا و أحكامها عندنا و غاياتها إلينا و عباراتها عنا و بداياتها منا

فلولاها لما كنا و لولانا لما كانت

بها بنا و ما بنا كما بانت و ما بانت

فإن خفيت لقد جلت وإن ظهرت لقد زانت

انتهى الجزء الثالث و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثالث و الأربعون) ما الفطرة الجواب النور الذي تشق به ظلمة الممكنات و يقع به الفصل بين الصور فيقال هذا ليس هذا إذ قد يقال هذا عين هذا من حيث ما يقع به الاشتراك ف الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ هو قوله الله نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و العالم كله سماء و أرض ليس غير ذلك و بالنور ظهرت قوله وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ و الله مظهرها فهو نورها فظهور المظاهر هو الله فهو فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ففطر السماء و الأرض به فهو فطرتها و الفطرة التي فطر الناس عليها فكل مولود يولد على الفطرة أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى فما فطرهم إلا عليه و لا فطرهم إلا به فبه تميزت الأشياء و انفصلت و تعينت و الأشياء في ظهورها الإلهي لا شيء فالوجود وجوده و العبيد عبيده فهم العبيد من حيث أعيانهم و هم الحق من حيث وجودهم فما تميز وجودهم من أعيانهم إلا بالفطرة التي فصلت بين العين و وجودها و هو من أغمض ما يتعلق به علم العلماء بالله كشفه عسير و زمانه يسير

(السؤال الرابع و الأربعون) لم سماه بشرا الجواب قال تعالى ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ على جهة التشريف الإلهي فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه بحسب ما يليق بجلاله فسماه بشرا لذلك إذ اليد بمعنى القدرة لا شرف فيها على من شرف عليه و اليد بمعنى النعمة مثل ذلك فإن النعمة و القدرة عمت جميع الموجودات فلا بد أن يكون لقوله بِيَدَيَّ أمر معقول له خصوص وصف بخلاف هذين و هو المفهوم من لسان العرب الذي نزل القرآن بلغتهم فإذا قال صاحب اللسان إنه فعل هذا بيده فالمفهوم منه رفع الوسائط فكانت نسبة آدم في الجسوم الإنسانية نسبة العقل الأول في العقول و لما كانت الأجسام مركبة طلبت اليدين لوجود التركيب و لم يذكر ذلك في العقل الأول لكونه غير مركب فاجتمعا في رفع الوسائط و ليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع ذكر اليدين إلا أمر من أجله سمي بشرا و سرت هذه الحقيقة في البنين فلم يوجد أحد منهم إلا عن مباشرة ألا ترى وجود عيسى عليه السلام لما تمثل لها الروح بشرا سويا فجعله واسطة بينه تعالى و بين مريم في إيجاد عيسى تنبيها على المباشرة بقوله بَشَراً سَوِيًّا قال تعالى وَلا تُباشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ و بشرة الشيء ظاهره و البشرى إظهار علامة حصولها في البشرة فقوله للشيء كن بالحرفين الكاف و النون بمنزلة اليدين في خلق آدم فأقام القول للشيء مقام المباشرة و أقام الكاف و النون مقام اليدين و أقام الواو المحذوفة لاجتماع الساكنين مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم و أخفى ذكره كما خفيت الواو من كن غير أن خفاءها في كن لأمر عارض و خفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل و هو قوله ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و هو حال الفعل لأنه ليس في حقائق ما سوى الله ما يعطي ذلك المشهد فلا فعل لأحد سوى الله و لا فعل عن اختيار واقع في الوجود فالاختيارات المعلومة في العالم من عين الجبر فهم المجبورون في

اختيارهم و الفعل الحقيقي لا جبر فيه و لا اختيار لأن الذات تقتضيه فتحقق ذلك فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة لظهور الوجود المقيد سمي الوجود المقيد بشرا و اختص به الإنسان لأنه أكمل الموجودات خلقا و كل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود فالإنسان أتم المظاهر فاستحق اسم البشر دون غيره من الأعيان و أما قوله تعالى وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ فسمى المكلم هنا بشرا بهذه الضروب كلها من الكلام لما يباشره من الأمور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح التي له من حيث روحانيته فإن ارتقى عن درجة البشرية كلمه الله من حيث ما كلم الأرواح إذ كانت الأرواح أقوى في التشبه لكونها لا تقبل التحيز و الانقسام و تتجلى في الصور من غير أن يكون لها باطن و ظاهر فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها و هي عين ذاتها و البشر من نشأته ليس كذلك فإنه على صورة العالم كله ففيه ما يقتضي المباشرة و التحيز و الانقسام و هو مسمى البشر و فيه ما لا يطلب ذلك و هو روحه المنفوخ فيه و على بشريته توجهت اليدان فظهرت الشفعية في اليدين في نشأته فلا يسمع كلام الحق من كونه بشرا إلا بهذه الضروب التي ذكرها أو بأحدها فإذا زال في نظره عن بشريته و تحقق بمشاهدة روحه كلمه الله بما يكلم به الأرواح المجردة عن المواد مثل قوله تعالى في حق محمد صلى الله عليه و سلم و في حق الأعرابي فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و ما تلاه عليه غير لسان محمد صلى الله عليه و سلم فأقام محمدا صلى الله عليه و سلم في هذه الصورة مقام الروح الأمين الذي نزل بكلام الله على قلب محمد صلى الله عليه و سلم و هو قوله أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا يعني لذلك البشر فَيُوحِيَ إليه بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ الله تعالى مما أمره أن يوحى به إليه فقوله إِلَّا وَحْياً يريد هنا إلها ما بعلامة يعلم بها أن ربه كلمه حتى لا يلتبس عليه الأمر أَوْ من وَراءِ حِجابٍ يريد إسماعه إياه لحجاب الحروف المقطعة و الأصوات كما سمع الأعرابي القرآن المتلو الذي هو كلام الله أو حجاب الآذان أيضا من السامع أو حجاب بشريته مطلقا فيكلمه في الأشياء كما كلم موسى من جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ . . في الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ من الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ فوقع الحد بالجهة و تعين البقعة لشغله بطلب النار الذي تقتضيه بشريته فنودي في حاجته لافتقاره إليها و الله قد أخبر أن الناس فقراء إلى الله فتسمى الله في هذه الآية باسم كل ما يفتقر إليه غيرة إلهية أن يفتقر إلى غير الله فتجلى الله له في عين صورة حاجته فلما جاء إليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره إلى الله و الحجاب وقع بالصورة التي وقع فيها التجلي فلولا ما ناداه ما عرفه و في مثل هذا يقع التجلي الإلهي في الآخرة الذي يقع فيه الإنكار و قوله إنه علي أي عليم بما تقتضيه المراتب التي ذكرها و أنزلها منزلتها و قوله حكيم يريد بإنزال ما علمه منزلته و لو بدل الأمر لما عجز عن ذلك و لكن كونه عليا حكيما يقضي بأن لا يكون الأمر إلا كما وقع و لما أخبر نبيه بهذه المراتب كلها التي تطلبها البشرية قال له و كذلك أي و مثل ذلك أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً من أَمْرِنا يعني الروح الأمين الذي نزل به على

قلبك الذي هو روح القدس أي الطاهر عن تقييد البشر فقد علمت معنى البشر الذي أردنا أن نبينه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربي

(السؤال الخامس و الأربعون) بأي شيء نال التقدمة على الملائكة الجواب إن الله قد بين ذلك بقوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها يعني الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد حقائق الأكوان و من جملتها الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد الملائكة و الملائكة لا تعرفها ثم أقام المسمين بهذه الأسماء و هي التجليات الإلهية التي هي للأسماء كالمواد الصورية للأرواح فقال للملائكة أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ يعني الصور التي تجلى فيها الحق إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في قولكم نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ و هل سبحتموني بهذه الأسماء التي تقتضيها هذه التجليات التي أتجلاها لعبادي و إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في قولكم و نقدس لك ذواتنا عن الجهل بك فهل قدستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات و ما لها من الأسماء التي ينبغي أن تسبحونى بها فقالت الملائكة لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا فمن علمهم بالله أنهم ما أضافوا التعليم إلا إليه تعالى إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بما لا يعلم الْحَكِيمُ بترتيب الأشياء مراتبها فأعطيت هذا الخليفة ما لم تعطنا مما غاب عنا فلولا أن رتبة نشأته تعطي ذلك ما أعطت الحكمة أن يكون له هذا العلم الذي خصصته به دوننا و هو بشر فقال لآدم أَنْبِئْهُمْ (بِأَسْمائِهِمْ) بأسماء هؤلاء الذين عرضناهم عليهم فأنبأ آدم الملائكة بأسماء تلك التجليات و كانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الإلهية التي تقتضيها اليدان الإلهية مما ليس من ذلك في غيره من الملائكة شيء فكان هؤلاء المسمون المعروضة على الملائكة تجليات إلهية في صورة ما في آدم من الحقائق فأولئك هم عالم آدم كلهم فلما علمهم آدم عليه السلام قال لهم الله أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ و هو ما علا من علم الغيوب وَالْأَرْضِ و هو ما في الطبيعة من الأسرار وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ أي ما هو من الأمور ظاهر وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ أي ما تخفونه على أنه باطن مستور فأعلمتكم أنه أمر نسبي بل هو ظاهر لمن يعلمه ثم قال لهم بعد التعليم اسْجُدُوا لِآدَمَ سجود المتعلمين للمعلم من أجل ما علمهم فلآدم هنا لام العلة و السبب أي من أجل آدم فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علمهم الله من العلم به و بما خلقه في آدم عليه السلام فعلموا ما لم يكونوا يعلمون فنال التقدمة عليهم بكونه علمهم فهو أستاذهم في هذه المسألة و بعده فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر إلا في محمد صلى الله عليه و سلم فقال عن نفسه إنه أوتي جوامع الكلم و هو قوله في حق آدم عليه السلام الْأَسْماءَ كُلَّها و كلها بمنزلة الجوامع و الكلم بمنزلة الأسماء و نال التقدمة بها و بالصورة التي خلقه الله عليها قال عليه السلام إن الله خلق آدم على صورته بالنشأة من أجل اليدين و جعله بالخلافة على صورته و هي المنزلة فأعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات

فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق فلا بد أن يكون له التقدمة على من سواه و كذلك الأمر الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الأمور كلها

(السؤال السادس و الأربعون) كم عدد الأخلاق التي منحه عطاء الجواب ثلاثمائة خلق و هي التي ذكر النبي صلى الله عليه و سلم أن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة و لهذا قال في الثلاثمائة إنهم على قلب آدم عليه السلام يعني هذه الأخلاق التي منح الله آدم فمن كملت نشأته من بنيه قبل هذه الثلاثمائة من الخلق و من لم يكمل كمال آدم فله منها على قدر ما أعطى من الكمال فمنهم الكامل و الأكمل و هذه الأخلاق خارجة عن الاكتساب لا تكتسب بعمل بل يعطيها الله اختصاصا و لا يصح التخلق بها لأنه لا أثر لها في الكون و إنما هي إعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها لا يكون شيء من تلك التجليات إلا لمن له هذه الأخلاق فناهيك من أخلاق لا تعلق لها لمن كان عليها و اتصف بها إلا بالله خاصة ليس بينها و بين المخلوقين نسب أصلا فقول النبي صلى الله عليه و سلم من تخلق بواحد منها أراد من اتصف بشيء منها أي من قامت به فإن الأخلاق على أقسام ثلاثة منها أخلاق لا يمكن التخلق بها إلا مع الكون كالرحيم و أخلاق يتخلق بها مع الكون و مع الله كالغفور فإنه يقتضي الستر لما يتعلق بالله من كونه غيورا و يتعلق بالكون و أخلاق لا يتخلق بها إلا مع الله خاصة و هي هذه الثلاثمائة و لها من الجنات جنة مخصوصة لا ينالها إلا أهل هذه الأخلاق و تجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات و لكن هذه الأخلاق هي لهم كالخلوق الذي يتطيب به الإنسان فإنه وجود الريح من الطيب لا تعمل فيه للمتطيب به فإنه يقتضي تلك الريح لذاته و التخلق تعمل في تحصيل الخلق و هذا ليس كذلك فالثناء على الطيب لا على من قام به فكذلك هذا الخلق إذا رئ على عبد قد اتصف به لم يقع منه ثناء عليه أصلا و إنما يقع الثناء على الخلق خاصة فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الأخلاق الثلاثمائة فإن الكرم خلق من أخلاق الله و لكن إذا تخلق به العبد أثنى عليه بأنه كريم و كذلك الرحمة يقال فيه رحيم و هذه الأخلاق لا ينطلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها و سبب ذلك لأنه لا تعلق لها بالكون إلا بحكم الاشتراك كالغفور و لا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب و يعطيها الاسم الوهاب من عين المنة لا غير

(السؤال السابع و الأربعون) كم خزائن الأخلاق الجواب على عدد أصناف الموجودات و أعيان أشخاصها فهي غير متناهية من حيث ما هي أشخاص و متناهية من حيث ما هي خزائن و ما سميت خزائن لكون الأخلاق مخزونة فيها اختزانا وجوديا و إنما جعلت خزائن لما تتضمنه في حكم من اتصف بها من الصفات التي لا نهاية لوجودها و هي خزائن في خزائن و أصلها الذي ترجع إليه الجامع للكل ثلاث خزائن خزانة تحوي على ما تقتضيه الذوات من حيث ما هي ذوات و خزانة تحوي على ما تقتضيه النسب الموجبة للأسماء من

حيث ما هي نسب و خزانة تحوي على ما تقتضيه الأفعال من حيث إنها أفعال لا من حيث المفعولات و لا الانفعالات و لا الفاعلية و كل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح إلى خزائن و تلك الخزائن إلى خزائن هكذا إلى غير نهاية فهي تدخل تحت الكم بوجه و لا تدخل تحت الكم بوجه فما حصل منها في الوجود حصره الكم

(السؤال الثامن و الأربعون) إن لله مائة و سبعة عشر خلقا ما تلك الأخلاق الجواب إن هذه الأخلاق مخصوصة بالأنبياء عليهم السلام ليس لمن دونهم فيها ذوق و لكن لمن دونهم تعريفاتها فتكون عن تلك التعريفات أذواق و مشارب لا يحصيها إلا الله علما و عددا فمن هذه الأخلاق خلق الجمع الدال على التفريق و الجمع الذي يتضمن التفريق و الفرق الذي يتضمن الجمع و يظهر هذا الخلق من حضرة العزة و الإبانة و الحكمة و الكرم و من هذه الأخلاق خلق النور المستور و هو من أعز المعارف إذ لا يتمكن في النور أن يكون مستورا فإنه لذاته يخرق الحجب و يهتك الأستار فما هذا الستر الذي يحجبه إلا إن ذلك الحجاب هو أنت كما قال العارف

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه   و لولاك لم يطبع عليه ختامه

و من هذه الأخلاق خلق اليد و هو القوة و هو مخصوص بالقلوب و أصحابها و هو على مراتب و من هذه الأخلاق خلق إعدام الأسباب في عين وجودها و هو على مراتب وقفت منها في الأندلس على مائة مرتبة لا توجد في الكمال إلا في روحانية ذلك الإقليم فإنه لكل جزء من الأرض روحانية علوية تنظر إليه و لتلك الروحانية حقيقة إلهية تمدها و تلك الحقيقة هي المسماة خلقا إلهيا و أما بقية الأخلاق فلها مراتب دون هذه التي ذكرناها في الإحاطة و العموم و لكل خلق من هذه الأخلاق درجة في الجنة لا ينالها إلا من له هذا الخلق و هذه الأربع التي ذكرناها منها للرسل و منها للأنبياء و منها للأولياء و منها للمؤمنين و كل طبقة من هؤلاء الأربع على منازل بعددهم فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى و منها ما تختص به تلك الطبقة و ذلك أن كل أمر يطلب الحق ففيه يقع الاشتراك و كل أمر يطلب الخلق فهو يختص بذلك النوع من الخلق يقتصر عليه و من الباقي أربعة عشر خلقا لا يعلمها إلا الله و الباقي من الأخلاق تعينها أسماء الإحصاء و هي أسماء لا يعرفها إلا ولي أو من سمعها من رسول الله صلى الله عليه و سلم من الصحابة و أما من طريق النقل فلا يحصل بها علم و أما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه و ما بقي فيعلمه أهل الجنة و هم في العلم بها على طبقات و أعني بأهل الجنة الذين هم أهلها فإنه لله سبحانه أهل هم أهله لا يصلحون لغيره كما ورد في الخبر أن أهل القرآن هم أهل الله و خاصته و للجنة أهل هم أهلها لا يصلحون إلا لها لا يصلحون لله و إن جمعتهم حضرة الزيارة و لكن هم فيها بالعرض و للنار أهل هم أهلها لا يصلحون لله و لا للجنة و لكل أهل فيما هم فيه نعيم بما هم فيه و لكن بعد نفوذ أمر سلطان الحكم العدل القاضي إلى أجل مسمى و كل طائفة لها شرب و

ذوق في هذه الأخلاق المذكورة في هذا الباب فانقسمت هذه الأخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث كل خلق منها يدعوهم إلى ما يقتضيه أمره و شأنه من نا ر أو جنان أو حضور عنده حيث لا أين و لا كيف و للمعاني المجردة منها أخلاق و لعالم الحس منها أخلاق و لعالم الخيال منها أخلاق فجنة محسوسة لمعنى دون حس و جنة معنوية لحس دون معنى و حضور مع الحق معنوي لحس دون معنى و حضور مع الحق محسوس لمعنى و نا ر محسوسة لمعنى دون حس و نا ر معنوية لحس دون معنى و تتفاضل مشا رب هؤلاء الطبقات فيها فمنهم التام و الأتم و الكامل و الأكمل فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ في كل حضرة فإنه كلما أثبتناه من أعيان أكوان في نا ر و جنان فليس إلا الحق إذ هي مظاهره فالنعيم به لا يصح أصلا في غير مظهر فإنه فناء ليس فيه لذة فإذا تجلى في المظاهر وقعت اللذات و الآلام و سرت في العالم و يرحم الله من قال

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم

منعم بعذاب معذب بنعيم

فبه النعيم و به العذاب فلا يوجد النعيم أبدا إلا في مركب وكَذلِكَ الْعَذابُ و أما النعيم و العذاب البسيط فلا حكم له في الوجود فإنه معقول غير موجود فأهل المظاهر هم أهل النعيم و العذاب و أهل أحدية الذات لا نعيم عندهم و لا عذاب قال أبو يزيد ضحكت زمانا و بكيت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي و قيل له كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما المساء و الصباح لمن تقيد بالصفة و لا صفة لي

(السؤال التاسع و الأربعون و الموفي خمسين) كم للرسل سوى محمد صلى الله عليه و سلم منها و كم لمحمد صلى الله عليه و سلم منها

الجواب كلها إلا اثنين و هم فيها على قدر ما نزل في كتبهم و صحفهم إلا محمدا صلى الله عليه و سلم فإنه جمعها كلها بل جمعت له عناية أزلية قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فيما لهم به من هذه الأخلاق فاعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافا و جعل في كل صنف خيا را و اختا ر من الخيا ر خواص و هم المؤمنون و اختا ر من المؤمنين خواص و هم الأولياء و اختا ر من هؤلاء الخواص خلاصة و هم الأنبياء و اختا ر من الخلاصة نقاوة و هم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم و اختا ر من النقاوة شرذمة قليلة هم صفاء النقاوة المروقة و هم الرسل أجمعهم و اصطفى واحدا من خلقه هو منهم و ليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمدا أقام عليه قبة الوجود جعله أعلى المظاهر و أسناها صح له المقام تعيينا و تعريفا فعلمه قبل وجود طينة البشر و هو محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يكاثر و لا يقاوم هو السيد و من سواه سوقة قال عن نفسه أنا سيد الناس و لا فخر بالراء و الزاي روايتان أي

أقولها غير متبجح بباطل أي أقولها و لا أقصد الافتخار على من بقي من العالم فإني و إن كنت أعلى المظاهر الإنسانية فإنا أشد الخلق تحققا بعيني فليس الرجل من تحقق بربه و إنما الرجل من تحقق بعينه لما علم إن الله أوجده له تعالى لا لنفسه و ما فاز بهذه الدرجة ذوقا إلا محمد صلى الله عليه و سلم و كشفا إلا الرسل و راسخو علماء هذه الأمة المحمدية و من سواهم فلا قدم لهم في هذا الأمر و ما سوى من ذكرنا ما علم أن الله أوجده له تعالى بل يقولون إنما أوجد العالم للعالم فرفع بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا و هو غني عن العالمين هذا مذهب جماعة من العلماء بالله و قالت طائفة من العارفين إن الله أوجد الإنس له تعالى و الجن و أوجد ما عدا هذين الصنفين للإنسان و قد روي في ذلك خبر إلهي عن موسى صلى الله عليه و سلم أن الله أنزل في التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك و قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و تقتضي المعرفة بالله أن الله خلق العالم و تعرف إليهم لكمال مرتبة الوجود و مرتبة العلم بالله لا لنفسه سبحانه و هذه الوجوه كلها لها نسب صحيحة و لكن بعضها أحق من بعض و أعلاها ما ذهبنا إليه ثم يلي ذلك خلقه لكمال الوجود و كمال العلم بالله و ما بقي فنازل عن هاتين المرتبتين و اعلم أن كل خلق ينسب إلى جناب الحضرة الإلهية فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق فأما أن يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق أو يكون متعلقة مظهر آخر يقتضيه في عين ممكن ما من الممكنات لا يكون إلا هكذا و أما الحق من حيث هو لنفسه فلا خلق فمن عرف النسب فقد عرف الله و من جهل النسب فقد جهل الله و من عرف أن النسب تطلبها الممكنات فقد عرف العالم و من عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق من طريق السلب فلا يقبل النسب و لا تقبله و إذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم و إذا قبل النسب كان عين العالم قال تعالى وَاعْبُدْ رَبَّكَ نسبة خاصة حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فتعلم من عبده و من العابد و المعبود قال تعالى ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ لا تعبد أنت فإن عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت و إن عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته إلى المرتبة الإلهية عبدت و إن عبدته عينا من غير مظهر و لا ظاهر و لا ظهور بل هو هو لا أنت و أنت أنت لا هو فهو قوله فاعبده فقد عبدته و تلك المعرفة التي ما فوقها معرفة فإنها معرفة لا يشهد معروفها فسبحان من علا في نزوله و نزل في علوه ثم لم يكن واحدا منهما و لم يكن إلا هما لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(السؤال الحادي و الخمسون) أين خزائن المنن الجواب في الاختيا ر المتوهم المنسوب إليه و إليك فأنت مجبور في اختيا رك فأين الاختيا ر و هو ليس بمجبور و أمره واحد فأين الاختيا ر و لو شاء الله فما شاء وإِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و ليس بمحل للحوادث بل الأعيان محل الحوادث و هو عين الحوادث عليها فإنها محال ظهوره ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من الرَّحْمنِ . من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و الذكر كلامه و هو الذي حدث عندهم و كلامه علمه و علمه ذاته فهو الذي حدث عندهم فهو خزائن المنن و المنن ظهور ما حدث عندهم فيهم و هو لا أين له فلا أينية لخزائن المنن و لما كانت المنن متعددة طلب عين كل نسبة منه خزانة فلهذا تعددت الخزائن بتعدد المنن و إن كانت واحدة بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أنكم مؤمنون فهذه سنتان منة الهدى و منة الايمان و جميع نعمه الظاهرة و الباطنة مننه و إذا كان هو عين المنة فأنت الخزانة فالعالم خزائن المنن الإلهية ففينا اختزن مننه سبحانه فما هو لنا بأين و نحن له أين فمن لا أينية له هو نحن فأعياننا أين لظهوره فحقيقة المكان لا تقبل المكان و دع عنك من يقول المتمكن في المكان مكان لمكانه و فرض بين التمكن و المكان حركتين متضادتين تعطي حقيقة المكانية لكل واحد منهما و هذا من قائله توهم من أجل ما ذهب إليه و الحقيقة هي ما قررناه من أن المكان لا يقبل المكان فلا أين للأين لمن هو أين له و هذا كله في المظاهر الطبيعية و أما في المعاني المجردة عن المواد فهي المظاهر القدسية للأسماء التي لا تقبل نسب التشبيه فالعلم بها أن لا علم كما روى عن الصديق أنه قال في مثل ما ذكرناه العجز عن درك الإدراك إدراك فانقلب التنزيه عن الأين لمن يقبل التشبيه فلا تشبيه في العالم و لا تنزيه فإن الشيء لا يتنزه عن نفسه و لا يشبه بنفسه فقد تبينت الرتب و علم ما معنى النسب و الحمد لله وحده أن علم عبده

(السؤال الثاني و الخمسون) أين خزائن سعى الأعمال الجواب ذوات العمال فإن أراد تجسد هذا السعي فخزانته الخيال و إن أراد أين يختزن ففي سدرة المنتهى فإن أراد ما لها من الخزائن الإلهية فخزانة الاسم الحفيظ العليم و اعلم أن خزائن هذا السعي خمس خزائن لا سادسة لها و عباد الله رجلان عامل و معمول به فالمعمول به ليس هو مقصودنا في هذا الباب من هذا الفصل و إنما مقصودنا سعى الأعمال من حيث نسبتها إلى العاملين و العاملون ثلاثة عامل هو حق و عامل بحق و عامل هو خلق و كل له سعى في العمل بحسب ما أضيف إليه فإن الله قد نسب الهرولة إليه و هي ضرب من السعي سريع و قد قال إن الله لا يمل حتى تملوا ثبت هذا في الحديث الصحيح فأما سعى العمل الذي هو حق فالعمل يطلب الأجر بنفسه ليجود به على عامله و العامل هنا ما يعطي حقيقته قبول الأجر و لا بد من الأجر فيكون إذا الأجر الثناء لا غير فإنه يقبل الثناء هذا العامل الذي هو حق و لا يقبل القصور و لا الحور و لا الولدان و لا التجليات فإن كان العمل مما يتضمن الحسن و القبح أو لا حسن و لا قبح فلا يضاف العمل إلى هذا العامل من حيث ما هو محكوم عليه بحسن أو

قبح أو لا حسن و لا قبح بل يضاف إليه معرى عن الحكم بنفي أو إثبات و صاحبه أكمل الناس نعيما في الجنة و لذة و أرفعهم درجة و ما له من الجنات من حيث هذا العمل سوى جنة عدن و العمل يطلب نصيبه في جميع الجنان من حيث ما هو عمل لا غير فيعود به على صاحبه بل يكون له مركبا إلى كل درجة في جميع الجنات و هو المراد بقوله تعالى عنه تَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ إلى هنا و قوله فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ ليس هم هؤلاء بل العاملون بحق و بخلق إلا أن يريد بقوله فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ الثناء فهو لهم فإن لفظة نعم و بئس للمدح و الذم و العامل هنا حق و الثناء له حق و نعم كلمة محمدة و مدح فيكون بهذا التأويل تمام الآية له و التبوؤ في الجنات للعمل لا له فالمحل الذي ظهر فيه العمل و هو أنت هو الذي يتبوأ من الجنة بعناية عمله الظاهر فيه ما شاء إذ الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس و المتخيل فلهذا أبيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق فخزائن هذا السعي كلها أنوار مباحها و مندوبها و واجبها و محظورها و مكروهها في حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف منهم و هو عند علماء الرسوم الذين لهم الكشف الأتم في معرفة الشرائع أعني هذا الذي ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ما تصرف إلا فيما حسنه الشرع و قبله وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و أما سعى من كان عمله بحق فيقرب من هذا أنه لما شاهد ذاته عاملة و هو من أهل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و من أهل لا حول و لا قوة إلا بالله نقص عن ذلك الأول فكان صاحب كشف في عمله لاخذ الحق بناصيته في جميع ما يتصرف فيه فامتلأت خزائنه الخمسة عندنا و الستة عند أبي حنيفة نورا خالصا و نورا غير خالص و نورا مزيلا لظلمة كانت قبله فكان ممتزج الأحوال فلو لا عناية هذا الحضور و الكشف في حال السعي لما تم له هذا السعد الذي حصل له من إزالة ظلمته فهذان الصنفان من أصحاب الأعمال في النور ف لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ و أما من كان سعى عامله خلق فترفع له خزائن الواجبات أعني الفرائض في العمل و الترك و المندوبات في العمل و الترك ممتلئة نورا مشوبا بكون دون أنوار من ذكرناهم و ترفع لهم خزائن المباحات فارغة في العمل و الترك إلا من ترك المباح أو عمله لكونه مباحا ففيها نور يليق بهذا النوع فكأنه نور من وراء حجاب مثل ضوء الشمس من خلف السحاب الرقيق فإن نظر إلى تضمن ذلك المباح ترك محظور أو مكروه و لم يخطر له ترك واجب أو مندوب فإن نوره يكون أتم قليلا و أضوأ من النور الأول المعرى عن هذا الخاطر فإن خطر له أن ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب من واجب يوجبه على نفسه كمن نذر صيام يوم لا بعينه و له إن شاء أن يصومه في هذا اليوم و هو صوم واجب و لكن لا في هذا اليوم و لا بد و إن صامه في هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه فقد أدى واجبا فإن نوره في خزانته هذه بين النورين المتقدمين و ترفع له خزائن المحظورات في العمل و الترك و المكروهات في العمل و الترك أما خزائن المحظورات ظلمة محضة و أما خزائن المكروهات فسدفة فإن كان حصره في وقت المحظور الايمان به أنه في محظور و كذلك في المكروه

فيكون خزائن المحظور ممتلئة سدفة و خزائن المكروه كالأسفار و الشفق و ما ثم عامل في المؤمنين أو الموحدين إلا هؤلاء خاصة و أما من سوى المؤمن أو الموحد فلا كلام لنا معه في هذا الفصل من حيث قصد السائل و أما من حيث سعى الأعمال فإن لكل عامل مدخلا في هذا الفصل بحسب سعيه من معطل و مشرك و كافر و جاحد و منافق و مأثم شقي سوى هؤلاء الخمسة و في الكلام على مناهجهم تفصيل يطول و كل يجري في طلقه إلى أجل مسمى و ما منهم إلا من يقول أنا من الأشياء فلا بد لي من الرحمة فإن قائلها ليس من صفته التقييد إذ لو تقيد لخرج عنه ما لا يمكن أن يكون إلا به فمن المحال خروج شيء عنه فمن المحال تقييده فمنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن الوجوب و منا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن التي ذكرناها فالكل طامع و المطموع فيه واسع إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ أ ترى هذه السعة الربانية تضيق عن شيء هي لم تضق عن الممكنات إذ كانت في الشر المحض فكيف تضيق عن الممكنات إذ هي في الشر المشوب هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ممن لم يتق فيخصه برحمته المطلقة و هي رحمة الامتنان و لا تتقيد بحصر فهذا جواب خزائن سعى الأعمال على الإيجاز و البيان

(السؤال الثالث و الخمسون) من أين تعطي الأنبياء الجواب الأنبياء على نوعين أنبياء تشريع و أنبياء لا تشريع لهم و أنبياء التشريع على قسمين أنبياء تشريع في خاصتهم كقوله إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ و أنبياء تشريع في غيرهم و هم الرسل عليهم السلام أما الأنبياء الذين هم الرسل فمن حضرة الملك الذي هو ملك الملك و أما الأنبياء غير المرسلين فمن حضرة الاختصاص و أما الأنبياء الذين لا يوحي إليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فمن حضرة الكرم و الكل من عين المنة و الرحمة و هو الجامع فأما الدائرة العظمى العامة التي هي النبوة المطلقة فمن أعطيها من حيث إطلاقها فلا يعرف أحد ما لديه و ما أتحفه به ربه و هو أيضا لا يعرف قدر ذلك لأنه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه و أما من أعطى منها من باب الرحمة به و تولى الحق بضرب من العطف عليه تعليمه فتعرف إليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء أن يعرفه كخضر الذي قال فيه آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا أي رحمناه فأعطيناه هذا العلم الذي ظهر به و إن أراد تعالى أنه أعطاه رحمة من عنده جعلها فيه ليرحم بها نفسه و عباده فيكون في حق الغلام رحمة أن حال بينه و بين ما كان يكتسبه لو عاش من الآثام إذ قد كان طبع كافرا و أما رحمته بالملك الغاصب حتى لا يتحمل وزر غصبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين فالرحمة إنما تنظر من جانب الرحيم بها لا من جانب صاحب الغرض فإنه جاهل بما ينفعه كالطبيب يقطع رجل صاحب الأكلة رحمة به لبقاء نفسه فالرحمة عامة من الرحيم الراحم و لم أر أحدا أعطى النبوة المطلقة التي لا تشريع لها إلا إن كان و ما عرفته فهذا لا يبعد فإني رأيت من أولياء الله تعالى ما لا أحصيهم عددا أنفعنا الله بهم و أما من أعطى النبوة المقيدة بالشرع الخاص به فما على الأرض منهم اليوم أحد و لا

يراهم أحد إلا في الموافقة و هي المبشرات و أما النبوة المقيدة بالشرائع ففي الزمان منهم اليوم الياس وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ و إدريس و عيسى و اختلف في الخضر بين النبوة و الولاية فقيل هو نبي و قيل ولي

(السؤال الرابع و الخمسون) أين خزائن المحدثين من الأولياء الجواب في حضرة الحق من الحضرات الإلهية و في المظاهر الإلهية مما وقعت عليه العين أو بعض الحواس من صامت معتاد و ناطق

تحدثني في ناطق ثم صامت و غمز عيون ثم كسر حواجب

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذا الفصل إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا و لك الحمد فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا من حديث الله مع خلقه و قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ فكلم الله الأعرابي بلسان رسوله صلى الله عليه و سلم فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الذي تلا عليه القرآن و القرآن كلام الله قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ لأنه حدث عندهم و إن كان قديما في نفس الأمر من حيث إنه كلام الله و قال صلى الله عليه و سلم في عمر إنه من المحدثين إن يكن في هذه الأمة منهم أحد و أريد حديثه تعالى مع أوليائه لا مع الأنبياء و الرسل فإن الأذواق تختلف باختلاف المراتب فنحن لا نتكلم إلا فيما لو ادعيناه لم ينكر علينا لأن باب الولاية مفتوح و لهذا سأل عن خزائن المحدثين من الأولياء فأكمل المحدثين من فهم عن الله ما حدثه به في كل شيء و هم أهل السماع المطلق من الحق فإن أجابوه به فهو حديث و إن أجابوه بهم فهي محادثة و إن سمعوا حديثه به فليس بحديث في حقهم و إنما هو خطاب أو كلام و أهل الحقائق يمنعون المحادثة و لا يمنعون المناجاة فإن الحق لا يحدث عنده شيء فهو سبحانه يحدث من شاء من عباده و لا يحدثه منهم أحد لكن يناجونه و يسامرونه كالمتهجدين هم أهل المسامرة فالعالم خزائن المحدثين من الأولياء إذا سمعوا بهم فالمحدثون أنزل الدرجات في مقامات الأولياء و هم عند العامة في الرتبة العليا لأن علومهم ليست عن ذوق و إنما هي علوم نقل أو علوم فكر لا غير فأما حديث الله في الصوامت فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال أي يفهم من حاله كذا و كذا حتى أنه لو نطق لنطق بما فهمه هذا الفاهم منه قال القوم في مثل هذا قالت الأرض للوتد لم تشقني قال الوتد لها سلي من يدقني فهذا عندهم حديث حال و عليه خرجوا قوله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قوله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها إبابة حال و أما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد و نبات و حيوان يسمعه المقيد بإذنه في عالم الحس لا في الخيال كما يسمع نطق المتكلم من الناس و الصوت من أصحاب الأصوات فما عندنا في الوجود صامت أصلا بل الكل ناطق بالثناء على الله كما أنه ليس عندنا في الوجود ناطق أصلا من حيث عينه بل كل عين سوى الله صامتة لا نطق لها إلا أنها لما كانت

مظاهر كان النطق للظاهر قالت الجلود أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ فالكلام في المظاهر هو الأصل و الصمت فيها عرض يعرض في حق المحجوب و الصمت في الأعيان هو الأصل و الكلام المسموع منها عرض يعرض في حق المحجوب فلأصحاب الحرف و الصوت عذر عند هؤلاء و لمنكر الصوت و الحرف عذر أيضا عندهم انتهى الجزء الرابع و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الخامس و الخمسون) ما الحديث الجواب ما يتلقاه السامع إذا سمعه به لا بربه فذلك هو الحديث لا غير فإن سمعه بربه فليس ذلك بحديث و معنى قوله سمعه بربه قول الله تعالى كنت سمعه الذي يسمع به فاعلم أن وصفه بأنه سميع هو عينه لا أمر زائد و اعلم أن تحقيق هذا أنه لكل اسم إلهي نسبة كلام و الإنسان محل لاختلاف الأحوال عليه عقلا و حسا و ذلك أن الألوهية تعطي ذلك لذاتها فإنها بالنسبة إلى العالم بهذه الصفة قال تعالى يَسْئَلُهُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ فكل حال في الكون فهو عين شأن إلهي و قد تقرر في العلم الإلهي أنه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين و لا في صورة واحدة لشخص مرتين و كل تحل له كلام فذلك الكلام لهذا الحال من هذا التجلي هو المعبر عنه بالحديث فالحديث لا يزال أبدا غير أنه من الناس من يفهم أنه حديث و من الناس من لا يعرف ذلك بل يقول ظهر لي كذا و كذا و لا يعرف أن ذلك من حديث الحق معه في نفسه لأنه حرم عين الفهم عن الله فيما يحسب أنه خاطر و الذين قسموا الخواطر إلى أربعة فذلك التقسيم لا يقع في الحديث فإن الحديث حديث في كل قسم و إنما الأقسام وقعت في الذوات التي فهم منها ما أريد بالحديث فيقال خاطر شيطاني و هو حديث رباني و قول إلهي لما أراده الحق قال له كن فكان فناجاه الاسم البعيد كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر الملكي الاسم القريب كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر النفسي الاسم المريد كما يتلقاه من الحديث الإلهي في الخاطر الرباني الاسم الحفيظ فهذه الخواطر كلها من الحديث الإلهي الذي لا يشعر به إلا رجال الله فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث فمن رزق الفهم عنه تعالى و عرفه فذلك المحدث و هو من أهل الحديث و علم أن كل ما سمعه حديث بلا شك و إن اختلفت ألقابه كالسمر و المناجاة و المناغاة و الإشارات فالكلام كله حادث قديم حادث في السمع قديم في السمع فافهم

(السؤال السادس و الخمسون) ما الوحي الجواب ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة فإن العبارة تجوز منها إلى المعنى المقصود بها و لهذا سميت عبارة بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذات المشار إليه و الوحي هو المفهوم الأول و الإفهام الأول و لا أعجل من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه فإن لم تحصل لك هذه النكتة فلست صاحب وحي ألا ترى أن الوحي هو السرعة و لا سرعة أسرع مما ذكرناه فهذا الضرب من الكلام يسمى وحيا و لما كان بهذه المثابة و أنه تجل ذاتي لهذا ورد في الخبر أن الله

إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان صعقت الملائكة و لما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل و هو حجاب موسى فإنه كان ناظرا إليه طاعة لأمر الله فلاح له عند تدكدك الجبل الأمر الذي جعل الجبل دكا ف خَرَّ مُوسى صَعِقاً حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ القائل رَبُّكُمْ قالت الملائكة الحق قالت الحقيقة وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ هذه النسبة من حيث هويته فالوحي ما يسرع أثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع و لا يعرف هذا إلا العارفون بالشئون الإلهية فإنها عين الوحي الإلهي في العالم و هم لا يشعرون فافهم و قد يكون الوحي إسراع الروح الإلهي الأمري بالإيمان بما يقع به الإخبار و المفطور عليه كل شيء مما لا كسب له فيه من الوحي أيضا كالمولود يتلقى ثدي أمه ذلك من أثر الوحي الإلهي إليه كما قال وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ و لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ و قال تعالى وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ فلو لا ما فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر و لهذا لا يتصور المخالف إذا كان الكلام وحيا فإن سلطانه أقوى من أن يقاوم وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ و كذا فعلت و لم تخالف مع أن الحالة توذن أنها ألقته في الهلاك و لم تخالف و لا ترددت و لا حكمت عليها البشرية بأن إلقائه في اليم في تابوت من أخطر الأشياء فدل على أن الوحي أقوى سلطانا في نفس الموحى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه قال تعالى وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و حبل الوريد من ذاته فيا أيها الولي إذا زعمت أن الله أوحى إليك فانظر في نفسك في التردد أو المخالفة فإن وجدت لذلك أثرا بتدبير أو تفصيل أو تفكر فلست صاحب وحي فإن حكم عليك و أعماك و أصمك و حال بين فكرك و تدبيرك و أمضى حكمه فيك فذلك هو الوحي و أنت عند ذلك صاحب وحي و علمت عند ذلك أن رفعتك و علو منصبك أن تلحق بمن تقول إنه دونك من حيوان و نبات و جماد فإن كل ما سوى مجموع الإنسان مفطور على العلم بالله إلا مجموع الإنسان و الجان فإنه من حيث تفصيله مفطور على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات من ملك و نبات و حيوان و جماد فما من شيء فيه من شعر و جلد و لحم و عصب و دم و روح و نفس و ظفر و ناب إلا و هو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي الذي تجلى له فيه و هو من حيث مجموعيته و ما لجمعيته من الحكم جاهل بالله حتى ينظر و يفكر و يرجع إلى نفسه فيعلم أن له صانعا صنعه و خالقا خلقه فلو أسمعه الله نطق جلده أو يده أو لسانه أو رجله لسمعه ناطقا بمعرفته بربه مسبحا لجلاله و مقدسا يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا فالإنسان من حيث تفصيله عالم بالله و من حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم أي يعلم بما في تفصيله فهو العالم الجاهل فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ فالإنسان من حيث تفصيله صاحب وحي و من حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي

(السؤال السابع و الخمسون) ما الفرق بين النبيين و المحدثين الجواب التكليف فإن النبوة لا بد فيها من علم التكليف و لا تكليف في حديث المحدثين جملة و رأسا هذا إن أراد أنبياء الشرائع فإن أراد أصحاب النبوة المطلقة فالمحدثون أصحاب جزء منها فالنبي الذي لا شرع له فيما يوحى إليه به هو رأس الأولياء و جامع المقامات مقامات ما تقضيه الأسماء الإلهية مما لا شرع فيه من شرائع أنبياء التشريع الذين يأخذون بوساطة الروح الأمين من عين الملك و المحدث ما له سوى الحديث و ما ينتجه من الأحوال و الأعمال و المقامات فكل نبي محدث و ما كل محدث نبي و هؤلاء هم أنبياء الأولياء و أما الأنبياء الذين لهم الشرائع فلا بد من تنزل الأرواح على قلوبهم بالأمر و النهي و ما عدا ما ينزلون به من الأمر و النهي مثل العلوم الإلهية و الإخبارات عن الكوائن و الأمور الغائبة فذلك خارج عن نبوة الشرائع و هو من أحوال الأنبياء على العموم و يناله المحدث فإن ظهر من أصحاب النبوة المطلقة حكم من الأحكام الظاهرة من أنبياء الشرائع من قتل أو أخذ مال أو فعل من الأفعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر فاعلم أن هذا النبي الذي ما له شرع ليس ذلك من شرع نزل إليه و خوطب به بل لا يزال تابعا لرسول قد شرع له ما شرع و إنما اتفق أنه أخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر و حكمه في حق هذا الرسول يعارض حكم الرسول الآخر فإذا اجتمع هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة مع رسول من الرسل كالخضر مع موسى عليه السلام فحكم في قتل الغلام بما حكم و أنكر عليه موسى قتل نفس زكية في ظاهر الشرع بغير نفس مما لم يكن ذلك حكمه في شرعه فقال له لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا أي ينكره شرعي و قال له الخضر ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي يعني في كل ما جرى منه فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع الرسول الذي اتبعه و من شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه فحكم بعلمه في الغلام أنه كافر فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث إنه صاحب شرع منزل و إنما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلى هذا الحد تصدر الأحكام من أنبياء الأولياء فإن قيل هذا يجوز في زمان وجود الرسل و اليوم فما ثم شرع إلا واحد فهل يتصور أن تحكم أنبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد صلى الله عليه و سلم قلنا لا نعم فأما قولنا لا فإنه لا يجوز أن يحكم برأيه و أما قولنا نعم فإنه يجوز للشافعي أن يحكم بما يخالف به حكم الحنفي و كلاهما شرع محمد صلى الله عليه و سلم فإنه قرر الحكمين فخالفت شرعه بشرعه فإذا اتفق أن تخبر أنبياء الأولياء فيما يعلمهم الحق من أحكام شرع رسول الله صلى الله عليه و سلم أو يشهدون الرسول صلى الله عليه و سلم فيخبرهم بالحكم في أمر يرى خلافه أحمد و الشافعي و مالك و أبو حنيفة لحديث رووه صح عندهم من طريق النقل فوقفت عليه أنبياء الأولياء و علمت من طريقها الذي ذكرناه أن شرع محمد يخالف هذا الحكم و أن ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح وجب عليهم إمضاء الحكم بخلافه ضرورة كما يجب على صاحب النظر إذا لم يقم له دليل على

صحة ذلك الحديث و قام لغيره دليل على صحته و كلاهما قد و في الاجتهاد حقه فيحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده و كل ذلك شرع واحد فمثل هذا يظهر من أنبياء الأولياء بتعريف الله أنه شرع هذا الرسول فيتخيل الأجنبي فيه أنه يدعي النبوة و أنه ينسخ بذلك شرع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيكفره و قد رأينا هذا كثيرا في زماننا و ذقناه من علماء وقتنا فنحن نعذرهم لأنه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة و هم مخاطبون بغلبة الظنون و هؤلاء علماء بالأحكام غير ظانين بحمد الله فلو وفوا النظر حقه لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه و لا ينقضه إذا حكم به الحاكم غير أنهم رضي الله عنهم لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من المدعي صاحب الغرض فسدوه و قالوا إن الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب و نعم ما فعلوه و نحن نسلم لهم ذلك و نصوبهم فيه و نحكم لهم بالأجر التام عند الله و لكن إذا لم يقطعوا بأن ذلك مخطئ في مخالفتهم فإن قطعوا فلا عذر لهم فإن أقل الأحوال أن ينزلوهم منزلة أهل الكتاب لا نصدقهم و لا نكذبهم فإنه ما دل لهم دليل على صدقهم و لا كذبهم بل ينبغي أن يجروا عليهم الحكم الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم لهم فيما ادعوه فإن صدقوا فلهم و إن كذبوا فعليهم فعلى هذا تجري الأحكام من أنبياء الأولياء لا أنهم أرباب شرائع بل أتباع و لا بد و لا سيما في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد صلى الله عليه و سلم و المحدثون ليست لهم هذه الرتبة بل رتبتهم الحديث لا غير فهم ناظرون في كل شيء آخذون من عين كل شيء من كون كل شيء مظهر حق غير أنهم لا يتعدون حدود الله جملة فإن صدر منهم ما هو في الظاهر تعد لحد من حدود الله فذلك الحد هو بالنسبة إليك حد و بالنسبة إليه مباح لا معصية فيه و أنت لا تعلم و هو عَلَى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في ذلك فما أتى محرما من هذه صفته فإنه ممن قيل له اعمل ما شئت فما عمل إلا ما أبيح له عمله فإنه أمر لا على جهة الوعيد مثل قوله اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فهذا وعيد و إنما قولنا فيمن قيل له اعمل ما شئت فقد غفرت لك فعمل على كشف و تحقق و هذا ثابت في شرعنا بلا شك فأهل الحديث أيضا لهم في مثل هذا قدم و لكن ليس هم مخصوصين به بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الأولياء و قد عرفت صفة المحدثين فيما قبل و صفة النبيين فقف عند ذلك وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

(السؤال الثامن و الخمسون) أين مكانهم منهم الجواب مكان التابع من المتبوع و هو المشي على الأثر قال شيخنا محمد بن قائد رأيت في دخولي عليه أثر قدم أمامي فغرت فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن ما بي فاعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين و المرسلين عليهم السلام فأي ولي رأى قدما أمامه فتلك قدم النبي الذي هو له وارث و أما قدم محمد صلى الله عليه و سلم فلا يطأ أثره أحد صلى الله عليه و سلم كما لا يكون أحد على قلبه فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها كل من يراها فتلك قدم النبي الذي هو له

وارث ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير ولهذا قيل له قدم نبيك ولم يقل له هذه قدم محمد صلى الله عليه وسلم فإن كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه فهو من أهل الحديث والكمال وإن كان فهم منه قدم محمد صلى الله عليه وسلم فذلك صدع أصاب عين فهمه ولهذا قال السائل أين مكانهم منهم ولم يقل منه والمكان هنا يعني به المكانة وحكي عن عبد القادر الجيلي أنه قال حين قيل له ما قاله هذا الشيء كنت في المخدع ومن عندي خرجت له النوالة يعني الخلعة التي أعطى لأنه سئل عنه فقال ما رأيته في الحضرة فقيل ذلك لعبد القادر فلذلك قال كنت في المخدع وسمي النوالة وكان كما قال وإنما قال في المخدع ولم يسم مكان صونه وعينه بهذا الاسم ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم بأنه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النفاسة عليه فإن حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر فستر عنه مقام عبد القادر خداعا فهم ذلك عبد القادر فقال كنت في المخدع وقوله أن من عنده خرجت النوالة له يدل على أن عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة وعلى يديه استفادها وجهل ذلك محمد بن قائد فإن الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبد القادر فيما يحكى لنا من أحواله وأحوالهم وكان يقول هذا عن نفسه فيسلم له حاله فإن شاهده يشهد له بصدق دعواه فإنه كان صاحب حال مؤثرة ربانية مدة حياته لم يكن صاحب مقام وما انتقل إلى حال أبي السعود وإن كان تلميذه إلا عند موته وهي الحال الكبرى وكانت هذه الحال مستصحبة لأبي السعود طول حياته فكان عبدا محضا لم تشب عبوديته ربوبية فاعلم ذلك ثم لتعلم أن مكان كل واحد من نبيه الذي هو وارثه إنما مكانه منه على الحال التي أثمر له طريقه فإنه لا يرث أحد نبيا على الكمال إذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولا مثله أو نبي شريعة تخصه يأخذ عمن يأخذ عنه وليس الأمر كذلك إلا أن الروح الذي يلقي على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث في صورة حالة مشوبة في ظاهرها بصورة ذلك الملك وتسمى تلك الروحانية باسم ذلك الملك وتخاطب هذا الوارث ويخاطبها هذا الوارث بقدر حاله وينطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح وربما بعض الورثة يتخيل أنه عين الروح الذي كان يلقي على ذلك النبي وأنه الروح عينه والصور مختلفة وليس الأمر كذلك والخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح وتتعين المرتبة بالصورة فمعرفة الإنسان بنفسه ومرتبته لا تعلم إلا من الصورة ومن هنا يتخيل من لا تمكن له في المعارف الإلهية ذوقا إنه نبي أو قد نال درجة أنبياء الشرائع ولهذا قال بعض السادة من رجال الله جعلك الله محدثا صوفيا ولا جعلك صوفيا محدثا فإن الغالب أن تكون بحكم الأصل المتقدم إلا أن يعصم الله فمعرفة المكان الذي لنا من الأنبياء واجب علينا العلم به لئلا نكون ممن ليس عليه في ذلك ولا سيما والله يقول وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً

رَسُولًا و لو كان رجلا لظهر في صورة ملك للالتباس المطلوب الذي هو صورة عملهم ليعلم أنه ما أتى عليهم إلا منهم فما جنوا إلا ثمرة أعمالهم هذا هو الحق

(السؤال التاسع و الخمسون) أين سائر الأولياء الجواب في النور خلف حجاب السبحات الوجهية من الأنوار و الظلم في نور ممتزج بينهما كنور الأسحار و هو السدفة و أما المؤمنون فإنهم في النور العام المبطون في ظلم الحجب و منه تخلص الأولياء إلى هذا النور الممتزج و الأكابر أحرقتهم أنوار السبحات و خواص الأكابر أحرقهم نور البصر فالأولياء لا يتجاوز علمهم الصفات الذاتية من حيث ما هي منسوبة إلى الحق الموصوف بها لا من حيث ما دلت عليها دلائل الآثار فهم يعرفون العالم من الله و يعرفون الله بالله و من دونهم يعرفون الله من العالم و أما العالم فلا يعرفه من نفسه إلا أكابر الرجال الذين لا يعرفون الأشياء أو المعلومات إلا من نفوسها و أعيانها فلا يتخذون دليلا على الشيء أو المعلوم سوى نفس ذلك المعلوم و ذلك لارتفاع المناسبات و لسريان الأحدية في كل معلوم فكما أنه لا مناسبة بين الله و بين خلقه كذلك لا مناسبة بين أعيان العالم و المظاهر فلا يعرفون شيئا بشيء و لا معلوما بمعلوم غيره و سائر الأولياء ما لهم هذه المرتبة و كيف يعرف الشيء بغيره و لا يجتمع الدليل و المدلول فإن أحدهما إذا انتفى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة فذلك المدلول إنما عرفته حين ظهر لك بنفسه و أما حين نظرك في الدليل على زعمك فلا علم لك إلا بذات الدليل لأن ذاته عرفتك بذاته لا بما جعلته دليلا عليه فإن المدلول في حين علمك بالدليل لست بعالم به فهذا الذي جعل أكابر الرجال لا يتخذون أمر الأمر و إنما يتخذون كل أمر لنفسه و عينه فيعلمون هؤلاء الله بالله و العالم بالعالم و الأسماء بالأسماء فلا فكر لهم في استنباط شيء كما لسائر الأولياء فلهم الشهود الدائم فأبنية سائر الأولياء في الأدلة فلا يشهدون مدلولا أبدا و على هذا جرت أحكامهم و أما أبنيتهم في القيامة فهم الذين لا يخافون و لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ لأنهم ما لهم تبع و هم في أنفسهم آمنون فتغبطهم الأنبياء في ذلك الموطن خاصة و أما أبنيتهم في الكثيب يوم الزور الأعظم فلهم الكراسي عليها يقعدون و المنابر و الأسرة و المراتب لغيرهم و لكن من حيث هم رسل و أنبياء و مؤمنون و أما الأكابر في العلم بالله فإن لهم قوة على التحول في رقايق لتحول التجلي في الصور فيبعثون لكل تجل في صورة رقيقة صورية من ذواتهم تشاهد ما يشاهده أهل الجمع و هم في تلك الحال في قصورهم ينعمون في صور أجسامهم الطبيعية و مع الله من حيث كونه إحدى الذات بحقائقهم و في الكثيب عند الرؤية برقائقهم المعنوية التي أوجدوها لصور التجلي و من سواهم فحالهم إذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب و إذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان فتفقدهم جواريهم و ولدانهم و أكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم (السؤال الستون) ما خوض الوقوف الجواب دخول بعضهم في بعض طلبا للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم و كربه فمنهم

الخائض في طلب من يشفع له و منهم الخائض في طلب من يتكرم عليه لينقذه من هول ذلك اليوم و منهم الخائض في طلب من يشهد له و منهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص و منهم الخائض ليختفي و يستتر من خصمائه و منهم الخائض ليستتر حياء من معارفه و على هذا كان يعمل شيخنا أبو عمران موسى بن عمران الميرتلي قلت له يوما لم تقلل من معارفك فقال ربما لا أكون هناك بذاك فاستحى من معارفي فإذا لم أر من أعرف هان على بعض الحال و منهم الخائض ليعرف بمنزلته لما هو فيه من المكانة عند ربه لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ و أمثال هذا هو خوض الوقوف إذا تأملت و أما الطائفة التي كانت تخوض في آيات الله وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُنَ فإن الله يخوض بهم في غمرات أعمالهم كما كانوا في الدنيا فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ يكونون في الآخرة في خوضهم يحزنون إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلاءِ لَضَالُّونَ فهذا خوضهم في الدنيا وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ الصورة بالصورة فهذا خوضهم في الوقوف قال تعالى يوصينا و يحذرنا ممن هذه صفته وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إذا أقمتم معهم و هم بهذه المثابة و إن لم تخض معهم قال تعالى أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا يَا عِبَادِيَ (الَّذِينَ آمَنُوا) إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ فهؤلاء في الوقوف يخاض بهم حيث يكرهون كما خاضوا هنا حيث يكره الحق منهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الحادي و الستون) كيف صار أمره كَلَمْحِ الْبَصَرِ الجواب الضمير في أمره يعود على الوقوف فاعلم أن الكيفيات لا تنقال و لكن تقال بضرب من التشبيه فإن أمره واحدة أي كلمة واحدة مثل لمح البصر فإن اللمحة الواحدة من البصر نعم من أحكام المرئيات من حيث الرائي إلى الفلك الأطلس جميع ما يحوي عليه ما أدركه البصر في تلك اللمحة من الذوات و الأعراض القائمة بها من الأكوان و الألوان و في العبادات كل مصل و الخلق كله مصل من حيث دعي يناجي ربه في الآن الواحد كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك بالمقدار الزماني خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ من أيام الدنيا و هو يوم ذي المعارج و يوم الرب من يوم ذي المعارج مثل نصف خمس الخمس فالأيام و إن اختلفت مقاديرها وعدها اليوم الشمسي فإن أمر الله فيها مثل لمح البصر للافهام و التوصيل و ربما هو في القلة أقل من هذا المقدار بل مقداره الزمان الفرد المتوهم الذي هو يوم الشأن فالشأن بالنظر إلى الحق واحد منه و بالنظر إلى قوابل العالم كله شئون لو لا الوجود حصرها لقلنا إنها لا نهاية لها فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد و عظم بحيث لا يمكن أن يحصره عدد من حيث العالم و إنما يحصيه من أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً فكما صارت الخمسون ألف سنة كيوم واحد و في يوم واحد كذلك صار أمره كَلَمْحِ الْبَصَرِ و سبب ذلك أن الذي يصدر منه الأمر لا يتقيد فهو في كل مأمور بحيث أمر فينفذ الأمر بحكمه دفعة واحدة و

هذا إذا لم يبعد في المحدثات وجوده بهذه السعة فما ظنك بالأمر الحق فإن الهواء حكمه في كل شيء من العالم الطبيعي أسرع من لمح البصر و هو واحد كالإنسان الواحد و كذلك الروح الامري في العقول و في الأجسام الطبيعية فمثل هذا لا يستبعده إلا من لا علم له بالأمور و الحقائق و لا سيما و إن أعاد الضمير في سؤاله من أمره على الضمير المذكور في سورة القمر وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ و هو الذي أراد و الله أعلم مع أنه يسوغ أن يعود على الوقوف و على الخوض فإن الزمان الواحد يجمع الخائضين في خوضهم و الله الهادي من شاء إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(السؤال الثاني و الستون) أمر الساعة كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ الجواب سميت الساعة ساعة لأنها تسعى إلينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات و بقطع الأنفاس فمن مات وصلت إليه ساعته و قامت قيامته إلى يوم الساعة الكبرى التي هي لساعات الأنفاس كالسنة لمجموع الأيام التي تعينها الفصول باختلاف أحكامها فأمر الساعة و شأنها في العالم أقرب من لمح البصر فإن عين وصولها عين حكمها و عين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم و عين نفوذه عين تمامه و عين تمامه عين عمارة الدارين فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ و لا يعرف هذا القرب إلا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي و ما يجده العالم به من الأمور الواسعة في النفس الفرد و الطرفة ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال فيعرف هذا القرب و تضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا و من وقف على حكاية الجوهري رأى عجبا و هو من هذا الباب فإن قلت و ما حكاية الجوهري قلنا ذكر عن نفسه أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن و كانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل فرأى و هو في الماء مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد و قد تزوج و أقام مع المرأة ست سنين و أولدها أولادا غاب عني عددهم ثم رد إلى نفسه و هو في الماء ففرغ من غسله و خرج و لبس ثيابه و جاء إلى الفرن و أخذ الخبز و جاء إلى بيته و أخبر أهله بما أبصره في واقعته فلما كان بعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره فلما اجتمعت به عرفها و عرف الأولاد و ما أنكرهم و قيل لها متى تزوج فقالت منذ ست سنين و هؤلاء أولاده مني فخرج في الحس ما وقع في الخيال و هذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول فلله قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم و غير ذلك من القوي التي في عامة الناس فاختص الله أولياءه بقوى لها مثل هذه الأحكام فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار و في معراج رسول الله صلى الله عليه و سلم ما فيه كفاية في هذا الباب مع بعد هذه المسافات التي قطعها في الزمان القليل

(السؤال الثالث و الستون) ما كلام الله تعالى لعامة أهل الوقوف الجواب يقول لهم ما جئتم به فيقع في أسماع السامعين ذلك مختلفا باختلاف أحوالهم فتختلف أحوالهم بأسماعهم بل تختلف أسماعهم بحسب أحوالهم في الموقف و لا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع الآخر و هو السؤال عن النفس الذي قبض فيه و لا يكون هذا الكلام إلا لأهل الوقوف خاصة الذين هم في هول ذلك اليوم و أما المتصرفون فيه كالأنبياء و الرسل و الدعاة إلى الله و كالمستريحين من أهل المنابر الذين لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ و كالمصونين في سرادقات الجلال خلف حجاب الأنس فهؤلاء كلهم و أمثالهم ما هم من أهل الوقوف فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كل واحد منهم

(السؤال الرابع و الستون) ما كلامه للموحدين الجواب يقول لهم فيما ذا وحدتموني و بما ذا وحدتموني و ما الذي اقتضى لكم توحيدي فإن كنتم وحدتموني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول و القائلون بالحلول غير موحدين لأنه أثبت أمرين حال و محل و إن كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات و الأفعال فما وحدتموني فإن العقول لا تبلغ إليها و الخبر من عندي فما جاءكم بها و إن كنتم وحدتموني في الألوهة بما تحمله من الصفات الفعلية و الذاتية من كونها عينا واحدة مختلفة النسب فبما ذا وحدتموني هل بعقولكم أو بي و كيفما كان فما وحدتموني لأن وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم و لا بى فإن توحيدكم إياي بي هو توحيدي لا توحيدكم و بعقولكم كيف يحكم علي بأمر من خلقته و نصبته و بعد أن ادعيتم توحيدي بأي وجه كان أو في أي وجه كان فما الذي اقتضى لكم توحيدي إن كان اقتضاه وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد و إن كان اقتضاه أمري فأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصلكم إن رأيتموه مني فمن الذي رآه منكم و إن لم تروه مني فأين التوحيد يا أيها الموحدون كيف يصح لكم هذا المقام و أنتم المظاهر لعيني و أنا الظاهر و الظاهر يناقض الهوية فأين التوحيد لا توحيد في المعلومات فإن المعلومات أنا و أعيانكم و المحالات و النسب فلا توحيد في المعلومات فإن قلتم في الوجود فلا توحيد فإن الوجود عين كل موجود و اختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل و لا نسبة متعلم فأين التوحيد و ما ثم إلا المعلومات أو الموجودات فإن قلت لا معلوم و لا مجهول و لا موجود و لا معدوم و هو عين التوحيد قلنا بنفس ما علمت أن في تقسيم المعلومات من يقبل هذا الوصف فقد دخل تحت قسم المعلومات فأين التوحيد فيا أيها الموحدون استدركوا الغلط فما ثم إلا الله و الكثرة في ثم و ما هم سواه فأين التوحيد فإن قلتم التوحيد المطلوب في عين الكثرة قلنا فذلك توحيد الجمع فأين التوحيد فإن التوحيد لا يضاف و لا يضاف إليه استعدوا أيها الموحدون للجواب عن هذا الكلام إذا وقع السؤال فإن كان أهل الشرك لا يغفر لهم فبحقيقة ما نالوا ذلك لأنه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك فشاهدوا الأمر

على ما هو عليه فإن قلت فمن أين جاءهم الشقاء و هم بهذه المثابة و إن عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم قلنا لأنهم عينوا الشريك فأشقاهم توحيد التعيين فلو لم يعينوا لسعدوا و لكن هم أرجى من الموحدين لدرجة العلم جعلنا الله ممن وحده بتوحيد نفسه جل علاه (السؤال الخامس و الستون) ما كلامه للرسل الجواب ما قاله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ فأووا إلى لا عِلْمَ لَنا فعلموا أنهم لما وجهوا دعوا إلى الله تعالى أممهم ظاهرا و باطنا بدعوة واحدة فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم لا عِلْمَ لَنا جوابا و من هنا لم يصح جميع فروع أحكام الشريعة من المنافق لأنه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره و صحت فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه فعلمنا أن المقصود للشرع الباطن و لكن بشرط مخصوص و هو أن يعم الايمان جميع فروع الأحكام و أصولها فإن آمن ببعض و كفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك الايمان و هو الكافر حقا فَيَقُولُ الله تعالى للرسل ما ذا أُجِبْتُمْ إذا كان كلامه لهم في حق ما كلفهم من الدعوة إليه فإن أراد السائل ما كلامه للرسل فيما يختص بذواتهم من كونهم عبيدا مقربين فيكلمهم بما يكلم به المقربين من عباده فكلامه للرسل المقربين ممن اعتقدتم القربة هل اعتقدتم أن اقترابكم إلينا أو إلى سعادتكم أو إلى معرفة ذواتكم أو إلى معرفتي فإن اعتقدتم اقترابكم إلينا فقد حددتموني و أنا لا حد لي و هذا اللسان الذي أذكره في هذا الفصل إنما هو كلام الحق لمن دعا إلى الله على بصيرة كما قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي فهذا لسان من اتبعه في دعوته إلى الله نيابة عنه فكأنه رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو إلى الله على بصيرة من حيث دعا الرسول لأنهم ورثة و إنما قلنا هذا لأن كلامه للرسل لا يعرفه إلا الرسل و لا ذوق لنا فيه و لو عرفنا به ما عرفناه و لو عرفناه لكنا رسلا مثلهم و لا حظ لنا في رسالتهم و لا في نبوتهم و كلامنا لا يكون إلا عن ذوق فالجواب عن هذا السؤال إذا أراد الرسل ترك الجواب فأردنا أن نفيد أصحابنا في أن نتكلم في كلامه تعالى للرسل الذين هم الورثة رسل رسل الله لما دعوا إلى الله على بصيرة و شرك رسول الله صلى الله عليه و سلم في الدعوة إلى الله على بصيرة بينه و بين من اتبعه فاعلموا من أين نتكلم و فيمن أتكلم و عمن نبين ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول فيقول فقد حددتموني و أنا لا حد لي فنقول هذا الذي تقول لسان العلم و أنت خاطبتنا بلسان الايمان فآمنا فقلت من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و من تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا فما حددناك إلا بحدك فأنت حددت نفسك بنا و حددتنا بك و إلا فمن أين لنا أن نحد ذواتنا فكيف أن نحدك و جعلت الايمان بما ذكرناه قربة إليك فهذا كلامك و لسان الايمان و نحن لا جراءة لنا على أن نقول ما قلته عن نفسك فيقول صدقتم هذا لسان الايمان فتقول طائفة منهم اقتربنا إلى سعادتنا فيقول سعادتكم قائمة بكم و ما برحت معكم في حال طلبكم القربة إليها فإن لم تعلموا ذلك فقد جهلتم و إن علمتموه فما صدقتم إذا فلا قربة فإن قالت طائفة إنما اعتقدنا القربة إلى معرفة ذواتنا فيقول لهم الشيء لا يجهل نفسه لكنه لا يعرف أنه

يعرف نفسه لأن معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود فطلبكم القربة من معرفة ما هو معروف لا يصح فإن قالت طائفة و لا بد أن تقول إنما اعتقدنا القربة من معرفتك فيقول لهم كيف يعرف من لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ فلو كان شيئًا لجمعتهما الشيئية فيقع التماثل فيها إذا فلا شيئية له فليس هو شيئًا و لا هو لا شيء فإن لا شيء صفة المعدوم فيماثله المعدوم في أنه لا شيء و هو لا يماثل فليس مثله شيء و ليس مثله لا شيء و من هو بهذه المثابة كيف يعرف فبطل اقترابكم إلى معرفتي فبطل أن يكونوا من المقربين فيقولون لا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ فيقول أنتم رسل و حقيقة الرسول أن يكون بين مرسل و مرسل إليه و هو حامل إليهم رسالة ليعملوا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة فالرسول لما كانت مرتبته البينية كان أقرب من المرسل إليهم إلى الاسم الذي أرسله و كان المرسل إليهم أقرب إلى الاسم القابل لما جاء به الرسول من الرسول فالكل من المقربين فإن لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين و كان المرسل إليهم غير متصفين بالقربة فكانوا من المبعدين

(السؤال السادس و الستون) إلى أين يأوون يوم القيامة من العرصة الجواب إلى ساق العرش و يوم القيامة له مواطن كثيرة فالرسل يأوون يوم القيامة من العرصة في كل موطن إلى الموضع الذي يكون فيه تجلي الحكم الإلهي الذي يليق بذلك الموطن فموطن للسؤال و موطن للموازين و موطن لاخذ الكتب و موطن للصراط و موطن للحوض فمواطن القيامة تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه كالوزغة بين يدي الملك و أقربهم منزلة من هو أدنى من قاب قوسين و هو التقاء قطري الدائرة ثم يأوون في السؤال العام إلى لا علم لنا و في السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب و للحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة فيأوون إلى الاسم الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص

(السؤال السابع و الستون) كيف مراتب الأنبياء و الأولياء يوم الزيارة الجواب أن الناس إذا جمعهم الله يوم الزيارة في جنة عدن على كثيب المسك الأبيض نصب لهم منابر و أسرة و كراسي و مراتب فالأنبياء على رتبتين أنبياء شرائع و أنبياء أتباع فأنبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل و الأنبياء الأتباع في الرتبة الثالثة و الرتبة الثالثة تنقسم قسمين قسم يسمى أنبياء و قسم يسمى أولياء و الرتبة للأولياء بالاسم العام فإذا كان يوم الزيارة فكل نبي أخذ معرفة ربه من ربه إيمانا لم يشبها بنظر فكري فإنه يشاهد ربه بعين إيمانه و الولي التابع له في إيمانه بربه يراه بمرآة نبيه فإن كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره و اتخذ ذلك قربة من حيث إيمانه فله يوم الزيارة رؤيتان رؤية علم و رؤية إيمان و كذلك إن كان النبي له في معرفته بربه نظر فكري له رؤيتان رؤية علم و رؤية إيمان فإن كان الولي من أولياء الفترات و لم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الإلهية التي جاءت بها الرسل و كانت معرفتهم بربهم إما عن نظر و إما عن تجل إلهي

لقلبه أو كلاهما فمثل هؤلاء يكونون بما هم أهل نظر في مرتبة أهل النظر في الرؤية و إن كانت معرفتهم عن كشف إلهي فإن لهؤلاء صفا على حدة يتميزون به عن سائر الخلق و الجامع لهذا الباب أن الرؤية يوم الزيارة تابعة للاعتقادات في الدنيا فمن اعتقد في ربه ما أعطاه النظر فما أعطاه الكشف و ما أعطاه تقليد رسوله فإنه يرى ربه في صورة وجه كل اعتقاد ربط عليه إلا أنه في تقليد نبيه يراه بصورة نبيه من حيث ما أعلمه ذلك الرسول مما أوحى به إليه في معرفته بربه فلمثل هذا ثلاث تجليات بثلاثة أعين في الآن الواحد و كذلك حكم صاحب النظر وحده أو صاحب الكشف وحده أو صاحب التقليد وحده فتتميز مراتب الأولياء الأتباع في الزيارة بتقديم الأنبياء عليهم و الطبقتان اللتان ليستا بأنبياء و لا أتباع فهم أولياء الله لا يحكم عليهم مقام يتميزون عن الجميع بالنسب الصحيح إلى ربهم غير أن أصحاب النظر منهم في الرتبة دون أصحاب الكشف فبين الحق و بينهم في الرؤية حجاب فكرهم كلما أرادوا أن يرفعوا ذلك الحجاب لم يستطيعوا كأتباع الأنبياء كلما هموا برفع حجب الأنبياء عنهم حتى يروه دون هذه الواسطة لم يستطيعوا ذلك فلا تكون الرؤية الخالصة من الشوب إلا للأنبياء الرسل أهل الشرائع و لأهل الكشف خاصة و من حصل له هذا المقام مع كونه تابعا أو صاحب نظر جمع له على قدر ما عنده و لو كان على ألف طريق و أما الرجال الذين صوبوا اعتقاد كل معتقد بما وصله إليه و علمه و قرره فإنه يوم الزيارة يرى ربه بعين كل اعتقاد فالناصح نفسه ينبغي له أن يبحث في دنياه على جميع المقالات في ذلك و يعلم من أين أثبت كل واحد ذو مقالة مقالته فإذا ثبت عنده من وجهها الخاص بها الذي به صحت عنده و قال بها في حق ذلك المعتقد و لم ينكرها و لا ردها فإنه يجني ثمرتها يوم الزيارة كانت تلك العقيدة ما كانت و هذا هو العلم الإلهي الواسع و الأصل في صحة ما ذكرناه أن كل ناظر في الله تحت حكم اسم من أسماء الله فذلك الاسم هو المتجلي له و هو المعطي له ذلك الاعتقاد بتجليه له من حيث لا يشعر و الأسماء الإلهية كلها نسبتها إلى الحق صحيحة فرؤيته في كل اعتقاد مع الاختلاف صحيحة ليس فيها من الخطاء شيء هذا يعطيه الكشف الأتم فلم يخرج عن الله نظر ناظر و لا يصح أن يخرج و إنما الناس حجبوا عن الحق بالحق لوضوح الحق فهذه الطائفة التي هي بهذه المثابة من العلم بالله صف يوم الزيارة بمعزل إذا انصرفوا من الزيارة يتخيل كل صاحب اعتقاد أنه منهم لأنه يرى صورة اعتقاده فيها كصورته فهو محبوب لجميع الطوائف من يكون بهذه الصفة و كذلك كان في الدنيا و هذا القول الذي ذكرناه لا يعرفه إلا الفحول من أهل الكشف و الوجود و أما أصحاب النظر العقلي فلا يشمون منه رائحة فاجعل بالك لما ذكرناه و اعمل عليه تعطي الألوهية حقها و تكون ممن أنصف ربه في العلم به فإن الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد أو تضبطه صورة دون غيرها و من هنا تعرف عموم السعادة لجميع خلق الله و اتساع الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ انتهى الجزء الخامس و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثامن و الستون) ما حظوظ الأنبياء من النظر إليه الجواب لا أدري فإني لست بنبي فذوق الأنبياء لا يعلمه سواهم إن أراد الأنبياء الذين خصهم الله بالتشريع العام و الخاص بهم فإن أراد أنبياء الأولياء فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله فإن حصل على الجميع فحظه ما للجميع فهو في النعيم العام فيلتذ بلذة كل معتقد فما أعظمها من لذة و إن حصل على البعض فلذاته بحسب ما حصل له و إن انفرد بأمر واحد فحظه ما انفرد به من غير مزيد فافهم ما ذكرناه

(السؤال التاسع و الستون) ما حظوظ المحدثين من النظر إليه الجواب الحجاب الأقرب فإذا شاهد ربه حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثل ما يحصل لهم من الكلام إلا أن المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد و سائر الخلق ليس لهم هذا المقام فإنه مخصوص بالمحدثين

(السؤال السبعون) ما حظوظ سائر الأولياء من النظر إليه الجواب الأولياء على مراتب فتختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم فولى حظه من النظر إليه لذة عقلية و ولي حظه من ذلك لذة نفسية و ولي حظه من ذلك لذة حسية و ولي حظه من ذلك لذة خيالية و ولي حظه من ذلك لذة مكيفة و ولي حظه من ذلك لذة غير مكيفة و ولي حظه من ذلك لذة ينقال تكييفها و ولي حظه من ذلك لذة لا ينقال تكييفها فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا كما قال تعالى هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ

(السؤال الحادي و السبعون) ما حظوظ العامة من النظر إليه لجواب حظوظ العامة من النظر إليه على قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء على طبقاتهم فمنهم من ألقى إليه عالمه ما عنده و منهم من ألقى إليه عالمه على قدر ما علم من عقله و قبوله فإن الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها فإنها أقسام أصلها المزاج الذي ركبه الله عليه و هو السبب في اختلاف نظر العلماء بأفكارهم في المعقولات فيكون حظهم في لذة النظر حظهم فيما تخيل لهم فالعامة حظوظهم خيالية لا يقدرون على التجريد عن المواد في كل ما يلتذون به من المعاني في الدنيا و البرزخ و الآخرة بل قليل من العلماء من يتصور التجريد الكلي عن المواد و لهذا أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة و تأتي فيها تلويحات للخاصة مثل قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

(السؤال الثاني و السبعون) أن الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل أهل الجنان عن نعيمهم اشتغالا بالنظر إليه الجواب ذلك للباس الرائي صورة ما رأى و سبب ذلك أن المقام عظيم في قلب كل طائفة و أنه أعظم مما هم فيه من نعيم الأكوان في الجنان فإذا دعوا إلى الزيارة و بقي الأزواج الجنانيون من الحور و الولدان و أشجار الجنان و أنهارها و جميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور و المراكب و غير

ذلك و الكل حيوان فإنها الدا ر الحيوان فإذا دعي صاحب المنزل ذكرا كان أو أنثى من الثقلين بقي أهل ذلك المنزل مترقبين ما يأتون به إليهم من الخلع الإلهية التي أورثهم النظر إليه و بأي صورة يرجعون إليهم من ذلك المقام الأعظم إذ كان ذلك مشاهدة الملك فإذا وردوا عليهم من الزيارة إذا قال الجليل لملائكته ردوهم إلى قصورهم و قد غشيهم من نور الرؤية ما غشاهم مما لا مناسبة بين ذلك و بين الجمال و البهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة مع تعظيم المقام الذي مشوا إليه في قلوب أهل المنزل ثم إنهم إذا رجعوا إليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية أشرق الجنان بأنوارهم على مقدارهم بصورة ما رأوه فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم و لا كانوا عليه فهذا هو السبب في ذهولهم و حظ كل شخص من ربه على مقدار علمه و عقده في درجات العقائد و اختلافاتها و كثرتها و قلتها كما قد تقرر قبل في هذه الفصول فاعلم ذلك و الله الهادي و في سوق الجنة علم ما أشرنا إليه

(السؤال الثالث و السبعون) ما المقام المحمود الجواب هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها و إليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات و هو لرسول الله صلى الله عليه و سلم و يظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة و بهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض قال صلى الله عليه و سلم أنا سيد الناس يوم القيامة و كان قد أقيم فيه آدم صلى الله عليه و سلم لما سجدت له الملائكة فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا و هو لمحمد صلى الله عليه و سلم في الآخرة و هو كمال الحضرة الإلهية و إنما ظهر به أولا أبو البشر لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد صلى الله عليه و سلم و هو الأب الأعظم في الجسمية و المقرب عند الله و أول هذه النشأة الترابية الإنسانية فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة إذ كان جامعا للقبضتين قبضة الوفاق و قبضة الخلاف فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة فكانت مخالفته نهي الله من تحرك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره فإن المقام يقتضي له ذلك و سألت شيخنا أبا العباس عن ذلك فقال ما عصى من آدم عليه السلام إلا ما كان من أولاده المخالفين في ظهره و كانت العاقبة لمحمد صلى الله عليه و سلم في الدار الآخرة فظهر في المقام المحمود و منه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و حيوان و نبات و جماد فيشفع رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ربه لهؤلاء أن يشفعوا فكان محمودا بكل لسان و بكل كلام فله أول الشفاعة و وسطها و آخرها يقول الله شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون و بقي أرحم الراحمين فيقتضي سياق الكلام أن يكون أرحم الراحمين يشفع أيضا فلا بد ممن يشفع عنده و ما ثم إلا الله فاعلم إن الله يشفع من حيث أسماؤه فيشفع اسمه أرحم الراحمين عند اسمه القهار و الشديد العقاب ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط و قد نبه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً فالمتقي

إنما هو جليس الاسم الإلهي الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد فسمى جليسه متقيا منه فيحشره الله من هذا الاسم إلى الاسم الإلهي الذي يعطيه الأمان مما كان خائفا منه و هو الرحمن فقال يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً أي يأمنون مما كانوا يخافون منه و لهذا يقول في الشفاعة و بقي أرحم الراحمين فبهذه النسبة تنسب الشفاعة إلى الحق من حيث آثار أسمائه و هذا هو مأخذ العارفين من الأولياء فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد صلى الله عليه و سلم فهذا الذي عبر عنه بالمقام المحمود قال صلى الله عليه و سلم في هذا المقام فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن و هذا يدلك أن علوم الأنبياء و الأولياء أذواق لا عن فكر و نظر فإن الموطن يقتضي هنالك بآثاره أسماء إلهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا فلهذا قال لا أعلمها الآن و هذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوصل إلى الله فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة و هو شفاعته في الجميع ألا تراه صلى الله عليه و سلم يقول في الوسيلة إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد و أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة فجعل الشفاعة ثواب السائل و لهذا سمي المقام المحمود الوسيلة و كان ثوابهم في هذا السؤال أن يشفعوا و هذا هو منصب إلهي جامع من عين ملك الملك قال تعالى أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و قال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فكان المرجع إليه فكذلك ترجع المقامات كلها و الأسماء إلى هذا المقام المحمود قال صلى الله عليه و سلم أوتيت جوامع الكلم

(السؤال الرابع و السبعون) بأي شيء ناله الجواب قال صلى الله عليه و سلم لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته و إني اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي لعلمه بموطن الآخرة أكثر من علم غيره من الأنبياء فاعلم أنه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها و هو الجامع لها لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم لأن المحامد من صفة الكلام و لما كان بعثه عاما كانت شريعته جامعة جميع الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها التي تصح أن تشرع و اعلم أن جنات الأعمال ما بين الثمانين إلى السبعين لا تزيد و لا تنقص و الايمان بضع و سبعون بابا أدنى ذلك إماطة الأذى عن الطريق و أرفعه قول لا إله إلا الله قال تعالى في حق العاملين نَتَبَوَّأُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ فلم يحجر بهذا لمن عمل بكل عمل فإن الإنسان في الدنيا أي عمل عمله من الأعمال أعمال الايمان لا يحجر عليه إذا شاء عمله فلما ظهر صلى الله عليه و سلم بجميع شعب الايمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية إما بالفعل و إما بالدلالة عليها فإنه الذي سنها لأمته فله أجر من عمل بها و لا يخلو واحد من الأمة أن يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه صلى الله عليه و سلم من حيث العمل بها فيتبوأ من الجنة حيث يشاء و هذا لا يصلح إلا لمحمد صلى الله عليه و سلم فإنه عنه ظهرت السنن الإلهية

فبهذا نال المقام المحمود و بجوامع الكلم و بالبعثة العامة فإنه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا و باتصافه بهذه الأحوال في الدنيا نال تلك المقامات الأخروية فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصح الوجود عنه

(السؤال الخامس و السبعون) كم بين حظ محمد صلى الله عليه و سلم و حظوظ الأنبياء عليهم السلام الجواب إما بينه و بين الجميع فحظ واحد و هو عين الجمعية لما تفرق فيهم و إما بينه و بين كل واحد منهم فثمانية و سبعون حظا و مقاما إلا آدم فإنه ما بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم عليهما إلا ما بين الظاهر و الباطن فكان في الدنيا محمد صلى الله عليه و سلم باطن آدم عليه السلام و آدم عليه السلام ظاهر محمد صلى الله عليه و سلم و بهما كان الظاهر و الباطن و هو في الآخرة آدم عليه السلام باطن محمد صلى الله عليه و سلم و محمد صلى الله عليه و سلم ظاهر آدم و بهما يكون الظاهر و الباطن في الآخرة فهذا بين حظ محمد صلى الله عليه و سلم و بين حظوظ الأنبياء عليهم السلام و أكثر أصحابنا يمنعون معرفة التوقيت في ذلك و هو غلط منهم و في هذا الفصل تفصيل عظيم تبلغ فصول التفصيل فيه إلى مائة ألف تفصيل و أربعة و عشرين ألف تفصيل بعدد الأنبياء عليهم السلام لأنه يحتاج إلى تعيين كل نبي و معرفة ما بين حظ محمد صلى الله عليهو سلم و بين ذلك النبي و الحظوظ محصورة من حيث الأعمال في تسعة و سبعين و قد يكون للنبي من ذلك أمر واحد و لآخر أمران و لآخر عشر العدد و تسعه و ثمنه و أقل من ذلك و أكثر و المجموع لا يكون إلا لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا لم يبعث بعثا عاما سوى محمد صلى الله عليه و سلم و ما سواه فبعثه خاص لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً

(السؤال السادس و السبعون) ما لواء الحمد الجواب لواء الحمد هو حمد الحمد و هو أتم المحامد و أسناها و أعلاها مرتبة لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لأنه علامة على مرتبة الملك و وجود الملك كذلك حمد المحامد تجتمع إليه المحامد كلها فإنه الحمد الصحيح الذي لا يدخله احتمال و لا يدخل فيه شك و لا ريب إنه حمد لأنه لذاته يدل فهو لواء في نفسه ألا ترى لو قلت في شخص إنه كريم أو يقول عن نفسه ذلك الشخص إنه كريم يمكن أن يصدق هذا الثناء و يمكن أن لا يصدق فإذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان و الإحسان شهد العطاء بذاته بكرم المعطي فلا يدخل في ذلك احتمال فهذا معنى حمد الحمد فهو المعبر عنه بلواء الحمد و سمي لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد لأن به يقع الحمد من كل حامد و هو عاقبة العاقبة فافهم و لما كان يجمع ألوان المحامد كلها لهذا عم ظله جميع الحامدين قال صلى الله عليه و سلم آدم فمن دونه تحت لوائي و إنما قال فمن دونه لأن الحمد لا يكون إلا بالأسماء و آدم عالم بجميع الأسماء كلها فلم يبق إلا أن يكون من هناك تحته و دونه في الرتبة لأنه لا بد أن يكون مثنيا باسم ما من تلك الأسماء و لما

كانت الدولة في الآخرة لمحمد صلى الله عليه و سلم المؤتي جوامع الكلم و هو الأصل فإنه صلى الله عليه و سلم أعلم بمقامه فعلمه و آدم بين الماء و الطين لم يكن بعد فكان آدم لما علمه الله الأسماء في المقام الثاني من مقام محمد صلى الله عليه و سلم فكان قد تقدم لمحمد صلى الله عليه و سلم علمه بجوامع الكلم و الأسماء كلها من الكلم و لم تكن في الظاهر لمحمد صلى الله عليه و سلم عين فتظهر بالأسماء لأنه صاحبها فظهر ذلك في أول موجود من البشر و هو آدم فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه و سلم لأنه تقدم عليه بوجود الطينة فمتى ظهر محمد صلى الله عليه و سلم كان أحق بولايته و لوائه فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه و قد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم فهم في الآخرة تحته فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله صلى الله عليه و سلم على الجميع

(السؤال السابع و السبعون) بأي شيء يثنى على ربه حتى يستوجب لواء الحمد الجواب بالقرآن و هو الجامع للمحامد كلها و لهذا سمي قرآنا أي جامعا و هو قوله ﭐلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ﭐلۡعَٰلَمِينَ ﭐلرَّحۡمَٰنِ ﭐلرَّحِيمِ «ملك» مَٰلِكِ يَوۡمِ ﭐلدِّينِ و ما أنزلت على أحد قبله و لا ينبغي أن تنزل الأعلى من له هذا المقام فإنه سبحانه لا ينبغي أن يحمد إلا بما يشرع أن يحمد به من حيث ما شرعه لا من حيث ما تطلبه الصفة الحمدية من الكمال فذلك هو الثناء الإلهي و لو حمد بما تعطيه الصفة لكان حمدا عرفيا عقليا و لا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله

(السؤال الثامن و السبعون) ما ذا يقدم إلى ربه من العبودية الجواب العبودة و هو انتساب العبد إليه ثم بعد ذلك تكون العبودية و هو انتسابه إلى المظهر الإلهي فبالعبودة يمتثل الأمر دون مخالفة و هو إذا يَقُولُ لَهُ كُنۡ فَيَكُونُ من غير تردد فإنه ما ثم إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين فإذا حصلت مظهرا و قيل لها افعل أو لا تفعل فإن خالفت فمن كونها مظهرا و إن امتثلت و لم تتوقف فمن حيث عينها إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ فبهذه العبودية يتقدم إلى الله في ذلك اليوم ألا تراه يسجد من غير أن يؤمر بالسجود لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين و لم يكن له محل الأعين محمد صلى الله عليه و سلم فتكون السجود في ذاته لأمر الحق له بتكوينه فسجد به محمد صلى الله عليه و سلم من غير أمر إلهي ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه و اشفع تشفع ثم بعد ذلك في موطن آخر يؤمر الخلق بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص فذلك سجود العبودية فالعارفون بالله في هذه الدار يعبدون ربهم من حيث العبودة فما لهم نسبة إلا إليه سبحانه و من سواهم فإنهم ينسبون إلى العبودية فيقال قد قاموا بين يديه في مقام العبودية فهذا الذي يقدمه من العبودية إلى ربه و كل محقق بهذه المثابة يوم القيامة(السؤال التاسع و السبعون) بأي شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم الجواب يختمه بالعبودية و هو انتسابه إلى العبودة كما قررنا و هي الدرجة الثانية فإن هذا المقام ما هو سوى درجتين

درجة العبودة و هي العظمى المقدمة و درجة العبودية و هي الختام لأنه ما أمر بما يقتضيه أمر العبودة إلا بعد وجوده فأمر و نهي بوساطة هذا التركيب فأطاع و عصى و أناب و آمن و كفر و وحد و أشرك و صدق و كذب و لما و في حق الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال أوامر سيده و نواهيه ناوله مفاتح الكرم برد ما قدم إليه

(السؤال الثمانون) ما مفاتيح الكرم الجواب سؤالات السائلين منا و منه و بنا و به فأما منا و بنا فسؤال ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه و صورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بأنه بهذه المثابة و غيرك ممن هو مثلك يجهله و لا يعرفه فتكرم عليك بأن عرفك كيف أنت و ما تستحقه ذاتك أن توفي به بما لا يمكن انفكاكها عنه و أما منه و به فإن سؤال السائل بما هو عارض له أي عرض له ذلك بعد تكوينه و ذلك أنه لما كان مظهرا للحق و كان الحق منه هو الظاهر فسأل من جعله مظهرا بلسان الظاهر فيه فهذا سؤال عارض عرض له بعد أن لم يكن فعبر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم أي من كرم الله تعالى إن سأل نفسه بنفسه و أضاف ذلك إلى عبده فهو بمنزلة ما هو الأمر عليه بأنه يخلق في عباده طاعته و يثني عليهم بأنهم أطاعوا الله و رسوله و ما بأيديهم من الطاعة شيء غير أنهم محل لها سأل إبليس الاجتماع بمحمد صلى الله عليه و سلم فلما أذن له قيل له أصدقه و حفت به الملائكة و هو في مقام الصغار و الذلة بين يدي محمد صلى الله عليه و سلم فقال له يا محمد إن الله خلقك للهداية و ما بيدك من الهداية شيء و خلقني للغواية و ما بيدي من الغواية شيء فصدقه قال تعالى إِنَّكَ لاٰ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ و قال فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا و قال كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ و قال مٰا مِنْ دَآبَّةٍ إِلاّٰ هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا ثم أثنى مع هذا عليهم فقال اَلتّٰائِبُونَ الْعٰابِدُونَ الْحٰامِدُونَ السّٰائِحُونَ الرّٰاكِعُونَ السّٰاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النّٰاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ يا ليت شعري و من خلق التوبة فيهم و العبادة و الحمد و السياحة و الركوع و السجود و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الحفظ لحدود الله إلا الله فمن كرمه أنه أثنى عليهم بخلق هذه الصفات و الأفعال فيهم و منهم ثم أثنى عليهم بأن أضاف ذلك كله إليهم إذ كانوا محلا لهذه الصفات المحمودة شرعا أ ليس هذا كله مفاتيح الكرم فإنه يفتح بها من العطايا الإلهية ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر قال تعالى تَتَجٰافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضٰاجِعِ يا ليت شعري و من أقامهم من المضاجع حين نوم غيرهم إلا هو يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً يا ليت شعري و من أنطق ألسنتهم بالدعاء و من خوفهم و طمعهم إلا هو أ ترى ذلك من نفوسهم لا و الله إلا من مفاتيح كرمه فتح بها عليهم وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ فمما رزقهم التجافي عن المضاجع و عن دار الغرور و مما رزقهم الدعاء و الابتهال و مما رزقهم الخوف منه و الطمع فيه فأنفقوا ذلك كله عليه فقبله منهم فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ عالمة مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ أي لهؤلاء الذين هم بهذه المثابة مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ فكانت هذه الأعمال عين مفاتيح الكرم لمشاهدة ما أخفي لهم فيهم و في هذه الأعمال من قرة

أعين فكلما هو في خزائن الكرم فإن مفاتيحه تتضمنه فهو فيها مجمل و هو في الخزائن مفصل فإذا فتح بالأعمال تميزت الرتب و عرفت النسب و جاءت كل حقيقة تطلب حقها و كل علم يطلب معلومه

(السؤال الحادي و الثمانون) على من توزع عطايا ربنا الجواب على من حسن السيرة من الولاة و كل شخص وال بالولاية العامة و هي تولية القلب على القوي المعنوية و الحسية في نفسه و الولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من أهل و ولد و مملوك و ملك فتوزع العطايا على قدر الولاية و قدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم فإن كان الوالي من العلماء بالله الذين يكون الحق سمعهم و بصرهم فليس له حظ في هذه العطايا فإنها عطايا غني لفقراء و إنما يعطي من هذه صفته عطاء غني لغني ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتي فأخذ هذا المعطى له من الاسم الله لا من الاسم الرب فما أعظم الغفلة على قلوب العباد هيهات متى تبلغ البشر درجة من لا يوصف بالغفلة و هم الملأ الأعلى الذين يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ في غير ليل و لا نهار يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ و كفى بالبشرية نقصا و اعلم أن العطايا تختلف باختلاف المستحقين فمنهم من يكون عطاؤه هو و منهم من يكون عطاؤه معرفته بنفسه و منهم من يكون عطاؤه ما هو منه فإن كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي فلا يلزمه إلا شكر إيجاد العين حيث كان مظهرا له جل و تعالى و إن كان يقول بالاستحقاق العرضي و هو يرى أنه تعالى جعل له استحقاقا فهذا يتضاعف عليه الشكر فإنه دون الأول في المرتبة و إن كان المستحق يرى الاستحقاق للظاهر في مظهر ما من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر و لا يرى أن عينه تستحق شيئًا فهذا لا يجب عليه شكر إلا إن أوجبه على نفسه كإيجاب الحق على نفسه في مثل قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ فتتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم في العلم و العمل و الحال و الزمان و المكان و القصد و ملازمة العمل و مغبته قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ قال فرعون لموسى و هارون فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو الذي يستحقه فالرب هو القاسم العطايا

(السؤال الثاني و الثمانون) كم أجزاء النبوة الجواب أجزاء النبوة على قدر آي الكتب المنزلة و الصحف و الأخبار الإلهية من العدد الموضوع في العالم من آدم إلى آخر نبي يموت مما وصل إلينا و مما لم يصل على أن القرآن يجمع ذلك كله فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول فيمن حفظ القرآن إن النبوة أدرجت بين جنبيه فهي و إن كانت مجموعة في القرآن فهي مفصلة معينة في آي الكتب المنزلة مفسرة في الصحف متميزة في الأخبار الإلهية الخارجة عن قبيل الصحف و الكتب و يجمع النبوة كلها أم الكتاب و مفاتحها بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق و إن كان التشريع قد انقطع فالتشريع جزء من أجزاء النبوة فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله و أخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً و لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّٰه و قد أخبر الله أنه ما من شيء يريد إيجاده إلا يقول له كن فهذه كلمات الله لا تنقطع و هي الغذاء العالم لجميع الموجودات فهذا جزء واحد من أجزاء النبوة لا ينفد فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها

(السؤال الثالث و الثمانون) ما النبوة الجواب النبوة منزلة يعينها رفيع الدرجات ذو العرش ينزلها العبد بأخلاق صالحة و أعمال مشكورة حسنة في العامة تعرفها القلوب و لا تنكرها النفوس و تدل عليها العقول و توافق الأغراض و تزيل الأمراض فإذا وصلوا إلى هذه المنزلة فتلك منزلة الإنباء الإلهي المطلق لكل من حصل في تلك المنزلة من رفيع الدرجات ذي العرش فإن نظر الحق من هذا الواصل إلى تلك المنزلة نظر استنابة و خلافة ألقى الروح بالأنباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المعتنى به فتلك نبوة التشريع قال تعالى وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِن أَمْرِنا و قال يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِن أَمْرِهِ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ فهي عامة لأن من نكرة أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ نبوة خاصة نبوة تشريع يُلْقِي الرُّوحَ مِن أَمْرِهِ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ مثل ذلك لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ نبوة تشريع لا نبوة عموم نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ فالإنذار مقرون أبدا بنبوة التشريع و لهذه النبوة هي تلك الأجزاء التي سأل عنها و التي وردت في الأخبار و أما النبوة العامة فاجزاؤها لا تنحصر و لا يضبطها عدد فإنها غير مؤقتة لها الاستمرار دائما دنيا و آخرة و هذه مسألة أغفلها أهل طريقنا فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك أو لم يوقفهم الله عليها أو ذكروها و ما وصل ذلك الذكر إلينا و الله أعلم بما هو الأمر عليه و لقد حدثني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله عن الشيخ بشير من ساداتنا بباب الأزج عن إمام العصر عبد القادر أنه قال معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب و أوتينا ما لم تؤتوا فأما قوله أوتيتم اللقب أي حجر علينا إطلاق لفظ النبي و إن كانت النبوة العامة سارية في أكابر الرجال و أما قوله و أوتينا ما لم تؤتوا هو معنى قول الخضر الذي شهد الله تعالى بعدالته و تقدمه في العلم و أتعب الكليم المصطفى المقرب موسى عليه السلام في طلبه مع العلم بأن العلماء يرون أن موسى أفضل من الخضر فقال له يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت فهذا عين معنى قوله أوتينا ما لم تؤتوا و إن أراد رضي الله عنه بالأنبياء هنا أنبياء الأولياء أهل النبوة العامة فيكون قد صرح بهذا القول إن الله قد أعطاه ما لم يعطهم فإن الله قد جعلهم فاضلا و مفضولا فمثل هذا لا ينكر

(السؤال الرابع و الثمانون) كم أجزاء الصديقية الجواب بضع و سبعون جزءا على عدد شعب الايمان الذي يجب على الصديق التصديق بها و ليست الصديقية إلا للاتباع و الأنبياء أصحاب الشرائع صديقون بخلاف أنبياء الأولياء الذين كانوا في الفترات و إنما كانت الأنبياء أصحاب الشرائع صديقين لأن أهل هذا المقام لا يأخذون التشريع إلا عن الروح الذي ينزل بها على قلوبهم و هو تنزيل

خبري لا تنزيل علمي فلا يتلقونه إلا بصفة الايمان و لا يكشفونه إلا بنوره فهم صديقون للأرواح التي تنزل عليهم بذلك و كذلك كل من يتلقى عن الله ما يتلقاه من كون الحق في ذلك الإلقاء مخبرا فإنما يتلقاه من جانب الايمان و نوره لا من التجلي فإن التجلي ما يعطي الايمان بما يعطيه و إنما يعطي ذلك بنور العقل لا من حيث هو مؤمن فأجزاء الصديقية على ما ذكرناه لا تنحصر فإنه ما يعلم ما يعطي الله في إخباراته لمن أخبرهم فأجزاء الصديقة المحصورة هو ما وردت به الأخبار الإلهية بأن اعتقاد ذلك الخبر قربة إلى الله على التعين و هي متعلقة بالاسم الصادق لا بد من ذلك فيتصور هنا من أصول طريق الله و أنه ما ثم إلا صادق فإنه ما ثم مخبر إلا الله فينبغي أن لا يكذب بشيء من الأخبار قلنا الصديق من لا يكذب بشيء من الأخبار إذا تلقى ذلك من الصادق و لكن الصديق إن كان من العلم بالله بحيث أن يعلم أنه ما ثم مخبر إلا الله فيلزمه التصديق بكل خبر على حسب ما أخبر به المخبر فإذا أخبر الصادق الحق بأن قوما كذبوا في أمر أخبروا به صدق الله في خبره أنهم كذبوا في كل ما أخبر به أنهم كذبوا فيه و إن الكذب هي صفة بالنسبة إليهم لا بالنسبة إلى الخبر فإن الخبر إذا نسبته إلى الصادق كان صدقا و إذا نسبته إلى الكاذب فيه كان كذبا و إذا نسبته إلى الكاذب لا فيه كان محتملا و الذي يرى أن المخبر هو الله الصادق فإن ذلك الخبر في ذلك الحال هو صدق و المؤمن به صديق ثم أخبر الصادق الحق أن ذلك الخبر الذي نسبته إلي بأنه صدق أنسبه إلى الذي ظهر على لسانه نسبة كذب فاعتقد أنه كذب فيعتقد فيه أنه بالنسبة إلى ذلك الشخص لكونه محلا لظهور عين هذا الخبر كذب لأن مدلوله العدم لا الوجود فالصدق أمر وجودي و الكذب أمر عدمي و صورة الصدق في الكذب إن المخبر الكاذب ما أخبر إلا بأمر وجودي صحيح العين في تخيله إذ لو لم يتخيله لحصول المعنى عنده لما صح أن يخبر عنه بما أخبر فهو صادق في خبره ذلك و المؤمن به صديق ثم أخبر الحق عن ذلك الخبر أنه بالنسبة إلى الحس كذب و ما تعرض إلى الخيال كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك إلى الحس و إنما السامع ليس له في أول سماعه الأخبار إلا أول مرتبة و هي الحس ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوي فاعتقد بعد هذا بأخبار الحق عنه أن ذلك كذب في الحس إنه كذب في الحس أي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهر فهو صديق للخبر الحق فما للوجود كذب و لا في العدم صدق فإن الصدق أصله الصادق و هو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم إليه و الكذب هو العدم المحض الذي لا نسبة للوجود إليه و أما الكذب النسبي بالنظر إلى الخيال يكون صدقا و بالنظر إلى الظاهر على شرط مخصوص يكون كذبا فالصديق يتعلق به من حيث نسبته إلى ما هو موجود به و العامة تتعلق به من حيث أنه لا وجود له في المرتبة التي يطلبها فيه من يكذبه فاعلم ذلك فإن شئت قلت بعد هذا إن للصديقية أجزاء منحصرة و إن شئت قلت لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها و إن أردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصديق فهذا سؤال آخر يمكن أن يسأل عنه فالجواب عن مثل

هذا الوجه أن من أجزائها سلامة العقل و الفكر الصحيح و الخيال الصحيح و الايمان بصدق المخبر و إن أحاله العقل الذي ليس بسليم عند أهل هذه الصفة و القول باستحالات الإمكان في الأعيان الممكنات بالنظر إلى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو إلى سبق العلم منه عند من يقول بذلك فإذا كان بهذه المثابة حصلت له الصديقية و يكون هذا المجموع أجزاءها لأنها ليست بزائدة على عين المجموع و هذا هو النور الأخضر

(السؤال الخامس و الثمانون) ما الصديقية الجواب نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم و ذلك أن اسم الله المؤمن الذي تسمى الله لنا به في كتابه من حيث هو نور أعني الكتاب فقال عز من قائل هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ إلا إن المؤمن هنا له وجهان معطي الأمان و مصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم عنده و لهذا قال تعالى حكاية عما يقوله الصادق يوم القيامة لربه قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ليثبت صدقي عند من أرسلتني إليهم فيما أرسلتني به فجاء بلفظ يدل على أنه وقع و هو عند العامة ما وقع فإنه يوم القيامة و ما أخبر الله إلا بالواقع فلا بد أن يكون ثم حضرة إلهية فيها وقوع الأشياء دائما لا تتقيد بالماضي فيقال قد وقعت و لا بالمستقبل فيقال تقع و لكن متعلقها الحال الدائم و بين القلوب و بين هذه الحضرة حجاب التقييد فإذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد و ظهر بصورة حق في حضرة مطلقة شهد ما يقال فيه يقع واقعا و شهد ما يقال فيه واقعا فلم يزل واقعا و لا يزال واقعا فعنه تقع الحكايات الإلهية بأنه يقع مثل قوله تعالى يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ فعلق بالمستقبل و قوله عز و جل أَتى أَمْرُ اللهِ فأتى بالماضي و كلا التقييدين يدل على العدم و الحال له الوجود و العدم لا يقع فيه شهود و لا تمييز فلا بد أن يكون المخبر عنه بأنه كان كذا أو يكون كذا له حالة وجودية في حضرة إلهية عنها تقع الإخبارات و الواقف فيها يسمى صديقا و هي بنفسها الصديقية و لها اطلاع من خلف حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص و الهيكل المنور في حق شخص فإن وجدت عينا مفتوحة سليمة من الصدع أبصرت هذه العين بهذا النور من هذه الحضرة صدق المخبرين كانوا من كانوا فيسمون صديقين بذلك و تسمى هذه الحالة صديقية و للملإ الأعلى منها شرب و للرسل فيها شرب و للأنبياء فيها شرب و للأولياء فيها شرب و للمؤمنين فيها شرب و لغير المؤمنين من جميع أهل النحل و الملل شرب فيسعد بها قوم و يشقى بها قوم لشروط تتعلق بها و لوازم بها يقال مؤمن و كافر و مشرك و موحد و معطل و مثبت و مقر و جاحد و صادق و كاذب فقد عمت الصديقية جميع الهياكل المنورة و المظلمة و النورية و النارية و الطبيعية العنصرية و لا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال و هم العارفون بسريانها في الموجودات فإذا نظرت أرباب هذه الهياكل أنفسها مجردة عن هياكلها خرجت عن حضرة الصديقية و كانت من أهل المعاينة فصارت ترى من بعد ما كانت كأنها ترى

فالحق سبحانه من كونه مؤمنا له حضرة الصديقية فبها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فصدقهم في كونهم ما عبدوا سواه في الهياكل المسماة شركاء قال تعالى قُلْ سَمُّوهُمْ و قال إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها و بهذا يصدق العباد في الأخبار كلها من غير توقف فلها حكم في الطرفين فإن في هذا الذي قلناه آيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ما فيه آية لقوم يتفكرون و لا لقوم يعلمون على الإطلاق إلا إن أراد بيعلمون يعقلون فالصديقية مستندها من الأسماء الإلهية المؤمن و كذلك أثرها في المخلوقات الايمان و كذلك أسماؤهم المؤمنون الصديقون لهم النور لصدقهم إذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر و صدق الخبر من خلف حجاب هذا الهيكل ف طُوبى لَهُمْ ثم طوبى وَحُسْنُ مَآبٍ انتهى الجزء السادس و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال السادس و الثمانون) على كم سهم ثبتت العبودية الجواب على تسعة و تسعين سهما على عدد الأسماء الإلهية التي من أحصاها دخل الجنة لكل اسم إلهي عبودية تخصه بها يتعبد له من يتعبد من المخلوقين و لهذا لا يعلم هذه الأسماء الإلهية إلا ولي ثابت الولاية فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ثبت عندنا أنه عينها و قد يحصيها بعض الناس و لا يعلم أنها هي التي ورد فيها النص كما يكون وليا و لا يعلم أنه ولي و من رجال الله من عرفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل اسم منها من عبودية هذا العبد فيعين له هذا الولي العارف من العبودية بحسب الاسم الذي له الحكم عليه في وقته فمن أحصى هذه الأسماء الإلهية دخل الجنة المعنوية و الحسية فأما المعنوية فبما ذا تطلبه هذه الأسماء من العلم بالعبودية التي تليق بها و أما الحسية فبما ذا تطلبه هذه الأسماء من الأعمال التي تطلبه من العباد فلا بد من تمييزها و كيف يعرف اسم لعبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه فبهذا النظر يكون للعبودية سهام و يكون عددها ما ذكرناه و العاملون بهذه العبودية رجلان رجل يعمل بها من حيث شرعه و من عمل بها من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله و رجل عمل بها من حيث عقله و من عمل بها من حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه فالعامل بها من حيث عقله ينسبها إلى هياكل منورة أو عقول مجردة عن المواد لا بد من ذلك و العامل بها من حيث شرعه ينسبها إلى الله سبحانه و ينسبها من حيث آثارها و ما تنظر إليه لوضع الوسائط بينك و بينها إلى الهياكل النورية و العقول المجردة عن المواد و أما العامة فلا يعرفونها إلا لله خاصة أو للأسباب القريبة المعتادة المحسوسة خاصة لا يعلمون غير هذا و ما رأيت و لا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه على قدم العبودة المحضة فالملأ الأعلى يقول أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها و المصطفون من البشر يقولون رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا و يقولون رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً و يقولون إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم و هذا كله لغلب الغيرة عليهم و استعجال

لكون الإنسان خلق عجولا فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت فانحجب عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها و كل ما كان يقدح في مقام ما و يرمي به ذلك المقام فإن صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه و إن كان من الكمل فنور العبودية على السواء من نور الربوبية فإنه من أثره و على قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية و إن كان مثل هذا القدح لا يقدح و لا يؤثر في السعادة الطبيعية و لكن يؤثر في السعادة العلمية و أعم الدرجات في ذلك درجتان درجة العجلة التي خلق الإنسان عليها و درجة الغفلة التي جبل الإنسان عليها و لو لا إن الملأ الأعلى له جزء في الطبيعة و مدخل من حيث هيكله النوري ما وصفهم الحق بالخصام في قوله ما كَانَ لِي من عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ و لا يختصم الملأ الأعلى إلا من حيث المظهر الطبيعي الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة دحية و كذلك ظهورهم في الهياكل النورية المادية و هي هذه الأنوار التي تدركها الحواس فإنها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية و أما إذا تجردت عن هذه الهياكل فلا خصام و لا نزاع إذ لا تركيب و مهما قلت اثنان كان وقوع الخصام لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقص و لا الزيادة فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها فإن كانت عين الموحد بها فهي نفسها و إن لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب فما هو مقصودنا و لا مطلب الرجال و لهذا اختلفت أحكام الأسماء الإلهية من حيث هي أسماء فأين المنتقم و الشديد العقاب و القاهر من الرحيم و الغافر و اللطيف فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه و الرحيم يطلب رفع الانتقام عنه و كل ينظر في الشيء بحسب حكم حقيقته فلا بد من المنازعة لظهور السلطان فمن نظر إلى الأسماء الإلهية قال بالنزاع الإلهي و لهذا قال تعالى لنبيه وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فأمره بالجدال الذي تطلبه الأسماء الإلهية و هو قوله بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ كما ورد في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا جادل بالإحسان جادل كأنه يرى ربه و لا يرى ربه مجادلا إلا إذا رآه من حيث ما تطلبه الأسماء الإلهية من التضاد فاعلم ذلك و ما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير فليس بيني و بينه أ الغفلة و هو حجاب لا يرفع و أما حجاب العجلة فأرجو بحمد الله أنه قد ارتفع عني و أما حجاب الغفلة فمن المحال رفعه دائما مع وجود التركيب حيث كان في المعاني أو في الأجسام و لو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية في حق هذا الشخص و هو الذي أشار إليه سهل بن عبد الله أو من كان بقوله إن للربوبية سرا لو ظهر لبطلت الربوبية لكنه ممكن الحصول بالنظر إلى نفسه و لكن لا أدري هل تقتضي الذات تحصيله و ظهوره في الوجود أم لا غير أني أعلم أنه ما وقع و مع هذا فلا أقطع يأسي من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك و ينبغي للناصح نفسه أن يقارب هذا المقام جهد الاستطاعة و أما القائلون بالتشبه بالحضرة

الإلهية جهد الطاقة و هو التخلق بالأسماء إنه عين المطلوب و الكمال فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول و أما في عين الحصول فلا تشبه بل هو عين الحق و الشيء لا يشبه نفسه فأعلى المظاهر مظاهر الجمع و هو عين التفريق

(السؤال السابع و الثمانون) ما يقتضي الحق من الموحدين الجواب أن لا مزاحمة و ذلك أن الله لما تسمى بالظاهر و الباطن نفى المزاحمة إذ الظاهر لا يزاحم الباطن و الباطن لا يزاحم الظاهر و إنما المزاحمة أن يكون ظاهران أو باطنان فهو الظاهر من حيث المظاهر و هو الباطن من حيث الهوية فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها فالأحدية من ظهورها و العدد من أعيانها فيقتضي الحق من الموحدين الذين وصفوا بصفة التوحيد أن يوحدوه من حيث هويته و إن تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر فلا يرون شيئًا إلا كان هو المرئي و الرائي و لا يطلبون شيئًا إلا كان هو الطالب و الطلب و المطلوب و لا يسمعون شيئًا إلا كان هو السامع و السمع و المسموع فلا تزاحم فلا منازعة فإن النزاع لا يحمله إلا التضاد و هو المماثل و المنافر و هو عين المماثل هنا إذ قد يكون الضدان ما ليس بمثلين بخلاف المخالف فإن حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة و لا منازعة و لهذا نفى الحق أن تضرب له الأمثال لأنها أضداد تنافي حقيقة ما ينبغي له و لا ينافيه ما سمي به حيث نفى التشبيه فقال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ خلق الله التفاحة تحمل اللون و الطعم و الرائحة و لا مزاحمة في الجوهر الذي لا ينقسم و يستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم فلا يصح إلهان لأنهما مثلان و يصح وجود جميع الأسماء للعين الواحدة لأنها خلاف و الخلاف قابل للاجتماع بخلاف المماثل فإذا استحال الاجتماع فالحكم الضدية لا لحكم الخلاف إذ الاجتماع لا يناقض الخلاف فكل اجتماع يطلب الخلاف و ما كل خلاف يطلب الاجتماع و إنما يقتضي الحق من الموحدين عدم المزاحمة ليبقى الرب ربا و العبد عبدا فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته و لا يزاحم العبد الرب في ربوبيته مع وجود عين الرب و العبد فالموحد لا يتخلق بالأسماء الإلهية فإن قلت فيلزم أن لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات من معية و نزول و استواء و ضحك فهذه أوصاف العباد و قد قلت أن لا مزاحمة فهذه ربوبية زاحمت عبودية قلنا ليس الأمر كما زعمت ليس ما ذكرت من أوصاف العبودية و إنما ذلك من أوصاف الربوبية من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها فالعبد عبد على أصله و الربوبية ربوبية على أصلها و الهوية هوية على أصلها فإن قلت فالربوبية ما هي عين الهوية قلنا الربوبية نسبة هوية إلى عين و الهوية لنفسها لا تقتضي نسبة و إنما ثبوت الأعيان طلبت النسب من هذه الهوية فهو المعبر عنها بالربوبية فاقتضى الحق من الموحدين أن يوحدوا كل أمر لترتفع المزاحمة فيزول النزاع فيصح الدوام للعالم فيتعين عند ذلك ما معنى الأزل بمعقولية الأبد و هو قولك لا يزال فلو لا النقطة المفروضة في الخط التي تشبه الآن ما فرق بين الأزل و الأبد كما لا نفرق بين الماضي و المستقبل بانعدام الآن من

الزمان إلا إن النقطة هي الربوبية ففرقت بين الهوية و الأعيان و هو المسمى المظاهر إلا إن النقطة أنت فتميز هو و أنا بأنت فإذا علمت هذا فأنت موحد فأعط الحق ما يقتضيه منك إذا اقتضاه فإن قال لك أ ليس قد تبين لك في المرتبة الأخرى أنه ما ثم إلا الله و بينت في ذلك ما بينت فلما ذا نزعت هنا هذا المنزع قلنا لأنك سميت نفسك مقتضيا منا من كوننا موحدين أمرا ما لا يقتضي أنت ما يعطيك نحن نحن ما أعطيناك إنما أعطينا للمقتضي فلا تكلمنا بغير لغتنا إذ أنت القائل وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ يكون المقتضي في هذا الفصل مشهودنا و يخاطبنا اسم آخر ليس مشهودنا هذا خطاب ابتلاء و تمحيص

(السؤال الثامن و الثمانون) عن الحق المقتضي ما الحق الجواب سمي الحق حقا لاقتضائه من عباده من حيث أعيانهم و من حيث كونهم مظاهر ما يستحق إذ لا يطلب الحق إلا بالحق و هو العلم الحاصل بعد العين و هو ما يجب على المقتضي منه ما يعطيه إذا طلبه منه كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أي أوجبها فصارت حقا عليه قال وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فهو الحق لا غيره و هو المستحق و المحق و هو الذي تجب عليه الحقوق من حيث إيجابه لا من حيث ذاته فالأعيان لو لا ما تستحق أن تكون مظاهر ما ظهر الحق فيها و لم يكن حكيما لما كان يلزم من الخلل في ذلك و لو لم تكن الهوية تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية لظهور سلطان الربوبية ما ظهرت في هذه الأعيان لأن الشيء لا يظهر في نفسه لنفسه فلا بد من عين يظهر فيها لها فيشهد نفسه في المظهر فيسمى مشهودا و شاهدا فإن الأعيان لا تستحق و لهذا قال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و لم يقل إن الأعيان تستحق الرحمة فالأعيان ليس لها استحقاق إلا أن تكون مظاهر خاصة

فقل للحق إن الحق ما هو — سواه فهو حق في الحقيقة

فلم أنظر بعيني غير عيني — فعين الحق أعيان الخليقة

الحق هويته الحق اسمه خلق هو المخلوق به خلق كل شيء حقه أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَقُلِ الْحَقُّ من رَبِّكُمْ الحق طلب الحقوق فبالحق يطلب الحق فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ فالحق الوجود و الضلال الحيرة في النسبة فالحق المنزل و الحق التنزيل و الحق المنزل و الحق من الله من حيث هو ربنا و من صرف عن الحق إلى أين يذهب فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ أصحاب العلامات و الدلائل فالحق المسئول عنه في هذا السؤال هو المقتضي الذي يقتضي من الموحدين لما ذكرناه فسمي حقا لوجوب وجوده لنفسه فاقتضاؤه إنما اقتضى

من نفسه فإنه إنما اقتضاه من الظاهر في مظهره و هويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية فما اقتضى إلا منه و ما كان المقتضي إلا هو و الذي اقتضى هو حق و هو عين الحق فإن أعطى فهو الآخذ و إن أخذ فهو المعطي فمن عرفه عرف الحق

(السؤال التاسع و الثمانون) و ما ذا بدؤه الجواب الضمير يعود على الحق و بدؤه من الاسم الأول الذي تسمى الحق به قال تعالى هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فسمى لنا نفسه أولا فبدؤه أولية الحق و هي نسبة لأن مرجع الموجودات في وجودها إلى الحق فلا بد أن تكون نسبة الأولية له فبدؤه نسبة الأولية له و نسبة الأولية له لا تكون إلا في المظاهر فظهوره في العقل الأول الذي هو القلم الأعلى و هو أول ما خلق الله فهو الأول من حيث ذلك المظهر لأنه أول الموجودات عنه فالذات الأزلية لا توصف بالأولية و إنما يوصف بها الله تعالى قال الله تعالى سَبَّحَ لِلَّهِ فهو المسبح ما في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ من حيث أعيانهم وَ هُوَ الْعَزِيزُ المنيع الحمى من هويته الْحَكِيمُ بمن ينبغي أن يسبح له الضمير يعود على الله من لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و لهذا يسبحه أهلهما لأنهم مقهورون محصورون في قبضة السموات و الأرض يُحْيِي وَ يُمِيتُ يحيي العين و يميت الوصف فالعين لها الدوام من حيث حييت و الصفات تتوالى عليها فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين و يأتي بأخرى وَ هُوَ الضمير يعود على الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي شيئية الأعيان الثابتة يقول إنها تحت الاقتدار الإلهي هُوَ الْأَوَّلُ الضمير يعود على الله من لله و الأول خبر الضمير الذي هو المبتدأ و هو في موضع الصفة لله و مسمى الله إنما هو من حيث المرتبة و أول مظهر ظهر القلم الإلهي و هو العقل الأول و العين ما كانت مظهرا إلا بظهور الحق فيها فهي أول و الكلام في الظاهر في المظهر لأن به يت فالأول هو الله و العقل حجاب عليه و مجن تتوالى الصفات عليه و لما كانت الأعيان كلها من كونها مظاهر نسبتها إلى الألوهية نسبة واحدة من حيث ما هي مظاهر تسمى بالآخر فهو الآخر آخرية الأجناس لا آخرية الأشخاص و هو الأول بأولية الأجناس و أولية الأشخاص لأنه ما أوجد إلا عينا واحدة و هو القلم أو العقل كيفما شئت سميته و لما كان العالم له الظهور و البطون من حيث ما هو مظاهر كان هو سبحانه الظاهر لنسبة ما ظهر منه و الباطن لنسبة ما بطن منه وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ شيئية الأعيان و شيئية الوجود من حيث أجناسه و أنواعه و أشخاصه فقد تبين أن بدأه عين وجود العقل الأول قال النبي صلى الله عليه و سلم أول ما خلق الله العقل و هو الحق الذي خالق به السموات و الأرض و قد مشى معنا هذا في سؤاله في العدل في السؤال الثامن و العشرين من هذه السؤالات

(السؤال التسعون) أي شيء فعله في الخلق الجواب إن كان قوله في الخلق من كونهم مقدرين فالإيجاد و هو حال الفعل و إن كان قوله في الخلق من كونهم موجودين فحال الفناء و ذلك أن الله تعالى قال للإنسان أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ أي قدرناه وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً

نبهه على أصله فأنعم عليه بشيئية الوجود و هو عين وجود الظاهر فيه و إنما خاطب الإنسان وحده لأنه المعتبر الذي وجد العالم من أجله و إلا فكل ممكن بهذه المنزلة هذا الذي تعطيه نشأته لكونه مخلوقا على الصورة الإلهية و أنه مجموع حقائق العالم كله فإذا خاطبه فقد خاطب العالم كله و خاطب أسماءه كلها و أما الوجه الآخر الذي ينبغي أيضا أن يقال و هو دون هذا في كونه مقصودا بالخطاب و ذلك أنه ما ادعى أحد الألوهية سواه من جميع المخلوقات و أعصى الخلائق إبليس و غاية جهله إنه رأى نفسه خيرا من آدم لكونه من نا ر لاعتقاده أنه أفضل العناصر و غاية معصيته أنه أمر بالسجود لآدم فتكبر في نفسه عن السجود لآدم لما ذكرناه و أبى فعصى الله في أمره فسماه الله كافرا فإنه جمع بين المعصية و الجهل و الإنسان ادعى أنه الرب الأعلى فلهذا خص بالخطاب في قوله أَ وَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ فلذا قلنا الفناء أي أحاله على هذه الصفة أن يكون مستحضرا لها و أما الفعل الخاص بكل خلق فهو إعطاؤه ما يستحقه كل خلق مما تقضيه الحكمة الإلهية و هو قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أي بين أنه تعالى أعطى كل شيء خلقه حتى لا يقول شيء من الأشياء قد نقصني كذا فإن ذلك النقص الذي يتوهمه هو عرض عرض له لجهله بنفسه و عدم إيمانه إن كان وصل إليه قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فإن المخلوق ما يعرف كماله و لا ما ينقصه لأنه مخلوق لغيره لا لنفسه فالذي خلقه إنما خلقه له لا لنفسه فما أعطاه إلا ما يصلح أن يكون له تعالى و العبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلهذا يقول أريد كذا و ينقصني كذا فلو علم أنه مخلوق لربه لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين و هذه المسألة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة أكابرهم بها و هي مما يحتاج إليها في المعرفة المبتدي و المنتهي و المتوسط فإنها أصل الأدب الإلهي الذي طلبه الحق من عباده و ما علم ذلك إلا القائلون رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً و أما الذين قالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق و لو لم يكن الأمر كما وقع لتعطل من الحضرة الإلهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم فنبه إن كل أمر يقع في العالم إنما هو لإظهار حكم اسم إلهي و إذا كان هكذا الأمر فلم يبق في الإمكان أبدع من هذا العالم و لا أكمل فما بقي في الإمكان إلا أمثاله إلى ما لا نهاية له فاعلم ذلك فهذا فعله في الخلق و أما الجواب العام في هذه المسألة أن يقال فعله في الخلق ما هو الخلق عليه في جميع أحواله

(السؤال الحادي و التسعون) و بما ذا و كل يعني الحق الجواب وكل بتمشية أوامر الله و إنفاذ كلماته لا غير فهو مخصوص بالشرائع الإلهية سنها من سنها كما قال تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ فذمهم لما لم يرعوها فقال فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها و قال صلى الله عليه و سلم من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها فالخير يطلب الثواب بذاته و الشرع مبين للناس توقيت ذلك الثواب كقوله

من جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها و قال الله لداود يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ لمن تقدمك أو نيابة عنا بالاسم الظاهر الذي لنا فقد خلعناه عليك لتظهر به في خلقي فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فعرفنا إن الحق سبحانه قد وكل الحق بتمشية دينه فقال لخلفائه احكموا بما يقتضيه أمر هذا الوكيل و لا تتبعوا الهوى و هو إرادة النفوس التي يخالفها حكم الحق الموكل بتمشية الكلمات الإلهية المشروعة و كل مخاطب راع و مسئول عن رعيته فكان العدل صفة هذا الحق الذي وكله الله أن يصرفها في المخلوقات بمساعدة الخلفاء و الله المرشد

(السؤال الثاني و التسعون) و ما ثمرته يعني فيمن حكم به من الخلفاء الجواب الوقوف دائما مع العبودة هذه ثمرته و لكن جوائح الربوبية تمنع من ظهور هذه الثمرة و لا سيما في البشر و لكن له ثمرة أخرى دون هذه الثمرة و هو أن يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه ثم إن له في كل شخص من الثمر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه و أما ثمرته التي يعمل عليها و لها أكثر العقلاء من أهل الله فتهيؤ مراداتهم بمجرد الهمم فمنهم من ينال ذلك في الدنيا و منهم من يدخر له ذلك إلى يوم القيامة فإن أكابر الرجال مع معرفتهم بما خلقوا له لو وقفوا مع التكوين قوبلوا و لكنهم تركوا الحق يتصرف في خلقه كما هو في نفس الأمر و أبوا أن يكونوا محلا لظهور التصريف و إن ظهر عليهم من ذلك شيء فما هو عن قصد منهم لذلك و لكن الله أجراه لهم و أظهره عليهم لحكمة علمها الحق و هؤلاء عن ذلك بمعزل و أما إن يقصدوا ذلك فلا يتصور منهم إلا أن يكونوا مأمورين كالرسل عليهم السلام فذلك إلى الله و هم لا يَعْصُونَ الله ما أَمَرَهُمْ فإنهم معصومون من إضافة الأفعال إليهم إذا ظهرت منهم فيقولون هي للظاهر من أسمائه في مظاهره فما لنا و للدعوى فنحن لا شيء في حال كوننا مظاهر له و في غير هذه الحال و هذا المقام يسمى راحة الأبد و القائم فيه مستريح و هذا هو الذي و في الربوبية حقها لأن الحكم للمرتبة لا للعين أ لا ترى أن السلطان تمشي أوامره في مملكته فلا يعصى و يخاف و يرجى و ما هو لكونه إنسانا فإن الإنسانية عينه و إنما هو لكونه سلطانا و هي المرتبة فالعاقل من الناس يرى أن المتحكم في المملكة إنما هي المرتبة لا عينه إذ لو كان ذلك لكونه إنسانا فلا فرق بينه و بين كل إنسان و هكذا كل المظاهر فرجال الله ينظرون أنفسهم من حيث أعيانهم لا من حيث كونهم مظاهر فكانت المرتبة هي الحاكمة لا هم و هذه هي ثمرة الحق التي جنوها حين حكموا به و فازوا بالعبودة و العبودية عبادة الفرائض و عبادة النوافل

(السؤال الثالث و التسعون) و ما المحق الجواب معطي الحق و هو الموصوف بالحكم العدل و ذلك أني أنبهك على تحقيق هذا الأمر فاعلم أن المحق إذا كان هو معطي الحق فليس إلا الله و مقصود الطائفة من المحق أن يكون الصادق الدعوى في طلب الحق الذي يستحقه و هي مسألة صعبة فإن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو ما يستحقه فقد أعطى كل شيء استحقاقه فهذا الطالب ما يستحقه كيف

يصح أن يكون ممنوعا عنه ما يستحقه مع قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فلنقل اعلم أن قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ إنما هو مما يقوم ذات ذلك الشيء من الفصول المقومة لذاته و أما ما تطلبه تلك الفصول من اللوازم و الأعراض فما أعطاه ذلك لأن أعراض كل ذات لا يتناهى ما دام موصوفا بالبقاء في الوجود و ما لا يمكن فيه التناهي لا يصح أن يدخل في الوجود بل على التالي و التابع فالطالب المحق هو الذي لا يطلب ما لا تستحقه ذاته من لوازمها و أعراضها كمن ليس من حقيقته أن يقبل التفكر فيطلب أن يتصف بالفكر فما هو محق في طلبه فإذا طلبه الإنسان إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات فله أن يطلب الاشتغال بالتفكر في خلق السموات و الأرض و جميع الآيات فهو محق في طلبه صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لاستيلاء الغفلة عليه فهذا هو المحق الذي لا يعارض طلب حقه الذي يستحق بذاته طلبه قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فقد تبين لك كيف ينبغي لك أن تسأل و ما ذا تسأل فيه و من أوصاف المحق أن لا يسأل إلا من بيده قضاء ذلك الحق المسئول فإن لم يفعل فقد شكى إلى غير مشتكى كان شيخنا أبو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه اللهم إنك سددت باب النبوة و الرسالة دوننا و لم تسد باب الولاية اللهم مهما عينت أعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك فاجعلني ذلك الولي فهذا من المحقين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقا لهم و إن كانت النبوة و الرسالة مما يستحقه الإنسان عقلا لكون ذاته قابلة لها لكن لما علم أن الله قد سد بابها شرعا و سد باب نبوة الشرائع لم يسألها و سأل ما يستحقه فإن الله ما حجر الولاية علينا و من هذا الباب سؤال الوسيلة و إن لم يكن مثلها لكن يقرب منها و إنما ألحقناها بها في التشبيه لقرينة حال و هي درجة في الجنة لا ينالها أو لا تنبغي إلا لرجل واحد قال صلى الله عليه و سلم و أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه لما سأل ما لا يستحقه لأنه ربما لا ينالها إلا شخص هو على صفة مخصوصة و الله يقول لنا وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ إلا أنه لم يقل منه فقد يمكن أن يكون هذه من التوسل و تلك الصفة إما موهوبة أو مكتسبة و لم يعينها رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا حجرها على واحد بعينه و لم يقل إنها لا تنبغي إلا لمن هو أفضل عند الله من البشر و نحن نعلم أنه أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه فكان يكون ذلك تحجيرا و لم ينص أيضا في وحدانية ذلك الشخص هل هو واحد لعينه أو واحد تلك الصفة فتكون الأحدية لتلك الصفة و لو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة لأن تلك الصفة تطلبها فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا و لكن يمنعنا من ذلك الإيثار و حسن الأدب مع الله في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي اهتدينا بهديه و قد طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة فتعين علينا أدبا و إيثارا و مروءة و مكارم خلق أن لو كانت لنا لوهبناها له إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء لعلو منصبه و ما عرفناه من منزلته عند الله و نرجوا بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة مثل قيمة المثل عندنا في

الحكم المشروع في الدنيا و ذلك أن بيننا و بينه صلى الله عليه و سلم أخوة الايمان و إن كان هو السيد الذي لا يقاوم و لا يكاثر و لكن قد انتظم معنا في سلك الايمان فقال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ و ثبت في الشرع أن الإنسان إذا دعي لأخيه بظهر الغيب قال الملك له و لك بمثله و لك بمثليه فإذا دعونا له بالوسيلة و هو غائب عنا قال الملك و لك بمثله فهي له و المثل للداعي فينال من درجات مجموعه ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة مثل قيمة المثل لأن الوسيلة لا مثل لها أي ما ثم درجةواحدة تجمع ما جمعت الوسيلة و إن كانت ما جمعت الوسيلة متفرقا في درجات متعددة و لكن للوسيلة خاصية الجمع

(السؤال الرابع و التسعون) فأين محل من يكون محقا الجواب في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فإن الحقوق ما يطلبها المحق إلا و هو في المقعد الصدق لأنه صادق و لا تطلب الحقوق إلا عند من يعلم أنه قادر على إيصالها و ملك ماضي الكلمة في ملكه فلهذا قلنا في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فاجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل و المتقي في جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ و إن كان المحق كذلك و لكن لما كان الفرق بين المتقي و بين هذا معلوما لم تكن الجنات كالجنات و وقع الاشتراك في كونه محقا مع المتقي فالمتقي ما نال المقعد الصدق إلا من كونه محقا عند مليك مقتدر حضرة بقاء العين و الاقتدار و التأييد و لهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي ينزلونها من حضرات الأسماء محلهم الاسم الصادق و الحق و الناصر و ما في معنى هذه الأسماء فأي اسم من هؤلاء الأسماء نظر إليه كان محله و أما في الذاتيات فمحله الواجبات و أما في الألوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب و أما في العبودية فمحلها عبودية الفرائض و أما في الأحوال فالتأثير و أما في المقامات فالصدق و أما في الجنان فارتفاع الحجب و أما في الدنيا فالفعل بالهمة و أما في المعارف فإن يكون مع الحق من حيث أمره و مع عالمه من حيث عدله و وفائه فيعين كل طالب حق فمقامه لا يتزلزل و لا ينخرم فإن له في كل حضرة مقعدا و مجلسا فحيث حل فهو بيته فلا يفطر إن كان صائما و لا يقصر الصلاة فإنه مقيم غير مسافر لأن السفر فيه لا يجوز فيه القصر و لا الفطر فهو كمثل عائشة قالت لا أقصر فإني أم المؤمنين فحيث ما حللت حللت عند نبي فإنا في بيتي و السفر إليه بخلاف ذلك فإنه يقصر و يفطر فهو فطر الصائمين

(السؤال الخامس و التسعون) ما سكينة الأولياء الجواب إذا اتبع الولي الأسباب و قطعها سببا سببا و ولى مملكة جابرقينا و جابرسينا و جمع له بين المشرقين و المشارق و المغربين و المغارب و اطلع على المشرق و المغرب و وفى المقامات حقها و أعطى الأنبياء حقهم و أنبياء الشرائع حقهم و أنصف الملأ الأعلى و أحال الأسماء الإلهية على الأسماء الإلهية و لم يتوجه لمخلوق عليه حق فإنه غير وارث و لا رسول و لا إمام و لا صاحب منصب يخاف عليه فيه عدله أو جوره و يرجى فيه فضله و جهل قدره و لم يعرف حقه و تمنى الرسل في موطن ما أن تكون مثله و جمع هذا كله فتلك سكينة الأولياء التي يسكنون إليها فهم العرائس المصانون رجال أي رجال يسكنون إليها و

لا تحصل لهم دائما لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق فهي تشبه المشاهد الذاتية في كونها لا بقاء لها فإن المواطن تحكم عليهم و طبيعتهم تطلبهم فإن اتفق أن تحصل لأحد وقتا ما قصيرا أو طويلا فإن الدوام محال فيكون الولي في تلك الحال ناظرا لمن يطلب طبيعته فيكون كالمتفرج و يرى الظاهر فيه المسئول ذلك إما يعطيها ما سألته و إما يمنعها و هو مهيمن على ذلك من حيث عينه إلا أن هذه هي العبودة المحضة التي لا يتخللها شوب من الربوبية

(السؤال السادس و التسعون) ما حظ المؤمنين من قوله الظاهر و الباطن و الأول و الآخر الجواب كل مصدق بأمر لم يعلمه إلا من الذي أخبره به فقد بطن عنه ما صدقه فيه و ظهر له ما صدقه فيه عند إخباره و حظه من الأول أن لا يتوقف في تصديقه عند سماعه الخبر منه و حظه من الآخر أن لا يتردد فيما صدقه فيه إن قدح فيه نظره عند التفكر فيما أخبره به المخبر و ذلك أن الايمان نور شعشعاني ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد فإذا خالط هذا النور بشاشة القلوب كان حكمه ما ذكرناه من الظاهر و الباطن و الأول و الآخر و المؤمنون فيه على قسمين مؤمن عن نظر و استدلال و برهان فهذا لا يوثق بإيمانه و لا يخالط نوره بشاشة القلوب فإن صاحبه لا ينظر إليه إلا من خلف حجاب دليله و ما من دليل لأصحاب النظر إلا و هو معرض للدخل فيه و القدح و لو بعد حين فلا يمكن لصاحب البرهان أن يخالط الايمان بشاشة قلبه و هذا الحجاب بينه و بينه و المؤمن الآخر الذي كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه لا أمر آخر و هذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب فلا يتصور في صاحبه شك لأن الشك لا يجد محلا يعمره فإن محله الدليل و لا دليل فما ثم على ما يرد الدخل و لا الشك بل هو في مزيد ثم إن المؤمن على نوعين مؤمن له عين فيه نور بذلك العين إذا اجتمع بنور الايمان أدرك المغيبات التي متعلقها الايمان و مؤمن ما لعينه نور سوى نور الايمان فنظر إليه به و نظر إلى غيره به فالأول يمكن أن يقوم بعينه أمر يزيل عنه النور الذي إذا اجتمع بنور الايمان أدرك الأمور التي ألزمه الايمان القول بها و هو المؤمن الذي لا دليل له و ينظر الأشياء بذاته فيدخله الشك ممن يشككه فإن فطرته تعطي النظر في الأدلة إلا أنه لم ينظر فإذا نبه تنبه فمثل هذا إن لم يسرع إليه الذوق و إلا خيف عليه و المؤمن الآخر هو بمنزلة الجسد الذي قد تسوت بنيته و استوت آلات قواه و تركبت طبقات عينه غير أنه ما نفخ فيه الروح فلا نور لعينه فإذا كان الإنسان بهذه المثابة من الطمس فنفخ فيه روح الايمان فأبصرت عينه بنور الايمان الأشياء فلا يتمكن له إدخال الشكوك عليه جملة و رأسا فإنه ما لعينه نور سوى نور الايمان و الضد لا يقبل الضد فما له نور في عينه يقبل به الشك و القدح فيما يراه و هكذا هي الأذواق و هذه فائدتها و متى لم يكن الايمان بهذه المثابة و الفطرة بهذه المثابة و إلا فقليل أن يجيء منه ما جاء من الأنبياء و الأولياء من الصدق بالإلهيات فالفطرة الذكية التي تقبل النظر في المعقولات من أكبر الموانع لحصول ما ينبغي أن يحصل من العلم الإلهي و الفطرة المطموسة هي القابلة التي

لا نور لعينها من ذاتها إلا من نور الايمان فلا تعطي فطرته النظر في الأمور على اختلافها و مما يعضد ما قلناه حديث إبا ر النخل و حديث نزوله بأصحابه يوم بدر و قوله ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ أي ما لي علم و لا نظر بغير ما يوحى إلي و هذا باب لا يعرفه إلا أهل الله و منزلة الأنبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الايمان من الملائكة منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الأنبياء فالأنبياء مؤمنون بما يلقي إليهم الروح و الروح مؤمن بما يلقي إليه من يلقي إليه فحظ المؤمن كان من كان من الظاهر ما ألقى إليه و حظه من الباطن ما استتر به و حظه من الأول علم الخواطر الإلهية و حظه من الآخر إلحاق بقية الخواطر بالخواطر الإلهية و هو تتميم قوله وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(السؤال السابع و التسعون) ما حظ المؤمنين من قوله كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ الجواب المؤمن هو الذي ذكرناه الذي لا نور لعين بصيرته إلا نور الايمان فكل شيء عنده هالك عن شيئيته شيئية ثبوته و شيئية وجوده إلا وجهه وجه الشيء ذاته و حقيقته و وجهه مظهره أي ظهوره في الأعيان فأما شيئية ذاته فهي المستثناة لا بد من ذلك و أما وجهه في المظهر فبعض أصحابنا يدخلها في كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ و بعض أصحابنا لا يدخلها هنالك فأما من أدخلها في الهلاك فاعتبر مظهرا خاصا و أما من لم يدخلها في الهلاك فاعتبر أنها لا تخلو عن مظهر ما و أما نحن فلا نثبت إطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق لأنها ما وردت و لا خوطبنا بها و الأدب أولى و الأولى أن يكون هنا وجهه مثل إطلاق الأول يريد المظهر لا هويته و المظهر له مناسبة بينه و بين الوجه الظاهر فيه فلذلك صح الاستثناء قال تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ فسماه شيئا في حال هلاكه فكل شيء موصوف بالهلاك لأن هالك خبر المبتدأ الذي هو كل شيء أي كل ما ينطلق عليه اسم شيء فهو هالك و إن كان مظهرا فهو في حال كونه مظهرا في شيئية عينه و هي هالكة فهو هالك في حال اتصافه بالوجود كما هو هالك في حال اتصافه بالهلاك الذي هو العدم فإن العدم للممكن ذاتي أي من حقيقة ذاته أن يكون معدوما و الأشياء إذا اقتضت أمورا لذواتها فمن المحال زوالها فمن المحال زوال حكم العدم عن هذه العين الممكنة سواء اتصفت بالوجود أو لم تتصف فإن المتصف بالوجود ما هو عين الممكن و إنما هو الظاهر في عين الممكن الذي سمي به الممكن مظهرا لوجود الحق فكل شيء هالك فلهذا نفينا عن الحق إطلاق لفظ الشيء عليه و يكون الاستثناء استثناء منقطعا مثل قوله فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ ألا ترى لما استحق الحق الوجود لذاته استحال عليه العدم كذلك إذا استحق الممكن العدم لذاته استحال وجوده فلهذا جعلناه مظهرا قلنا في كتاب المعرفة إن الممكن ما استحق العدم لذاته كما يقوله بعض الناس و إنما الذي استحقه الممكن تقدم اتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته لا العدم و لهذا قبل الوجود بالترجيح إذن فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده و إنما هو العدم الذي له

في مقابلة وجوده في حال وجوده أن لو لم يكن الوجود لكان العدم فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن هذا هو الذي يقتضيه النظر العقلي و أما مذهبنا فالعين الممكنة إنما هي ممكنة لأن تكون مظهر إلا لأن تقبل الاتصاف بالوجود فيكون الوجود عينها إذن فليس الوجود في الممكن عين الموجود بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجودا مجازا لا حقيقة لأن الحقيقة تأبى أن يكون الممكن موجودا فلا يزال كل شيء لك كما لم يزل لم يتغير عليه نعت و لا تغير على الوجود نعت فالوجود وجود و العدم عدم و الموصوف بأنه موجود موجود و الموصوف بأنه معدوم معدوم هذا هو نفس أهل التحقيق من أهل الكشف و الوجود ثم يندرج في هذه المسألة الوجه الذي له الأمام و هو الوجه المقيد بالنظر و به تميز عن الخلف فإذا كان الشخص يرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه كان وجها كله بلا قفا فلا يهلك من هذه صفته لأنه يرى من كل جهة فلا يهلك لأن العين تحفظه بنظرها فمن أي جهة جاءه من يريد إهلاكه لم يجد سبيلا إليه لكشفه إياه كما يتقي صاحب الوجه المقيد من يأتيه من إمامه انتهى الجزء السابع و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثامن و التسعون) كيف خص ذكر الوجه الجواب لأن السبحات له فهي مهلكة و المهلك لا يكون هالكا فاعلم أن الحقائق لا تتصف بالهلاك و وجه الشيء حقيقته و إنما يتصف بالهلاك الأمور العوارض للحقائق من نسبة بعضها إلى بعض فهي أعني الأمور العوارض حقيقتها أن تكون عوارض فلا يهلك وجهها عن كونها عوارض فاتصاف من عرضت له نسبة ما ثم بها زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى فازالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكا و يسمى ذلك المحل المنسوب إليه ذلك العارض بزواله هالكا و ما ثم إلا حقائق فما ثم إلا وجوه غير هالكة و ما ثم إلا نسب فما ثم إلا هالك فانظر كيف شئت و أنطق بحسب ما تنظر فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك إذ كانت الحقيقة لا تهلك

(السؤال التاسع و التسعون) ما مبتدأ الحمد الجواب مبتدؤه الابتداء و هو المعنى القائم في نفس الحامد فلا بد أن يكون مقيدا من طريق المعنى أنه ابتداء حادث فلا بد له من سبب و السبب عين التقييد و من طريق التلفظ بالحمد فمبتدؤه الإطلاق ثم بعد ذلك إن شئت قيدته بصفة فعل إلهي و إن شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه و ما ثم أكثر من هذا و إن أراد السائل بالحمد هنا العبد فإنه عين الثناء على الحق بوجود عينه فمبتدؤه الحق الذي أوجده لما أوجده و إن أراد بالحمد و مبتدئه إضافة المبدأ إلى الحمد أي بما يبتدئ الحمد فنقول بالوجود سواء اقترنت سعادة بذلك الموجود أو شقاوة و إن أراد بالحمد حمد الحمد فمبتدؤه الوهب و المنة و إن أراد بمبتدإ الحمد حمد الحق الحمد أو حمد الحق نفسه أو حمد الحق مخلوقاته فالثناء على الثناء بأنه ثناء ثناء عليه فمبتدؤه العلم بأنه ثناء و إن أراد

به حمد الحق نفسه فمبتدؤه الهوية فهو غيب لا يظهر أبدا و إن أراد به حمد الحق خلقه فمبتدؤه إضافة الخلق إليه تعالى لا إلى غيره و إن أراد بالحمد الفاتحة التي هي السورة فمبتدؤها الباء إن نظرت الحق من حيث دلالة الخلق عليه فيكون بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ آية من سورة الفاتحة و إن كان ينظرها من حيث الحق مجردا عن تعلق العالم به للدلالة فمبتدؤها الألف من الحمد لله فلم تتصل بأمر و لا ينبغي لها أن تتصل و لم يتصل بها فإنها تعالى في الفاتحة أن يتصل بها فإنه ما اتصل بها في المعنى إلا أسماؤها و أسماؤها عينها فلم يتصل بها سواها فإن أراد بالحمد عواقب الثناء فمبدؤه من حيث هو عواقب رجوع أسمائه إليه فإنه لا أثر لها إلا في الظاهر في المظاهر و على الظاهر يقع الثناء و ليس الظاهر في المظاهر غيره فلا مثنى و لا مثنى و لا مثنى عليه إلا هو و التبس على الناس ما يتعلق بالمظاهر من الثناء فلهذا قالوا ما مبتدأ الحمد و الظاهر من سؤال هذا السائل أنه أراد الفاتحة لأنه قال في السؤال الذي يليه ما معنى آمين و هي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة فهو ثناء بدعاء و كل ثناء بدعاء فهو مشوب و لهذا قال قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل فأمين المشروعة لما فيها من السؤال و هو قوله اهْدِنَا و من طلب شيئا من أحد فلا بد أن يفتقر إليه بحال طلبه فمبتدأ الحمد على هذا هو الافتقار و لهذا سأل في الإجابة ثم إنه ما أوجب له الافتقار إليه إلا أثر غناه تعالى بما افتقر إليه فيه فمبتدأ الحمد غنى الحق عن العالمين قال الله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قال تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فقدم الفقر على الغني في اللفظ و غنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق إليه لا بل هما سؤالان تقدم أحدهما على الآخر فإن الغني عن الخلق لله أزلا و الفقر للممكن في حال عدمه إلى الله من حيث غناه أزلا و الموصوفان بالأزل نفيا و إثباتا لا يتقدم أحدهما على الآخر لأن الأزل لا يصح فيه تقدم و لا تأخر فافهم

(السؤال الموفي مائة) ما قوله آمين الجواب لما أراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع إلى الداعي لهذا قيل له قل آمين و هي تقصر و تمد قال الشاعر في القصر

تباعد مني فطحل و ابن أمه   أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية و قال الشاعر في المد

يا رب لا تسلبني حبها أبدا   و يرحم الله عبدا قال آمينا

يعني في دعائه بالبعد بينه و بين من يقبل البينية و ورد في الشرع الجهر بها و الإخفاء لأن الأمر ظاهر و باطن فالباطن يطلب الإخفاء و الظاهر يطلب الجهر غير أن الظاهر أعم فإذا جهر بها فقد حصل حظ الباطن و إذا أسر بها لم يعلم الظاهر ما جرى و الباطن خصوص و

الأسرار بها خاص لخاص و الظاهر عموم فالجهر بها عام لعام و خاص من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه و كل مذكور في ملأ فهو مذكور في النفس و ما كل ما هو مذكور في النفس يكون مذكورا في الملإ قوله عليه السلام أو استأثرت به في علم غيبك هي أسماء لا يعلمها إلا هو فعلم السر أتم وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ فالمفاتيح العلم بها خاص له و الغيب قد يظهر على غيبه من يرتضيه من رسله إِلَّا من ارْتَضى من رَسُولٍ فالسر بها أتم مقاما من الجهر بها و الجهر بها أعم منفعة من السر السر بها آمين معناه أجب دعاءنا لا بل معناه قصدنا إجابتك فيما دعوناك فيه يقال أم فلان جانب فلان إذا قصده وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ أي قاصدين و خفف أمين للسرعة المطلوبة في الإجابة و الخفة تقتضي الإسراع في الأشياء فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقد غفر له و لم يقل فقد أجيب لأنه لو أجيب لما غفر له لأن المهدي ما له ما يغفر أي فمن أمن مثل تأمين الملائكة هذا معنى الموافقة لا الموافقة الزمانية و قد تكون الموافقة الزمانية فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين و الملائكة لا يخلو قولها في آمين هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين فإن قالتها متجسدة فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة لأن التجسد يحكم عليهم بالإتيان بلفظة آمين أي بترتيب هذه الحروف و إن قالتها غير متجسدة فلم تبق الموافقة إلا أن يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك و الحال هنا على أقسام الحال الواحدة أن يقولها بربه فإن الملك يقولها كذلك أو يقولها بحاله التي تقتضيها ذاته فالإنسان إذا قالها كذلك قالها من حيث روحانيته إلا من حيث حسه أو يقولها بحكم النيابة فالملك قد يقولها كذلك أو يقولها و هو هو فالملك قد يقولها كذلك و قول الإنسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها فينبغي للإنسان أن يقولها بكل حال يقولها الملك من هذه الأقسام التي ذكرناها فإذا قالها غفر الله له و لا بد أن يستره الله عن كل أمر يضاد الهداية بما تنتج لا بد من ذلك لأن نتيجة الهداية سعادة و قد يكون في حياته الدنيا غير مهدي و العناية قد سبقت فيجني ثمرة الهداية فلهذا لم يقل أجيب و قال غفر فهذا معنى قوله آمين و كل داع بحسب ما دعا فإن الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه فقد أجابه بما فيه سعادته إذ هي المطلوب الأعم في كل دعاء داع

(السؤال الحادي و مائة) ما السجود الجواب السجود من كل ساجد مشاهدة أصله الذي غاب عنه حين كان فرعا عنه فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته قيل له اطلب ما غاب عنك و هو أصلك الذي عنه صدرت فسجد الجسم إلى التربة التي هي أصله و سجد الروح إلى الروح الكل الذي عنه صدر و سجد السر لربه الذي به نال المرتبة و الأصول كلها غيب أ لا تراها قد ظهرت في الشجر أصولها غيب فإن التكوين غيب لا يشاهده أحد الجنين يتكون في بطن أمه فهو غيب حيوان آخر يتكون في البيض فإذا كمل تشقق عنه الحق أصل وجود الأشياء و هو غيب لها السجود تحية الملوك لما كان السوقة دون الملك فالملك له العلو و العظمة فإذا دخل عليه من دونه

سجد له أي منزلتنا منك منزلة السفل من العلو فإنهم نظروا إليه من حيث مكانته و مرتبته لا من حيث نشأته فإنهم على السواء في النشأة سجدت الملائكة لمرتبة العلمفكان سجودها لا علم لنا و هو الجهل سجدت الظلال لمشاهدتها من خرجت عنه و هي الأشخاص يتستر ظل الشخص عن النور بأصله الذي انبعث عنه لئلا يفنيه النور فلم يكن له بقاء إلا بوجود الأصل فلا بقاء للعالم إلا بالله السلطان ظل الله في أرضه العرش ظل الله يوم القيامة العرش عين الملك يقال ثل عرش الملك إذا اختل ملكه عليه الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى أي على ملكه سجود القلب إذا سجد لا يرفع أبدا لأن سجوده للأسماء الإلهية لا للذات فإنها هي التي جعلته قلبا فهي تقلبه من حال إلى حال دنيا و آخرة فلهذا سمته قلبا فإذا تجلى له الحق مقلبا فيرى أنه في قبضة مقلبه و هو الأسماء الإلهية التي لا ينفك مخلوق عنها فهي المتحكمة في الخلائق فمن مشاهد لها و هو الذي سجد قلبه و من غير مشاهد لها فلا يسجد قلبه و هو المدعي الذي يقول أنا و على من هذه صفته يتوجه الحساب و السؤال يوم القيامة و العقاب إن عوقب و من سجد قلبه فلا دعوى له فلا حساب و لا سؤال و لا عقاب فلا حالة أشرف من حالة السجود لأنها حالة الوصول إلى علم الأصول فلا صفة أشرف من صفة العلم فإنه معطي السعادة في الدارين و الراحة في المنزلتين أصل الأعداد الواحد فلا وجود لها إلا به و به بقاؤها فمن لا علم له بأحدية خالقه كثرت آلهته و غاب عن معرفته بنفسه فجهل ربه

فصار عبد الكل رب   فهو محل لكل ذنب

و السجود يقتضي الديمومية و لهذا قال الشيخ أيضا لسهل بن عبد الله إلى الأبد لأن السجود الخضوع و الإسجاد إدامة النظر و كل من تطأطأ فقد سجد و قلن له اسجد لليلى فأسجدا أي طأطأ البعير لها لتركبه و التطاطؤ لا يكون إلا عن رفعة و الرفعة في حق كل ما سوى الله خروج عن أصله فقيل له اسجد أي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة و اخضع من شموخك بأن تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك فإنك ما تعاليت حتى غاب عنك أصلك فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه و من عرف أصله عرف عينه أي نفسه و من عرف نفسه عرف ربه و من عرف نفسه لم يرفع رأسه و من عرف ربه رفع رأسه فإنه مخلوق على صورة ربه و من نعوت ربه الرفيع فلا بد أن يرفع نفسه و بعد هذه الرفعة يقال له اسجد فيسجد وجهه فيسجد قلبه فيرفع وجهه من السجود فلا يدوم فإن القبلة التي سجد لها لا تدوم و الجهة التي سجد لها لا تدوم فرفع لرفع المسجود له و سجد القلب فلم يرفع لأنه سجد لربه فقبلته ربه و ربه لا يزول و لا ترتفع عن الوجود ربوبيته فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبدا لأن قبلته لا ترتفع فهذا معنى السجود

(السؤال الثاني و مائة) ما بدؤه الجواب بدؤ السجود الذي أسجدك تنوع الحالات و تغيراتها عليك فنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك فطلبت فعلمت أنك معلول و كل معلول فلا قيام له بنفسه فإن المريض لا يمرض نفسه و ما كل ما تقام فيه من تغير الأحوال يرضيك و إذا لم يرضك فقد أمرضك فلا بد من ممرض و من طلب الممرض فقد افتقر فعلمت أنك فقير و إذا افتقرت فهو كسر فقار ظهرك لم يتمكن لك أن ترفع رأسك فأنت موصوف بالسجود دائما فهذا بدء السجود و إن أراد بقوله ما بدؤه يعني ما بدؤه فيك أي ما هو أول شيء يعطيك السجود من منحه فنقول القربة و القربة مؤذنة ببعد متقدم و كل ذلك يؤدي إلى الحد و لا حد فإنه البعيد القريب فاعلم أن الهوية المسماة بالبعيد القريب هي التي أعطتك السجود و بدأك بها منحة و لكن من كونها تسمى بالبعيد القريب فنقلتك من النعت لبعيد إلى النعت القريب فنقلتك من البعد إلى القربة قال الله تعالى وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ و لم يقل غير ذلك من الأحوال تدل على إن أول شيء يمنحك السجود هو القربة ثم بعد ذلك تعطي من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة و النبيين فتلك عوارف التقريب و التقريب منحة السجود و السجود منحة النظر في تغير الأحوال و النظر في تغير الأحوال حكم تغير الأحوال و تغير الأحوال كونك على الصورة كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و كونك على الصورة كونك مظهرا للأسماء الإلهية و كونك مظهرا للأسماء الإلهية أعطاك الرفعة و لاتصافك بالرفعة أمرت بالسجود فاعلم

(السؤال الثالث و مائة) ما قوله العزة إزاري الجواب لما أنعم الحق على عباده حين دعاهم إلى معرفته بالتنزل بضرب الأمثال لهم ليحصلوا بذلك القدر الذي أراد منهم أن يعلموا منه مثل قوله مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ لقوله اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فجعل النور نفسه لأنه خبر المبتدأ أي صفته و هويته النور من حيث إنه الله النور و أين نور المصباح من قوله اللَّهُ نُورُ و كذلك الخبر إن الله تعالى إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان و أين كلام الحق تعالى من ضرب سلسلة على صفوان كذلك قوله العزة إزاري فأنزل نفسه لعباده منزلة من يقبل الاتصاف بالإزار و إن مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الإزار و ما يستره الإزار و اعلم أن الإزار يتخذ لثلاثة أمور الواحد للتجمل و الثاني للوقاية و الثالث للستر و المقصود في هذا الخبر من الثلاثة الوقاية خاصة لأجل قوله العزة فإن العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول إليه لأن الإزار يقي موضع الغيرة أن تطلع إليه الأبصار و لما كانت العزة منيعة الحمى أن يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات أو مبدع من المبدعات لاستصحاب الذلة للمخلوقات و المبدعات و هي تناقض العزة فلما اتزر الحق بالعزة منع العقول أن تدرك قبول الأعيان للإيجاد الذي اتصفت به و تميزت لأعيانها فلا يعلم ما سوى الله صورة إيجاده و لا قبوله و لا كيف صار مظهرا للحق و لا كيف وصفه بالوجود فقيل فيه موجود و قد كان يقال فيه معدوم فقال الحق العزة إزاري أي هي حجاب علي ما

من شأن النفوس أن تتشوف إلى تحصيله و لهذا قال من نا زعني واحدا منهما قصمته فأخبر أنه ينا زع في مثل هذه الصفات التي لا تنبغي إلا له مثل العزة و العظمة و الكبرياء و العزة القهر الذي نجده عن إدراك السر الذي به ظهور العالم

(السؤال الرابع و مائة) ما قوله و العظمة ردائي الجواب أن الله قد نبه أن العظمة التي تلبسها العقول رداء يحجبها عن إدراك الحق عند التجلي فليست العظمة صفة للحق على التحقيق و إنما هي صفة للقلوب العا رفة به فهي عليها كالرداء على لابسه و هي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الإدلال عليه و تورثها الإذلال بين يديه و من الدليل على أن يوصف العظيم بالعظمة أنه راجع إلى العالم به لا إليه أن المعظم إذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة و لا تعظيما لجهله به و الذي يعلم مكانته و منزلته له على قلبه سلطان العلم به فيورثه ذلك العلم عظمة في قلبه فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم و قد ورد خبر ذكره أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة أن جبريل أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسرى به في شجرة فيها كوكرى طائر فقعد جبريل في الواحد و قعد رسول الله صلى الله عليه و سلم في الآخر فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف درا و ياقوتا فأما جبريل فغشي عليه و أما محمد صلى الله عليه و سلم فبقي على حاله ما تغير عليه شيء فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلمت فضل جبريل علي في العلم لأنه علم ما رأى و أنا ما علمته فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل إنما كانت من علمه بما تدلى إليه فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة فهي حال للرائي لا للمرئي و لو كانت العظمة حالة للمرئي لعظمة كل من رآه و الأمر ليس كذلك و قد ورد في الحديث الصحيح أن الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة و فيها منافقوها فيقول أنا ربكم فيستعيذون منه و لا يجدون له تعظيما و ينكرونه لجهلهم به فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها أنه ربهم حينئذ يجدون عظمته في قلوبهم و الهيبة فلهذا قلنا في قوله العظمة ردائي أي هي رداؤه الذي تلبسه عقول العلماء به و جعلها رداء و لم يجعلها ثوبا فإن الرداء له كمية واحدة و الثوب مؤلف من كميات مختلفة ضم بعضها إلى بعض كالقميص و كذلك أيضا الإزار مثل الرداء و لم يقل السراويل لأن ذلك أقرب إلى الأحدية من الثوب المؤلف لتنوع الشكل

(السؤال الخامس و مائة) ما الإزار الجواب حجاب الغيرة و الستر على تأثير القدرة الإلهية في الحقيقة الخامسة الكلية الظاهرة في القديم قديمة و في المحدثات محدثة و هو ظهور الحقائق الإلهية و الصور الربانية في الأعيان الثابتة الموصوفة بالإمكان التي هي مظاهر الحق فلا يعلم نسبة هذا الظهور إلى هذا المظهر إلا الله سبحانه و تعالى فالحجاب الذي حال بيننا و بين هذا العلم هو المعبر عنه بالإزار و هي كلمة كن و لا أريد به حرف الكاف و الواو و النون و إنما أريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور

(السؤال السادس و مائة) ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الإمكانية و الإلهية و هو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد ما في الإمكان أبدع من هذا العالم لكمال وجود الحقائق كلها فيه و هو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة و نائبا و له الأثر الكامل في جميع الممكنات و له المشيئة التامة و هو أكمل المظاهر و اختلف العلماء هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدا أو لا يكون إلا شخص واحد فإن كان شخص واحد فمن هو ذلك الشخص و من أي قسم هو من أقسام الموجودات هل من البشر أو من الجن أو من الملائكة و إنما سماه رداء لأنه مشتق من الردي المقصور و هو الهلاك لأنه مستهلك في الحق استهلاكا كليا بحيث أن لا يظهر له وجود عين مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئًا من تلك الانفعالات إليه فيكون حقا كله و هو قوله صلى الله عليه و سلم و اجعلني نورا أي يظهر في كل شيء و لا أظهر بشيء و قد يستهلك الحق فيه فلا ينسب بوجوده شيء إلى الحق و هو الوجه الذي اعتمد عليه من أثبت الحق المخلوق به كأبي الحكم بن برجان و سهل بن عبد الله التستري و غيرهما و إليه أشرنا بقولنا

أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء فانظر من هو المرتدي فاحكم عليه بأنه مستهلك فيه فتجد حقيقة ما ذكرناه فكل مرتد محجوب بردائه عن إدراك الأبصار قال تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ لأن الرداء يحجب الأبصار عنه و لا يحجبه عنها فهو يدركها و لا تدركه فالأبصار تدرك الرداء و الرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(السؤال السابع و مائة) ما الكبر الجواب ما ظهر عن دعاوى الخلق في حضرة الربوبية من أنا على طبقات القائلين بها الكبر حال من أحوال القلوب من حيث ما هي عالمة بمن ينبغي أن ينسب إليه الكبرياء فإن الحق معلوم عند كل موجود و يتبع العلم الكبرياء فمن كان أعلم به كان كبرياء الحق في قلبه أعظم ممن ليس في قلبه ما يوجب ذلك فلو كان الكبرياء صفة للذات لكانت الذات مركبة و إن كان عين الذات و تجلى سبحانه و سلب العلم به في تجليه لم يجد المتجلي له أثر كبر عنده لهذا المتجلي لجهله به فإن رزقه العلم به تبعه الكبر و العلم مما يوصف به العالم لا المعلوم كذلك الكبر يوصف به من يوصف بالعلم بمن يكون الكبرياء من أثره في قلب هذا الشخص و لهذا قد ورد الكبرياء ردائي فهو حجاب بين العبد و بين الحق يحجب العبد أن يعرف كنه المرتدي به و هو نفسه فأحرى أن يعرف ربه و مع هذا فلا يضاف الكبر إلا لغير لابسه فإنه حالة عجيبة و كذلك العظمة فإن الحق ما هي صفته لا ذاتية و لا معنوية فإنه يستحيل على ذاته قيام صفات المعاني بها و يستحيل أن تكون صفة نفسية من أجل ما ورد من إنكار الخلق له في تجليه مع كونه هو هو و إذا بطل الوجهان فلم

يبق إلا أن تكون صفة للمتجلي له و هو الكون أو حالة تعقل بين المتجلي و المتجلي له لا يتصف بها المتجلي له لأن العبودة تقابل الكبر و تضادها و محال أن تقوم بنفسها بينهما فلم يبق إلا أن تكون من أوصاف العلم فتكون نسبة كبر و تعظيم و عزة تتصف بها نسبة علم بمعلوم محقق من حيث ما يؤدي إليه ذلك العلم من وجود هذه النسب ذوقا و شربا كما تقول في التشبيه و ضرب المثل سواد مشرق و علم حسن فوصف السواد بالإشراق و العلم بالحسن و هو وصف من لا قيام له بنفسه بما لا قيام له بنفسه فلذلك جعلنا الكبرياء و العظمة حالة تابعة للعلم بالمعظم و المكبر في نفس من عظمه و كبره

(السؤال الثامن و مائة) ما تاج الملك الجواب تاج الملك علامة الملك و تتويج الكتاب السلطاني خط السلطان فيه و الوجود ﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ و يجهله من ليس بمقرب و تتويج هذا الكتاب إنما يكون بمن جمع الحقائق كلها و هي علامة موجدة فالإنسان الكامل الذي يدل بذاته من أول البديهة على ربه هو تاج الملك و ليس إلا الإنسان الكامل و هو قوله صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ﴾ فلم يظهر الكمال الإلهي إلا في المركب فإنه يتضمن البسيط و لا يتضمن البسيط المركب فالإنسان الكامل هو الأول بالقصد و الآخر بالفعل و الظاهر بالحرف و الباطن بالمعنى و هو الجامع بين الطبع و العقل ففيه أكثف تركيب و ألطف تركيب من حيث طبعه و فيه التجرد عن المواد و القوي الحاكمة على الأجساد و ليس ذلك لغيره من المخلوقات سواه و لهذا خص بعلم الأسماء كلها و بجوامع الكلم و لم يعلمنا الله أن أحدا سواه أعطاه هذا إلا الإنسان الكامل و ليس فوق الإنسان مرتبة إلا مرتبة الملك في المخلوقات و قد تلمذت الملائكة له حين علمهم الأسماء و لا يدل هذا على أنه خير من الملك و لكنه يدل على أنه أكمل نشأة من الملك فلما كان مجلى الأسماء الإلهية صح له أن يكون للكتاب مثل التاج لأنه أشرف زينة يتزين بها الكتاب و بذلك التتويج ظهرت آثار الأوامر في الملك كذلك بالإنسان الكامل ظهر الحكم الإلهي في العالم بالثواب و العقاب و به قام النظام و انخرم و فيه قضى و قدر و حكم

(السؤال التاسع و مائة) ما الوقار الجواب حمل أعباء التجلي قبل حصوله و الفناء فيه كسكرات الموت قبل حلوله و ذلك أن للتجلي مقدمات كطلوع الفجر لطلوع الشمس و كما ورد في الخبر عن مقدمات تجلى الرب للجبل بما ينزل من الملائكة و القوي الروحانية في الضباب و هي أثقال التجلي التي تتقدمه من الوقر و هو الثقل و إذا حصل الثقل ضعف الإسراع و الحركة فسمى ذلك السكون وقارا أي سكون عن ثقل عارض لا عن مزاج طبيعي فإن السكون الكائن عن الأمر الذي يورث الهيبة و العظمة في نفس الشخص يسمى وقارا و سكينة و السكون الطبيعي الذي يكون في الإنسان من مزاجه لغلبة البرد و الرطوبة على الحرارة و اليبس لا يسمى وقارا إنما الوقار نتيجة التعظيم و العظمة و لا سيما إن تقدم التجلي خطاب إلهي فصاحبه أشد وقارا لأن خطاب الحق بوساطة الروح يورث هيبة و لا

سيما إن كان قولا ثقيلا و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا نزل عليه الوحي كصلصلة الجرس يجد منه مشقة عظيمة و يورثه سكونا و غشيا مع الواسطة فكيف به إذا خاطبه الحق بارتفاع الوسائط مثل موسى عليه السلام و من كلمه الله فإذا كان هذا و أمثاله من مقدمات التجلي الإلهي فكيف يكون حال الإنسان بعد حصول التجلي من الوقار ألا ترى إلى ما يحصل في قلوب الناس من هيبة الصالحين المنقطعين إلى الله الذين لم تجر العادة عند العامة برؤيتهم فإذا وقع نظرهم عليهم ظهر عليهم من الوقار و السكينة و الخمود برؤيتهم ما لا يقدر قدره إلا الله و هو إجلال المتجلي يقول بعضهم

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم　　لا خوف ظلم و لكن خوف إجلال

و قال آخر

اشتاقه فإذا بدا　　أطرقت من إجلاله

لا خيفة بل هيبة　　و صيانة لجماله

فهذا الإطراق هو عين الوقار و قال تعالى وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً و قال عليه السلام فلا تأتوها و أنتم تسعون يعني الجمعة و ائتوها و عليكم السكينة و الوقار أي امشوا مشي المثقلين و هذا لا يكون إلا إذا تجلى لهم في جلال الجمال

(السؤال العاشر و المائة) و ما صفة مجالس الهيبة الجواب لما كانت الهيبة تورث الوقار سأل عن صفة مجلسه أي ما صفته في قعوده بين يديه فمن صفته عدم الالتفات و اشتغال السر بالمشاهد و عصمة القلب من الخواطر و العقل من الأفكار و الجوارح من الحركات و عدم التمييز بين الحسن و القبيح و أن تكون أذناه مصروفة إليه و عيناه مطرقتين إلى الأرض و عين بصيرته غير مطموسة و جمع الهم و تضاؤله في نفسه و اجتماع أعضائه اجتماعا يسمع له أزيز و إن لا يتأوه مع جمود العين عن الحركة و أن لا تعطيه المباسطة الإدلال فإن جالسة بتقييد جهة كما كلمه بتقييد جهة من حضرة مثالية كـ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ فليكن سمعه بحيث قيده فإن أطلق سمعه لأجل حقيقة أخرى تعطيه عدم التقييد و هو تعالى قد قيد نفسه به في جانب خاص فقد أساء الأدب و ليس هو في مجلس هيبة و لا يكون صاحب مجلس الهيبة صاحب فناء لكنه صاحب حضورا و استحضار لا يرجح و لا يجرح و لا يرفع ميزانا و لا يسمى إنسانا فإن الإنسان مجموع أضداد و مختلفات

(السؤال الحادي عشر و مائة) ما صفة ملك الآلاء الجواب روحاني و ذلك أن الملك لا يتصف به إلا الجماد خاصة و هو أشد الخلق طواعية لله سبحانه المعترف بأنه ملك لله سبحانه على أن جميع ما سوى الله ملك لله و لكن الفضل في الملك أن يعلم أنه ملك و أن يكون

معاملته مع الله معاملة من هو ملك لله و ليس ذلك إلا للمهيمين من الملائكة و الجمادات و أما النبات فلم يتصف بذلك كل النبات فإن منه من لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً و لكن باقي الخلائق فيهم من قام بحق كونه ملكا و منهم من لم يقم بذلك في كل صنف و بهذا وصفهم الحق سبحانه فقال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً فالطائع في الإمكان أن يكون صاحب كره و الكارة في الإمكان أن يكون طائعا فأعظم الآلاء و أتمها بل هي النعمة المطلقة أن يرزق الخلائق طاعة الله فإنهم لذلك خلقوا فملك الآلاء هو الذي ملكته النعمة لله و هو قوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه و كل ما سوى الله متغذ فكل ما سوى الله منعم عليه فكل من تعبدته نعمة الله لله فهو ملك الآلاء و الآلاء من جملة الملك فيحتاج إلى نعمة و تلك النعمة عين وجودها و بقائها في المنعمين عليهم فالنعم ملك الآلاء أيضا فإذا كان ملك الآلاء المنعم عليهم ردتهم النعمة إلى الله فكان ملكهم لله بتلك النعم فهم ملك الآلاء فملك الآلاء من كان بهذه الصفة و إذا كان ملك الآلاء عبارة عن عين الآلاء فصفة هذا العين أن لا تنسب إلا إلى الله فإن نسبت إلى غير الله فذلك من جهة المنعم عليه لا من جهة النعمة و المنعم عليه هو المذموم بقدر ما أضاف من الآلاء إلى غير الله لما تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الرحمن العامة لجميع ما خلق الله دنيا و آخرة و علوا و سفلا على الجن فما قال في آية منها فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلا قالت الجن و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فمدحهم رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه بحسن الاستماع حين تلاها عليهم و لم يقولوا شيئًا من ذلك و لم يكن سكوتهم عن جهل بأن الآلاء من الله و لا أن الجن أعرف منهم بنسبة الآلاء إلى الله و لكن الجن وفت بكمال المقام الظاهر حيث قالت و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فإن الموطن يقتضيه و لم تقل ذلك الصحابة من الإنس حين تلاها عليهم شغلا منهم بتحصيل علم ما ليس عندهم مما يجيء به رسول الله صلى الله عليه و سلم فشغلهم ذلك الحرص على تعمير الزمان الذي يقولون فيه ما قالت الجن أن يقول النبي صلى الله عليه و سلم ما يقول من العلم فيستفيدون فهم أشد حرصا على اقتناء العلم من الجن و الجن أمكن في توفية الأدب بما يقتضيه هذا الموطن من الجواب من الإنس فمدحهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بما فضلوا به على الإنس و ما مدح الإنس بما فضلوا به على الجن من الحرص على مزيد العلم بسكوتهم عند تلاوته و لا سيما و الحق يقول لهم وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا و السورة واحدة في نفسها كالكلام غير التام فهم ينصتون حتى يتمها فجمع الصحابة من الإنس بين فضيلتين لم يذكرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر فضل الجن فيما نطقوا به فإن نطقهم تصريح بالعبودية بلسان الظاهر و هم بلسان الباطن أيضا عبيد فجمعوا بين اللسانين بهذا النطق و الجواب و لم يفعل الإنس من الصحابة ذلك عند التلاوة فنقصهم هذا اللسان فكان توبيخ رسول الله صلى الله عليه و سلم إياهم تعليما بما تستحقه المواطن أعني مواطن الألسنة الناطقة ليتنبهوا فلا يفوتهم ذلك من الخير العملي فإنهم كانوا في الخير العلمي في ذلك

الوقت و حكم العمل في موطنه لا يقاومه العلم فإن الحكم للموطن و حكم العلم في موطنه لا يقاومه العمل و الجن غرباء في الظاهر فهم يسارعون في الظهورية ليعلموا أنهم قد حصل لهم فيه قدم لكونهم مستورين فهم إلى الباطن أقرب منهم إلى الظاهر و التلاوة كانت بلسان الظاهر و الإنس في مرتبة الظاهر فحجبهم عن الجواب الذي أجابت به الجن كونهم أصحاب موطن الظاهر فذهلوا عن الجواب لقرينة حال موطنهم و لو وفوا به لكان أحسن في حقهم فنبههم رسول الله صلى الله عليه و سلم على الأكمل في موطنه و هو المعلم فنعم المؤدب فمن أراد تحقيق ملك الآلاء فليتدبر سورة الرحمن من القرآن و ينظر إلى تقديم الإنس على الجن في آيها و قوله تعالى خَلَقَ الْإِنْسانَ أيضا فابتدأ به تقديرا و مرتبة نطقية تهمما به على الجن و إن كان الجن موجودا قبله يؤذن بأنه و إن تأخرت نشأته فهو المعتنى به في غيب ربه لأنه المقصود من العالم لما خصه به من كمال الصورة في خلقه باليدين و علمه الأسماء و الإفصاح عما علمه بقوله عَلَّمَهُ الْبَيانَ و بعض أصحابنا يطلق ملك الآلاء على ما يحصل للعبد من مزيد الشكر على نعم الله فذلك القدر لمن حصل له يسمى ملك الآلاء فهو ملك الشاكرين فمن شكر نعم الله بلسان حق و ناب الحق مناب العبد من اسمه الشكور و هو شكره لعباده على ما كان منهم من شكرهم على ما أنعم عليهم ليزيدوا في الأعمال في مقابلة شكره فيكون ما جازاهم به من ذلك على قدر علم الشاكر بالمشكور و الله هو الشاكر في هذا الحال و هو العالم بنفسه فالجزاء الذي يليق بهذا الشاكر لو جوزي هو الذي يحصل لهؤلاء الشاكرين الذين لهم هذا الحال فهذا الجزاء يسمى ملك الآلاء و هو أعظم الملك و هو قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ أي نعم ربها جمع آلاء و إلى ربها المضافة إليه هنا الذي يستحقها لو قبل الجزاء الذي هذه صفته فتكون تلك جزاء هؤلاء و هذا من باب ما طلبه الله من عباده فقال فَاذْكُرُونِي و اعْبُدُونِي و أَطِيعُونِ و اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ و هذا كله جزاء من العبد في مقابلة ما أنعم الله عليه به من الوجود خاصة فكيف إذا انضاف إلى ذلك ما خلق من أجله من النعم المعنوية و الحسية قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فعلل فيعبدوه لكونه أنعم عليهم بالإيجاد لكمال مرتبة العلم و الوجود من حيث من ذكر من الأجناس فاعلم ذلك لا لكمال مرتبة الوجود و المعرفة من غير هذا التقييد فإن ذلك يكفي فيه خلق محدث واحد و إيجاد العلم المحدث فيه المتعلق بالله و الكون و لكن لما كانت الأجناس منحصرة عند الله و أوجدها كلها و بقي هذان الجنسان أوقع الإخبار عنهما بما ذكر فشرحناه بما يعطيه الحال المقصودة لخالقهما تعالى بهما انتهى الجزء الثامن و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثاني عشر و مائة) ما صفات ملك الضياء الجواب قال تعالى في القرآن إنه ضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ فكلما أضاء بالقرآن فهو ملك الضياء و كذلك جعل الشمس ضياء فكلما أضاء بالشمس في الدنيا و يوجد به عينه فهو من ملك الضياء و كل نور أعطى ضياء فهو من ملك الضياء مما لا يقابله معطي الضياء بنفسه أي نوع كان من الأنوار فضياؤه هو الضوء الذي لا يكون معه الحجاب عما يكشفه و النور حجاب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حق الحق تعالى حجابه النور و قال نوراني أراه و الضياء ليس بحجاب فالضياء أثر النور و هو الظل فإن النور صيره الحجاب ضياء فهو بالنسبة إلى الحجاب ظل و إلى النور ضياء فله الكشف من كونه ضياء و له الراحة من كونه ظلا فملك الضياء ملك الكشف فهو ملك العلم و ملك الراحة فهو ملك الرحمة فجمع الضياء بين الرحمة و العلم قال تعالى في منته على عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا و هو الظل وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً و هو الضياء أي الكشف الضيائي و هو أتم الكشوف و إنما قلنا النور حجاب لقوله عليه الصلاة و السلام نوراني أراه أي النور لا يتمكن أن تدركه الأبصار لأنها تضعف عنه فهو حجاب على نفسه بنفسه و الضياء ليس كذلك فالضياء روح النور و الضياء للنور ذاتي فملك الضياء ملك ذاتي و ضوء الذات الأسماء الإلهية فملك الضياء ملك الأسماء و القرآن ضياء فملكه ما أظهره القرآن فعلم الخضر في زمان موسى عليه السلام جزء من أجزاء ما يحويه صاحب القرآن المحمدي من العلوم فبالقرآن يكشف جميع ما في الكتب المنزلة من العلوم و فيه ما ليس فيها فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل الذي يتضمن كل علم قال تعالى ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ و هو القرآن العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ و به صح لمحمد صلى الله عليه و سلم جوامع الكلم فعلوم الأنبياء و الملائكة و كل لسان علم فإن القرآن يتضمنه و يوضحه لأهل القرآن بما هو ضياء فهو نور من حيث ذاته لأنه لا يدرك لعزته و هو ضياء لما يدرك به و لما يدرك منه فمن أعطى القرآن فقد أعطى العلم الكامل فما ثم في الخلق أتم من المحمديين و هم خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ثم جعل الشمس ضياء لوجود روح الحياة في العالم كله و بالحياة رحم العالم فالحياة فلك الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و كذلك نسبة الحياة إلى الذات الإلهية شرط في صحة كل نسبة نسبت إلى الله من علم و إرادة و قدرة و كلام و سمع و بصر و إدراك فلو رفعت نسبة الحياة إليه ارتفعت هذه النسب كلها فهي الرحمة الذاتية التي وسعت جميع الأسماء فهي ضياء النور الذاتي و ظل الحجاب النسبي لأنه لا يعقل الإله إلا بهذه النسب و تعقل الذات نورا لا من حيث هذه النسب فكونه إلها حجاب على الذات فكانت الألوهية عين الضياء فهي عين الكشف و العلم و كانت عين الظل النسبية فكانت عين الرحمة فجمعت الألوهية بين العلم و الرحمة في حق الكون و هو المألوه و في حق الأسماء الإلهية فما أعطاه هذا المقام الإلهي

فهو ملك الضياء و هو أرفع من ملك السموات و الأرض و ما بينهما وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ بل لا يؤمنون و قد نبهتك على ما فيه غنية و شفاء في ملك الضياء

فالكل في ملك الضيا ... أ و ليس عندهم خبر
و الكل في عين الظلال ... و هو المسمى بالمقر
فالحمد لله الذي ... قد حزته بين البشر
في عصرنا هذا فهل ... في وقتنا من مدكر
يعرف ما قد قلته ... كما أتانا في الزبر
هذا هو العلم الذي ... يقضي على علم الخضر
هل كان إلا خرقه ... سفينة ذات دسر
و قتل نفس رحمة ... لو أنه يحيا كفر
و ستره كنز الذي ... كان يتيما يحتقر
و علمنا بالله لا ... بعين كون عن نظر
فأين ذا من ذاك يا ... أهل القلوب و البصر
هذا هو العلم الذي ... يقال سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ
و دونه الشمس التي ... تكسف فيه و القمر
في مقعد من صدقه ... عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ
متكئ على سرر ... وسط جنان في نهر

(السؤال الثالث عشر و مائة) ما صفات ملك القدس الجواب قالت الملائكة وَنُقَدِّسُ لَكَ تعني ذواتها أي من أجلك لنكون من أهل ملك القدس فالمتطهرون من البشر من أهل الله من ملك القدس و أهل البيت من ملك القدس و الأرواح العلا كلها من غير تخصيص من ملك القدس فتختلف صفات ملك القدس باختلاف ما تقبله ذواتهم من التقديس و لما نعت الله اسم الملك بالاسم القدوس و الملك يطلب الملك فيضاف الملك إلى القدس كما يضاف إلى الآلاء و غيرها و ذوات ملك القدس على نوعين في التقديس فمنهم ذوات مقدسة لذاتها

و هي كل ذات كونية لم تلتفت قط إلى غير الاسم الإلهي الذي عنه تكونت فلم يطرأ عليها حجاب يحجبها عن إلهها فتتصف لذلك الحجاب بأنها غير مقدسة أي لا تضاف إلى القدس فتخرج عن ملك القدس و هم الذين يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ أي ينزهون ذواتهم عن التقديس العرضي بالشهود الدائم و هذا مقام ما ناله أحد من البشر إلا من استصحب حقيقته من حين خلقت شهود الاسم الإلهي الذي عنه تكونت و بقي عليها هذا الشهود حين أوجد الله لها مركبها الطبيعي الذي هو الجسم ثم استمر لها ذلك إلى حين الانتقال إلى البرزخ من غير موت معنوي و إن مات حسا و هذا و الله أعلم ناله محمد صلى الله عليه و سلم فإنه قال كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين يريد أن العلم بنبوته حصل له و آدم بين الماء و الطين و استصحبه ذلك إلى أن وجد جسمه في بلد لم يكن فيه موحد لله و لم يزل على توحيد الله لم يشرك كما أشرك أهله و قومه ثم إنه لما استقامت آلاته الحسية و تمكن من العمل بها بحسب ما وجدت له و استحكم بنيان قصر عقله و خزانة فكره و اعتدلت مظاهر قواه الباطنة لم يصرفها إلا في عبادة خالقه فكان يخلو بغار حرا للتحنث فيه إلى أن أرسله الله إلى الناس كافة فكان يذكر الله على كل أحيانه كما ذكرت عنه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها و قد قال صلى الله عليه و سلم عن نفسه و هو الصادق إنه تنام عينه و لا ينام قلبه فأخبر عن قلبه أنه لا ينام عند نوم عينه عن حسه فكذلك موته إنما مات حسا كما نام حسا فإن الله يقول له إِنَّكَ مَيِّتٌ و كما أنه لم ينم قلبه لم يمت قلبه فاستصحبته الحياة من حين خلقه الله و حياته إنما هي مشاهدة خالقه دائما لا تنقطع و قد أخبر ذو النون المصري حين سئل عن قوله تعالى في أخذ الميثاق فقال كأنه الآن في أذني يشير إلى علمه بتلك الحال فإن كان عن تذكر فلم يلحق بالملائكة في هذا المقام و إن لم يكن عن تذكر بل استصحاب حال من حين أشهد إلى حين سئل فيكون ممن خصه الله بهذا المقام فلا أنفيه و لا أثبته و ما عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك مروي و لا غير مروي أنه ناله أحد من البشر و إنما ذكرنا ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم أعني أنه ناله على طريق الاحتمال لا على القطع فإنه لا علم لي بذلك و الظاهر أنه تخلله في هذا المقام ما يتخلل البشر فإنه كثيرا ما أوحي إليه في القرآن أن يقول قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فاسترحنا من هذا أن حكمه حكم البشر إلا ما خصه الله به من التقريب الإلهي الذي ورد و ثبت عندنا و قد ثبت عنه أنه قال إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر و الرضي و الغضب من صفات النفس الحيوانية في البشر لا من صفات النفس الناطقة و إن اتصفت النفوس الناطقة بالرضى و الغضب فما هو على حد ما أراده بقوله أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر و إنما قلنا بإضافة ذلك إلى النفس الحيوانية لما نشاهده من الحيوانات من ذلك و قد ثبت النهي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن التحريش بين البهائم و جميع الحيوان كله من صفته المباشرة التي بحقيقتها سمي الإنسان بشرا و بهذا القدر تبين فضل الملك على الإنسان

في العبادة لكونه لا يفتر لأن حقيقة نشأته تعطيه أنه لا يفتر فتقديسه ذاتي لأن تسبيحه لا يكون إلا عن حضور مع المسبح و ليس تسبيحه إلا لمن أوجده فهو مقدس الذات عن الغفلات فلم تشغله نشأته الطبيعية النورية عن تسبيح خالقه على الدوام مع كونهم من حيث نشأتهم يختصمون كما أن البشر من حيث نشأته تنام عينه و لا ينام قلبه و لم يعط البشر قوة الملك في ذلك لأن الطبيعة يختلف مزاجها في الأشخاص و هذا مشهود بالضرورة في عالم العناصر فكيف بمن هو في نسبته إلى الطبيعة أقرب من نسبة العناصر إليها و على قدر ما يكون بين الطبيعة المجردة و بين ما يتولد عنها من وسائط المولدات يكثف الحجاب و تترادف الظلم فأين نسبة آخر موجود من الأناسي من ربه من حيث خلق جسد آدم بيديه من نسبة آدم إلى ربه من حيث خلقه بيديه فآدم يقول خلقني ربي بيديه و ابنه شيث يقول بيني و بين يدي ربي أبي و هكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة من ملك و فلك و عنصر و جماد و نبات و حيوان و إنسان و ملك مخلوق من نفس إنسان و هذا الملك آخر موجود طبيعي و لا يعرف ذلك من أصحابنا إلا القليل فكيف من ليس من أهل الايمان و الكشف و أما القسم الذي تقديسه لا من ذاته فهي كل ذات يتخلل شهودها خالقها غفلات فالأحيان التي تكون فيها حاضرة مع خالقها هي من ملك القدس و سنبين ما ذكرناه في سؤاله ما القدس إذا أجبنا عنه بعد هذا إن شاء الله فمن صفات ملك القدس التباعد عن الطبيعة بالأصل و التباعد عن مشاهدة آثار الأسماء الإلهية بمشاهدة الأسماء الإلهية لا من كونها مؤثرة بل بما تستحقه الألوهية و الذات فإذا كان القدس عين الملك و أضيف إلى عينه لاختلاف اللفظ و اختلاف معنى الملك و القدس فإنه يدل على المبالغة في الطهارة و المبالغة في الطهر هي نسبة في الطهر ما هي عين الطهر لوجود الطهر دونها و ما هي غير الطهر فإن المبالغة ليست سوى استقصاء هذه الصفة فيكون ملك القدس استقصاء و هو المبالغة فيه فيكون سؤاله عن صفاته الذاتية فإن لهذه المراتب نشأت في المعاني كالنشأة الطبيعية و قد علمت أن النشء الطبيعي كما أخبر الله مخلقة و غير مخلقة أي تامة الخلق و غير تامة الخلق و الغير التامة الخلق داخل في قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فأعطى النقص خلقه أن يكون نقصا فالزيادة على النقص الذي هو عينه لو كانت لكانت نقصا فيه و لم يعط النقص خلقه فتمام النقص أن يكون نقصا

(السؤال الرابع عشر و مائة) ما القدس الجواب الطهارة و هي ذاتية و عرضية فالذاتية كتقديس الحضرة الإلهية التي أعطيها الاسم القدوس فهي القدس عن إن تقبل التأثر فيها من ذاتها فإن قبول الأثر تغيير في القابل و إن كان التغيير عبارة عن زوال عين بعين إما في محل أو مكان فيوصف المحل أو المكان بالتغيير و معنى ذلك أنه كان هذا المحل مثلا أصفر فصار أخضر أو كان ساكنا فصار متحركا فتغير المحل أي قبل الغير فالقدس و القدوس لا يقبل التغيير جملة واحدة و أما القدس العرضي فيقبل الغير و هو النقيض و ما تفاوت الناس إلا

في القدس العرضي فمن ذلك تقديس النفوس بالرياضات و هي تهذيب الأخلاق و تقديس المزاج بالمجاهدات و تقديس العقول بالمكاشفات و المطالعات و تقديس الجوارح بالوقوف عند الأوامر و النواهي المشروعات و نقيض هذا القدس ما يضاده مما لا يجتمع معه في محل واحد في زمان واحد فهذا هو القدس الذي ذكرنا ملكه فالقدس العارض لا يكون إلا في المركبات فإذا اتصف المركب بالقدس فذلك المسمى حظيرة القدس أي المانعة قبول ما يناقض كونها قدسا و مهما لم تمنع فلا تكون حظيرة قدس فإن الحظر المنع وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً أي ممنوعا فالقدس حقيقة إلهية سيالة سارية في المقدسين لا يدرك لنورها لون مخصوص معين و لا عين تسري في حقائق الكون ليس لعالم الأرواح المنفصلين عن الظلمة عليها أثر و ذلك أن الأرواح المدبرة للأجسام العنصرية لا يمكن أن تدخل أبدا حظيرة القدس و لكن العارف الكامل يشهدها حظيرة قدس فيقول العارف عند ذلك إن هذه الأرواح لا تدخل حظيرة القدس أبدا لأن الشيء يستحيل أن يدخل في نفسه فهي عنده حظيرة قدس و غير العارف يشارك العارف في هذا الإطلاق فيقول إنها لا تدخل حظيرة القدس أي لا تتصف بالقدس أبدا فإن ظلمة الطبع لا تزال تصحب الأرواح المدبرة في الدنيا و البرزخ و الآخرة فاختلفا في المشهد و كل قال حقا و أشار إلى معنى و ما تواردوا على معنى واحد و لهذا لا يتصور الخلاف الحقيقي في هذا الطريق فإذا كان ملك القدس كل من اتصف بالطهارة الذاتية و العرضية و القدوس اسم إلهي منه سرت الطهارة في الطاهرات كلها فمن نظر الأشياء كلها بعين ارتباطها بالحقائق الإلهية كان ملك القدس جميع ما سوى الله من هذه الحيثية و من نظر الأشياء من حيث أعيانها فليس ملك القدس منها إلا من كان طهوره عرضيا و أما الطهور الذاتي فلا ينبغي أن يكون ملك القدس إلا أن يكون ملك القدس عين القدس فحينئذ يصح أن يقال فيه ملك القدس و طهور كل مطهر بحسب ما تقضيه ذاته من الطهارة فطهارة حسية و طهارة معنوية فملك القدس منه ما هو من عالم المعاني و منه ما هو من عالم الحس و قد تورث الأسباب الحسية المطهرة طهارة معنوية و قد تورث الأسباب المعنوية المطهرة طهارة حسية فأما الأول فقوله تعالى وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ من السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ به وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ به الْأَقْدامَ و سبب هذه الطهارة المعنوية كلها إنما هو نزول هذا الماء من السماء و أما الثاني فقول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي هريرة حين كان جنبا فانتزع أبو هريرة يده من يد النبي صلى الله عليه و سلم تعظيما له لكونه غير طاهر لجنابة أصابته فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إن المؤمن لا ينجس فعرق المؤمن و سؤره طاهر فهذه طهارة حسية عن طهر معنوي و كذلك المقدس طهارته الحسية عن طهر معنوي فإن له التواضع و هو مسيل الحياة و العلم و الحياة مطهرة و العلم كذلك فبالمجموع نال الطهارة فإن الأودية كلها طاهرة و إنما تنجس بالعرض و كل واد به شيطان فهو نجس فما يجد المؤمن فيه خير الأجل ذلك الشيطان كما ثبت عن

رسول الله صلى الله عليه و سلم إن هذا واد به شيطان فارتفع عنه و صلى في موضع آخر و وادي عرنة بعرفة موقف إبليس و كذلك بطن محسر فلهذا أمرنا بالارتفاع يوم عرفة عن بطن عرنة و أمرنا بالإسراع في بطن محسر و لهذا يعتبر الأولياء أهل الكشف ألفاظ الذكر كان شيخنا يقول الله الله فقلت له لم لا تقول لا إله إلا الله فقال أخاف أن أموت في وحشة النفي إذ كان كل حرف نفس فهذا مثل الإسراع في بطن محسر لئلا يدركه الموت في مكان غير طاهر و لأولياء الله في هذا الكشف التام نظر دقيق جعلنا الله من أهله

(السؤال الخامس عشر و مائة) ما سبحات الوجه الجواب وجه الشيء ذاته و حقيقته فهي أنوار ذاتية بيننا و بينها حجب الأسماء الإلهية و لهذا قال كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ في أحد تأويلات هذا الوجه و هذه السبحات في العموم باللسان الشامل أنوار التنزيه و هو سلب ما لا يليق به عنه و هي أحكام عدمية فإن العدم على الحقيقة هو الذي لا يليق بالذات و هنا الحيرة فإنه عين الوجود فإذا لا ينزه عن أمر وجودي و لهذا كانت الأسماء الإلهية نسبا إن تفطنت أحدثت هذه النسب أعيان الممكنات لما اكتسبت من الحالات من هذه الذات فكل حال تلفظ باسم يدل عليه من حيث نفسه إما بسلب أو إثبات أو بهما و هي هذه الأسماء على قسمين قسم كله أنوار و هي الأسماء التي تدل على أمور وجودية و قسم كله ظلم و هي الأسماء التي تدل على التنزيه فقال إن لله سبعين حجابا أو سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فإنه لو رفع الأسماء الإلهية ارتفعت هذه الحجب و لو ارتفعت الحجب التي هي هذه الأسماء ظهرت أحدية الذات و لا يقف لأحديتها عين تتصف بالوجود فكانت تذهب وجود أعيان الممكنات فلا توصف بالوجود لأنها لا تقبل الاتصاف بالوجود إلا بهذه الأسماء و لا تقبل الاتصاف بهذه الأحكام كلها عقلا و شرعا إلا بهذه الأسماء فالممكنات من خلف هذه الحجب مما يلي حضرة الإمكان فهو تجل ذاتي أورثها الاتصاف بالوجود من خلف حجاب الأسماء الإلهية فلم يتعلق لأعيان الممكنات علم بالله إلا من حيث هذه الأسماء عقلا و كشفا

(السؤال السادس عشر و مائة) ما شراب الحب الجواب تجل متوسط بين تجليين و هو التجلي الدائم الذي لا ينقطع و هو أعلى مقام يتجلى الحق فيه لعباده العارفين و أوله تجلى الذوق و أما التجلي الذي يقع به الري فهو لأصحاب الضيق فغاية شربهم رى و أما أهل السعة فلا رى لشربهم كأبي يزيد و أمثاله فأول ما أقدم في هذا السؤال معرفة الحب و حينئذ يعرف شرابه الذي أضيف إليه و كأسه فاعلم إن الحب على ثلاث مراتب حب طبيعي و هو حب العوام و غايته الاتحاد في الروح الحيواني فتكون روح كل واحد منهما روحا لصاحبه بطريق الالتذاذ و إثارة الشهوة و نهايته من الفعل النكاح فإن شهوة الحب تسري في جميع المزاج سريان الماء في الصوفة بل سريان اللون في المتلون و حب روحاني نفسي و غايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب و معرفة قدره و حب إلهي و هو حب الله للعبد

و حب العبد ربه كما قال يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و نهايته من الطرفين أن يشاهد العبد كونه مظهرا للحق و هو لذلك الحق الظاهر كالروح للجسم باطنه غيب فيه لا يدرك أبدا و لا يشهده إلا محب و أن يكون الحق مظهرا للعبد فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود و المقادير و الأعراض و يشاهد هذا العبد و حينئذ يكون محبوبا للحق و إذا كان الأمر كما قلناه فلا حد للحب يعرف به ذاتي و لكن يحد بالحدود الرسمية و اللفظية لا غير فمن حد الحب ما عرفه و من لم يذقه شربا ما عرفه و من قال رويت منه ما عرفه فالحب شرب بلا ري قال بعض المحجوبين شربت شربة فلم أضمأ بعدها أبدا فقال أبو يزيد الرجل من يحسي البحار و لسانه خارج على صدره من العطش و هذا هو الذي أشرنا إليه و اعلم أنه قد يكون الحب طبيعيا و المحبوب ليس من عالم الطبيعة و لا يكون الحب طبيعيا إلا إذا كان المحب من عالم الطبيعة لا بد من ذلك و ذلك أن الحب الطبيعي سببه نظرة أو سماع فيحدث في خيال الناظر مما رآه إن كان المحبوب ممن يدرك بالبصر و في خيال السامع مما سمع فحمله في نشأته فصوره في خياله بالقوة المصورة و قد يكون المحبوب ذا صورة طبيعية مطابقة لما تصور في الخيال أو دون ذلك أو فوق ذلك و قد لا يكون للمحبوب صورة و لا يجوز أن يقبل الصور فصور هذا المحب من السماع ما لا يمكن أن يتصور و لم يكن مقصود الطبيعة في تصوير ما لا يقبل الصورة إلا اجتماعها على أمر محصور ينضبط لها مخافة التبديد و التعلق بما ليس في اليد منه شيء فهذا هو الداعي لما ذكرناه من تصوير من ليس بصورة أو من تصوير من لم يشهد له صورة و إن كان ذا صورة و فعل الحب في هذه الصورة أن يعظم شخصها حتى يضيق محل الخيال عنها فيما يخيل إليه فتثمر تلك العظمة و الكبر التي في تلك الصورة نحولا في بدن المحب فلهذا تنحل أجساد المحبين فإن مواد الغذاء تنصرف إليها فتعظم و تقل عن البدن فينحل فإن حرقة الشوق تحرقه فلا يبقى للبدن ما يتغذى به و في ذلك الاحتراق نمو صورة المحبوب في الخيال فإن ذلك أكلها ثم إن القوة المصورة تكسو تلك الصورة في الخيال حسنا فائقا و جمالا رائقا يتغير لذلك الحسن صورة المحب الظاهرة فيصفر لونه و تذبل شفته و تغور عينه ثم إن تلك القوة تكسو تلك الصورة قوة عظيمة تأخذها من قوة بدن المحب فيصبح المحب ضعيف القوي ترعد فرائصه ثم إن قوة الحب في المحب تجعله يحب لقاء محبوبه و يجبن عند لقائه لأنه لا يرى في نفسه قوة للقائه و لهذا يغشى على المحب إذا لقي المحبوب و يصعق و من فيه فضلة و حبه ناقص يعتريه عند لقاء محبوبه ارتعاد و خبلان كما قال بعضهم

أفكر ما أقول إذا افترقنا و أحكم دائبا حجج المقال
فأنساها إذا نحن التقينا و أنطق حين أنطق بالمحال

ثم إن قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه له لا عليه فالمحب جبان شجاع مقدام فلا يزال هذا حاله ما دامت تلك الصورة موجودة في خياله إلى أن يموت و ينحل نظامه أو تزول عن خياله فيسلو و من الحب الطبيعي أن تلتبس تلك الصورة في خياله فتلصق بصورة نفسه المتخيلة له و إذا تقاربت الصورتان في خياله تقاربا مفرطا و تلتصق به لصوق الهواء بالناظر يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره و يضيع و لا ينضبط له للقرب المفرط فيأخذه لذلك خبال و حيرة مثل ما يأخذ من فقد محبوبه و هذا هو الاشتياق و الشوق من البعد و الاشتياق من القرب المفرط كان قيس ليلى في هذا المقام حيث كان يصيح ليلى ليلى في كل ما يكلم به فإنه كان يتخيل أنه فقيد لها و لم يكن و إنما قرب الصورة المتخيلة أفرطت في القرب فلم يشاهدها فكان يطلبها طلب الفاقد أ لا تراه حين جاءته من خارج فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة التي مسكها في خياله منها فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها فقال لها إليك عني فإن حبك شغلني عنك يريد أن تلك الصورة هي عين الحب فبقي يطلبها ليلى ليلى فإذا تقوت تلك الصورة في خيال المحب أثرت في المحبوب تأثير الخيال في الحس مثل الذي يتوهم السقوط فيسقط أو يتوهم أمرا ما مفزعا فيتغير له المزاج فتتغير صورة حسه كذلك هذه الصورة إذا تقوت أثرت في المحبوب فقيدته و صيرته أشد طلبا لها منها له فإن النفوس قد جبلت على حب الرئاسة و المحب عبد مملوك بحبه لهذا المحبوب فالمحبوب لا يكون له رياسة إلا بوجود هذا المحب فيعشقه على قدر عشقه رياسته و إنما يتيه عليه للطمأنينة الحاصلة في نفس المحبوب بأن المحب لا يصبر عنه و هو طالب إياه فتأخذه العزة ظاهرا و هو الطالب له باطنا و لا يرى في الوجود أحدا مثله لكونه ملكه فالمحب لا يعلل فعل المحبوب لأن التعليل من صفات العقل و لا عقل للمحب يقول بعضهم و لا خير في حب يدبر بالعقل و أنشدني أبو العباس المقراني و كان من المحبين لنفسه الحب أملك للنفوس من العقل و المحبوب يعلل أفعال المحب بأحسن التعليل لأنه ملكه فيريد أن يظهر شرفه و علوه حتى يعلو المحبوب إذ هو المالك و هو يحب الثناء على نفسه و هذا كله فعل الحب فعل في المحبوب ما ذكرناه و فعل في المحب ما ذكرناه و هذا من أعجب الأشياء أن المعنى أوجب حكمه لمن لم يقم به و هو المحبوب فإنه أثر فيه حب المحب كما أثر في المحب كمسألة المعتزلي إن الله مريد بإرادة لم تقم بمحل بل خلقها إما في محل أو في لا محل و أراد بها و هذا خلاف المعقول بإيجاب المعاني أحكامها لمن لم تقم به و كذلك الحب لا يجتمع مع العقل في محل واحد فلا بد أن يكون حكم الحب يناقض حكم العقل فالعقل للنطق و التهيام للخرس ثم إنه من شأن الحب الطبيعي أن تكون الصورة التي حصلت في خيال المحب على مقدار المحل الحاصلة فيه بحيث لا يفضل عنها منه ما يقبل به شيئا أصلا و إن لم يكن كذلك فما هي صورة الحب و بهذا تخالف صورة الحب سائر الصور كما كانت صورة العالم على قدر الحضرة الإلهية الأسمائية فما في الحضرة الإلهية اسم إلهي إلا و هو على قدر أثره في نشء العالم

من غير زيادة و لا نقصان و لهذا كان إيجاد العالم عن حب و قد ورد ما يؤيد هذا في السنة و هو قوله كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني فأخبر أن الحب كان سبب إيجاد العالم فطابق الأسماء الإلهية و لو لا تعشق النفس بالجسم ما تألم عند مفارقته مع كونه ضدا له فجمع بين المقادير و الأحوال لوجود النسب و الأشكال فالنسب أصل في وجود الأنساب و إن كانت الأرواح تخالف الأشباح و المعاني تخالف الكلمات و الحروف و لكن تدل الكلمة على المعنى بحكم المطابقة بحيث لو تجسد المعنى لما زاد على كمية الكلمة و مثل هذا النوع يسمى حبا و أما الحب الروحاني فخارج عن هذا الحد و بعيد عن المقدار و الشكل و ذلك أن القوي الروحانية لها التفات نسبي فمتى عمت النسب في الالتفاتات بين المحب و المحبوب عن نظر أو سماع أو علم كان ذلك الحب فإن نقص و لم تستوف النسب لم يكن حبا و معنى النسب أن الأرواح التي من شأنها أن تهب و تعطي متوجهة على الأرواح التي من شأنها أن تأخذ و تمسك و تلك تتألم بعدم القبول و هذه تتألم بعدم الفيض و إن كان لا ينعدم إلا أن كونه لم تكمل شروط الاستعداد و الزمان سمي ذلك الروح القابل عدم فيض و ليس بصحيح فكل واحد من الروحين مستفرغ الطاقة في حب الآخر فمثل هذا الحب إذا تمكن من الحبيبين لم يشك المحب فرقة محبوبه لأنه ليس من عالم الأجسام و لا الأجساد فتقع المفارقة بين الشخصين أو يؤثر فيه القرب المفرط كما فعل في الحب الطبيعي فالمعاني لا تتقيد و لا تتحيز و لا يتخيلها إلا ناقص الفطرة فإنه يصور ما ليس بصورة و هذا هو حب العارفين الذين يمتازون به عن العوام أصحاب الاتحاد فهذا محب أشبه محبوبه في الافتقار لا في الحال و المقدار و لهذا يعرف المحب قدر المحبوب من حيث ما هو محبوب و أما الحب الإلهي فمن اسمه الجميل و النور فيتقدم النور إلى أعيان الممكنات فينفر عنها ظلمة نظرها إلى نفسها و إمكانها فيحدث لها بصرا هو بصره إذ لا يرى إلا به فيتجلى لتلك العين بالاسم الجميل فتتعشق به فيصير عين ذلك الممكن مظهرا له فيبطن العين من الممكن فيه و تفني عن نفسها فلا تعرف أنها محبة له سبحانه أو تفني عنه بنفسها مع كونها على هذه الحالة فلا تعرف أنها مظهر له سبحانه و تجد من نفسها أنها تحب نفسها فإن كل شيء مجبول على حب نفسه و ما ثم ظاهر إلا هو في عين الممكن فما أحب الله إلا الله و العبد لا يتصف بالحب إذ لا حكم له فيه فإنه ما أحبه منه سواه الظاهر فيه و هو الظاهر فلا تعرف أيضا أنها محبة له فتطلبه و تحب أن تحبه من حيث إنها ناظرة إلى نفسها بعينه فنفس حبها أن تحبه هو بعينه حبها له و لهذا يوصف هذا النور بأنه له أشعة أي أنه شعشعاني لامتداده من الحق إلى عين الممكن ليكون مظهرا له بنصب الهاء لا اسم فاعل فإذا جمع من هذه صفته بين المتضادات في وصفه فذلك هو صاحب الحب الإلهي فإنه يؤدي إلى الحاقة بالعدم عند نفسه كما هو في نفس الأمر فعلامة الحب الإلهي حب جميع الكائنات في كل حضرة معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة و لكل حضرة عين من اسمه النور تنظر بها إلى اسمه الجميل

فيكسوها ذلك النور حلة وجود فكل محب ما أحب سوى نفسه و لهذا وصف الحق نفسه بأنه يحب المظاهر و المظاهر عدم في عين و تعلق المحبة بما ظهر و هو الظاهر فيها فتلك النسبة بين الظاهر و المظاهر هي الحب و متعلق الحب إنما هو العدم فمتعلقها هنا الدوام و الدوام ما وقع فإنه لا نهاية له و ما لا نهاية له لا يتصف بالوقوع و لما كان الحب من صفات الحق حيث قال يُحِبُّهُمْ و من صفات الخلق حيث قال وَيُحِبُّونَهُ اتصف الحب بالعزة لنسبته إلى الحق و وصف الحق به و سرى في الخلق بتلك النسبة العزية فأورث في المحل ذلة من الطرفين فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب فإن المحبوب قد يكون مملوكا للمحب مقهورا تحت سلطانه و مع هذا تجده يذل له المحب فعلمنا إن تلك عزة الحب لا عزة المحبوب قال أمير المؤمنين ها رون الرشيد في محبوباته

ملك الثلاث الآنسات عناني — و حللن من قلبي بكل مكان

ما لي تطاوعني البرية كلها — و أطيعهن و هن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى — و به قوين أعز من سلطاني

فأضاف القوة إلى الهوى بقوله سلطان الهوى يقول الله في غير ما موضع من كتابه متلطفا بعباده يا عبادي اشتقت إليكم و أنا إليكم أشد شوقا و يخاطبهم بنزول من لطف خفي و هذا الخطاب كله لا يتمكن أن يكون منه إلا من كونه محبا و مثل ذلك يصد ر من المحبين له تعالى فالمحب في حكم الحب لا في حكم المحبوب و من هي صفته عينه فعينه تحكم عليه لا أمر زائد فلا نقص غير أن أثره في المخلوقين التلاشي عند استحكامه لأنه يقبل التلاشي فلهذا يتنوع العالم في الصور فيكون في صورة فإذا أفرط فيها الحب من حيث لا يعلم و حصل التجلي من حيث لا يظهر تلاشت الصورة و ظهرت في العين صورة أخرى و هي أيضا مثل الأولى في الحكم راجعة إليه و لا يزال الأمر كذلك دائما لا ينقطع و من هنا غلط من يقول إن العالم لا بد له من التلاشي و من نهاية علم الله في العالم حيث وصف نفسه بالإحاطة في علمه بهم ثم إنه من كرمه سبحانه إن جعل هذه الحقيقة سارية في كل عين ممكن متصف بالوجود و قرن معها اللذة التي لا لذة فوقها فأحب العالم بعضه بعضا حب تقييد من حقيقة حب مطلق فقيل فلان أحب فلانا و فلان أحب أمرا ما و ليس إلا ظهور حق في عين ما أحب ظهور حق في عين أخرى كان ما كان فمحب الله لا ينكر على محب حب من أحب فإنه لا يرى محبا إلا الله في مظهر ما و من ليس له هذا الحب الإلهي فهو ينكر على من يحب ثم إنه ثم دقيقة من كون من قال إنه يستحيل أن يحب أحد الله تعالى فإن الحق لا يمكن أن يضاف إليه و لا إلى ما يكون منه نسبة عدم أصلا و الحب متعلقة العدم فلا حب يتعلق بالله من مخلوق لكن حب الله يتعلق بالمخلوق لأن المخلوق معدوم فالمخلوق محبوب لله أبدا دائما و ما دام الحب لا يتصور معه وجود المخلوق فالمخلوق لا يوجد أبدا

فأعطت هذه الحقيقة أن يكون المخلوق مظهرا للحق لا ظاهرا فمن أحب شخصا بالحب الإلهي فعلى هذا الحد يكون حبه إياه فلا يتقيد بالخيال و لا بجمال ما فإنها كلها موجودة له فلا يتعلق الحب بها فقد بان الفرقان بين المراتب الثلاثة في الحب و اعلم أن الخيال حق كله و التخيل منه حق و منه باطل

(السؤال السابع عشر و مائة) ما كأس الحب الجواب القلب من المحب لا عقله و لا حسه فإن القلب يتقلب من حال إلى حال كما إن الله الذي هو المحبوب كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فيتنوع المحب في تعلق حبه بتنوع المحبوب في أفعاله كالكأس الزجاجي الأبيض الصافي يتنوع بحسب تنوع المائع الحال فيه فلون المحب لون محبوبه و ليس هذا إلا للقلب فإن العقل من عالم التقييد و لهذا سمي عقلا من العقال و الحس فمعلوم بالضرورة أنه من عالم التقييد بخلاف القلب و ذلك أن الحب له أحكام كثيرة مختلفة متضادة فلا يقبلها إلا من في قوته الانقلاب معه فيها و ذلك لا يكون إلا للقلب و إذا أضفت مثل هذا إلى الحق فهو قوله أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و إن الله لا يمل حتى تملوا و من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و الشرع كله أو أكثره في هذا الباب و شرابه عين الحاصل في الكأس و قد بينا أن الكأس هو عين المظهر و الشراب عين الظاهر فيه و الشرب ما يحصل من المتجلي للمتجلي له فاعلم ذلك على الاختصار انتهى الجزء التاسع و الثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال الثامن عشر و مائة) من أين الجواب من تجليه في اسمه الجميل قال صلى الله عليه و سلم إن الله جميل يحب الجمال و هو حديث ثابت فوصف نفسه بأنه يحب الجمال و هو يحب العالم فلا شيء أجمل من العالم و هو جميل و الجمال محبوب لذاته فالعالم كله محب لله و جمال صنعه سار في خلقه و العالم مظاهره فحب العالم بعضه بعضا هب من حب الله نفسه فإن الحب صفة الموجود و ما في الوجود إلا الله و الجلال و الجمال لله وصف ذاتي في نفسه و في صنعه و الهيبة التي هي من أثر الجمال و الأنس الذي هو من أثر الجلال نعتان للمخلوق لا للخالق و لا لما يوصف به و لا يهاب و لا يأنس إلا موجود و لا موجود إلا الله فالأثر عين الصفة و الصفة ليست مغايرة للموصوف في حال اتصافه بها بل هي عين الموصوف و إن عقلت ثانيا فلا محب و لا محبوب إلا الله عز و جل فما في الوجود إلا الحضرة الإلهية و هي ذاته و صفاته و أفعاله كما تقول كلام الله علمه و علمه ذاته فإنه يستحيل عليه أن يقوم بذاته أمر زائد أو عين زائدة ما هي ذاته تعطيها حكما لا يصح لها ذلك الحكم دونها مما يكون كمالا لها في ألوهيتها بل لا تصح الألوهة إلا بها و هو كونه عالما بكل شيء ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته و دل عليه الدليل العقلي و من المحال أن تكمل ذاته بغير ما هي ذاته فتكون مكتسبة الشرف بغيرها و من علمه بذاته علم العلماء بالله من الله ما لا تعلمه العقول من حيث أفكارها الصحيحة الدلالة و هذا العلم ما تقول

فيه الطبعة إنه وراء طور العقل قال تعالى في عبده خضر وَعَلَّمْنَاهُ من لَدُنَّا عِلْماً و قال تعالى عَلَّمَهُ الْبَيَانَ فأضاف التعليم إليه لا إلى الفكر فعلمنا إن ثم مقاما آخر فوق الفكر يعطي العبد العلم بأمور شتى منها ما يمكن أن يدركها من حيث الفكر و منها ما يجوزها الفكر و إن لم يحصل لذلك العقل من الفكر و منها ما يجوزها الفكر و إن كان يستحيل أن يعينها الفكر و منها ما يستحيل عند الفكر و يقبلها العقل من الفكر مستحيلة الوجود لا يمكن أن يكون له تحت دليل الإمكان فيعلمها هذا العقل من جانب الحق واقعة صحيحة غير مستحيلة و لا يزول عنها اسم الاستحالة و لا حكم الاستحالة عقلا قال صلى الله عليه و سلم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله هذا و هو من العلم الذي يكون تحت النطق فما ظنك بما عندهم من العلم مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق فما كل علم يدخل تحت العبارات و هي علوم الأذواق كلها فلا أعلم من العقل و لا أجهل من العقل فالعقل مستفيد أبدا فهو العالم الذي لا يعلم علمه و هو الجاهل الذي لا ينتهي جهله

(السؤال التاسع عشر و مائة) ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له الجواب إن أراد باللام الذي في لك و له الأجلية فجوابه مغاير لجوابه إذا كانت لا للاجلية إذ يكون المعنى ما شراب حبه إياك حتى يسكرك عن حبك إياه فجواب الوجه الأول و الثاني متغاير نقول تغاير التجليات إنما كان من حيث ظهوره فيك فوصف نفسه بالحب من أجلك فأسكرك هذا العلم الحاصل لك من هذا التجلي عن أن تكون أنت المحب له أي المحب من أجله فلم تحب أحدا من أجله و هو أحب من أجلك فلو زلت أنت لم يتصف هو بالمحبة و أنت لا تزول فوصفه بالحب لا يزول فهذا جواب يعم الأول و الثاني لفرقان بين ما يستحقه الأول منه و الثاني دقيق غامض و أما الجواب عن الثاني إن شراب حبه إياك و هو حبه إياك أن تحبه فإذا أحببته علمت حين شربت شراب حبه إياك أن حبك إياه عين حبه إياك و أسكرك عن حبك إياه مع إحساسك بأنك تحبه فلم تفرق و هو تجلى المعرفة فالمحب لا يكون عارفا أبدا و العارف لا يكون محبا أبدا فمن هاهنا يتميز المحب من العارف و المعرفة من المحبة فحبه لك مسكر عن حبك له و هو شراب الخمر الذي لو شربه رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء لغوت عامة الأمة و حبك له لا يسكرك عن حبه لك و هو شراب اللبن الذي شربه رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ليلة الإسراء فأصاب الله به الفطرة التي فطر الله الخلق عليها فاهتدت أمته في ذوقها و شربها و هو الحفظ الإلهي و العصمة و علمت ما لها و ما له في حال صحو و سكر فشراب حبه لك هو العلم بأن حبك إياه من حبه إياك فغيبك عن حبك إياه فأنت محب لا محب وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً مثل هذا البلاء في فنون من المقامات يظهر فيه كما ظهر في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم في رميه التراب في وجوه الأعداء فأثبت أنه رمى و نفى أنه رمى فعبر عنه الترمذي

بالسكر إذ كان السكران هو الذي لا يعقل فإن الترمذي كان مذهبه في في السكر مذهب أبي حنيفة و كان حنفي المذهب في الأصل قبل أن يعرف الشرع من الشارع و هو الصحيح في حد السكر و لكن من شيء يتقدم هذا السكران قبل سكره من شربه طرب و ابتهاج و هو الذي اتخذه غير أبي حنيفة في حد السكر و هو ليس بصحيح فكل مسكر بهذه المثابة فهو الذي يترتب عليه الحكم المشروع فإن سكر من شيء لا يتقدم سكره طرب لم يترتب عليه حكم الشرع لا بحد و لا بحكم

(السؤال العشرون و مائة) ما القبضة الجواب قال الله تعالى وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ و الأرواح تابعة للأجسام ليست الأجسام تابعة للأرواح فإذا قبض على الأجسام فقد قبض على الأرواح فإنها هياكلها فأخبر أن الكل في قبضته و كل جسم أرض لروحه و ما ثم إلا جسم و روح غير أن الأجسام على قسمين عنصرية و نورية و هي أيضا طبيعية فربط الله وجود الأرواح بوجود الأجسام و بقاء الأجسام ببقاء الأرواح و قبض عليها ليستخرج ما فيها ليعود بذلك عليها فإنه منها يغذيها و منها يخرج ما فيها مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ وَ هِيَ دُخانٌ فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فهي من العناصر فهي أجسام عنصريات و إن كانت فوق الأركان بالمكان فالأركان فوقهن بالمكانة وَ اللّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ فيقبض منها ما يبسطها بها فلا يعطيها شيئًا من ذاته فإنها لا تقبله فلا وجود لها إلا بها فالممكنات إنما أقامها الحق من إمكانها فقيامها منها بها و الحق واسطة في ذلك مؤلف راتق فاتق كانتا رتقا لأنه كذا أوجدها بإمكانها ففتقناهما بإمكانهما لو لم يكن الفتق ممكنا لما قام بهما فما أثر في الممكنات إلا الممكنات لكن العمي غلب على أكثر الخلق الذين يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ أ لا ترى ما هو محال لنفسه هل يقبل شيئًا مما يقبله الممكن فبنفسه تمكن منه الواجب الوجود بالإيجاد فأوجده و هذه هي الإعانة الذاتية أ لا ترى الحجر إذا رميت به علوا فيقال إن حركته نحو العلو قهرية لأن طبيعته النزول إما إلى الأعظم و إما إلى المركز فلو لا أن طبيعته تقبل الصعود علوا بالقهر لما صعد فما صعد إلا بطبعه أيضا مع سبب آخر عارض ساعده الطبع بالقبول لما أراد منه فالقبضة على الحقيقة قوله إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و من أحاط بك فقد قبض عليك لأنه ليس لك منفذ مع وجود الإحاطة و إلا فليست إحاطة و ما هو محيط و صورة ذلك أنه ما من موجود سوى الله من الممكنات إلا و هو مرتبط بنسبة إلهية و حقيقة ربانية تسمى أسماء حسنى فكل ممكن في قبضة حقيقة إلهية فالكل في القبضة و اعلم أن القبضة تحتوي على المقبوض بأربعة عشر فصلا و خمسة أصول عن هذه الأربعة عشر فصلا ظهر نصف دائرة الفلك و هي أربع عشرة منزلة و في الغيب مثلها و هذه الفصول تحوي جميع الحروف إلا حرف الجيم فإنها تبرأت منه دون سائر الحروف و ما علمنا لما ذا و ما أدري هل هو مما يجوز أن يعلم أم لا فإن الله تعالى ما نفث في روعنا

شيئا و لا رأيته لغيرنا و لا ورد في النبوات فرحم الله عبدا وقف عليه فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا و ينسب ذلك إليه لا إلي فتحصل الفائدة بطريق الصدق حتى لا يتخيل الناظر فيه أن ذلك مما وقع لي بعد هذا فإن فتح علي به حينئذ أذكره أنه لي فإن الصدق في هذا الطريق أصل قاطع لا بد منه و لا حظ له في الكذب و هذه الخمسة الأصول متفاضلة في الدرجات فأعلاها و أعمها هو العلم و هو الأصل الوسط و عن يمينه أصلان الحياة و القدرة و عن يساره أصلان الإرادة و القول و كل أصل فله ثلاثة فصول إلا أصل القدرة فإن له فصلين خاصة و إنما سقط عنه الفصل الثالث لأن اقتداره محجور غير مطلق و هو قول العلماء و ما لم يشأ أن يكون أن لو شاء أن يكون لكان كيف يكون فعلق كونه بلو فامتنع عن نفوذ الاقتدار عليه لسبب آخر فلم يكن له النفوذ و هذا موضع إبهام لا يفتح أبدا و من هنا وجد في العالم الأمور المبهمة لأنه ما من شيء في العالم إلا و أصله من حقيقة إلهية و لهذا وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلي على تنزيهه عن ذلك فما يقبله إلا بطريق الايمان و التسليم و من زاد فبالتأويل على الوجه اللائق في النظر العقلي و أهل الكشف أصحاب القوة الإلهية التي وراء طور العقل يعرف ذلك كما تفهمه العامة و يعلم ما سبب قبوله لهذا الوصف مع نزاهته بليس كمثله شيء و هذا خارج عن مدارك العقول بأفكارها فالعامة في مقام التشبيه و هؤلاء في التشبيه و التنزيه و العقلاء في التنزيه خاصة فجمع الله لأهل خاصته بين الطرفين فمن لم يعرف القبضة هكذا فما قدر الله حق قدره فإنه إن لم يقل العبد إن الله لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ فما قدر الله حق قدره و إن لم يقل إن خلق آدم بيده فما قدر الله حق قدره و أين الانقسام من عدم الانقسام و أين المركب من البسيط فالكون يغاير مركبه بسيطه و عدده توحيده و أحديته و الحق عين تركيبه عين بسيطه عين أحديته عين كثرته من غير مغايرة و لا اختلاف نسب و إن اختلفت الآثار فعن عين واحدة و هذا لا يصح إلا في الحق تعالى و لكن إذا نسبنا نحن بالعبارة فلا بد أن نغاير كان كذا من نسبة كذا و كذا من نسبة كذا لا بد من ذلك للافهام

(السؤال الحادي و العشرون و مائة) من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها الجواب الشاردون إلى ذواتهم من مرتبة الوجوب و مرتبة المحال إذ لا يقبض إلا على شارد فإنه لو لم يشرد لما قبض عليه فالقبض لا يكون إلا عن شرود أو توقع شرود فحكم الشرود حكم عليه بالقبض فيه استوجبوا أن يقبض عليهم فمنهم من قبض عليه مرتبة الوجوب و منهم من قبض عليه مرتبة المحال و هنا غور بعيد و الإشارة إلى بعض بيانه إن كل ممكن لم يتعلق العلم الإلهي بإيجاده لا يمكن أن يوجد فهو محال الوجود فحكم على الممكن المحال و ألحقه به فكان في قبضة المحال و ما تعلق العلم الإلهي بإيجاده فلا بد أن يوجد فهو واجب الوجود فحكم على الممكن الوجوب فكان في قبضة الواجب و ليس له حكم بالنظر إلى نفسه فما خرج الممكن من أن يكون مقبوضا عليه إما في قبضة المحال و إما في قبضة الواجب و لم يبق

له في نفسه مرتبة يكون عليها خارجة عن هذين المقامين فلا إمكان فأما محال و إما واجب و إما الغور البعيد فإن جماعة قالوا و ذهبوا إلى أنه ليس في الإمكان شيء إلا و لا بد أن يوجد إلى ما لا يتناهى فما ثم ممكن في قبضة المحال و لا شك أنهم غلطوا في ذلك من الوجه الظاهر و أصابوا من وجه آخر فأما غلطهم فما من حالة من الأكوان في عين ما تقتضي الوجود فتوجد إلا و يجوز ضدها على تلك العين كحالة القيام للجسم مع جواز القعود لا نفي القيام و من المحال وجود القعود في الجسم القائم في حال قيامه و زمان قيامه فصار وجود هذا القعود بلا شك في قبضة المحال لا يتصف بالوجود أبدا من حيث هذه النسبة لهذا الجسم الخاص و هو قعود خاص و أما مطلق القعود فإنه في قبضة الواجب فإنه واقع و أما وجه الإصابة فإن متعلق الإمكان إنما هو في الظاهر في المظاهر و المظاهر محال ظهورها و واجب الظهور فيها و الظاهر لا يجوز عليه خلافه فإنه ليس بمحل لخلافه و إنما المظهر هو المحل و قد قبل ما ظهر فيه و لا يقبل غيره فإذا وجد غيره فذلك ظهور آخر و مظهر آخر فإن كل مظهر لظاهر لا ينفك عنه بعد ظهوره فيه فلا يبقى في الإمكان شيء إلا و يظهر إلى ما لا يتناهى فإن الممكنات غير متناهية و هذا غور بعيد التصور لا يقبل إلا بالتسليم أو تدقيق النظر جدا فإنه سريع التفلت من الخاطر لا يقدر على إمساكه إلا من ذاقه و العبارة تتعذر فيه

(السؤال الثاني و العشرون و مائة) ما صنيعه بهم في القبضة الجواب المحض و هو ما هم عليه فهو يرفع و يخفض و يبسط و يقبض و يكشف و يستر و يخفى و يظهر و يوقع التحريش و يؤلف و ينفر و صنيعه العام بهم التغيير في الأحوال فإنه صنع ذاتي إذ لو لم يغير لتعطل كونه إلها و كونه إلها نعت ذاتي له فتغيير الصنع في الممكنات واجب لا ينفك كما أنهم في القبضة دائما

(السؤال الثالث و العشرون و مائة) كم نظرته إلى الأولياء في كل يوم

الجواب بعدد ما يغير عليهم الحال من حيث هومتوليهم لا غير و ينحصر ذلك في مائة مرة من غير زيادة و لا نقصان و لكن ما دام الولي مظروفا لليوم و أما نظره للأولياء إذ أخرجوا من الأوقات فنظر دائم لا توقيت فيه و لا يقبل التوقيت فإنه لا يدخل تحت العدد و لا المغايرة و لا التمييز فإذا دخلوا أو كان حالهم الزمان فمائة مرة و كل مرة يحصل لهم في تلك النظرة ما لا يحده توقت فهو عطاء إلهي من غير حساب و لا هنداز

(السؤال الرابع و العشرون و مائة) إلى ما ذا ينظر منهم الجواب إلى أسرارهم لا إلى ظواهرهم فإن ظواهرهم يجريها سبحانه بحسب الأوقات و سرائرهم ناظرة إلى عين واحدة فإن أعرضوا أو أطرفوا نقصهم في ذلك الإعراض أو تلك الطرفة ما تقتضيه النظرة و هو أكثر مما نالوه من حين أوجدهم إلى حين ذلك الأعراض قال بعض السادة فيما حكاه القشيري في رسالته لو أن شخصا أقبل على الله طول

عمره ثم أعرض عنه لحظة واحدة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في عمره و ذلك أن الشيء في المزيد و أن المتأخر يتضمن ما تقدمه و زيادة ما تعطيه عينه من حيث ما هو جامع فيرى ما تقدم في حكم الجمع و هو يخالف حكم انفراده و حكم جمعه دون هذا الجمع الخاص و من حيث ما تختص به هذه اللحظة من حيث ما هي لنفسها لا من حيث كونها حضرة جمع لما تقدمها فبالضرورة يفوته هذا الخير فما أشأم الإعراض عن الله و في هذا يتبين لك شرف العلم فإن العلم هو الذي يفوتك و العلم هو الذي تستفيده قال تعالى آمرا لنبيه عليه الصلاة و السلام وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإنه أشرف الصفات و أنزه السمات

(السؤال الخامس و العشرون و مائة) إلى ما ذا ينظر من الأنبياء عليهم السلام الجواب إن أراد العلم فإلى أسرارهم و إن أراد الوحي فإلى قلوبهم و إن أراد الابتلاء فإلى نفوسهم إلا أن نظره سبحانه على قسمين نظر بواسطة و هو قوله نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و نظر بلا واسطة و هو قوله تعالى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى اذا نظر إلى أسرارهم أعطاهم من العلم به ما شاء لا غير و هو أن يكشف لهم عنهم أنهم به لا بهم فيرونه فيهم و لا يرونهم فيعلمون ما أُخْفِيَ لَهُمْ فيهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ فتقر عيونهم بما شاهدوه وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ بهم في كل نظرة و هو مزيد العلم الذي أمر بطلبه لا علم التكليف فإن النقص منه هو مطلوب الأنبياء عليهم السلام و لهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول اتركوني ما تركتكم و قوله لو قلت نعم لوجبت و ما كنتم تطيقونها و إذا نظر إلى قلوبهم قلب الوحي فيهم بحسب ما تقلبوا فيه فلكل حال يتقلبون فيه حكم شرعي يدعو إليه هذا النبي و سكوته عن الدعوة شرع أي أبقوا على أصولكم و هذا هو الوحي العرضي الذي عرض لهم فإن الوحي الذاتي الذي تقتضيه ذواتهم هو أنهم يسبحون بحمد الله لا يحتاجون في ذلك إلى تكليف بل هو لهم مثل النفس للمتنفس و ذلك لكل عين على الانفراد و الوحي العرضي هو لعين المجموع و هو الذي يجب تارة و لا يجب تارة و يكون لعين دون عين و هو على نوعين نوع يكون بدليل أنه من الله و هو شرع الأنبياء و منه ما لا دليل عليه و هو الناموس الوضعي الذي تقتضيه الحكمة يلقيه الحق تعالى من اسمه الباطن الحكيم في قلوب حكماء الوقت من حيث لا يشعرون و يضيفون ذلك الإلقاء إلى نظرهم لا يعلمون أنه من عند الله على التعيين لكنهم يرون أن الأصل من عند الله فيشرعونه لمتبعيهم من أهل زمانهم إذ لم يكن فيهم نبي مدلول على نبوته فإن هم قاموا بحدود ذلك الناموس و وقفوا عنده و رعوه جازاهم الله على ذلك بحسب ما عاملوه به في الدنيا و الآخرة جزاء الشرع المقرر المدلول عليه فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فيما ابتدعوه من الرهبانية و من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها و إن الله يصدق قول واضع الناموس الحكمي كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي فأما جزاؤه في الدنيا فلا شك و لا خفاء بوقوع المصلحة و وجودها في الأهل و المال و العرض و أما الآخرة

فعلى هذا المجرى و إن لم يتعرض إليها صاحب الناموس الحكمي كما أنه في ناموس الحكم الإلهي أن في الآخرة لنا ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و يحصل لنا من غير تقدم علم به كذلك الحاصل في الآخرة جزاء لعمل الناموس الذي اقتضته الحكمة عند من ابتدعه للمصلحة فإن قال في ناموسه قال الله و يكون ممن قد علم أنه مظهر و أن لا موجود على الحقيقة إلا الله صدق و عفا الله عنه و إن كان من أهل الحجاب عن هذا العلم فأمره إلى الله و هو بحسب قصده في ذلك فإنه قد يقصد الرئاسة و تكون المصلحة في حكم التبع و قد يقصد المصلحة و تكون الرئاسة تبعا و هذا الكلام لا يتصور إلا مع عدم الشرع المقرر بالدليل في تلك الجماعة و ذلك المكان خاصة و إذا نظر إلى نفوسهم ابتلاهم بمخالفة أممهم فاختلفوا عليه و اختلفوا فيما بينهم و إن اجتمعوا عليه و هذا كله إذا اتفق أن ينظر النبي إلى نفسه و لا بد له من النظر إلى نفسه فإن الجلوس مع الله لا تقتضي البشرية دوامه و إذا لم يدم فما ثم إلا النفس فيكون نظره في هذا الحال نظر ابتلاء لأن النبي في تلك الحالة صاحب دعوى إنه قد بلغ رسالة ربه و كذا ورد ما من نبي إلا و قد قال فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ و قال ألا هل بلغت فأضاف التبليغ إليه و لم يقل في هذه الحال قد بلغ الله إليكم بلساني ما قد أسمعكم فلو قال هذا ما ابتلوا ببلاء النفوس و في هذا لله حكم خفي ليعلم العبد أنه محل للتوفيق و نقيضه و أنه لا حول و لا قوة إلا بالله على ما أمر به و نهي عنه فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

(السؤال السادس و العشرون و مائة) كم إقباله على خاصته في كل يوم الجواب أربعة و عشرون ألف إقبال في كل يوم يهبهم في ذلك الإقبال ما شاء و يأخذ منهم في الإقبال الثاني ما كان أعطاهم في الإقبال الأول إما أخذ قبول و إما أخذ رد غير مقبول فإن الله قد أمرهم بالأدب في كل ما يلقي إليهم عند أخذهم و كذلك إذا ردوا الأمور إليه يردونها محلاة بالأدب الإلهي فذلك داعية القبول الإلهي فإن أساءوا الأدب في الأخذ و الرد عاد وبال ذلك عليهم و ليسوا عند ذلك بخاصة الله فالخاصة تحضر مع الله أربعة و عشرين ألف مرة في كل يوم و إن أردت التحرير في المقال إن لم يكن عندك علم و تخرج من العهدة فقل إقباله على خاصته كل يوم بعدد أنفاسهم كانت ما كانت فمن اطلع على توقيت أنفاسه علم توقيت إقبال الله عليه في كل يوم فإن ذلك النفس من نفس الرحمن فهو عين إقبال الحق عليهم و به تنورت هيا كلهم فهو في الأجسام ريح و في اللطائف أرواح جمع روح بفتح الراء و تسكين الواو سكونا حيا

(السؤال السابع و العشرون و مائة) ما المعية مع الخلق و الأصفياء و الأنبياء و الخاصة و التفاوت و الفرق بينهم في ذلك

الجواب قال الله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فالأينية إلينا و قال لموسى و هارون إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى فنبههما على أنه سمعهما و بصرهما تذكرة لهما أو أعلاما لم يتقدمه علم به عندهما فإنه قد صح عندنا في الخبر أن العبد إذا أحبه ربه كان سمعه و بصره الذي

يسمع به و يبصر به فالنبي أولى بهذا ممن ليس بنبي و طبقات الأولياء كثيرة و لكن ما ذكر منها إلا ما قلناه فلا نتعدى بالجواب قدر ما سأل فنقول إن المعية تقتضي المناسبة فلا نأخذ من الحق إلا الوجه المناسب لا الوجه الذي يرفع المناسبة ثم إننا أردنا أن نعمم الجواب بتعميم قوله تعالى أَيْنَ ما كُنْتُمْ من الأحوال و لا يخلو موجود عن حال بل ما تخلو عين موجودة و لا معدومة أن تكون على حال وجودي أو عدمي في حال وجودها أو عدمها و لهذا قال تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فإن قلت قوله كنتم لفظة معناها وجودي فالمعنى أينما كنتم من الوجود فنقول صحيح و لكن من أي الوجوه من الوجود من حيث العلم بكم و ما ثم إلا هو أو من حيث الوجود الذي يتصف به عين الممكنات من حيث ما هي مظاهر فحالة منها توصف العين الممكنة بها بالعدم و لهذا نقول كان هذا معدوما و وجد و الكون يناقض العدم مع صحة هذا القول فيعلم عند ذلك أن قوله تعالى أَيْنَ ما كُنْتُمْ أي على أي حالة تكونون من الوصف بالعدم أو الوجود ثم نقول إنه مع الخلق بإعطاء كل شيء خلقا من كونهم خلقا لا غير فينجر معه إنه معهم بكل ما تطلبه ذواتهم من لوازمها و معيته مع الأصفياء بما يعطيه الصفاء من التجلي فإنهم قد وصفهم و أنهم أصفياء فما هو معهم بالصفاء و الاصطفاء و إنما هو معهم بما يطلبه الاصطفاء و قدم الخلق فإنه مقدم بالرتبة فإن الاصطفاء لا يكون إلا بعد الخلق بل هم من الخلق عند الحق بمنزلة الصفي الذي يأخذه الإمام من المغنم قبل القسمة فذلك هو نصيب الحق من الخلق و ما بقي فله و لهم و أما معيته مع الأنبياء فبتأييد الدعوى لا بالحفظ و العصمة إلا أن أخبر بذلك في حق نبي معين فإن الله قد عرفنا إن الأنبياء قتلتهم أممهم و ما عصموا و لا حفظوا فلا بد أن يكون ظرف المعية التأييد في الدعوى لإقامة الحجة على الأمم فإنه قال فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و لا يكون نبيا حتى يقدمه الاصطفاء فلهذا أخر النبوة عن الاصطفاء فإنه ما كل خلق مصطفى و ما كل مصطفى نبي و معيته مع الخاصة بالمحادثة برفع الوسائط بعد تبليغ ما أمر بتبليغه مثل قوله وَ رَأَيْتَ النّٰاسَ يَدْخُلُونَ في دِينِ اللّٰهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ من أيام التبليغ إِنَّهُ كٰانَ تَوّٰاباً أي يرجع إليك الرجوع الخاص الذي يربي على مقام التبليغ فيجتمع هذا كله في الرسول و هو شخص واحد و في كل مقام أشخاص فيكون الشخص الواحد خلقا مصطفى نبيا خاصا و أما معية الذات فلا تنقال فإن الذات مجهولة فلا تعلم نسبة المعية إليها فهو مع الخلق بالعلم و اللطف و مع الأصفياء بالتولي و مع الأنبياء بالتأييد و مع الخاصة بالمباسطة و الأنس

(السؤال الثامن و العشرون و مائة) ما ذكره الذي يقول وَ لَذِكْرُ اللّٰهِ أَكْبَرُ الجواب ذكره نفسه لنفسه بنفسه أكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه اعلم أن الله ما قال هذا الذكر و وصفه بهذه الصفة من الكبرياء إلا في قوله تعالى إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْكَرِ أنباء عن حقيقة لأجل ما فيها من الإحرام و هو المنع من التصرف في شيء مما يغاير كون فاعله مصليا فهي تنهى عن الفحشاء و المنكر و لا تنهى

عن غيرها من الطاعات فيها مما لا يخرجك فعله عن أن تكون مصليا شرعا فيكون قوله وَلَذِكْرُ اللهِ فيها أكبر أعمالها و أكبر أحوالها إذ الصلاة تشتمل على أقوال و أفعال فتحريك اللسان بالذكر من المصلي من جملة أفعال الصلاة و القول المسموع من هذا التحريك هو من أقوال الصلاة و ليس في أقوالها شيء يخرج عن ذكر الله في حال قيام و ركوع و رفع و خفض إلا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسأله أن يعطيكها مثل اهدني وارزقني ولكن هو ذكر شرعا لله فإن الله سمي القرآن ذكرا و فيه أسماء الشياطين و المغضوب عليهم و المتلفظ به يسمى ذكر الله فإنه كلام الله فذكرتهم بذكر الله و هذا مما يؤيد قول من قال ليس في الوجود إلا الله فالأذكار أذكار الله ثم إن قوله تعالى وَلَذِكْرُ اللهِ هذه الإضافة تكون من كونه ذاكرا و من كونه مذكورا فهو أكبر الذاكرين و هو أكبر المذكورين و ذكره أكبر الأذكار التي تظهر في المظاهر فالذكر و إن لم يخرج عنه فإن الله قد جعل بعضه أكبر من بعض ثم يتوجه فيه قصد آخر من أجل الاسم الله فيقول وَلَذِكْرُ اللهِ بهذا الاسم الذي ينعت و لا ينعت به و يتضمن جميع الأسماء الحسنى و لا يتضمنه شيء في حكم الدلالة أَكْبَرُ من كل اسم تذكره به سبحانه من رحيم و غفور و رب و شكور و غير ذلك فإنه لا يعطي في الدلالة ما يعطي الاسم الله لوجود الاشتراك في جميع الأسماء كلها هذا إذا أخذنا أكبر بطريق أفعل من كذا فإن لم نأخذها على أفعل من كذا فيكون إخبارا عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأي اسم ذكر و هو أولى بالجناب الإلهي و إن كانت الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ فإنه كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله من فرقان و توراة و زبور و إنجيل و صحيفة عند كل عارف بذلك اللسان فإنه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأول لعلمه الإحاطي سبحانه بجميع الوجوه و بقي عليه في ذلك الكلام من حيث ما يعلمه هو فكل متاول مصيب قصد الحق بتلك الكلمة هذا هو الحق الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ على قلب من اصطفاه الله به من عباده فلا سبيل إلى تخطئة عالم في تأويل يحتمله اللفظ فإن مخطئه في غاية من القصور في العلم و لكن لا يلزمه القول به و لا العمل بذلك التأويل إلا في حق ذلك المتأول خاصة و من قلده

(السؤال التاسع و العشرون و مائة) قوله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ما هذا الذكر الجواب هذا ذكر الجزاء الوفاق قال تعالى جَزاءً وِفاقاً فذكر الله في هذا الموطن هو المصلي عن سابق ذكر العبد قال تعالى هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ أي يؤخر ذكره عن ذكركم فلا يذكركم حتى تذكروه و لا تذكرونه حتى يوفقكم و يلهمكم ذكره فيذكركم بذكره إياكم فتذكروه به أو بكم فيذكركم بكم و به بالواو لا بأو فإن له الذكرين معا و قد يكون لبعض العلماء الذكران معا و قد يكون الذكر الواحد دون الآخر في حق بعض الناس و تختلف أحوال الذاكرين منا فمنا من يذكره في نفسه و هم على طبقات طبقة تذكره في نفسها و الضمير من النفس يعود على الله من حيث الهو و شخص يذكره في نفسه و

الضمير يعود على الشخص و شخص يذكره في نفسه و الضمير يعود على الله من حيث ما هو خالقها لا من حيث ما هي نفسه من كونها ظاهرة في مظهر خاص فإذا ذكره كل شخص من هؤلاء إما بوجه واحد من هذه الوجوه أو بكل الوجوه فإن الله يذكره في نفسه و قد يكون قوله ذكرته في نفسي عين ذكر هذا العبد ربه في نفسه من حيث ما هوالضمير يعود على الله من نفسه من حيث ما هي نفسه عينا لا من حيث ما هي نفسه خلقا فيكون عين ذكر العبد هو عين ذكر الحق كما قلنا في قوله وَمَكَرُوا وَمَكَرَ الله و هو عين مكرهم عين مكر الله بهم لا أنه استأنف مكرا آخر و يؤيده أيضا بقوله ذكرته في نفسي يريد نفس العبد مضافة إلى الله من حيث ما هي ملك له خلقا و إيجادا و يريد أيضا ذكرته في نفسي نفس الحق لا من حيث الوجه الذي ذكره به العبد من حيث نفسه نفس الحق و هو الوجه الأول فهذه أحوال ذكر النفس بالجزاء الوفاق في كل وجه و الحالة الثانية أن يذكره في ملأ فيذكره الله في ملأ خير من ذلك الملإ و قد يكون عين ذلك الملإ و تكون الخيرية بالحال فحال ذلك الملإ في ذكر هذا العبد لله دون حال ذلك الملإ في ذكر الله فيهم لهذا العبد فهو في هذه الحال خير منه في حال ذكر العبد و الملأ واحد كما تتشرف الجماعة بالملك إذا كان فيها على شرفها إذا لم يكن الملك فيها و عين الجماعة واحدة فهي خير منها و لكن بشرط أن يكون كل واحد من ذلك الملإ حاله الكشف إن الله قد ذكر هذا العبد فيهم و هم يسمعون ذكر الله إياه كما سمعوا ذكر هذا العبد ربه فحينئذ يكون الشرف في الملإ الواحد يتفاضل و الوجه الآخر أن يكون الملأ مغايرا لذلك الملإ فيكون خيره على هذا الملإ إما بكون الحق أسمعهم ذكره عبده و هو فيهم أو يكون خيره لأمر آخر تقتضيه مرتبته عند الله إما نشأة أو حالا أو علما و هذه أمور إن تأملتها انفتح لك منها علوم جمة من العلم الإلهي وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(السؤال الثلاثون و مائة) ما معنى الاسم الجواب أمر يحدث عن الأثر أو أمر يكون عنه الأثر أو منه ما يكون عنه الأثر و منه ما يحدث عن الأثر إذا لم ترد به المسمى فإن أردت به المسمى فمعناه المسمى كان ما كان مركبا تركيبا معنويا أو حسيا أو غير مركب معنويا أو حسيا كلفظة رحيم أي ذات راحمة فالمسمى بهذه التسمية هي عين تلك النسبة الجامعة بين ذات و رحمة حتى جعل عليها من هذه النسبة اسم فاعل و إن كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات فليست بمركبة تركيبا معنويا فقد تكون هذه الذات مفردة معنى و في نفسها و قد تكون مركبة حسا مثل إنسان تحته مركب حسي و معنوي و الاسم و الرسم عند بعض أصحابنا نعتان يجريان في الأبد على حكم ما كان عليه أزلا و فرق بين الاسم و الرسم و سيأتي ذكرهما في شرح معاني ألفاظ أهل الله من هذا الباب فإنه يطلبها

(السؤال الحادي و الثلاثون و مائة) ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الأسماء

الجواب الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع و فيه الْحَيُّ الْقَيُّومُ و لا بد فإن قلت فهو الاسم الله قلت لا أدري فإنه يفعل بالخاصية و هذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كان صفة للمتلفظ بها بخلاف ذلك الاسم و لكن الظاهر من مذهب الترمذي أن رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير و هو الكامل و إذا كان هذا فهو الأولى في طريق القوم أن يشرح به رأس الأسماء فإن آدم علمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقا فتجلى له تجليا كليا فما بقي اسم في الحضرة الإلهية الأظهر له فيه فعلم من ذاته جميع أسماء خالقه

(السؤال الثاني و الثلاثون و مائة) ما الاسم الذي أبهم على الخلق الأعلى خاصته الجواب هذا الاسم الذي استوجب منه جميع الأسماء و إن شئت قلت هو اسم مركب من عشرين و ثلاثين بينهما أحد و أربعون حسا و معنى و قد يتركب حسا لا معنى من ثمانية و ثمانين و مائتين و ستة عددا فإذا جمعتها على وجه مخصوص من غير إسقاط الستة كان اسما مركبا و إن أسقطت الستة كان اسما غير مركب و لا ينبغي أن يوضح في العامة ما أبهمه الحق على خلقه و خص به خاصته فإن هذا من غاية سوء الأدب و ما أظن الترمذي قصد بهذا السؤال طلب الشرح و الإيضاح لمعناه و إنما قصد اختبار المسئول أنه إن كان من أهل الله لا يوضحه فإن أوضحه فيكون قد تلقاه من أحد غلطا ممن تلقاه منه لقرينة حال و ذكاء فيه و أما أهل الله فعندهم من الأدب الإلهي ما يمنعهم أن يستروا ما كشف الله أو يكشفوا ما ستره الله

(السؤال الثالث و الثلاثون و مائة) بما نال صاحب سليمان عليه السلام ذلك و طوى عن سليمان عليه السلام الجواب بجمعيته و تلمذته ليعرف الشيخ بما حصل عنده و بسببه و طوى عن سليمان بوجوده في محل التبديد في الوقت فإن الحكم للوقت و وقته أنه رسول فهو صاحب وجود مصروف العين إلى من أرسل إليه و صاحبه في جمعيته على أمر واحد متحقق بها فظهر بما طوى عن سليمان العمل به تعظيما لقدر سليمان عليه السلام عند أهل بلقيس و سائر أصحابه و ما طوى عن سليمان العلم به و إنما طوى عنه الأذن في التصرف به تنزيها لمقامه

(السؤال الرابع و الثلاثون و مائة) ما سبب ذلك الجواب إعلام الغير بأن التلميذ التابع إذا كان أمره بهذه المثابة فما ظنك بالشيخ فيبقى قدر الشيخ مجهولا في غاية التعظيم فلو ظهر على سليمان لتوهم إن هذا غايته و لا شك أن مشهد سليمان في ذلك الوقت و الله أعلم كان مشهد أدب لا يريد أن يكون عنه شرك في التصرف كما قال أبو السعود أعطيت التصرف و تركته تظرفا في حكاية طويلة و الغرض للنبي إنما هو الدلالة و ظهورها على يد صاحبه أتم في حقه إذ كان هذا التابع مصدقا به و قائما في خدمته بين يديه تحت أمره و نهيه فيزيد

المطلوب رغبة في هذا الرسول إذا رأى بركته قد عادت على تابعيه فيرجو هذا الداخل أن يكون له بالدخول في أمره ما كان لهذا التابع و النفس مجبولة على الطمع و حب الرئاسة و التقدم

(السؤال الخامس و الثلاثون و مائة) ما ذا أطلع من الاسم على حروفه أو معناه الجواب على حروفه دون معناه فإنه لو وقف على معناه لمنعه العمل به كما منع سليمان أ لا ترى إلى قوله تعالى في صاحب موسى فَانْسَلَخَ مِنْها فكانت عليه كالثوب و هو مثل الحرف على المعنى فعمل بها في غير طاعة الله فأشقاه الله و صاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد و ما وقف على معناه من الأمم الخالية سوى الرسل و الأنبياء فإنهم وقفوا على معناه و حروفه إلا هذه الطائفة المحمدية فإنهم جمع لبعضهم بين حروفه و معناه و لبعضهم أعطى معناه دون حروفه و ليس في هذه الأمة من أعطى حروفه دون معناه و كذلك صاحب الأخدود أعطى حروفه دون معناه فإنه تلقاه من الراهب كلمات كما ورد و هي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني و الثلاثين و مائة

(السؤال السادس و الثلاثون و مائة) أين باب هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه الجواب بالمغرب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة و عليه تطلع الشمس من المغرب عند ما يسد باب التوبة و يغلق ف لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها و لا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان و المؤمن لا يغلق له باب و كيف يغلق دونه و قد جازه و تركه وراءه فمن عناية المؤمن غلقه حتى لا يخرج عليه بعد ما دخل منه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك فإنه ليس له باب يخرج منه فغلق باب التوبة رحمة بالمؤمن و وبالا بالكافر و جعله الله بالمغرب لأنه محل الأسرار و الكتم و هو سر لا يعلمه إلا أهل الاختصاص فلو كان هذا الباب بالشرق لكان ظاهرا عند العام و الخاص و وقع به الفساد في العموم و هذا يناقض ما وجد له العالم من الصلاح و قد جاء في جانب الشرق من الذم ما جاء و الشرق بمنزلة الخروج إلى الدنيا و هي دار الابتلاء للعام و الخاص و الغرب بمنزلة الخروج من الدنيا و الدخول إلى الآخرة فإنه انتقال إلى دار التمييز و البيان و معرفة المنازل و المراتب على ما هي عند الله تعالى فيعلم السعيد سعادته و الشقي شقاوته فيظهر عند ذلك عين هذا الاسم الخفي لجميع الخلق و يحرمون الدعاء به لشغلهم بما هم فيه من الهول فيعظم في قلوبهم شدة الهول بحيث أن يظنوا أنه ما ثم دعاء يرد ما هم فيه و لو وفقوا للدعاء به لسعدوا فسبحان القدير على ما يشاء

(السؤال السابع و الثلاثون و مائة) ما كسوته الجواب حال الداعي به المعنوي و كسوته على الحقيقة حروفه إذا أخذت الاسم من طريق معناه فإن أخذته من طريق حروفه فحينئذ يكون كسوته حال الداعي به فإذا أقيم في شاهد الحس في التخيل أو الخيال فيكون كسوته الثوب السابغ الأصفر يلتوي فيه فإنه غير مخيط أ لا ترى بقرة بنى إسرائيل صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها لا شِيَةَ فِيها فحيي بها الميت و هو أعظم

الآثار إحياء الموات حياة الايمان و حياة العلم و حياة الحس و أعظم أثره في زمان الشتاء إذا وقع فيه شهر صفر في أول الشتاء إلى انتصافه فهو أسرع أثرا منه في باقي الأزمنة و باقي الشهور و يكون الثوب صوفا أو شعرا أو وبر إلا غير ذلك و الريش منه و إنما قلنا هذا لأنه قد يظهر لقوم بنوع من أنواع ما ذكرناه من هذه الأنواع التي تلبس فلو ظهر في نوع واحد لعرفناكم به و اقتصرنا عليه و قال بعضهم رأيت كسوته جلدا أصفر قد صفر بورس أو زعفران و هكذا رآه الحسين بن منصور و لكن لم يكن سابغ الثوب و إنما ستر بعض أعضائه ستر منه قدر ستة أذرع لا غير

(السؤال الثامن و الثلاثون و مائة) ما حروفه الجواب الألف و لام الألف و الواو و الزاي و الراء و الدال و الذال فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ظهر عينه و لونه و طوله و عرضه و قدره و انفعل عنه جميع ما توجهه عليه هكذا هو عند الطائفة في الواقعة و لا تنقل عني أني أعلمه لما ذكرت فيه هذا لا يلزم فقد ننقل من الواقعة و الكشف جميع ما سطرته و لا يلزم أن أكون به عالما و إنما قلت هذا لئلا يتوهم أني ما ذكرته إلا عن علم به و لكن مطلبي من الحق العبودة المحضة التي لا تشوبها ربوبية لا حسا و لا معنى

(السؤال التاسع و الثلاثون و مائة) و الحروف المقطعة مفتاح كل اسم من أسمائه فأين هذه الأسماء و إنما هي ثمانية و عشرون حرفا فأين هذه الحروف الجواب لأنه يفتح الحرف الواحد من الأسماء الإلهية أسماء كثيرة لا يحصرها عدد و ذلك لأنه إنما يفتح أسماء الأسماء التي تتركب من الحروف بحكم الاصطلاح و قد ثبت أن الحق متكلم فقد سمي نفسه من كونه متكلما بالكلام الذي نسب إليه و يليق به و هذه الأسماء التي تظهر عن الحروف أسماء تلك الأسماء فلو أن الحرف الواحد يفتح اسما واحدا لكان كما قلت من التعجب أ لا ترى في الأسماء المحفوظة في العموم كالملك و المصور و المان و المنان و المقتدر و المحيي و المميت و المقيت و المالك و المليك و المقدم و المؤخر و المؤمن و المهيمن و المتكبر و المغني و المعز و المذل فهذا حرف واحد افتتحنا به كذا كذا اسما إلهيا مع أنا لم نستوف ثم لتعلم إن كل اسم في العالم هو اسمه لا اسم غيره فإنه اسم الظاهر في المظهر و ليس في وسع المخلوقين حصرها و لا إحصاؤها و جميعها مفاتيحها هذه الحروف على قلتها و لك في اختلاف اللغات أعظم شاهد و أسد دليل إن فهمت مقصود القوم و أما قوله فأين هذه الحروف فقل له في عوارض الأنفاس تعرض للنفس الرحماني ما يحدث عين الحرف و يعرض للحروف ما يحدث الأسماء فأبنية الأسماء في الحروف و أبنية الحروف الأنفاس و أبنية الأنفاس الأرواح و أبنية الأرواح القلوب و أبنية القلوب عندية مقلبها و أسماء الحق لا تتعدد و لا تتكثر إلا في المظاهر و أما بالنسبة إليه فلا يحكم عليها العدد و لا أصله الذي هو الواحد فأسماؤه من حيث هو لا تتصف بالوحدة و لا بالكثرة فسؤال الإمام إنما هو عن الأسماء التي يقع بها التلفظ في عالم الحروف اللفظية و يقع بها الرقم في عالم الكتابة فتارة يراعي الرقم و تارة

يراعي اللفظ و أما غيره فيجعل حروفا ثوالث و هي الحروف الفكرية و هي ما يضبطه الخيال من سماع المتلفظ بها أو أبصا ر الكاتب إياها

(السؤال الأربعون و مائة) كيف صا ر الألف مبدأ الحروف الجواب لأن له الحركة المستقيمة و عن القيومية يقوم كل شيء فإن قلت إنما يقع التكوين بالحركة الأفقية فإنه لا يقع إلا بمرض و المرض ميل أ لا ترى إلى القائلين بحكم العقل كيف جعلوا موجد العالم علة العلل و العلة تناقض القيومية فلنقل إنما وقع الوجود بقيومية العلة فإنه لكل أمر قيومية فافهم فقيومية الألوهية تطلب المألوه بلا شك أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ و ما ثم ما يناسب الألف إلا الحرف المركب و هو اللام فإنه مركب من ألف و نون فلما تركب حدث اللام الرقمي لا اللفظي فلام اللفظ صورته في الرقم مركب من حرفين فيفعل بالتلفظ فعل الواحد و هو عينه و يفعل بالنقش فعل الألف و النون و هكذا كل حرف مركب و يفعل فعل الراء و الزاي ببعد كما يفعله النون بقرب لأن النون حرف مركب من زاى و راء و أريد حروف الرقم فابدءوا بالألف في الرقم لما ذكرناه و انفتحت فيه أشكال الحروف كلها لأن أصل الأشكال الخط كما إن أصل الخط النقطة و الخط هو الألف فالحروف منه تتركب و إليه تنحل فهو أصلها و أما الحروف اللفظية فالألف يحدثها بلا شك كما يظهر الألف عن الحرف إذا أشبعته الفتح فإنه يدل على الألف كما أنك إذا أشبعت الحرف الضم دل على ألف الميل و هو واو العلة و إنما ظهر عن الرفع المشبع لأن العلة أرفع من المعلول فما ظهر عن الحرف إلا بصفة الرفع البالغ ليعلم أنه و إن مال فإنه ما مال إلا عن رفعة رحمة بك ليوجدك مظهرا لخالقك أ لا تراه في حرف الإيجاد كيف جاء برفع الكاف المشبع فقال إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فجاء بالكاف مشبعة الضم لتدل على الواو فإن قلت و أين الواوقلنا غيب في السكون الذي هو الثبوت فإن الحق يستحيل عليه الحركة فلما التقى سكون الواو من كون و سكون النون اتصفت الواو بالغيب فلم تظهر و لزمت الهوية و لهذا هو الهو غيب و ضمير عن غائب و بقيت النون ساكنة تدل على سكون الواو و ظهرت النون على صورة الواو في السكون و هو الثبوت كقوله خلق آدم على صورته فأثبت الأسماء بوجود النون في كن أي ما ثم كائن حادث إلا عند سبب فلا يرفع الأسباب إلا جاهل بالوضع الإلهي و لا يثبت الأسباب إلا عالم كبير أديب في العلم الإلهي فعن الحروف اللفظية يوجد عالم الأرواح و عن الحروف الرقمية يوجد عالم الحس و عن الحروف الفكرية يوجد عالم العقل في الخيال و من كل صنف من هذه الحروف تتركب أسماء الأسماء

(السؤال الحادي و الأربعون و مائة) كيف كرر الألف و اللام في آخره الجواب هذا يختص بحروف الرقم المناسب المزدوج و هو نظم أ ب ت ث لا حروف وضع أبجد فإن لام ألف ما ظهر إلا في نظم أ ب ت ث فإنه ناسب بين الحروف لتناسبها في الصورة بخلاف وضع أبجد و

ذلك لأن اللام كسوة الألف و جنته فإنه مستور فيها بالنون الملصقة به الذي تمم وجود اللام و جعلها في آخر النظم ليس بعدها إلا الياء لأنه ظهر في عالم التركيب و هو آخر العوالم و جاء بعده بالياء فإنه لها السفل إذ كانت إنما حدثت من إشباع حركة الخفض و الخفض سفل و السفل آخر المراتب فكان تنبيها أجرى على خاطر الواضع لهذه الحروف و ربما لم يقصد ذلك و نحن إنما نظر في الأشياء من حيث إن الباري واضعها لا من حيث يد من ظهرت منه فلا بد من القصد في ذلك و التخصيص فشرحنا لكون الحق هو الواضع لها لا غيره و لما كانت الأولية للالف انبغي أن تكون له الآخرية و كما له الظاهر في أول الحروف انبغي أن يكون له الباطن في آخر الحروف ليجمع بين الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و الياء هي ألف الميل في عالم الحس الذي هو العالم الأسفل لحدوثها عن الخفض لتدل على الألف التي في لام ألف و لتدل على السبب الذي في شكل اللام إذا انفردت فإذا عانقت الألف صغرت النون في الالتواء و قابل الألف التي في اللام الألف التي في لام الألف حتى لا يكون يقابله إلا نفسه فقابل الألف الألف و ربطت النون بينهما و هو ألف سر العبد الذي تألف بربه و هو من باب الامتنان الإلهي قال الله تعالى ممتنا على عبده لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ و لم يقل بين قلوبهم و لا بينها فجاء بهاء الهو في بينهم و جعل ميم الجمع سترا عليه ليدل على ما ينسب إليه من الجمعية من حيث كثرة الأسماء له تعالى و المراد أنه سبحانه ألف بين قلوب المؤمنين و بينه لأنهم ما اجتمعوا على محمد صلى الله عليه و سلم إلا بالله و لله فبه تألفوا لتالف محمد صلى الله عليه و سلم به فافهم لما ذاكرر لام الألف في نظم تناسب الحروف و هو نظم أ ب ت ث

(السؤال الثاني و الأربعون و مائة) من أي حساب صار عددها ثمانية و عشرين حرفا الجواب لأنها إنما ظهرت أعيان الحروف في العالم العنصري و في عنصر الهواء سلطانها كما إن التراب و الماء للأجسام الحيوانية كما إن عنصر النار للجان و العالم العنصري إنما نسب إلى العناصر لأنها السبب الأقرب و العناصر إنما حدثت عن حركات الأفلاك و حركات الأفلاك إنما قطعت ثمانيا و عشرين منزلة في الفلك الذي قطعت فيه و العالم إنما صدر من نفس الرحمن لأنه نفس به عن الأسماء لما كانت تجده من عدم تأثيرها و النفس مناسب لعنصر الهواء فتشكلت المنازل الفلكية في الهواء العنصري لما ظهرت العناصر فلما جاء حكمه فيما تولد عن العناصر من المولدات ظهرت في أكمل نشأة المولدات و هو الإنسان صور الحروف ثمانية و عشرين حرفا عن ثمان و عشرين منزلة و الحق فيها لام الألف خطأ لينبه على القاطع في هذه المنازل و هي الكواكب السيارة فكما عمت المنازل بقوتها و تقطع فيها إيجاد الكائنات و الحوادث كذلك أوجدت هذه الحروف جميع الكلمات التي لا نهاية لها دنيا و آخرة فقد بان لك على التقريب لم كانت ثمانية و عشرين حرفا فمن تمكن له أن يضع قلما

على شكل المنازل في طالع مخصوص و تكون الدراري في عقدة الرأس فإنه يكون عن ذلك القلم متى كتب به عجائب في سرعة ظهور ما يكتب له في أي شيء كان حتى لو كتب به كاتب دعاء أجيب ذلك الدعاء و لم يتوقف

(السؤال الثالث و الأربعون و مائة) ما قوله خلق آدم على صورته الجواب اعلم أنه كل ما يتصوره المتصور فهوعينه لا غيره فإنه ليس بخارج عنه ولا بد للعالم أن يكون متصورا للحق على ما يظهر عينه و الإنسان الذي هو آدم عبارة عن مجموع العالم فإنه الإنسان الصغير و هو المختصر من العالم الكبير و العالم ما في قوة إنسان حصره في الإدراك لكبره و عظمه و الإنسان صغير الحجم يحيط به الإدراك من حيث صورته و تشريحه و بما يحمله من القوي الروحانية فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الإلهي التي أبرزته و ظهر عنها فارتبطت به الأسماء الإلهية كلها لم يشذ عنه منها شيء فخرج آدم على صورة الاسم الله إذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الأسماء الإلهية كذلك الإنسان و إن صغر جرمه فإنه يتضمن جميع المعاني و لو كان أصغر مما هو فإنه لا يزول عنه اسم الإنسان كما جوزوا دخول الجمل في سم الخياط و إن ذلك ليس من قبيل المحال لأن الصغر و الكبر العارضين في الشخص لا يبطلان حقيقته و لا يخرجانه عنها و القدرة صالحة أن تخلق جملا يكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط فكان في ذلك رجاء لهم أن يدخلوا جنة النعيم كذلك الإنسان و إن صغر جرمه عن جرم العالم فإنه يجمع جميع حقائق العالم الكبير و لهذا يسمى العقلاء العالم إنسانا كبير و لم يبق في الإمكان معنى إلا و قد ظهر في العالم فقد ظهر في مختصره و العلم تصور المعلوم و العلم من صفات العالم الذاتية فعلمه صورته و عليها خلق آدم فآدم خلقه الله على صورته و هذا المعنى لا يبطل لو عاد الضمير على آدم و تكون الصورة صورة آدم علما و الصورة الآدمية حسا مطابقة للصورة و لا يقدر يتصور هذا إلا بضرب من الخيال يحدثه التخيل و أما نحن و أمثالنا فنعلمه من غير تصور و لكن لما جاء في الحديث ذكر الصورة علمنا أن الله إنما أراد خلقه على الصورة من حيث إنه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور فاعتبر الله تعالى في هذه العبارة التخيل و إذا أدخل سبحانه نفسه في التخيل فما ظنك بمن سوى الحق من العالم صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال لجبريل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فهذا تنزيل خيالي من أجل كاف التشبيه و انظر من كان السائل و من كان المسئول و مرتبتهما من العلم بالله و لم يكن بأيدينا إلا الأخبار الواردة بالنزول و المعية و اليدين و اليد و العين و الأعين و الرجل و الضحك و غير ذلك مما ينسب الحق إلى نفسه و هذه صورة آدم قد فصلها في الأخبار و جمعها في قوله خلق الله آدم على صورته فالإنسان الكامل ينظر بعين الله و هو قوله كنت بصره الذي يبصر به الحديث كذلك يتبشبش بتبشبش الله و يضحك بضحك الله و يفرح بفرح الله و يغضب بغضب الله و ينسى بنسيان الله قال تعالى نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و ينسب جميع ما ذكرناه إلى كل ذات بحسب

ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة فإن كانت الذات المنسوب إليها معلومة علم صورة نسبة هذا المنسوب و إن جهلت الذات المنسوب إليها كنت بنسبة هذا المنسوب أجهل فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيد فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف إسلامي أجبناه بأن الضمير يعود على آدم أي أنه لم ينتقل في أطوار الخلقة انتقال النطفة من ماء إلى إنسان خلقا بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر و لم ينتقل أيضا من طفولة إلى صبي إلى شباب إلى كهولة و لا انتقل من صغر جرم إلى كبره كما ينتقل الصغير من الذرية بهذا يجاب مثل هذا السائل فلكل سائل جواب يليق به

(السؤال الرابع و الأربعون و مائة) ليتمنين اثنا عشر نبيا أن يكونوا من أمتي الجواب لما كانت أمته خير الأمم و عندها زيادة على أنبياء الأمم باتباعهم سنن هدى رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنهم ما اتبعوه لأنهم تقدموه و ليس خيرا من كل أمة إلا نبيها و نحن خير الأمم فنحن و الأنبياء في هذه الخيرية في سلك واحد منخرطين لأنه ما ثم مرتبة بين النبي و أمته و محمد خير من أمته كما كان كل نبي خيرا من أمته فهو صلى الله عليه و سلم خير الأنبياء فهؤلاء الاثنا عشر نبيا ولدوا ليلا و صاموا إلى أن ماتوا و ما أفطروا نهارا مع طول أعمارهم سؤالا و رغبة و رجاء أن يكونوا من أمة محمد صلى الله عليه سلم فلهم ما تمنوا و هم مع من أحبوه يوم القيامة فيأتي النبي يوم القيامة و في أمته النبي و الاثنان و الثلاثة و يأتي محمد صلى الله عليه و سلم و في أمته أنبياء أتباع و أنبياء أتباع و أنبياء ما هم أنبياء أتباع فيتبع محمدا صلى الله عليه و سلم ثلاثة أصناف من الأنبياء و هذه مسألة أعرض عن ذكرها أصحابنا لما فيها مما يتطرق إلى الأوهام الضعيفة من الإشكال و جعلهم الله اثني عشر كما جعل الفلك الأقصى اثني عشر برجا كل برج منها طالع نبي من هؤلاء الاثني عشر لتكون جميع المراتب تتمنى أن تكون من أمة محمد صلى الله عليه و سلم من الاسم الظاهر ليجمعوا بينه و بين ما حصل لهم من اسمه الباطن إذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه عليه السلام من اسمه الباطن إذ كان نبيا وآدم بين الماء و الطين فقوله تعالى له أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و ما قال بهم إذ كان هداهم هداك الذي سرى إليهم في الباطن من حقيقتك فمعناه من حيث العلم إذا اهتديت بهداهم فهو اهتداؤك بهديك لأن الأولية لك باطنا و الآخرية لك ظاهرا و الأولية لك في الآخرية ظاهرا و باطنا

(السؤال الخامس و الأربعون و مائة) ما تأويل قول موسى اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه و سلم الجواب لما عرف موسى أن الأنبياء في النسبة إلى محمد نسبة أمته إليه و أن نسبة أمته إليه من اسمه الظاهر و الباطن و نسبة الأنبياء إليه من اسمه الباطن أراد موسى أن يجمع الله له بين الاسمين في شرعه ثم إنه لما علم أنه تبع و لم يشك أراد إقامة جاهه عند محمد صلى الله عليه و سلم على غيره من الرسل إذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالأمم و الأتباع و ليس في الرسل أكثر أتباعا من موسى عليه السلام كما أخبر صلى الله عليه

و سلم في الصحيح حين رأى سوادا أعظم فسأل فقيل له هذا موسى و أمته و قد قال صلى الله عليه و سلم إنه سيد الناس يوم القيامة و السيد لا يكاثر فإذا كان موسى بدعائه من أمة محمد في الدرجة ظاهره و باطنه مثل ما نحن زاد هو و أمته في سوادنا بلا شك و ما قال عليه السلام إني مكاثر بكم الأمم إلا في أمم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين اللذين دعا الله موسى أن يكونا له فكل من جمع بين الاسمين حشر معنا في أمته صلى الله عليه و سلم فيباهي موسى بأمته سائر الأنبياء الذين حشروا معنا فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر فأكبرهم أميرا أكثرهم جيشا و أكثرهم جيشا أعظمهم قدرا و حرمة عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا قال الترمذي إنه يكون في أمة محمد صلى الله عليه و سلم من هو أفضل من أبي بكر الصديق عند ما يرى أنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم من المسلمين فإنه معلوم أن عيسى عليه السلام أفضل من أبي بكر و هو من أمة محمد صلى الله عليه و سلم و متبعيه و إنما ذكرناه لكون الخصم يعلم أنه لا بد أن ينزل في هذه الأمة في آخر الزمان و يحكم بسنة محمد صلى الله ليه و سلم مثل ما حكم الخلفاء المهديون الراشدون فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يدخل بدخوله من أهل الكتاب في الإسلام خلق كثير أيضا

(السؤال السادس و الأربعون و مائة) إن لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم و قربهم إلى الله تعالى (الجواب) يريد ليسوا بأنبياء تشريع لكنهم أنبياء علم و سلوك اهتدوا فيه بهدى أنبياء التشريع و قد ذكرنا مقامهم و معنى النبوة و تفاصيلها في هذا الباب و في غيره من هذا الكتاب غير أنهم ليس لهم أتباع لوجهين الواحد لغنائهم في دعائهم إلى الله على بصيرة عن نفوسهم فلا تعرفهم الأتباع و هم المسودون الوجه في الدنيا و الآخرة من السؤدد عند الرسل و الأنبياء و الملائكة و من السواد لكونهم مجهولين عند الناس فلم يكونوا في الدنيا يعرفون و لا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة فهم أصحاب راحة عامة في ذلك اليوم و الوجه الآخر أنهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم أتباع فإذا كان في القيامة جاءت الأنبياء خائفة يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم لا على أنفسهم و جاء غير الأنبياء خائفين يحزنهم الفزع الأكبر على أنفسهم و جاءت هذه الطائفة مستريحة غير خائفة لا على نفوسهم و لا يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم إذ لم يكن لهم أمم و فيهم قال الله تعالى لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ أن يرتفع الحزن و الخوف فيه عنكم في حق أنفسكم و حق الأمم إذ لم تكن لكم أمة و لا تعرفتم لأمة مع انتفاع الأمة بكم ففي هذا الحال تغبطهم الأنبياء المتبوعون أولئك المهيمون في جلال الله العارفون الذين لم تفرض عليهم الدعوة إلى الله انتهى الجزء التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال السابع و الأربعون و مائة) ما تأويل قول بِسْمِ الله (الجواب) هو للعبد في التكوين بمنزلة كُنْ للحق فبه يتكون عن بعض الناس ما شاءوا قال الحلاج بِسْمِ الله من العبد بمنزلة كُنْ من الحق و لكن بعض العباد له كُنْ دون بِسْمِ الله و هم الأكابر جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك أنهم رأوا شخصا فلم يعرفوه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم كن أبا ذر فإذا هو أبو ذر و لم يقل بسم الله فكانت كن منه كن الإلهية فإنه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل كنت سمعه و بصره و لسانه الذي يتكلم به و قد شهد الله لمحمد صلى الله عليه و سلم بأن له نافلة بقوله تعالى وَمِن اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ به نافِلَةً لَكَ فلا بد أن يكون سمعه الحق و بصره الحق و كلامه الحق و لم يشهد بها لأحد من الخلق على التعيين فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله و فضلت له نوافل أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة و جعل علامتها أن يكون الحق سمعهم و بصرهم و يدهم و جميع قواهم و لهذا دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكون كله نورا فإن الله نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و لهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله و تقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء فاختلفت العبارات و توحد المعنى و نحن نرغب إلى الله و نضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبودتنا

(السؤال الثامن و الأربعون و مائة) قوله السلام عليك أيها النبي الجواب لما كانت الأنبياء بصفة تقتضي الاعتراض و التسليم شرع للمؤمن التسليم و من سلم لم يطلب على العلة في كل ما جاء به النبي و لا في مسألة من مسائله فإن جاء النبي بالعلة قبلها كما قبل المعلول و إن لم يجيء بها سلم فقال السلام عليك أيها النبي و قد بينا معناها في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد و إذا قال هذا النبي فالمسلم عليه منه هو الروح

(السؤال التاسع و الأربعون و مائة) قوله السلام علينا و على عباد الله الصالحين الجواب يريد التسليم علينا لنا إذ فينا ما يقتضيه الاعتراض منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا و لا نعترضه و لا سيما إذا رأينا أن الحكم الذي يقتضي الاعتراض صدر من الظاهر في هذا المظهر الذي هو عيني فنسلم و لا بد علينا و على عباد الله الصالحين للاشتراك في العطف أي لا يصح هذا العطف بعباد الله الصالحين إلا بأن يكون بتلك الصفة الصالحة و حينئذ يكون السلام علينا حقيقة و قد بينا أيضا هذا المعنى في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد قال تعالى فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً من عِنْدِ الله مُبارَكَةً طَيِّبَةً فقد أمرنا بالسلام علينا لنحظى بجميع المراتب في امتثال الأمر الإلهي و هذا يدلك على أن الإنسان ينبغي أن يكون في صلاته أجنبيا عن نفسه بربه حتى يصح له أن يسلم عليه بكلام ربه فإنه قال تَحِيَّةً من عِنْدِ الله مُبارَكَةً طَيِّبَةً فهو سلام الله على عبده و أنت ترجمانه إليك

(السؤال الخمسون و مائة) أهل بيتي أمان لأمتي الجواب قال صلى الله عليه و سلم سلمان منا أهل البيت فكل عبد له صفات سيده وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ فأضافه إليه صفة أي صفته العبودة و اسمه محمد و أحمد و أهل القرآن هم أهل الله فإنهم موصوفون بصفة الله و هو القرآن و القرآن أمان فإنه شفاء و رحمة و أمته صلى الله عليه و سلم من بعث إليهم و أهل بيته من كان موصوفا بصفته فسعد الطالح ببركة الصالح فدخل الكل في رحمة الله فانظر ما تحت هذه اللفظة من الرحمة الإلهية بأمة محمد صلى الله عليه و سلم و هذا معنى قوله تعالى وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و وصف النبي صلى الله عليه و سلم بالرحمة فقال بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ و ما من أحد من الأمة إلا و هو مؤمن بالله و قد بينا فيما تقدم من هذا الكتاب في باب سلمان منا أهل البيت فأغنى عن الكلام في أهل البيت طلبا للاختصار قال تعالى لما وصف و وصى أزواج النبي صلى الله عليه و سلم بقوله وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللهَ وَ رَسُولَهُ ثم أعلمهم أن ذلك كله بكونهن أزواجه صلى الله عليه و سلم حتى لا ينسبن إلى قبيح فيعود ذلك العار على بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فببركة أهل البيت و ما أراد الله به من التطهير بقوله إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ تفعل الأزواج ما أوصيناهن به وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً من دنس الأقوال المنسوبة إلى الفحش و هو الرجس فإن الرجس هو القذر فكان أهل البيت أمانا لأزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوقوع في المخالفات التي يعود عارها على أهل البيت فكذلك أمة محمد صلى الله عليه و سلم لو خلدت في النار لعاد العار و القدح في منصب النبي صلى الله عليه و سلم و لهذا يقول أهل النار ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ و هو من دخل النار من أمة محمد صلى الله عليه و سلم التي بعث إليها في مشارق الأرض و مغاربها فكما طهر الله بيت النبوة في الدنيا بما ذكره مما يليق بالدنيا كذلك الذي يليق بالآخرة إنما هو الخروج من النار فلا يبقى في النار موحد ممن بعث إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم بل و لا أحد ممن بعث إليه يبقى شقيا و لو بقي في النار فإنها ترجع عليه بَرْداً وَ سَلاماً من بركة أهل البيت في الآخرة فما أعظم بركة أهل البيت فإنه من حين بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم انطلق على جميع من في الأرض من الناس أمة محمد إلى يوم القيامة فالمؤمنون به منهم يحشرون معه و غير المؤمنين به يحشرون إليه و قد أعلم أنه ما أرسل إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و لم يقل للمؤمنين خاصة و قد قيل له لما دعا في الصلاة على رعل و ذكوان و عصية ما بعثك الله سبابا و لا لعانا أي طرادا أي لا تطرد عن رحمتي من بعثتك إليه و إن كان كافرا و إنما بعثتك رحمة و هو قوله وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً فإذا حشروا إليه و هم أمته و هو بهذه المثابة من الرحمة التي فطر عليها و الرحمة التي بعث بها فيرحم منهم من يقتضي ذلك الموطن أن يرحم فإنه حكيم و الذي لا يقتضي ذلك الموطن أن يرحمه يقول فيه سحقا سحقا أدبا مع الله حتى يتجلى الحق في صفة غير تلك الصفة مما يقتضي الإسعاف في الجميع فعند ذلك تظهر

بركته و رحمته صلى الله عليه و سلم فيمن بعث إليهم بما يرحمهم الله به و ينقلهم من النا ر إلى الجنان و من حال الشقاء إلى حال السعادة و إن كانوا مخلدين في النا ر فإن الحكم يقضي بحكم الموطن كرجل مقرب عند مليك رأى الملك في حال غضب على عبد من عبيده فلا ينبغي له في الأدب أن يشفع فيه في تلك الحال و لكن ينبغي له أن يقول أزيلوه من بين يدي الملك و اجعلوه في الحبس و قيدوه فإنه لا يصلح لشيء من الخير هذا العبد الآبق الكافر نعمة سيده كل ذلك بمرأى من سيده فإذا تجلى ذلك السيد في حال بسط و رضي و زال ذلك العبد إلى السجن و القيد و بعد عن الرحمة و إن كان في رحمة حينئذ يليق بهذا المقرب أن يقول للسيد يا مولانا فلان على كل حال هو عبدك و ما له راحم سواك و إلى من يلجأ إن طردته و من يوسع عليه إن ضيقت عليه و هو محسوب عليك و في هذا من العا ر بالحضرة أن يقال فيه أنه لم يحترم سيده إذا رىء معاقبا و الحضرة أجل من أن يقال عنها إنها لم تحترم فإذا عفوت عنه و ألحقته بالسعداء استتر الأمر و أنا يا مولاي أغا ر أن ينسب إلى هذه الحضرة ما يشينها و مثل هذا الكلام مع البسط الذي هو عليه السيد و اقتضى الموضع الشفاعة فيه فيأمر السيد بتبديل حال الشقاء عنه بحال السعادة و إن يخلع عليه خلع الرضي و إن بقي محبوسا فيصير له ذلك الدا ر و المنزل ملكا و يهبه له ربه ملكا و يرجع عذابه نعيما و هو أبلغ في القد رة هذا إن كانت تلك الدا ر سكناه أو يأمر بإخراجه إلى منا زل السعداء فهكذا الناس يوم القيامة في بركة أهل البيت ممن بعث إليه صلى الله عليه و سلم فما أسعد هذه الأمة فإن اعتبر الله البيت اعتبا ر الباطن إذ كان كل شرع متقدم شرع محمد صلى الله عليه و سلم بمنزلة طلوع الفجر إلى حين طلوع الشمس فكان ذلك الضوء و تزايده من الشمس فتكون أمة محمد صلى الله عليه و سلم من آدم إلى آخر إنسان يوجد فيكون الكل من أمة محمد صلى الله عليه و سلم فينال الكل بركة أهل البيت فيسعد الجميع ألا تراه يقول يوم القيامة أنا سيد الناس فلم يخص و لم يقل أنا سيد أمتي ثم إنه ما ذكر بعد هذه اللفظة إلا حديث الشفاعة فقال أتد رون بما ذاك و ذكر حديث الشفاعة يوم القيامة و هو معنى ما أشرنا إليه آنفا فإن فهمت ما أومأنا إليه فافعل ما شئت فقد غفر لك إنه واسِعُ الْمَغْفِرَةِ

(السؤال الحادي و الخمسون و مائة) قوله آل محمد الجواب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لكل نبي آل و عدة و آلي و دتي المؤمن و من أسمائه تعالى الْمُؤْمِنُ و هو العدة لكل شدة و الآل يعظم الأشخاص فعظم الشخص في السراب يسمى الآل فآل محمد هم العظماء بمحمد و محمد صلى الله عليه و سلم مثل السراب يعظم من يكون فيه و أنت تحسبه محمدا العظيم الشأن كما تحسب السراب ماء و هو ماء في رأى العين فإذا جئت محمدا صلى الله عليه و سلم لم تجد محمدا و وجدت الله في صورة محمدية و رأيته برؤية محمدية كما أنك إذا جئت إلى السراب لتجده كما أعطاك النظر فلم تجده في شيئيته ما أعطاك النظر و وجدت الله عنده أي عرفت أن معرفتك

بالله مثل معرفتك بالسراب أنه ماء فإذا به ليس ماء و تراه العين ماء فكذلك إذا قلت عرفت الله و تحققت بالمعرفة عرفت أنك ما عرفت الله فالعجز عن معرفته هي المعرفة به فما حصل بيدك إلا أنه لا يتحصل لأحد من خلقه و كل من استند إلى الله عظم في القلوب و عند العارفين بالله و عند العامة كما أنه من كان في السراب عظم شخصه في رأى العين و يسمى ذلك الشخص آلا و هو في نفسه على خلاف ما تراه العيون من التضاؤل تحت جلال الله و عظمته كذلك محمد يتضاءل تضاؤل السراب في جنب الله لوجود الله عنده فهذا إذا فهمت ما قلناه معنى آل محمد

(السؤال الثاني و الخمسون و مائة) أين خزائن الحجة من خزائن الكلام من خزائن علم التدبير الجواب في قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ بكل وجه فأوله تدبير و هي الخزائن العامة و هو قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ و في هذه الخزائن خزائن الكلام لأن خزائن علم التدبير تحوي على خزائن شتى منها خزائن الكلام و هي في قوله يُفَصِّلُ الْآياتِ بالكلام و في خزائن الكلام خزائن الحجة في مقابلة المعارض و هو الذي لا يعرف الله معرفة ذوق و هم أصحاب الأدلة العقلية فإنهم لا يقبلون ما جاءت به الشرائع من صفات الحق التي لو قالها غير النبي جهله العقلاء بأدلتهم و كفره المؤمنون و هو ما قال إلا ما قيل له فمتى ما لم يكن العلم ذوقا لم يخلص خاطر سامعه من الإنكار بقلبه من حيث عقله ثم خزائن الحجة خصوص في خزائن الكلام و هو القول المعجز و هو قول الحق و الصدق و كذا رأيته في الواقعة مثل القرآن فهو الحجة من الكلام فَأْتُوا بِسُورَةٍ من مِثْلِهِ و لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً لأنه أتى من خزائن الحجة و سائر الكتب و الصحف من خزائن الكلام و سائر المخلوقات من خزائن علم التدبير

(السؤال الثالث و الخمسون و مائة) أين خزائن علم الله من خزائن علم البدء الجواب في المساوقة الوجودية لأن الله لم يزل عالما بأنه الإله و أن الممكن مألوه و أن العدم للممكن نعت أزلي و أنه لم يزل مظهرا للحق فخزانة علم الله من علم البدء هو معرفة مرتبة الاسم الله من الاسم المبدئ كما يقال أين خزانة علم البديء من علم المعيد فإن الظرفية لا تخلوا إما أن تكون مكانية أو زمانية و لا مكان و لا زمان فإنهما هما اللذان يعطيان المقدار و أين كذا من كذا يطلب المقدار فغاية أن يقال في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني و هي مرتبة الواجب الوجود الذاتي كما نقول في الممكن إنه في مرتبة الوجوب الإمكانى الذاتي و العلم بهذا هو علم سر السر و هو الأخفى و هو العلم الذي انفرد به الحق دون ما سواه و لا يعلم هذا إلا بالتحلي بالحاء المهملة فإن قلت و ما التحلي قلنا الاتصاف بالأخلاق الإلهية المعبر عنها في الطريق بالتخلق بالأسماء و عندنا التحلي ظهور أوصاف العبودة دائما مع وجود التخلق بالأسماء فإن غاب عن هذا التحلي كان التخلق بالأسماء عليه وبالا قال تعالى كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ و تحلى العبد بأوصاف العبودة هو من تخلقه بالأخلاق

الإلهية و لكن أكثر الناس لا يعقلون فلو عرفوا معنى ما ورد في القرآن و السنة من وصف الحق سبحانه نفسه بما لا يقبله العقل إلا بالتأويل إلا نزه ما نفروا من ذلك إذا سمعوه من أمثالنا فإن العبودة أعني معقولها إن كان أمرا وجوديا فهو عينه فإن الوجود له و إنما الحق لما كانت أعيان الممكنات مظاهره عظم على العقول أن تنسب إلى الله ما نسبه لنفسه فلما ظهر المقام الذي وراء طور العقل بالنبوة و عملت الطائفة عليه بالإيمان أعطاهم الكشف ما أحاله العقل من حيث فكره و هو في نفس الأمر ليس على ما حكم به و هذا من خصائص التصوف فإن قلت و ما التصوف قلنا الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا و باطنا و هي مكارم الأخلاق و هو أن تعامل كل شيء بما يليق به مما يحمده منك و لا تقدر على هذا حتى تكون من أهل اليقظة فإن قلت و ما اليقظة حتى أكون من أهلها قلنا اليقظة الفهم عن الله في زجره فإذا فهمت عن الله انتبهت فإن قلت فما الانتباه قلنا هو زجر الحق عبده على طريق العناية و هذا لا يحصل إلا لأهل العبودة فإن قلت و ما العبودة قلنا نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه فإن انتسب إلى نفسه فتلك العبودية لا العبودة فالعبودة أتم حتى لا يحكم عليه مقام السواء فإن قلت و ما السواء قلنا بطون الحق في الخلق و بطون الخلق في الحق و هذا لا يكون إلا فيمن عرف أنه مظهر للحق فيكون عند ذلك باطنا للحق و بهذا وردت الفهوانية فإن قلت و ما الفهوانية قلنا خطاب الحق كافحة في عالم المثال و هو قوله صلى الله عليه و سلم في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه و من هناك تعلم الهو فإن قلت و ما الهو قلنا الغيب الذاتي الذي لا يصح شهوده فليس هو ظاهرا و لا مظهرا و هو المطلوب الذي أوضحه اللسن فإن قلت و ما اللسن قلنا ما يقع به الإفصاح الإلهي لآذان العارفين و هي كلمة الحضرة فإن قلت و ما كلمة الحضرة قلنا كن و لا يقال كن إلا لذي رؤية ليعلم من يقول له كن على الشهود فإن قلت و ما الرؤية قلنا المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة حيث كان و هو لأصحاب النعت فإن قلت و ما النعت قلنا ما طلب النسب العدمية كالأول و لا يعرفه إلا عبيد الصفة فإن قلت و ما الصفة قلنا ما طلب المعنى الوجودي كالعالم و العلم لأهل الحد فإن قلت و ما الحد قلنا الفصل بينك و بينه لتعرف من أنت فتعرف أنه هو فتلزم الأدب معه و هو يوم عيدك فإن قلت و ما العيد قلنا ما يعود عليك في قلبك من التجلي بعود الأعمال و هو قوله صلى الله عليه و سلم إن الله لا يمل حتى تملوا فطوبى لأهل القدم فإن قلت و ما القدم قلنا ما ثبت للعبد في علم الحق به قال تعالى أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ أي سابق عناية عند ربهم في علم الله و يتميز ذلك في الكرسي فإن قلت و ما الكرسي قلنا علم الأمر و النهي فإنه قد ورد في الخبر أن الكرسي موضع القدمين قدم الأمر و قدم النهي الذي قيده العرش فإن قلت و ما العرش قلنا مستوي الأسماء المقيدة و فيه ظهرت صورة المثل من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هذا هو المثل الثابت فإن قلت و ما المثل قلنا المخلوق على الصورة الإلهية الواردة في قوله صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و قال تعالى فيه إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و هو نائب الحق الظاهر

بصورته وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ أظهره النائب و مشهد هذا النائب حجاب العزة ليلا يغلط في نفسه فإن قلت و ما حجاب العزة قلنا العمي و الحيرة فإنه المانع من الوصول إلى علم الأمر على ما هو عليه في نفسه و لا يقف على حقيقة هذا الأمر إلا أهل المطلع فإن قلت و ما المطلع قلنا الناظر إلى الكون بعين الحق و من هنالك يعلم ما هو ملك الملك فإن قلت و ما هو ملك الملك قلنا هو الحق في مجازاة العبد على ما كان منه مما أمر به و ما لم يؤمر به و يختص بهذا الأمر عالم الملكوت فإن قلت و ما عالم الملكوت قلنا عالم المعاني و الغيب و الارتقاء إليه من عالم الملك فإن قلت و ما عالم الملك قلنا عالم الشهادة و الحرف و بينهما عالم البرزخ فإن قلت و ما عالم البرزخ قلنا عالم الخيال و يسميه بعض أهل الطريق عالم الجبروت و هكذا هو عندي و يقول فيه أبو طالب صاحب القوت عالم الجبروت هو العالم الذي أشهد العظمة و هم خواص عالم الملكوت و لهم الكمال فإن قلت و ما الكمال قلنا التنزه عن الصفات و آثارها و لا يعرفها إلا الساكن بأرين فإن قلت و ما أرين قلنا عبارة عن الاعتدال في قوله أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ فإن أرين موضع خط اعتدال الليل و النهار فاستعاروه و قد ذكره منهم عبد المنعم بن حسان الجلباني في مختصره غاية النجاة له و لقيته و سألته عن ذلك فقال فيه ما شرحناه به و صاحب هذا المقام هو صاحب الرداء فإن قلت و ما الرداء قلنا الظهور بصفات الحق في الكون فإن قلت و ما الكون قلنا كل أمر وجودي و هو خلاف الباطل فإن قلت و ما يريد أهل الله بالباطل قلنا العدم و يقابل الباطل الحق فإن قلت و ما الحق عندهم قلنا ما وجب على العبد القيام به من جانب الله و ما أوجبه الرب للعباد على نفسه إذ كان هو العالم و العلم فإن قلت و ما العالم و العلم قلنا العالم من أشهده الله الوهته و ذاته و لم يظهر عليه حال و العلم حاله و لكن بشرط أن يفرق بينه و بين المعرفة و العارف فإن قلت و ما المعرفة و العارف قلنا من مشهده الرب لا اسم الإلهي غيره فظهرت منه الأحوال و المعرفة حاله و هو من عالم الخلق كما أن العالم من عالم الأمر فإن قلت و ما عالم الخلق و الأمر و الله يقول أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ قلنا عالم الأمر ما وجد عن الله لا عند سبب حادث و عالم الخلق ما أوجده الله عند سبب حادث فالغيب فيه مستور فإن قلت و ما الغيب في اصطلاحكم قلنا الغيب ما ستره الحق عنك منك لا منه و لهذا يشار إليه فإن قلت و ما الإشارة قلنا الإشارة نداء على رأس البعد يكون في القرب مع حضور الغير و يكون مع البعد في العموم و الخصوص فإن قلت و ما العموم و الخصوص عندهم قلنا العموم ما يقع في الصفات من الاشتراك و الخصوص ما يقع به الانفراد و هو أحدية كل شيء و هو لب اللب فإن قلت و ما لب اللب قلنا مادة النور الإلهي يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ فلب اللب هو قوله نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ فإن قلت و ما اللب قلنا ماضين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالسوى و هو القشر فإن قلت و ما القشر قلنا كل علم يصون عين المحقق من الفساد لما يتجلى له من خلف حجاب الظل فإن قلت و ما الظن قلنا وجود الراحة خلف حجاب الضياء

فإن قلت و ما الضياء قلنا ما ترى به الأغيار بعين الحق فالظل من أثر الظلمة و الضياء من أثر النور و العين واحدة فإن قلت و ما الظلمة و النور اللذان عنهما الظل و الضياء قلنا النور كل وارد إلا هي ينفر الكون عن القلب و الظلمة قد يطلقونها على العلم بالذات فإنه لا يكشف معها غيرها و أكثر ما يعلم هذين أرباب الأجساد فإن قلت و ما الجسد قلنا كل روح أو معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السوي فإن قلت و ما السوي هنا قلنا الغير الذي يتعشق بالمنصات فإن قلت و ما المنصة قلنا مجلى الأعراس و هي تجليات روحانية إلية فإن قلت و ما الإل قلنا كل اسم إلهي أضيف إلى ملك أو روحاني مثل جبريل و ميكائيل أو عبدئل و بأيديهم الطبع و الختم فإن قلت و ما الطبع و الختم قلنا الختم علامة الحق على القلوب العارفين و الطبع ما سبق به العلم في حق كل مختص من الإلهيين فإن قلت و ما الإلهية قلنا كل اسم إلهي يضاف إلى البشر مثل عبد الله و عبد الرحمن و هم الخارجون عن الرعونة فإن قلت و ما الرعونة قلنا الوقوف مع الطبع بخلاف أهل الإنية فإنهم وافقون مع الحق فإن قلت و ما الإنية قلنا الحقيقة بطريق الإضافة و هم المعتكفون على اللوح المشاهدون للقلم الناظرون في النون المستمدون من الهوية القائلون بالأنانية الناطقون بالاتحاد لأجل الجرس فإن قلت و ما هذه الألفاظ التي ذكرتها قلنا أما اللوح فمحل التدوين و التسطير المؤجل إلى حد معلوم و أما الهوية فالحقيقية الغيبية و أما النون فعالم الإجمال و أما الإنابة فقولك بك و أما القلم فعلم التفصيل و أما الاتحاد فتصيير الذاتين ذاتا واحدة فأما عبد و إما رب و لا يكون إلا في العدد و في الطبيعة و هو حال و أما الجرس فإجمال الخطاب بضرب من القهر لقوة الوارد و هذا كله لا يناله إلا أهل النوالة فإن قلت و ما النوالة قلنا الخلع التي تخص الأفراد من الرجال و قد تكون الخلع مطلقا و مع هذا فهم في الحجاب فإن قلت و ما الحجاب قلنا ما ستر مطلوبك عن عينك إذا كان الحجاب مما يلي المخدع فإن قلت و ما المخدع قلنا موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين عند ما يخلع عليهم و هو خزانة الخلع و الخازن هو القطب قال محمد بن قائد الأواني رقيت حتى لم أر أمامي سوى قدم واحدة فغرت فقيل هي قدم نبيك فسكن جأشي و كان من الأفراد و تخيل أن ما فوقه إلا نبيه و لا تقدمه غيره و صدق رضي الله عنه فإنه ما شاهد سوى طريقه و طريقه فما سلك عليها غير نبيه و قيل له هل رأيت عبد القادر قال ما رأيت عبد القادر في الحضرة فقيل ذلك لعبد القادر قال صدق ابن قائد في قوله فإني كنت في المخدع و من عندي خرجت له النوالة و سماها بعينها فسئل ابن قائد عن النوالة ما صفتها فقال مثل ما قال عبد القادر فكان أحدهما من أهل الخلوة و الآخر من أهل الجلوة فإن قلت و ما الخلوة و الجلوة قلنا الجلوة خروج العبد من الخلوة بنعوت الحق فيحرق ما أدركه بصره و الخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا ملك و لا أحد و هناك يكون الصعق فإن قلت و ما الصعق قلنا الفناء عند التجلي الرباني و هو لأهل الرجاء لأهل الخوف فإن قلت و ما الرجاء و الخوف قلنا الرجاء الطمع في الآجل و الخوف ما

تحذر من المكروه في المستأنف و لهذا يجنح إلى التولي و هو رجوعك إليك منه بعد التلقي فإن قلت و ما التلقي قلنا أخذك ما يرد من الحق عليك عند الترقي فإن قلت و ما الترقي قلنا التنقل في الأحوال و المقامات و المعارف نفسا و قلبا و حقا طلبا للتداني فإن قلت و ما التداني قلنا معراج المقربين إلى التدلي فإن قلت و ما التدلي قلنا نزول الحق إليهم و نزولهم لمن هو دونهم بسكينة فإن قلت و ما السكينة قلنا ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب بالحرف فإن قلت و ما الحرف قلنا ما يخاطبك به الحق من العبارات مثل ما أنزل القرآن على سبعة أحرف و الحرف صورة في السبحة السوداء فإن قلت و ما السبحة قلنا الهباء الذي فتح فيه صور أجسام العالم المنفعل عن الزمردة الخضراء فإن قلت و ما الزمردة الخضراء قلنا النفس المنبعثة عن الدرة البيضاء فإن قلت و ما الدرة البيضاء قلنا العقل الأول صاحب علم السمسمة فإن قلت و ما السمسمة قلنا معرفة دقيقة في غاية الخفاء تدق عن العبارة و لا تدرك بالإشارة مع كونها ثمرة شجرة فإن قلت و ما هذه الشجرة قلنا الإنسان الكامل مدبر هيكل الغراب فإن قلت و ما الغراب قلنا الجسم الكل الذي ينظر إليه العقاب بوساطة الورقاء فإن قلت و ما العقاب قلنا الروح الإلهي الذي ينفخ الحق منه في الهياكل كأنها أرواحها المحركة لها و المسكنة و الورقاء النفس التي بين الطبيعة و العقل و دون الطبيعة هي العنقاء فإن قلت و ما العنقاء قلنا الهباء لا موجود و لا معدوم على أنها تتمثل في الواقعة فإن قلت و ما الواقعة قلنا ما يرد على القلب من العالم العلوي بأي طريق كان من خطاب أو مثال أو غير ذلك على يد الغوث فإن قلت و ما الغوث قلنا صاحب الزمان و واحدة و قد يكون ما يعطيه على يد الياس فإن قلت و ما الياس قلنا عبارة عن القبض و قد يكون ما يعطيه على يد الخضر فإن قلت و ما الخضر قلنا عبارة عن البسط و هذه العطايا من بحر الزوائد فإن قلت و ما الزوائد قلنا زيادات الايمان بالغيب و اليقين و لها رجال مخصوصون ذكرناهم في أول الباب فإنهم موقنون هم عشرة أشخاص لا يزيدون و لا ينقصون غير أنهم قد يكون منهم نساء يوجدهم الاسم و الرسم فإن قلت و ما الاسم و الرسم قلنا الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل و الاسم الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية عند الوصل فإن قلت و ما الوصل قلنا إدراك الفائت و هو أول الفتوح فإن قلت و ما الفتوح قلنا فتوح العبارة في الظاهر و فتوح الحلاوة في الباطن و فتوح المكاشفة لتصحيح المطالعة فإن قلت و ما المطالعة قلنا توقيعات الحق تعالى للعارفين ابتداء و عن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون و فيها أقول

خرج التوقيع لي بالأمان   و لتحاذر غائلات الأماني
ينقضي الدهر و لا شيء منها   حاصل قد ملكته اليدان
فاشتغل بي لا تخالط سواى   فسواي شأنه غير شأني

لا يغرنك عبدي المثاني فإنا الثاني و لست بثاني
يشتهي من ظل بي مستهاما أن يراني أو يرى من رآني
و أنا أقرب منه إليه فليزل عني حكم المكان
فيراني منه فيه بعيني أن عين الغير ليست تراني

و المطالعة لا تكون إلا لأهل الحرية فإن قلت و ما الحرية قلنا إقامة حقوق العبودية لله تعالى فهو حر عما سوى الله لأجل الغيرة الإلهية فإن الله غيور و من غيرته حرم الفواحش فإن قلت و ما الغيرة قلنا تطلق في الطريق بإزاء ثلاثة معان غيرة في الحق لتعدي الحدود و غيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار و السرائر و غيرة الحق ضنته على أوليائه و هم الضنائن أصحاب الهمم فإن قلت و ما الهمة قلنا تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى و بإزاء أول صدق المريد و بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام هذا عند أهل الغربة فإن قلت و ما الغربة قلنا مفارقة الوطن في طلب المقصود و غربة عن الحال من حقيقة النفوذ فيه و غربة عن الحق من الدهش عن المعرفة لحكم الاصطلام فإن قلت و ما الاصطلام قلنا نعت و له يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه حذر المكر فإن قلت و ما المكر قلنا إرداف النعم مع المخالفة و قد رأيناه في أشخاص و إبقاء الحال مع سوء الأدب و هو الغالب على أهل العراق و ما نجا منه في علمنا إلا أبو السعود بن الشبل سيد وقته و إظهار الآيات و الكرامات من غير أمر و لا حد و هي عندنا خرق عوائد لا كرامات إلا أن يقصد بها المتحدث التحدث بالنعم و لكن تمنع العارفين من مثل هذا الرهبة فإن قلت و ما الرهبة قلنا رهبة الظاهر لتحقيق الوعيد و رهبة الباطن لتقلب العلم و رهبة لتحقيق أمر السبق و لكن بعد سبق الرغبة فإن قلت و ما الرغبة قلنا رغبة النفس في الثواب و رغبة القلب في الحقيقة و رغبة السر في الحق و هو مقام التمكين فإن قلت و ما التمكين قلنا عندنا هو التمكن في التكوين و عند الجماعة حال أهل الوصول و عدلنا نحن فيه إلى ما قلناه لقوله تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و عدلت الجماعة إلى قوله تعالى إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا و هذه الآية أيضا تعضدنا فيما ذهبنا إليه فالتمكين في التلوين أولى فإن قلت فما التلوين قلنا تنقل العبد في أحواله و هو عند الأكثرين مقام ناقص و عندنا هو أكمل المقامات لأنه موضع التشبه بالمطلوب للإنسان و سببه الهجوم فإن قلت و ما الهجوم قلنا ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك عقيب البوادة فإن قلت و ما البوادة قلنا ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح أو موجب ترح و لكن مع كونها بواده لا بد أن يتقدمها لوامع فإن قلت و ما اللوامع قلنا ما ثبت من أنوار التجلي وقتين و قريب من ذلك بعد الطوالع فإن قلت و ما الطوالع قلنا أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار عند ما تحكم على الأسرار اللوائح

فإن قلت و ما اللوائح قلنا ما يلوح للاسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال هذا عند القوم و عندنا هي ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة السلب و هي من أحوال أهل المسامرة فإن قلت و ما السمر قلنا خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار و الغيوب نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و هو خصوص في المحادثة فإن قلت و ما المحادثة قلنا خطاب الحق للعارفين من عباده من عالم الملك كالنداء من الشجرة لموسى و هو فرع عن المشاهدة فإن قلت و ما المشاهدة قلنا رؤية الأشياء بدلائل التوحيد و تكون أيضا رؤية الحق في الأشياء و تكون أيضا حقيقة اليقين من غير شك و هي تتلو المكاشفة و قد قيل تتلوها المكاشفة فإن قلت و ما المكاشفة قلنا تحقيق الأمانة بالفهم و تحقيق زيادة الحال و تحقيق الإشارة التي تعطيها المحاضرة فإن قلت و ما المحاضرة قلنا حضور القلب بتواتر البرهان و عندنا مجاراة الأسماء بينها بما هي عليه من الحقائق في وقت التخلي فإن قلت و ما التخلي قلنا اختيار الخلوة و الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق طلب التجلي بالجيم فإن قلت و ما التجلي قلنا ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب بعد الستر فإن قلت و ما لستر قلنا كل ما سترك عن ما يغنيك و قيل هو غطاء الكون و قد يكون الوقوف مع العادات و قد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال ما لم يغلب سلطان المحق فناؤك في عينه بعد تحكم السحق فإن قلت و ما السحق قلنا تفرق تركيبك تحت القهر لأجل الزاجر فإن قلت و ما الزاجر قلنا واعظ الحق في قلب المؤمن و هو الداعي بحكم الزمان فإن قلت و ما الزمان قلنا السلطان فإنه قد يحول بينك و بين الذهاب فإن قلت و ما الذهاب قلنا غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه كان المحبوب ما كان قبل الفصل فإن قلت و ما الفصل قلنا فوت ما ترجوه من محبوبك و هو عندنا تميزك عنه بعد حال الاتحاد الذي هو نتيجة المجاهدة فإن قلت و ما المجاهدة قلنا حمل النفس على المشاق البدنية و مخالفة الهوى على كل حال و لكن لا يتمكن له مخالفة الهوى إلا بعد الرياضة فإن قلت و ما الرياضة قلنا رياضة الأدب و هو الخروج عن طبع النفس و رياضة الطلب و هي صحة المراد به و بالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية و ذلك عن علة فإن قلت و ما العلة قلنا تنبيه الحق لعبده بسبب و بغير سبب و هو من عين اللطف و تسميه أهل الطريق اللطيفة فإن قلت و ما اللطيفة قلنا كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة و هي المؤدية إلى التفريد و قد يطلقون اللطيفة على حقيقة الإنسان فإن قلت و ما التفريد قلنا وقوفك بالحق معك و من شرطه التجريد فإن قلت و ما لتجريد قلنا إماطة السوي و الكون عن القلب و السر من أجل حكم الفترة فإن قلت و ما الفترة قلنا خمود نار البداية المحرقة و هي حالة تشبه حالة الوقفة التي للواقفين فإن قلت و ما الوقفة قلنا الحبس بين المقامين مع العصمة من الوله فإن قلت و ما الوله قلنا إفراط الوجد بمشاهدة السر فإن قلت و ما السر قلنا سر العلم بإزاء حقيقة العالم به و سر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه و سر الحقيقة بإزاء ما يقع به الإشارة من الروح فإن قلت و ما الروح

قلنا الملقي إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص يتلقاه منه النفس فإن قلت و ما النفس قلنا ما كان معلوما من أوصاف العبد بحكم الشاهد فإن قلت و ما الشاهد قلنا ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد و هو على صورة ما يضبطه القلب من رؤية المشهود و على الشاهد يرد لوارد فإن قلت و ما الوارد قلنا ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل و كل ما يرد على القلب من كل اسم إلهي و هو الذي يعطي أحيانا حق اليقين فإن قلت و ما حق اليقين قلنا ما حصل من العلم بالعلة و لكن بعد عين اليقين فإن قلت و ما عين اليقين قلت ما أعطته المشاهدة و الكشف ابتداء و بعد علم اليقين فإن قلت و ما علم اليقين قلنا ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر فإن قلت و ما الخاطر قلنا ما يرد على القلب و الضمير من الخطاب ربانيا كان أو غير رباني و لكن من غير إقامة فإن أقام فهو حديث نفس فصاحبه مفتقر إلى النفس فإن قلت و ما النفس قلنا روح يسلطه الله على نار القلب ليطفئ شررها لأجل سلطان الحقيقة فإن قلت و ما الحقيقة قلنا سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ما من دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌۢ بِناصِيَتِها فكأنه حال البعد فإن قلت و ما البعد قلنا الإقامة على المخالفات و قد يكون البعد منك و تختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يعطيه قرائن الأحوال و كذلك القرب فإن قلت و ما القرب قلنا القيام بالطاعة و قد يطلق على حقيقة قاب قوسين و هو قدر الخط الذي يقسم قطري الدائرة فيشقها بقسمين و هو غاية القرب المشهود و لا يدركه إلا صاحب إثبات لا صاحب محو فإن قلت فما المحو و ما الإثبات قلنا الإثبات إقامة أحكام العبادات و إثبات المواصلات و أما المحو فرفع أوصاف العادة و إزالة العلة و هو أيضا ما ستره الحق و نفاه و عنه يكون الذوق فإن قلت و ما الذوق قلنا أول مبادي التجلي المؤدي إلى الشرب فإن قلت و ما الشرب قلنا الوسط من التجلي من مقام يستدعي الري و قد يكون من مقام لا يستدعي الري و قد يكون مزاج الشارب لا يقبل الري فإن قلت و ما الري قلنا غايات التجلي في كل مقام فإن كان المشروب خمرا أدى إلى السكر فإن قلت و ما السكر قلنا غيبة بوارد قوي مفرح يكون عنه صحو في الكبير فإن قلت فما الصحو قلنا رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي فإن قلت و ما الغيبة قلنا غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحضور فإن قلت و ما الحضور قلنا حضور القلب بالحق عند غيبته فيتصف بالفناء فإن قلت و ما الفناء قلنا فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك و هو شبه البقاء فإن قلت و ما البقاء قلنا رؤية العبد قيام الله على كل شيء من عين الفرق فإن قلت و ما الفرق قلنا إشارة إلى خلق بلا حق و قيل مشاهدة العبودة و هو نقيض الجمع فإن قلت و ما الجمع قلنا إشارة إلى حق بلا خلق و عليه يرد جمع الجمع فإن قلت و ما جمع الجمع قلنا الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال فإن قلت و ما الجمال قلنا نعوت الرحمة و الألطاف من الحضرة الإلهية باسمه الجميل و هو الجمال الذي له الجلال المشهود في العالم

فإن قلت و ما الجلال قلنا نعوت القهر من الحضرة الإلهية الذي يكون عنده الوجود فإن قلت و ما الوجود قلنا وجدان الحق في الوجد فإن قلت و ما الوجد قلنا ما يصادف القلب من الأحوال المغنية له عن شهوده و إن تقدمه التواجد فإن قلت و ما التواجد قلنا استدعاء الوجد و إظهار حالة الوجد من غير وجد لأنس يجده صاحبه فإن قلت و ما الأنس قلنا أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب و هو جلال الجمال فإنه لا يكون عنه الهيبة فإن قلت و ما الهيبة قلنا هي مشاهدة جمال الله في القلب و أكثر الطبقة يرون الأنس و البسط من الجمال و ليس كذلك فإن قلت و ما البسط قلنا هو عندنا من يسع الأشياء و لا يسعه شيء و قيل هو حال الرجاء و قيل هو وارد توجبه إشارة إلى قبول و رحمة و أنس و هو نقيض القبض فإن قلت و ما القبض قلنا حال الخوف في الوقت و وارد يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب و تأديب و قيل أخذ وارد الوقت و هاتان الحالتان قد توجدان لأهل المكان فإن قلت و ما المكان قلنا منزلة في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات و الأحوال و جازوها إلى المقام الذي فوق الجلال و الجمال فلا صفة لهم و لا نعت قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و لا صفة لي و اختلف أصحابنا في هذا القول هل هو شطح أو ليس بشطح فإن المكان اقتضاه له فإن قلت و ما الشطح قلنا عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة و دعوى و هي نادرة أن توجد من المحققين أهل الشريعة فإن قلت و ما الشريعة قلنا عبارة عن الأمر بالتزام العبودية الذي لا يكون معها عين التحكم فإن قلت و ما عين التحكم قلنا تحدي الولي بما يريده إظهارا لمرتبته لأمر يراه فيزعجه فإن قلت و ما الانزعاج قلنا أثر الواعظ الذي في قلب المؤمن و في أصحاب الأحوال التحرك للوجد و الأنس فإن قلت و ما الحال قلنا هو ما يرد على القلب من غير تعمل و لا اجتلاب و من شرطه أن يزول و يعقبه المثل بعد المثل إلى أن يصفو و قد لا يعقبه المثل و من هنا نشأ الخلاف بين الطائفة في دوام الأحوال فمن رأى تعاقب الأمثال و لم يعلم أنها أمثال قال بدوامه و اشتقه من الحلول و من لم يعقبه مثل قال بعدم دوامه و اشتقه من حال يحول إذا زال و أنشدوا في ذلك

لو لم تحل ما سميت حالا　　　و كل ما حال فقد زالا

و قد قيل الحال تغير الأوصاف على العبد فإذا استحكم و ثبت فهو المقام فإن قلت و ما المقام قلنا عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام و غاية صاحبه أن لا مقام و هو الأدب فإن قلت و ما الأدب قلنا وقتا يريدون به أدب الشريعة و وقتا أدب الخدمة و وقتا أدب الحق فأدب الشريعة الوقوف عند مراسمها و هي حدود الله و أدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها برؤية مجريها و أدب الحق أن تعرف ما لك و ما له و الأديب من كان بحكم الوقت أو من عرف وقته فإن قلت و ما الوقت قلنا ما أنت به من غير نظر إلى ماض

و لا إلى مستقبل هكذا حكم أهل الطريق فإن قلت و ما الطريق عندهم قلنا عبا رة عن مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها من عزائم و رخص في أماكنها فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة فإن كثيرا من أهل الطريق لا يقول بالرخص و هو غلط فإنه يفوته محبة الله في إتيانها فلا يكون له ذوق فيها فهو كمثل الذي يقضي و لا يتنفل دائما و هو غاية الخطاء بل المشروع أن يتطوع فإن نقصت فرائضه كملت له من تطوعه و هو النوافل و إن لم ينتقص منها شيئًا كانت له نوافل كما نواها و يحصل له ذوق محبة الله إياه من أجلها فقد أبطل شرع الله من لم تكن هذه حاله فإنه إن كانت فريضته تامة لم يجز قضاؤها فقد شرع ما لم يشرع له و لم يأذن به الله و أن الله ما يكتبها له نافلة فإنه ما نواها و قد أساء الأدب مع الله حيث سماها الله تطوعا و قال هذا قضاء فلا يحصل له ثمرة النوافل لأنها غير منوية و لا ورد في ذلك شرع أنه يكتب له ما نواه قضاء نافلة هذا هو الطريق الذي يكون فيه سفر القوم فإن قلت و ما السفر قلنا القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر بحق أو بنفس كيف كان يسمى مسافرا فإن قلت و ما المسافر قلنا هو الذي سافر بفكره في المعقولات و هو الاعتبا ر في الشرع فعبر من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى و هو العامل السالك فإن قلت و ما السالك قلنا هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه و هو العمل فكان له عينا قال ذو النون لقيت فاطمة النيسا بورية فما ذكرت لها مقاما إلا كان ذلك المقام لها حالا و قد يحصل هذا للمراد و المريد فإن قلت و ما المراد و ما المريد قلنا المراد عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمر له فجاوز الرسوم كلها و المقامات من غير مكابدة و أما المريد فهو المتجرد عن إرادته و قال أبو حامد هو الذي صح له الأسماء و دخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم و أما المريد عندنا فنطلقه على شخصين لحالين الواحد من سلك الطريق بمكابدة و مشاق و لم تصرفه تلك المشاق عن طريقه و الآخر من تنفذ إرادته في الأشياء و هذا هو المتحقق بالإرادة لا المراد فإن قلت و ما الإرادة قلنا لوعة في القلب يطلقونها و يريدون بها إرادة التمني و هي منه و إرادة الطبع و متعلقها الحظ النفسي و إرادة الحق و متعلقها الإخلاص و ذلك بحسب الهاجس فإن قلت و ما الهاجس قلنا الخاطر الأول و هو الخاطر الرباني الذي لا يخطئ أبدا و يسمونه السبب الأول و نقر الخاطر فهذا قد بينا لك ارتباط المقامات و المراتب بضرب من التناسب و تعلق بعضها ببعض و قليل من سلك في إيضاحها هذا المسلك و هذا مساق المسلسل في لغات العرب و هي طريقة غريبة أشا ر إليها إبراهيم بن أدهم و غيره رضي الله عنهم و بأن منها شرح ألفاظ اصطلاح القوم فحصل من ذلك منها فائدتان الواحدة معرفة ما اصطلحوا عليه و الثاني المناسبات التي بينهما و الله الموفق

(السؤال الرابع و الخمسون و مائة) ما تأويل أم الكتاب فإنه ادخرها من جميع الرسل له و لهذه الأمة الجواب الأم هي الجامعة و منه أم القرى و الرأس أم الجسد يقال أم رأسه لأنه مجموع القوي الحسية و المعنوية كلها التي للإنسان و كانت الفاتحة أما لجميع الكتب المنزلة و

هي القرآن العظيم أي المجموع العظيم الحاوي لكل شيء و كان محمد صلى الله عليه و سلم قد أوتي جوامع الكلم فشرعه تضمن جميع الشرائع و كان نبيا و آدم لم يخلق فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء عليهم السلام هم إرساله و نوابه في الأرض لغيبة جسمه و لو كان جسمه موجودا لما كان لأحد شرع معه و هو قوله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني و قال تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا و نحن المسلمون و علماؤنا الأنبياء و نحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها و شرعه أصلها و أرسل إلى الناس كافة و لم يكن ذلك لغيره و الناس من آدم إلى آخر إنسان و كانت فيهم الشرائع فهي شرائع محمد صلى الله عليه و سلم بأيدي نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له و لا حاكم إلا رجع إليه و اقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا لم يعطه أحد من نوابه و لا بد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث أنه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه و زيادة و أعطاه أم الكتاب فتضمنت جميع الصحف و الكتب و ظهر بها فينا مختصرة سبع آيات تحتوي على جميع الآيات كما كانت السبع الصفات الإلهية تتضمن جميع الأسماء الإلهية كلها و يرجع كل اسم إلهي إلى واحد منها بلا شك و قد فعل ذلك الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني في كتاب الجلي و الخفي له فرد جميع الأسماء إليها و ما وجد من الأسماء الإلهية لصفة الكلام إلا الاسم الشكور و الشاكر خاصة و باقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تتضمنها بلا شك فمنها ما ألحقه بالعلم و منها بالقدرة و سائر الصفات فكذلك أم الكتاب ألحق الله بها جميع الكتب و الصحف المنزلة على الأنبياء نواب محمد صلى الله عليه و سلم فادخرها له و لهذه الأمة ليتميز على الأنبياء بالتقدم و أنه الإمام الأكبر و أمته التي ظهر فيها خير أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ لظهوره بصورته فيهم و كذلك القرن الذي ظهر فيهم خير القرون لظهوره فيه بنفسه و قبل ذلك و بعده بشرعه فمن جمعية هذه الأمة أن جعل الله لأوليائها حظا في نعوت أهل البعد عن الله بطريق القربة فيقع الاشتراك في اللفظ و المعنى و يتغير المصرف كما قلنا في الحرص إنه مذموم فإذا حرصنا في طلب العلم و التقرب به إلى الله كان محمودا و هو بإطلاق اللفظ مذموم فإنه ما يستعمل مطلقا إلا في مذموم فإذا أريد به الحمد قيد فقيل حريص على الخير و هكذا الحسد يتعوذ منه مطلقا من غير تقييد فإنه بالإطلاق للذم و يستعمل في المحمود بالتقييد فلهذا جمع الله لأولياء هذه الأمة النظر في مثل هذا فحصلوا حظوظهم من أسماء الذم في الإطلاق حتى لا يفوتهم شيء إذ كانوا الجامعين للمقامات كلها فلهم في كل أمر شرب و حظ

إذا جاء نعت أي نعت فرضته ... لنا فيه حظ وافر ثم مشرب
سواء يكون النعت في ذم حالة ... و في حمدها فالكل للقوم مطلب

أ لست ترى أوصافه في نعوتنا و أوصافنا نعت له لا يكذب
له فرح في حالة و تبشش إلى ملل قد جاءنا و تعجب
و هزء نسيانه له و تردد و مكر و كيد كل ذاك مرتب
كما كان للعبد الجلال و مجده و عز و تعظيم لديه مرغب
و هذا من أوصاف الإله فدبروا كلامي الذي قد قلت فيه و طنبوا
كذلك نعتي الأولياء مدحتهم بما ذم عرفا في الأنام فنقبوا
فمن أنكر العلم الذي قد شرحته فليس هو الشخص العليم المقرب

فمنهم الحاسدون قال عليه السلام لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله علما فهو يبثه في الناس و رجل آتاه الله ما لا فهو ينفقه في سبيل البر فقام أهل النفوس الآبية التي تأبى الرذائل و تحب الفضائل و جماع الخير فقالوا لا ينبغي الحسد إلا في معالي الأمور و أعلى الأمور ما تعرف إلا بأربابها و رب الأرباب و ذو الصفات العلى و الأسماء الحسنى هو الله فيقال تتشبه به في التخلق بأسمائه ففعلوا و بالغوا و اجتهدوا إلى أن صاروا يقولون للشيء كن فيكون و ذلك أقصى المراتب التي تمدح الله بها فلولا الحسد ما تعمل القوم في تحصيل هذا المقام و منهم الساحرون السحر بالإطلاق صفة مذمومة و حظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف و هو علم الأولياء فيتعلمون ما أودع الله في الحروف و الأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة و الخيال فهو و إن كان مذموما بالإطلاق فهو محمود بالتقييد و هو من باب الكرامات و خرق العوائد و لكن لا يسمون سحرة مع أنه يشاهد منهم خرق العوائد فسمى ذلك في حقهم كرامة و هو عين السحر عند العلماء فقد كان سحرة موسى ما زال عنهم علم السحر مع كونهم آمنوا بِرَبِّ ها رُونَ وَ مُوسى و دخلوا في دين الله و آثروا الآخرة على الدنيا و رضوا بعذاب الله على يد فرعون مع كونهم يعلمون السحر و يسمى عندنا علم السيمياء مشتق من السمة و هي العلامة أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات من جمع حروف و تركيب أسماء و كلمات فمن الناس من يعطي ذلك كله في بسم الله وحده فيقوم له ذلك مقام جميع الأسماء كلها و تنزل من هذا العبد منزلة كن و هي آية من فاتحة الكتاب و من هناك تفعل لا من بسملة سائر السور و ما عند أكثر الناس من ذلك خبر و البسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق هي بسملة الفاتحة و أما بسملة سائر السور فهي لأمور خاصة و قد لقينا فاطمة بنت مثنى و كانت من أكابر الصالحين تتصرف في العالم و يظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب خاصة كل شيء رأيت ذلك منها و كانت تتخيل أن تلك يعرفه كل أحد و

كانت تقول لي العجب ممن يعتاص عليه شيء و عنده فاتحة الكتاب لأي شيء لا يقرءوها فيكون له ما يريد ما هذا إلا حرمان بين و خدمتها و انتفعت بها و منهم الكافرون و هم الساترون مقامهم مثل الملامية و الكفار الزراعون لأنهم يسترون البذر في الأرض و ذلك أن أهل الأنس و الجمال و الرحمة إذا نظروا في القرآن و في الأشياء كلها لم تقع عينهم إلا على حسن و جمال لا على غير ذلك كان ذلك ما كان و إذا قرءوا القرآن لم يقم لهم من صور الممقوتين إلا ما تتضمنه من مصارف الحسن فعلى ذلك تقع أعينهم و ذلك يشهدهم الحق من تلك الآية التي وصف الله بها من مقته من عباده لقيام تلك الصفة به على حد مطلقها فيأخذون من كل صفة ما يليق بهم في طريقهم فيصرفون ذلك إليهم بالوجه الأحسن فيتنعمون بما هو عذاب عند غيرهم و الصورة واحدة و المتصور مختلف منها لاختلاف الناظرين فلكل منظر عين تخصه فالكافر من ختم الله عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً و الكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذه بيته فقال ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي و الله غيور فلا يريد أن يزاحمه أحد من خلقه فيه كما ختم الحرم فلم يحل لأحد قتل صيده و لا قطع شجره فإن الله لا ينظر إلا إلى قلب العبد فلما ختم الله على قلب هذا العبد لم يدخل في قلبه سوى ربه و ختم على سمعه فلا يصغي إلى كلام أحد إلا إلى كلام ربه ف هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ و عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً و هي غطاء العناية فلا ينظرون إلى شيء إلا و لهم فيه آية تدل على الله فكان هذا الحفظ غشاوة تحول بين أعينهم و بين النظر من غير دلالة و لا اعتبار و حالت بينهم و بين ما لا ينبغي أن ينظر إليه فهي غشاوة محمودة وَلَهُمْ عَذابٌ من العذوبة عَظِيمٌ يعني عظيم القدر فإن العذاب إنما سماه الله بهذا الاسم إيثارا للمؤمن فإنه يستعذب ما يقوم بأعداء الله من الآلام فهو عذاب بالنظر إلى هؤلاء و منهم الصم البكم العمي الذين لا يَعْقِلُونَ و لا يَرْجِعُونَ فهم صُمٌّ عن سماع ما لا يحل سماعه و عن سماع كل كلام غير كلام سيدهم بُكْمٌ أي خرس فلا يتكلمون بما لا يرضى سيدهم كما كان أولئك بكم عن الكلام بذكر الله فاختلف المصرف و صح الوصف عُمْيٌ فلا تقع عينهم على غير الله فاعلا في الأشياء و كل واحد من الأولياء على قدر مقامه في ذلك من المعرفة بالله فإنهم تختلف مأخذهم في المحمود من ذلك و لا يتسع الوقت لتفصيل ذلك و حصلت الفائدة بالتنبيه على اليسير من ذلك فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ إلا إلى الله و لا يَعْقِلُونَ إلا عن الله لا يرجعون إلى المصارف المذمومة من هذه الصفات حيث وصف بها الأشقياء من عباده فهم لا يعقلون من هذه الصفات سوى ما يحمد منها في صرفه فهي كل صفة بحقيقتها في كل موصوف بها و اختلفوا في المصرف فلم يكن اتصافهم بها مجازا بل هو حقيقة و منهم الظالمون قال تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا من عِبادِنا و المصطفى هو الولي ثم قال في المصطفين فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ و هو أن يمنعها حقها من أجلها أي الحق الذي لك يا نفسي علي في الدنيا يؤخره لك إلى الآخرة و بادر هنا إلى الكد و الاجتهاد و خذ بالعزائم و اجتنب الميل إلى الرخص و هذا

كله حق لها فهو ظالم لنفسه نفسه من أجل نفسه و لهذا قال فيمن اصطفاه فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ أي من أجل نفسه ليسعدها فما ظلمها إلا لها و منهم الساهون و هم الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ بصلاة الله بهم فهم يرون أن نواصيهم بيد الله يقيمهم فيها و يركع بهم و يسجد بهم و يقرأ بهم و يكبر بهم و يسلم بهم لأنه سمعهم و بصرهم و لسانهم و يدهم و رجلهم كما ورد في الخبر و من كان هذا مشهده و حاله فهو عن صلاته ساه فإنه لم يقل عن الصلاة فإنه ليس بساه عن الصلاة و إنما سهوهم عن إضافة الصلاة إليهم فلهذا اعتبروا قوله عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ و الويل الذي لهم إنما هو بالنظر لمن جمع في نظره بين صلاته و صلاة الله به فإنه الأكمل فإذا قست بين الرجلين في هذين المقامين الكبيرين نقص أحدهما ما كان خيرا في حق الآخر الجامع لهما فيكون ذلك النقص ويلا له بالإضافة حسنات الأبرار سيئات المقربين و جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها و منهم المراؤون الذين يُراؤُنَ النَّاسَ و هم الذين يفعلون الفعل ليقتدي بهم فيه علماء هذه الأمة يعلمون الناس بالفعل يقصدون تعليمهم إذ كان الفعل أتم عند الرأي من القول كما قال عليه السلام صلوا كما رأيتموني أصلي مع كونه وصف الصلاة لهم و مع هذا كله صلى على المنبر ليراه الناس فيقتدوا به و هكذا في كل ما يمكن من الأعمال هذا حظ الأولياء من الرياء في الأفعال المقربة إلى الله و منهم المانعون الماعون و حظهم من هؤلاء أن يحجبوا الناس عن رؤية الأسباب ليصرفوا نظرهم إلى مسببها فلا معين إلا الله قيل لهم قولوا وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لا بالماعون و منهم الهمازون اللمازون و هم العيابون و أولياء الله يطلعون كل شخص على عيوب النفس إذ كان لا يشعر كل أحد بذلك فإذا أخذ العارف يصف عيوب النفوس في حق كل طائفة من أصحاب المراتب كالسلطان و ما يتعلق بمرتبته من العيوب و القاضي و جميع الولاة و عيوب نفوس الزهاد و الصالحين و العوام فيعرف كل طائفة عيبها بعد ما كان مستورا عنها هذا حظهم من الهمز و اللمز و منهم الفاسقون الناقضون القاطعون المفسدون الفاسقون الخارجون عن الصفات التي تحول بينهم و بين السعادة و القربة إلى الله فهم يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ و ذلك أنهم يعهدون مع الله أن يطيعوه فإذا حصلوا في مقام التقريب و الكشف رأوا أن الله هو العامل بهم وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ فرأوا أنهم لا حول لهم و لا فعل و لا قول فنقضوا عهد الله برده إليه سبحانه لأنه ما انعقد ذلك إلا مع فاعل يفعله و رأوا مشاهدة أن الله هو الفاعل لذلك فلم يقع العهد في نفس الأمر إلا من الله بين الله و بين نفسه فعلموا أن الحجاب أعماهم عن هذا الإدراك في حين أخذ العهد و أن العهد إنما يلزم لأهل الحجاب فانتقض عهدهم و الأعمال تجري منهم بالله و هم لا يرونها فهم المعصومون في أعمالهم عن إضافتها إليهم و كذلك في قطعهم ما أمرهم الله أن يصلوه من أرحامهم فقال عليه السلام الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله فوصلوها بالرحمن و ردوا القطعة إلى موضعها فشاهدوا الرحمن يمن عليهم و خرج هؤلاء من الوسط و امتثلوا قول الشارع بصلة الرحم فأخذها الناس على صلة القرابة بالمال و يأخذ هؤلاء على صلة القربى إلى الله فهم يدلون

أرحامهم على أصلهم و هو الرحمن و يرون في إعطائهم الصلات يد الله معطية و يد الله آخذة فإنها شجنة من الرحمن فالعطاء منه و الأخذ منه فانقطع هؤلاء عن صلة الرحم بالمال لأنهم لا يد لهم مع غاية الإحسان في الشاهد و الناس لا يشعرون و كذلك قوله وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ و فساد دنياهم هو فسادهم في الأرض لأن الجنة في السماء و في هذا الفساد صلاح آخرتهم في السماء فيصومون و يسهرون و يحملون الأثقال الشاقة و هذا كله من فساد أرض أجسامهم لما طرأ عليها من النحول و الذبول و الضعف و هذا كله وصف أهل الشقاء في الكتاب فقال فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ثم وصفهم الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ و منهم الضالون و هم التائهون الحائرون في جلال الله و عظمته كلما أرادوا أن يسكنوا فتح لهم من العلم به ما حيرهم و أقلقهم فلا يزالون حيارى لا ينضبط لهم منه ما يسكنون عنده بل عقولهم حائرة فهؤلاء هم الضالون الذين حيرهم التجلي في الصور المختلفة و منهم المضلون قال تعالى وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً و هو في الاعتبار الذين أظهروا لأتباعهم من المتعلمين طريق الحيرة في الله و العجز عن معرفته و أنه بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ مع كونه خاطب عباده بالعمل و هو العامل بهم لا هم فلما نبهوا الناس على ما يقتضيه جلال الله من الإطلاق و عدم التقييد كانوا مضلين أي محيرين من أجل ما حيروا الخلق في جلال الله فقال تعالى ما جعلناهم محيرين عضدا يعتضد بهم في تحييرهم بل أنا محيرهم على الحقيقة لا هم مع كونهم لهم أجر ما قصدوه و الدليل على أني محيرهم لا هم و لا اتخذتهم عضدا أن من الناس من يقبل منهم و من الناس من لا يقبل و لو كان الأمر بأيديهم لأثروا في الكل القبول فلما كان الأمر بيدي لا بأيديهم جعلت القبول في البعض دون البعض فقبلوا الحيرة في فإنا كنت محيرهم لا هم فعلى هذا يعتبر قوله وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً بل لنا جرهم على ذلك و منهم الكاذبون و هم الذين يقولون صلينا و سمعنا و أطعنا و قيل لهم يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا و غير ذلك مما يدعونه من أعمال البر المأمور بها شرعا و هم يعلمون أن الأمور بيد الله و أنه لولا ما أجرى الله العمل على أيديهم ما ظهر و لولا أن الله قال لهذا العمل كن في هذا المحل ما كان و هم مع ذلك يضيفونه إلى أنفسهم فهم كاذبون من هذا الوجه و هكذا يسرى في سائر الأعمال و منهم المكذبون و هي الطائفة التي ترى هؤلاء المدعين في أعمالهم ممن يراها أنها أعمالنا و ممن يراها أنها من الله و لكن يدعونها و هم كاذبون فتكذبهم هذه الطائفة في دعواهم و إضافتهم ذلك إليهم فيقال فيهم مكذبون و الكامل من يضيف الأعمال على حد ما أضافها الحق و يزيلها عن الإضافة على حد ما أزالها الحق من علمه بالمواطن فمن نقص عن هذا النظر و كذب المدعين في كل حال فقد نقصه هذا الأدب مع كونه جليل القدر فهذا النقص يعبر عنه بالويل في حقه الذي في العموم للمكذبين فإنه يقول يوم القيامة إذا رأى ما فاته في تكذيبه من المواطن التي كان ينبغي له أن يقرر فيها إضافة العمل إليهم فلم يفعل يا ويلنا لم لم أحقق النظر في ذلك حتى أفوز بعلم الأدب

الذي هو جماع الخير فيدخل تحت عموم قوله فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أي يقولون يا وَيْلَتى و يا حَسْرَتى و إن كانوا سعداء فإنه يَوْمُ التَّغابُنِ و منهم الفجار فإنهم في سجين من السجن و هم الذين حبسوا نفوسهم و سجنوها عن التصرف فيما منعوا من التصرف فيه و لا يقع التفجير إلا في محبوس عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً فهم الفجار جاءوا عيون المعارف التي سدها الله في العموم لكون الفطر أكثرها لا تسعد بتفجيرها لما يؤدي إليه بالنظر الفاسد من الإباحة و القول بالحلول و غير ذلك مما يشقيهم فجاءت هذه الطائفة إلى المعنى ففجرت هذه العيون لأنفسها فشربت من مائها فزادت هدى إلى هداها و بيانا إلى بيانها فسعدت و طالت و عظمت سعادتها فهذا حظ الأولياء من الفجور الذي سموا به فجار أو على هذا الأسلوب نأخذ كل صفة مذمومة بالإطلاق فتقيدها فتكون محمودة و نضع عليك اسما منها كما يسمى صاحب إطلاقها فلتتبع الكتاب العزيز و السنة في ذلك و اعمل بحسبها فإنه يعطيك النظر فيها من حيث ما وصف بها الأشقياء ما لا يعطيك من حيث ما وصف بنقيضها الأتقياء فاجعل بالك و هذا كله من بركة أم الكتاب فإنه مثل هذا النظر ما فتح لأمة من الأمم و عصمت فيه إلا لهذه الأمة و أعظم صفة في الذم الشرك و منهم المشركون بالله قال تعالى إِنَّ اللّٰهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ و كذا هو لأنه لو ستر لم يشرك به و هذا الاسم الله هو الذي وقع عليه الشرك فيما يتضمنه فشاركه الاسم الرحمن قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فجعل للاسم الله شريكا في المعنى و هو الاسم الرحمن فالمشركون هم الذين وقعوا على الشركة في الأسماء الإلهية لأنها اشتركت في الدلالة على الذات و تميزت بأعيانها بما تدل عليه من رحمة و مغفرة و انتقام و حياة و علم و غير ذلك و إذ كان للشرك مثل هذا الوجه فقد قرب عليك مأخذ كل صفة يمكن أن تغفر فلا تجزع من أجل الشريك الذي شقي صاحبه فإن ذلك ليس بمشرك حقيقة و أنت هو المشرك على الحقيقة لأنه من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيه فيكون لكل واحد الحكم فيه على السواء و إلا فليس بشريك مطلق و هذا الشريك الذي أثبته الشقي لم يتوارد مع الله على أمر يقع فيه الاشتراك فليس بمشرك على الحقيقة بخلاف السعيد فإنه أشرك الاسم الرحمن بالاسم الله و بالأسماء كلها في الدلالة على الذات فهو أقوى في الشرك من هذا فإن الأول شريك دعوى كاذبة و هذا أثبت شريكا بدعوى صادقة فغفر لهذا المشرك بصدقه فيه و لم يغفر لذلك المشرك لكذبه في دعواه فهذا أولى باسم المشرك من الآخر

(السؤال الخامس و الخمسون و مائة) ما معنى المغفرة التي لنبينا و قد بشر النبيين بالمغفرة الجواب الغفر الستر فستر عن الأنبياء عليهم السلام في الدنيا كونهم نوابا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و كشف لهم عن ذلك في الآخرة إذ قال أنا سيد الناس يوم القيامة فيشفع فيهم صلى الله عليه و سلم أن يشفعوا فإن شفاعته صلى الله عليه و سلم في كل مشفوع فيه بحسب ما يقتضيه حاله من وجوه

الشفاعة فبشر النبيين بالمغفرة الخاصة و بشر محمدا صلى الله عليه و سلم بالمغفرة العامة و قد ثبتت عصمته فليس له ذنب يغفر فلم يبق إضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب و القصد أمته كما قيل إياك أعني فاسمعي يا جارة و كما قيل له فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ و معلوم أنه ليس في شك فالمقصود من هو في شك من الأمة و كذلك لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و قد علم أنه لا يشرك فالمقصود من أشرك فهذه صفته فكذلك قيل له لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ و هو معصوم من الذنوب فهو المخاطب بالمغفرة و المقصود من تقدم من آدم إلى زمانه و ما تأخر من الأمة من زمانه إلى يوم القيامة فإن الكل أمته فإنه ما من أمة إلا و هي تحت شرع من الله و قد قررنا إن ذلك هو شرع محمد صلى الله عليه و سلم من اسمه الباطن حيث كان نبيا و آدم بين الماء و الطين و هو سيد النبيين و المرسلين فإنه سيد الناس و هم من الناس و قد تقدم تقرير هذا كله فبشر الله محمدا صلى الله عليه و سلم بقوله لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ بعموم رسالته إلى الناس كافة و كذلك قال إنا أرسلناك إلى الناس كافة و ما يلزم الناس رؤية شخصه فكما وجه في زمان ظهور جسمه رسوله عليا و معاذا إلى اليمن لتبليغ الدعوة كذلك وجه الرسل و الأنبياء إلى أممهم من حين كان نبيا و آدم بين الماء و الطين فدعا الكل إلى الله فالناس أمته من آدم إلى يوم القيامة فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس و ما تأخر منهم فكان هو المخاطب و المقصود الناس فيغفر الله للكل و يسعدهم و هو اللائق بعموم رحمته التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و بعموم مرتبة محمد صلى الله عليه و سلم حيث بعث إلى الناس كافة بالنص و لم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة و لا إلى أهل هذا الزمان إلى يوم القيامة خاصة و إنما أخبره أنه مرسل إلى الناس كافة و الناس من آدم إلى يوم القيامة فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدم من ذنب و ما تأخر وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ لكن ثم مغفرة في الدنيا و ثم مغفرة في القبر و ثم مغفرة في الحشر و ثم مغفرة في النار بخروج منها و بغير خروج لكن يستر عن العذاب أن يصل إليه بما يجعل له من النعيم في النار مما يستعذ به فهو عذاب بلا ألم و قد انتهت سؤالاته رضي الله عنه و انتهى ما ذكرناه من الأجوبة عليها من غير استيفاء و ما تركناه من ذلك في الجواب أكثر مما أوردنا بما لا يتقارب فإن الاختصار أولى من الإكثار إذ باب النطق و الإبانة عن حقائق الأمور لا يتناهى فإن علم الله أوسع فتعليمه لنا لا يقف عند حد و الله الموفق لا رب غيره انتهى الجزء الحادي و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع و السبعون في التوبة شعر)

الاعتراف متاب كل محقق و به الإله الحق يشرح صدره

رضي الإله عن المخالف مثل ما رضي الإله عن الموافق أمره

لا سيما إن كنت تعرف سره ما ذا كثير أن ينال مناله

ما ناله إن كنت تجهل قدره من عين منته ينال مخالف

اعلم أيدنا الله و إياك أن الله يقول وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فأمر بالتوبة عباده ثم لقنهم الحجة لو خالفوا أمره فقال تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ليقولوا إذا سألوا ذلك أي لو تبت علينا لتبنا مثل قوله تعالى ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ليقول كرمك فهذا من باب تعليم الخصم الحجة خصمه ليحاجه بذلك إذا كان محبوبا و جاء بلفظة الإنسان بالألف و اللام و الإغرار ليعم جميع الناس فهذا مما يدلك على إن إرادة الحق بهم السعادة في المال و لو نالهم ما نالهم مما يناقضها غير أن توبة الله مقرونة بعلي لأن من أسمائه الاسم العلي و توبة الخلق مقرونة بإلى لأنه المطلوب بالتوبة فهو غايتها و اجتمع الحق و الخلق في من من التوبة فهم رجعوا إليه من أنفسهم و العارفون رجعوا إليه منه و العلماء بالله رجعوا إليه من رجوعهم إليه و أما العامة فإنها رجعت من المخالفات إلى الموافقة و الحق عز و جل رجع إليهم من كناية إن يخذلكم ليرجعوا إليه بحسب ما تقتضيه مقاماتهم التي فصلناها آنفا فرجوع الحق عليهم ليرجعوا إليه مثل قوله يحبهم و يحبونه فرجوعه عليهم رجوع عناية محبة أزلية ليتوبوا فإذا تابوا أحبهم حب من رجع إليه فهو حب جزاء قال تعالى إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ فهذا الحب منه ما هو الأول و للعبد حب آخر زائد على قوله وَيُحِبُّونَهُ و هو أنه قال صلى الله عليه و سلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فهذا حب جزاء المنعم لما أنعم به عليهم فهذا الحب منهم في مقابلة إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ حب جزاء لحب جزاء و الأول حب عناية منه ابتداء و حبهم إياه حب إيثار لجنابه لا حب آلاء و نعم فالتوبة منهم عن محبة منتجة لمحبة أخرى منه فهي بين محبتين متعلقتين بهم من الله كتوبته عليهم عن محبة منهم تنتج محبة أخرى منهم فتوبته عليهم بين محبتين أيضا و هذا من باب خلق الله آدم على صورته أي جميع ما تقبله الحضرة الإلهية من الصفات يقبلها الإنسان الصغير و الكبير و حدها ترك الزلة في الحال و الندم على ما فات و العزم على أنه لا يعود لما رجع عنه و يفعل الله بعد ذلك ما يريد فأما ترك الزلة في الحال فلا بد منه لأن سلطان وقته الحياء و الحياء يحول بسلطانه بين من قام به و بين تعدى حدود الله و من أسماء الله تعالى المذكور في السنة الحي و أن الله يستحيي يوم القيامة من ذي الشيبة فحياء الله من العبد إنه قد أعلمه أنه سبحانه لا يتوبون إليه حتى يتوب عليهم فإذا وقف المخذول الذي لم يتب الله عليه فلم يتب إليه و كان في حال وقوفه بين يديه يوم القيامة ذاكرا في نفسه هذه الآية ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا استحيا الله منه أن يؤاخذه بذنب كما إن العبد يستحيي من الله في حال توبته إلى الله أن يقع منه زلة و هو في هذا الحال فإنه ليس بتائب في تلك الحال و نحن تكلمنا في التائب فالحياء له لازم و الحياء يقتضي ترك

الزلة في الحال و من ترك الزلة في الحال للتائب إذا كان عارفا هو ترك نسبتها إلى ربه فينسبها إلى نفسه أدبا مع الله و في نفس الأمر الفعل فعل الله و القدر من الله و الحكم بكونها معصية و زلة حكم الله و مع هذا فالأدب يقول له انسبها إلى نفسك لما تعلق بها لسان الذم و لهذا قال في حد النفس كل خاطر مذموم و الأصل فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا و من العلماء بالله من يكون ترك الزلة في الحال عندهم أن لا يشهدوا أنها زلة و هو عين قضاء الله فيها لأنه الذي حكم أنها زلة و من حيث إنها فعل من أفعال الله فهي في غاية الحسن و الجمال و إنما سميت زلة من زل إذا زلق أي زلت من نسبة كونها من أفعال الله إلى حكم الله فيها بالذم فحكم الله فيها بالزلل عن هذه المرتبة فاعلم و من العلماء بالله من يكون ترك الزلة في حقه أن يشهد الزلة في ذلك الفعل من كونها زلة لا من كونها فعلا يتعلق به الذم أو الحمد فيشهد نسبتها للعبد التي بها سميت زلة ثم يتبعها الذم و إن كان كل فعل إلهي نسب إلى العبد من هذا الباب فجميع الأفعال الكونية كلها زلل محمودها و مذمومها و من الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه شغله برجوعه إلى ربه و الذلة رجوعه عن ربه فهو في النقيض و من هو في النقيض بالحال لا يكون في نقيضه فبالضرورة لا يكون له في هذه الحال زلة و من الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه هو شغله بشهوده رجوع الحق عليه ليرجع إليه ليفرق ما بين رجوعه عليه ليرجع إليه و بين رجوع آخر لا ليرجع إليه ليميز بين الرجوعين ليقيم على نفسه ميزان ما يجب عليه في ذلك من الله من عمل من الأعمال من ذكر بلسان أو قلب أو عمل بجارحة أو المجموع أو بعض المجموع و من كان بهذه المثابة من الشغل فلا تقوم به زلة في الحال و من الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه أن يشهد رجوع الحق إليه لا ليميز و لا ليرجع إليه بل ليعلم حقيقة معنى الرجوع الإلهي لما ذا ينسبه هل إلى الذات أو لاسم إلهي و ما سبب ذلك الرجوع هل هو ذاتي أو غير ذاتي أو لا نسبة له إلى الذات فهذه الوجوه و أمثالها مما يطلبه ترك الزلة في الحال و أما الركن الثاني و هو الندم على ما فات و هو عند الفقهاء الركن الأعظم بمنزلة قوله الحج عرفة لأنه الركن الأعظم و هنا تتشعب أمور كثيرة في التائبين ميم الندم منقلبة عن باء مثل لازم و لازب و هو أثر حزنه على ما فاته يسمى ندما و الندب الأثر فقلبت ميما و جعلت لأثر الحزن خاصة و أما تعلقه بالفوات فمن أصحابنا من رأى أنه تضييع للوقت فإنه ما فات لا يسترجع و من أصحابنا من يرى أنه صاحب الوقت و أن فائدته أن يجبر له ما مضى و يحتج بقوله إِلَّا من تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ و من أصحابنا من يرى أنه لا يندم إلا بإحضاره في نفسه ذنبه الحائل بينه و بين ما فاته من طاعة أمر ربه عز و جل و ذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فينبغي له أن ينسى ذنبه و هو خلاف الأول فإنه قال التوبة أن لا تنسى ذنبك و الكلام فيما فاته فمنهم من يندم على ما فاته من الاستغفار في عقب كل ذنب و منهم من يرى الندم على ما فاته من الوقت و من الناس من يرى الندم على ما فاته من الطاعة في وقت المخالفة و من الناس من يرى الندم على ما فاته من

فعل الكبائر في وقت المخالفة لأنه يشاهد التبديل كل سيئة بما يوازنها من الحسنات كقتل نفس بإحياء نفس و ذم بمحمدة و صدقة بغصب أو سرقة أو خيانة و من الناس من يرى الندم على ما فاته من الحضور مع الله في قضائه بالمعصية في حال المعصية و من الناس من يرى الندم على ما فاته من إضافة ذلك الفعل إلى الفاعل في حال الفعل و هو نور عظيم شعشعاني حجابه أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فقرن به السوء لما أضافه إليه فرآه حسنا و لا بد من حضرة وجودية هي التي أوجبت له الحسن الذي رآه محل الفعل إذ العدم لا يراه الممكن و ما ثم حسن إلا كونه من أفعال الله و ما أساءه إلا إضافته إلى العبد فإنه قال أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ بكونه لربه سُوءُ عَمَلِهِ من كونه عمله فكسبه السوء فَرَآهُ حَسَناً بالتزيين الإلهي و زينة الله غير محرمة فهو في نفس الأمر مزين بزينة الله و عند العبد بحسب ما يحضر فيه فإن حضره تزيين الشيطان فهو سوء على سوء و إن حضره تزيين الحياة الدنيا فهو غفلة في سوء و إن حضرة تزيين الله و الإضافة إلى العبد فهو حسن في سوء فإن أخذ إضافة السوء إلى العمل أدبا إلهيا فهو حسن في حسن

كل شيء أنت فيه حسن   لا يبالي حسن ما لبسا

من ثوب مخالفة أو موافقة فإنك إن لم توافق الأمر وافقت الإرادة و لو لا ما بين السيئ و الحسن مناسبة تقتضي جمعهما في عين واحدة يكون بها حسنا سيا ما قبل التبديل في قوله يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ و لا كان يتصف سوء العمل بالحسن في رؤيته فما اتصف بالحسن عنده حتى قبل العمل صفة الحسن في وجه من الوجوه الوجودية فهو سوء بالخبر حسن بالرؤية فكان الرؤية لا تصدق الخبر و شاهد الرؤية أقطع

و لكن للعيان لطيف معنى   لذا سأل المعاينة الكليم

و الناس يطلبون أن يصدق الخبر الخبر و الخبر الرؤية و لم نر أحدا يطلب أن يصدق الخبر الرؤية كما يصدق الخبر الخبر و لهذا اختلف في شهادة الأعمى و لم يختلف في شهادة صاحب البصر و لهذا قال في الآية فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ أي يحيره في مثل هذا حيث وصفه بالسيئ و الحسن فلا يدري المكلف ما يغلب و بقوله زين بنية ما لم يسم فاعله فلا يدري من زينه هل تزيين الله أو تزيين الشيطان أو تزيين الحياة الدنيا ثم قال وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ أي يوفق للاصابة في معنى السوء و الحسن لهذا العمل ما معناه و كيف ينبغي أن يأخذه فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ أي فلا تكترث لهم حسرة عليهم فهي بشرى من الله بسعادة الجميع فإنه ما حيل بينه صلى الله عليه و سلم و بين إنسانيته فهو إنسان في كل حال و لا تزول الحسرات عنه و هو إنسان كامل إلا باطلاعه على سعادتهم في المآل فلا يبالي من العوارض فإن السوء للعمل عارض بلا شك و الحسن له ذاتي و كل عارض زائل و كل ذاتي باق لا يبرح فَإِنَّ اللهَ خبير أي عَلِيمٌ عن ابتلاء بِما يَصْنَعُونَ

من كل ما يظهر فيكم من الأفعال و عنكم و في هذا الركن أيضا في قوله ما فات من فات فلان فلانا جودا إذا أربى عليه في الجود و زاد فهذا يرى الندم في التوبة على ما فات أي ما زاد حسن السيئة المبدلة على حسن الحسنة غير المبدلة فإن حسن الحسنة بنفسها لا بأمر آخر و حسن السيئة إذا أبدلت لها حسنان حسن ذاتي و هو الحسن الذي لكل فعل من حيث ما هو لله و حسن زائد و هو ما خلع الحق على هذا الفعل بالتبديل فكسا ما ظهر فيه من السوء حسنا ففات سوء العمل حسن على حسن العمل بما كساه الحق فالحسنة كشخص جميل في غاية الجمال لا بزة عليه و شخص جميل مثله في غاية الجمال طرأ عليه وسخ من غبار فنظف من ذلك الوسخ العارض فبان جماله ثم كسي بزة حسنة فاخرة تضاعف بها جماله و حسنه ففات الأول حسنا فالتائب يندم على ما فات حيث لم تكن أفعاله كلها معلومة له إنها بهذه المثابة فيتصل فرحه قال في هذه الآية وَكانَ اللهُ غَفُوراً أي يستر عمن شاء الوقوف على مثل هذا كشفا رَحِيماً رحمة به لمعنى علمه سبحانه لم يعينه لنا فندم مثل هذا الذي هو أثر الحزن مثل ما يجده المحب على محبوبه من الوجد و الحزن و الكرب و الندم على ما فرط في حق محبوبه الذي زين له فكان يتلقاه بأعظم مما تلقاه من الحرمة و الحشمة يقول لسان آدم

فيا طاعتي لو كنت كنت بجسرة و معصيتي لولاك ما كنت مجتبى

قال تعالى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى فالله كان التائب لا آدم و الذي صدر من آدم ما اقتضته خاصية الكلمات التي تلقاها و ما فيها ذكر توبة و إنما هو مجرد اعتراف و هو قوله رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا حيث عرضوها إلى التلف و كان حقها عليهم أن يسعوا في نجاتها بامتثال نهي سيدهم وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا أي و إن لم تسترنا عن وارد المخالفة حتى لا يحكم سلطانه علينا و ترحمنا بذلك الستر لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ ما ربحت تجارتنا فانتج لهم هذا الاعتراف قوله فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى أي رجع عليهم بستره فحال بينهم ذلك الستر الإلهي و بين العقوبة التي تقتضيها المخالفة و جعل ذلك من عناية الاجتباء أي لما اجتباه أعطاه الكلمات و هدى أي بين له قدر ما فعل و قدر ما يستحقه من الجزاء و قدر ما أنعم به عليه من الاجتباء و مع التوبة قال له اهبط هبوط ولاية و استخلاف لا هبوط طرد فهو هبوط مكان لا هبوط رتبة

هبوط مكان لا هبوط مكانة لتلقى به فوزا و ملكا مخلدا

كما قال من أغواه صدقا لكونه رآه كلاما من إله مسددا

فإن إبليس قال له هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى فسمع ذلك الخطاب من ربه تعالى فكان صدقا لحسن ظنه بربه فعرض له من أجل المحل الذي ظهر فيه خطاب الحق و أورثه ظهور السوآت من أجل المحل و أورثه الأكل الخلد و الملك الذي لا يبلى و لكن بعد

ظهور سلطانه و نيابته و نيابة بنيه في خلقه حكما مقسطا عدلا يرفع القسط و يضعه أورثه ذلك كله توبة ربه و اعلم أن توبة ربه مقطوع لها بالقبول و توبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل و عدم العلم باستيفاء حدودها و شروطها و علم الله فيها فالعارفون آدميون يسألون من ربهم أن يتوب عليهم و حظهم من التوبة الاعتراف و السؤال لا غير ذلك هذا معنى قوله تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أي ارجعوا إلى الاعتراف و الدعاء كما فعل أبوكم آدم فإن الرجوع إلى الله بطريق العهد و هو لا يعلم ما في علم الله فيه خطر عظيم فإنه إن كان قد بقي عليه شيء من مخالفة فلا بد من نقض ذلك العهد فينتظم في قوله الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ مِيثَاقِهِ فلم ير أكمل معرفة من آدم عليه السلام حيث اعترف و دعا و ما عهد مع الله توبة عزم فيها إنه لا يعود كما يشترطه علماء الرسوم في حد التوبة فالناصح نفسه من سلك طريقة آدم فإن في العزم سوء أدب مع الله بكل وجه فإنه لا يخلو أن يكون عالما بعلم الله فيه إنه لا يقع منه زلة في المستأنف أم لا فإن كان عالما بذلك فلا فائدة في العزم على أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود و إن لم يعلم و عاهد الله على ذلك و كان ممن قضى الله عليه أن يعود ناقض عهد الله و ميثاقه و إن أعلمه الله أنه يعود فعزمه بعد العلم أنه يعود مكابرة فعلى كل وجه لا فائدة للعزم في المستأنف لا لذي العلم و لا لغير العالم فالتوبة التي طلب منا إنما هي صورة ما جرى من آدم عليه السلام هذا معنى التوبة عند أهل الله فإن الله يحب كل مفتن تواب أي كل من اختبره الله في كل نفس فيرجع إلى الله فيه لا عزم إنه لا يعود لما تاب منه فهو جهل على الحقيقة فإن الذي تاب منه من المحال أن يرجع إليه و إن رجع إنما يرجع إلى مثله لا إلى عينه فإن الله لا يكرر شيئًا في الوجود فالعالم بذلك لا يعزم على أنه لا يعود و الذي ينظره أهل الله أن التائب يعزم أنه لا يعود أن ينسب إليه ما ليس إليه و إن عاد بنسبته إليه فقد علم عند العزم أن ذلك العود إلى الله لا إليه فلا تضره الغفلة بعد تصحيح الأصل و هو بمنزلة النية عند الشروع في العمل فإن الغفلة لا تؤثر في العمل فسادا و إن لم يحصر في أثناء العمل ما أحضره عند الشروع فهكذا العازم في عزمه و اعلم أن مقام التوبة من المقامات المستصحبة إلى حين الموت ما دام مخاطبا بالتكليف أعني التوبة المشروعة و أما توبة المحققين فلا ترتفع دنيا و لا آخرة فلها البداية و لا نهاية لها إلا أن يكون الاسم التواب في المظهر عين الظاهر فلا بدء في أحواله و لا نهاية و إن كانت كل توبة لها بدء و التوبة الكونية ملكية جبروتية عند الجماعة و هو محل إجماعهم و زاد بعضهم أنها ملكوتية فمن لم ير أنها ملكوتية قال إنها تعطي صاحبها ثمانمائة مقام و ثمانية مقامات و من رأى أنها ملكوتية قال إنها تعطي أربعمائة مقام و ثلاثة عشر مقاما و الواقفية أرباب المواقف مثل محمد بن عبد الجبار النفري و أبي يزيد البسطامي قال هي غيبية آثارها حسية و جميع ما تتضمنه هذه المعاملات من المقامات الإلهية الجسام ما فيها مقام يتكرر على ما قد تقرر في الأصل و لو تاب الخلق كلهم ملك و إنس و جان و معدن و نبات و حيوان و فلك و نالوا هذه المقامات كلها لما اجتمع اثنان في ذوق واحد منها و هي

منا زل فيها ينزلها العبد إذا أحكم ذلك المقام الذي هو التوبة أو غيره و يعطيه كل منزل منها من الأسرا ر و العلوم ما لا يعلمه إلا الله و لهذا المقام الحجاب و الكشف و مما يؤيد ما ذكرناه من أن التوبة اعتراف و دعاء لا عزم على أنه لا يعود ما ثبت في الأخبا ر الإلهية و صح أن العبد يذنب الذنب و يعلم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب و لم يزد على هذا مثل صورة آدم سواء ثم يذنب الذنب فيعلم إن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب فيقول الله له في ثالث مرة أو رابع مرة اعمل ما شئت فقد غفرت لك و هذا مشروع أن الله قد رفع في حق من هذه صفته المؤاخذة بالذنب على من يرى أن الخطاب على غير من ليس بهذه الصفة منسحب و أما ظاهر الحديث فإن الله قد أباح له ما قد كان حجر عليه لأجل هذه الصفة كما أحل الميتة للمضطر و قد كانت محرمة على هذا الشخص قبل أن تقوم به صفة الاضطرا ر ثم إنه قد بينا أن من عباد الله من يطلعه الله على ما يقع منه في المستأنف فكيف يعزم على أن لا يعود فيما يعلم بالقطع أنه يعود و لم يرد شرع نقف عنده أن من حد التوبة المشروعة العزم في المستأنف فلم تبق التوبة إلا ما قررناه في حديث آدم عليه السلام ثم يؤيد ذلك قوله تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ يعني في الحالتين ما هم أنتم ينظر إليه قوله وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و قوله فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و قوله ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللهِ و الأذن الأمر الإلهي أمر بعض الشجر أن تقوم فقامت و أمر بعض الشجر أن تنقطع فانقطعت بإذن الله لا بقطعهم و بإذن الله لا بتركهم مع كونهم موصوفين بالقطع و الترك فإنه لا يناقض إذن الله فإن إذن الله لها في هذه الصورة كالاستعداد في الشيء فالشجرة مستعدة للقطع فقبلته من القاطع فقوله فَبِإِذْنِ اللهِ يعني للشجرة كقوله فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فالنفخ من عيسى لوجود الروح الحيواني إذ كان النفخ أعني الهواء الخارج من عيسى هو عين الروح الحيواني فدخل في جسم هذا الطائر و سرى فيه إذ كان هذا الطائر على استعداد يقبل الحياة بذلك النفس كما قبل العجل الحياة مما رمى فيه السامري فطار الطائر بإذن الله كما خار عجل السامري بإذن الله و لهذا قال وَلِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ الخارجين عن معرفة هذا الأذن الإلهي الذي قطع هذه الشجرة و ترك الأخرى و لشيوخنا في هذا المقام حدود أذكر منها ما تيسر و أبين عن مقاصدهم فيها بما يقتضيه الطريق و هكذا أفعل إن شاء الله في كل مقام إذا وجدنا لهم فيه كلاما على أنهم إذا سألوا عن ماهية الشيء لم يجيبوا بالحد الذاتي لكن يجيبون بما ينتج ذلك المقام فيمن اتصف به فعين جوابهم يدل على إن المقام حاصل لهم ذوقا و حالا و كم من عالم بحده الذاتي و ليس عنده منه رائحة بل هو عنه بمعزل بل ليس بمؤمن رأسا و هو يعلم حده الذاتي و الرسمي فكان الجواب بالنتائج و الحال أتم بلا خلاف فإن المقامات لا فائدة فيها إلا أن يكون لها أثر في الشخص لأنها مطلوبة لذلك لا لأنفسها و الله المرشد و اختلف أصحابنا ما أول منزل من منازل السالكين فقال بعضهم اليقظة و قال بعضهم الانتباه و قال بعضهم التوبة و روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال الندم توبة فقد يخرج مخرج قوله الحج عرفة و لو قال صلى الله عليه و سلم الندم التوبة لكان أقرب إلى الحد من قوله الندم توبة و قد تقدم الكلام في الشروط الثلاثة المصححة للتوبة في هذا الباب قال بعضهم و هو أبو علي الدقاق التوبة على ثلاثة أقسام لأن لها بداية و وسطا و غاية فبدؤها يسمى توبة و وسطها يسمى إنابة و غايتها يسمى أوبة فالتوبة للخائف و الإنابة للطائع و الأوبة لراعي الأمر الإلهي يشير بهذا التقسيم إلى أن التوبة عنده عبارة عن الرجوع عن المخالفات خاصة و الخروج عما يقدر عليه من أداء حقوق الغير المترتبة في ذمته مما لا يزول إلا بعفو الغير عن ذلك أو القصاص أو رد ما يقدر على رده من ذلك و قال رويم و قد سئل عن التوبة التوبة من التوبة كما قال ابن العريف

قد تاب أقوام كثير و ما　　　تاب من التوبة إلا أنا

و مقالات القوم في التوبة كثيرة مذكورة في كتب المقامات للمنذري و القشيري و المطوعي و عمرو بن عثمان المكي و غيرهم فلينظر هنالك

(الباب الخامس و السبعون في ترك التوبة)

متى خالفته حتى تتوب　　　فترك التوب يؤذن بالشهود
فقل للتائبين لقد حجبتم　　　عن إدراك الحقائق بالورود
فممن أو إلى من قد رجعتم　　　و ليس سوى المسود و المسود
فمن عين الذي قد جئت منه　　　إليه به و من عين العبيد
و أسماء الإله هي التي لم　　　تزل موصوفة بسنا الوجود

اعلم وفقك الله أنه من كان صفته وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و هو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ فلا يتوب إلا من لا يشعر و لا يبصر هذا القرب و الشعور علم إجمالي قطعي إن ثم مشعورا به لكن لا يعلم ما هو ذلك المشعور به فالعلم بالله شعور و الشعور لا علم بما هو عليه المشعور به و علمه بنا ليس كذلك فلا يصرف العبد معناه إلى معنى إلا و الحق في الصارف و المصروف و الصرف فإلى أين أتوب إن نادى فهو المنادي لأنه لا ينادي إلا من يسمع و هو سمعك فلا تسمع إلا به فما فقدته في ندائه إياك هذا حد العلم الصحيح و لهذا لم يأمر بالتوبة إلا المؤمنين فقال وَ تُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بغير ألف لحكمة أخفاها يعرفها العالم و لا يشعر بها المؤمن فهي بالألف هاء التنبيه إذا قال أيها المؤمنون

و هي بغير الألف هي هويته قرأها الكسائي برفع هاء أيه و حذف الواو لالتقاء الساكنين يقول هو المؤمنون لأنه المؤمن و ما يسمع نداء الحق إلا بالحق و السامع مؤمن و السامعون كثيرون فهو المؤمنون فترك التوبة ترك الرجوع لأنه قال ارْجِعُوا وَراءَكُمْ لمن كان في ظلمة كونه فَالْتَمِسُوا نُوراً انظروا إلى موجدكم و هو النور الذي به الظهور فإذا رأيتم النور كشف لكم عنكم فعلمتم أنه أقرب إليكم مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ لعدم النور فلما حصلت لهم المعرفة هنا بهذا القدر لم تصح منهم توبة عندهم أنهم تائبون فَتابَ عَلَيْهِ فكان هو التائب على الحقيقة و العبد محل ظهور الصفة و لذلك قال لِيَتُوبُوا ثم قال إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ و هو لفظ المبالغة إذ كانت له التوبة الأولى من قوله ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ و الثانية من قوله لِيَتُوبُوا فالتوبتان له من كل عبد فهو التواب لا هم وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و هذا حكم سار في جميع أفعال العباد فما تاب من تاب و لكن الله تاب و لهذا قالت الجماعة التوبة ترك التوبة و التوبة من التوبة فنفيها إثباتها و إثباتها نفيها فترك التوبة حال التبري من الدعوى فليست التوبة المشروعة إلا الرجوع من حال المخالفة إلى حال الموافقة أعني مخالفة أمر الواسطة إلى موافقة أمرها لا غير و التوبة من التوبة هي الرجوع منه إليه به فالتوبة من التوبة لها الكشف و ما لها حجاب و صاحبها مسؤل لأنه تبرأ من الدعوى بها أعني بالدعوى و كل مدع مطالب بالبرهان على صحة دعواه فالمكمل من يثبت التوبة حيث أثبتها الحق و لمن أثبتها و لا يعديها محلها فلها رجال يقومون بها و لها رجال يحكمون بها و هم عَنْها مُبْعَدُونَ لأنها حالة غربة و هم في الموطن الذي فيه ولدوا فلا غرب يرجع إلى أهله إلا الغائب و الغائب غريب فالغرباء هم التائبون فالمحبة من الله لهم محبة أهل الغائب إذا ورد عليهم غائبهم فمن كان من أهله مشاهدا له في حال غربته لم يفرح به لنفسه فإنه غير فاقد له و إنما فرحه به لفرحه برجوعه إلى موطنه فهو فرح موافقة كمحبة المحبوب لمحبه لأنها عين حبه لنفسه و لهذا يبغض من يبغضه لحبه لنفسه إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ إليه في كل حال من خلاف و وفاق فهو مقبول محبوب على كل حال و إذا كانت التوبة تحب لأجل الوصلة فالمتصل لا يتصل فهو أشد في المحبة و أعظم في اللذة و هو المعبر عنه بترك التوبة و من رأى أن الأمر الإلهي و اتساع الحقيقة الربانية لا يدوم لها حال معين و لا ينبغي و لذلك هو كل يوم في شأن و لا يكرر فلا تصح توبة فإنها رجوع و لا يكون رجوع إلا من مفارقة لأمر يرجع إليه و الحق على خلافه فلا رجوع فلا توبة و قوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ لما تغرب الأمر عند المحجوبين عن موطنه بما ادعوه فيه لنفوسهم قيل لهم إليه يرجع الأمر كله لو نظرتم لرأيتم من نسبتم إليه هذا الفعل منكم إنما هو الله لا أنتم وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ من دعواكم إن الأمر إليكم و هو لله فالأصل إنه لا رجوع و أن الأمر في مزيد إلى ما لا نهاية له و لا إحاطة إذ لا نهاية لواجب الوجود فلا نهاية للممكنات إذ هو الخلاق دائما و لا يصح أن يزول عنه هذا الحكم لأنه ما لا يثبت نفيه إلا

بإثباته فنفيه محال فكل باب من أبواب هذا الكتاب مما يقتضي ترك ما أثبتناه في الباب الذي قبله فهو كالذيل له فهو منه فنسوقه مختصرا لأنه لا يحتمل التطويل و هو فصل من فصول الباب الذي قبله فنقتصر في ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و السبعون في المجاهدة)

سبح إلهك بكرة و أصيلا فالنعل يرجع بالهدى إكليلا
جاهد هواك و لا تكن ذا فترة فيه و كن للنائبات خليلا
إن المجاهد لا يزال مكابدا يهوى الخطوب و يعشق التعليلا
لا تركنن إلى البطالة إنها تردى و كن للحادثات وصولا

اعلموا وفقكم الله أني لما شرعت في الكلام على هذا الباب أريت مبشرة عرفت فيها إن الناس لا بد أن ينزل بهم أمر إلهي عارض يحتاجون فيه إلى حمل مشقة و جهد نفسي و حسي و قيل لي لا تغفل في كل باب أن تدرج فيه الحروف الصغار و تبين أن بإشباعها تكون الحروف الثلاثة التي هي حروف العلة و هي حروف العلة و هي حروف المد و اللين و هي الحروف المركبة من علة و معلول و يكون كلامك فيها و إشارتك إلى الأربعة الأصناف و هم العارفون الذين لهم العوارف الإلهية الوجودية الجودية في معرفتهم و أهل المواقف عند الحدود الإلهية لتلقى الأدب بين كل مقامين عند الانتقال في حال لا يتصفون فيه بالمقام الأول و لا بالثاني و هم أهل البرازخ و كذلك أيضا أهل الوصال و الأنس تعين ما لهم من الدرجات في كل مقام كما تبينها لأهل المواقف سواء حتى لا يختلط على السالك و كذلك أيضا المنكرة أحوالهم و هم الملامية الذين يعرفون و لا يعرفون تميزهم من أهل عوارف المعارف و تظهر ما لهم من الكمال و هم العلماء بالله فهؤلاء الأربعة لا بد من تمشية أحوالهم في كل مقام و هم العارفون و الملامية و أهل الأنس و الوصال و أصحاب المواقف و القول و هم الأدباء فإنك مأمور بالنصح لعباد الله عن أمر الله و الدين النصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فلما فرغ وارد البرزخ في الواقعة فمنا من مرقدنا و سألنا الله تعالى العصمة في القول و العمل و الحال و كنت أرى معي في هذه الواقعة صاحبنا تاج الدين عباس بن عمر السراج و هو الذي كان ينبهني عن الحق تعالى على الكلام في الحروف الصغار التي تتولد عنها حروف العلل الثلاثة فلنبين أولا ما المراد بالحروف الصغار و ما مراتب أولادها و هي حروف العلل و إن كنا قد ذكرناها في الباب الثاني باب الحروف من هذا الكتاب فلا بد من ذكر طرف هنا منها لأجل الواقعة (فصل) اعلم أن المراد بالحروف الصغار الحركات الثلاثة و هي الضمة و الفتحة و الكسرة و لهذه الحروف حالان حال إشباع و حال غير إشباع فإذا اتصف واحد منها بالإشباع كان علة لوجود معلول يناسبه فإن

أشبعت الضمة كان عنها الواو المعلولة و إن كانت فتحة كان عنها الألف و إن كانت كسرة كان عنها الياء المعلولة و إنما قيدنا الواو و الياء بالعلة لأنهما قد يوجدان في مقام الصحة غير موصوفين بالعلية و الألف لا توجد أبدا إلا معلولة و لذلك لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا أبدا فهذه تسمى حروف العلة أي وجدت معلولة عن هذه العلل فخرجت على صورة عللها في الحكم فأعربت بها الكلمات كما أعربت بعللها تقول زيد أخوك فعلامة الرفع في زيد ضمة الدال و عن إشباع الضمة في قولك أخوك تكون الواو علامة الرفع في أخوك و كذلك في النصب في رأيت زيدا أخاك و في الخفض مررت بزيد أخيك و كذلك رأيت أخاك زيدا الفتحة في زيد علامة النصب و الألف في أخاك المتولدة عن فتحة الخاء علامة النصب و كذلك مررت بأخيك زيد فالكسرة في زيد علامة الخفض و الياء في أخيك علامة الخفض فأعطيت الياء حكم معلوله فأعلت الكلمة هذه الحروف فلها حكم اباتها إلى الذي هو الرفع له من الأسماء العلى و الفتح له من الأسماء الرحمن ما يفتح الله للناس من رحمة و الكسر له من الأسماء المتعالي و آثار هذه الأسماء الإلهية في الكون معلومة كما هي في الحق متميزة بحدودها يمتاز بعضها عن بعض و قد بيناها في الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب و بينا فيه حركات البناء من حركات الإعراب و مرتبة السكون الحي و الميت و إلحاق النون بحروف العلة في حكم الإعراب في الخمسة الأمثلة من الفعل و هي يفعلان و تفعلان و يفعلون و تفعلون و تفعلين و إثباتها إعراب و حذفها إعراب بحسب العوامل الداخلة عليها و لما كان المعلول موصوفا بالمرض كان ذا جهد و مشقة لما يقاسيه من ألم العلة القائمة به إذ لا يوجد عن العلة إلا معلول فلهذا جعلناه في باب المجاهدة لأن المجاهدة مشقة و تعب و بها سمي الجهاد جهادا و دين الله يسر و قول الله صدق حيث قال ما «جَعَلَ» عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ و قال يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاٰ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و لهذا جعلنا بابا لترك الجهاد و هو الذي يلي هذا الباب و هو الباب السابع و السبعون في ترك المجاهدة لا ترك العمل لأن المجاهدة حال الأعمال في وقت و الأحوال مواهب و الأعمال مكاسب و لهذا أقيم الكسب مقام العمل و العمل مقام الكسب فجاء في آية وَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ و في آية ما كَسَبَتْ فسمى العمل كسبا و ناب كل واحد منهما مناب صاحبه و لهذا قلنا في الأعمال مكاسب و من العمال من يكون عليهم في عملهم مشقة و هي المجاهدة و منهم من لا يجدها فلا يكون صاحب مجاهدة فلو اقتضى العمل المشقة لكانت صفة كل عامل و اعلم أيدك الله أن المجاهدين هم أهل الجهد و المشقة و المكابدة و هم أربعة أصناف مجاهدون من غير تقييد بأمر و هو قوله تعالى وَ فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ و الصنف الثاني مجاهدون بتقييد في سبيل الله و هو قوله وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ و الصنف الثالث المجاهدون فيه و هو قوله وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا أي نبين لهم حتى يعلموا فيمن جاهدوا فيجاهدون عند ذلك أو لا يجاهدون و الصنف الرابع المجاهدون في الله حَقَّ جِهادِهِ فميزهم عن المجاهدين من

غير هذا التقييد كالذين يتقون الله حَقَّ تُقاتِهِ و يتلون الكتاب حَقَّ تِلاوَتِهِ فهي مرتبة رابعة في الجهاد و هذه المجاهدة من المقامات المستصحبة للتكليف فما دام التكليف موجودا كانت المجاهدة قائمة العين فإذا زال حكم التكليف زالت المجاهدة و لهذا نفس الله عن المكلفين بصنف المباح لما شفعت فيهم الصورة التي خلقوا عليها لأنها غير محجور عليها فلما رأت من يشبهها قد حجر عليه سألت فيه رفع الحجر عنه فقيل لها إلى ذلك ما له في الآخرة فقالت فلا بد له أن يكون له حكم في الحياة الدنيا ليكون لي بشرى بقبول الشفاعة فإنك القائل لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ فإن هذه الصورة متنزهي و موضع نظري فإذا رأيت عليها التحجير أرى الانكسار فيها و لا نرى أثرا لعنايتي فيها مع كونها مخلوقة على صورتي و لا تحجير علي فشرع الله لها في الدنيا المباح فلا تنظر إليها الصورة الإلهية إلا في وقت تصرفها في المباح و هو أرفع أحوال النفس في الدنيا فإنه من الحياة الأخرى التي لا تحجير فيها فإذا انتقلت من المباح إلى مكروه أو مندوب أعرضت الصورة عن المكلف قليلا و نأت بجانبها مع بعض التفات إليها فإذا انتقلت إلى محظور أو فعل واجب أسدلت الحجاب و أعرضت بالكلية عن ذلك المكلف فلما رأى ذلك من كلفها و حجر عليها و هو الله تعالى أوجب على نفسه ما أوجبه مثل قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فرفع الحجاب و نظرت الصورة إلى كل واحد في كل حال من أحوال الأحكام فانظر يا ولي ما ألطف الله و ما أرأفه بعباده حيث شرك نفسه معهم في حكم الوجوب و ما أسقط الوجوب عنهم بل أدخل نفسه معهم فيه إذ قد اتصفوا به ابتداء فلو أزاله عنهم لم يقم عندهم مقام إدخال نفسه معهم فيه أي ذقنا ما ذوقناكم هذا و غاية اللطف في الحكم و التنزل الإلهي كما نزل معهم في العلم المستفاد إذ كان علمهم مستفادا فقال وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و هو العليم فانسهم و فيه حكم إيمان يعتض به من يسمع ممن لا يعرف الله قولهم إن الله لا يعلم الجزئيات و إن كانوا قصدوا بذلك التنزيه و هذه مسألة لا يمكن تحققها بالعقل ما لم يكن الكشف بكيفية تعلق العلم الإلهي بالمعلومات و أنه ليس في حق الحق ماض و لا آت و أن آنه لم يزل و لا يزال لا يتصف آنه بأنه لم يكن ثم كان و لا بانقضاء بعد ما كان و ربما يعطي الله هذه القوة لمن شاء من عباده و قد ظهر منها نفحة على محمد صلى الله عليه و سلم علم بها علم الأولين و الآخرين فعلم الماضي و المستقبل في الآن فلو لا حضور المعلومات له في حضرة الآن لما وصف بالعلم بها فهذا يعلم أن الله يعلم الجزئيات علما صحيحا غاب عنه من قصد التنزيه بنفيه عن جناب الحق ثم نرجع و نقول إن المجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية المؤثرة في المزاج و هنا و ضعفا كما إن الرياضة هذيب الأخلاق النفسية بحملها على احتمال الأذى في العرض و الخارج عن بدنه مما لا حركة فيه بدنية ثم إن هذه الحركات البدنية المحمودة شرعا منها حركات في سبيل الله مطلقا و هي أنواع سبيل كل بر مشروع فمنه ما فيه مشقة فيسمى مجاهدة و منه ما لا مشقة فيه فيرتفع عنها حكم هذا الاسم و هذا الباب مخصوص بما فيه مشقة و

لهذا سميناه باب المجاهدة فنظرنا إلى أعظم المشاق فلم نجد أعظم من إتلاف المهج في سبيل الله و هو الجهاد في سبيل الله الذي وصف الله قتلاه بأنهم أحياء يرزقون و نهى أن يقال فيهم أموات و نفى العلم عمن يلحقهم بالأموات للمشاركة في صورة مفارقة الإحساس و عدم وجود الأنفاس و هذا من أدل دليل على إبطال القياس لأن المعتقدين موت المجاهدين المقتولين في سبيل الله إنما اعتقدوه قياسا على المقتول في غير سبيل الله بالعلة الجامعة في كونهم رأوا كل واحد من المقتولين على صورة واحدة من عدم الأنفاس و الحركات الحيوانية و عدم الامتناع مما يراد من الفعل بهم من قطع الأعضاء و تمزيق الجلود و أكل سباع الطير و السباع و استحالة أجسامهم إلى الدود و البلى فقاسوا فأخطأ و القياس و لا قياس أوضح من هذا أولا أدل في وجود العلة منه و مع هذا أكذبهم الله و قال لهم ما هو الأمر في المقتول في سبيلي كالمقتول في غير سبيلي وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ فقال لهم ذلك الحكم الذي حكمتم علي ليس بعلم و إذا لم يكن علما لم يكن صحيحا و إذا لم يصح لم يجز الحكم به مع علمنا بأخبار الله أن ذلك ليس بصحيح ثم قال وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لٰكِنْ لا تَشْعُرُونَ فنفى عنهم العلم الذي أعطاهم القياس فإذا كان حكم هذا القياس على وضوحه و عدم الريب فيه و توفر أسبابه و ظهور علله الجامعة بينه و بين غيره من القتلى و هو باطل بأخبار الله فما ظنك بقياس الفقهاء في النوازل و قياس العقلاء بحكم الشاهد على الغائب في معرفة الله هيهات صدق الله و كذب أهل القياس على الله و الله لا أشبه من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ من مثله الأشياء فلما كان إتلاف المهج أعظم المشاق على النفوس لهذا سمي جهادا فإن النفوس نفسان نفس ترغب في الحياة الدنيا لألفتها بها فلا يريد المفارقة و تشق عليها و نفس ترغب في الحياة الدنيا لتزيد بذلك طاعة و أفعالا مقربة و معرفة إلهية و ترقيا دائما مع الأنفاس فشق عليها مفارقة الحياة الدنيا فلهذا سمي جهادا في حق الطائفتين فأما المجاهدون في سبيل الله و هي الطريق إلى الله أي إلى الوصول إليه من كونه إلها فهو جهاد لنيل معرفة المرتبة التي عنها ظهر العالم و الأحكام فيه و عنها تكون الخلائف في الأرض فينا لهم في هذه السبل من المشقة ما يناله المسافر في طريقه المخوفة فإنه في طريق عرض نفسه في السلوك فيه إلى إتلاف ماله و نفسه و يتم أولاده و فقد مألوفاته قال تعالى وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ و قال يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ و لما علم الله من العباد أنه يكبر عليهم مثل هذا لدعواهم أن نفوسهم و أموالهم لهم كما أثبتها الحق لهم و الله لا يقول إلا حقا فقدم شراء الأموال و النفوس منهم حتى يرفع يدهم عنها فبقي المشتري يتصرف في سلعته كيف يشاء و البائع و إن أحب سلعته فالعوض الذي أعطاه فيها و هو الثمن أحب إليه مما باعه فقال إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ و بعد هذا الشراء أمر أن يجاهد بها في سبيل الله ليهون ذلك عليهم فهم يجاهدون بنفوس مستعارة أعني النفوس الحيوانية القائمة بالأجسام و الأموال مستعارة

فهم كمن سافر على دابة معارة و مال غيره و قد رفع عنه الحرج مالكها عند ما أعاره إن نفقت الدابة و هلك المال فهو مستريح القلب فما بقي عليه مشقة نفسية إن كان مؤمنا إلا ما يقاسي هذا المركب الحيواني من المشقة من طول الشقة و تعب الطريق و إن كان في قتال العدو فما ينال من الكر و الفر و الطعن بالأرماح و الرشق بالسهام و الضرب بالسيوف و الإنسان مجبول على الشفقة الطبيعية فهو يشفق على مركوبه من حيث إنه حيوان لا من جهة مالكه فإن مالكه قد علم منه هذا المعبر أنه يريد إتلافه فذلك محبوب له فلم يبق له عليه شفقة إلا الشفقة الطبيعية فالنفوس التي اشتراها الحق في هذه الآية إنما هي النفوس الحيوانية اشتراها من النفوس الناطقة المؤمنة فنفوس المؤمنين الناطقة هي البائعة المالكة لهذه النفوس الحيوانية التي اشتراها الحق منها لأنها التي يحل بها القتل و ليست هذه النفوس بمحل للإيمان و إنما الموصوف بالإيمان النفوس الناطقة و منها اشترى الحق نفوس الأجسام فقال اشترى من المؤمنين و هي النفوس الناطقة الموصوفة بالإيمان أنفسهم التي هي مراكبهم الحسية و هي الخارجة للقتال بهم و الجهاد فالمؤمن لا نفس له فليس له في الشفقة عليها إلا الشفقة الذاتية التي في النفس الناطقة على كل حيوان و أما المجاهدون الذين لم يقيدهم الله بصفة معينة لا في سبيل الله و لا فيه و لا بحق جهاد فهم المجاهدون بالله الذي ليس من صفته التقييد فجهاده في كل شيء و هو الجهاد العام و نسبة الجهاد إليه فيه الذي هو المشقة لكونه سماه مجاهدا و لم يقيد فيما ذا يجاهد فهو حكم القضاء و القدر في الأشياء التي يحصل منه الكرة في المقضي عليه بما قضى به عليه و الحق لا يريد مساءته لما له بهذا العبد من العناية فقال في هذا المقام ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة عبدي المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بد له من لقائي يقول و لا بد له من الموت لما سبق به العلم فيقبضه عن مجاهدة مطلقة غير مقيدة بأذى و لا غيره و لكن تنبيهه تعالى بالتردد دليل على حكم مناسب حكم المجاهدة فإنه ما جاء به إلا ليقيدنا العلم بالأمر على ما هو عليه فإنه سبحانه المعلم عباده العلم و هو قوله وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ و هو الذي أعطاهم العلم من اسمه الرحمن الذي قال فيه عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ فالمجاهدون من العباد الذين لا يتقيدون كما أطلقهم الله هم المترددون في الأفعال الصادرة أعيانها فيهم هل ينسبونها إلى الله ففيها ما لا ينبغي أن ينسب إليه أدبا و تبرأ الحق منها كما قال بَراءَةٌ من الله أو ينسبونها لأنفسهم ففيها ما ينبغي أن ينسب إلى الله أدبا مع الله و نسبة حقيقية و رأوا الله يقول وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فنفى و أثبت عين ما نفى ثم قال وَلكِنَّ الله رَمى فجعل الإثبات بين نفيين فكان أقوى من الإثبات لما له من الإحاطة بالمثبت ثم قال وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ في نفس هذه الآية فعلمنا أن الله حير المؤمنين و هو ابتلاؤه بما ذكر من نفي الرمي و إثباته و جعله بلاء حسنا أي إن نفاه العبد عنه أصاب و إن أثبته له أصاب و ما بقي إلا أي الإصابتين أولى بالعبد و إن كان كله حسنا و هذا موضع الحيرة و لذلك سماه بلاء أي موضع اختبار فمن أصاب الحق و هو مراد الله أي الإصابتين أو أي الحكمين أراد

حكم النفي أو حكم الإثبات كان أعظم عند الله من الذي لا يصيب ذلك فهؤلاء هم المجاهدون الذين فضلهم الله على القاعدين عن هذا النظر أجرا عظيما و ما عظم الله فلا يقدر قدره درجات منه و ما جعلها درجة واحدة كما قال في المجاهدين في سبيل الله حيث جعل لهم درجة واحدة ثم زادهم ما ذكر في تمام الآية فهذان صنفان قد ذكرنا و أما الصنف الثالث و هم الذين جاهدوا في الله حَقَّ جِهادِهِ فالهاء من جهاده تعود على الله أي يتصفون بالجهاد أي في حال جهاده صفة الحق كما ذكرنا في التردد الإلهي أي لا يرون مجاهدا إلا الله و ذلك لأن الجهاد وقع فيه و لا يعلم أحد كيف الجهاد في الله إلا الله فإذا ردوا ذلك إلى الله و هو قوله حَقَّ جِهادِهِ فنسب الجهاد إليه بإضافة الضمير فكان المجاهد لا هم و إن كانوا محل ظهور الآثار فهم المجاهدون لا مجاهدون قال الله لموسى يا موسى اشكرني حق الشكر قال يا رب و من يقدر على ذلك قال إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر و هذا الحديث خرجه ابن ماجة في سننه فكل عمل أضفته إلى الله عن ذوق و كشف و مشاهدة لا عن اعتقاد و حال بل عن مقام و علم صحيح فقد أعطيت ذلك العمل حقه حيث رأيته ممن هو له فحيث ما وقع لك مثل هذا فشرحه ما شرحه به الله على لسان رسوله فبلغه إلينا و هي طريقة موصلة إلى الله سهلة لينة قريبة المأخذ مستوية لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً و الصنف الرابع هم الذين قال الله فيهم وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا الذين قلنا لهم فيها وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني السبيل التي لكم فيها السعادة و إلا فالسبل كلها إليه لأن الله منتهى كل سبيل ف إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و لكن ما كل من رجع إليه سعد فسبيل السعادة هي المشروعة لا غير و إنما جميع السبل فغايتها كلها إلى الله أولا ثم يتولاها الرحمن آخر أو يبقى حكم الرحمن فيها إلى الأبد الذي لا نهاية لبقائه و هذه مسألة عجيبة المكاشف لها قليل و المؤمن بها أقل و لما كان سبب الجهاد أفعالا تصدر من الذين أمرنا بقتالهم و جهادهم و تلك الأفعال أفعال الله فما جاهدنا إلا فيه لا في العدو و إذ لم يكن عدوا إلا بها فإذا جاهدنا فيه و تبين لنا بقوله إذا جاهدنا فيه إن يهدينا سبله أي يبين لنا سبلها فندخلها فلا نرى إذا جاهدنا غيرا فاستغفرنا الله مما وقع منا و كان من السبل مشاهدة ما وقع منا إنه الموقع لا نحن فاستغفرنا الله أي طلبنا منه أن لا نكون محلا لظهور عمل قد وصف نفسه بالكراهة فيه فقد ثبت أنه ما في الوجود إلا الله فما جاهد فيه سواه و لو لا ما هدانا سبله ما عرفنا ذلك و لذلك تمم الآية بقوله وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ و الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا رأيته علمت إن الجهاد إنما كان منه و فيه فهذا قد أعربت لك عن أحوال أهل المجاهدات و هم المجاهدون و الكلام يطول في تفاصيل هذا الباب و الكتاب كبير فإن استقصينا إيراد ما يطلبه منا كل باب لا يفي العمر بكتابته فإذا و لا بد من الاقتصار فلنقتصر على ما يجري من كل باب مجرى الأمهات لا غير و كل أم مثل حواء مع بنى آدم فإنهم بنوها كلهم فلو أعطانا الله الكتابة الإلهية أبرزنا جميع ما يحويه هذا الكتاب على الاستيفاء في ورقة صغيرة واحدة كما خرج

رسول الله صلى الله عليه و سلم بكتابين في يده بالكتاب الإلهي الذي ليس لمخلوق فيه تعمل و أخبر أن في الكتاب الذي في يمينه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم و عشائرهم من أول خلقهم إلى يوم القيامة و الكتاب الآخر مثله في أسماء أهل الشقاء و لو كان ذلك بالكتاب المعهود ما وسع ورقه المدينة فمثل ذلك لو وقع لنا أظهرناه في اللحظة و قد رأينا تلك الكتابة و هي كالجنة في عرض الحائط و النار و كصورة السماء في المرآة فلنذكر ما لهذه الصفة التي هي المجاهدة من المقامات التي هي مراتبها و منازلها الذين ينزلها أهلها و هم الملامية و هم قسمان أهل أدب بوقوف عند حد و أهل أنس و وصال و كذلك ما للعارفين من هذا الباب و هم قسمان أهل أدب و وقوف عند حد و أهل أنس و وصال و هذا سار في كل مقام فالذي للملامية منه من الصنف الذي له أدب الوقوف عند الحدود فثلاث و خمسون درجة و إنما عدلنا إلى ذكر الدرجات لما سمعنا الله يقول بالدرجات في فضلهم فاتبعنا ما قال الله فهو أولى بنا و التي للملامية أهل الأنس و الوصال من الدرجات في هذا الباب أربعمائة درجة و ثلاث و خمسون و أما درجات العارفين أهل الأنس و الوصال فلهم أربعمائة درجة و أربع و ثمانون درجة و أما الذي لأهل الأدب و الوقوف عند الحدود من العارفين فتسع و ثمانون درجة تسعون إلا واحدة بينه و بين درجات الأسماء الإلهية عشرة

(الباب السابع و السبعون في ترك المجاهدة)

لا تجاهد فإن عين المنازع — هو عين الذي تجاهد فيه
و إذا كان واحدا من تناوي — أي عقل يرضاه أو يصطفيه
هل لعين الشريك عين وجود — فتراه بالعلم أو تنفيه
كيف ينفي من كان في الأصل نفيا — و هو نفي و النفي يستوفيه

لما اطلع المجاهد فيه و في سبيله و في الله و في سبيل الله على السبل التي هداه الله إليها فبانت عنده فرأى أنه ما جاهد غير الله فاستحيا لأجل هذا المشهد فترك الجهاد لاقتضاء الموطن و هو المجاهد تعالى و ما هو ممن يتصف بالمشقة فإنه يقول فيما هو أعظم من هذا و ما مسنا من لغوب و قال وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ و ليس هذا الهين عن صعوبة في الابتداء و لهذا القول بالمفهوم ضعيف في الدلالة لأنه لا يكون حقا في كل موضع و نسب ذلك إلى الله كما شاهده كما ترك رسول الله صلى الله عليه و سلم تعظيم عزة الله إذا اتصف بها أحد من عباد الله مثل قوله عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى فإنه صلى الله عليه و سلم كان يحب الفال الحسن و بعثه بدعوة الحق و إظهار الآيات إنما يظهرها لمن يتصف بأنه يرى فلما جاءه الأعمى قام له حقيقة من بعث إليهم و هم أهل الأبصار فأعرض

و تولى لأنه ما بعث لمثل هذا فهذا كان نظره صلى الله عليه و سلم و ما عتبة سبحانه فيما علمه و إنما عتبة جبر القلب ابن أم مكتوم و أمثاله لأنهم غائبون عن الذي يشهده صلى الله عليه و سلم و أمره أن يحبس نفسه معهم فقال له وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ و كان خباب بن الأرت و بلال و غيرهم من الأعبد و الفقراء لما تكبر كبراء قريش و أهل الجاهلية عن أن يجمعهم عند رسول الله صلى الله عليه و سلم مجلس واحد و أجابهم إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول لسان الظاهر إن النبي صلى الله عليه و سلم كان يفعل لهم ذلك ليتألفهم على الإسلام لأن واحدا منهم كان إذا أسلم أسلم لإسلامه بشر كثير لكونه مطاعا في قومه و يترجم عن هذا المقام لسان الحقيقة أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يشاهد سوى الحق فأينما بري الصفة التي لا تنبغي إلا لله عظمها و لم يشاهد معها سواها و قام لها و وفاها حقها مثل العزة و الكبرياء و الغني فقال له ربه أَمَّا من اسْتَغْنَى فنبهه ببنية الاستغفال فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى و قد علم أنه لمن تصدى محمد صلى الله عليه و سلم يقول له و إن كنت تعظم صفتي حيث تراها لغلبة شهودك إياي فقد أمرتك أن لا تشاهدها مقيدة في المحدثين و هو قوله عليه السلام إن الله أدبني فأحسن أدبي و هذا من ذلك التأديب و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا رأى هؤلاء تلك الأعبد يقول مرحبا بمن عاتبني فيهم ربي فكلما جلسوا عنده جلس لجلوسهم لا يمكن لهم أن يقوم و لا ينصرف حتى يكونوا هم الذين ينصرفون فإن الله قال له وَاصْبِرْ نَفْسَكَ و لما علموا ذلك منه و أنه عليه السلام قد تعرض له أمور يحتاج إلى التصرف فيها فكانوا يخففون فلا يلبثون عنده إلا قليلا و ينصرفون حتى ينصرف النبي صلى الله عليه و سلم لأشغاله فترك صلى الله عليه و سلم ذلك الأمر الذي كان له فيه مشهد صحيح إلهي مراعاة لحفظ القلوب المنكسرة فإن الله عند المنكسرة قلوبهم غيبا يشبته الايمان و ينفيه العيان و هو عند المتكبرين عينا يشبته العيان و ينفيه الايمان فنقل الله نبيه صلى الله عليه و سلم من العيان إلى الايمان و أخبره أن تجليه تعالى في أعيان الأعزاء المتكبرين من زينة الحياة الدنيا فهي زينة الله للحياة الدنيا لا لنا و الذي لنا زينة الله من غير تقييد بالحياة الدنيا و ما يلزم من كونه زينا لزيد أن يكون زينا لعمرو فمن الناس من لا شهود له إلا زينة الله و من الناس من لا شهود له إلا زينة الحياة الدنيا من حيث ما هي زينة الله لها لا لنا فيشهدها لها و إن لم تكن لنا زينة و من الناس من يشهد زينة الشيطان في عمله و أعمال الخلق في قوله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ فهم الذين أضلهم الله على علم فيشهدها أهل الله زينة الله للشيطان لأنه عمله و من الناس من يشهد من زين له عمله و لا يدري من زينه هل متعلق تلك الزينة الذم أو الحمد و هو موضع الشبهة كمن يرى رجلا يحب أن يكون نعله حسنا و ثوبه حسنا فلا يدري أ هو ممن يحب زينة الحياة الدنيا أو هو ممن يتجمل لله في قوله خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ و قد قال عليه السلام للرجل الذي قال له إني أحب أن يكون نعلي حسنا و ثوبي

حسنا إن الله جميل يحب الجمال فوقع لهذا الرجل الاشتباه فلا يدري لمن ينسب تلك الزينة كمن يسمع شخصا يقول الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فلا يدري هل هو تال أو هو ذاكر من غير قصد تلاوة القرآن لأن اللفظ واحد و هو المشهود و القصد غيب و الأولى أن تحسن الظن بمن يتجمل فإنك مندوب إليه و سوء الظن أنت مأمور باجتنابه في حق المسلمين و لهذا فسر النبي صلى الله عليه و سلم كلامه للرجلين في اعتكافه حين انقلب يشيع صفية إني خشيت أن يقذف الشيطان فما أساء الظن إلا بأهله و هو الشيطان فينبغي لك إذا سمعت من يقول كلمة هي في القرآن كما قلنا فيمن سمع من يقول الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ أن تسمعها تلاوة قرآنية و إن لم يقصدها قائلها فإنك تؤجر أجر من سمع القرآن و لا بد و هذا مشهد عزيز قل أن ترى له ذائقا و هو قريب سهل لا كلفة فيه و أما قوله أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فمن قوله سُوءُ عَمَلِهِ عرفت من زينه و إن لم يذكره و مع هذا فالاحتمال لا يرتفع عنه فإن الله يقول في مثل هذا زَيَّنّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ فجاء بنون الكناية عن نفسه و نسب الحيرة إليهم بهذا التزيين فمثل هذا إذا لم يبين الله له في كشفه لمن هو هذا التزيين يقبله على مراد الله فيه من غير تعيين فيكون جزاؤه على الله من غير تعيين عندنا و إن كان معينا عند الله فإنه عند الله أيضا لا معين فإنا لم نعينه فهو يعلمه معينا لا معينا بنسبتين مختلفتين فافهم ذلك انتهى الجزء الثاني و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثامن و السبعون في معرفة الخلوة)

خلوت بمن أهوى فلم يك غيرنا و لو كان غيري لم يصح وجودها
إذا أحكمت نفسي شروط انفرادها فإن نفوس الخلق طرا عبيدها
و لو لم يكن في نفسها غير نفسها لجادت بها جودا على من يجيدها

اعلم وفقنا الله و إياكم أن الخلوة أصلها في الشرع من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فهذا حديث إلهي صحيح يتضمن الخلوة و الجلوة و أصل الخلوة من الخلأ الذي وجد فيه العالم

فمن خلا و لم يجد فما خلا فهي طريق حكمها حكم البلا

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كان الله و لا شيء معه و سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء ثم خلق الخلق و قضى القضية و فرغ من أشياء و هو كل يوم في شأن و سيفرغ من أشياء ثم يعمر المنازل بأهلها إلى الأبد الخلوة أعلى المقامات و هو المنزل الذي يعمره الإنسان و يملؤه بذاته فلا يسعه معه فيه غيره فتلك الخلوة و

نسبتها إليه و نسبته إليها نسبة الحق إلى قلب العبد الذي وسعه و لا يدخله و فيه غير بوجه من الوجوه الكونية فيكون خاليا من الأكوان كلها فيظهر فيه بذاته و نسبة القلب إلى الحق أن يكون على صورته فلا يسع فيه سواه و أصل الخلوة في العالم الخلأ الذي ملأه العالم فأول شيء ملأه الهباء و هو جوهر مظلم ملأ الخلأ بذاته ثم تجلى له الحق باسمه النور فانصبغ به ذلك الجوهر و زال عنه حكم الظلمة و هو العدم فاتصف بالوجود فظهر لنفسه بذلك النور المنصبغ به و كان ظهوره به على صورة الإنسان و بهذا يسميه أهل الله الإنسان الكبير و تسمى مختصره الإنسان الصغير لأنه موجود أودع الله فيه حقائق العالم الكبير كلها فخرج على صورة العالم مع صغر جرمه و العالم على صورة الحق فالإنسان على صورة الحق و هو قوله إن الله خلق آدم على صورته و لما كان الأمر على ما قررناه لذلك قال تعالى لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ لكن يعلم القليل من الناس فالإنسان عالم صغير و العالم إنسان كبير ثم انفتحت في العالم صور الأشكال من الأفلاك و العناصر و المولدات فكان الإنسان آخر مولد في العالم أوجده الله جامعا لحقائق العالم كله و جعله خليفة فيه فأعطاه قوة كل صورة موجودة في العالم فذلك الجوهر الهبائي المنصبغ بالنور هو البسيط و ظهور صور العالم فيه هو الوسيط و الإنسان الكامل هو الوجيز قال تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الْآفاقِ وَفي أَنْفُسِهِمْ ليعلموا أن الإنسان عالم وجيز من العالم يحوي على الآيات التي في العالم فأول ما يكشف لصاحب الخلوة آيات العالم قبل آيات نفسه لأن العالم قبله كما قال تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الْآفاقِ ثم بعد هذا يريه الآيات التي أبصرها في العالم في نفسه فلو رآها أولا في نفسه ثم رآها في العالم ربما تخيل أن نفسه رأى في العالم فرفع الله عنه هذا الإشكال بأن قدم له رؤية الآيات في العالم كالذي وقع في الوجود فإنه أقدم من الإنسان و كيف لا يكون أقدم و هو أبوه فأبانت له رؤية تلك الآيات التي في الآفاق و في نفسه أنه الحق لا غيره و تبين له ذلك فالآيات هي الدلالات له على أنه الحق الظاهر في مظاهر أعيان العالم فلا يطلب على أمر آخر صاحب هذه الخلوة فإنه ما ثم جملة واحدة و لهذا تمم تعالى في التعريف فقال أَ وَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ من أعيان العالم شَهِيدٌ على التجلي فيه و الظهور و ليس في قوة العالم أن يدفع عن نفسه هذا الظاهر فيه و لا أن لا يكون مظهرا و هو المعبر عنه بالإمكان فلو لم يكن حقيقة العالم الإمكان لما قبل النور و هو ظهور الحق فيه الذي تبين له بالآيات ثم تمم و قال إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ من العالم مُحِيطٌ و الإحاطة بالشيء تستر ذلك الشيء فيكون الظاهر المحيط لا ذلك الشيء فإن الإحاطة به تمنع من ظهوره فصار ذلك الشيء و هو العالم في المحيط كالروح للجسم و المحيط كالجسم للروح الواحد شهادة و هو المحيط الظاهر و الآخر غيب و هو المستور بهذه الإحاطة و هو عين العالم و لما كان الحكم للموصوف بالغيب في الظاهر الذي هو الشهادة و كانت أعيان شيئيات العالم على استعدادات في أنفسها حكمت على الظاهر فيها بما تعطيه حقائقها فظهرت صورها في المحيط و هو الحق فقيل عرش و كرسي و أفلاك و أملاك و

عناصر و مولدات و أحوال تعرض و ما ثم إلا الله فالحق من كونه محيطا كبيت الخلوة لصاحب الخلوة فيطلب صاحب الخلوة فلا يوجد فإن البيت يحجبه فلا يعرف منه إلا مكانه و مكانه يدل على مكانته فقد أعطيتك مرتبة الخلوة التي نريد في هذا الكتاب لا الخلوة المعهودة عند أصحاب الخلوات و درجاتها ألف و سبع و ستون درجة فظهر في الدرجات صورة الوترية و إذا لم يعمر الخلأ إلا العالم فهو في خلوة بنفسه هذا أصله ثم إنه لما انصبغ بالنور كان في خلوة بربه و بقي في تلك الخلوة إلى الأبد لا يتقيد بالزمان لا بأربعين يوما و لا بغير ذلك فالعارف إذا عرف ما ذكرناه عرف أنه في خلوة بربه لا بنفسه و مع ربه لا مع نفسه فيرى من حيث أثره في المحيط به بالصور التي ظهر بها المحيط نفسه بنفسه و من حيث تعدد أعيانه رأى منه به و كانت كل عين مغايرة لصاحبتها و لذلك اختلفت صور العالم و إن كان واحدا كما اختلفت صورة الإنسان في نفسه و إن كان الإنسان واحدا فيده ما هي رجله و رأسه ما هو صدره و عينه ما هو أذنه و لا لسانه و لا فرجه و عقله ما هو فكره و لا خياله فهو متنوع متعدد العين بالصور المحسوسة و المعنوية و مع هذا يقال فيه إنه واحد و يصدق و يقال فيه كثير و يصدق فمن حيث أحديته نقول رأى نفسه بنفسه و من حيث كثرته نقول رأى بعضه ببعضه فتكلم بلسانه و بطش بيده و سعى برجله و استنشق بأنفه و سمع بإذنه و نظر بعينه و تخيل بخياله و عقل بعقله فهذا كثير و ما ثم إلا هو فمن حصل له هذا العلم كما قررناه كان صاحب خلوة و من حرمه فليس بصاحب خلوة فقد تبين لك أن الحق بالعالم و العالم بالحق فهويته عين المجموع كما إن المجموع هو الإنسان بغيبه و شهادته و نطقه و حيوانيته فهو واحد في الكثرة و كثير في الأحدية فالخلوة من المقامات المستصحبة دنيا و آخرة إلى الأبد من حصلت له لا تزول فإنه لا أثر بعد عين و أما الخلوة المعروفة المعهودة فليست مقاما و لا تصح إلا لمحجوب و أما أهل الكشف فلا تصح لهم خلوة أبدا فإنهم يشاهدون الأرواح العلوية و الأرواح النارية و يرون الكائنات ناطقة أكوان ذاته و أكوان بيت خلوته فهو في ملأ كما هو في نفس الأمر فإذا أخذ الله عن بصره هذه المدركات و فصل بين الحيوان و الجماد و الملائكة و عالم الصمت من عالم الكلام و عالم السكون من عالم الحركات و يحب أن يخلو بربه حتى لا يشغله عنه نطق كون و لا حركة كون فمنهم من يطلب الخلوة لمزيد علم بالله من الله لا من نظره و فكره و هذا أتم المقاصد فإنه مأمور بذلك و العمل على الأمر الإلهي هو غاية كمال العمل و الله يقول له قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فمن تحدث في خلوته في نفسه مع كون من الأكوان فما هو في خلوة قال بعضهم لصاحب خلوة اذكرني عند ربك في خلوتك فقال له إذا ذكرتك فلست معه في خلوة و من هنا تعرف قوله تعالى أنا جليس من ذكرني فإنه لا يذكره حتى يحضر المذكور في نفسه إن كان المذكور ذا صورة في اعتقاده أحضره في خياله و إن كان من غير عالم الصور أو لا صورة له أحضرته القوة الذاكرة فإن القوة الذاكرة من الإنسان تضبط المعاني و القوة المتخيلة تضبط المثل التي أعطتها الحواس أو ما تركبه القوة المصورة من الأشكال الغريبة التي استفادت

جزئياتها من الحس لا بد من ذلك ليس لها تصرف إلا به فمن شرط الخلوة في هذا الطريق الذكر النفسي لا الذكر اللفظي فأول خلوته الذكر الخيالي و هو تصور لفظة الذكر من كونه مركبا من حروف رقمية و لفظية يمسكها الخيال سمعا أو رؤية فيذكر بها من غير أن يرتقي إلى الذكر المعنوي الذي لا صورة له و هو ذكر القلب و من الذكر القلبي ينقدح له المطلوب و الزيادة من العلوم و بذلك العلم الذي انقدح له يعرف ما المراد بصور المثل إذا أقيمت له و أنشأها الحس في خياله في نوم و يقظة و غيبة و فناء فيعلم ما رأى و هو علم التعبير للرؤيا و منهم من يأخذ الخلوة لصفاء الفكر ليكون صحيح النظر فيما يطلبه من العلم و هذا لا يكون إلا للذين يأخذون العلم من أفكارهم فهم يتخذون الخلوات لتصحيح ما يطلبونه إذا ظهر لهم بالموازين المنطقية و هو ميزان لطيف أدنى هواء يحركه فيخرجه عن الاستقامة فيتخذون الخلوات و يسدون مجاري الأهواء لئلا تؤثر في الميزان حركة تفسد عليهم صحة المطلوب و مثل هذه الخلوة لا يدخلها أهل الله و إنما لهم الخلوة بالذكر ليس للفكر عليهم سلطان و لا له فيهم أثر و أي صاحب خلوة استنكحه الفكر في خلوته فليخرج و يعلم أنه لا يراد لها و أنه ليس من أهل العلم الإلهي الصحيح إذ لو أراده الله لعلم الفيض الإلهي لحال بينه و بين الفكر و منهم من يأخذ الخلوة لما غلب عليه من وحشة الأنس بالخلق فيجد انقباضا في نفسه برؤية الخلق حتى أهل بيته حتى أنه ليجد وحشة الحركة فيطلب السكون فيؤديه ذلك إلى اتخاذ الخلوة و منهم من يتخذ الخلوة لاستحلاء ما يجد فيها من الالتذاذ و هذه كلها أمور معلولة لا تعطي مقاما و لا رتبة و صاحب الخلوة لا ينتظر واردا و لا صورة و لا شهودا و إنما يطلب علما بربه فوقتا يعطيه ذلك في غير مادة و وقتا يعطيه ذلك في مادة و يعطيه العلم بمدلول تلك المادة الخلوة لها الدعوى و صاحبها مسئول لها الحجاب الأقرب هي نسبة ما هي مقام أعني الخلوة المعهودة عند القوم لا الخلوة التي هي مقام التي ذكرناها في أول الباب و هذه و إن لم تكن مقاما فإنها تحصل لصاحبها بالذكر مقامات لها إحاطة بالملك و الملكوت و الجبروت عند العارفين و الملامية من الأدباء أرباب المواقف و أما أهل الوصال و الأنس من العارفين و الملامية فلا يرون لها في الملكوت دخولا و أنها مخصوصة بعالم الجبروت و الملك لا غير إلا أنها لها قرب من الملكوت ما بينها و بينه إلا درجتان فالأدباء الواقفون من الملامية يرون لها ستمائة درجة و إحدى و أربعون درجة و العارفون من أهل الأنس يرون لها ألف درجة و سبعا و ستين درجة و الأدباء من العارفين الواقفين يرون لها ستمائة درجة و سبعا و ستين درجة و الملامية من أهل الأنس و الوصال يرون لها ألف درجة و ستة و ثلاثين درجة

(الباب التاسع و السبعون في ترك الخلوة و هو المعبر عنه بالجلوة)

إذا لم ير الإنسان غير إلهه　　　لدى كل عين فالخلاء محال

فإن كنت هذا كنت صاحب خلوة　　　　و لله فيه فيصل و مقال

اعلم أيدنا الله و إياكم أن الكشف يمنع من الخلوة و إن كان فيها فإن الحجاب لها فإذا كوشف علم أنه لم يكن في خلوة فاتخاذ الخلوة المعهودة دليل على جهل متخذها فإنه عند الكشف يعرف جهله فكل من جهل إنه جهل فهو صاحب جهلين و من عرف أنه جهل فهو ذو جهل واحد و الذين علموا إن الظاهر من كونه ظاهرا في أعيان العالم و ما ثم سواه فهو في خلوة في نفسه إذا لم ينظر إلى من ظهر فيه فأورثه الملأ و الجلوة فلا تصح له الخلوة من هذا الوجه فمن الناس من يرجح صاحب الخلوة و من الناس من يرجح نقيضه و هو صاحب الجلوة فالاسم الأول و الباطن يطلبان الخلوة و الاسم الآخر و الظاهر يطلبان تركها و هي الجلوة و أنت لأي اسم غلب عليك و لا مفاضلة في الأسماء من وجه و مال الخلق إلى المقلوب من المال و هو الملأ فالخلوة دنيوية و الجلوة أخروية و الآخرة خير

(الباب الموفي ثمانين في العزلة)

إذا اعتزلت فلا تركن إلى أحد　　　　و لا تعرج على أهل و لا ولد

و لا توالي إذا واليت منزلة　　　　و غب عن الشرك و التوحيد بالأحد

و أنزع إلى طلب العليا منفردا　　　　بغير فكر و لا نفس و لا جسد

و سابق الهمة العليا تحظ بمن　　　　سما بأسمائه الحسنى بلا عدد

و اعلم بأنك محبوس و مكتنف　　　　بالنور حبسا جليا لا إلى أمد

لا يعتزل إلا من عرف نفسه و من عرف نفسه عرف ربه فليس له مشهود إلا الله من حيث أسماؤه الحسنى و تخلقه بها ظاهرا و باطنا و أسماؤه الحسنى سبحانه على قسمين أسماء يقبلها العقل و يستقل بإدراكها و ينسبها و يسمى بها الله تعالى و أسماء أيضا إلهية لو لا ورود الشرع بها ما قبلها فيقبلها إيمانا و لا يعقلها من حيث ذاته إلا إن أعلمه الحق بحقيقة نسبة تلك الأسماء إليه كما علمها أنبياءه و أولياءه فصاحب العزلة هو الذي يعتزل بما هو له من ربه من غير تخلق بما ينفرد به في زعم العقل من الأسماء الإلهية المشروعة التي لو لا الشرع ما سمي العقل الله بها فهي للحق و قد جبل الإنسان عليها و خلقه مجلى لها فهو المسمى بها و لا يتمكن له الاعتزال عن مثل هذه الأسماء الإلهية و بقي القسم الآخر من الأسماء الإلهية يعتزل عنها لما يطرأ عليه منها من الضرر كما قال ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و قوله كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ فيعتزل عن مثل هذه الأسماء الإلهية لما فيها من الذم لمن تسمى بها و ظهر بحكمها في العالم فالإنسان حقيقته أن يكون عائلا و العائل لا يكون متكبرا فإنه ظهر بما ليس هو له بنعت و لذلك لا ينظر الله إليه و هو واحد من الثلاثة

الشيخ الزاني و الملك الكذاب و العائل المستكبر ذكره مسلم في صحيحه فمن رأى التخلق بالأسماء الحسنى و مزاحمة الحق فيها لكونه خلق على الصورة فلا بد أن يظهر بها و يتلبس على الحد المشروع المحمود فهذه مزاحمة عبودية ربوبية و ذلك لما رأى أن له أسماء هي له حقيقة ينفرد بها و رأى أن الحق زاحمه فيها كالضحك و الفرح و التعجب و المحب و المتردد و الكارة و الناسي و الاستحياء و ما أشبه ذلك مما ورد ذكره في الكتاب و السنة إلى ما يداخل النشأة من يد و يدين و أيد و وجل و عين و أعين إلى ما يداخل النشأة من الأحوال من استواء و معية و نزول و طلب و شوق و أمثال ذلك و رأى هذا المعتزل قبل اعتزاله أن الحق قد زاحمه في هذه النعوت التي ينبغي أن تكون للعبد كما هي في نفس الأمر عنده قال الأليق بي إن أعتزل بأسمائي عن أسمائه و لا أزاحمه فيها تكون عارية عندي إذ كانت العارية أمانة مؤداة و حامل الأمانة موصوف بالتعريف الإلهي بالظلم و الجهل فاعتزل صاحب هذا النظر التخلق بالأسماء الحسنى و انفرد بفقره و ذله و صغاره و عجزه و قصوره و جهله في بيته كلما قرع عليه الباب اسم الإلهي قيل له ما هنا من يكلمك فإذا انقدح له بهذا الاعتزال أن الله له نفي الأولية و أنه أزلي الوجود و نظر في كلامه سبحانه و فيما أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يوصله إلينا من صفاته و أسمائه لنعرفه بذلك و يخلع علينا بهذا التعريف خلع العلم تشريفا لنا فأعلمنا إن هذه الصفات التي زعمنا إنا نستحقها و أنها لنا حقيقة إن الأمر على خلاف ذلك إذ قد اتصف هو بها و تسمى بها و نحن ما كنا فلا فرق بين هذه الأسماء و التي اعتزلنا عنها فأما أن نعتزل عن الجميع و إما أن نتسمى بالجميع فقلنا له اعتزل عن الجميع و اترك الحق إن شاء سماك بالأسماء كلها فأقبلها و لا تعترض و إن شاء سماك ببعضها و إن شاء لم يسمك و لا بواحد منها لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ فرجع العبد إلى خصوصيته و هي العبودة التي لم تزاحم الربوبية فتحلى بها و قعد في بيت شيئية ثبوته لا بشيئية وجوده ينظر تصريف الحق فيه و هو معتزل عن التدبير في ذلك فإن تسمى من هذه حالته بأي اسم كان فالله مسميه ما هو تسمى و ليس له رد ما سماه به فتلك الأسماء هي خلع الحق على عباده و هي خلع تشريف فمن الأدب قبولها لأنها جاءته من غير سؤال و لا استشراف و قد أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم بأخذ مثل هذا العطاء و ترك ما استشرفت النفس إلى أخذه و تمنى ذلك بالاستطلاع إليه و وقف عند ذلك على أنه كان غاصبا لله فيما كان يزعم أنه له فإذا هو لله و هو قوله تعالى وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فأخذ منه جميع ما كان يزعم أنه له إلا العبادة فإنه لا يأخذها إذ كانت ليست بصفة له فقال له تعالى لما قال وَإِلَيْهِ إلى يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ و هو أصله الذي خلق له وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فالعبادة اسم حقيقي للعبد فهي ذاته و موطنه و حاله و عينه و نفسه و حقيقته و وجهه فمن اعتزل هذه العزلة فهي عزلة العلماء بالله لا هجران الخلائق و لا غلق الأبواب و ملازمة البيوت و هي العزلة التي عند الناس أن يلزم الإنسان بيته و لا يعاشر و لا يخالط و يطلب السلامة ما

استطاع بعزلته ليسلم من الناس و يسلم الناس منه فهذا طلب عامة أهل الطريق بالعزلة ثم إن ارتقى إلى طور أعلى من هذا فيجعل عزلته رياضة و تقدمة بين يدي خلوته لتالف النفس قطع المألوفات من الأنس بالخلق فإنه يرى الأنس بالخلق من العلائق و العوائق الحائلة بينه و بين مطلوبه من الأنس بالله و الانفراد به فإذا انتقل من العزلة بعد إحكامه شرائطها سهل عليه أمر الخلوة هذا سبب العزلة عند خاصة أهل الله فهذه العزلة نسبة لا مقام و العزلة الأولى التي ذكرناها مقام مطلوب و لهذا جعلناها في المقامات من هذا الكتاب و إذا كانت مقاما فهي من المقامات المستصحبة في الدنيا و الآخرة فللعارفين من أهل الأنس و الوصال في العزلة من الدرجات خمسمائة درجة و ثمان و ثلاثون درجة و للعارفين الأدباء الواقفين مائة و ثلاث و أربعون درجة و للملامية فيها من أهل الأنس خمسمائة درجة و سبع درجات و للملامية من أهل الأدب الواقفين معهم مائة و اثنتي عشرة درجة و العزلة المعهودة في عموم أهل الله من المقامات المقيدة بشرط لا تكون إلا به و هي نسبة في التحقيق لا مقام إلا أنها تحصل عنها فوائد أقلها العصمة لها الدعوى صاحبها مسئول و علتها سوء الظن بنفسك أو بمن اعتزلت عنهم و هذا كله في عزلة العموم و هي من عالم الجبروت و الملكوت ما لها قدم في عالم الشهادة فلا تتعلق معارفها بشيء من عالم الملك

(الباب الحادي و الثمانون في ترك العزلة)

لا تفرحن بالاعتزال فإنه	جهل و أين الله و الأرواح
نور الإله أجل منك نفاسة	و مع الجلال جليسه المصباح
لم يعتزل عن نور كون حادث	و إلى التعلق ذاته ترتاح
لو أن نور الحق معتزل لما	ظهر الوجود و دامت الأفراح
بالنور من فلك البهاء إذا بدا	للناظرين أضاءت الأشباح

اعلم أيدنا الله و إياك أن مثير العزلة إنما هو خوف القواطع عن الوصلة بالجناب الإلهي أو رجاء الوصلة بالعزلة به لما كان في حجاب نفسه و ظلمة كونه و حقيقة ذاته يبعثها على طلب الوصلة ما هي عليه من الصورة الإلهية كما يطلب الرحم الوصلة ثم إن العبد رأى ارتباط الكون بالله ارتباطا لا يمكن الانفكاك عنه لأنه وصف ذاتي له و تجلى له في هذا الارتباط و عرف من هذا التجلي وجوبه به و أنه لا تثبت لمطلوبه هذه الرتبة إلا به و أنه سرها الذي لو بطل لبطلت الربوبية و رآه في كل شيء مثل ما هو عنده و نسبة كل شيء إليه كنسبته هو إليه فلم يتمكن له الاعتزال فتأدب مع قوله تعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أي صفة نوره صفة المصباح و لم يقل صفة

الشمس فإن الإمداد في نور الشمس يخفى بخلاف المصباح فإن الزيت و الدهن يمده لبقاء الإضاءة فهو باق بإمداد دهني من شجرة نسبة الجهات إليها نسبة واحدة منزهة عن الاختصاص بحكم جهة و هو قوله لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ و هذا الإمداد من نور السبحات الظاهرة من وراء سبحات العزة و الكبرياء و الجلال فما ينفذ من نور سبحات هذه الحجب هو نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و مثله كمثل المصباح و النور الذي في الدهن معلوم غير مشهود وضوء المصباح من أثره يدل عليه و على الحقيقة ما هو نور و إنما هو سبب لبقاء النور و استمراره فالنور العلمي منفر ظلمة الجهل من النفس فإذا أضاءت ذات النفس أبصرت ارتباطها بربها في كونها و في كون كل كون فلم تر عمن تعتزل و جعل هذا النور في مشكاة و زجاجة مخافة الهواء أن يجيره و يشتد عليه فيطفيه فكان مشكاته و زجاجته نشأته الظاهرة و الباطنة فإنهما من حيث هما عاصمان فإنهما من الذين يُسَبِّحُونَ بحمد الله اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ و هما اللذان يشهدان على النفس المدبرة إذا أنكرت بين يدي الله فهما أهل عدالة قال تعالى شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ و هما من النشأة الباطنة و جلودهم و هي من النشأة الظاهرة فما من شخص يروم مخالفة حق إلا و نشأتاه تقولان له لا تفعل أيها الملك و لا تحوجنا أن نكون سببا في إهلاكك فإن الله إن استشهدنا شهدنا ألا ترى الرسول صلى الله عليه و سلم لما بلغ و أنذر و وعد و أوعد قال لقومه إنكم لتسئلون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك بلغت و نصحت و أديت فقال اللهم اشهد و قد سأل هود قومه مع شركهم فقال اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ فاستشهدهم لعلمه أنهم لا بد أن يسألهم و نحن رعيتك و لا حركة لنا إلا بك فلا تحركنا إلا في أمر يكون لك لا عليك و المحجوب غافل عن هذا غير سامع لصمم قام به من شدة الهواء الذي أصمه فالله يجعلنا ممن سمع نطق جوارحه بالموعظة قبل سماعه إياها بالشهادة إنه ولي جواد كريم ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(الباب الثاني و الثمانون في الفرار)

جزاء من فر أن ينبأ — فرار موسى لما تابا
من فر منه به إليه — صير محبوبه محبا
و كان وترا فصار شفعا — و كان عينا فصار قلبا
أظهرني في الوجود تاجا — فعدت في ساعديه قلبا
أعطان كن ثم قال عبدي — فقال كن بي تكون ربا

الضمير في ساعديه يعود على الوجود قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام إنه قال لفرعون و آله فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي من الْمُرْسَلِينَ ثم قال وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ فقوله وَتِلْكَ نِعْمَةٌ قوله أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا فتلك النعمة تربية فرعون و المن يبطل الإنعام لأنه استعجال جزاء فلو لم يقل لنفعه ذلك عند الله إذ كان من شأن فرعون إذلال بنى إسرائيل و موسى منهم و كان قد أعزه و تبناه فهذا معنى قوله أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ و الفرار أنتج لموسى الرسالة و الحكم فكان خليفة رسولا لأن الرسول لا يكون حاكما حتى يكون خليفة ثم قال لنا ربنا لما قضاه من أن جعلنا ورثة النبيين و المرسلين في نبوتهم و رسالتهم ما أعطانا الله من حفظ دينه و الفتيا فيه و الاجتهاد في استنباط الحكم فقال فَفِرُّوا إِلَى اللهِ فجاء بالاسم الجامع و المراد منه اسم خاص يقتضي لنا ما اقتضى لموسى عليه السلام في فراره و هو الاسم الوهاب الذي يعطي لينعم خاصة و ذلك الوهب يجعله رسولا ضرورة لأن الحكم في غير محكوم عليه لا يصح و قال فيمن تربص في أهله و لم يفر إليه ما ذكره في كتابه و هو قوله تعالى قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ من اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا و التربص نقيض الفرار فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ و قد ذكرنا هذا الفرار الموسوي في كتاب الأسفار عن نتائج الأسفار و سميت هذا الفرار الموسوي سفر الطلب فلنحقق هنا معنى الفرار و كيف هو مقام و ما ينتج فإنه يظهر أنه نسبة لا مقام كالعزلة و الخلوة فإن كونه من المقامات مجهول عند أكثر أهل الله فاعلم إن الفرار بين طرفي ابتداء و انتهاء فابتداؤه من و انتهاؤه إلى فقد يكون السبب الموجب للفرار من كفرار موسى عليه السلام و لا يتعين إلي فإن الفار من من إنما يطلب النجاة من غير تعيين غاية و الفار إذا كان هو السبب الموجب للفرار لا بد أن يكون معينا و لا يتعين من و هو عكس الأول و لما كان الأمر بهذه المثابة أمرنا الله أن نفر إليه و لا بد و قد نفر إليه منه مثل قوله و أعوذ بك منك و قد نفر إليه من كون ما من الأكوان أو من صفة ما من الصفات إلهية كانت أو غير إلهية أو صفة فعل أو غير صفة فعل فعلمنا الله كيف نفر في قوله إِلَى اللهِ و هذه عناية من الله بنا أعني بهذه الأمة المحمدية يستروح منها ما لا يخفى على أحد فإن الأنبياء عليهم السلام يصدقون في كل ما يخبرون به من أحوالهم منزهون أن يلبسوا ثوبي زور فقال موسى عليه السلام فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فانتج له ذلك الفرار الحكم الذي هو الإمامة و الخلافة و الرسالة مع كون السبب الموجب الذي ذكره و ما ذكر إلى أين فر فإذا فر الفار إلى الله و عين من فر إليه و أبهم ما فر منه فما ترون تكون جائزته فإن جائزة موسى جائزة منقطعة فإن الخلافة هنا تترك و الرسالة كذلك ينقطع الأمران بالموت و الانقلاب إلى الدار الآخرة فهذا أعطى حكم ما فر منه لما كان منقطعا فإنه انقطع بغرقه أو بموته لو مات و لا بد له من الموت فكانت النتيجة و الهبة مناسبة بما أعطيه من انقطاعهما بالموت فإن الإمامة و الرسالة

ينقطعان بالموت و الفرار إلى الله يعطي ما يبقى ببقاء الله و لا أعين فإن التعين في ذلك إلى الله و سواء كان الفرار من الله أو لم يكن فإن المراعاة هنا لمن فر إليه و في حق موسى لما فر منه و إذا كانت هذه الأمة مع الأنبياء بهذا الحكم و هذه المنزلةفما ظنك بمنزلة أمم الأنبياء منا و الله ما يعرفون على أي طريق سلكت هذه الأمة في فرارها فإن الله مجهول الأينية و الفرار كان إليه فلا يدري أحد يفر إليه إذا تلقاه و أخذ بيده إلى أين يسير به فإن الله أسرع إلى من فر إليه في تلقيه من الفار إليه فإنه يقول و هو الصادق تعالى و من أتاني يسعى أتيته هرولة فوصف نفسه بالإقبال على عبده إذا أتاه بأضعاف مما يأتيه به من الحال و إتيان الفار أشد من الهرولة فيكون إتيان الحق إليه أشد من ذلك فتحقق هذا في العلم الإلهي تر العجب فيما أعطى الله هذه الأمة بعناية محمد صلى الله عليه و سلم فاعلم إن مقامك من الفرار لا يتعين فنتكلم عليه فإن حكمه في الفار بحسب ما فر منه و هي أمور كثيرة لا تنضبط جزئياتها و إن انحصرت أمهاتها أو ما فر إليه و هي أسماء كثيرة إلهية أو أحكام بحسب ما يراه الفار إليه و لكن الذي أمر الله به أن نفر إلى الله و الفرار إلى الله لا يصح من حيث المجموع فإنا منه نفر إليه فإن فيه ما نفر منه و من و إلى لا يجتمعان فإن أحكامهما مختلفة فإن قلت فقوله و أعوذ بك منك قلنا فيه وجهان الواحد أن قوله و أعوذ بك ما هو حكم الباء هنا حكم إلي فإنه يستعيذ بالله في حال فراره و ما بلغ إلى حكم إلى و نحن إنما نتكلم في لفظة إلى من حيث ما تدل عليه و هذا التعويذ النبوي إنما وقع بالباء فلا وجه لقولك هذا بالاستعاذة و الوجه الآخر أنه و إن جعلتها مطلوب إلى عين المستعاذ به في نهاية الفرار فمعلوم أنه لو كان عين من تفر منه عين من يفر إليه من غير اختلاف نسبة لم يصح فرار فلا بد من اختلاف النسبة فالنسبة التي جعلتك تفر منه عين النسبة التي فررت إليه من أجلها و العين واحدة مثل قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ فالعين التي تحشر منها هي العين التي تحشر إليها و بعينها ما وصفت به فانظر أي اسم يكون مشهود المتقي فما تجده الرحمن و إن كان معه في حال اتقائه و لكن تحشر إليه لينفرد بك دون أن تكون لاسم آخر تصرف فيك و قوله إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ تعلم ما هو الاسم الذي من أجله كان الإنذار المبين من المنذر لك و قوله مِنْهُ يعود على الله هو الذي وجهه إليك ليأمرك بالفرار إلى الله و إنما جاء بالاسم الجامع إذ كان في عرف الطبع الاستناد إلى الكثرة يقول النبي صلى الله عليه و سلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الأمان باستنادها إلى الكثرة و الله مجموع أسماء الخير إذا حققت معرفة الأسماء الإلهية وجدت أسماء الأخذ قليلة و أسماء الرحمة كثيرة في الاسم الله فلذلك أمرك بالفرار إلى الله فاعلم ذلك و ما من اسم إلهي إلا و يريد أن يربطك به و يقيدك و تكون له لظهور سلطانه فيك و أنت قد علمت إن سعادتك في المزيد و المزيد لا يكون لك إلا بالانتقال إلى حكم اسم آخر لتستفيد علما لم يكن عندك و الذي أنت عنده لا يتركك فتعين الفرار و يكون الإنذار أن لا يحكم عليك الاسم الذي أنت عنده بالبقاء معه ففررت إلى موطن الزيادة فالفرار حكم يستصحب العبد

في الدنيا و الآخرة و درجات العارفين من أهل الأنس و الوصال منه خمسمائة و اثنتا عشرة درجة و درجات العارفين من أهل الأدب و الوقوف مثلهم و درجات الملامية من أهل الأنس و الوصال أربعمائة و إحدى و ثمانون درجة و درجات الملامية من أهل الأدب و الوقوف مثلهم

(الباب الثالث و الثمانون في ترك الفرار)

أين الفرار و ما في الكون إلا هو　　و هل يجوز عليه هل هو أو ما هو

إن قلت هل فشهود العين ينكره　　أو قلت ما هو فما هو ليس إلا هو

فلا تفر و لا تركن إلى طلب　　فكل شيء تراه ذلك الله

اعلم أيدك الله أن قوله تعالى فَتَرَبَّصُوا عقيب ما تعدد من الأعيان إذن و أمر بالتربص إن كان الله مشهودا لكم في كل ما ذكرناه فإن ذلك الشهود هو المطلوب بهذا الفرار لأن الله أمرنا بالفرار إلى الله و قوله أَحَبَّ إِلَيْكُمْ من الله أي من أجل الله أي شهودكم الله في هذه الأعيان أحب إليكم من شهودكم إياه في أعيان غيرها للمناسبة القريبة التي بينكم و بين هذه الأشياء المذكورة و إن كان الكامل منا يشهده في كل عين و لكن بعض الأعيان قد يكون لبعض الأشخاص أحب من أعيان أخر و قوله وَ رَسُولِهِ مثل قوله من الله أي و من أجل رسوله حيث أمركم ببر هؤلاء و جعل لهم حقوقا عليكم فحقوق الآباء و الأبناء و الإخوان و الأزواج و العشائر معلومة منصوص عليها لا تخفى على من وقف على العلم المشروع و كذلك حقوق الأموال نعم المال الصالح للرجل الصالح و حقوق التجارة معلومة فإن صدق التجار فالتاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين و الشهداء كذا قال صلى الله عليه و سلم و قوله تَخْشَوْنَ كَسادَها يقول تخافون أن تتركوها لأجل الكساد طلبا للأرباح و أي ربح أعظم من ربح صدق التاجر و قوله وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ أي و من أجل أيضا شهودكم إياه تعالى في الجهاد في سبيله لأنه أمركم بهذا و علمتم أنه مشهودكم في كل ما ذكرناه و لما ذكرناه منزلة شريفة عندكم فَتَرَبَّصُوا أي لا تفروا فإنه ما أمرنا بالفرار إلا لكوننا ليست لنا هذه المشاهدة و قوله حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ و هو قيام الساعة أو الموت الذي يخرجكم عن مشاهدة هؤلاء و قوله وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ يقول الخارجين عن حكم هذه المشاهدة التي أنتم فيها و التي دعيتم إليها فما هي في حق أصحاب هذا النظر آية وعيد و إنما هي آية وعد و بشرى و تقرير حال و سكون أي تربصوا إذا كان هذا مشهدكم فقد حصل المطلوب فإن انتقلتم بعد هذا فهو انتقال من خير إلى خير أو من خير أدنى إلى خير أعلى فتفهم و تدبر ما ذكرنا تسعد إن شاء الله تعالى

(الباب الرابع و الثمانون في تقوى الله)

ما يتقي الله سوى جامع	لكل ما في الكون من حكمته
فيتقي النقمة في نعمته	و يتقى النعمة في نقمته
فكل ما في الكون من ظاهر	و باطن فيه فمن نعمته
و هي التي أسبغها منة	منه على المختار من أمته
فكل ما يجريه سبحانه	من كل ما يقضي فمن همته

اعلموا يا إخواننا أنا ر الله بصائركم و أصلح سرائركم و خلص من الشبه أدلتكم إنه لما امتن الله علينا بالاسم الرحمن فأخرجنا من الشر الذي هو العدم إلى الخير الذي هو الوجود و لهذا امتن الله تعالى علينا بنعمة الوجود فقال أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ من قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً فما تولانا منه سبحانه ابتداء إلا الرحمة و لهذا قال إن رحمة الله سبقت غضبه فلما نظرنا في قوله تعالى اتَّقُوا الله أي اتخذوه وقاية من كل ما تحذرون و رأينا مسمى الله يتضمن كل اسم إلا هي فينبغي أن يتقى منه و يتخذ وقاية فإنه ما من اسم من الأسماء الإلهية للكون به تعلق إلا و يمكن أن يتقى منه و به إما خوفا من فراقه إن كان من أسماء اللطف أو خوفا من نزوله إن كان من أسماء القهر فما يتقى إلا حكم أسمائه و ما تتقي أسماؤه إلا بأسمائه الاسم الذي يجمعها هو الله فإذا كان الله مجموع الأسماء المتقابلة و قد علمنا إن المتقابلين إذا كانا على ميزان واحد سقط حكمهما لأن المحل لا يقبل حكم تقابلهما فيسقطان فإذا رجح ميزان أحدهما كان الحكم للراجح و قد رجح اسم اللطيف بوجودنا لأن الاسم الرحمن يحفظنا فترجحت الرحمة فنفذ حكمها فهي الأصل بالإيجاد و الانتقام حكم عارض و العوارض لا ثبات لها فإن الوجود يصحبنا فما لنا إلى الرحمة و حكمها فلهذا أمرنا بتقوى الله أي نتخذه وقاية و نتقيه لما فيه من التقابل و هو مثل قوله في الاستعاذة منه به فقال و أعوذ بك منك و هو من المقامات المستصحبة في الدنيا و الآخرة فإنه إذا اتقيت أحكام الأسماء و لا سيما في الجنة التي حكم الإنسان فيها للصورة الإلهية التي فطر عليها فيقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء فربما يحجبه هذا المقام عن الذي هو أعلى في حقه فيذهل عن الكثيب الذي هو خير له مما هو فيه فيأتي الاسم المذكر الإلهي فيذكره بشرف رتبة الكثيب و ما يحصل له فيه و ما يرجع به إلى أهله فيتقي هذا الاسم الذي مسكه في الجنة عن التشوق إلى ما هو أفضل في حقه مما يحصل له في الكثيب فلهذا قلنا باستصحاب مقام التقوى في الدنيا و الآخرة فإذا علمت هذا علمت إن مقام التقوى تقوى الله مكتسب للعبد و لهذا أمر به و هكذا كل مأمور به فهو مقام يكتسب و لهذا قالت الطائفة إن المقامات مكاسب و الأحوال مواهب و التقوى الإلهية على قسمين في الحكم فينا أي انقسم فيها الأمر قسمين قسما أمرنا الله أن نتقيه حق تقاته من كوننا مؤمنين و قسما أمرنا فيه أن

نتقيه على قدر الاستطاعة و ما عين في هذا التكليف صفة تخص بها طائفة من الطوائف مثل ما عينها في حق تقاته و إن كان المؤمنون قد تقدم ذكرهم فأعاد الضمير عليهم و لكن مثل هذا لا يسمى تصريحا و لا تعيينا فينزل عن درجة التعيين فيحدث لذلك حكم آخر فقال فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ ابتدأ آية بفاء عطف و ضمير جمع لمذكور متقدم قريب أو بعيد فإن المضمرات تلحق بعالم الغيب و المعينات تلحق بعالم الشهادة لأن المضمر صالح لكل معين لا يختص به واحد دون آخر فهو مطلق و المعين مقيد فإنك إذا قلت زيد فما هو غيره من الأسماء لأنه موضوع لشخص بعينه و إذا قلت أنت أو هو أو إنك فهو ضمير يصلح لكل مخاطب قديم و حديث فلهذا فرقنا بين المضمر و المعين بالاسم أو الصفة و الصفة برزخية بين الأسماء و بين الضمائر فإنك إذا قلت المؤمن أو الكاتب فقد ميزته من غير المؤمن فأشبه زيدا من وجه ما عينته الصفة و أشبه الضمائر من وجه إطلاقه على كل من هذه صفته غير إن الضمير الخطابي مثلا يعم كل مخاطب كائنا من كان من مؤمن و غير مؤمن و إنسان و غير إنسان فتقوى الله حق تقاته هو رؤية المتقي التقوى منه و هو عنها بمعزل ما عدى نسبة التكليف به فإنه لا ينعزل عنها لما يقتضيه من سوء الأدب مع الله فحال المتقي لله حق تقاته كحال من شكر الله حق الشكر و قد تقدم معنى ذلك و هذه الآية من أصعب آية مرت على الصحابة و تخيلوا أن الله خفف عن عباده بآية الاستطاعة في التقوى و ما علموا أنهم انتقلوا إلى الأشد و كنا نقول بما قالوه و لكن الله لما فسر مراده بالحقية في أمثال هذا هان علينا الأمر في ذلك و علمنا إن تقوى الله بالاستطاعة أعظم في التكليف فإنه عزيز أن يبذل الإنسان في عمله جهد استطاعته لا بد من فضلة يبقيها و في حق تقاته ليس كذلك و علمنا إن الله أثبت العبد في الاستطاعة فلا ينبغي أن ننفيه عن الموضع الذي أثبته الحق فيه فإن ذلك منازعة لله و في حق تقاته أثبت له النظر إليه في تقواه و هو أهون عليه فما كان شديدا عندهم كان في نفس الأمر أهون و عند من فهم عن الله و ما كان هينا عندهم كان في نفس الأمر شديدا و عند من فهم عن الله جعلنا الله ممن فهم عنه خطابه فأتاه رحمة من عنده و هو ما أعطاه من الفهم و علمه من لدنه علما فلم يكله إلى عنديته و لا إلى نفسه بل تولى تعليمه ليريحه لما هو عليه من الضعف و لو لا إن العبد ادعى الاستطاعة في الأفعال و الاستقلال بها ما أنزل الله تكليفا قط و لا شريعة و لهذا جعل حظ المؤمن من هذه الدعوى أن يقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قال في حقنا و حق أمثالنا ممن تبرأ من الأفعال الظاهر وجودها منه قولوا لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم عن أن يشارك فيها فهي له خالصة فكم بين الحالين بين التبري و الدعوى فالمدعي مطالب بالبرهان على دعواه و المتبرئ غير مطالب بذلك و لا تقل إن التبري دعوى فإن التبري لا يبقي شيئا و على ذلك ينطلق اسم المتبرئ و نحن نتكلم في الأمر المحقق فإن كتابنا هذا بل كلامنا كله مبناه في الكلام على الأمور بما هي عليه في أنفسها و التبري صفة إلهية سلبية و العبد حقيقته سلب و الدعوى صفة إلهية ثبوتية لا تنبغي إلا لله عز و جل و العبد إذا

اتصف بها لم يزاحم الله فيها و يقول لا حول و لا قوة إلا بالله و مهما قال وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فإنما يقولها تاليا لا حقيقة فله ما نوى و هو بحيث علم و لو لا ما ظهر العبد بالدعوى ما قيل له فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ بالقوة التي جعلتها لكم فيكم بين الضعفين فمن تنبه على إن قوته مجعولة و أنها لمن جعلها لم يدع فيها بل هي أمانة عنده لا يملكها و الإنسان لا يكون غنيا إلا بما يملكه و الأمانة عارية لا تملك مأمور من هي عنده بردها إلى أهلها و هو قوله لا حول و لا قوة إلا بالله أي القوة قائمة بالله لا بنا فالمدعون في القوة يجعلون ما من قوله ما اسْتَطَعْتُمْ مصدرية و أهل التبري يجعلونها للنفي في الآية فنفى عندهم الاستطاعة في التقوى و أثبتها عند من جعلها مصدرية و لما كان المعنى في التقوى أن تتخذ وقاية مما ينسب إلى المتقي فإذا جاءت النسبة حالت الوقاية بينها و بين المتقي أن تصل إليه فتؤذيه فتلقتها الوقاية فلا أحد أصبر على أذى من الله فإن السهم و الطعن و الحجر و الضرب بالسيف و ما أشبه ذلك عند المثاقف إنما تتلقاها الوقاية و هي المجن الذي بيده و هو من ورائها ماسك عليها لكنه يحتاج إلى ميزان قوي لأمور عوارض عرضت للنسبة تسمى مذمومة فيقبلها العبد و لا يجعل الله وقاية أدبا و إن كان لا يتلقاها إلا الله في نفس الأمر و لكن الأدب مشروع للعبد في ذلك و لا تضره هذه الدعوى لأنها صورة لا حقيقة و إذا علم الله ذلك منك جازاك جزاء من رد الأمور إليه وعول في كل حال عليه و سكن تحت مجاري الأقدار و تفرج فيما يحدث الله في أولاد الليل و النهار فهذا تقوى الله قد أومأنا إلى تحقيقه إيماء فإن للكلام في معناه مجالا رحبا يطول فاكتفينا بهذا و انتقلنا إلى تقوى الحجاب و الستر و الكل من تقوى الله فإنه الأصل انتهى الجزء الثالث و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الخامس و الثمانون في تقوى الحجاب و الستر)

من يتقي الستر فذاك الذي	يعلم أن الستر من نفسه
إذا أتى يوم عليه يرى	يبكي على ما فات في أمسه
لو رفع الستر بدار الفناء	من قبل أن يرفع في رمسه
لنال ما نال رجال سمت	همتهم عن جنتي قدسه
و لاح وجه الحق في سرهم	في بدره وقتا و في شمسه
فلا يرى الترجيح فيما يرى	بعقله من ذاك أو حسه
كما يخاف العقل من عقله	كذا يخاف الحس من حسه

لأجل هذا يتقي المتقي كمتقي الشيطان من مسه

اعلم أيدنا الله و إياك أن الله تعالى قال كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ و قال صلى الله عليه و سلم إن لله سبعين حجابا من نور و ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فانظر ما ألطف هذه الحجب و ما أخفاها فإنه قال وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ مع وجود هذه الحجب التي تمنعنا من رؤيته في هذا القرب العظيم و ما نرى لهذه الحجب عينا فهي أيضا محجوبة عنا و قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ نعم يا ربنا ما نبصرك و لا نبصر الحجب فنحن خلف حجاب الحجب و أنت منا بمكان الوريد أو أقرب إلينا منا و هذا القرب هو سبب عدم الرؤية منا أن تتعلق بك الإنسان لا يرى نفسه فكيف يراك و أنت أقرب إلينا من أنفسنا فغاية القرب حجاب كما غاية البعد حجاب و إنما العجب الذي قصم الظهر و حير العقل قولك و علمنا إن الله يرى في قولك توبيخا و تنبيها أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى و قولك وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ثم قلت إنك لو رفعت الحجب بيننا و بينك من كونك موصوفا بالسبحات الوجهية لاحترق ما أدركه بصرك بسبحات وجهك و بالنور صح ظهور العالم و هو وجوده فكيف يعدم من حقيقته الإيجاد هنا هي الحيرة ثم إنه على الأمرين أدخلت نفسك تحت حكم التحديد و هذا ينكره ما جعلته فينا من القوة العقلية الناظرة بالصفة الفكرية و ما لنا إلا حس و عقل فبالحس ما ندرك و بالعقل ما ندرك فقد وقع الحد إن كنت خلف الحجاب فأنت محدود و إن كنت أقرب إلينا من الحجاب فأنت محدود و إن كنت بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فأنت أقرب إلى نفي الحد فلما ذا أدخلت نفسك في الحد بما أعلمتنا به من الحجب الحائلة بينك و بيننا بيننا و بينك حارت العقول و ما خاطب إلا العقول و نصب أدلتها متقابلة فما أثبته دليل نفاه آخر إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا و أي غفر أشد من هذا جزى الله عنا موسى عليه السلام حيرا إذ ترجم عنا بقوله إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ اختبرت عبادك بالأدلة و ما ثم دليل يوصل إليك الدليل موضوع ليدل على واضع لا يدل على حقيقة واضعه فما رأينا بعد السبر و التقسيم و ما أعطاه الكلام القديم إلا أن تكون أنت عين الحجب و لهذا احتجبت الحجب فلا نراها مع كونها نورا و ظلمة و هو ما تسميت به لنا من الظاهر و الباطن و قد أمرتنا أن نتقي الله فإن لم يكن الله عين الحجاب عليه النوري من الاسم الظاهر و الظلمي من الاسم الباطن و إلا كنا مشركين و قد ثبت أنا موحدون فثبت أنك عين الحجاب فما احتجبنا عنك إلا بك و لا احتجبت عنا إلا بظهورك غير أنك لا نعرف لكوننا نطلبك من اسمك كما نطلب الملك من اسمه و صفته و إن كان معنا غير ظاهر بذلك الاسم و لا بتلك الصفة بل ظهور ذاتي فهو يكلمنا و نكلمه و يشهدنا و نشهده و يعرفنا و لا نعرفه و هذا أقوى دليل على أن صفاته سلبية لا ثبوتية إذ لو كانت ثبوتية لا ظهرته إذا ظهر بذاته فما نعرف أنه هو إلا بتعريفه فنحن في المعرفة مقلدون له و كانت

صفاته ثبوتية لكانت عين ذاته و كنا نعرفه بنفس ما نراه و لم يكن الأمر كذلك فدل على خلاف ما يعتقدمأهل النظر و أرباب الفكر الصفاتين من المشبهة من أرباب العقول و هذا الأمر أدانا إلى أن نعتقد في الموجودات على تفاصيلها أن ذلك ظهور الحق في مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات فاختلفت الصفات على الظاهر لأن الأعيان التي ظهر فيها مختلفة فتميزت الموجودات و تعددت لتعدد الأعيان و تميزها في نفسه فما في الوجود إلا الله و أحكام الأعيان و ما في العدم الشيء إلا أعيان الممكنات مهياة للاتصاف بالوجود فهي لا هي في الوجود لأن الظاهر أحكامها فهي و لا عين لها في الوجود فلا هي كما هو و لا هو لأنه الظاهر فهو و التميز بين الموجودات معقول و محسوس لاختلاف أحكام الأعيان فلا هو

فيا أنا ما هو أنا   ولا هو ما هو هو

مغازلة رقيقة و إشارة دقية ردها البرهان و نفاها و أوجدها العيان و أثبتها فقل بعد هذا ما شئت فقد أنبت لك عن الأمر ما هو فما أخطأ معتقد في اعتقاده و لا جهل منتقد في انتقاده

فما ثم إلا الله و الكون حادث   و ما ثم إلا الله و الكون ظاهر
فما العلم إلا الجهل بالله فاعتصم   بقولي فإني عن قريب أسافر
و مالي مال غير علمي و وارث   سوى عين أولادي فذا المال حاضر

(الباب السادس و الثمانون في تقوى الحدود الدنياوية)

اعلم وفقك الله

المتقون حدود الله أفراد   بهذه الدار و الأفراد آحاد
إن الحدود إذا حققت صورتها   برازخ و هي في التحقيق إشهاد
فلتتقي حدك الرسمي أن له   غورا و في غور ذاك الغور إلحاد
وقف لدى حظك الذاتي تحظ بما   حظي به من له سعد و إسعاد
الفقر و العجز في دنيا و آخرة   فغاية القرب قرب فيه إبعاد
هذي طريقة أقوام لهم همم   فازوا بها و بها على الورى سادوا

قال الله تعالى وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ و أي عقوبة أشد من عقوبة تعم المستحق بها و غير المستحق و الظالم و غير الظالم و البريء و الفاعل و هي هذه الحدود الدنيوية لأنها دار امتزاج و نطفة أمشاج فتعم عقوبتها لعدم التمييز وحدود الآخرة ليست كذلك فإنها دار تمييز فلا تصيب العقوبة إلا أهلها فلو كانت نشأة الآخرة من نطفة أمشاج كما ذهب إليه ابن قسي لعمت العقوبة أهلها و غير أهلها و من هنا إن نظرت تعرف نشأة الآخرة أنها على غير مثال سبق كما أن نشأة الدنيا على غير مثال سبق و هو قوله وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ أنها كانت على غير مثال و لهذا أتى بكلمة التحضيض و هذه الفتنة العامة و العقوبة الشاملة و الحدود المتداخلة من صفة قوله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ فإن ظاهرها لا يقتضي العدل و باطنها يقتضي الفضل الإلهي ففي الآخرة لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى و هنا ليس كذلك في عموم صورة العقوبة و لكن ما هي في البريء عقوبة و إنما هي فتنة و في الظالم عقوبة لأنها جاءته عقيب ظلمه فما يستوجبها البريء و لكن حكم الدار عليه كما يحكم على أهل دار الكفر الدار و إن كان فيها من لا يستحق ما يستحقه الكفار قال تعالى وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ و النبي صلى الله عليه و سلم قد جعل مولى القوم منهم في الحكم و ما هو منهم في نفس الأمر جعلنا الله ممن عامله بفضله و لم يطلبه بواجب حقه إذا قال الله في حق من اصطفاه من عباده إنه ظالِمٌ لِنَفْسِهِ حيث حمل الأمانة و هذا هو ظلم المصطفين من عباد الله لا ظلم يتعدى الحدود الإلهية فإنه من يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لأن لنفسه حدا تقف عنده و هي عليه في نفسها و ذلك الحد هو عين عبوديتها و حد الله هو الذي يكون له فإذا دخل العبد في نعت الربوبية و هو الله فقد تعدى حدود الله وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لأن حد الشيء يمنع ما هو منه أن يخرج منه و ما ليس منه أن يدخل فيه هذه هي الحدود الذاتية فمن يتقيها فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فوصفهم بالتقوى إذا لم يتعدوها و جعلوها وقاية لهم و ليس بأيدينا من الحدود الذاتية لله شيء و الذي عندنا إنما هي الحدود الرسمية و لهذا اجترأ العباد عليها و تعدوها و منها عوقبوا كما إذا أدخلهم الحق صاحب الحد فيما هو له لم يتصف بالظلم فما استوجب عقوبة و لما كان حدا رسميا قبل العبد الدخول فيه فإن دخل فيه بنفسه من غير إدخال صاحبه فقد عرض نفسه للعقوبة فصاحب الحد بخير النظرين إن شاء عاقب و إن شاء عفا و إن شاء أثنى كالمتصف بالكرم و العفو و الصفح و هذه كلها حدود رسمية للحق فاعلم ما نبهتك عليه من العلم الغريب في هذه المسألة فإنها من لباب المعرفة بالله و أما حدود الله اللفظية فما حجر منها شيئا سوى كلمة الله و اختلفوا في كلمة الرحمن بالألف و اللام و كذلك أيضا لم يتسم أحد بالرحمن الرحيم على أن يكون من الأسماء

المركبة مثل بعل بك و رامهرمز و بلالآباذ و الحماية لهذا الاسم لم يكن عن أمر إلا هي مشروع و إنما كانت حماية غيبية أغفل الله عن التسمية بهذا الاسم المركب الناس ويكفي هذا القدر من تقوى الحدود

(الباب السابع و الثمانون في تقوى النار)

قال تعالى وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ و فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ و قال قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ

من يتقي النار فذاك الذي   يحشر للرحمن من قبره
من اسمه الجبار أو مثله   فليشكر الله على شكره
لا سيما و النار مشهوده   في ذلك اليوم على كبره
لا تقي النار و لا مثلها   فإن تقوى النار من مكره
لا تقي غير الإله الذي   أبطن نفع الشخص في ضره

اعلم وفقك الله و فهمك أن النار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض فهي وقاية و هو الداء الذي لا يتقي إلا بالكي بالنار فقد جعل الله النار وقاية في هذا الموطن من داء هو أشد من النار في حق المبتلى به و أي داء أكبر من الكبائر فجعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكي بالنار في الدنيا فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء عظيما أعظم من النار و هو غضب الله الذي قام مقام الداء الذي يكوي من يخاف عليه منه بالنار و لهذا يخرجون بعد ذلك من النار إلى الجنة قد امتحشوا كما يخرج إلى العافية صاحب الكي بالنار هذا إذا جعلناها وقاية كما جعلنا في الحدود الدنياوية وقاية من عذاب الآخرة و لهذا هي كفارات أي تستره هذه الحدود عن عذاب الآخرة و من هنا قلنا في المحاربين الله و رسوله إن المعنى بهم الكفار فإن الله لما عاقبهم في الدنيا لم يجعل عقوبتهم كفارة مثل ما هي الحدود في حق المؤمنين بل قال ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ و هذا لا يكون إلا للكفار و العذاب العظيم هو أن يعم الظاهر و الباطن بخلاف عذاب أهل الكبائر من المؤمنين فإن الله يميتهم في النار إماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فهؤلاء ما أحسوا بالعذاب لموتهم فليس لهم حظ في العذاب العظيم فتتقى النار لما يكون من الألم عند تعلقها بنا و الذين هم جمر لها يزيدون في فعلها فإنهم المحرقون بالنار مثل الجمرات ثم تفعل النار بوساطة الجمرات التي ظهرت فيها فعلا آخر قد يكون فيه منفعة كالجمرات التي تكون تحت القدر لإنضاج ما في القدر ليقع بذلك الإنضاج منفعة المتمتع بما نضج و لما كانت كرة الأثير واسعة الشمس تؤثر في مولدات الفواكه و المعادن بحرارتها

نضجا لما في ذلك من المنفعة لنا كانت رحمة مع كونها نارا كذلك من عرف نشأة الآخرة و موضع الجنة و النار و ما في فواكه الجنة من النضج الذي يقع به الالتذاذ لأكله من أهل الجنان علم أين النار و أين الجنة و إن نضج فواكه الجنة سببها حرارة النار الذي تحت مقعر أرض الجنة فتحدث النار حرارة في مقعر أرضها فيكون صلاح ما في الجنة من المأكولات و ما لا يصلح إلا بالحرارة من حرارة النار و هو لها كحرارة النار تحت القدر فإن مقعر أرض الجنة هو سقف النار و قد بينا ذلك في التنزلات الموصلية و الشمس و القمر و النجوم كلها في النار و عن أحكامها بما أودع الله فيها كانت منافع الحيوانات بها فتفعل بالأشياء هنالك علوا كما كانت تفعل هنا سفلا و كما هو الأمر هنا كذلك ينتقل إلى هنالك بالمعنى و إن اختلفت الصور ألا ترى أرض الجنة مسكا و هو حار بالطبع لما فيه من النار و أشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي حال نبات هذه الدار الدنيا الزبل لما فيه من الحرارة الطبيعية لأنه معفن و الحرارة تعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفين و هذا القدر كاف في تقوى النار أعاذنا الله منها في الدارين

(الباب الثامن و الثمانون في معرفة أسرار أصول أحكام الشرع)

الشرع ما شرع الإله تخلقا ... فهو العليم بحقهم و بحقه
فإذا أتى عبد يشرع شرعة ... قام الإله بحقها في حقه
و الشرعتان هما من أصل واحد ... ما لم يقل قال الإله لخلقه
فإذا يقول فإنها أحبولة ... نجم القرين بنجمها من أفقه
ليصدقوا ما قلدوا أفكارهم ... فهو الكذوب و إن أتاك بصدقه
فلتعتبر أحكام أصل كتابها ... فلربما غص اللعين بريقه

اعلم أن أصول أحكام الشرع المتفق عليها ثلاث الكتاب و السنة المتواترة و الإجماع و اختلف العلماء في القياس فمن قائل بأنه دليل و أنه من أصول الأحكام و من قائل بمنعه و به أقول قال الله تعالى وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قال إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و قال اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ مثل قوله في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً فجعل إعطاءه العلم عبده من رحمته و التقوى عمل مشروع لنا فلا بد أن تكون التقوى نسبة حكمه إلى دليل من هذه الأدلة أو إلى كلها في أي مسألة يلزمنا فيها تقوى الله قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة و هما الأصلان الفاعلان و الإجماع و القياس إنما يثبتان و تصح دلالتهما بالكتاب و السنة فهما أصلان في الحكم منفعلان فظهرت عن هذه الأربع الحقائق نشأة الأحكام المشروعة

التي بالعمل بها تكون السعادة فإن الموجودات ظهرت عن أربع حقائق إلهية و هي الحياة و العلم و الإرادة و القدرة و الأجسام ظهرت عن أربع حقائق عن حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة و المولدات ظهرت عن أربعة أركان نار و هواء و ماء و تراب و جسم الإنسان و الحيوان ظهر عن أربعة أخلاط صفرا و سودا و دم و بلغم فالحرارة و البرودة فاعلان و الرطوبة و اليبوسة منفعلتان فاعلم و لما كان من لا يؤمن بالشرائع المنزلة يشاركنا بالرياضة و المجاهدة و تخليص النفس من حكم الطبيعة يظهر عليه الاتصال بالأرواح الطاهرة الزكية و يظهر حكم ذلك الاتصال عليه مثل ما يظهر من المؤمنين العاملين منا بالشرائع المنزلة بما وقع من التشبيه و الاشتراك فيما ذكرناه عند عامة الناس و نطقنا بالعلوم التي يعطيها كشف الرياضة و إمداد الأرواح العلوية و انتقش في هذه النفوس الفاضلة جميع ما في العالم فنطقوا بالغيوب قال الجنيد علمنا هذا و إن وقع فيه الاشتراك بيننا و بين العقلاء فأصل رياضتنا و مجاهدتنا و أعمالنا التي أعطتنا هذه العلوم و الآثار الظاهرة علينا إنما كان من عملنا على الكتاب و السنة فهذا معنى قوله علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة و تميز يوم القيامة عن أولئك بهذا القدر فإنهم ليس لهم في الإلهيات ذوق فإن فيضهم روحاني و فيضنا روحاني و إلهي لكوننا سلكنا على طريقة إلهية تسمى شريعة فأوصلتنا إلى المشرع و هو الله تعالى لأنه جعلها طريقا إليه فاعلم ذلك و لما كان شرع الله و حكمه في حركات الإنسان المكلف لا يؤخذ إلا من القرآن كذلك لم توجد إلا بالمتكلم به و هو الله تعالى فقال للشيء كن فكان فالقرآن أقوى دليل يستند إليه أو ما صح عن رسول الله ص الذي قام الدليل على صدقه أنه مخبر عن الله جميع ما شرعه في عبيد الله و قد يكون ذلك الخبر إما بإجماع من الصحابة و هو الإجماع أو من بعضهم بنقل العدل عن العدل و هو خبر الواحد و بأي طريق وصل إلينا فنحن متعبدون بالعمل به بلا خلاف بين علماء الإسلام و لهذا يقول أهل الأصول في الإجماع إنه لا بد أن يستند إلى نص و إن لم ينطق به و أما القياس فمختلف في اتخاذه دليلا و أصلا فإن له وجها في المعقول ففي مواضع تظهر قوة الأخذ به على تركه و في مواضع لا يظهر ذلك و مع هذا فما هو دليل مقطوع به فأشبه خبر الآحاد فإن الاتفاق على الأخذ به مع كونه لا يفيد العلم و هو أصل من أصول إثبات الأحكام فليكن القياس مثله إذا كان جليا لا يرتاب فيه و عندنا و إن لم نقل به في حقي فإني أجيز الحكم به لمن أداه اجتهاده إلى إثباته أخطأ في ذلك أو أصاب فإن الشارع أثبت حكم المجتهد و إن أخطأ و أنه ما جور فلو لا أن المجتهد استند إلى دليل في إثبات القياس من كتاب أو سنة أو إجماع أو من كل أصل منها لما حل له أن يحكم به بل ربما يكون في حكم النظر عند المنصف القياس الجلي أقوى في الدلالة على الحكم من خبر الواحد الصحيح فإنا إنما نأخذه بحسن الظن برواته و لا نزكيه علما على الله فإن الشرع منعنا أن نزكي على الله أحدا و لنقل أظنه كذا و أحسبه كذا و القياس الجلي يشاركنا فيه النظر الصحيح العقلي و قد كنا أثبتنا بالنظر العقلي الذي أمرنا به شرعا في قوله أَ وَلَمْ يَنْظُرُوا في

مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ من جِنَّةٍ وفي القرآن من مثل هذا كثير فقد اعتبر الشارع حكم النظر العقلي في إثبات وجود الله أولا وهو الركن الأعظم ثم اعتبره في توحيده في ألوهته فكلفنا النظر في أنه لا إله إلا الله بعقولنا ثم نظرنا بالدليل العقلي ما يجب لهذا الإله من الأحكام ثم نظرنا بالنظر العقلي الذي أمرنا به في تصديق ما جاء به هذا الرسول من عنده إذ كان بشرا مثلنا فنظرنا بالعقول في آياته وما نصبه دليلا على صدقه فأثبتناه وهذه كلها أصول لو انهد ركن منها بطلت الشرائع ومستند ثبوتها النظر العقلي واعتبره الشرع وأمر به عباده والقياس نظر عقلي أ ترى الحق يبيحه في هذه المهمات والأركان العظيمة ويحجزه علينا في مسألة فرعية ما وجدنا لها ذكرا في كتاب ولا سنة ولا إجماع ونحن نقطع أنه لا بد فيها من حكم إلهي مشروع وقد انسدت الطرق فلجأنا إلى الأصل وهو النظر العقلي واتخذنا قواعد إثبات هذا الأصل كتابا وسنة فنظرنا في ذلك فأثبتنا القياس أصلا من أصول أدلة الأحكام بهذا القدر من النظر العقلي حيث كان له حكم في الأصول فقسنا مسكوتا عنه على منطوق به لعلة معقولة لا يبعد أن تكون مقصودة للشارع تجمع بينهما في مواضع الضرورة إذا لم نجد فيه نصا معينا فهذا مذهبنا في هذه المسألة وكل من خطأ عندي مثبت القياس أصلا أو خطأ مجتهدا في فرع كان أو في أصل فقد أساء الأدب على الشارع حيث أثبت حكمه والشارع لا يثبت الباطل فلا بد أن يكون حقا ويكون نسبة الخطاء إلى ذلك نسبة أنه أخطا دليل المخالف الذي لم يصح عند المجتهد أن يكون ذلك دليلا والمخطئ في الشرع واحد لا بعينه فلا بد من الأخذ بقوله ومن قوله إثبات القياس فقد أمر الشارع بالأخذ به وإن كان خطأ في نفس الأمر فقد تعبده به فإن للشارع أن يتعبد بما شاء عباده وهذه طريقة انفردنا بها في علمنا مع أنا لا نقول بالقياس بالنظر إلينا ونقول به بالنظر لمن أداه إليه اجتهاده لكون الشارع أثبته فلو أنصف المخالف لسكت عن النزاع في هذه المسألة فإنها أوضح من أن ينازع فيها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ثم نبين في هذا الباب ما يتعلق بأصول الأحكام عند علماء الإسلام كما علمنا في العبادات وكان الأولى تقديم هذا الباب في أول العبادات قبل الشروع فيها ولكن هكذا وقع فإنا ما قصدنا هذا الترتيب عن اختيار ولو كان عن نظر فكري لم يكن هذا موضعه في ترتيب الحكمة فأشبه آية قوله حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة يتقدمها ويتأخرها فيعطي الظاهر أن ذلك ليس موضعها وقد جعل الله ذلك موضعها لعلمه بما ينبغي في الأشياء فإن الحكيم من يعمل ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي وإن جهلنا نحن صورة ما ينبغي في ذلك فالله تعالى رتب على يدنا هذا الترتيب فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا فالله يملي على القلوب بالإلهام جميع ما يسطره العالم في الوجود فإن العالم كتاب مسطور إلهى وإذا تعارض آيتان أو خبران صحيحان وأمكن الجمع بينهما واستعمالهما معا فلا نعدل عن استعمالهما فإن لم يمكن استعمالهما معا بحيث أن يكون في أحدهما استثناء فيجب أن

يؤخذ بالذي فيه الاستثناء و إن كان في أحدهما زيادة أخذت الزيادة و عمل بها فإن لم يوجد شيء من ذلك و تعارضا من جميع الوجوه فينظر إلى التأريخ فيؤخذ بالمتأخر منهما فإن جهل التأريخ و عسر العلم به فلينظر إلى أقربهما إلى رفع الحرج في الدين فيعمل به لأنه يعضده ما (جَعَلَ) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ و دين الله يسر و يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و ما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم و ما نهيتكم عنه فدعوه فإن تساويا في رفع الحرج فلا يسقطان و تكون مخيرا فيهما تعمل بأي الخبرين شئت أو الآيتين و إذا تعارض آية و خبر صحيح من جميع الوجوه من أخبار الآحاد و جهل التأريخ أخذ بالآية و تركنا الخبر فإن الآية مقطوع بها و خبر الواحد مظنون فإن كان الخبر متواترا كالآية و جهل التأريخ و لم يمكن الجمع بينهما كان الحكم التخيير فيهما إلا أن يكون أحدهما فيه رفع الحرج فيقدم الأخذ به و كل خبرين أو آيتين تعارضا أو آية و خبر صحيح متواترا و غير متواتر و في أحدهما زيادة حكم قبلت الزيادة و عمل بها و ترجح الأخذ بحديث الزيادة على معارضه و لا يؤخذ من الحديث إلا ما صح فإن كان المكلف مقلدا و بلغ إليه حديث ضعيف مسند إلى رسول الله ص و قد عارضة قول إمام من الأئمة أو صاحب لا يعرف دليل ذلك القول فيأخذ بالحديث الضعيف و يترك ذلك القول فإن قصاراه أن يكون في درجة ذلك القول إن كان الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح و لا يعدل عن الحديث و أما إذا صح الحديث و عارضة قول صاحب أو إمام فلا سبيل إلى العدول عن الحديث و يترك قول ذلك الإمام و الصاحب للخبر فإن كان الخبر مرسلا أو موقوفا فلا يعول عليه إلا إذا علم من التابع أنه لا يرسل الحديث إلا عن صاحب لا غير و إن لم يعين ذلك الصاحب فيؤخذ بالمرسل فإنه في حكم المسند و هو أن يقول التابع قال رسول الله ص و لا يذكر الصاحب الذي عنه رواه و يعلم أنه ممن أدرك الصحابة و صحبهم و هو ثقة في دينه و يعلم منه أنه ممن لا يرى الكذب على النبي ص في المصالح فإن علم منه ذلك لم يؤخذ بحديثه و لو أسنده و لا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو إمام و من يفعل ذلك فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً و خرج عن دين الله و إذا ورد الخبر عن قوم مستورين لم يتكلم فيهم بجرح و لا تعديل وجب الأخذ بروايتهم فإن جرح واحد منهم بجرحة تؤثر في صدقه ترك حديثه و إن كانت الجرحة لا تتعلق بنقله وجب الأخذ به إلا شارب الخمر إذا حدث في حال سكره فإن علم أنه حدث في حال صحوه و هو ممن هذه صفته أخذ بقوله و الإسلام العدالة و الجرحة طارئة و إذا ثبتت على حد ما قلناه ترك الأخذ بحديث صاحب تلك الجرحة و لا فرق بين الأخذ بخبر الواحد الصحيح و بين المتواتر إلا إن تعارضا كما قلناه و ما أوجب الله علينا الأخذ بقول أحد غير رسول الله ص مع كوننا مأمورين بتعظيمهم و محبتهم و أما النسخ فلا أقول به على حد ما يقولون به فإنه عندنا انتهاء مدة الحكم في علم الله فإذا انتهى فجائز أن يأتي حكم آخر من قرآن أو سنة فإن سمي مثل هذا نسخا قلنا به و إذا كان الأمر على هذا فيجوز نسخ القرآن بالقرآن و

بالسنة فإن السنة مبينة لأنه ع مأمور بأنه يبين للناس ما نزل إليهم و أن يحكم بما أراه الله لا بما أرته نفسه فإنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه سواء كان ذلك قرآنا أو غير قرآن و يجوز نسخ السنة بالقرآن و السنة و إذا ورد نص من آية أو خبر لا يجوز الوقوف عن الأخذ بذلك القرآن أو الخبر حتى يرى هل له معارض أم لا بل يعمل بما وصل إليه فإن عثر بعد ذلك على خبر أو آية ناسخ أو مخصص أو معمم للمتقدم كان بحكم ما وصل إليه بشروطه و هو أن يبحث عن التأريخ فإن الخاص قد يتقدم على العام كما يتقدم العام على الخاص و الأصل أن الحكم للمتأخر و إذا وردت الآية أو الخبر بلفظ ما من اللسان فالأصل أن يؤخذ بما هو عليه في لغة العرب فإن أطلقه الشارع على غير المفهوم من اللسان كاسم الصلاة و اسم الوضوء و اسم الحج و اسم الزكاة صار الأصل ما فسره به الشارع و قرره فإذا ورد بعد ذلك خبر بذلك اللفظ حمل على ما فسره به الشارع و لم يحمل على ما هو عليه في اللسان حتى يرد من الرسول في ذلك اللفظ أنه به ما هو عليه في اللسان فيعدل عند ذلك إليه في ذلك الخبر على التعيين و أوامر الشرع كلها محمولة على الوجوب و نواهيه محمولة على الحظر ما لم يقترن بالأمر قرينة حال تخرجه عن الوجوب إلى الندب أو الإباحة و كذلك النهي إن اقترنت به قرينة تخرجه من الحظر إلى الكراهة فإن تعرى الأمر عن قرينة الندب أو الإباحة تعين الوجوب و كذلك النهي و قد يرد الأمر الإلهي أو النبوي على النهي برفع التحجير خاصة لا لوجوب فعل المأمور به و الإجماع إجماع الصحابة بعد رسول الله ص لا غير و ما عدا عصرهم فليس بإجماع يحكم به و صورة الإجماع أن يعلم أن المسألة قد بلغت لكل واحد من الصحابة فقال فيها بذلك الحكم الذي قال به الآخر إلى أن لم يبق منهم أحد إلا و قد وصل إليه ذلك الأمر و قال فيه بذلك الحكم فإن نقل عن واحد خلاف في ذلك فليس بإجماع أو نقل عنه سكوت فليس بإجماع و إذا وقع خلاف في شيء وجب رد الحكم فيه إلى الكتاب و الخبر النبوي فإنه خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا و لا يجوز أن يدان الله بالرأي و هو القول بغير حجة و لا برهان لا من كتاب و لا من سنة و لا من إجماع و إن كنا لا نقول بالقياس فلا نخطىء مثبته إذا كانت العلة الجامعة معقولة جلية يغلب على الظن أنها مقصودة للشارع و إنما امتنعنا نحن من الأخذ بالقياس لأنه زيادة في الحكم و فهمنا من الشارع أنه يريد التخفيف عن هذه الأمة و كان يقول اتركوني ما تركتكم و كان يكره المسائل خوفا أن ينزل عليهم في ذلك حكم فلا يقومون به كقيام رمضان و الحج في كل سنة و غير ذلك فلما رأيناه على ذلك منعنا القياس في الدين فإن النبي ص ما أمر به و لا أمر به الحق تعالى فتعين علينا تركه فإنه مما يكرهه ص و حكم الأصل أن لا تكليف و أن الله خلق لنا ما في الْأَرْضِ جَمِيعاً فمن ادعى التحجير علينا فعليه بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع و أما القياس فلا أقول به و لا أقلد فيه جملة واحدة و أما أفعال النبي ص فليست على الوجوب فإن في ذلك غاية الحرج إلا فعل بين به أمرا تعبدنا به فذلك الفعل واجب مثل قوله صلوا كما رأيتموني أصلي و خذوا عني مناسككم و أفعال الحج و لو لا نطقه في ذلك

في بعض الأفعال لم يكن يلزمنا ذلك الفعل فإنه بشر يتحرك كما يتحرك البشر و يرضى كما يرضى البشر و يغضب كما يغضب البشر فلا يلزمنا اتباعه في أفعاله إلا أن أمر بذلك و تعين عليه أن لا يفعل فعلا سرا بحيث لا يراه أحد كما تعين عليه فيما أمر بتبليغه أن لا يتكلم به وحده بحيث لا يسمعه أحد حتى ينقله إلى من لم يسمعه و أما شرع من قبلنا فما يلزمنا اتباعه إلا ما قرر شرعنا منه مع كون ذلك شرعا حقا لمن خوطب به لا نقول فيه بالباطل بل نؤمن بالله و رسوله و ما أنزل إليه و ما أنزل من قبله من كتاب و شرع منزل و التقليد في دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حي و لا ميت و يتعين على السائل إذا سأل العالم أن يقول له أريد حكم الله أو حكم رسوله في هذه المسألة فإن قال له المسئول هذا حكم الله في المسألة أو حكم رسوله تعين عليه الأخذ بها فإن المسئول هنا ناقل حكم الله و حكم رسوله الذي أمرنا بالأخذ به فإن قال هذا رأيي أو هذا حكم رأيته أو ما عندي في هذه المسألة حكم منطوق به و لكن القياس يعطي أن يكون الحكم فيه مثل الحكم في المسألة الفلانية المنطوق بحكمها لم يجز للسائل أن يأخذ بقوله و يبحث عن أهل الذكر فيسألهم على صفة ما قلنا و يتعين على كل مسلم أن لا يسأل إلا أهل الذكر و هم أهل القرآن قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و أهل الحديث فإن علم السائل أن هذا المسئول صاحب رأي و قياس فيتركه و يسأل صاحب الحديث فإن كان المسئول صاحب رأي و قياس و حديث فيسأله فإذا أفتاه تعين عليه أن يقول له هذا الحكم رأي أو قياس أو عن حديث فإن قال عن رأي أو قياس تركه و إن قال عن خبر أخذ به و لا حكم للخطإ و النسيان إلا حيث جاء في قرآن أو سنة أن يكون لهما حكم فيعمل به مثل صلاة الناسي و قتل الخطاء و كل مسكوت عنه فلا حكم فيه إلا الإباحة الأصليةو خطاب الشرع متوجه على الأسماء و الأحوال لا على الأعيان فلا يكون حكم الفرض إلا على من حاله قبول الفرض من أمر و نهي في عمل أو ترك فكل من عجز عن شيء من ذلك مما كلفه الله به بل ما هو مخاطب به إن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و إِلَّا ما آتاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً و كل عمل مقيد بوقت موسعا كان أو مضيقا فلا يجوز عمله إلا في وقته لا قبله و لا بعده فإن ذلك حد الله المشروع فيه فلا يتعدى و حكم الاجتهاد في الأصول و الفروع واحد و الحق في الفروع حيث قرره الشرع و قد قرر حكم المجتهدين و لا يقرر إلا ما هو حق فكله حق و أما نسبة الخطاء إلى المجتهد الذي له أجر واحد فهو كونه لم يعثر على حكم الله أو حكم رسوله في تلك المسألة و قد تعبده الله بما انتهى إليه اجتهاده فلو لم يكن حقا عند الله بالنظر إليه لما تعبده به فإن الله لا يقر الباطل فإذا وصل إليه بعد ذلك حكم الله تعالى أو رسوله في تلك المسألة بما يخالف دليله و علم أن ذلك الحكم متأخر عن حكم دليله وجب عليه الرجوع عن ذلك الحكم الأول و لا يحل له البقاء عليه و لهذا كان من علم مالك بن أنس و دينه و ورعه أنه إذا سئل عن مسألة في دين الله يقول نزلت فإن قيل له نعم أفتى و إن قيل لم تنزل لم يفت و سببه ما ذكرنا لأن المصيب للحكم المعين في تلك المسألة واحد لا بعينه و

المخطئ واحد لا بعينه و لهذا قالت العلماء كل مجتهد مصيب فأما مصيب للحكم الإلهي فيها على التعين أو مصيب للحكم المقرر الذي أثبته الله له إذا لم يعثر على ذلك الحكم المعين و أخطأه و هذا القدر كاف في أصول أحكام الشرع في هذا الكتاب لأنه لا يحتمل الاستقصاء و أما أسرار أصول أحكام الشرع المتفق عليها و المختلف فيها فإن سر الكتاب هو ما يكون من الله للعبد بترك الوسائط كما قال كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ فهم كتاب الله و هو قول الشارع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك و قوله استفت قلبك و إن أفتاك المفتون و الكتابة ضم المعاني الإلهية بما يليق بجلاله من نسبة أسماء الله الحسنى إلى المعاني التي لنا من التخلق بتلك الأسماء أي بمعانيها أو تكون أخلاقا لنا لا تخلقا و هي نسبتها إلينا على ما يليق بنا فهو الرءوف الرحيم و قد قال في رسوله ص بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ و هذا مدح و سمى نفسه بالعزيز الكريم و قد قال في بعض عباده ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و هو ذم و كلها أسماء الله و أسماء الخلق و مدلولاتها معقولة المعنى بآثارها فيمن تسمى بها و إن كانت نسبها مختلفة فنسبتها إلى الله لا تشبه نسبتها إلى العبد فإنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و إن كان آثار الكريم أن يعطي و قد وجد العطاء من الله و من العبد على جهة الإنعام فإن انضم المعنى إلى المعنى من وجه فقد افترقا من وجه لأن الموصوف المسمى لا يشبه الموصوف المسمى الآخر فمن الوجه الذي يقع الاشتراك و هو الأثر من ذلك الوجه يكون كتابة لأن الكتابة الضم و بضم الحروف بعضها إلى بعض سميت كتابة و الكتيبة ضم الخيل بفرسانها بعضها إلى بعض فلو جاءوا متفرقين وحدانا ما سموا كتيبة فهو المؤمن و قد كتب في قلب عبده الايمان فأوجب له ذلك الكتاب حكما سمي به مؤمنا و ليس الاسم غير المسمى فهو الظاهر في عين الممكن و الممكن له مظهر و كل ظاهر في مظهر فقد انضم الظاهر إلى المظهر و انضم المظهر إلى الظاهر و لذلك صح أن يكون مظهرا للظاهر فيه فهذا سر أصل الأخذ بالكتاب دليلا على ثبوت الحكم و أما سر السنة في إثبات الحكم فإنه لما كان الرسول ع لا ينطق عن الهوى و أن حكمه حكم الله و هو ناقل عن الله و مبلغ عنه بما أراه الله و الله على صراط مستقيم و السنة الطريقة و الطريق لا يراد لنفسه و إنما يراد لغايته فالسنة صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ لأنها على صراطه و هو غاية صراطه فلا بد للسالك عليه من الوصول إليه فالصراط الواسطة و بوساطة استعداد المظهر بما هو عليه في نفسه حكم على الظاهر بما سمي به فهو أعطاه ذلك الاسم و ذلك الحكم صحيح فهذا صراط مستقيم فنحن إذا سألنا الحق في أمر يعن لنا كان أثر سؤالنا في الله الإجابة فسمي مجيبا فلو لا سؤالنا ما ثبت هذا الحكم و لا أطلق عليه هذا الاسم و نحن طريقة له في ذلك قال تعالى أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فما أجابه حتى دعاه فهذا سر استدلاله بالسنة و أما الإجماع فهو ما أجمع عليه الرب و المربوب في إن الله خالق و العبد مخلوق و هكذا كل إضافة فلا خلاف بين الله و بين عباده في مسائل الإضافة أين ما وجدت و كذلك في المعلومات من حيث ما هي معلومات و

أما القياس عند مثبتيه فهو ظهور رب بصفة عبد و ظهور عبد بصفة رب عن أمر رب فإن لم يكن عن أمر رب فلا يتخذ دليلا على حكم أو عن حميد خلق كريم فإنه أيضا يتخذ دليلا و أما ظهور رب بصفة مربوب فلا يشترط فيه الأمر الواجب و لكن قد يكون عن دعاء و طلب و صفته صفة الأمر و المعنى مختلف و إن كان هذا مسموعا ممتثلا و الآخر كذلك و لكن بينهما فرقان فهذا حكم سر القياس في الاستدلال و هو قياس الغائب على الشاهد لحكم معقول جامع بين الشاهد و الغائب و ينسب لكل واحد من المنسوبين إليه بحسب ما يليق بجلاله و إنما قلنا بجلاله لأن الجليل من الأضداد يطلق على العظيم و على الحقير و قد انتهت أسرار أصول أحكام الشرع

انتهى الجزء الرابع و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب التاسع و الثمانون في معرفة النوافل على الإطلاق)

إن النوافل ما يكون لعينها   أصل يشاهد في الفرائض كلها

فالفرض كالأجرام إن قابلتها   بالنور و النفل المزاد كظلها

بيد و بصورتها و ليس فريضة   فيعود فرضا في الحساب كمثلها

جاء الحديث به فبين فضلها   شرعا و ميز أصلها من أصلها

فإذا أتيت بهن فاعلم أنه   ذخر الإله لكم نتيجة فعلها

فيكون عين قواك ربك فاغترف   من طلها حتى تفوز بوبلها

اعلم أيدك الله بروح القدس أن للنوافل حكما في الحضرة الإلهية جامعا ينوب صاحبها فيه مناب الحق من ذاقه عرف قدره و عجز عما يستحقه واهبه من الشكر عليه ثم إن النوافل تتفاضل و تعلو بعلو فرائضها إذ كانت النوافل كل عمل له أصل في الفرائض عن ذلك الأصل يتولد و بصورته يظهر كما ظهرنا نحن بصورة الحق فنحن له نافلة و هو أصلنا و لهذا نقول فيه إنه واجب الوجود لنفسه و نحن واجبون به لا بأنفسنا فبهذه الدرجة يتميز عنا و نتميز عنه و ما عدا النوافل فيسمى عبادة مستقلة و سننا مبتدءات نذكرها بعد هذا الباب إن شاء الله و إذا كانت النوافل تعلو بعلو فرائضها التي هي أصولها فأعلى نوافل التنزيه في الخيرات الصيام لأن فرضه صوم رمضان و رمضان اسم الله و الصوم عبادة لا مثل لها و هو لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ففضل نوافل سائر العبادات فإنه يمنع من النكاح فله أثر فيه أي في منعه و كل من له قوة المنع فإن الممنوع متصف بالضعف بالنسبة إلى تلك القوة فإن كان لهذا الممنوع من القوة بحيث يؤثر في محل هذه العبادة

حتى يزيل حكمها كان أقوى بلا شك فنافلة النكاح أقوى لما له من التأثير في إبطال الصوم و الصلاة و غيرها و النكاح أفضل نوافل الخيرات و له أصل و هو النكاح المفروض فما زاد عليه كان نافلة و هو على نوعين أعني وقوعه فقد يقع على نسبة المحبة مطلقة و قد يقع على نسبة محبة التوالد و التناسل فإذا وقع عن محبة التوالد و التناسل التحق بالحب الإلهي و لا عالم فأحب أن يعرف فتوجه بالإرادة لهذه المحبة على الأشياء في حال عدمها القائمة في استعداد إمكانها مقام الأصل فقال لها كن فكانت ليعرف بجميع وجوه المعارف و هي المعرفة المحدثة التي لم يكن تعلق لها به إذ لم يكن العارف بها متصفا بالوجود و ذلك محبة طلب كمال المعرفة و كمال الوجود فما كمل الوجود و لا المعرفة إلا بالعالم و لا ظهر العالم إلا عن هذا التوجه الإلهي على شيئية أعيان الممكنات بطريق المحبة للكمال الوجودي في الأعيان و المعارف و هي حال تشبه النكاح للتوالد فكان النكاح المفروض أفضل الفرائض و نافلته أفضل نوافل الخيرات و لاشتراك غيره من العبادات في اسم النوافل نال من استعملها على اختلاف أنواعها منا لها و الأصل نوافل النكاح لأن العمل إذا أنتج ما لم يكن له عين قبل ذلك فذلك من حكم النكاح و ما من عمل إلا و هو منتج بحسب حقيقته و طريقته فكان النكاح أصل في الأشياء كلها فله الإحاطة و الفضل و التقدم و قال أبو حنيفة في النكاح إنه أفضل نوافل الخيرات و لقد قال حقا أو صادف حقا كان رسول الله ص حبب إليه النساء و كان أكثر الأنبياء نكاحا لما فيه من التحقق بالصورة التي خلق عليها و لكن لا يعلم ذلك إلا قليل من الناس من طريق الكشف بل من العارفين من أهل الله و قدم علينا بإشبيلية سنة ست و ثمانين و خمسمائة أبو الحجاج يوسف الغليري من أهل غليرة و كان من أهل الأحوال فبينما هو قاعد معي إذ كشف له عن هذا المقام ممثلا فذكره لي في غلبة حاله بصورة ما رآه مما لا يمكنني ذكره فكوشف على العالم و في أي صورة هو أبوه تعريفا من الحق فما زلت أسكنه و هو هائج حتى سكن فوجود الحق هو الفرض في نفس الأمر و وجود العبد نافلة عن ذلك الفرض و لذلك خرج على صورته فنافلة النكاح قد ذكرنا ما نتج منها و نافلة الصلاة تنتج وجود العبد في حظه من القسمة منه قوله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي فيعرف من نوافل هذه الصلاة حظه من القسمة لا حظ ربه كما يعرف من فرضها حق ربه و قسمه منها و لكل حال شرب معلوم فإن الذي يعطي الفرض في عامله من الحكم خلاف الذي يعطي النفل لأنه في الفرض عبد مضطر و في النفل عبد مخير مختار موصوف بصفة إلهية و هي المشيئة فإن شاء فعل و إن شاء لم يفعل و نافلة الصيام ما يحصل للعبد من التنزيه في نفي المماثلة من قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي ليس مثل مثله شيء و ما مثله إلا من خلق على صورته فنفى سبحانه أن يماثل هذا المثل فهو أحق أن لا يماثل و ما له من الصورة إلا الاسم خاصة فإن العالم كما أعطاه الله اسم الوجود الذي هو له تعالى حقيقة أعطاه العالم باستعداده و كونه مظهرا لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ ما علمنا منها و ما لم نعلم فهذا كونه على صورته و نافلة الزكاة أعطت في الإنسان البركة

و هي الزيادة التي حصلت له على ما أعطته الفريضة لا غير و نافلة الحج أعطت له القصد بظهور الكون في الأطوار المختلفة مع أحدية التوجه و نافلة العمرة أعطته الدخول عليه تعالى في كل عبادة بين طرفي تحليل و تحريم و فيها ذوق و شرب و هما تجليان معروفان عند أهل الله و نافلة الذكر الذي فرضه لا إله إلا الله و تكبيرة الإحرام و السلام من الصلاة و شهادة التعين و كل فرض يتعلق بالقول فإنه يعطيك نافلته و المواظبة عليه أن تقول لما تريده في الكون كُنْ فَيَكُونُ كما يعطيك الفرض أن تقول للحق تعالى افعل فيفعل و الباب الجامع لما يعطى جميع النوافل أن يكون الحق يحبه فأنتجت النوافل محبة الله لعبده و لكن ما كل محبة بل المحبة التي بها يكون الحق سمعك الذي تسمع به و بصرك الذي تبصر به و يديك التي تبطش بها و رجلك الذي تسعى به و هذا منعنا أن نقول في المفاضلة في الأشياء لأن العرف يعطي أن البصر أفضل من الرجل عند الجماعة و هنا قد أنزل الحق نفسه أنه بصرك الذي تبصر به و رجلك التي تسعى بها و أعطى لكل حق حقيقة منه و هو لا يفضل نفسه فإنه هو الظاهر في كل ما ذكر أنه هو كما يليق بجلاله فليس البصر بأعلى و لا أفضل من الرجل وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فهذا قد ذكرنا ما تعطيه نوافل الخيرات على الإطلاق و على التقييد نافلة نافلة

(الباب الموفي تسعين في معرفة الفرائض و السنن)

إن الفرائض كالركائب و السنن   مثل الطريق لها إلى غاياتها
فإذا قطعت الضرب كنت فريضة   فتكون سمع الحق في آياتها
عكس النوافل فاعتبرها و التزم   طرق الفضائل واسع في إثباتها

الفرائض هي الأعمال أو التروك التي أوجبها الله تعالى على عباده و قطعها عليهم و أثم من لم يقم بها و هي على قسمين فرض عين و هو الذي لا يسقط عنه إذا عمله غيره و فرض كفاية و هو الذي يسقط عنه إذا قام به غيره و قد كان قبل قيام الغير به متعينا عليه و على ذلك الغير كالصلاة على الجنازة و غسل الميت و الجهاد و ثم فرض آخر يلوح بينهما له طرف إلى كل واحد منهما يخالف حكم الآخر مثل الحج المفروض إذا لم يستطع و هو إن كان غير مخاطب به إلا مع الاستطاعة فهو فرض متوقف على شرطه فإذا حج عنه وليه سقط عنه و كان له الأجر أجر الأداء و ليس هذا في فرض الكفاية لوجود الأجر و لا في فرض الصلاة لعدم سقوطها عمن صليت عنه فلا يشبه فرض الصلاة و لا يشبه فرض الكفاية و أما السنن فكل ما عدا ما تعين عمله و هو على قسمين سنة أمر بها و حرض عليها أو فعلها بنفسه و خير أمته في فعلها و سنة ابتدعها واحد من الأمة فاتبع فيها فله أجرها و أجر من عمل بها فالفرض إذا جاء به العبد موفى فقد وفى ما تستحقه الربوبية عليه من العبودة فينتج له عمل الفريضة أمرا هو أعلى من أن يكون الحق سمعه فإن كون الحق سمع العبد حال

للعبد و حكم الفرض يحول بينه و بين هذه الحال و هو أن يكون سمعا للحق فيسمع الحق بالعبد و هو قوله جعت فلم تطعمني و أما هذه الحيلولة التي أعطاها الفرض من أن يكون الحق سمعه هي مقام محقق ثابت كما هو في نفس الأمر فيعرف عند ذلك العبد أن الحق هو لا هو و صاحب الحال يقول أنا و السنن طرق الاقتداء و أعلاها الاقتداء بالحق حتى أكون في إطلاق أسمائه علي قريبا من التحقق بها لا من التخلق و أدناها في حق الولي الاقتداء بالذين قال الله فيهم أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ و العلماء ورثة الأنبياء و ما ورثوا إلا العلم فالسنة النبوية عالية المقام و هي الجمعية على الدين و إقامته و أن لا يتفرق فيه فهي تعلو بمن يأتيها و يسلك فيها في الحضرات المحمدية إلى غاياتها في المعارف و الأحوال و التجلي و أما السنن التي هي الشرائع المستحسنة بعد رسول الله ص و هو الاستحسان عند الفقهاء الذي قال فيه الشافعي رحمه الله من استحسن فقد شرع فأخذها الفقهاء منه على جهة الذم و هو رضي الله عنه نطق بحقيقة مشروعة له لم تفهم عنه فإنه كان من الأربعة الأوتاد و كان قيامه بعلم الشرع حجبه عن أهل زمانه و من بعده روينا عن بعض الصالحين أنه لقي الخضر فقال له ما تقول في الشافعي فقال هو من الأوتاد فقال فما تقول في أحمد بن حنبل قال رجل صديق قال فما تقول في بشر الحافي قال ما ترك بعده مثله فهذه شهادة الخضر في الشافعي رحمه الله و لما صح عند الشافعي أن النبي ص قال من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها و من سن سنة سيئة الحديث فلا شك أن الشرع قد أباح له أن يسن سنة حسنة و هي من جملة ما ورث من الأنبياء و هي حسنة أي يستحسنها الحق منه و هو سنها فمن استحسن أي من سن سنة حسنة فقد شرع و يا عجبا من عدم فهم الناس كلام الشافعي في هذا و هم يثبتون حكم المجتهد و إن أخطأ في نفس الأمر و قد أقره الشارع و هو حكم شرعي مقبول لا يحل لأحد من الحكام رده و قواعد الشرع و أصوله تحفظه و كالمصالح المرسلة في مذهب مالك و لما قرر الشارع حكمها مجملا و أبان أن واضعها و متبعيه فيها مأجورون و نهاية التابعين فيها إلى واضعها على قدره و قدر ما سن نبهتك بهذا أن تكون أوقاتك معمورة بالشرائع النبوية و السنن الأصلية فإن الكيس ينبغي أن لا يكون غاية عمله إلا نبوة أصلية لا فرعية إذ كان له الاختيار في الاختيار لما كانت الأمور في أنفسها تقبل الاختيار كما فعل سبحانه في جميع الموجودات فاختار من كل أمر في كل جنس أمرا ما كما اختار من الأسماء الحسنى كلمة الله و اختار من الناس الرسل و اختار من العباد الملائكة و اختار من الأفلاك العرش و اختار من الأركان الماء و اختار من الشهور رمضان و اختار من العبادات الصوم و اختار من القرون قرن النبي ص و اختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة و اختار من الليالي ليلة القدر و اختار من الأعمال الفرائض و اختار من الأعداد التسعة و التسعين و اختار من الديار الجنة و اختار من أحوال السعادة في الجنة الرؤية و اختار من الأحوال الرضي و اختار من الأذكار لا إله إلا الله و اختار من الكلام القرآن و اختار من

سور القرآن سورة يس و اختار من آي القرآن آية الكرسي و اختار من قصار المفصل قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ و اختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة و اختار من المراكب البراق و اختار من الملائكة الروح و اختار من الألوان البياض و اختار من الأكوان الاجتماع و اختار من الإنسان القلب و اختار من الأحجار الحجر الأسود و اختار من البيوت البيت المعمور و اختار من الأشجار السدرة و اختار من النساء مريم وآسية و اختار من الرجال محمداص و اختار من الكواكب الشمس و اختار من الحركات الحركة المستقيمة و اختار من النواميس الشريعة المنزلة و اختار من البراهين البراهين الوجودية و اختار من الصور الصور الآدمية لذلك أبرزها على الصورة الإلهية و اختار من الأنوار ما يكون معه النظر و اختار من النقيضين الإثبات و من الضدين الوجود و اختار الرحمة على الغضب و اختار من أحوال أفعال الصلاة السجود و من أقوالها ذكر الله و من أصناف الإرادات النية فلها الحكم في قبول العمل و رده فإنه لكل امرئ ما نوى و يلحق غير العامل بالعامل في الأجر و زيادة و أما ذكر الله من أقوال الصلاة فإن ذكر الله منها أكبر ما فيها هكذا قال عز و جل إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ فإن الصلاة مناجاة و الذاكر جليسه الحق فإن ذكره به فهو تعالى لسانه و أما اختياره السجود في أفعال الصلاة فلما فيه من العصمة من الشيطان فإنه لا يفارقه في شيء من أفعال الصلاة إلا في السجود خاصة لأنه خطيئته و عند السجود يبكي و يتأسف و يندم و الندم توبة و لا بد من قبول ذلك القدر فهو يتوب عند كل سجدة و إن الله يحب كل مفتن تواب ثم يعود إلى الإغواء عند الرفع من السجود هكذا و أما اختياره الرحمة على الغضب فلأنها تفعل بالمنة و تفعل بالوجوب و وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و الغضب من الأشياء التي وسعته الرحمة فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة و الرحمة لا يشوبها غضب وَ من يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى فالغضب جعله يهوى فإذا هوى و هو السقوط و هو حكم الغضب لا غير فيسقط في الرحمة فتسعه و تتلقاه فلا يسقط إلا إليها و بالرحمة التي في الغضب سقط فهي التي جعلت الغضب يهوى به لتستلمه الرحمة الخالصة كالرحمة التي في الدواء الكريه فيشربه العليل على كراهة فيه رحمة خفية من أجلها استعمل الدواء الكريه في الوقت لتسلمه إلى العافية و هي الرحمة الخالصة و لهذا كان المال إلى الرحمة وحكمها و إن لم يخرجوا من النار فلهم فيها نعيم وَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أ لا ترى إلى ما جعل الله في النار في الدنيا من المنافع و الراحات و لو لم يكن إلا الكي بها لبعض العلل فإنه أقطع الأدوية و لقوته في أثره قدح في التوكل لأنه يقوم في الفعل مقام الشافي و المعافي فحكمت الغيرة على المكتوي بأنه غير متوكل و أما اختيار الوجود من الضدين فلأنه صفته فاختار للممكنات صفته و لا يصح إلا هذا فإن له الاقتدار و الاقتدار لا يكون عنه إلا الوجود أ لا تراه لما قال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ قال وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ فأبى الاقتدار إلا الوجود و علق الإرادة بالإعدام و له الاسم المانع و المنع عدم و أما اختياره الإثبات فهو عين الشيء الذي يقول

له كن لأنه في حال عدمه رجح له الإثبات على النفي حتى لا يزال ممكنا في حال عدمه و هي مسألة دقيقة في الترجيح في حال العدم و بذلك الافتقار الذاتي الذي في الممكن قبل الوجود إذا أراده الحق منه و أسرع إليه بحكم الإثبات الذي هو عليه و أما النور المختار من الأنوار فإن الأنوار حجب و لذلك قال في الأنوار الحجابية نور إني أراه ثم وعد بالرؤية و هو نور فلا بد أن يكون النور الذي يظهر فيه لعباده مختارا من تلك الأنوار الحجابية كنور الأحدية و العزة و الكبرياء و العظمة فهذه كلها ترفع عن البصر و يبقى حكمها في القلب فبرفعها تقع الرؤية للحق تعالى و يبقى حكمها في القلب و يفنى العبيد عن الرؤية و لو لا ذلك لشهدوا نفوسهم عند شهوده و أما اختياره الصورة الآدمية فلأنه خلق آدم على صورته فأطلق عليه جميع أسمائه الحسنى و بقوتها حمل الأمانة المعروضة و ما أعطته هذه الحقيقة أن يردها كما أبت السموات و الأرض و الجبال حملها وَحَمَلَهَا الْإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً لو لم يحملها جَهُولًا لأن العلم بالله عين الجهل به العجز عن درك الإدراك إدراك فإنه إذا علم إن ثم ما لم يعلم فما علم و هو العلم بأن ثم ما لا يعلم و ليس لعلمه متعلق إلا الجهل به و أما اختياره البراهين الوجودية من البراهين الجدلية و غيرها فلما تعطيه من تمام العلم بثبوت الحق و إبطال حجة الخصم و البراهين الجدلية ليست لها هذه القوة فإنها تبطل حجة الخصم و قد لا تثبت حقا و البراهين السوفسطائية تنتج حيرة و هي أقرب إلى البراهين الوجودية في العلم الإلهي من وجه من البراهين الجدلية و أما اختياره الشريعة المنزلة فلما لها من عموم التعلق بالدار الآخرة و مصالح الدنيا و ليست النواميس الحكمية الموضوعة لمصالح الدنيا و بقاء الخير في عالم الدنيا لها حكم لتحكم على الله بالقرب الإلهي و قبول الأعمال و رفع الدرجات و إثبات الجنات و دار الشقاء لا يستقل بذلك كله إلا الشرع المنزل من عند الله و أما الذين ابتدعوا عبادات و رعوها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله مما لم يكتبها الله عليهم فهم أصحاب شرع منزل من عند الله فسنوا فيه سننا حسنة مناسبة لما سنها الشرع بالشرع المنزل فيهم و أباح لهم أن يسنوا و أما النواميس الحكمية فما هي التي سنها هؤلاء و لهذا جعل لهم الأجر و أما اختياره الحركة المستقيمة فإنه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ كما قال عن نفسه و اختص بها الإنسان الذي خلقه الله على صورة الحق و فيها يحشر السعيد يوم القيامة فهي له دنيا و آخرة فإن المجرمين يحشرون منكوسين و هي الحركة المنكوسة كما قال تعالى في حق المجرمين وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ و الحركة المعوجة الأفقية في البهائم فلم تصح الحركة المستقيمة إلا لمن خلقه الله على الصورة و ذلك الإنسان الكامل الذي له هذه الصفة في الدنيا و الآخرة و لهذا خص بها ذكر آدم لأنه من أهل السعادة التي تبقي عليه هذه الحركة المستقيمة و لهذا نعت بالخلافة و أما اختياره الشمس فلما لها من الإمداد في جميع الكواكب المستنيرة علوا و سفلا و لهذا قال إبراهيم ع هذا أَكْبَرُ و اختصت على المذهبين بالقلب من الكرة و هي السماء الرابعة و فيها إدريس عليه السلام و الله قد ذكر أنه رفعه مَكاناً عَلِيًّا فعلو هذا

المكان من كونه قلب الأفلاك فهو مكان عال بالمكانة و ما فوقه و إن كان دونه فهو أعلى بالمسافة و بنسبته إلى رءوسنا و هو الذي أحدث الليل و النهار بطلوعه و غروبه الذي جعل الله لهما الغشيان و هو النكاح و الإيلاج لظهور أعيان المولدات و ما يحدث الله في الليل و النهار من المخلوقات عن هذا الإيلاج و الغشيان و جعل لكل واحد من هذين الموجودين عن الحركة الشمسية الطلب الحثيث لإبراز أعيان الحوادث عن هذا الطلب و أما اختيار ه محمدا ص فلما اقتضاه مزاجه دون الأمزجة الإنسانية من الكمال و الاعتدال إذ به شاهد نبوته و آدم بين الماء و الطين و هو متفرق الأجزاء في المولدات العنصرية و هي مسألة دقيقة لا يعرفها إلا من عرف أخذ الذرية من ظهر آدم حين أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ف قالوا بلى و هي الفطرة التي ولد الناس عليها و إليها ينتهون و في هذا الجمع قال الأرواح أجناد مجندة و لما جمعهم جمعهم في حضرة التمثيل فما كان وجها لوجه هناك تعارفوا هنا و ما وقع ظهر الظهر هناك تناكر هنا و ما بينهما من وجه إلى ظهر و جانب و غير ذلك و في هذا أقول

إن القلوب لأجناد مجندة ... في حضرة الجمع تبدو ثم تنصرف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... و ما تناكر منها فهو مختلف

و إن كل أحد يقر بهذه الشهادة في الآخرة و لا ينكر و لا يدعي لنفسه ربوبية يقول تعالى إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فكان ص أعظم مجلى إلا هي علم به علم الأولين و الآخرين و من الأولين علم آدم بالأسماء و أوتي محمد ص جوامع الكلم و كلمات الله لا تنفد و له السيادة التي لا تبعد على الناس يوم القيامة فيشفع في الشافعين أن يشفعوا من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و له المقام المحمود في اليوم المشهود و أما اختيار ه مريم و آسية فهو إلحاقهما بالكمال الذي للرجال مع وجود الدرجة التي للرجال عليهن فإن تلك الدرجة وجودية فلا تزول أما اختيار ه السدرة فلأنها موضع انتهاء أعمال العباد و موضع الفضل و بظلها تستظل صور الأعمال و غشاها الله من الأنوار ما غشى ألا إن تلك الأنوار أنوار الأعمال فلا يستطيع أحد أن ينعتها و تلك الأنوار كما قلنا أنوار الأعمال تنبعث من صورها فتغشاها فلا يستطيع أحد أن ينعتها فإن النعت للأشياء تقييد و تمييز و الأعمال تختلف و لها مراتب و أنوارها على قدر مراتبها فعال و أعلى و مضيء و أضوأ و نعت العالي يناقض الأعلى و نعت المضيء يقابل الأضوأ من حيث ما هو أضوأ فلا يتقيد بنعت لأنك إن قيدتها بنعت أبطله لك نقيضه فما وفيتها حقها في النعتية إذ لم تكن أنوار الأعمال على درجة واحدة و قد غشيتها هذه الأنوار و غطتها فلا يقدر أحد يصل إلى نعتها فهم و إن استظلوا بها فقد كسوها من ملابس الأنوار ما فضلت به جميع الأشجار و هي طعام و غاسول و نبقها كالقلال منه ترزق أرواح الشهداء و أما اختيار ه البيت المعمور فلأنه مخصوص بعمارة ملائكة يخلقون كل يوم من قطرات

ماء نهر الحياة الواقعة من انتفاض الروح الأمين فإنه ينغمس في نهر الحياة كل يوم غمسة لأجل خلق هؤلاء الملائكة عمرة البيت المعمور و هم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبدا و بقي السر في المكان الذي يعمرونه هؤلاء الملائكة و ما ثم خلاء و العالم كله قد ملأ الخلأ فابحث عليه فإنه علم جليل يوقفك على علم استحالات الأعيان في الأعيان و تقلب الخلق في الأطوار فتعلم أَنَّ اللّٰهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا على ما ليس بشيء فإن لا شيء لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء و لا يخرج معلوم عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء أبدا و ما هو شيء فمحكوم عليه بأنه شيء أبدا و أما اختيا ره الحجر الأسود فلأنه أنزله ليقيمه مقام يمينه في البيعة الإلهية إذ لم يكن في المعارف و العبادات أعظم ملازمة لما عرف و لما تعبد به من العبادات فإنها فطرت على المعرفة و العبادة المحضة التي عجزت عنها حقيقة النبات و الحيوان و لهذا ليس شيء منه في الإنسان جملة واحدة فإن جميع ما في الإنسان يقبل النمو و هو للنبات كما إن الحيوان له التصرف في الجهات فكلما فارق موجود المعدن التبس بصورة الدعوى بحقيقته فهي منازعة خفية لا يشعر بها كل عالم و قد نبه على بعض ذلك سهل و ما و في الأمر فيها ما هو عليه فلا أدري هل علم و اكتفى بما ذكر أو ما أطلعه الله في ذلك الوقت على أكثر مما ذكر و الله أعلم فاختاره الله يمينا و أما اختيا ره من الإنسان القلب و هو الذي وسعه لأنه كل يوم في شأن و اليوم قدر نفس المتنفس في الزمان الفرد و به سمي قلبا لتقلبه ألا تراه بين أصبعي الرحمن فما يقلبه إلا الرحمن ليس لغيره من الأسماء معه فيه دخول و لا يعطي الاسم الرحمن إلا ما في حقيقته فرحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فما من أمر تراه في تقلبه مما يؤدي إلى عناء و عذاب و شقاء إلا و فيه رحمة خفية لأنه بأصابع الرحمن يقلب فإن شاء أقامه و إن شاء أزاغه عن تلك الإقامة فهو ميل إضافي فمال القلب إلى الرحمة بحكم سلطان هذا الاسم الذي قلبه في الزيغ كما قلبه في الإقامة فهي بشرى من الله إلى عباده ف يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ و ما ذكر سرفا من سرف فعم جميع حالات المسرفين في السرف لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللّٰهِ فإن الذي أزاغكم أصبع الرحمن إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و هو خبر لا يدخله النسخ فيجمع بين قوله هذا و بين قوله إِنَّ اللّٰهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به فيؤاخذ على الشرك ما شاء الله ثم يحكم عليه أصبع الرحمن فيئول إلى الرحمن و أمور أخر من الزيغ مما دون الشرك يغفر منها ما يغفر بعد العقوبة و هم أهل الكبائر الذين يخرجون من النار بالشفاعة بعد ما رجعوا حمما مع كونهم ليسوا بمشركين و الايمان بذلك واجب و منها ما يغفر ابتداء من غير عقوبة فلا بد من المال إلى الرحمة و أما اختيا ره من الأكوان الاجتماع فإنه يعطي الافتراق بالتمييز في عين الجمع فلا بد من رب و مربوب و من قادر و مقدور فالجمع مختار لا بد منه لما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية من التعلق و أما اختيا ره من الألوان البياض فلأن الملونات كلها تستحيل إليه و لا يستحيل إليها بل بياضيته كامنة فيه مستورة لحجاب اللون الذي يظهر في العين من سواد و حمرة و صفرة و غير ذلك فمنه ما يكون

لونا قائما بالمحل و منه ما يكون لونا في ناظر العين و ليس كذلك في نفس المتلون كسواد الجبال البيض على البعد فإذا جئتها رأيتها بيضا و قد كنت تحكم عليها بالسواد و أنت غالط في ذلك الحكم و صحيح في ظهور السواد به مصيب و الكيفية في ذلك مجهولة و بهذه المثابة زرقة السماء إنما هي لنظر العين و إن كانت في نفسها على لون يخالف الزرقة و أما اختيا ره من الملائكة الروح لأنه المنفوخ فيه في كل صورة ملكية و فلكية و عنصرية و مادية و طبيعية و بها حياة الأشياء و هو الروح المضاف إليه و هو نفس الرحمن الذي يكون عنه الحياة و الحياة نعيم و النعيم ملتذ به و الالتذاذ بحسب المزاج كما قلنا في مزاج المقرور يتنعم بما به يتعذب المحرور فافهم و يكفيك تنبيه الشارع لو كنت تفهم بأن للنار أهلا هم أهلها و للجنة أهلا هم أهلها و ذكر في أهل النار أنهم لا يموتون فيها و لا يحيون فهم يطلبون النعيم بالنار لوجود البرد و هذا من حكم المزاج و أما اختيا ره البراق من المراكب لكونه مركب المعارج فجمع بين ذوات الأربع و ذوات الجناح فهو علوي سفلي كبعض الحيوانات بري بحري و أما اختيا ره دعاء يوم عرفة فإنه دعاء في حال تجريد و ذلة و خضوع في موطن معرفة ليوم زماني لما فيه من الجمع بين الليل و النهار و أما اختيا ره قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فلأنها مخصوصة به ليس فيها ذكر كون من الأكوان إلا أحدية كل أحد إنها لا تشبه أحديته تعالى خاصة و في إتيانها في هذه السورة علم غريب لمن فتح الله به عليه فإنه افتتح السورة بأحديته و ختمها بأحدية المخلوقين فاعلم أن الكائنات مرتبطة به ارتباط الآخر بالأول لا ارتباط الأول بالآخر فإن الآخر يطلب الأول و الأول لا يطلب الآخر فهو الغني عن العالمين من ذاته و يطلب الآخر من مسمى الله المنعوت بالأحدية فهذا قد نبهتك على مأخذ هذا العلم الذي تحويه هذه السورة بالأحدية المتأخرة التي هي مع ارتباطها بالأول لا تماثلها لكونها تطلبه و لا يطلبها أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ و أما اختيا ره من الآي آية الكرسي الآيات العلامات و لا شيء أدل على الشيء من نفسه و هذه آية الكرسي كلها أسماؤه أو صفته لا يوجد ذلك في غيرها من الآيات فدل على نفسه بنفسه الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فنفى و أثبت بضمير غائب على اسم حاضر له مسمى غيب الْحَيُّ صفة شرطية في وجود ما له من الأسماء الْقَيُّومُ على كل ما سواه بما كسب فإنه أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ صفة تنزيه عما يناقض حفظ العالم الذي لو لا قيوميته ما بقي لحظة واحدة الله الضمير يعود عليه و هو ضمير غيب ما في السَّماوَاتِ وَما فِي الْأَرْضِ ملكا له و عبدا معين الحفظ لبقاء الحكم بالألوهة من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ شفعية الوتر بالحكم عِنْدَهُ ضمير غيب إِلَّا بِإِذْنِهِ عدم الاستقلال بالحكم دونه فلا بد من إذنه إذ كان ثم شفيع أو شفعاء يَعْلَمُ ما فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الْأَرْضِ من الشفعاء و المشفوع فيهم يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ و هو ما هم فيه وَما خَلْفَهُمْ و هو ما يؤولون إليه وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ من عِلْمِهِ بالأشياء إِلَّا بِما شاءَ منها لا بكلها وَسِعَ كُرْسِيُّهُ علمه السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ العلو و السفل وَلا يَؤُدُهُ يثقله حِفْظُهُما لأنه حفظ ذاتي معنوي و إمداد غيبي و خلق دائم في سفل و

علو وَ هُوَ ضمير غيب الْعَلِيُّ بغناه عن خلقه من ذاته الْعَظِيمُ في قلوب العا رفين بجلاله فله الهيبة فيها فهي آية ذكر الله فيها ما بين اسم ظاهر و مضمر في ستة عشر موضعا من هذه الآية لا تجد ذلك في غيرها من الآيات منها خمسة أسماء ظاهرة الله الحي القيوم العلي العظيم و منها تسعة ضميرها ظاهر فهي مضمرة في الظاهر و منها اثنان مضمران في الباطن لا عين لها في الظاهر و هما ضمير العلم و المشيئة و كذلك علمه و مشيئته لا يعلمها إلا هو فلا يعلم أحد ما في علمه و لا ما في مشيئته إلا بعد ظهور المعلوم بوقوع المراد لا غير فلذلك لم يظهر الضمير فيها و أما اختيا ره يس من القرآن فلأنها قلب القرآن و من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات و القلب أشرف ما في الصورة الصادية كذلك السورة السينية و هي المنزلة و لها من الأبراج بيت شرف الشمس و هو برج الأولية زمان الربيع إقبال النشء و ظهور البدء و ابتداء زينة عالم الطبيعة و تلطيف بخا رات الأنفاس التي كثفها زمان الشتاء لبرودة الجو كان يعطي الجمد في البخا رات الخا رجة من المتنفسين عند ما تخرج يكثفها ثم يردها ما و هو ما تجد في يديك إذا تنفست فيه في زمان الشتاء من النداوة و له الشئون الإلهية التي لا يزال في كل نفس فيها جل جلاله و أما اختيا ره من الكلام القرآن و هو الذي له صفة الجمع و في الجمع عين الفرقان إذ الجمع دليل الكثرة و الكثرة آحاد فهي عين الافتراق في عين الجمع فهو الفرقان القرآن و أما اختيا ره لا إله إلا الله فإنه ذكر عم النفي و الإثبات و ليس ذلك لغيره من الأذكا ر و أما اختيا ره الرضي من الأحوال فإنه آخر ما يكون من الحق لأهل السعادة من البشرى فلا بشرى بعدها فإنها بشرى تصحب الأبد كما ورد في الخبر و هي بشرى بعد رجوع الناس من الرؤية لا بل هي من الله لهم في الكثيب عند الرؤية في الزور الأعظم و أما اختيا ره الجنة فإنها دا ر بقاء السعادة و النظر السا ترة لأهلها عن كل مكروه يكون في الدا ر التي تقابلها و ما يعطيه سلطان أسماء الانتقام و أما اختيا ره الرؤية فإنها غاية البصر فاللذة البصرية لا تشبهها لذة فإنها عين اليقين في المعبود و أما اختيا ره من الأعداد التسعة و التسعين فلأنها وتر الأسماء الجامع بين الآحاد و العقد إن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة بمجرد الإحصاء حفظا و لفظا و إحاطة فإن الله وتر يحب الوتر و أما اختيا ره الفرائض فلأن نتيجتها أن يكون العبد نعت الحق سمعه و بصره فإن حب النوافل يعطي أن يكون الحق سمع العبد و بصره و النفل لا يكون إلا في الد رجة النا زلة عن الفرض فالفرض له الأولية و لا ينزل الحق إلى أن يكون سمعا للعبد كما قال بما يقتضيه من الجلال فلا بد أن ينزل الله بصفته و هو كون العبد صفة الحق للصورة التي خلق عليها فهي مقتطعة من الصورة الإلهية كما هي الرحم شجنة من الرحمن و الفرض القطع فإذا أداه ظهر له في ذلك أنه صفة للحق فإذا تنفل كان صفة الحق له فتميز الفرض من النفل و كانت الد رجة العليا للفرض و لو لا ما أعطى الفرض ذلك ما ثبت أن يقول جعت فلم تطعمني و أنا أشد شوقا إلى لقاء عبدي يريد إياي فإنه أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ و ما ترددت في شيء أنا فاعله و أمثال هذا

من الإخبارات الإلهية و أما اختيار ه ليلة القدر فإن الأمور لا تتميز إلا بأقدارها عند الحق و الحق غيب فاختص القدر بالليلة لأن الليل ستر كما يستر الغيب و أما اختيار ه من الأيام يوم الجمعة لأن فيه ظهرت الصورتان و جعل الله ذلك اليوم للصور و هو الشهر الخامس لمسقط النطفة و هو يوم مؤنث له الزينة و تمام الخلق و اختار الله فيه ساعة من ساعاته هي كالنكتة في المرآة و هو موضع صورة المتجلي من مرآة اليوم فيرى فيها نفسه و على الصورة الظاهرة بين المرآة و الناظر فيها يقع الخطاب و التكليف و بها تحدث أسماء الإشارات من ذا و ذان و تا و تان و أولاء و أسماء الضمائر مثل هو و هي و هما و هم و هن و ك و ك و كما و كم و كن و أنت و أنت و أنتما و أنتم و أنتن و ياء ضمير المتكلم المؤثرة في آنيته إن لم تحفظها نون الوقاية و لا بد لها من تأثير إما في الآنية أو في نون الوقاية لا بد لها من ذلك و لهذا نون الوقاية له الفتوة و الإيثار من عالم الحروف و لهذا سميت نون الوقاية فلها منزلة لكاف من قوله أعوذ بك و لنا فيها

نون الوقاية نون ليس يشبهها — من الوجود سوى صوم و خلاق

له الفتوة و الإيثار نشأته — فما لنا غيره في اللفظ من واق

شطر الوجود له من نعت خالقه — من المكانة فهو الدائم الباقي

و أما اختيار ه الثلاثة القرون على الترتيب فإن الأول من ذلك لظهور كمال محمد ص غيبا و شهادة فسن الشريعة بنفسه و نسخ ما كان سنة نوابه بوجوده و قرر منه ما قرر و أقر الايمان بجميعه ما نسخ منه و ما لم ينسخ و هذا هو القرن الأول ثم اثنان بعده و الكل أهل فتح و ظهور بمنزلة الثلاث الغرر من كل شهر يقول ص يغز و فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى رسول الله ص فيقولون نعم فيفتح لهم و هذا هو القرن الأول ثم يغز و فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ص فيقولون نعم فيفتح لهم و هذا هو القرن الثاني ثم يغز و فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من رأى من رأى رسول الله ص فيقولون نعم فيفتح لهم و هذا هو القرن الثالث و ما زاد ص على هذا و ذلك أنه ما ثم سوى الحضرة الإلهية و هي عبارة عن الذات و الصفات و الأفعال فهذا معنى خير القرون فبعناية القرن الأول فتح للجميع و هي ذات رسول الله ص فأعطت قوة نوره و سلطان ظهوره الفتح الإلهي لمن رآه أو رأى من رآه أو رأى من رأى من رآه فهو قوله خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و إنما شبهناهم بالثلاث الغرر من الشهر و جعلنا زمان دعوته مشبهة بالشهر لأنهم اختلفوا في القرن ما قدره من الزمان فمن جملة أقوالهم أن القرن ثلاثون سنة فلهذا أنزلنا الثلاثة القرون من زمان دعوته إلى يوم القيامة منزلة شهر و جعلنا الثلاثة القرون كالثلاث الغرر منه و أما اختيار ه الصوم فإن النبي ص قال لشخص سأله عليك بالصوم فإنه لا مثل له فنفى المثلية عن الصوم فأشبه لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ و قال الصوم لي و جعل جميع العبادات كلها للإنسان إذ كان الصوم صفة تنزيه و لا ينبغي

التنزيه إلا له تعالى و أما اختيا ره من الشهور شهر رمضان فلمشا ركته في الاسم فإن رمضان من الأسماء الإلهية فتعينت له حرمة ما هي لسائر شهور السنة و جعله من الشهور القمرية حتى تعم بركته جميع شهور السنة فيظهر في كل شهر من شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فإن أفضل الشهور عندنا شهر رمضان ثم شهر ربيع الأول ثم شهر رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ثم ذو القعدة ثم المحرم و إلى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية و أبهم على ترتيب الفضل فيما بقي من شهور السنة القمرية و ذلك شهر صفر و ربيع الآخر و جمادى الأولى و جمادى الآخرة ما عندي علم بترتيب الفضلية في هؤلاء أو هي متساوية في الفضل و هو الغالب على ظني فإنه أظهر ذلك و ما تحققته فلم يتمكن لي أن أقول ما ليس لي به علم و أما اختيا ره من الأركان ركن الماء لأنه من الماء جعل كل شيء حي حتى العرش لما خلقه ما كان الأعلى الماء فسرت الحياة فيه منه فهو الركن الأعظم كما قال الحج عرفة و إن كان سبب الحياة أشياء معه و لكنه الركن الأعظم من تلك الأشياء و أما اختيا ره من الأفلاك العرش لأن له الإحاطة بجميع الأجسام و الله بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و له الأولية في الأفلاك فما تحتها فهو الأول المحيط فاختا ره للاستواء لما بين الصفتين فإن كان العرش الملك فأحرى أن يكون هو من غير اختيا ر لأنه ما ثم إلا الله و ملكه و كل شيء ما سواه ملكه و قد ورد تمييزه عن غيره فتعين أن يكون مختا را للأولية و الإحاطة لأن السموات و الأرض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة و الكرسي في جوف العرش كحلقة في فلاة و اختا ر من العباد الملائكة فإنهم مخلوقون من النور فأجسامهم نورية بالأصالة فهم أقرب نسبة من سائر المخلوقات إلى النور الإلهي و لذلك كان رسول الله ص يدعو أن يجعله الله نورا لما يعرف من ظلمة الطبيعة و اختا ر من الأينيات العماء فكان له قبل خلق الخلق و منه خلق الملائكة المهيمة فهيمها في جلاله ثم خلق الخلق فشغلهم هيمانهم في جلال جماله أن يروا سواه فهم الذين لا يعرفون أن الله خلق أحدا ما أشرفها من حالة فجعل العماء أينية له و العرش مستوي له و السماء الدنيا لنزوله و الأرض لمعيته فهو معنا أينما كنا و اختا ر من الناس الرسل ليبلغوا عن الله ما هو الأمر عليه فإنه ما أخرجهم إلا للعلم به لأنه أحب أن يعرف فتعرف إليهم بالرسل بما بعثهم به من كتب و صحف فعرفوه معرفة ذاتية كما عرفوه بالعقول التي خلق لهم و أعطاها قوة النظر الفكري فعرفوه بالدلائل و البراهين معرفة وجودية سلبية لم يكن في قوة العقل في استقلاله أكثر من هذا ثم بعد ذلك جاءت الرسل من بعده بمعرفة ذاتية فعبد الخلق الإله الذي تعرف إليهم بشرعه إذ العقل لا يعطي عملا من الأعمال و لا قربة من القرب و لا صفة ذاتية ثبوتية للحق و ما حظ العقل من الشرع مما يستقل به دليله إلا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على زيادة الكاف لا على إثباتها صفة فاختا ر الرسل لتبليغ ما لا يستقل العقل بإدراكه من العلم بذاته و بما يقرب إليه من الأعمال و التروك و النسب و اختا ر من الأسماء الاسم الله فأقامه في الكلمات مقامه فهو الاسم الذي ينعت و لا ينعت به فجميع الأسماء نعته و هو لا يكون

نعتا و لهذا يتكلف فيه الاشتقاق فهو اسم جامد علم موضوع للذات في عالم الكلمات و الحروف لم يتسم به غيره جل و علا فعصمه من الاشتراك كما دل أن لا يكون ثم إله غيره فهذا قد ذكرنا من الاختيارات الإلهية ما يخرج مخرج التنبيه للعقول الغافلة عما دعيت إليه من الاعتبار و الإستبصار و لم نستوف الأمر حده لأنا ما نعرف بطريق الإحاطة تفصيل ما خلق الله من الموجودات و إن كنا نقدر بما أقدرنا الله على حصر الموجودات فيدخل في ذلك كل شيء و نحن ما تصدينا في هذا إلا لمعرفة آحاد ما اختاره و اصطفاه من كل نوع نوع من المخلوقات المحصورة في الوجود القائمة بنفسها و المتحيزة و غير المتحيزة من القائمة بنفسها و غير القائمة بنفسها و النوع الذي لا يقبل التحيز إلا بالتبعية و ما تألف من ذلك و ما لم يتألف و انحصرت أقسام العالم و الموجودات فيما ذكرناه و ثم تفصيل نسبي يمكن أن يستقل به العقل و هي مفاضلة الأشياء بعضها على بعض بتميز مراتبها و انفعال بعضها على بعض و تأثير بعضها في بعض و توقف بعضها على بعض و لكن مفاضلة القرب الإلهي بطريق العناية بهم لا بما تعطيه حقائقهم لا يكون ذلك إلا بتعريف الله إيانا بما يعطيه في قلوبنا من علوم الإلهام أو بما يبلغنا من ذلك في الكتب المنزلة و الإخبارات النبوية و أما طريق آخر غير ذلك فما هو ثم فالسنن الدلالات العقلية لأنها طرق و الفرائض هي التعريفات الشرعية بما هو الحق تعالى عليه بالنسبة إليه و بالنسبة إلى خلقه فاعبدوا الله عباد الله على النعت الذي وصف به نفسه في كتابه أو على لسان ألسنة رسله من غير زيادة و لا نقصان و لا تأويل يؤدي إلى تطفيف أو رجحان بل سلم إليه جل جلاله ما وصف به نفسه و إن استحال أو تناقض فذلك لقصورنا و جهلنا بما هو الأمر عليه و قد وفينا ما أعطته القوة العقلية النظرية من العلم في وجوده و بصدق المبلغين عنه تعالى ما أنزله على عبيده قلنا القبول من غير اعتراض و لو تناقض الأمر و استحال فما هو للعقل مجهول بالذات كيف يدخله فيما يرجع إلى ذاته في وجوب أو جواز أو استحالة فلا يتعدى العقل حده و يسلم إليه سبحانه ما أنزله و عرفنا به مما هو عليه فإن الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فلنا الايمان به و بما جاء من عنده على علمه في ذلك في كتاب و على لسان رسول و الله يوفقنا للوقوف عند ذلك فإنه لا يهلك على الله إلا هالك انتهى الجزء الخامس و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الحادي و التسعون في معرفة الورع و أسراره)

ورع الطريقة في اجتناب محارم ... مهما أتتك و ما له وجهان

فإذا أتاك مخلصا لجلاله ... و تركته ورعا فمن نقصان

لما جهلت الأمر قلت بعكسه ... و تبين النقصان في الايمان

الورع الاجتناب و هو في الشرع اجتناب الحرام و الشبه لا اجتناب الحلال قال ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك في هذا الباب و هذا عين ما قلناه و هذا الحديث من جوامع الكلم و فصل الخطاب و قال بعضهم ما رأيت أسهل علي من الورع كل ما حاك له شيء في نفسي تركته عملا بهذا الحديث فأما الحرام النص فمأمور باجتنابه لأنه ممنوع تناوله في حق من منع منه لا في عين الممنوع فإن ذلك الممنوع بعينه قد أبيح لغيره لكون ذلك الغير على صفة ليست فيمن منع منه أباحته له تلك الصفة بإباحة الشارع فلهذا قلنا لا في عين الممنوع فإنه ما حرم شيء لعينه جملة واحدة و لهذا قال تعالى إِلَّا ما اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ فعلمنا أن الحكم بالمنع و غيره مبناه على حال المكلف و في مواضع على اسم الممنوع فإن تغير الاسم لتغير قام بالمحرم تغير الحكم على المكلف في تناوله إما بجهة الإباحة أو الوجوب و كذلك إن تغير حال المكلف الذي خوطب بالمنع من ذلك الشيء و اجتنابه لأجل تلك الحال فإنه يرتفع عنه هذا الحكم و لا بد و إذا كان الأمر على هذا الحد فما ثم عين محرمة لعينها و أما اجتناب الشبهة فالشبهة هي التي لها وجه إلى الحرام و وجه إلى الحل على السواء من غير تغليب فليس اجتنابها بأولى من تناولها و لا تناولها بأولى من اجتنابها فالورع يترك تناولها ترجيحا لجانب الحرمة في ذلك و غير الورع لا يترك ذلك فبينهما هذا القدر و أما ترك ما لا شبهة فيه فذلك الحلال المحض فإن تركه أعني ترك الفضل منه لأنه لا يصح إلا ترك الفضل منه فذلك الترك زهد لا ورع فإن الزهد في الحرام و الشبهة ورع و الترك في الحلال الفاضل زهد و أما غير الفاضل و هو الذي تدعو إليه الحاجة فالزهد فيه معصية و ما بقي إلا توقيت الحاجة إلى ذلك و ما حد الفاضل منه الذي يصح فيه الزهد فنذكر ذلك في باب الزهد إن شاء الله و الورع من المقامات المشروطة و يستصحب العبد ما دام مكلفا و لا يتعين استعماله إلا عند وجود شرطه و هو عام في جميع تصرفات المكلف ما هو مخصوص بشيء من أعماله دون شيء بل له السريان في جميع الأعضاء المكلفة في حركاتها و سكونها و ما ينسب إليها من عمل و ترك و قد قيل إن للورع حكما في الأسرار و الأرواح و ليس ذلك بصحيح في الورع المشروع فإن الشبهة في المعاني و المعارف و الأسرار مستحيلة عند العارفين و إنما تكون الشبهات في العلوم النظرية الحاصلة بالأدلة العقلية فأولئك يجب عليهم الورع في النظر الفكري حتى يخلصوه من النظر المحرم كالنظر في الذات الإلهية و يخلصوه من الشبهة كالنظر لله أو للسمعة فيخفي على بعض النفوس ذلك لشرف العلم فيتخيل أنه يطلبه لله و هو يطلبه للدنيا أو لغير الله فيجتنب نية ذلك الطلب لا يجتنب العلم فإن طلب العلم ليس بمحرم عليه فمتعلق التحريم تلك النية الفاسدة و هنا نظر هل تقدح تلك النية في فضل طلب العلم أو يبقى طلب العلم على فضله يعطي حقيقة سعادته في الآخرة و تكون العقوبة على مجرد النية في ذلك و هو الذي نعتمد عليه في باب تحقيق الموازنة الإلهية فمن قال الكون كله شبهة و به نقول فليس ذلك كما يتوهمه السامع و إنما الصورة الرحمانية أدتنا إلى هذا القول و مثل ذلك لا يتورع فيه و لا

يجتنب فإنك لا تعرف منه إلا أنت فإن انتقلت عنك فقد جهلت ذاتك و من أوجدك فإنه قال من عرف نفسه عرف ربه فالورع في هذه الشبهة محال بل ينبغي أن تتناول من حيث إنها شبهة فذلك محلها الذي يحلها فإنها لا تخلص لأحد الطرفين أبدا و هذا بحر هلك فيه أكثر العقول و أكثر العارفين إلا من رحم الله و ركب سفينة نوح نجاته و الجامع لباب الورع أن تجتنب في ظاهرك و باطنك و جميع أعمال أعضائك المكلفة كل عمل و ترك لا يكون لله على الحد المشروع فيه المخلص له الذي لا شبهة تضره و لا تقدح فيه فهذا اللام الذي في لله هي الرابطة لهذا الباب و كل مقام في طريق الله تعالى فهو مكتسب ثابت و كل حال فهو موهوب غير مكتسب غير ثابت إنما هو مثل بارق برق فإذا برق إما يزول لنقيضه و إما أن تتوالى أمثاله فإن توالت أمثاله فصاحبه خاسر و كل مقام فأما إلهي أو رباني أو رحماني غير هذه الثلاث الحضرات لا يكون و هي تعم جميع الحضرات و عليها يدور الوجود و بها تنزلت الكتب و إليها ترتقي المعارج و المهيمن عليها ثلاثة أسماء إلهية الله و الرب و الرحمن من حكم اسم ما من الأسماء الإلهية ينعت به في ذلك الوقت أحد هذه الأسماء الثلاثة و يكون حكمه بحسب مقام هذا العبد المحكوم عليه المؤثر فيه من حيث ما هو مسلم أو مؤمن أو محسن و آثاره في عالم ملك العبد أو في عالم جبروته أو في عالم ملكوته و عمله فيه إما بحكم الإطلاق و هو العمل الذاتي و إما بحكم التقييد و هو عمل الصفة و حكمه بعمل الصفة إما بصفة تنزيه و سلب و إما بصفة فعل هذا هو الضابط للمقامات و أحوالها سواء عرفه السالك أو لم يعرفه فإنه لا يخلو من هذه الأحكام كل كون لكنه لا يعرف ذلك كل أحد فأقول إن الورع له مقام و لمقامه حال و هو مشروط كما ذكرنا و ينتهي بانتهاء التكليف فأما مقام الورع فهو التقييد بصفة التنزيه لأن حقيقته الاجتناب و هو إلا هي و صاحبه مجهول لا يعرف و حاله أن يكون صاحب علامة في نفسه أو في المتورع فيه و الاسم الله ينظر إليه دائما فينظر إليه في عالم ملكه من حيث ما هو مسلم فيؤثر في أفعاله و كلما ظهر على جوارحه فيجتنب كل ما يقدح في حصول هذا المقام و ينظر إليه في عالم جبروته من حيث ما هو مؤمن فيؤثر فيه فلا تكذب له رؤيا جملة واحدة و يجتنب في خياله كما يجتنب في ظاهره لأن الخيال تابع للحس و لهذا إذا احتلم المريد برؤيا عاقبه شيخه ألا ترى أنه ما احتلم نبي قط و لا ينبغي له ذلك و لا العارفون بالله ذوقا فإن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور في اليقظة فإنما هو من بقية طبيعية في خياله و هو كذب فإنه يظن أنه في الحس الظاهر و قد قلنا إن الورع يجتنب الكذب فلو اجتنبه في الحس لأثر في خياله فإذا رأيتم صاحب مقام الورع يغتسل من نوم فذلك لماء خرج منه و هو نائم لضعف الأعضاء الباطنة و هو مرض طرأ في مزاجه لا عن رؤيا أصلا لا في حلال و لا في حرام و أما إذا نظر إليه في عالم ملكوته فأثره فيه اجتناب التأويل فيما يرد عليه من المخاطبات الإلهية و التجلي الإلهي إذا كان كل ذلك في السور فلا يعبر ما رآه و لا يتأول ما خوطب به فإنه كله إلهي و كل إلهي مجهول كما أن الورعين مجهولون لأنه اجتناب و ترك و لا يتميز

الأمر من خارج إلا بالفعل فإن نطق الورع بما ينبغي أن يجتنب ذلك الأمر و لأجله اجتنبه فقد أخل بمقام الورع فإن مقامه أن يكون مجهولا و قد عرف بأنه ورع فزال عنه حكم مقامه بل ما كان قط في مقام الورع و ورعه في اجتنابه معلول فلا يسلم له و أما الرباني و الرحماني فعلى هذا المجرى سواء فخذه و اعمل عليه ترى عجبا فقل أن تجده في غير هذا الكتاب فإن أكثر الناس بل ربما كلهم ما أبانوا عن هذه المقامات و الأحوال بما يعطيه تفصيل الوجود و إن كانوا يعرفونها فإنهم اتكلوا في ذلك على أن السالك إذا دخل و صدق في التوجه أبينت له الأمور على ما هي عليه فيعرف حاله

(الباب الثاني و التسعون في معرفة مقام ترك الورع)

شفعية الإنسان تؤذن بالورع و الوتر فيها موجب ترك الورع

العين واحدة إذا حققتها مضت المطامع فانتفى حكم الطمع

ما تطلب الأعمال عين وجودها إلا لضعف في البصائر أو صدع

لما كانت الأمور كلها لها أربعة أحكام حكم ظاهر و حكم باطن و حكم حد و حكم مطلع و كان الورع يحكم على ظاهر صاحبه و باطنه بالحد فأبان له هذا العمل وجه الحق في كل شيء و هو المطلع فاطلع فما وقعت عينه على الأشياء و إنما وقعت عينه على وجه الحق فيها الذي ارتبطت في وجودها به و الذي ظهرت عنه فاقتضى حاله ترك الورع لأنه لا ينبغي أن يجتنب رؤية وجه الحق في الأشياء و ما هو من حكم ما لا ينبغي فإن العبد لا يقدر أن يدفع عن نفسه التجلي إذا كان حقيقة فهو محكوم عليه به و لست أعني بقولي ترك الورع إن صاحبه يتناول الحرام أو الشبهة بعد علمه بذينك هذا لا يقول به أحد و إنما صاحب هذا المقام يتناول الأشياء بحسب ما خاطبه به الشرع فلا يأكل إلا حلالا و لا يتصرف إلا حلالا فإن العلامة أزالها الحق عنه برؤية الوجه و الورع بغير علامة سوء ظن بالناس و حاشى أهل الله و لا سيما أصحاب مشاهدة الوجه أن يسيئوا الظن بعباد الله أو يخطر شيء من قبائحهم ببال صاحب هذا الحال المتمكن في مقامه و لقد لقي بعض أصحابنا بعض الأبدال في سياحته فأخذ يذكر له ما هم الناس عليه من فساد الأحوال في الملوك و الولاة و الرعايا فغضب البدل و قال له ما لك و عباد الله لا تدخل بين السيد و عبده فإن الرحمة و المغفرة و الإحسان لهؤلاء يطلبون أ تريد أن تبقي الألوهية معطلة الحكم اشغل بنفسك و أعرض عن هذه الأشياء و ليكن نظرك إليه تعالى و شغلك بالله و لقد اتفق لي في بدايتي و ما ثم إلا بداية و أما النهاية فمقولة غير معقولة دخلت على شيخنا أبي العباس العريني و أنا في مثل هذه الحال و قد تكدر على وقتي لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق فقال لي صاحبي عليك بالله فخرجت من عنده و دخلت على شيخنا أبي عمران

الميرتلي و أنا على تلك الحالة فقال لي عليك بنفسك فقلت له يا سيدنا قد حرت بينكما هذا أبو العباس يقول عليك بالله و أنت تقول عليك بنفسك و أنتما إمامان دالان على الحق فبكى أبو عمران و قال لي يا حبيبي الذي دلك عليه أبو العباس هو الحق و إليه الرجوع و كل واحد منا دلك على ما يقتضيه حاله و أرجو إن شاء الله أن يلحقني بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس فاسمع منه فإنه أولى بي و بك فما أحسن إنصاف القوم فرجعت إلى أبي العباس و ذكرت له مقالة أبي عمران و قال لي أحسن في قوله هو دلك على الطريق و أنا دللتك على الرفيق فاعمل بما قال لك و بما قلته لك فتجمع بين الرفيق و الطريق و كل من لا يصحب الحق في سفره فليس هو على بينة من سلامته فيه و كل من تورع بغير علامة له من الله في الأشياء و ما ثم حكم معين في ذلك الأمر من رؤية معاملة خاصة مشاهدة في الوقت تقتضي الحرام أو الشبهة فصاحب هذا الورع مخدوع مقطوع به عن الله فإن حاله سوء الظن بعباد الله فباطنه مظلم و خلقه سيئ فهو و لا شيء في حكم واحد بل لا شيء أحسن منه فينبغي للإنسان أن يتحفظ إذا أراد أن يكون ورعا كما أوجب الله عليه بأن يتحقق و يكون على بصيرة فيما يتورع و هذا قليل العلم به لمن لا علامة له لأن الإنسان لو رأى إنسانا على مخالفة حق مشروع و فارقه لحظة ثم رآه في اللحظة الأخرى و حكم عليه بالحالة الأولى فما وفى الألوهية حقها و لا الأدب مع الله حقه و كان قرين إبليس حليف الخسران سيئ الظن بالله و بعباده و كان ورعه مقتا وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و التسعون في الزهد)

الزهد ترك محلل و محلل ... و محلل فازهد فزهدك ازهد
و الترك شيء لا وجود لعينه ... و له لسان في الشريعة يحمد
في الزهد تعظيم الأمور و ما له ... عند المحقق قيمة لا تجحد

الزهد لا يكون إلا في الحاصل في الملك و الطلب حاصل في الملك فالزهد في الطلب زهد لأن أصحابنا اختلفوا في الفقير الذي لا ملك له هل يصح له اسم الزاهد أو لا قدم له في هذا المقام فمذهبنا أن الفقير متمكن من الرغبة في الدنيا و التعمل في تحصيلها و لو لم يحصل فتركه لذلك التعمل و الطلب و الرغبة عنه يسمى زهدا بلا شك و ذلك الطلب في ملكه حاصل فلهذا حددناه بما ذكرنا و لقد فاوضت في هذه المسألة جماعة من أهل الله فأكثرهم قال بقولنا و سبب ذلك أن صاحب الذوق لا بد أن يرى لتركه طلب الدنيا و الرغبة فيها أثرا إلهيا في قلبه فلو لم يكن للأمر وجود عند الله و اعتبار ما صح أن يكون له أثر في التجلي الإلهي لصاحب هذا الحال و هو الصحيح فلنقل إن للزهد الذي ذكرناه مقاما و حالا فمقامه الإلهي مطلق و هو زهده في كل اسم إلهي يحول بينه و بين عبوديته و الرباني مقيد بصفة

التنزيه عن حكم هذا الاسم عليه و الرحماني هو صرفه على ما يستحقه أعني هذا المزهود فيه فأما في الملك من كونه مسلما فالزهد في الأكوان و هو الحجاب الأبعد الأقصى و أما في الجبروت من كونه مؤمنا فالزهد في نفسه و هو الحجاب الأدنى الأقرب و أما في الملكوت من كونه محسنا فالزهد في كل ما سوى الله و هنا يرتفع الحجاب عند الطائفة قال أبو يزيد الأكبر ليس الزهد عندي بمقام إني كنت زاهدا ثلاثة أيام أول يوم زهدت في الدنيا و اليوم الثاني زهدت في الآخرة و اليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله فناداني الحق ما ذا تريد فقلت أريد أن لا أريد لأني أنا المراد و أنت المريد و قد انتقد عليه هذا القول بعض أهل الطريق و جهل مقام أبي يزيد في ذلك و قد تكلمنا على قصده بهذا القول و بينا فساد هذا القول أعني قول المعترض عليه في غير هذا الموضع و هو من المقامات المستصحبة للعبد ما لم ينكشف له فإذا كشف الغطاء عن عين قلبه لم يزهد و لا ينبغي له أن يزهد فإن العبد لا يزهد فيما خلق له و لا يكون زاهدا إلا من يزهد فيما خلق من أجله و هذا لا يصح كونه فالزهد من القائل به جهل في عين الحقيقة لأنه ما ليس لي لا اتصف بالزهد فيه و ما هو لي لا يمكنني الانفكاك عنه فأين الزهد فلنقل صاحب هذا الحكم هذا هو الزهد الذي يستحق هذا الاسم و لنا في هذا المقام الزهدي نظم

العيب منك و أنت لا تدري — فالزهد مثل صلاتي الوتر
و سراج نفسك نوره متعلق — بجميع ما في الكون من أمر
فأطف السراج يزول كل تعلق — فالزهد فيك كليلة القد ر
شهي من غروب الشمس حتى تنتهي — بالحكم فيك كمطلع الفجر

يقول لو رأيت الحق لم تزهد فإن الله ما زهد في الخلق و ما ثم تخلق إلا بالله فبمن تتخلق في الزهد انظر إلى هذا المعنى فإنه دقيق جدا

الزهد ترك و ترك الترك معلوم — بأنه مسك ما في الكف مقبوض
الأرض قبضته و هو الغني فأين — الترك فهو محال فيك مفروض
لا ينعم الحق بالنعما فأنت لها — و قد زهدت فهذا اللفظ تعريض
فالزهد ليس له في العلم مرتبة — و تركه عند أهل الجمع مفروض

اعلم أن ترك الترك إمساك و الزهد ترك و ترك الزهد ترك الترك فهو عين رجوعك إلى ما زهدت فيه لأن العلم الحق ردك إليه و الحال يطلبه فما له حقيقة في باطن الأمر لكن له حكم ما في الظاهر فيصح هذا القد ر منه و بقي هل يقع الإمساك الذي هو ترك الزهد عن رغبة في الممسوك أو لا عن رغبة فاختلفت أحوال الناس فيه فمن أمسك لا عن رغبة فهو زاهد أمين على إمساك حقوق الغير حتى

يؤديها إلى أربابها في الأوقات المقدرة المقررة وقد يكون عن كشف و علم صحيح بأعيان أصحابها و قد لا يكون غير أنه لا يتناول منها شيئًا في حق نفسه إذ كان بهذه المثابة و من أمسك عن رغبة في الممسوك و هم رجلان الواحد راجع عن مقام الزهد بلا شك لمرض قام به في نفسه فهذا ليس بشيء و الرجل الآخر و هم الأنبياء و الكمل من الأولياء فأمسكوا باطلاع عرفاني أنتج لهم أمرا عشقه بما في الإمساك من المعرفة و التحلي بالكمال لا عن بخل و ضعف يقين أرسل الله على أيوب رجل جراد من ذهب فسقط عليه فأخذ يجمعه في ثوبه فأوحى الله إليه أ لم أكن أغنيتك عن هذا فقال لا غنى لي عن خيرك فانظر ما أعطته معرفته و ما زهد من زهد إلا لطلب الأكثر فزهد في الأقل قُلْ مَتاعُ الدُّنيا قَلِيلٌ فأين الزهد فما تركوا الدنيا إلا حذرا أن يزرأهم في الآخرة فهذا عين الطمع و الرغبة فيما يتخيل فيه أنه زهد و هذا هو مقام ترك الزهد و أما حاله فالزهد في الدنيا و لهذا لا يثبت

(الباب الخامس و التسعون في معرفة أسرار الجود و أصناف الإعطاءات مثل الكرم و السخاء و الإيثار على الخصاصة و على غير الخصاصة و الصدقة و الصلة و الهدية و الهبة و طلب العوض و تركه)

رتب العطاء كثيرة لا تحصر و بها على أعدائنا نستنصر
بالجود صح وجودنا في عيننا بل نحن منه على الحقيقة مظهر

(فصل الجود) عن الجود صدر الوجود و الجود بفتح الجيم المطر الكثير و هو مقلوب وجد مثل جذب و جبذ فحروفهما واحدة بالاشتراك في المعنى فمتعلق الجود من الحق في الأعيان التي هي المظاهر ظهوره فيها و متعلق الجود من المظاهر على الظاهر ما جادت به عليه باستعدادها الذاتي من الثناء بالأسماء الإلهية التي كسبه جودها من وجودها فالجود من الحق امتنان ذاتي و الجود من الأعيان ذاتي لا امتناني فهذا الفرق بين الجودين و هذا معنى قولهم في الجود إنه العطاء قبل السؤال

(فصل) الكرم و أما عطاء الكرم فهو العطاء بعد السؤال و هو على نوعين سؤال بالحال و سؤال بالمقال فسؤال الحال عن كشف من الطرفين و سؤال المقال من العبد معلوم يا رب يا رب أعطني اغْفِرْ لي ارحمني اهدني ارزقني اجبرني عافني اعف عني لا تُخْزِني لا تَفْتِنّي و أمثال ذلك و سؤال الحق ادْعُونِي أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ و كل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده و هي الفرائض كلها فمن الكرم تؤدي الفرائض و من الجود تكون النوافل إلا لمثل رسول الله ص فإنها من الجود فهي تلحق بالفرائض و كون ذلك نافلة أخبار صادق قال تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً

(فصل) السخاء ورد في حديث أبي بكر النقاش في مواقف القيامة اسم السخي على الله و هو مذكور في هذا الكتاب في باب الجنة منه و أما عطاء السخاء فهو العطاء على قدر الحاجة و ذلك عطاء الحكمة فهو من اسمه الحكيم فسخاء الحق قول موسى رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ و لَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا في الْأَرْضِ وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ و ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و أما سخاء العبد فإعطاؤه كل ذي حق حقه و إنصافه فلنفسه عليه حق و لأهله عليه حق و لعينه عليه حق و لزوره عليه حق

(فصل) الإيثار أما الإيثار فليس للحق منه صفة إلا بوجه بعيد في ذكره سوء أدب بل ما هو حقيقة فتركه أولى و ما ذهب إليه إلا من لا علم له و لا أدب من أهل الشطح فلنقل إن الإيثار قد يكون عطاء محتاج لمحتاج و قد يكون على الخصاصة و مع الخصاصة أو توهم الخصاصة و أما في جانب الحق فهو إعطاؤه الجوهر الوجود لخلق عرض من الأعراض لتعقل الإرادة بإيجاده لا بإيجاد المحل فيوجد المحل تبعا ضرورة إذ من شرط وجود العرض وجود المحل و الجوهر محتاج فيا أعطاه الحق من خلق العرض فيه إذ لا يكون له وجود إلا بوجود عرض ما و سواء كان الجوهر متحيزا أو غير متحيز و مؤلفا مع غيره أو غير مؤلف فهذا عطاء على خصاصة مع خصاصة و أما على غير الخصاصة فهو اتصاف العبد في التخلق بالأسماء الإلهية و اتصاف الحق في نزوله بأوصاف المحدثات و هذا كله واقع قد ظهر حكمه في الوجود و تبين

(فصل) الصدقة فقد ذكرنا ذلك في باب الزكاة و هي هاهنا تصدق الحق على العبد بإبقاء عينه في الوجود و بإيجاده أولا مع علمه بأنه إذا أوجده يدعي الألوهية و يقول أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى و لا بد من إيجاده لما سبق في العلم و الصدقة من العبد على الحق فإن العبد يجد في نفسه عزة الصورة و مع هذا يقر بالعبودة لعزة الله و أيضا هي ما يظهر من المحامد المحدثة التي لا تصح لله إلا بعد وجود المحدث و هو كل ما سوى الله و إنما سميت صدقة لأن العبد المختار في محامد الله في نفسه فإنه قال تعالى في حقه لما بين له السبيل إلى سعادته إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً فإنه ذو اختيار في أفعاله و لهذا يصح منه القبول و الرد و يعاقب و يثاب و على هذا قام أصل الجزاء من الله تعالى لعباده

(فصل) عطاء الصلة و أما عطاء الصلة فهي لذوي الأرحام حقا و خلقا يقول تعالى الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله فنسبتها للحق نسبتها للعبد فالرحمن رحم لنا و نحن رحم للرحمن

(فصل) عطاء الهدية و هو عطاء عن بيان و لهذا اشتركت في حروف الهدى لأنه بالهدى أهدى فهدية الحق للعبد نفسه و هدية العبد للحق رد تلك النفس إليه بخلعة تكسبه محبة ربه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ

(فصل) عطاء الهبة و هو من الحق إعطاء لينعم لا يقترن معه طلب جزاء و من العبد عمله لحق الربوبية لا للجزاء

(فصل) و أما طلب العوض و تركه فمن الحق قوله ص حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه و أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ و من العبد هو ما يطلبه من الجزاء على عمله الذي وعده الله به إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ

(فصل) و أما ترك طلب العوض فمن الحق أنه العامل و لا يتصور من المالك إذا كان هو العامل أن يطلب ما هو عنده فإن الحاصل لا يبتغى و من العبد فإنه لا يرى نفسه عاملا فما فعل شيئا يطلب بذلك الفعل عوضا من الله حيث أعطاه من نفسه فهذه فصول محققة نبهناك بها على ما هو الأمر عليه و تفصيلاتها تبدو لك مع الآنات في نفس سلوكك و هذا كله مقام إلهي في المحسنين خاصة و صاحبه مجهول لا يعرف و نكرة لا تتعرف ثم إن هذا العطاء لا بد أن يكون مطلقا أو مقيدا فمن أعطى بيد حق أطلقه فيعم عطاؤه جميع عباد الله لا يخصص عينا من عين مما يصلح لذلك المعطي مثل ذلك إن كانت الأعطية من النقود فلا يعطيها إلا من له التصرف فيها و هو الإنسان و لا يشترط فيه صغيرا و لا كبيرا و لا ذكرا و لا أنثى و لا غنيا و لا فقيرا و لا مؤمنا و لا كافرا و لا عاقلا و لا مجنونا بل هو في ذلك العطاء كمطلق الرزق على كل حيوان و كذلك إن كان مما يلبس مثل النقود سواء يعطيه لأهله و أما إن كان مأكولا فيعطيه لكل متغذ يأكل ذلك الصنف من الغذاء من حيوان أو إنسان و ليس له اختيار و لا تمييز بل هو مع أول من يلقاه فإن رده عليه حينئذ أعطاه الثاني و هكذا حتى يجد من يأخذه منه و هذا لا يكون إلا للربانيين من الاسم الرب و الرحمانيين من الاسم الرحمن و ليس للالهيين مدخل في العطاء المطلق و أثر هذا العطاء ظاهر في كل موجود لا أحاشي أعني من الأصناف لا في آحاد أشخاص الموجودات و هذا عطاء المحسن لا المؤمن و لا المسلم و أما إن كان العطاء مقيدا فهو بحسب ما تقيد به فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع فيه فيعمل الأولى فالأولى و يبتدئ بالذي أمره الشارع أن يبتدئ به و يبحث عنه حتى يجده و لا يعطي على هذا الحد إلا الإلهي من الاسم الله المؤمن المحسن المسلم و أثر هذا العطاء أيضا عام

(الباب السادس و التسعون في الصمت و أسراره)

الله قال على لسان عبيده ... فالصمت في الأكوان نعت لازم
ما ثم إلا من يكلم نفسه ... فهو السميع كلامه و العالم
و هو الوجود فليس إلا عينه ... هذا هو الحق الصريح الحاكم

اعلم وفقك الله أن الصمت أحد الأربعة الأركان التي بها يكون الرجال و النساء أبدا لا قيل لبعضهم كم الأبدال قال أربعون نفسا قيل له لم لم تقل رجلا قال قد يكون فيهم النساء كما قال ص في الكمال فذكر أنه يكون أيضا في النساء و عين منهن مريم ابنة عمران و آسية امرأة فرعون و له حال و مقام فأما مقامه فهو إنه لا يرى متكلما إلا من خلق الكلام في عباده و هو الله تعالى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فالعبد صامت بذاته متكلم بالعرض و أما حاله فهو أن يرى أن الله و إن خلق الكلام فيه فالعبد هو المتكلم فيه كما هو المتحرك بخلق الحركة فيه و لا يصح أن يصمت مطلقا أصلا فإنه مأمور بذكر الله تعالى في أحوال مخصوصة أمر وجوب فهو مقام مقيد بصفة تنزيه لأنه وصف سلبي و حكمه في ظاهر الإنسان و أما باطنه فلا يصح فيه صمت فإنه كله ناطق بتسبيح الله فالصمت محال و إنما الكلام على الصمت المعلوم بالعرف و من تخلل صمته كلام في غير فرض و لا ذكر لله فما صمت فالصامت هنا هو الذي يقيم نشأة مصمتة الأجزاء لا يتخللها حين فارغ مقدر حينئذ يكون صامتا و إذا أراد الإنسان أن يختبر نفسه هل هو ممن صمت كما ينبغي فلينظر هل له فعل بالهمة المجردة فيما من شأنه أن لا يفعل إلا بالكلام أم لا فإن أثر و حصل المقصود فهو صامت حقيقة مثل أن يريد أن يقول لخادمه اسقني ماء و أتني بطعام أو سر إلى فلان فقل له كذا و كذا و لا يشير إلى الخادم بشيء من هذا كله فيجد الخادم في نفسه ذلك كله بأن يخلق الله في سمع الخادم عن ذلك يقول فلان قال لي افعل كذا و كذا يسمع ذلك حسا بإذنه و لكن يتخيل أنه صوت ذلك الصامت و ليس كذلك فمن ليست له هذه الحالة فلا يدعي أنه صامت و أما الصامت المتكلم بالإشارة فهو يتعب نفسه و غيره و لا ينتج له شيئا بل هو ممن يتشبه بالأخرس الذي يتكلم بالإشارة فلا يعول عليه و هذا مما غلط فيه جماعة من أهل الطريق فمن نصح نفسه فقد أقمنا له ميزان هذا المقام الذي يزنه به حتى لا يتلبس عليه الأمر و هذا لا يكون إلا للالهيين المحسنين لا لغيرهم من المؤمنين و المسلمين الذين لم يحصل لهم مقام الإحسان

(الباب السابع و التسعون في مقام الكلام و تفاصيله)

إن الكلام عبارات و ألفاظ — و قد تنوب إشارات و إيماء
لو لا الكلام لكنا اليوم في عدم — و لم تكن ثم أحكام و أنباء
و إنه نفس الرحمن عينه — عقل صريح و في التشريع أنباء
فيه بدت صور الأشخاص بارزة — معنى و حسا و ذاك البدو إنشاء
فانظر ترى الحكمة الغراء قائمة — فيها لعين اللبيب القلب أشياء

الكلام صفة مؤثرة نفسية رحمانية مشتقة من الكلم و هو الجرح فلهذا قلنا مؤثرة كما أثر الكلم في جسم المجروح فأول كلام شق إسماع الممكنات كلمة كن فما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام و هو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان ينفتح في ذلك النفس شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام و عن المتكون فيه بالنفس كما ينتهي النفس من المتنفس المريد إيجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ففي أي موضع انتهى أمد قصده ظهر عند ذلك عين الحرف المقصود إن كان عين الحرف خاصة هو المقصود فتظهر الهاء مثلا إلى الواو و ما بينهما من مخارج الحروف و هذه تسمى معارج التكوين فيها يعرج النفس الرحماني فأي عين عين من الأعيان الثابتة اتصفت بالوجود فلا بد لكل متكلم من أثر في نفس من كلمة غير إن المتكلم قد يكون إلهيا و ربانيا و رحمانيا فمن كونه ربانيا و رحمانيا لا يشترط في كلامه خلق عين ظاهرة سوى ما ظهر من صورة الكلام التي أنشأها عند التلفظ فإن أثرت نشأة كلامه نشأة أخرى و هو أن يقول لزيد قم فهذا المتكلم قد أنشأ نشأة قم فإن قام زيد لأمره فقد أنشأ هذا الآمر صورة القيام في زيد عن نشأة لفظة قم فهو إلهي لأن انشاء الأعيان إنما هو لله و هذا عام في جميع الخلق فإن لم يسمع منه و لا أثرت فيه نشأة أمره فهو قاصر الهمة و ليس بإلهي في هذه الحال و إنما هو رباني أو رحماني و لا يلزم للرباني و الرحماني سوى إقامة نشأة الكلام خاصة و الإلهي هو الذي ذكرناه غير إن الإلهي على نوعين إلهي كما ذكرناه و إلهي يؤثر كلامه في الأشياء مطلقا من جماد و نبات و حيوان و كون أي كون كان علوا و سفلا فهذا هو الإلهي المطلوب في هذا الطريق و لا يصح وجوده عاما أبدا في هذه الدار بل محله الجنان فإنه لا أكبر من محمد ص و قد قال لمن حقت عليه كلمة العذاب قل لا إله إلا الله فما ظهر عن نشأة أمره نشأة لا إله إلا الله في محل المأمور و إن كان على بصيرة فيه و لكنه مأمور أن يأمر و هو حريص على الأمة فالمأمور ما امتنع و إنما الممتنع لا إله إلا الله فإن هذا اللفظ هو المأمور أن يكون في هذا المحل فلم يكن فلو تكون في محل هذا الشخص لظهر عينه و أعطاه اسم الإسلام كما إن هذا الشخص لما قال له الحق كن و هو في العدم لم يتمكن له إلا أن يكون و لا بد فقد علمت من هو المأمور بالوجود في التحقيق و هو قول الله إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ أي إنك لا تقدر على من تريد أن تجعله محلا لظهور ما تريد إنشاءه فيه أن يكون محلا لوجود إنشائك فيه فليس كل متكلم في الدنيا بإلهي مطلق لكن له الإطلاق فيما يريد أن ينشئه في نفسه لا في غيره فاعلم سر هذا و اعلم هل أنت متكلم أو لافظ

(الباب الثامن و التسعون في معرفة مقام السهر)

من لا تنام له عين و ليس له ... قلب ينام فذاك الواحد الأحد

مقامه الحفظ و الأعيان تعبده ... و لا يقيده طبع و لا جسد

هو الإمام و ما تسري إمامته في العالمين فلم يظفر به أحد
كرسيه تخزن الأكوان فيه و لا يؤده حفظ شيء ضمه عدد

هذا المقام يسمى مقام القيومية و اختلف أصحابنا هل يتخلق به أم لا و لقيت أبا عبد الله بن جنيد من شيوخ الطائفة من أهل قبرفيق من أعمال رندة و كان معتزلي المذهب فرأيته يمنع من التخلق بالقيومية فرددته عن ذلك من مذهبه فإنه كان يقول بخلق الأفعال للعباد فلما رجع إلى قولنا و أبنت له معنى قوله تعالى الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ فقد أثبت لهم درجة في القيومية و كان قد أتى إلى زيارتنا فلما رجع إلى بلده مشيت إلى زيارته في بلده فرددته و جميع أصحابه عن مذهبه في خلق الأفعال فشكر الله على ذلك رحمه الله فيتخيل من لا معرفة له بالحقائق أنها من خصائص الحق و لا فرق عندنا بينها و بين سائر الأسماء الإلهية كلها في التخلق بها على ما تعطيه حقيقة الخلق كما هي لله بحسب ما تعطيه ذاته تعالى و تقدس و السهر من أحد الأربعة الأركان التي قام عليها بيت الأبدال و هي السهر و الجوع و الصمت و العزلة و قد أفردنا لمعرفة هذه الأربعة جزءا عملناه بالطائف سميناه حلية الأبدال و نظمناها في أبيات في الجزء المذكور سؤال صاحبي عبد الله بدر الخادم و محمد بن خالد الصدفي و هذه هي الأبيات

يا من أراد منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن بها فلست من أهلها إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت و اعتزال دائم و الجوع و السهر النزيه العالي

فجعلوا السهر ركنا من أركان المقام الذي يكون من صفات الأبدال و آيتهم من كتاب الله تعالى سيدة آي القرآن اللهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ إلى قوله تعالى وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فانظر ما أعجب هذه الآية و لهذه الصفة عنت الوجوه منا و المراد بالوجوه حقائقنا إذ وجه الشيء حقيقته فقال تعالى وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ و قال كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ فإذا لم يحفظ العبد بسهر قلبه ذاته الباطنة كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة و إن كان نائما فيكون ممن ينام عينه و لا ينام قلبه و يحفظ غيره بحفظه فما سهر من ليست هذه صفته و تكون الخمسة من الأعداد أتم منه في مقامها في حفظها نفسها و غيرها و من لا يقدر أن يكون له درجة الخمسة من العدد و هي جزء مما لا يتناهى فإنها جزء من العدد و العدد لا نهاية له فكيف يتمكن له أن يتخلق بالقيومية مطلقا ليس ذلك في وسع البشر مثل الكلام سواء و غاية من يقوم بها قطب الوقت فإن له الأكثر فيها من سواه فالذي يتعين علينا حفظ هذه الصفة فنحن

نسهر لحفظ الكون و إقامته ما يلزمنا أكثر من هذا و الله حفيظ عليم لا نحن فإذا قامت هذه الصفة بنا فقد وفينا المقام حقه فينبغي لصاحب هذا المقام إذا سهر أن يسهر بعين الله و عين الله حافظته بلا شك الحفظ الذي يعلمه الله لا الحفظ العرضي فإن الله تعالى ما رأيناه يحفظ على كل عين صورتها بل الواقع غير ذلك و هو مطلق الحفظ فاذن ليس الحفظ ما يتخيل من حفظ الصور على أعيانها و إنما ينظر صاحب هذا المقام إلى الحفظ المطلق و ينظر في المحفوظ و إذا كان من عالم التغيير و الاستحالات فيحفظ عليه التغيير و الاستحالات فإن لم يتغير و لا استحال فما حفظ عليه ما تستحقه ذاته فينظر صاحب هذا المقام مراتب الموجودات و يكون حفظه في سهره بحسب ما تعطيه رتبة ذلك العالم و لا يلتفت إلى أغراض أشخاص ذلك النوع فإن الضدين لا يجتمعان فإذا أراد السكون أن يحفظ عليه ذاته في ساكن معين لم يتمكن أن يجيبه إلى ذلك فإن الساكن مأمور من الله بتغيير حاله من سكون إلى قيام لصلاة أو لأمر مشروع أو طبع كقضاء حاجته و لا يكون هذا إلا بأن يتغير و ينتقل إلى حكم الحركة و كذلك المتحرك إذا توجه عليه الأمر بالسكون فالحافظ هنا إنما يحفظ عليه حكم التغيير فإن لم يحفظ عليه ذلك فما سهر و لا تحقق بالقيومية فهذا ما يعطيه مقام السهر و حاله فافهم فإنه ما من مقام و إلا و يتسع المجال فيه لو تكلمنا على تفاصيله لكن نومئ إلى ما لا بد منه في كل مقام و حال بأمر كلي تقع به المنفعة و يندرج فيه كل تفصيل يحتمله فإذا بحثت عليه في كلامنا تجدنا قد وفينا المقصود انتهى الجزء السادس و التسعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع و التسعون في مقام النوم)

النوم جامع أمر ليس يجمعه ... غير المنام ففكر فيه و اعتبر
أن الخيال له حكم و سلطنة ... على الوجودين من معنى و من صور
و ليس يدرك في غير المنام و لا ... تبدو له صور في حضرة السور
يختص بالصاد لا بالسين حضرته ... فهو المحيط بما في الغيب من صور
من لا يكيف يأبى النوم يحصره ... بالكيف و الكم للتحديد بالعبر

اعلم أيدك الله أن النوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى شهود عالم البرزخ و هو أكمل العالم فلا أكمل منه هو أصل مصد ر العالم له الوجود الحقيقي و التحكم في الأمور كلها يجسد المعاني و يرد ما ليس قائما بنفسه قائما بنفسه و ما لا صورة له يجعل له صورة و يرد المحال ممكنا و يتصرف في الأمور كيف يشاء فإذا كان له هذا الإطلاق و هو خلق مخلوق لله فما ظنك بالخالق سبحانه الذي خلقه و

أعطاه هذه القوة فكيف تريد أن تحكم على الله بالتقيد و تقول إن الله غير قادر على المحال و أنت تشهد من نفسك قدرة الخيال على المحال و الخيال خلق من خلق الله و لا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك و أراها إياك أشخاصا قائمة فكذلك يأتي الله بأعمال بنى آدم مع كونها أعراضا صورا قائمة توضع في الموازين لإقامة القسط و يؤتى بالموت مع كونه نسبة فوق العرض في البعد عن التجسد في صورة كبش أملح يريد أنه في غاية الوضوح لهذا وصفه بالملحة و هي البياض فيعرفه جميع الناس فهذا محال مقدور فأين حكم العقل على الله و فساد تأويله و كذلك نعيم الجنان في فواكهه لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ فيتأوله من لا علم له بحمله على فصول السنة إن الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الأخرى و فاكهة الجنة دائمة التكوين لا تنقطع هذا مبلغ علمهم في هذه المسألة و هي عندنا كما قال الله لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ فإن الله جاعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا و تناولا كما جعل الله لعالم الجن في العظام رزقا و ما نرى ينقص من العظم شيء و نحن بلا شك نأكل من فاكهة الجنة قطفا دانيا مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زال عينها لأنها دار بقاء لما يتكون فيها فهي دار تكوين لا دار إعدام و كذلك سوق الجنة ندخل في أي صورة شئنا من صور السوق مع كوننا على صورتنا لا ينكرنا أحد من أهلنا و لا من معارفنا و نحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول و المعقول هنا

لا يعرف الله إلا الله فاعتبروا ما عقل عين كعقل قلد الفكرا

و لما نزه الله نفسه عن صفة النوم فقال لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ أي ما يغيبه شهود البرازخ عن شهود عالم الحس عن شهود المعاني الخارجة عن المواد في حال عدم حصولها في البرزخ و تحت حكمه و قد يمنح الله بعض عباده بهذا الإدراك مع كونه لا يتصف بأنه لا ينام أعني في حالة الدنيا و نشأتها و أما في الآخرة فإنه لا ينام أهل الجنة في الجنة و لا يغيب عنهم شيء من العالم بل كل عالم على مرتبته مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم يقال نام فلان فرأى كذا أي رأى مقلوبة و هو مان أي كذب في عرف العادة فإن العلم ما هو لبن و القرآن ما هو عسل و لكن هكذا تراه فإذا كملت رأيته علما في حضرة المعاني في حال رؤيتك إياه لبنا في حضرة البرزخ و هو هو لا غيره فتحقق ما أعلمناك به فقد أرحناك بما ذكرناه راحة الأبد و قد عرفناك بالإله المعرفة المطلوبة منا و إذا تحققت ما أومأنا إليه في هذا الباب علمت جميع ما جاء به الشرع في الكتاب و السنة قديما و حديثا من النعوت الإلهية التي تردها العقول ببراهينها القاصرة عن هذا الإدراك فمعرفة وجود الحق مدرك العقول من حيث ما هي مفكرة و صاحبة دلالات و معرفة ما هو الحق عليه في نفسه هو ما أعطاه الوجود لكل إدراك في عالمه فما ثم إلا حق و مصيب فسبحان من طور الأطوار و جعل في اليوم حقيقة الليل و النهار و أنزل الأحكام و شرعها

على التفصيل لا على الإجمال وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و النوم من أحكام الطبيعة في مولدات العناصر خاصة و النشأة الآخرة ليست من مولدات العناصر بل هي من مولدات الطبيعة فلذلك لا تنام و لا تقبل النوم كالملائكة و ما علا عن العناصر و نشأة الإنسان في الآخرة على غير مثال كما كانت نشأته في الدنيا على غير مثال فما ظهر قبله من هو على صورته و لهذا جاء كَما بَدَأَكُمْ يعني على غير مثال تَعُودُونَ على غير مثال يعني في نشأة الآخرة و قال وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ أنها كانت على غير مثال سبق فاشحذ فؤادك و وفر زادك فإنك راحل عن نشأة أنت فيها و ما أنت فيها

(الباب الموفي مائة في مقام الخوف)

خف الله يا مسكين إن كنت مؤمنا إذا جاء سلطان المنازع في الأمر
ف إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها تنل بها رتب العليا في عالم الأمر
و ما قلته بل قاله الله معلما كما جاء في القرآن في محكم الذكر

اعلم أيدك الله و عصمك إن الخوف مقام الإلهيين له الاسم الله لأنه متناقض الحكم فإنه يخاف من الحجاب و يخاف من رفع الحجاب أما خوفه من الحجاب فلما فيه من الجهل بما هو حجاب عنه و أما خوفه من رفع الحجاب فلذهاب عينه عند رفعه فتزول الفائدة و الالتذاذ بالجمال المطلق آية المحجوب قوله تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ في معرض الذم و أما الحديث فقوله ص في الحجب لو كشفها أو لو رفعها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه

و ما أشبه هذا المقام بقول القائل

الليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فمقام الخوف مقام الحيرة و الوقوف لا يتعين له ما يرجح لقيام شاهد كل جانب عنده و من خرج عن هذا الخوف إلى الخوف من متعلق غيره فهو خوف و ليس بمقام فإن كل خوف ما عدا هذا فليس له هذا الحكم فإن المقام كل ما له قدم راسخ في الألوهة و ما ليس له ذلك فليس بمقام و إنما هو حال يرد و يزول بزوال حكم التعلق و المتعلق ببشرى أو بغيرها و الخوف الذي هو مقام يستصحب للعالم بالله الذي يعلم ما ثم و من لا يعلم ذلك فلا يستصحبه خوف إلا إلى أول قدم يضعه من الصراط في الجنة أو حاضرها فالخائف هو الذي يعلم ما هو التجلي و ما هو الذي يرى يوم القيامة و هو الذي يعلم أن أهل النار لهم تجل يزيد في عذابهم كما إن لأهل الجنة تجليا يزيد في نعيمهم أهل النار محجوبون عنه و لهذا قال عن ربهم أهل النار و الرب المربي و المصلح فباب العلم بالله دون ما سواه مغلق من حيث ذاته و هو

المطلوب بالتجلي فالخلق في عين الجهل بهذا الذي ذكرناه إلا من رحم الله و لقد أصابت المعتزلة في إنكارها الرؤية لا في دليلها على ذلك فلو لم تذكر دلالتها لتخيلنا أنها عالمة بالأمر كما علمه أهل الله لكنها في دلالتها كانت كما قال بعضهم لصاحبه حين قال له ما أعجبه و أخذ به فلما ذكر له الإسناد فيما أورده زال عنه ذلك الفرح و قال له أفسدت حين أسندت فمن لم يعرف الله هكذا لم يعرفه المعرفة المطلوبة منه

(الباب الأحد و مائة في مقام ترك الخوف)

لما تعلق علم الخوف بالعدم ... لم أخش منه فحزنا رتبة القدم
أنا الوجود فلا خوف يصاحبني ... لأن ضدي منسوب إلى العدم
إن الذي خفت منه لا وجود له ... فاترك مخافته لحما على و ضم

قال ص و اجعلني نورا في دعائه و قال تعالى اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و السبحات أنوار و النور لا يحترق بالنور و لكن يندرج فيه أي يلتئم معه للمجانسة و هذا هو الالتحام و الاتحاد و هنا سر عظيم و هو ما يزيد في نور المتجلي من نور المتجلي له إذا انضاف إليه و اندرج فيه و لما وقف ص على مقام الخوف الذي ذكرناه أداه إلى أن طلب أن يكون نورا فكأنه يقول اجعلني أنت حتى أراك بك فلا تذهب عيني برؤيتك لكن اندرج فيك كما قال النابغة

بأنك شمس و الملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و ما ذهب لها عين و ما ظهر لها عين فهي ترى و لا ترى لأنها خلف حجاب النور الأعظم الذي له الحكم في ظاهر الأمر و لأنوار الكواكب حكم في باطن الأمر مندرج في النور الأعظم يعلم ذلك أرباب علم التعاليم فهم أسعد الناس بهذا المقام و هو مقام جليل نبوي و ما حجره الحق على المؤمنين إلا رحمة بهم لأن الغالب في العالم الجهل بحقائق الأمور و العلماء أفراد فرحمهم الله بما حجر عليهم من ذلك و أما العلماء بالله فلا حرج عليهم فيه فإنهم عالمون كيف ينسبون و كيف لا يعلمون و الله يقول وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و هو ما يعطيه من الآثار في العالم كما تعطي كل آلة للصانع بها ما عملت له و الصنعة مضافة للصانع لا للآلة فاعلم ذلك و كن بحسب ما تعطيه قوتك و السلام و اختلف أصحابنا في صاحب هذا المقام هل يأمن من المكر الإلهي أم لا أما مع البشرى فيأمن و لا بد و أعني إذا جاءت البشرى بالأمن من مكر الله و لا أقدر أبسط في هذا المقام شيئا أكثر مما ذكرناه في هذا الوقت لأسباب و لا أصرح

بمذهبنا فيه إلا بقدر ما ذكرنا منه في البشرى فإنه أمر محقق تدل عليه العقول و الشرع و ذلك أن صاحب هذا المقام إن كانت عجلت له الجنة بوجه لا يمكن استبداله فالأمن حاصل و يصح له هذا المقام و إن لم تكن له هذه الحالة فالله أعلم

(الباب الثاني و مائة في مقام الرجاء)

إن الرجاء كمثل الخوف في الحكم — فاعزم عليه و كن منه على علم
إن الرجاء مقام ليس يعلمه — إلا أولو العلم بالرحمن و الفهم
يلتذ صاحبه في وقته فإذا — يفوته كان مثل الخوف في الحكم
و إن ما أنت راجيه لفي عدم — و لست من فقده المعلوم في عم

الرجاء متعلقة ما ليس عنده و هو مقام مخوف يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر حاصل و معرفة ثابتة لا يدخلها شبهة فإنه مقام عن جانب الطريق ما هو في نفس الطريق تحته مهواة بأدنى زلة يسقط صاحبه من الطريق و هو على طريق الحياة الدائمة التي بها بقاء العالم في النعيم و الحال التي ينبغي أن يظهر سلطانه فيها عند الاحتضار و أما قبل ذلك فيساوي بين حكمه و بين حكم الخوف إن كان مؤمنا حقيقة قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا و كذلك ينبغي أن يظن بنفسه شرا لا بربه إلا عند الموت فإنه يشتغل بربه في تلك الحال و يظن به خيرا و يعرض عن ظنه بنفسه جملة واحدة بخلاف حاله في دنياه و الرجاء المطلوب من أهل الله هو ما يطلبه وقته لأن المرجو معدوم في تلك الحال فيخاف على الراجي أن يفوته حكم الوقت فإذا كان متعلق رجائه ما يطلب الوقت فهو صاحب وقت و لا بد و ما يرسم في ديوان من لم يتأدب مع وقته ثم إن وقته لا يخلو من أحد ثلاثة أمور إما أن يكون صاحب وقت مرضي فمتعلق رجائه ما يطلبه الوقت المرضى و إن كان غير مرضي أو لا مرضي و لا غير مرضي كالمباح فمتعلق رجائه إزالته عنه بما هو مرضي في النفس الثاني و الزمان الذي يليه فمتى خرج عن هذا التعلق الخاص فليس هو الرجاء الذي هو مقام في الطريق و هو من المقامات المستصحبة في الدنيا و الآخرة لا ينقطع لأن الإنسان حيث كان لا يزال صاحب قوت لأن الأمر لا يتناهى و كلامنا في الفائت المستأنف و أما الفائت الماضي فإنه لا يعود إذ لو عاد لتكرر أمر ما في الوجود و لا تكرار للتوسع الإلهي غير أنه إن كان الفائت الماضي مرضيا و هو لا يعود فحكم ذلك الفعل الفائت الماضي فهو إنما يجنيه في الآخرة و لو اتصف به في الدنيا فقد يتعلق الرجاء بتحصيل ما لو كان الفائت الماضي لم يفت حصل له فيحصل له مثل ذلك برجائه إن كان قد كان له وجود و انقضى أو عين ذلك المرجو إن كان لم يكن برجائه فإنه فائت مستأنف كان مهيا للفائت الماضي هذا غاية قوة الرجاء و قد قال ص في الذي يفوته خير الدنيا و يرى من له شيء من ذلك الخير يعمل به

في طاعة الله لو كان لي مثل هذا العامل من الخير لفعلت مثل ما فعل فهما في الأجر سواء فهذا قد فاته العمل و جنى ثمرته بالتمني و ساوى من لم يفته العمل و ربما أربى عليه لا بل أربى عليه فإن العامل مسؤل لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ و هذا غير مسؤل لأنه ليس بعامل و لا يكون هذا إلا لمن لم يعطه الله أمنيته من الخير الذي تمنى العمل به فإن أعطاه ما تمناه من الخير فليس له هذا المقام و لا هذا الأجر و ينتقل حكمه إلى ما يعمله فيما أعطاه الله من الخير و لا يبقى للتمني في الآخرة أثر فإن عمل به برا كان له و إن عمل غير ذلك كان في حكم المشيئة و ليس رجاء القوم رجاء العاصين في رحمة الله ذلك رجاء آخر ما هو مقام و كلامنا في المقام و الرجاء عند بعضهم مقام إلهي و استدلوا عليه بقوله في غير آية لَعَلَّ و عَسَى و لهذا جعلها علماء الرسوم من الله واجبة

(الباب الثالث و مائة في ترك الرجاء)

لا تركنن إلى الرجاء فربما   أصبحت من حكم الرجاء على رجا
فاضرع إلى الرحمن في تحصيله   فيه نجاتك فالسعيد من التجأ

اعلم أيدك الله أن حكم صاحب هذا المقام شهود نفسه من حيث ما تطلبه به الحضرة الإلهية و ضعف العبودية عن الوفاء بما تستحقه أو بما يمكن أن يوفيها من طاقتها المأمور بها في قوله تعالى فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ هذا من جهتنا و أما من جانب ما تستحقه الربوبية على العبودية فقوله اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و ليس لهم من الأمر شيء فقطع بهم هذا الأمر فهو مقام صعب و حالة شديدة فمن ترك الرجاء فقد ترك نصف الايمان فالإيمان نصفان نصف خوف و نصف رجاء و كلاهما متعلقهما عدم فإذا حصل العلم حصل الوجود و زال العدم و أزال العلم حكم الايمان لأنه شهد ما آمن به فصار صاحب علم و الايمان تقليد و التقليد يناقض العلم إلا أن يكون المخبر معصوما عند المؤمن و في نفسه من الكذب و ليس بينك و بينه واسطة في إخباره فإن الدليل الذي حكم لك بصدقه و عصمته عن الخطاء و الكذب فكنت فيه على بصيرة و هي العلم ينسحب لك على ما يخبرك به عن الله فيكون عندك خبره علما لا تقليدا و هذا لا يكون اليوم إلا عند أهل الكشف و الوجود خاصة و أما عند أهل النقل فلا سبيل فالصحابة الذين سمعوا شفاها من الرسول ما لا يحتمله التأويل بما هو نص في الباب لا فرق بينهم و بين أهل الكشف و الوجود فهم علماء غير مقلدين ما داموا ذاكرين لدليلهم فإن غابوا عن الدليل في وقت الإخبار فهم مقلدون مع ارتفاع الوسائط فاجعل دليلك ربك على الأشياء فلا تغفل عنه فإنك إذا كنت بهذه المثابة كنت صاحب علم و هو أرفع ما يكون من عند الله و لهذا أمر نبيه ص بالزيادة منه دون غيره من الصفات فمن علم الماضي و الحال و المستأنف لم يبق له عدم فلم يبق له متعلق رجاء فلم يبق له رجاء

من إنما أجزع مما أتقى فإذا حل فما لي و الجزع

و كذا أطمع فيما أبتغي فإذا فات فما لي و الطمع

فهذان البيتان جمعا ترك الرجاء و الخوف بحصول المخوف وقوعه و فوت المرجو حصوله إلى و هذا و إن كان صحيحا في الرجاء فلا يكون هذا في رجاء المقام فإنه ما له خوف فوت الماضي و إنما له خوف فوت المستأنف لفوت سببه الذي مضى

(الباب الرابع و مائة في مقام الحزن)

الحزن مركبه صعب و غايته ذهابه فولى الله من حزنا

قلب الحزين هنا تقوى قواعده هناك و الغرض المقصود منك هنا

دار التكاليف دار ما بها فرح فالله ليس يحب الفارح اللسنا

الحزن مشتق من الحزن و هو الوعر الصعب و الحزونة في الرجل صعوبة أخلاقه و الحزن لا يكون إلا على فائت و الفائت الماضي لا يرجع لكن يرجع المثل فإذا رجع ذكر بذاته من قام به مثله الذي فات و مضى فأعقب هذا التذكر حزنا في قلب العبد و لا سيما فيمن يطلب مراعاة الأنفاس و هي صعبة المنال لا تحصل إلا لأهل الشهود من الرجال و ليس في الوسع الإمكانى تحصيل جملة الأمر فلا بد من فوت فلا بد من حزن و هذه الدار و هذه النشأة نشأة غفلة ما هي نشأة حضور إلا بتعمل و استحضار بخلاف نشأة الآخرة فطلب منا أن ننشئ نفوسنا في هذه الدار نشأة أخرى يكون لها الحضور لا الاستحضار فهل ما طلب منا نعجز عنه أو لا نعجز و محال أن يطلب منا ما لم يجعل فينا قوة الإتيان به و يمكننا من ذلك فإنه حكيم و قد أعطانا في نفس هذا الطلب علمنا بأن فينا قوة ربانية و لكن من حيث أنا مظهر لها أكسبناها قصورا عما تستحقه من المضاء في كل ممكن فطلبنا المعونة منه فشرع لنا أن نقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و لا حول و لا قوة إلا بالله فمن كان هذا مشهده فلا يزال حزنه دائما أبدا و هو مقام مستصحب للعبد ما دام مكلفا و في الآخرة ما لم يدخل الجنة فإن في الآخرة لهم حزن التغابن لا حزن الفزع الأكبر و الخوف يرتفع عنهم مطلقا إلا أن يكونوا متبوعين فإن الخوف يبقى عليهم على الاتباع كالرسل فالحزن إذا فقد من القلب في الدنيا خرب لحصول ضده إذ لا يخلو و الدار لا تعطي الفرح لما فيه من نفي المحبة الإلهية عمن قام به و ما يزيل الحزن إلا العلم خاصة و هو قوله فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا فالحزن مثل العلم سواء يرتفع بارتفاع المحزون عليه و يتضع كذلك كالعلم يشرف بشرف المعلوم و الحزن مقام صعب المرتقى قليل من الخلق عليه هو للكمل من الناس

(الباب الخامس و مائة في ترك الحزن)

الحق أعطى كل شيء خلقه ثم هدى
فما ترى من فائت قد فات فالحزن سدى
الحزن حكم واقع لفائت و ما عدا
هذا فلا تحفل به فإنه حكم البدا

هو حال و ليس بمقام و هو مؤد إلى خراب القلوب و في طيه مكر إلهي إلا للعارف فإنه لا يخرج عن مقام الحزن إلا من أقيم في مقام سلب الأوصاف عنه قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما هي لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي و ذلك لما سأله بكيف و هي للحال و هو من أمهات المطالب الأربعة و له من النسب الإلهية سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ على قراءة الكسائي و كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و يخفض القسط و يرفعه فهذا مقام الكيف في الإلهيات و أما أبو يزيد فما قصد التمدح بهذا القول و إنما قصد التعريف بحاله فإن الصباح و المساء لله لا له و هو المقيد تعالى بالصفة و العبد العنصري مقيد بالصباح و المساء غير مقيد بالصفة و لهذا نفى الصفة فقال لا صفة لي لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا فالصباح و المساء يملكه و لا ملك لأبي يزيد عليهما لأنهما بالصفة يملكان و أبو يزيد لا صفة له فمن لا علم له بالمقام يتخيل أن أبا يزيد تأله في هذا القول و لم يقصد ذلك رضي الله عنه بل هو أجل من أن يعزي إليه مثل هذا التأويل في قوله هذا فإن قال من يتأول عليه خلاف ما قلناه من أنه تأله في قوله بقوله ضحكت زمانا و بكيت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي فاعلم أنه ثم تجلى يضحك و ما رأيت أحدا في هذا الطريق من أهل الضحك إلا واحدا يقال له علي السلاوي سحت معه و صحبته سفرا و حضرا بالأندلس لا يفتر عن الضحك شبه الموله و ما رأيته جرى عليه قط لسان ذنب و أما البكاءون فما رأيت منهم إلا واحدا يوسف المغاور الجلاء سنة ست و ثمانين و خمسمائة بإشبيلية و كان يلازمنا و يعرض أحواله علينا كثير الجزع لا تفتر له دمعة صحبته في الزمان الذي صحبت الضحاك و أما كون أبي يزيد انتقل عن هذين المقامين إلى المقام الذي بينهما فإنهما من الأمور المتقابلة التي ما يكون بينهما واسطة كالنفي و الإثبات لا كالوجود و العدم و الحار و البارد فإن بينهما واسطة تأخذ من كل طرف بنسبة تميزه عن الطرفين و كذلك إذا لم يكن الشخص في موجب ضحك و لا موجب بكاء كحالة البهت لأهل الله فهو لا ضاحك و لا باك فوصفه البهت و التعري عن الموجبين فأراد التعريف ما أراد التمدح

(الباب السادس و مائة في معرفة الجوع المطلوب)

الجوع موت أبيض و هو من أعلام الهدى

ما لم يؤثر خبلا فهو دواء و هو دا

فاحكم به تكن به موفقا مسددا

الجوع حلية أهل الله و أعني بذلك جوع العادة و هو الموت الأبيض فإن أهل الله جعلوا في طريقهم أربع موتات هذا أحدها و موت أخضر و هو لباس المرقعات إلا المشهرات كان لعمر بن الخطاب ثوب يلبسه فيه ثلاث عشرة رقعة إحداهن قطعة جلد و هو أمير المؤمنين و موت أسود و هو تحمل الأذى و موت أحمر و هو مخالفة النفس في أغراضها و هو لأهل الملامية فالجوع المطلوب في الطريق هو للسالكين جوع اختيار لتقليل فضول الطبع و لطلب السكون عن الحركة إلى الحاجة فإن علا فلطلب الصفة الصمدية وحده عندنا صوم يوم فإن زاد فإلى السحر هذا هوالجوع المشروع الاختياري و ما لنا طريق إلى الله إلا على الوجه المشروع و لو لا إن الله جعل هذا حد المصلحة في عموم خلقه لما وقته إلى هذا القدر فلا يكون الإنسان في الزيادة عليه أعلم بمصالح الجوع في العبد من ربه هذا غاية سوء الأدب فإن كان ممن يطعم و يسقى في مبيته و فنائه و يجد أثر ذلك في قوته و صحة عقله و حفظ مزاجه فليواصل ما شاء فإنه ليس بصاحب جوع و كلامنا في الجوع و إن كان أيضا ممن يستغرقه حال و وارد قوي يحول بينه و بين الطعام كأبي عقال فإن كان صاحب فائدة فهي المطلوب و إن لم يكن فذلك مرض يعرض حاله على الأطباء و ما ذلك مطلب القوم و أما جوع الأكابر فجوع اضطرار فإن الذي ينتجه الجوع قد حصل لهم ملكة لا تزول عنهم في حال جوع و لا شبع فلم يبق إلا التقليل و لكن من الحلال إما للنشاط في الطاعات و إما لخفة الحساب فإن النبي ص قال إنكم لتسئلون عن نعيم هذا اليوم و لم يكن سوى تمر و ماء و ما أدخل نفسه في الجماعة فإن لله عبادا سليمانيين يقول الله لهم هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ و هم سبعون ألفا في هذه الأمة قد نعتهم النبي ص و الخبر صحيح و عكاشة منهم بالنص عليه فينبغي للصالح السالك أن لا يزيد على الحد المشروع فيكون متبعا فإن ترك العمل بالاتباع أعظم أجرا من العمل بالابتداع فإنا بالاتباع بحكم الأصل فإن وجودنا تبع لوجود من أوجدنا فلتكن أفعال العلماء بهذه المرتبة على ذلك و لما قال ص إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع و العطش لم يختلف أحد من العلماء و لا من أهل الله إنه أراد الصوم و التقليل من الطعام في السحور المسنون لمن واصل و في الإفطار لمن أفطر فإنه قال بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فلا يتعدى المريد الحد الذي سنه من شرع الطريق إلى الله به و لا تعرف قدر ما دللتك عليه إلا في نتيجته إن فتح لك هنا و لا تجع من غير صوم فإنه غير طريق مشروعة و لا تجعل سبب ذلك حديث أجر الصوم فذلك ليس لك إنما هو للعمل و دع النفس ترغب في الأجرة التي لها على ذلك فإن فيها من يطلب ذلك و أنت بالسر الإلهي و الروح الامري بمعزل عن هذا الطلب الذي تطلبه النفس الحيوانية فإنك مجموع و لا تلحق بأهل الغلط من أهل

هذه الطريق الذين يجوعون تلامذتهم من غير صوم أو يصومونهم ثم يطعمونهم قبل غروب الشمس ذلك غلط منهم و جهل بطريق الله تعالى و إن كانوا يقصدون بذلك مخالفة النفوس فما هذا موضعه و إنما ينبغي أن يخالفوها في تعيين المأكول على حد مخصوص و وجه معين و ميزان مستقيم يعرفه أهل الله فإذا مالت إلى طعام خاص معين عندها حتى لا تكره شيئًا من نعم الله و لقد عملت على هذا زمانا حتى طاب لي كل شيء كنت لا أقدر على أكله و تمجه نفسي و كذلك في التقليل منه و هو أشد ما على النفس أن تشرع في الشيء ثم يحال بينها و بين التملي منه و الله الموفق لا رب غيره

(الباب السابع و مائة في ترك الجوع)

الجوع بئس ضجيع العبد جاء به | لفظ النبي فلا ترفع به رأسا
قد أدرك القوم في تعيينه غلط | و لم يقيموا له وزنا و قسطاسا
من قال ما الجوع لم يعرف حقيقته | و قد أضل بما قد قاله الناسا
جوع العوائد محمود و لست أرى | فيما أراه من استعماله بأسا
جوع الطبيعة مذموم و ليس يرى | فيه المحقق بالرحمن إيناسا

ترك الجوع عند القوم ليس الشبع و إنما هو إعطاء النفس حقها من الغذاء الذي جعل الله به صلاح مزاجها و قوام بنيتها فإذا أحس صاحب هذه الحالة بالجوع فذلك جوع العادة خرج أبو بكر البزار في مسنده أن النبي ص كان يتعوذ من الجوع و يقول إنه بئس الضجيع و لا يذم حال يعطي الفوائد فدل أنه لا فائدة في مثل هذا الجوع و أن الفوائد فيما أظهر الشرع ميزانه من ذلك فترك الجوع عبادة و طريق موصلة إلى الله و بهذا فضل سلمان على أبي الدرداء و شهد له بذلك رسول الله ص إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا و لزورك عليك حقا و لأهلك عليك حقا فقم و نم و صم و أفطر و أعط كل ذي حق حقه فإنك لا تدخل على الحق أبدا و لا حد عليك حق و أعظم الحقوق حق الله ثم حق نفسك انتهى الجزء السابع و التسعون بانتهاء السفر الثالث عشر و الحمد لله

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثامن و مائة في معرفة الفتنة و الشهوة و صحبة الأحداث و النسوان و أخذ الإرفاق منهن و متى يأخذ المريد الإرفاق)

لا تصحبن حدثا إن كنت ذا حدث | و لا نساء و كن بالله مشتغلا

و احذر من الفتنة العمياء أن لها حكما قويا على القلب الذي غفلا

و شهوة النفس فاحذرها فكم فتكت بسيد قلبه عن ربه عفلا

و لا يرى أخذا رفقا من امرأة إلا الذي من رجال الله قد كملا

اعلم أيدك الله أن الفتنة الاختبار يقال فتنت الفضة بالنار إذا اختبرتها قال تعالى أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ أي اختبرناكم بهما هل تحجبكم عنا و عما حددنا لكم أن تقفوا عنده و قال موسى ع إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ أي تحير وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ و من أعظم الفتن التي فتن الله بها الإنسان تعريفه إياه بأن خلقه على صورته ليرى هل يقف مع عبوديته و إمكانه أو يزهو من أجل مكانة صورته إذ ليس له من الصورة إلا حكم الأسماء فيتحكم في العالم تحكم المستخلف القائم بصورة الحق على الكمال و كذلك من تأيد هذه الفتنة قول النبي ص يحكيه عن ربه إن العبد إذا تقرب إلى الله بالنوافل أحبه فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و ذكر اليد و الرجل الحديث و إذا علم العبد أنه بهذه المثابة يسمع بالحق و يبصر بالحق و يبطش بالحق و يسعى بالحق لا بنفسه و بقي مع هذا النعت الإلهي عبدا محضا فقيرا و يكون شهوده من الحق و هو بهذه المثابة كون الحق ينزل إلى عباده بالفرح بتوبتهم و التبشيش لمن يأتي إلى بيته و التعجب من الشاب الذي قمع هواه و اتصافه بالجوع نيابة عن جوع عبده و بالظمإ نيابة عن ظمأ عبده و بالمرض نيابة عن مرض عبده مع علمه بما تقتضيه عزة ربوبيته و كبريائه في ألوهيته فما أثر هذا النزول في جبروته الأعظم و لا في كبريائه الأنزه الأقدم كذلك العبد إذا أقامه الحق نائبا فيما ينبغي للرب تعالى يقول العبد و من كمال الصورة التي قال إنه خلقني عليها أن لا يغيب عني مقام إمكاني و منزلة عبوديتي و صفة فقري و حاجتي كما كان الحق في حال نزوله إلى صفتنا حاضرا في كبريائه و عظمته فيكون الحق مع العبد إذا وفى بهذه الصفة يثني عليه بأنه نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ حيث لم تؤثر فيه هذه الولاية الإلهية و لا أخرجته عن فقره و اضطراره و من تجاوز حده في التقريب انعكس إلى الضد و هو البعد من الله و المقت فاحذر نفسك فإن الفتنة بالاتساع أعظم من الفتنة بالحرج و الضيق و أما الشهوة فهي آلة للنفس تعلو بعلو المشتهي و تستفل باستفال المشتهي و الشهوة إرادة الالتذاذ بما ينبغي أن يلتذ به و اللذة لذتان روحانية و طبيعية و النفس الجزئية متولدة من الطبيعة و هي أمها و الروح الإلهي أبوها فالشهوة الروحانية لا تخلص من الطبيعة أصلا و بقي من يلتذ به فلا يلتذ إلا بالمناسب و لا مناسبة بيننا و بين الحق إلا بالصورة و التذاذ الإنسان بكماله أشد الالتذاذ فالتذاذه بمن هو على صورته أشد التذاذ برهان ذلك أن الإنسان لا يسرى في كله الالتذاذ و لا يفنى في مشاهدة شيء بكليته و لا تسري المحبة و العشق في طبيعة روحانيته إلا إذا عشق جارية أو غلاما و سبب ذلك أنه يقابله بكليته لأنه على صورته و كل شيء في العالم جزء منه فلا يقابله إلا

بذلك الجزء المناسب فلذلك لا يفنى في شيء يعشقه إلا في مثله فإذا وقع التجلي الإلهي في عين الصورة التي خلق آدم عليها طابق المعنى المعنى و وقع الالتذاذ بالكل و سرت الشهوة في جميع أجزاء الإنسان ظاهرا و باطنا فهي الشهوة التي هي مطلب العارفين الوارثين ألا ترى إلى قيس المجنون في حب ليلى كيف أفناه عن نفسه لما ذكرناه وكذلك رأينا أصحاب الوله و المحبين أعظم لذة و أقوى محبة في جناب الله من حب الجنس فإن الصورة الإلهية أتم في العبد من مماثلة الجنس لأنه لا يتمكن للجنس أن يكون سمعك و بصرك بل يكون غايته إن يكون مسموعك و مدركك اسم مفعول و إذا كان العبد مدرك بحق هو أتم فلذته أعظم و شهوتههناك و المعرفة معدومة من هذا الصنف من الناس و ما صبر تحت الاختبار الإلهي إلا الذهب الخالص المعدني الذي حاز رتبة الكمال و ما بقي فيه من تربة المعدن شيء و كل تكليف فتنة و جميع المخلوقات فتنة و الاطلاع على نتائج الأعمال فتنة و هي حالة مقام يستصحب إلى الجنة و كان رسول الله ص و هو صاحب الكشف الأتم و العالم بما ثم يستعيذ من فتنة القبر و عذاب النار و فتنة المحيا و الممات و أما الشهوة فهي إرادة الملذوذات فهي لذة و التذاذ بملذوذ عند المشتهي فإنه لا يلزم أن يكون ذلك ملذوذا عند غيره و لا أن يكون موافقا لمزاجه و لا ملاءمة طبعه و ذلك أن الشهوة شهوتان شهوة عرضية و هي التي يمنع من اتباعها فإنها كاذبة و إن نفعت يوما ما فلا ينبغي للعاقل أن يتبعها لئلا يرجع ذلك له عادة فتؤثر فيه العوارض و شهوة ذاتية فواجب عليه اتباعها فإن فيها صلاح مزاجه لملاءمتها طبعه و في صلاح مزاجه و في صلاح دينه سعادته و لكن يتبعها بالميزان الإلهي الموضوع من الشارع و هو حكم الشرع المقرر و فيها سواء كان من الرخص أو العزائم إذا كان متبعا للشرع لا يبالي فإنه طريق إلى الله مشروعة فإنه تعالى ما شرع إلا ما يوصل إليه بحكم السعادة و لا يلزم أيضا أن يكون ما يشتهيه في هذه الحال أن يشتهيه في كل حال و لا في كل وقت فينبغي له أن يعرف الحال الذي ولد تلك الشهوة عنده و الوقت الذي اقتضاها و قد تتعلق بأعمال الطاعات هذه الشهوات العرضية فتوجب بعدا كمن يرى موضعا يستحسنه طبعه فيشتهي إن يصلي فيه أو لفضيلة يعلمها في ذلك الزمان على غيره فإن ذلك يؤثر في حاله مع الله أثر سوء و ميزان ذلك الالتذاذ بعمل لا لشهود إلهي و هذا من المكر الخفي و لأبي يزيد في هذا قدم راسخة و قد نبه على ذلك لما سألته أمه في ليلة باردة أن يسقيها ماء و كان برا بها فثقل عليه القيام و قد كان ملتذا في جميع أحواله في خدمة أمه فاتهم نفسه في تلك اللذة إذ كان يتخيل أنه لا يلتذ بخدمة أمه إلا لإقامة حق الله و لا بعبادة إلا لإقامة حق الله فيها فرمى كل عبادة تقدمت له كان له التذاذ بها و تاب توبة جديدة فأغوار النفوس لا يدركها إلا فحول أهل الله فلا تفرح بالالتذاذ بالطاعات و رفع المشقة فيها عنك دون ميزان القوم في ذلك فإذا اقترنت هذه الشهوة بصحبة أهل البدع و هم الأحداث و بصحبة الصبيان الصباح الوجوه و النساء في الله تعالى فيما تخيل له أنه في الله تعالى ففي طي هذا التعلق مكر إلهي خفي و لو تعلق ذلك

الالتذاذ منه بغير هؤلاء الأصناف فليس ذلك بميزان يعرف به مكر الله حتى يفرق بين الصحبة لله و الصحبة لشهوة الطبع إلا أن يصحب العلماء بالله أهل الورع أو شيخه إن كان من أهل الأذواق فذلك أمر آخر و الذي ينبغي له أن يزن به حاله في دعواه إنه ما صحب الأحداث و النساء إلا لله إذا وجد ألما و وحشة عند فقده إياهم و هيجانا إلى لقائهم و فرحا بهم عند إقبالهم فتعلم عند ذلك أن الصحبة لهذا الصنف معلومة ليست لله و إن وقعت المنفعة للمصحوب منه فيسعد المصحوب و يشقى هذا المحب شقاوتين الواحدة فقد المحبوب و الأخرى بالجهل و عدم العلم فيما كان يتخيل أنه علم و أنه صحب لله و في الله و أما إن كان ممن تتعلق تلك المحبة منه بجميع المخلوقات و من جملة المخلوقات أيضا هؤلاء الأصناف فقد يكون ذلك خديعة نفسية و ميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة واحد واحد فإنه لا يخلو عن مشاهدة مخلوق فمحبوبه معه ما فارقه فإن العين واحدة لو غاب عضو من أعضاء محبوبك مع بقاء عينه معك ما وجدت ألما و الخلق كلهم أعضاء بعضهم لبعض و أيضا إن تعلق بجميع المخلوقات على علم من صاحبه بعموم التعلق ابتداء في غير هؤلاء الأصناف ثم تظهر هؤلاء الأصناف و لا يجد مزيدا في ميزانه فيدخلهم في عموم ذلك التعلق فذلك مبناه على أصل صحيح و إن انجر معه الطبع في هذا الصنف و وجد معه الألم عند فقده على الخصوص فذلك لا يؤثر في خلوص تعلقه الإلهي في دعوته و نصيحته لصحة الأصل فإن حدث عنده عموم التعلق في ثاني الحال من تعلقه بصحبة هذا الصنف فلا يعول عليه فذلك تلبيس من النفس فليحذر منه و ليترك صحبتهم جملة واحدة و كلامنا إنما هو مع أهل الطريق و لا بد من تمحيص هذا التعميم الذي وجده في ثاني حال من صحبتهم كما يمحص نفسه صاحب السماع المقيد بالنغمات إذا أرسله مطلقا بعد تحصيله ابتداء من المقيد بالنغمات فهو أصل معلول فلا يعتمد من هذه حالته على سماعه المطلق المكتسب في ثاني حال فإن ذلك تلبيس النفس حتى لا تترك السماع المقيد و الإنسان إذا أنصف لربه من نفسه و لنفسه من نفسه عرف حاله بل كان أعرف بحاله من غيره إلا من العارفين بالله فإنهم أعرف به من نفسه لأن العارفين لهم أعين في قلوبهم فتحتها لهم المعرفة يرون بها منك ما تجهله أنت من نفسك لأنه ليست لك تلك العين و لهذا قال الجنيد العارف من ينطق عن سرك و أنت ساكت و السكوت عدم الكلام فمعناه يعرف منك ما لا تعرفه أنت من نفسك كالخفي من سوء المزاج يعرفه الطبيب منك إذا نظر إليك و لا تعرفه أنت و هؤلاء أطباء النفوس و اعلموا أن الشيوخ إنما حذروا من أخذ الإرفاق من النساء و من صحبة الأحداث لما ذكرناه من الميل الطبيعي فلا ينبغي للمريد أن يأخذ رفقا من النساء حتى يرجع هو في نفسه امرأة فإذا تأنث و التحق بالعالم الأسفل و رأى تعشق العالم الأعلى به و شهد نفسه في كل حال و وقت و وارد منكوحا دائما و لا يبصر لنفسه في كشفه الصوري و حاله ذكرا و لا أنه رجل أصلا بل أنوثة محضة و يحمل من ذلك النكاح و يلد و حينئذ يجوز له أخذ الرفق من

النساء و لا يضره الميل إليهن و حبهن و أما أخذ العا رفين فمطلق لأن مشهودهم اليد الإلهية المقدسة المطلقة في الأخذ و العطاء و كل شخص يعرف حاله و الطريق صدق كله وجد لا يقبل الهزل و لا الطفيلي عنده و إن سامح الحق

(الباب التاسع و مائة)

في معرفة الفرق بين الشهوة و الإرادة و بين شهوة الدنيا و شهوة الجنة و الفرق بين اللذة و الشهوة و معرفة مقام من يشتهي و يشتهي و من لا يشتهي و لا يشتهي و من يشتهي و لا يشتهي و من يشتهي و لا يشتهي

رب الإرادة سيد متحكم　　　تجري أمور الكائنات بوفقه
و الاشتهاء من الطبيعة أصله　　　فمن اشتهى فالطبع مالك رقة
لا يفرحن أبدا عبيد طبيعة　　　في ملكه في المنزلين بعتقه
و الالتذاذ تقسمت أحكامه　　　في كل موجود بطالع أفقه
فتراه و الأعيان تطلب حقها　　　يعطي لكل منه واجب حقه
يعطي الجزيل و ما له ملك سوى　　　ما أودع الملك الجواد بحقه
الوهب يأتيه بكل فضيلة　　　تبدو عليه بخلقه و بخلقه
فعطاؤه الممزوج يشهد أنه　　　فيما يجود عطاءه من صدقه
أما العبيد فرزقهم معبودهم　　　فالكل إن حققت عابد رزقه

اعلم أيدك الله أن المتمكن الكامل و العابد أيضا من أهل الله صاحب المقام يشتهي و يشتهي لكماله فيعطي كل ذي حق حقه فإنه يشاهد جمعيته ففيه من كل شيء حقيقة و صاحب الحال صاحب فناء لا يشتهي و لا يشتهي لأنه لا يشهد سوى الحق بعين الحق في حال فناء عن رؤية نفسه فلا يشتهي لأن الحق لا يوصف بالشهوة و لا يشتهي لأنه مجهول لا يعرف غير ربه لا تعرف الأكوان و لا نفسه لغيبته بربه عن الكل فهو غيب لا يشتهي لأن العلم بالمشتهى من لوازم هذا الحكم و الزاهد لا يشتهي و يشتهي فإن النعم له خلقت فهو يراها حجبا موضوعة فينفر منها فلا يشتهيها و هي تشتهيه لعلمها بأنها خلقت له فيتناولها الزاهد جودا منه عليها و إيثارا إذا كان صاحب مقام و المخلط الكاذب الذي يعصي الله بنعمه يشتهي و لا يشتهي فيشتهي لغلبة الطبع عليه و لا يشتهي لأن النعم إنما تشتهي من تراه يقوم بحقها و هو شكر المنعم على ما أنعم الله به عليه ثم اعلم أن الشهوة إرادة طبيعية مقيدة و الإرادة صفة إلهية روحانية

طبيعية متعلقها لا يزال معدوما و هي أعم تعلقا من الشهوة فإن كل حقيقة منهما تتعلق بالمناسب و المناسب ما يشركها في الأصل فلا تتعلق الشهوة إلا بنيل أمر طبيعي فإن وجد الإنسان ميلا إلى غير أمر طبيعي كميله إلى إدراك المعاني و الأرواح العلوية و الكمال و رؤية الحق و العلم به فلا يخلو عند هذا الميل أما أن يميل إلى ذلك كله بطريق الالتذاذ عن تخيل صوري فذلك تعلق الشهوة و ميلها لأجل الصورة فإن الخيال إذا جسد ما ليس بجسد فذلك من فعل الطبيعة و إن تعلق ذلك الميل بغير هذا التخيل الحاصل بل يبقى المعاني و الأرواح و الكمال على حاله من التجرد عن التقييد و ضبط الخيال له بالتخيل فذلك ميل الإرادة لا ميل الشهوة لأن الشهوة لا مدخل لها في المعاني المجردة فالإرادة تتعلق بكل مراد للنفس و العقل كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب و الشهوة لا تتعلق إلا بما للنفس في نيله لذة خاصة و محل الشهوة النفس الحيوانية و محل الإرادة النفس الناطقة و الشهوة تتقدم اللذة بالمشتهى في الوجود و لها لذة متخيلة تتعلق بتصور وجود المشتهي فتلك اللذة مقارنة لها في الوجود فتوجد في النفس قبل حصول المشتهي و اللذة مقارنة لوجود حصول المشتهي في ملك المشتهي فتزول شهوة التحصيل و تبقي اللذة فليس عين الشهوة عين اللذة لفنائه بحصول المشتهي و بقاء اللذة غير إن الطبع يحدث له أو يظهر له عن كمون غيب إلهي شهوة أخرى تتعلق ببقاء المشتهي دائما لا تنقطع فهذه شهوة لا لذة لها فإن البقاء دائما غير حاصل مطلقا فلا يتناهى الأمر و لا يوجد البقاء فإن جدد البقاء بزمان مخصوص و مقدار معين فذلك البقاء المشتهي يكون للشهوة لذة بحصوله موجودا فاللذة مقارنة لحصول المشتهي خاصة لا تتأخر عنه و لا تتقدمه بوجود عين و وجود خيال و أما شهوة الدنيا فلا تقع لها لذة إلا بالمحسوس الكائن و شهوة الجنة يقع لها اللذة بالمحسوس و بالمعقول على صورة ما يقع بالمحسوس من وجود الأثر البرزخى عند نيل المشتهي المعقول سواء و لا أعني بالجنة أن هذه الشهوة التي هذا حكمها لا توجد إلا في الجنة المعلومة في العموم إنما أعني حيث وجد هذا الحكم لهذه الشهوة الذي ذكرناه فهو شهوة الجنة سواء وجد في الدنيا أو وجد في الجنة و إنما أضفناها إلى الجنة لأنها تكون فيها لكل أحد من أهل الجنة و في الدنيا لا تقع إلا لآحاد من العارفين و الشهوة لها نسبة واحدة إلى عالم الملك و نسبتان إلى عالم الملكوت و لها مقامات و أسرار و هي الدرجات بقدر ما لحروف اسم الشهوة من العدد بالجمل الكبير بالتعريف و هو الشهوة و بالتنكير و هو شهوة و بالاتصال بكلام فتعود هاء السكت تاء فلها عدد التاء و عدد الهاء في حال التنكير و التعريف فاجمع الأعداد بعضها إلى بعض فما اجتمع لك من ذلك فهو قدر درجات ما يناله صاحب ذلك المقام و لا يعتبر فيه إلا اللفظ العربي القرشي فإنه لغة أهل الجنة سواء كان أصلا و هو البناء أو فرعا و هو الإعراب و غير العربي و المعرب لا يلتفت إليه و كذلك تعمل في كل اسم مقام و هو قولهم لكل إنسان من اسمه نصيب و معناه لكل موجود من اسمه نصيب و لهذا جاءت أسماء النعوت فلا تطلب إلا أصحابها و هي زور على من تطلق عليه

و ليست له و هذا من أصعب المسائل فإن الاسم إطلاق إلهي فلا بد من نصيب منه لذلك المسمى غير أنه يخفى في حال مسمى ما و يظهر في آخر و مدرك ذلك عزيز و على هذا الحد الإرادة فالمريد إلهي رباني رحماني و المشتهي رباني رحماني خاصة و المسلم المؤمن المحسن هو المريد و صاحب الشهوة مسلم نصف مؤمن نصف محسن لأنه مع الإحسان المقيد بالتشبيه

(الباب العاشر و مائة في مقام الخشوع)

لا يكون الخشوع إلا إذا ما يبصر القلب من تدلى إليه
و تجلى له بصورة مثل غير هذا فلا يكون لديه
فإن اعتز في مقام التجلي فله الحكم لا يكون عليه

الخشوع مقام الذلة و الصغار و هو من صفات المخلوقين ليس له في الألوهية مدخل و هو نعت محمود في الدنيا على قوم محمودين و هو نعت محمود في الآخرة في قوم مذمومين شرعا بلسان حق و هو حال ينتقل من المؤمنين في الآخرة إلى أهل العزة المتكبرين الجبارين الذين يريدون علوا في الأرض من المفسدين في الأرض فالمؤمنون في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ و هم الخاشعون من الرجال و الخاشعات من النساء الذين أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً و نعت أصحابه في الآخرة فقال خاشِعِينَ من الذُّلِّ يَنْظُرُونَ من طَرْفٍ خَفِيٍّ و قال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً تُسْقى من عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا من ضَرِيعٍ و لا يكون الخشوع حيث كان إلا عن تجل إلهي على القلوب في المؤمن عن تعظيم و إجلال و في الكافر عن قهر و خوف و بطش قال ع حين سئل عن كسوف الشمس إن الله إذا تجلى لشيء خشع له خرجه البزار و إذا وقع التجلي حصل الخشوع و أورث التجلي العلم و العلم يورث الخشية إِنَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ الْعُلَماءُ و الخشية تعطي الخشوع و الخشوع يعطي التصدع و هو انفعال الطبع للخشوع و التصدع تقصف و تكسر في الأعضاء و الغطيط الذي يسمع فيها كل ذلك من أثر الطبع القابل لأثر الوارد في التجلي الإلهي و هو الذي كنى عنه الشرع بالغت و الغط في نزول الوحي عليه كصلصلة الجرس و هو أشده عليه فإن نزوله شديد على هذا الهيكل البشري و لا سيما إن كان النزول بالقرآن كما قال وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ به الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ به الْأَرْضُ و قد يكون من الجبال القوة الماسكة الطبع الذي من شأنه الميل نظير الميد في الأرض و يكون من الأرض أرض الأجسام الطبيعية أَوْ كُلِّمَ به الْمَوْتى و من أصناف الموت الجهل يقول تعالى أَ وَمن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ لكان هذا القرآن يحيا بما فيه من العلم و يقطع به الأرض و تسير الجبال بما فيه من الزجر و الوعيد و قوله قُرْآناً بالتنكير دليل على أحد أمرين إما على آيات منه مخصوصة كما ضرط الجبار عند ما سمع صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ و إما أن يكون ثم أمر آخر ينطلق عليه اسم قرآن غير هذا

لغة و لو حرف امتناع لامتناع فهل هو داخل تحت الإمكان فيوجد أو ما هو ثم إلا بحكم الفرض و التقدير فأما عندنا فكل كلام إلهي من كلمة مركبة من حرفين إلى ما فوق ذلك من تركيبات الحروف و الكلمات المنسوبة إلى الله بحكم الكلام فإنه قرآن لغة و له أثر في النزول في المحل المنزل عليه إذا كان في استعداده التأثر بنزوله فإن لم يكن فلا يشترط و الاستعداد من المحل أن يكون حاله العبودة و العبودية و أثره في حال العبودية أتم منه في حال العبودة فإن سمع المحل أو نزل عليه في حال كون الحق سمعه حصل له النزول و لم يظهر له أثر عليه لأنه حق في تلك الحالة فينتفي عنه الخشوع و هذا أصل يطرد في كل وصف لا يكون له في الألوهة مدخل كالذلة و الافتقار و الخشوع و الخوف و الخشية فإنه يتأثر صاحب هذا الحال و كل كون يكون حالة نعت إلهي كالكرم و الجود و الرحمة و الكبرياء فإنه لا يؤثر في صاحبه أصلا فإنه نعت حق فله العزة و المنع هذا مطرد و قد نزل علينا من القرآن ذوقا عرفنا من ذلك صورة نزوله على نبيه ص فوجدنا له ما لم نجد لحفظ حروفه و لا لتدبر معانيه و نزل علينا في الحالين فأثر في الحال الواحد الكوني و لم يؤثر في الحال الإلهي إلا لذة خاصة فإنه لا بد منها و أما خشوعا فلا و لهذا ينسب إلى الجناب الإلهي الأقدس ما ينسب من الفرح و هو التذاذ ثم إن الله جعل مثل هذا أمثالا مضروبة للناس يُضِلُّ به كَثِيراً وَ يَهْدِي به كَثِيراً وَ ما يُضِلُّ به إِلَّا الْفاسِقِينَ الخارج عن الحالين و العاري عن التلبس بالحكمين و هي حالة الغافلين عما خلقوا له و عما فضلوا به لم يمت أبو يزيد حتى استظهر القرآن و هو تنزيله عليه ذوقا و من استظهر القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه كذا قال ص و هذا الفرق بين تنزله على النبي ص و بين تنزله علينا فإنه منزل في النبي ص على قلبه و في صدره فنبوته له مشهودة و ينزل علينا بين جنبينا من وراء حجابنا فهو لنا في الظهر لا في الظهور فنبوتنا مستورة عنا مع كوننا محلا لها فمن خشع تصدع و من علم يخشى

(الباب الحادي عشر و مائة في ترك الخشوع)

من تجلى لنفسه كيف يخشع و به تنظر العيون إليه

فقوانا قواه من غير شك هكذا نص لي الرسول عليه

إذا كان العبد في نعت إلهي و ورد التجلي عليه و تلقاه بذلك النعت أورثه لذة و فرحا و ابتهاجا و سرورا و لم يجد خشوعا و لا ذلة فينسب ذلك الفرح للظاهر في المظهر لا من حيث هو ظاهر فهو سرور بكمال و أثره في المظهر من حيث ما هو مظهر فهو محجوب عن ذاته بربه في حال صحوه و ظهوره و حضوره و إثباته و بقائه و ترك الخشوع لمن ليست هذه حالته مذموم مطرود

(الباب الثاني عشر و مائة في مخالفة النفس)

خالف هواك فإنه محمود و اعلم بأنك وحدك المقصود

الكل يسعد غير من هو مثله فلتلق سمعك لي و أنت شهيد

أنت العزيز فذق وبال صفاته يوم القيامة و الأنام شهود

اعلم أيدك الله أن مخالفة النفس هو الموت الأحمر و هو حال شاق عليها و هي المخالفة نفسها فالمخالف عين المخالف و هذا من أعجب الأمور أعني وجود المشقة نعم لو كان المخالف نفسا أخرى لم يكن التعجب من حصول المشقة في ذلك و نحن بحمد الله حيث قلنا بمخالفتها و لم نقل تخالف بالمقابل فقد يكون الخلاف بما ليس بمقابل فيجمع بين وجود الخلاف و بين المساعدة و سيأتي في الباب الذي بعد هذا الباب و فائدة المخالفة عظيمة و اعلم أنه لا يخالف النفس إلا في ثلاثة مواطن في المباح و المكروه و المحظور لا غير و أما إذا وقعت لها لذة في طاعة مخصوصة و عمل مقرب فهنالك علة خفية يخالفها بطاعة أخرى و عمل مقرب فإن استوى عندها جميع التصرفات في فنون الطاعات سلمنا لها تلك اللذة بتلك الطاعة الخاصة و إن وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول إلى الشاق واجب لأنها إن اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحظور و المكروه و المباح و إنما صعب على النفس المخالفة لكريم أصلها و علو منصبها فإن النيابة الإلهية في العالم لها فتقول في نفسها بيدي أزمة الأمر و ملاكه و لا سيما و قد خلقني الله تعالى على الصورة فمخالفتي مخالفة الحق من هذا المقام يكون لها المخالفة موتا أحمر و حجبت هذه النفس عن الاتساع الإلهي و عما خلقت له و عن العلم بأن الصورة ليست لكل نفس و إنما هي للنفس الكاملة كنفوس الأنبياء و من كمل من الناس فلو كملت هذه النفس ما كانت المخالفة لها موتا أحمر فإن لذة العرفان تعطيها الحياة التي لا موت فيها فالوجود و الفتح مقرونان بمخالفتها في كل شيء ينبغي أن تخالف فيه فافهم

(الباب الثالث عشر و مائة في معرفة مساعدة النفس في أغراضها)

ساعد النفس إنها نفس الحق و نعت له فأين تغيب

أنظر الحق في الوجود تراه عينه فالبغيض فيه الحبيب

ليس عيني سواه إن كنت تدري فهو عين البعيد و هو القريب

إن رآني به فمني أراه أو دعاني إليه فهو المجيب

مخالفتها عين مساعدتها فإنها بها تخالفها فانتقلت منها إليها فما زلت عنها ثم اعلم أن للنفس غرضين ذاتي و عرضي فالذاتي هو جلب المنافع و دفع المضار و العرضي هو ما عرض لها من جانب الشريعة و قد يكون من جانب الغرض و قد يكون من جانب ملاءمة الطبع و

قد يكون من جانب طلب الكمال فكلها في الطريق الذي نحن بسبيله غير معتبر إلا جانب الشريعة خاصة فإنها التي وضعت الأسباب الفاضلة التي بفعل ما أمرت بفعله و بترك ما نهت عن فعله وجبت السعادة و حصلت المحبة الإلهية و كان الحق سمع العبد و بصره ففصل الشارع لها جميع ما يرضيه منها و ما يسخطه من ذلك عليها إن فعلته و ما لا سخط فيه و لا رضي فما كان مما يرضي الله فهو إلقاء ملكي و في حق النبي إلقاء ملكي و إلهي و ليس للإلقاء الإلهي مدخل في الأولياء الأتباع جملة واحدة أعني في الأحكام بتحليل أو تحريم و ما كان مما يسخط الله فهو إلقاء شيطاني لا ناري فمن الجن من يلقي الخير في قلوب الصالحين لهم بهم تلبس عظيم و امتزاج و محبة فما كان مما يلقي الشيطان فهو ملذوذ للنفس و محبب لها و مزين في عينها في الوقت مر العاقبة في المال و إلقاء الملك قد يكون مرا في الوقت لكنه ملذوذ في المال و كلتا الحالتين لا تقتضيهما النفس من ذاتها فلا ينبغي للعاقل أن يساعد النفس فيما تتعلق به من الأمور التي تأمره بها مما يقع له فيها غرض إما عرضي أو ذاتي إلا المؤمن و العارف فالمؤمن يساعدها في الغرض الذاتي و هو كل ما تأمره به من المباح خاصة و من ملذوذات الطاعات و أما العارف الذي الحق سمعه و قواه فيساعدها في جميع أغراضها فإنه نور كله و النور ما لا ظلمة فيه و لذلك كان ص يقول في دعائه و اجعلني نورا لأن النفس ما ينسب إليها ذم إلا بعد تصريفها آلتها في المذموم و هو الظلمة فيقال قد اغتاب الغيبة المحرمة عليه و قد كذب الكذب المحرم عليه و قد نظر النظر المحرم عليه و ما لم يظهر الفعل على الآلات لم يتعلق بها ذم و العارف قد وقع الإخبار الإلهي عنه بأن الحق جميع قواه فذكر الآلات فلهذا أبحنا للعارف مساعدة النفس لما هو عليه من العصمة في ظاهره الذي هو الحفظ

(الباب الرابع عشر و مائة في معرفة الحسد و الغبط)

حسد القلب حصاد   و هوى النفس بعاد
عينه في الجنس تبدو   و هو الملك الجواد
فإنا أحسد مثلي   و بهذا القوم سادوا
ما لنا مثل سوانا   حسد الحق العباد
لو دري الناس الذي قلت   لما كان العناد

الحسد وصف جبلي في الإنس و الجان و كذلك الغضب و الغبط و الحرص و الشره و الجبن و البخل و ما كان في الجبلة فمن المحال عدمه إلا أن تنعدم العين الموصوف بها و لما علم الحق أن إزالتها من هذين الصنفين من الخلق لا يصح زوالها عين لها مصارف يصرفها فيها

فتكون محمودة إذا صرفت في الوجه الذي أمر الشارع أن تصرف فيه وجوبا أو ندبا و تكون مذمومة إذا صرفت في خلاف المشروع و إذا عرفت هذا فلا عناد و لا نزاع قال ص زادك الله حرصا و لا تعد و قال منهومان لا يشبعان طالب دنيا و طالب علم فطلب الدنيا قد يكون مذموما و قد يكون محمودا و طلب العلم محمود بكل وجه غير إن المعلومات متفاضلة فبعضها أفضل من بعض و تختلف باختلاف القصد فإن طلب العلم بالمثال من جهة من قامت بهم لا من حيث أعيانها و طلب بعضها بطريق التجسس مذموم فما ثم على التحقيق ما هو مخلص لأحد الجانبين أين قوله وَ من شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ من قوله لا حسد إلا في اثنتين و كذلك أين الغضب لله من غضب الإنسان لنفسه من غضبه حمية جاهلية فجميع ما جبلت النفس عليه لا يزول بالمجاهدة و لا بالرياضة و إنما تختلف مصارفها فيختلف اللسان عليها بالذم و الحمد فإن أخذ بها جهة اليمين فبخل بدينه و حرص على فعل الخير و غضب لله حمد و إن أخذ بها جهة الشمال فغضب حمية جاهلية و بخل بما فرض عليه الجود به كالزكاة و تعليم العلم ذم حقا و خلقا و علم هذا الباب فيه راحة عظيمة و منفعة للناس و هم عنها غافلون انتهى الجزء الثامن و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الخامس عشر و مائة في معرفة الغيبة و محمودها و مذمومها)

إذا نزل الحق من عزه إلى منزل الجوع و المرحمة
فخذه على حد ما قاله فإن به تحصل المكرمة
و لا تلقينه على جاهل فتحصل في موقف المندمه
فغيبك الحق في ذكره بما لم يقل و هي المشأمة
و إن كان حقا و لكنه إذا قاله قائل قال مه

اعلم فهمك الله ما أسمعك أن الغيبة ذكر الغائب بما لو سمعه ساءه و هي حرام على المؤمنين فالحق لا يغتاب لأنه السميع البصير في نفس الأمر و عند العلماء به و قد أبان لعباده ما يكرهه منهم و ما يحمده فَمِنْهُمْ من آمَنَ وَ مِنْهُمْ من كَفَرَ فلا يغتاب أيضا اسم فاعل و اسم مفعول فالغيبة حرام على المكلفين فيما بينهم و يجتنبها أهل المروءات من غير المؤمنين نزاهة و شرف نفس لأن اجتنابها يدل على كرم الأصول إلا في مواطن مخصوصة فإنها واجبة و قربة إلى الله و أهل الورع من المؤمنين يعرضون بها و لا يصرحون فمن ذلك في طريق الجرح الذي يعرفه المحدثون في رواة الأحكام المشروعة روينا عن بعض العلماء بالله أنه كان يقول في ذلك لصاحبه تعال نغتب في الله و منها

عند المشورة في النكاح فإنه مؤتمن و النصيحة واجبة و منها الغيبة المرسلة و هو أن يغتاب أهل زمانه من غير تعيين شخص بعينه و منها غيبة المشايخ المريدين في حال التربية إذا كان فيها صلاح المريد إذا وصل ذلك إليه و مع كون الغيبة محمودة في هذه المواطن فعدم التعيين فيها أولى من التعيين فإن النبي ص يقول لا غيبة في فاسق نهيا لا نفيا على هذا أخذ أهل الورع هذا الخبر و طريق التعريض هين المأخذ و ما عدا أمثال هذه المواطن فهي مذمومة يجب اجتنابها و من هذا الباب تجريح الشهود إذا عرف المشهود عليه أنهم شهدوا بالزور فوجب عليه نصرة الحق و أهله و خذلان الباطل و أهله و من هنا يتبين لك أن العدم هو الشر فإن شهداء الزور مالوا إلى جانب العدم و رجحوه على الوجود و وصفوا بالكون ما ليس بكائن و جعله الله على لسان رسوله من الكبائر لأنه ما مدلول قولهم إلا العدم و مع هذا كله إن استطاع من هو من أهل طريق الله التعريض لا التصريح حتى يفهم عنه ما يريد إذا علم إن في ذلك منفعة دينية فليفعل فهو أولى و يحصل الغرض و يكون اللسان قد وفى ما تعين عليه من غير فحش في المنطق و هذا كله ما دام يسمى مؤمنا و أما إن كان هذا الشخص في مقام من كان الحق سمعه و بصره و لسانه فحاله غير حال المؤمن مع أنه من أهل الايمان و اعلم أن الله تعالى ما خلق داء إلا و خلق له دواء و الأدوية على نوعين دواء العامة و هو الذي يقدر عليه كل أحد و الدواء الآخر دواء ملكي و هو الذي لا يقدر عليه إلا الملوك و الأغنياء لنفاسته و غلو ثمنه فلا يقدر عليه إلا المتمكن من المال و السلطان و هكذا قسم الأدوية أهل الطب و صادفوا الحق في ذلك فأما الدواء العام النافع الداخل تحت قدرة كل أحد من غني و فقير و سوقة و ملوك من داء جميع الذنوب و المعاصي فهو التوبة و إرضاء الخصوم من شروطها مما يقدر عليه من ذلك و عينه عليه الشارع إذا كان ذلك الداء مما ينبغي أن يرضى فيه الخصوم و إذا كان مما لا ينبغي فيتوب و لا يرضى خصمه فإنه إن أرضاه قد يقع في محظور أشد مما كان قد تاب عنه فلا يغفل عنه و أما الدواء الملكي فلا يستعمله إلا العارفون السادة من رجال الله و هم الذين يكون الحق سمعهم و بصرهم و لسانهم و هو قوله عقيب قوله وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ هذا خطاب عام ثم قال وَ اتَّقُوا اللهَ هذا هو الدواء و معناه اتخذوه وقاية بينكم و بين هذه الأمور المذمومة التي الغيبة منها فإذا اتخذتموه جنة تعاورت هذه الجنة سهام هذه الأفعال و هي قوية لا تنفذها هذه السهام فيكون المتقي بها في حمايتها و لا يكون الحق وقاية للعبد حتى يتلبس به العبد كما يتلبس المتوقى بالجنن من الدرع الحصينة و غيرها و صورة تلبسه أن يكون الحق سمعه و لسانه و جميع قواه و جوارحه في حال تصرفها فيما هي له فيكون نورا كله فنبه الله في كتابه على هذه الأدواء الملكية السلطانية مثل قوله تعالى فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا و الغيبة من الفجور وَتَقْوَاهَا أي الذي يتخذه وقاية من هذا الفجور و لم يجعل الفجور من أوصافها و إنما جعله مجعولا فيها من الملهم لها كما أيد هذا بقوله أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فما جعل التزيين له بل قال زَيَّنَّا لَهُمْ

أَعْمالَهُمْ و قال زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ و لما أضاف التزيين إليه سبحانه قال فَهُمْ يَعْمَهُونَ أي يحارون و الحيرة من صفات الأكابر و صفة الحيرة في مثل هذا أنه الأمر في إيجاده للملهم المزين و المجعول فيه الملهم و المزين له مأمور باجتنابه و هو الاتصاف بما ألهم له و ما زين من قبل أن يظهر بالفعل فهو مذموم غير مؤاخذ به حتى يتلبس به في الظاهر ثم قال في أمور من هذا الباب إنه رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ و هو البعيد من الرحمة فَاجْتَنِبُوهُ أي و كونوا مع الاسم القريب من الرحمة و من أسمائه سبحانه البعيد فمن اتخذ الحمق جنة و وقاية كما أمر لم تضره هذه الأشياء فإن الله تعالى ما نبهه على استعمال هذه الأدواء إلا لإقامة العذر منه إذا سئل عن مثل هذا و المؤمن غيب خلف جنته فهو في حمى فلا يخرج عن حماه و الفاسق الذي لا غيبة فيه ليس بغائب خلف جنته بل هو خارج عنها لأن الفسوق الخروج فقال لا غيبة في فاسق فمن أخرج غيبا يستحق أن يكون غيبا إلى شهادة فقد أخطأ و لهذا أضاف الغيبة إلينا فقال وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فجعلنا نشأة واحدة ذات أبعاض فإن الجزء و التفصيل إنما يرد على الكل فما خرجنا عنا و لا وقعنا إلا فينا فشدد الأمر علينا في ذلك فإن القاتل نفسه حرمت عليه الجنة و هي الساترة فإن الشيء لا يستتر عن نفسه و كل من ذكر غائبا فقد صيره شهادة و غربه عن موطنه و موت الغريب شهادة فالمغتاب فاعل خير في حق من اغتابه و إن كان يكره ذلك ففيه منفعة كشارب الدواء الكره وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و إذا كان فاعل خير من غير قصد فهو ممن أجرى الله الخير لزيد على يديه فيكون جزاؤه جزاء من وفق لعمل خير من غير قصد في حق من اغتابه لكن ذلك مقصود لمن ألهمه إياه و سماه فجورا في حقه فيصلح الله يوم القيامة بين عباده لما يراه المظلوم من الخير الواصل إليه على يدي أخيه فيشكره على ذلك فيسعدان جميعا و في الخبر الصحيح فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فالغيبة و إن كانت مذمومة فهي من ذلك الوجه محمودة في حق من اغتيب فمال ذلك إلى الخير إذ كانت الجنة و الوقاية الحائلة بينهما الحق و الحق و الغيبة وجود ما هي عدم فوقع التناسب بين الموجودين فاندرج الأضعف في الأقوى فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس عشر و مائة في معرفة القناعة و أسرارها)

إن القناعة باب أنت داخله ... إن كنت ذاك الذي يرجى لخدمته
فاقنع بما أعطت الأيام من نعم ... من الطبيعة لا تقنع بنعمته
لو كان عندك مال الخلق كلهم ... لم يأكل الشخص منه غير لقمته

ليست القناعة عندنا الاكتفاء بالموجود من غير طلب المزيد أرسل الله تعالى على أيوب و هو نبي مكرم قيل فيه نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ و أثنى عليه بالصبر مع دعائه ربه في كشف الضر عنه فازاله فلما أرسل عليه رجلا من جراد من ذهب فأخذ يجمعه في ثوبه فقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال يا رب لا غنى بي عن خيرك فإن كان فعل هذا لما هو عليه ظاهر الحال فهو ما أردنا و إن كان ليقتدي به في ذلك فما فعل إلا ما هو أولى بالقربة إلى الله من تركه و هو من الَّذِينَ هَدَى اللهُ و أمر الله نبيه ص بالاقتداء بهداهم و قال لنا لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ و القناعة عندنا على بابها في اللسان و هي المسألة و القانع السائل و السؤال من الله لا من غيره يقال قنع يقنع قنوعا إذا سأل و هو الذي رفع سؤاله إلى الله و هو قوله في الظالمين يوم القيامة مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ أي رافعين إلى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم و يجتمع الحدان في أمر و هو أن السائلين الله قنعوا به في سؤالهم و التجائهم إليه فلم يسألوا غيره تعالى فهذا معنى قول الأكابر الاكتفاء بالموجود و هو الله بالسؤال عن طلب المزيد و هو أن يتعدى بالسؤال إلى غيره و الخلق عيال الله أي الفقراء إلى الله فمن سأل غير الله فليس بقانع و يخاف عليه من الحرمان و الخسران فإن السائل موصوف بالركون لمن سأله و الله يقول وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِن دُونِ اللهِ مِن أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ و من ركن إلى جنسه فقد ركن إلى ظالم فإن الله يقول في الإنسان إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً لحمله الأمانة و ما من أحد من الناس إلا حملها فلا تركن إلى غير الله و اكتف بالله في سؤالك تسعد إن شاء الله و للقناعة درجات عند العارفين من أهل الأنس و الوصال و هي ستمائة و اثنتان و خمسون درجة و درجاتها عند العارفين من أهل الأدب و الوقوف مائتان و سبع و خمسون درجة و درجاتها عند الملامية من أهل الأنس و الوصال ستمائة و إحدى و عشرون درجة و درجاتها عند الملامتية من أهل الأدب و الوقوف مائتان و ست و عشرون درجة و للقناعة الدعوى و لها نسبتان نسبة إلى عالم الجبروت و نسبة إلى عالم الملكوت و ليس لها إلى عالم الملك نسبة ظاهرة بل لها نسبة باطنة إلى عالم الملك يظهر ذلك القنوع و هذا القدر كاف فيها و الله الموفق

(الباب السابع عشر و مائة في مقام الشرة و الحرص في الزيادة على الاكتفاء)

لا تقنعن بشيء دونه أبدا   و اشره فإنك مجبول على الشرة
و احرص على طلب العليا تحظ بها   فليس نائمها عنها كمنتبه
إن الحلال حلال ما وثقت به   و ليس مال حرام مثل مشتبه

اعلم أيدك الله أن هاتين الصفتين مجبول عليهما الإنسان بما هو إنسان و كل ما هو الإنسان مجبول عليه فمن المحال زواله فهو مقام لا حال فإنه ثابت و يتطرق إليه الذم من جهة متعلقة إذا كان مذموما شرعا و عقلا قال تعالى وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ و قال ص زادك الله حرصا و لا تعد فالآية موجهة لطرفي الحمد و الذم لو لا الضمير الذي في قوله وَلَتَجِدَنَّهُمْ فإنه يعود على قوم مذمومين و قرينة الحال تدل على أن مساقه الحرص فيها على الذم تكذيبا لهم فيما ادعوه من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس فمن نظر في الحرص هنا الدلالة على كذبهم كان محمودا فيهم لأنه دليل إلهي على كذبهم فهو من جانب الحق فيهم عليهم حجة لله و لله الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و المذموم هو المذموم من كل وجه من حيث ما هو فيهم لا من حيث دلالته عليهم و كان متعلقة ما يفنى و تكذيب الصادق كان مذموما و أما في الخبر الذي أوردناه فهو محمود لأنه حرص على أداء عبادة مفروضة ثم إنه مع هذا فإنهما صفتان من صفات العالم الوارث المكمل الذي هو سائس أمة فهو ينظر فيما فيه صلاحهم كما قال في نبيه ص يمدحه به حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ فمدحه بالحرص على ما تسعد به أمته و شرهه و حرصه على إسلام عمه أبي طالب إلى أن قال له قلها في أذني حتى أشهد لك بها لعلمه بأن شهادته مقبولة و كلامه مسموع فيعرف الكامل نائب الله في عباده نوائب الزمان المستأنفة فيستعد لها عن الأمر الذي كان له منه الاطلاع على منا زلتها فيتخيل من لا علم له أنه سعى في حق نفسه و ليس الأمر كذلك و هو كذلك فإنه يباهي الأمم بالأتباع من أمته فكان يطلب الكثرة من المؤمنين و لكن لا بد لهذا الشرة من وجود الشرطين الاطلاع و الأمر الإلهي و هو الشرط الأعظم و أما الاطلاع و إن اشترط فهو شرط ضعيف فإنه لا يشترط إلا لمن ادعى أنه يدخر في حق الغير ثم يتناول من ذلك المدخر في حق نفسه فيقال له هل أطلعك الله على من له هذا المدخر عندك و هل اطلعت على أنه لا يصل إليهم إلا على يدك فإن قال نعم سلم له الادخار و إن قال لا قيل له فحرصك ما قام على أصل مقطوع بصحته فدخله الخلل فإن قيل فقد قالت طائفة من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره قلنا هذا صحيح و هذا لا يناقض حال هذا الحريص على الكسب و الادخار و المزاحمة لأبناء الدنيا الذين لا توكل لهم على ذلك فإن التوكل أمر باطن و هو الاعتماد على الله و هذا المدخر إن كان اعتماده على ما ادخره فهذا يناقض التوكل و إن لم يعتمد عليه فليس يناقض لكن يناقض التجريد الظاهر و قطع الأسباب و ليس هذا من أحوال المكملين و إنما هو من أحوال السالكين ليكون لهم ما اتخذوه عقدا ذوقا فإن الذوق أتم في التمكن فإنه يزيل الاضطراب في حال عدم السبب الذي من عادة النفس أن تسكن إليه و سيرد تحقيق هذا في مقام التوكل بعد هذا إن شاء الله و لهذا الشرة و الحرص من الدرجات عند العارفين سواء كانوا من أهل الأدب و الوقوف أو من أهل الأنس و الوصال ثمانمائة و خمس و ستون درجة و عند الملامية سواء كان الملامي من أهل الأنس و الوصال أو من أهل الأدب و الوقوف ثمانمائة

درجة و ثلاث درجات فإن كان العارفون من أهل الأسرار فلهم من الدرجات ألف و خمسمائة و خمس و ثلاثون درجة و إن كانوا من أهل الأنوار فلهم ثمانمائة درجة و خمس و ستون درجة و إن كان الملامية من أهل الأسرار فلهم ألف و أربعمائة و ثلاث و سبعون درجة و إن كانوا من أهل الأنوار فلهم ثمانمائة و ثلاث درجات و هو نعت إلهي فإنه يقول عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ و كذلك الحرص نعت إلهي أيضا و هو الذي يقتضيه قول الله للملائكة في المتشاحنين أنظروا هذين حتى يصطلحا و تسخير الملائكة في حق المؤمنين بالاستغفار و الدعاء لهم فهذا من ثمرته و إن لم يرد الإطلاق اللفظي به فإن هذه الأمور على قسمين منهما ما ورد إطلاق اللفظ بأسمائها على الجناب الإلهي و منها ما وجد منه آثارها و لم يطلق عليه منها اسم و منها ما نسب الفعل الذي يكون منها إليه و لم يطلق عليه منه اسما و منه ما أطلق عليه منه اسما في جماعة بحكم التضمين فمثل ما نسب إليه الفعل و لم يطلق الاسم قوله اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و قوله سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ و مثل ما نسب إليه الفعل و أطلق عليه الاسم في جماعة بحكم التضمين قوله وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ و مثل ما أطلق عليه منه اسم قوله وَهُوَ خادِعُهُمْ و مثل ما وجد منه آثارها و لم يطلق عليه منها اسم و لا فعل قوله عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ

(الباب الثامن عشر و مائة في مقام التوكل)

من يتخذ رب العباد وكيلا — سلك الصراط و كان أَقْوَمَ قِيلاً

إن الذي فيه يوكل ربه — عبد الإله يقارن التنزيلا

يا طالبا ما ليس يعلم ما له — لا تتخذ غير الإله وكيلا

التوكل اعتماد القلب على الله تعالى مع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب الموضوعة في العالم التي من شأن النفوس أن تركن إليها فإن اضطرب فليس بمتوكل و هو من صفات المؤمنين فما ظنك بالعلماء من المؤمنين و إن كان التوكل لا يكون للعالم إلا من كونه مؤمنا كما قيده الله به و ما قيده سدى فلو كان من صفات العلماء و يقتضيه العلم النظري ما قيده بالإيمان فلا يقع في التوكل مشاركة من غير المؤمن بأي شريعة كان و سبب ذلك أن الله تعالى لا يجب عليه شيء عقلا إلا ما أوجبه على نفسه فيقبله بصفة الايمان لا بصفة العلم فإنه فَعّالٌ لِما يُرِيدُ فلما ضمن ما ضمن و أخبر بأنه يفعل أحد الممكنين اعتمدنا عليه في ذلك على التعيين و صدقناه لأنه بالدليل و العلم النظري فعلم صدقه فسكوننا و عدم اضطرابنا عند فقد الأسباب إنما هو من إيماننا بضمانه فلو بقينا مع العلم اضطربنا فالعالم إذا سكن فمن كونه مؤمنا و كونه مؤمنا من كونه عالما بصدق الضامن و تحقيق الوكالة من يستحقها هل الله أو هل العالم أو هل لله منها نصيب و للعالم نصيب فاعلم إن الوكالة لا تصح إلا في موكل فيه و ذلك الموكل فيه أمر يكون للموكل ليس لغيره فيقيم فيه وكيلا و يتصرف فيما للموكل أن يتصرف

فيه مطلقا فمن نظر أن الأشياء ما عدا الإنسان خلقت من أجل الإنسان كان كل شيء له فيه مصلحة يطلبها بذاته ملكا له و لما جهل مصالح نفسه و مصالحه ما فيها سعادته خاف من سوء التصرف في ذلك و قد ورد فيما أوحى الله لموسى يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فقال إذ و قد خلق الأشياء من أجلي فما خلق إلا ما يصلح لي و أنا جاهل بالمصلحة التي في استعمالها نجاتي و سعادتي فلنوكله في أموري فهو أعلم بما يصلح لي فكما أنه خلقها هو أولى بالتصرف فيها هذا يقتضيه نظري و عقلي من غير إن يقترن بذلك أمر إلهي فكيف و قد ورد به الأمر الإلهي فقال لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا نبه بهذا الأمر أنه لا ينبغي الوكالة إلا لمن هو إله لأنه عالم بالمصالح إذ هو خالقها كما قال أَلا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فاتخذه المؤمن العالم وكيلا و سلم إليه أموره و جعل زمامها بيده كما هو في نفس الأمر فما زاد شيئًا مما هو الأمر عليه في الوجود و مدحه الله بذلك و ما أثر في الملك شيئًا و هذا غاية الكرم الثناء بالأثر على غير المؤثر بل الكل منه و إليه فهذا حظ الناظر الأول و الناظر الثاني هو أن يقول ما خلق الله الأشياء من أجل الأشياء و إنما خلقها ليسبحه كل جنس من الممكنات بما يليق به من صلاة و تسبيح لتسري عظمته في جميع الأكوان و أجناس الممكنات و أنواعها و أشخاصها فقال كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ و قال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فالكل له تعالى ملك و إذا كان الأمر على هذا و لم يخلق على الصورة الإلهية سوانا و وصف نفسه بالغيب عن الأشياء و أسدل الحجب بينها و بين أن ندركه فهو يدركها و لا تدركه لأنها لا تعرفه فأقام الإنسان خليفة و هو الوكيل فقال وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فحد لنا في الوكالة أمورا لا نتعداها فما هي وكالة مطلقة مثل ما وكلناه نحن فحد حدودا لنا إن تعديناها تعدينا حدود الله وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ و على النظر الأول جاء القرآن كله فإنه ما قال إلا توكلوا و قال المتوكلون فرجح النظر الأول و هو أن نتخذ وكيلا في المصلحة لنا لا في الأشياء فيجمع بين النظرين و هي حالة ثالثة شهدناها و ما رأيناها لأحد من طريقتنا فقلنا إنه خلق الأشياء له لا لنا و أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و من خلقنا افتقارنا إلى ما يكون به صلاحنا حيث كنا من دنيا و آخرة و لا نعلم طريقنا إلى المصلحة لأنه ما خلق الأشياء من أجلنا فوكلناه ليسخر لنا من هذه الأشياء ما يرى فيه المصلحة لنا امتنانا منه و امتثالا لأمره فنكون في توكلنا عليه عبيدا مأمورين ممتثلين أمره نرجو بذلك خيره فوقع التوكل في المصالح لا في عين الأشياء و هذا برزخ دقيق لا يشعر به كل أحد للطافته و هو جمع بين الاثنين و تثبيت للحكمين و إن كان قد تكلم أهل هذا المقام فيه و ما من أحد منهم إلا نزع لأحد الطرفين من غير جمع بينهما فالرجال المنعوتون بهذا المقام منهم من يكون بين يدي الله فيه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء و لا يعترض عليه في شيء و منهم من حالته فيه حال العبد مع سيده في مال سيده و منهم من حاله فيه حال الولد مع والده في مال ولده و منهم من حاله فيه حال الوكيل مع موكله بجعل كان أو بغير جعل و الذي عليه المحققون

و به نقول إن التوكل لا يصح في الإنسان على الإطلاق على الكمال لأن الافتقار الطبيعي بحكم ذاته فيه و الإنسان مركب من أمر طبيعي و ملكوتي و لما علم الحق أنه على هذا الحد و قد أمر بالتوكل و ما أمر به إلا و هو ممكن الاتصاف به و قد وصف نفسه بالغيرة على الألوهية فأقام نفسه مقام كل شيء في خلقه إذ هو المفتقر إليه بكل وجه و في كل حال فقال يا أيها الناس و ما خص مؤمنا و لا غيره أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فما افتقرتم إليه من الأشياء هو لنا و بأيدينا و ما هو لنا فما يطلب إلا منا فإلينا الافتقار لا إليه إذ هو غير مستقل إلا بنا و ليكن للتوكل أحوال يصح الاتصاف بها بها يسمى توكلا و بلغني عن واحد من أهل طريق الله أنه قال بما أشرنا إليه في هذه المسألة متنا و ما شممنا لهذا التوكل رائحة لأنه يطلب سريانه في الكل للافتقار الطبيعي الذي فيه و التوكل مقام لا يتبعض إلا بالمجاز و نحن أهل حقائق فلو صح في وجه كما يزعم هذا المدعي لصح في جميع الوجوه و له الدعوى و صاحبه مسئول و له الكشف و درجاته عند العارفين أربعمائة و سبع و ثمانون و درجات الملامين فيه أربعمائة و ست و خمسون و له نسب إلى العالم كله من ملك و ملكوت و جبروت

(الباب التاسع عشر و مائة في ترك التوكل)

أنت الخليفة فيما أنت مالكه	والحق ليس به نفع و لا ضرر
ترك التوكل حال ليس يعلمه	غير الوكيل فلا روح و لا بشر
كيف التوكل و الأعيان ليس سوى	عين الموكل لا عين و لا أثر

التوكل مشروع فينال الحد المشروع منه و التوكل الحقيقي غير واقع من الكون في حال وجوده فما هو إلا للمعدوم في حال عدمه و ما ثم مقام يتصف به المعدوم و لا يصح في الموجود من جهة الحقيقة إلا التوكل فلا يزال المعدوم موصوفا بالتوكل حتى يوجد فإذا وجد خرج عنه التوكل فذلك المعبر عنه بترك التوكل ثم أقول لا يصح ترك التوكل المعروف عند العامة من أهل الله إلا لرجلين الواحد علم أنه لا يصح فترك الشروع فيه لأنه عنده لا يمكن تحصيله لما رأى نفسه إذا أخذه ألم الجوع و عنده ما يدفعه به تناوله ليزيل ألم الجوع فلا فرق بينه و بين من يسترقي و يتطبب و يلجأ إلى محل الأمن من الأمور المخوفة مع الصحو و توفر العقل و العلم التام فالتوكل من حيث ما هو مقام هو حاصل و من حيث حاله ليس بحاصل فالتوكل يصح لا يصح و أما الرجل الآخر قال إن الله أعلم بمصالح الخلق و قد أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ففيم التوكل مع هذا الفراغ فترك التوكل فإنه ما بقي له ما يعتمد على الله فيه لأنه قال فرغ ربك و مع هذا فهو واقف مع الأمر و النهي عامل بما أمر به أو نهى عنه من الأعمال قائم بالحكم المشروع عليه فمن أسرار التوكل ترك التوكل فإن ترك التوكل يبقي الأغيار و التوكل

ينفي الأغيار و عند أكثر القوم أن الأعلى ما ينفي لا ما يبقى و عندنا و عند شيخنا أبي السعود بن الشبلي و أبي عبد الله الهواري بتنس من بلاد المغرب و أبي عبد الله الغزال بالمرية ببلاد الأندلس و أبي عمران موسى بن عمران الميرتلي بإشبيلية و غيرهم إن الأعلى ما يفنى ما ينبغي و يبقى ما ينبغي في الحال التي تنبغي و الوقت الذي ينبغي و به كان يقول عبد القادر الجيلي ببغداد فإن الله تعالى أفنى و أبقى يقول تعالى ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ فلا تعتمد عليه وَ ما عِنْدَ اللهِ باقٍ فتعتمد على الله في بقائه فأفنى و أبقى و الإفناء حال أبي مدين في وقت إمامته و لا أدري هل انتقل عنه بعد ذلك أم لا لأنه انتقل عن الإمامة قبل أن يموت بساعة أو ساعتين الشك مني لبعد الوقت و صاحب ترك التوكل ما له دعوى و هو غير مسئول لأنه أمر عدمي فجرى مجرى الأصل في قوله تعالى هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ من الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً يريد عدمه في عينه لأنه كان مذكورا لله تعالى و الدهر اسم من أسماء الله و لهذا الاشتراك اللفظي نهي عن سب الدهر و قال إن الله هو الدهر و ما ثم عين تسب لعينها و إنما تسب لما يصدر منها و ما يصدر كون إلا من الله و الدهر الزماني نسبة و قوله لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً يعني الإنسان في ذلك الحين أي موجودا في عينه مع وجود الأعيان و لكن ما تعرفه حتى تذكره و لا هي ذات فكر حتى تجمعه في ذهنها تقديرا فتذكره فإن الفكر من القوي التي اختص بها الإنسان لا توجد في غيره ثم إن هذه الآية من أصعب ما نزل في القرآن في حق نقصان الإنسان و فيما يظهر من عدم الاعتناء الإلهي به و عندنا ما أخر الله نشأته و وجود عينه إلا اعتناء الله به لأنه لو أوجده الله أول الأشياء كان يمر عليه وقت لا يكون فيه خليفة فإنه ما ثم من قد هياه لمرتبة الخلافة و النيابة عنه فلا بد أن يتأخر وجود عينه عن وجود الأعيان حتى لا يزول عنه اسم الخلافة دنيا و لا آخرة فما وجد إلا ملكيا سيدا كما أنه مع غيره لله عبد مملوك ففضل العالم كله بالخلافة فلم تكن لغير الإنسان و هذه المرتبة أوجبت له أن يخلق على الصورة و من قال إن هذه الآية تدل على عدم الاعتناء الإلهي بالإنسان لأن الله متكلم أزلا عالم بما يكون أزلا و نفى أن يكون الإنسان شيئا مذكورا مع أنه شيء و لا بد لقوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فما يؤمر إلا من يسمع بسمع ثبوتي أو وجودي و نفى أن يكون الإنسان مذكورا في حين من الدهر و الدهر هنا الزمان و الحين جزء منه لم يكن فيه الإنسان مذكورا مع وجوده صورة إنسان و جهل من شاهد صورته مراد الله فيه و ما علم له اسم رتبة يذكر به و لا ما له عند الله من العناية به التي ظهر أثرها عليه حين أقامه خليفة في أرضه و ما غربه عن موطنه و هو التراب الذي خلق منه و موطن ذلته لشهود عبوديته فإن الأرض ذلول فما حجبته الخلافة عن عبودته و إن كانت أعلى المراتب فهو فيها بالذات و الملائكة المقربون فيها بالعرض يقول تعالى لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ لكونه يحيي الموتى و يخلق و يبرئ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ ثم عطف فقال وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ و هم العالون عن العالم العنصري المولد فهم أعلى نشأة و الإنسان أجمع نشأة فإن فيه الملك و غيره فله فضيلة الجمع و

لهذه جعله معلم الملائكة و أسجدهم له فمساق الآية يوزن بتقرير النعم عليه و إنما وقعت الصعوبة في هذا الذكر كونه نكرة و النكرة تعم في مساق النفي فالتنكير يوزن بتعميم نفي الذكر عنه من كل ذاكر و هو دليل على إن الله ما ذكره لمن أوجد قبله من الأعيان و إن كان مذكورا له في نفسه ثم ذكره لملائكته بمرتبته التي خلق لها لا باسمه العلم الذي هو آدم فاعلم

(الباب العشرون و مائة في معرفة مقام الشكر و أسراره)

الشكر شكران شكر الفوز و الرفد ... هذا من الروح و الثاني من الجسد

فالشكر للرفد يعطيني زيادته ... و الشكر للفوز مثل السلب للأحد

و الشكر للفوز محصور بغايته ... و الشكر للرفد لا يجري إلى أمد

اعلم أن درجات الشكر في الأسرار الإلهية ألف درجة و مائتان و إحدى و خمسون درجة عند العارفين من أهل الله و عند الملامية منهم ألف و مائتان و عشرون و درجاته في الأنوار عند العارفين خمسمائة و إحدى و خمسون درجة و عند الملامية من أهل الأنوار خمسمائة و عشرون درجة اعلم أيدك الله أن الشكر هو الثناء على الله بما يكون منه خاصة لصفة هو عليها من حيث ما هو مشكور و من أسمائه الشكور و شاكر و قد قال لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ فهي صفة تقتضي الزيادة من المشكور للشاكر و هي واجبة بالاتفاق عقلا عند طائفة و شرعا عند طائفة فإن شكر المنعم يجب عقلا و شرعا و ما تسمى الله تعالى بشاكر لنا إلا لنزيده من العمل الذي أعطاه أن يشكرنا عليه لنزيده منه كما يزيدنا نعمة إذا شكرناه على نعمه و آلائه و لا يصح الشكر إلا على النعم فتفطن لنسبة الشكر إليه تعالى ببنية المبالغة في حق من أعطاه من العمل ما تعين على جميع أعضائه و قواه الظاهرة و الباطنة في كل حال بما يليق به و في كل زمان بما يليق به فيشكره الحق على كل ذلك بالاسم الشكور و هذا من خصوص أهل الله و أما العامة فدون هذه الرتبة في أعمال الحال و الزمان و جميع الكل فإذا أتوا بالعمل على هذا الحد من النقص تلقاهم الاسم الشاكر لا الشكور فهم على كل حال مشكورون و لكن قال الله تعالى وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فهم خاصة الله الذين يرون جميع ما يكون من الله في حقهم و في حق عباده نعمة إلهية سواء سرهم ذلك أم ساءهم فهم يشكرون على كل حال و هذا الصنف قليل بالوجود و بتعريف الله إيانا بقلتهم و أما الشاكرون من العباد فهم الذين يشكرون الله على المسمى نعمة في العرف خاصة و الشكر نعت إلهي و هو لفظي و علمي و عملي فاللفظي الثناء على الله بما يكون منه على حد ما تقدم و العملي قوله تعالى وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فهذا هو الشكر العملي و قوله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فهو موجه له وجه إلى اللفظ و هو الذكر بما أنعم الله به عليه فإذا ذكر ما أنعم الله به

عليه من النعم المعلومة في العرف من المال و العلم فقد عرض نفسه لنقصد في ذلك فيجود به على القاصد فيدخلك في الشكر العملي لأن من النعم ما يكون مستورا لا يعرف صاحبها أنه صاحب نعمة فلا يقصد فإذا حدث بما أعطاه الله و أنعم عليه به قصد في ذلك فلهذا أمر بالحديث بالنعم و التحدث بالنعم شكر و الإعطاء منها شكر على شكر فجمع بين الذكر و العمل فيقول الحمد لله المنعم المفضل و أما الشكر العلمي و هو حق الشكر فهو أن يرى النعمة من الله فإذا رأيتها من الله فقد شكرته حق الشكر خرج ابن ماجة في سننه عن رسول الله ص أن الله أوحى إلى موسى يا موسى اشكرني حق الشكر قال موسى يا رب و من يقدر على ذلك قال يا موسى إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر هذا حال من رأى النعمة و من نعمته على عبده أن يوفقه لبذل ما عنده من نعم الله على المحتاجين من عباده فيعطيهم بيد حق لا بيده فهم ناظرون في هذه النعمة و هي رؤيتهم ذلك التصريف من عند الله في مرضاة الله فيدخلون في حزب من شكره حق الشكر و هذا هو أعلى الشكر في الشاكرين و هو هين على العارفين المتجردين عن أوصافهم برد الأمور إلى الله و ليس لهذا المقام نسبة إلا لعالم البرازخ و هو الجبروت ليعم الطرفين فإن البرازخ أتم المقامات علما بالأمور و هو مقام الأسماء الإلهية فإنها برزخ بيننا و بين المسمى فلها نظر إليه من كونها اسما له و لها نظر إلينا من حيث ما تعطي فينا من الآثار المنسوبة للمسمى فتعرف المسمى و تعرفنا و اختلف أصحابنا في الزيادة التي يعطيها الشكر هل هي من جنس ما وقع الشكر عليه أو لا يكون إلا من نعم أخر أو منهما فالمحققون يجعلونها من الجنس المشكور من أجله و ما لم يكن من جنسه فما هو من الزيادة التي أوجبها الشكر بل تكون تلك النعم من باب المنة ابتداء لا من باب الجزاء و منهم من قال أي نعمة وقعت بعد الشكر فهي جزاء و هي الزيادة و ما لم يقع عقيب شكر من النعم فهو من عين المنة و إنما قالوا ذلك لعدم معرفتهم بالمناسبة بين الأشياء التي اختارها الحكيم سبحانه و قصد القوم القائلون بهذا تنزيه الحق عن التقييد بل يعطي مما شاء من غير تقييد فالمحققون أكبر علما منهم و هؤلاء في الظاهر أنزه و في المعنى الكل سواء في تنزيه الحق و الله الموفق انتهى الجزء التاسع و التسعون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الأحد و العشرون و مائة في مقام ترك الشكر)

إذا كان حال الشكر يعطي زيادة — و كان الإله الحق سمعك و البصر

فلا يقبل الحق الزيادة فانتقد — كلامي تجده عبرة لمن اعتبر

فقد زال حكم الشكر من كل عالم — بما قلته فالترك للشكر قد شكر

اعلم أنه ما من عمل إلا و هو أمر وجودي و ما من أمر وجودي إلا و هو دلالة على وجود الله و توحيده سواء كان ذلك الأمر مذموما عرفا و شرعا أو محمودا عرفا و شرعا و إذا كان دلالة فهو نور و النور محمود لذاته فما ثم ما يجري عليه لسان ذم على الإطلاق كما أنه ما ثم معصية من مؤمن خالصة غير مشوبة بطاعة و هي الايمان بكونها معصية فتحقق هذا ثم حقيقة أخرى إنه ما ثم تكليف من عمل أو ترك إلا و الأولوية تصحبه لا بد من ذلك فيقال تركه أولى من العمل أو العمل به أولى من تركه و ما دخلته الأولوية فما هو خالص لأمر معين هذا معلوم دلالة عقل و كشف و الله قد جعل الشكر عبادة و العبادات لا تترك و جعل الصدق عبادة و ما أطلق عليه الحمد في كل موطن فإن الغيبة صدق و هو صدق مذموم و النميمة بالسوء صدق و هو مذموم و مواطن كثيرة للصدق يكون الصدق مذموما فيها مع الإطلاق إذ الصدق صفة محمودة فإذا أخذه التفصيل ميزته المواطن عرفا و شرعا كما إن الكذب بمطلقه صفة مذمومة فإذا أخذه التقييد و التفصيل ميزته المواطن عرفا و شرعا فإذا شكر الإنسان ربه و رأى الشكر و النعمة منه فقد أتى صفة محمودة و هو عبادة فمن أداها من حيث ما هي عبادة خاصة و لم يخطر له الشكر من أجل المزيد من جهة هذه العبادة كما أنه أيضا طلب المزيد من العلم عبادة مأمور بها فهنالك يكون طلب الزيادة عبادة و أما في غير ذلك الموطن فما هو عبادة مشروعة فإذا أدى الإنسان شكر رب النعمة بفصولها من غير طلب الزيادة فكأنه ترك ما يعطيه الشكر و ما يقتضيه طبع النفوس بذاتها من طلب زيادات النعم و لا يمنع هنا كون الحق سمعه و بصره أن يكون تاركا لطلب الزيادة إذا كان الحق لا ينقصه شيء فإن الله قد اتصف بكونه شاكرا و شكورا و طلب الزيادة من أعمالنا من كونه شكورا فتعين علينا بل وجب أن نعطي الشكر الإلهي حقه و هو الزيادة منا فيما شكر منا و الزيادة عبادات سواء كان ذلك تركا أو عملا فترك الشكر برؤية العمل من الإنسان ترك صحيح لحق الشكر الذي يجب له و هذا مقام العموم فيصح ترك الشكر من العامة من أهل الله و أما من قال شكر النعمة إنه حجاب على المنعم فما عنده معرفة بالحقائق فإن ذلك لا يصح في كل من شكر نعمة فبالضرورة شكر المنعم بها غير إن بعض الناس لا يرى المنعم إلا السبب و بعض الناس يرى المنعم الله سبحانه و الكمل من الناس يرون الله و السبب فيشكر الله حقيقة و يشكر السبب عن أمر الله عباده من حيث أمرهم بشكره فقال أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ و قال لا يشكر الله من لم يشكر الناس فهذا مقام ترك الشكر أي ترك توحيد شكر المنعم الأصلي لأنه شرك في شكره بين المنعم بالأصالة و بين السبب عن أمر الله فإنه مقام صعب غامض أعني ترك الشكر لكون الله اتصف بالشكر و طلب الزيادة مما شكرنا من أجله فالتخلص من ذلك عسير و أما إذا كان مجلاه و وقته أن يكون الحق هو الشاكر و المشكور و سلب الأفعال عن المخلوقين فقد ترك الشكر في حال كونه شاكرا فيرى الحق إما شاكرا مطلقا و العبد لا شكر له البتة و إما أن يرى الحق تعالى شاكرا به أي بعبده بما هو العبد عليه من الشكر

فهذا تا رك للشكر من وجه موصوف بالشكر من وجه و هذا سا ر في جميع ما يصد ر من العبد من الأفعال مشهد عزيز من عين المنة هذه المسألة كانت عندي من أصعب المسائل و ما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه على القطع الذي لا أشك علما سوى ليلة تقييدي لهذا الباب في هذه المجلدة و هي ليلة السبت السادس من رجب الفرد سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة فإنه لم يكن تتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين و يعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم و بين الخلق الذي يقول به قوم فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقه المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق إذ لم يكن إلا الله و قال لي هل هنا أمر يورث التلبيس و الحيرة قلت لا قال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر و لا شيء من الخلق فإنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب فتتكون عن أمري خلقت النفخ في عيسى و خلقت التكوين في الطائر قلت له فنفسك إذا خاطبت في قولك افعل و لا تفعل قال لي إذا طالعتك بأمر فالزم الأدب فإن الحضرة لا تحتمل المحاققة قلت به و هذا عين ما كنا فيه و من يحاقق و من يتأدب و أنت خالق الأدب و المحاققة فإن خلقت المحاققة فلا بد من حكمها و إن خلقت الأدب فلا بد من حكمه قال هو ذلك فاستمع إذا قرئ القرآن و أنصت قلت ذلك لك أخلق السمع حتى أسمع و أخلق الإنصات حتى أنصت و ما يخاطبك الآن سوى ما خلقت فقال لي ما أخلق إلا ما علمت و ما علمت إلا ما هو المعلوم عليه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و قد أعلمتك هذا فيما سلف فالزمه مشاهدة فليس سواه ترح خاطرك و لا تأمن حتى ينقطع التكليف و لا ينقطع حتى تجوز على الصراط فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية ليست عن أمر و لا نهي يقتضيه وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني و العشرون و مائة في معرفة مقام اليقين و أسرا ره)

إن اليقين مقر العلم في الخلد ... في كل حال بوعد الواحد الصمد
إن اليقين الذي التحقيق حصله ... اعكف عليه و لا تنظر إلى أحد
فإن تزلزل عن حكم الثبات فما ... هو اليقين الذي يقوى به خلدي

و اليقين هو قوله لنبيه ص وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ و حكمه سكون النفس بالمتيقن أو حركتها إلى المتيقن و هو ما يكون الإنسان فيه على بصيرة أي شيء كان فإذا كان حكم المبتغي في النفس حكم الحاصل فذلك اليقين سواء حصل المتيقن أو لم يحصل في الوقت كقوله أَتى أَمْرُ اللهِ و إن كان لم يأت بعد و لكن تقطع النفس المؤمنة بإتيانه فلا فرق عندها بين حصوله و بين عدم حصوله و هو قول من قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا مع أن المتيقن ما حصل في الوجود العيني فقال الله لنبيه و لكل عبد يكون بمثابته اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ

الْيَقِينُ فإذا أتاك اليقين علمت من العابد و المعبود و من العامل و المعمول به و علمت ما أثر الظاهر في المظاهر و ما أعطت المظاهر في الظاهر و اعلم أن لليقين علما و عينا و حقا و لكل حق حقيقة و سيرد ذلك في باب له مفرد بعد هذا من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى و إنما جعل له علما و عينا و حقا لأنه قد يكون يقينا ما ليس بعلم و لا عين و لا حق و يقطع به من حصل عنده و هو صاحب يقين لا صاحب علم يقين و اختلف أصحابنا في اليقين هل يصح أن يكون يقين أتم من يقين أم لا فإنه روى عن النبي ص أنه قال في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء أشار به إلى ليلة الإسراء و أن باليقين صح له المشي في الهواء و هذا التفسير ليس بشيء فإنه أسرى به ربه ليريه من آياته و بعث إليه بالبراق فكان محمولا في إسرائه و مثل هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ص إنه أشار بذلك إلى نفسه و معلوم أنه ليس أحد من البشر يماثله في اليقين لكنه ما مشى في الهواء بيقينه و إنما جاءه جبريل ع بدابة دون البغل و فوق الحمار تسمى البراق فكان و البراق هو الذي مشى في الهواء ثم إنه ص لما انتهى البراق به إلى الحد الذي أذن له نزل عنه و قعد في الرفرف و علا به إلى حيث أراد الله و غفل الناس عن هذا كله فما أسرى به ص لقوة يقينه بل يقينه في قلبه على ما هو به من التعلق بالمتيقن العام كان ما كان لكنه مما فيه سعادته لأنه وصف به في معرض المدح و لنا في اليقين جزء شريف وضعناه في مسجد اليقين مسجد إبراهيم الخليل في زيارتنا لوطاع فقد يتيقن الجاهل أنه جاهل و الظان أنه ظان و الشاك أنه شاك فيما هو فيه شاك و كل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه علما كان أو غير علم فإن قلت فأين شرفه قلنا شرفه بشرف المتيقن كالعلم سواء و لهذا جاء بالألف و اللام في قوله حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ يريد متيقنا خاصا ما هو يقين يقع المدح به بل هو يقين معين و قوله تعالى وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً يريد ما هو مقتول في نفس الأمر لا عندهم بل شُبِّهَ لَهُمْ فهذا يقين مستقل ليس له محل يقوم به فإنهم متيقنون أنهم قتلوه و الله ليس بمحل لليقين فلم يبق محل لليقين سوى القتل و هذا من باب قيام المعنى بالمعنى فإن اليقين معنى و القتل معنى فالقتل قد تيقن في نفسه أنه ما قام بعيسى ع فالقتل موصوف في هذه الآية باليقين و أصدق المعاني ما قام بالمعاني و هذه المسألة عندنا من محارات العقول مما لا يقضي فيها بشيء و عند بعضنا يلحقه بالمحال و عند بعضهم ممكنة واقعة و بالجملة فاليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة فإن العادة تسرق الطبع و لا سيما في الأمور التي بها قوام البدن الطبيعي فإذا فقد ما به يصل إلى ما به قوامه فإنه يتألم و الألم لا يقدح في اليقين فإنه ما يضاده و لكن قل إن يتألم ذو ألم إلا و لا بد أن يضطرب و يتحرك في نفسه و لا سيما ألم الجوع و العطش و البرد و الحر و الاضطراب يضاد اليقين فإن اليقين سكون النفس إلى من بيده هذه الأمور المزيلة لهذه الآلام فيريد من قامت به الآلام سرعة زوالها طبعا و إذا كان هذا فنسلك في اليقين طريقة غير ما يتخيلها أهل الطريق و هو أن الاضطراب لا يقدح في اليقين إذا كان هبوب اليقين في إزالة تلك الآلام إلى جناب الحق لا إلى الأسباب المزيلة في العادة فإن

شاء الحق أزالها بتلك الأسباب أزالها بأن يوجد عنده تلك الأسباب و إن شاء أزالها بغير ذلك فصار متعلق اليقين الجناب الإلهي لا غير و هذا قد يكون كثيرا في رجال الله و درجات اليقين عند العارفين مائتان درجة و درجة واحدة و عند الملامية مائة و سبعون درجة و هو ملكوتي جبروتي له إلى الملكوت نسبة واحدة و عند العارفين نسبتان لأنه عند العارفين مركب من ست حقائق و نشأته عند الملامية من أربع حقائق و له السكون الميت و الحي فبالسكون الحي يضطرب صاحبه و بالسكون الميت يتعلق بالله فما يضطرب فيه من غير تعيين مزيل بل بما أراد الله أن يزيله

(الباب الثالث و العشرون و مائة في معرفة مقام ترك اليقين و أسراره)

إذا وقف العبيد مع المريد   يزيل يقينه حكم الإرادة
و يعطي الحق رتبته لئلا   يقيده فيقدح في العبادة
فيفعل ما يشاء كما يشاء   بلا جبر و لا حكم لعادة
و قد دل الدليل بغير شك   و لا ريب على نفي الإعادة
لأن الجوهر المعلوم باق   على ما كان في حكم الشهادة
فيخلع منه وقتا أو عليه   بمثل أو بضد للإفادة

اعلم وفقك الله أني أردت بنفي الإعادة الذي نقول إنه لا يتكرر شيء في الوجود للاتساع الإلهي و إنما هي أعيان أمثال لا يدركها الحس إذ لا يدرك التفرقة بينها أريد بين ما انعدم منها و ما تجدد و هو قول المتكلمين إن العرض لا يبقى زمانين لما كان اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي مثل الصبر ترك أهل الله الاتصاف به و تعمله و طلبه من الله فإذا أتى من عند الله من غير تعمل من العبد قبله العبد أدبا مع الله و لم يرده على الله إذا أراد الله أن يصير هذا العبد محلا لوجود هذا اليقين و يكون حكمه في هذا المحل التعلق بالله في دفع الضرر عن هذا العبد فيكون ذلك سؤال اليقين و تعلقه بجناب الحق لا بتعلق العبد و لا بسؤاله و ذلك لما كان العبد سببا في ظهور عين اليقين لعدم قيام اليقين بنفسه كان للمحل عند هذا اليقين يد أراد مكافاتها فيسأل اليقين موجدة تعالى رفع الضرر عن هذا المحل إذ اليقين لا يوجد إلا لرفع الضرر و أما في حال المنفعة فلا حكم له إلا في استدامتها لا فيها فإنها حاصلة فإن توهم العبد إزالتها فإن اليقين يطلب من الله استمرار وجودها في محله فبهذا القدر يكون ترك اليقين أي العبد لا يعترض على اليقين في سؤاله ربه ما شاء فهو تاركه يفعل ما يريد فلا يتصف العبد هنا بشيء و مع هذا التحقيق فالمسألة غامضة بعيدة التصور فالعبد في أصله مضطرب متزلزل الملك فلا يقين له

من حيث حقيقته فإنه محل لتجدد الأعراض عليه و اليقين سكون و هو عرض فلا ثبوت له زمانين و الله تعالى كل يوم في شأن و أصغر الأيام الزمن الفرد فقد أبنت لك أن أهل الله في نفوسهم بمعزل عما يطلبه اليقين و أن اليقين هو السائل و لهذا قال له حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فيكون اليقين هو الذي يسأل و يتعب و أنت مستريح فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فإن الوقوف مع إرادة الله لا يتمكن معها سكون أصلا لأنه خروج عن حقيقة النفس و الشيء لا يخرج عن حقيقته إذ خروج الشيء عن حقيقته محال فلا طمأنينة مع المريد إلا عن بشرى فإنه يسكن عند ذلك لصدق القول و تكون البشرى معينة موقتة و حينئذ يكون له السكون إليها و هو اليقين و قد ورد أن الملائكة يخافون من مكر الله و لا يقين مع الخوف فإن سكن العبد إلى قوله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ لا يزول عنه فذلك السكون قد يسمى يقينا و لكن يورث في المحل خلاف ما يطلب من حكم اليقين الذي اصطلح عليه أهل الله و أما نحن فاليقين عندنا موجود في كل أحد من خلق الله و إنما يقع الخلاف بما ذا يتعلق اليقين فاليقين صفة شمول و ليست من خصوص طريق الله التي فيها السعادة إلا بحكم متيقن ما فهذا تحقيقه و الله الموفق لا رب غيره

(الباب الرابع و العشرون و مائة في معرفة مقام الصبر و تفاصيله و أسرار ه)

تنوع شرب الصبر في كل مشرب — بعن و على أو في و بالباء و اللام
و ليس يكون الصبر إلا على أذى — وجودا و تقديرا بأنواع آلام
و عين للحق الصبور أذى أتى — بمحكم آيات الكتاب لإعلام
فلا صبر في النعماء إن كنت عالما — بقول إمام صادق الحكم علام

اعلم وفقك الله أن الله تعالى يقول إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ فأخبر أنه يؤذي فتسمى سبحانه بالصبور على أذى خلقه و كما سأل عباده رفع الأذى مع استحقاقه اسم الصبور كذلك لا يرفع اسم الصبر عن العبد إذا حل به بلاء فسأل الله تعالى في رفع ذلك البلاء كما فعل أيوب ع فقال مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و أثنى الله عليه فقال مع هذا السؤال إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً فليس الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الله في رفع البلاء أو دفعه و إنما الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله و الركون إلى ذلك الغير و قد أبنت لك أن الله طلب من عباده رفع الأذى الذي آذوه به مع قدرته على إن لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى فتفطن لسر هذا الصبر فإنه من أحسن الأسرار و قد ورد أنه لا أحد أصبر على أذى من الله و هو من المقامات التي تنقطع و تزول إذا دخل أهل النار النار و أهل الجنة الجنة و تميز الفريقان تميز الانقطاع أن لا يلحق أحد بغير الدار التي هو فيها و الصبر الإلهي يزول حكمه بزوال الدنيا و هذه بشرى بإزالة اسم

المنتقم و الشديد العقاب إذ قد رأينا إزالة الصبور و رحمته سبقت غضبه فحكمة زوال الدنيا رفع الأذى عن الله إذ لا يكون إلا فيها فأبشروا عباد الله بشمول الرحمة و اتساعها و انسحابها على كل مخلوق سوى الله و لو بعد حين فإنه بإزالة الدنيا زال الأذى عن كل من أوذي و بزوال الأذى زال الصبر و من أسباب العقاب الأذى و الأذى قد زال فلا بد من الرحمة و ارتفاع الغضب فلا بد من الرحمة أن تعم الجميع بفضل الله إن شاء الله هذا ظننا في الله فإن الله و هو الصادق يقول أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأخبر و أمر و لم يقيد في حق الظان و لا في غيره و لهذا سمي عذابا ما يقع به الآلام بشرى من الله لعباده أن الذي تتألمون به لا بد إذا شملتكم الرحمة أن تستعذبوه و أنتم في النار كما يستعذب المقرور حرارة النار و المحرور برودة الزمهرير و لهذا جمعت جهنم النار و الزمهرير لاختلاف المزاج فما يقع به الألم لمزاج مخصوص يقع به النعيم في مزاج آخر يضاده فلا تتعطل الحكمة و يبقي الله على أهل جهنم الزمهرير على المحرورين و النار على المقرورين فينعمون في جهنم فهم على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا بها لاعتدالها ثم اعلم أن الصبر يتنوع بتنوع الأدوات فالصبر في الله إذا أوذي فيه و الصبر مع الله رؤية المعذب في العذاب و الصبر على الله حال فقده لربه بوجود نفسه غير مقترنة بوجود ربه و الصبر بالله أن يكون الحق عين صبره كما هو سمعه و بصره و الصبر من الله حال رفع الحول و القوة منك فلا تقول لا حول و لا قوة إلا بالله فيزول بالاستعانة و الصبر عن الله و هو أعظمها مقاما و هو الصبر الذي يزول بالموت و لا يوجد في الآخرة فإن صاحب هذا الصبر ينسب الصبر إليه نسبة الاسم الصبور إلى الله و لهذا يرتفع بزوال الدنيا و في العبد بزواله عن الدنيا و من زلت عنه فقد زال عنك فهؤلاء أخذوا الصبر عن الله كما تقول أخذت هذا العلم عن فلان فأنت فيه كهو كذلك قول سليمان ع أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي لأنه سماه خيرا و الخير منسوب إلى الله فقال عن ذكر ربي إياه بالخيرية أحببته فطفق يمسح بيده على أعرافها و سوقها فرحا و إعجابا بخير ربه فإنه أحب حب الخير و حب الخير إما أن يريد حب الله إياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب و الخير لا يحب إلا الأخيار فإنهم محل وجود عينه فكذلك سليمان ع قال أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ أي أنا في حبي كالخير في حبه و لهذا لما تَوارَتْ بِالْحِجابِ أعني الصافنات الجياد اشتاق إليها لأنه فقد المحل الذي أوجب له هذه الصفة الملذوذة فإنها كانت مجلى له فقال رُدُّوها عَلَيَ و أما المفسرون الذين جعلوا التواري للشمس فليس للشمس هنا ذكر و لا للصلاة التي يزعمون ثم إنهم يأخذون في ذلك حكايات اليهود في تفسير القرآن و قد أمرنا رسول الله ص أن لا نصدق أهل الكتاب و لا نكذبهم فمن فسر القرآن برواية اليهود فقد رد أمر رسول الله ص و من رد أمر رسول الله ص فقد رد أمر الله فإنه أمر أن نطيع الرسول و أن نأخذ ما أتانا به و أن ننتهي عما نهانا عنه إذ لا يوصلنا إلى أخبار هؤلاء الأنبياء الاسرائيليين إلا نبي فنصدقه أو أهل كتاب فنقف عند أخبارهم إذا لم يكن في كتابنا و لا قول رسولنا ص و لا في أدلة

العقول ما يرده و لا يشبه و لا نقضي فيه بشيء و أما مساق الآية فلا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة و أما استرواحهم فيما فسروه بقوله وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ فليس تلك الفتنة و هو الاختبار إذا كان متعلقة الخيل و لا بد فيكون اختباره إذا رآها هل يحبها عن ذكري لها أو هل يحبها لعينها فأخبر ص أنه أحبها عن ذكر ربه إياها لا نفسها مع حسنها و جمالها و حاجته إليها و هي جزء من الملك الذي طلب أن لا ينبغي لأحد من بعده فأجابه الحق إلى ما سأل في المجموع و رفع الحرج عنه و قال له هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا يعني في الآخرة لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ أي ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيء كما يفعله مع غيره حيث أنقصه من نعيم الآخرة على قدر ما تنعم به في الدنيا قال الله تعالى في حق قوم أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها فالصبر عن الله بهذا التفسير أعظم أنواع الصبر و أما الصبر عن الله على ما يتخيله العامة من الصبر عن كذا لمفارقته إياه فليس ذلك من شأن أهل الله و الشبلي لما غشى عليه من قول الشاب إن الصبر عن الله أعظم الصبر غشى عليه لعظم المقام الذي لا يناله إلا الكمل من الرجال فلما لاح للشبلي من كلام الشاب كان وارده أقوى من محل الشبلي فلذلك أثر فيه الغشي و هكذا كل وارد يكون أقوى من قوة المحل فإنه يفعل فيه الغشي و الصعق و ليس لأهل الله قدم في الصبر عن الله على تفسير العامة و للصبر درجات عند العارفين من أهل الأنوار ثلاثمائة و ثلاث و عشرون درجة و عند أهل الأسرار منهم مائتان و ثلاث و تسعون درجة و عند الملامية من أهل الأنوار مائتان و اثنتان و تسعون وعند أهل الأسرار منهم مائتان و اثنتان و ستون درجة

(الباب الخامس و العشرون و مائة في معرفة مقام ترك الصبر و أسراره)

و في الصبر من سوء الصنيعة أنه ... يقاوم قهر الحق في كل إقدام
فلا صبر عند العارفين فإنهم ... من الضعف في بحر على سيفه طام

اعلم علمك الله أن في الصبر المعروف عند العامة مقاومة القهر الإلهي و سوء أدب مع الله و ما ابتلى الله عباده إلا ليتضرعوا إليه و يسألوه في رفع ما ابتلاهم به من البلاء عنهم لأنه دواء لما تعطيهم في نفوسهم من المرض الصورة التي خلقوا عليها فيدعيها من لم تكمل فيه الصورة فإنه من كمالها الخلافة و هم المكملون من الرجال و من لم تحصل له درجة الخلافة فما هو على الصورة فإنه بالمجموع يكون بالصورة قال بعضهم و قد بكى حين أخذه الجوع إنما جوعني لأبكي فهو يبكي له و عليه فإن أكابر الرجال لا يحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله فإذا مدح الله الصابرين فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله و هذا مذهب الأكابر ألا ترى سمنون لما أساء الأدب مع الله و أراد أن يقاوم القدرة الإلهية لما وجد في نفسه من حكم الرضي و الصبر قال

و ليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني

فابتلاه الله بعسر البول و النفس مجبولة على طلب حظها من العافية و لما سأل هذا كان في حكم حال العافية فلما سلبها بهذا البلاء طلبتها النفس بما جبلت عليه و قد ذكرنا ذلك في صفات النفس و أن الله عين لها مصارف لما علمه من أنها لا تنعدم إذ لو انعدمت لانعدمت النفس فهو وصف ذاتي لها ألا ترى إلى عالم العلماء و حاكم الحكماء كيف كان سؤاله العافية و أمر بها فقال إذا سألتم الله فاسألوه العافية فإن كنتم أهل بلاء فقد سألتم العافية و إن كنتم أهل عافية فقد سألتم دوامها و هي مشتقة من عفي الأثر إذا ذهب فالعافية ذهاب أثر البلاء ممن قام به فمن الأدب مع الله وقوف العبد مع عجزه و فقره و فاقته فإن الغناء بالله لا يصح عن الله و لا عن المخلوقين من حيث العموم لكنه يصح من حيث تعيين مخلوق ما يمكن أن يستغني عنه بغيره فإن الله ما وضع الأسباب سدى فمنها أسباب ذاتية لا يمكن رفعها هنا و منها أسباب عرضية يمكن رفعها فمن المحال رفع التأليف و التركيب عن الجسم مع بقاء حكم الجسمية فيه فهذا سبب لا يمكن زواله إلا بعدم عين الجسم من الوجود و إذا كانت الأسباب الأصلية لا ترتفع فلنقر الأسباب العرضية أدبا مع الله و لا نركن إليها و نبقي الخاطر معلقا بالله و لا يصح أن يتعلق بالله لله فإنه محال و إنما يتعلق بالله للأسباب فهذا حد المعرفة بها فقد بان لك معنى ترك الصبر

(الباب السادس و العشرون و مائة في معرفة مقام المراقبة)

كن رقيبا عليه في كل شأن فهو سبحانه عليك رقيب

في حضور و غيبة لشئون و لذا لي في كل حال نصيب

فإذا ما أتى أوان فراغ لا أبالي و إن ذا لعجيب

المراقبة نعت إلهي لنا فيه شرب قال تعالى وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً و هو قوله وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما يعني السموات و هو العالم الأعلى و الأرض و هو العالم الأسفل و ما ثم إلا أعلى و أسفل و هو على قسمين عالم قائم بنفسه و عالم غير قائم بنفسه فالقائم بنفسه جواهر و أجسام و غير القائم بنفسه أكوان و ألوان و هي الصفات و الأعراض فعالم الأجسام و الجواهر لا بقاء لهما إلا بإيجاد الأعراض فيهما فمتى لم يوجد فيهما العرض الذي به يكون بقاؤها و وجودها تنعدم و لا شك أن الأعراض تنعدم في الزمان الثاني من زمان وجودها فلا يزال الحق مراقبا لعالم الأجسام و الجواهر العلوية و السفلية كلما انعدم منها عرض به وجوده خلق في ذلك الزمان عرضا مثله أو ضده يحفظه به من العدم في كل زمان فهو خلاق على الدوام و العالم مفتقر إليه تعالى على الدوام افتقارا ذاتيا من عالم الأعراض و الجواهر

فهذه مراقبة الحق خلقه لحفظ الوجود عليه و هذه هي الشئون التي عبر عنها في كتابه إنه كل يوم في شأن و مراقبة أخرى للحق في عباده و هي نظره إليهم فيما كلفهم من أوامره و نواهيه و رسم لهم من حدوده و هذه مراقبة كبرياء و وعيد فمنهم من و كل بهم من يحصي عليهم جميع ما يفعلونه مثل قوله ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ و مثل قوله كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ و قوله سَنَكْتُبُ ما قالُوا و كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ و ما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فهذه مراقبة الحق و أما مراقبة العبد فهي على ثلاثة أقسام الواحد منها لا يصح و الاثنان يصح وجودهما من العبد أما المراقبة التي لا تصح فهي مراقبةالعبد ربه و لا يعلم ذاته و لا نسبته إلى العالم فلا يتصور وجود هذه المراقبة لأنها موقوفة على العلم بذات المراقب بفتح القاف و ثم طائفة أخرى قالت بصحة تلك المراقبة فإن الشرع قد حدد كما ينبغي لجلاله فهو معنا أينما كنا و هو عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و هو في الأرض يعلم سرنا و جهرنا و هو في السماء كذلك و ينزل إليها و هو الظاهر في عين كل مظهر من الممكنات فقد علمنا هذا القدر منه فنراقبه على هذا الحد فمراقبتنا للأشياء هي عين مراقبتنا إياه لأنه الظاهر من كل شيء فمن الناس من قال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله يعني المراقبة و آخر بعده و آخر معه أو آخر فيه فمثل هؤلاء يصححون هذه المراقبة و المراقبة الثانية مراقبة الحياء من قوله أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى فهو يراقب رؤيته و هي تراقبه فهو يرقب مراقبة الحق إياه فهذه مراقبة المراقبة و هي مشروعة و المراقبة الثالثة هي أن يراقب قلبه و نفسه الظاهرة و الباطنة ليرى آثار ربه فيها فيعمل بحسب ما يراه من آثار ربه و كذلك في الموجودات الخارجة عنه يرقبها ليرى آثار ربه فيها منها و هو قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ و لهذه المراقبة تعلق بالحق إذ لا فاعل إلا الحق و المراقبة دوام المراعاة بحيث أن لا يتخللها وقت لا يكون العبد فيه مراقبا فاعلم ذلك و تحققه تعلم شئون ربك في نفسك و ما يدركه من الموجودات بصرك و ما يصل إليه فكرك و عقلك و ما يشهدك في مشاهدتك و ما تطلع عليه من الغيوب في كونك أو حيث كان و من هنا تعرف خواطرك و للمراقبة جاءت الموازين الشرعية و هي خمسة موازين الفرض و الندب و الإباحة و الحظر و الكراهة و للمراقبة درجات عند أرباب الأنس و الوصال من العارفين و مبلغها سبع مائة درجة و أربع و سبعون درجة و عند أرباب الأدب من العارفين ثلاث مائة درجة و تسع و سبعون درجة و عند الملامية من أهل الأنس سبعمائة و ثلاث و أربعون درجة و عند الأدباء منهم ثمان و أربعون و ثلاثمائة درجة و لها نسب إلى العوالم منها إلى عالم الملك نسبتان و إلى عالم الملكوت نسبة واحدة عند الأدباء من الطائفتين و ثلاث نسب عند أهل الأنس إلى عالم الجبروت و اعلموا أن الله تعالى أطلعني في ليلة تقييدي هذا الباب على أمر لم يكن عندي في واقعة وقعت لي برزخية قيل لي فيها ألم تسمع أن الدنيا أم رقوب قلت نعم قيل لي فاجعل لها فصلا في هذا الباب فاستخرت الله على ذلك

(وصل) قال رسول الله ص إن للدنيا أبناء و إذا كان لها أبناء فهي أم لهؤلاء الأبناء و من عادة الأم أن ترقب أبناءها لأنها المربية لهم و لها عليهم حنو الأمومة و الحذر عليهم إن تؤثر فيهم ضرتها و هي الآخرة فيميلون إليها فتحفظهم من مشاهدة خير الآخرة فتشتد مراقبتها لأحوالهم ثم لتعلموا إن الدنيا هي الدار الأولى القريبة إلينا نشأنا فيها و ما رأينا سواها فهي المشهودة و هي الحفيظة علينا و الرحيمة بنا فيها عملنا الأعمال المقربة إلى الله و فيها ظهرت شرائع الله و هي الدار الجامعة لجميع الأسماء الإلهية فظهرت فيها آلاء الجنان و آلام النار ففيها العافية و المرض و فيها السرور و الحزن و فيها السر و العلن و ما في الآخرة أمر إلا و فيها منه مثل و هي الأمنية الطائعة لله أودعها الله أمانات لعباده لتؤديها إليهم و هذا هو الذي جعلها ترقب أحوال أبنائها ما يفعلون بتلك الأمانات التي أدتها إليهم هل يعاملونها بما تستحق كل أمانة لما وضعت له فمنها أمانة توافق غرض نفوس الأبناء فترقبهم هل يشكرون الله على ما أولاهم من ذلك على يديها و منها أمانات لا توافق أغراضهم فترقب أحوالهم هل يقبلونها بالرضى و التسليم لكونها هدية من الله فيقولون في الأولى الحمد لله المنعم المفضل و يقولون فيما لا يوافق الغرض الحمد لله على كل حال فيكونون من الحامدين في السراء و الضراء فتعطيهم الدنيا هذه الأمانات نقية طاهرة من الشوب فبعض أمزجة الأبناء الذين هم كالبقعة للماء و الأوعية لما يجعل فيها فيؤثر مزاج تلك البقعة في الماء فإن الماء كله طيب عذب في أصله و هو المطر فإذا حصل في بقع الأرض و هي مختلفة البقاع في المزاج ظهر العذب في المزاج الحسن فأبقاه على أصله كما ورد طاهرا نظيفا و زاده من مزاجه طيبا و حلاوة زائدة على ما كان عليه و هو الماء النمير و بقعة أخرى جعلته ملحا أجاجا و بقعة أخرى جعلته قعاما مرا فأثر في الحال النقي هذه الأوعية و الشرع إنما تعلق بأفعال الأبناء لا بالأم بل قال وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً و بما قال فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً فما أوصى الله تعالى بهذه الأمور إلا لعلمه بأنه في الأبناء من يصدر منهم مثل هذه الأفعال فأمرهم إن يراقبوا هذه الأحكام في أفعالهم حتى يأتوا منها ما أمرهم الله و الدنيا شفيقة عليهم حدبة كثيرة الحنو خائفة أن تأخذهم الضرة الآخرة منها فإن الدار في هذا الوقت للدنيا و الحكم لها و لا ينبغي أن تعزل عنها كما إن الدار الآخرة لا تتعرض لها الدار الدنيا إذا انتقل الناس إليها فالدنيا أنصف من الآخرة في الحكم فإنها في دار سلطانها و إذا جاءت الآخرة و كان يومها لا تعترض الدنيا و لا تزاحم الآخرة فما أنصف أحد من الناس قال قتادة ما أنصف الدنيا أحد ذمت بإساءة المسيء فيها و لم تحمد بإحسان المحسن فيها فلو كانت بذاتها تعطي القبح و السوء ما تمكن أن يكون فيها نبي مرسل و لا عبد صالح كيف و الله قد وصفها بالطاعة فقال إن علوها و سفلها قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و قال أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ و الصالح لا يرث إلا المال الصالح الذي يجوز له التصرف فيه فإنه عبد صالح و لم يقل إن جميع العباد يرثها فدل إن

تركتها كان كسبا صالحا فورثه عباد الله الصالحون قال رسول الله ص إذا قال أحدكم لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه فهذا ابن عاق لها كيف لعنها و صرح باسمها و الدنيا من حنوها على أبنائها لم تقدر أن تلعن ولدها فقالت لعن الله أعصانا لربه و ما قدرت إن تسميه باسمه فهذا حنو الأم و شفقتها على ولدها فيا عجبا فينا لم نقف عند ما أمرنا الله به من طاعته و لا وفقنا و لا وفينا ما رأيناه من أخلاق هذه الأم و حنوها علينا و محبتها و قال النبي ص نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير و بها ينجو من الشر فوصفها بأن حذرها على أبنائها تذكرهم بالشرور و تهرب بهم منها و تزين لهم الخير و تشوقهم إليه فهي تسافر بهم و تحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير و ذلك لشدة مراقبتها إلى ما أنزل الله فيها من الأوامر الإلهية المسماة شرائع فتحب إن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا فهذا ص قد وصفها بأحسن الصفات و جعلها محلا للخيرات فينبغي لأهل المراقبة أن يكون بدؤهم في الدخول لاكتساب هذه الصفة أن يرقبوا أحوال أمهم لأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على أمه فلا يبصر غيرها فيحبها طبعا و يميل إليها أكثر مما يميل إلى أبيه لأنه لا يعقل سوى من يربيه و بأفعالها ينبغي يقتدى فإن قلت فلما ذا تغار من الآخرة قلنا لما كان الحكم لها و هي من الطاعة بهذه المثابة و ليس للآخرة هنا سلطان و الذي في الآخرة هو في الدنيا من اللذات و الآلام فالداران متساويتان فيصعب عليها أن يكون أبناؤها ينسبون إلى الآخرة و ما ولدتهم و لا تعبت في تربيتهم و بعد هذا كله فإن الناس نسبوا ما كانوا عليه من أحوال الشرور التي عينها الشارع إلى الدنيا و هي أحوالهم ما هي أحوال الدنيا لأن الشر هو فعل المكلف ما هو الدنيا و نسبوا ما كانوا عليه من أحوال الخير و مرضاة الله التي عينها الشارع للآخرة و هي أحوالهم ما هي أحوال الآخرة لأن الخير هو فعل المكلف ما هو الآخرة فللدنيا أجر المصيبة التي أصيبت في أولادها و من أولادها فمن عرف الدنيا بهذه المثابة فقد عرفها و من لم يعرفها بهذه المثابة و جهلها مع كونه فيها مشاهدا لأحوالها شرعا و عقلا فهو بالآخرة أجهل حيث ما ذاق لها طعما و هنا يطرأ غلط لأهل طريق الله في كشفهم إذ لو تيقنوا في هذه الدار و طولعوا بأحوال الآخرة فليست تلك الآخرة على الحقيقة و إنما هي الدنيا أظهرها الله لهم في عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم في صورة ما جهلوه منها في اليقظة فإنهم غير عارفين منها ما ذكرناه فيقولون رأينا الجنة و النار و القيامة و يذكرون الرؤيا التي رأوها و أين الدار من الدار و أين الاتساع من الاتساع فذلك الذي رأوه حال الدنيا التي خلقها الله عليها من الخير و الطاعة و العدل في الحكومة و النصيحة و الوعظ و التذكرة فإنه معلوم أن القيامة ما هي الآن موجودة فإذا رؤيت في الحياة الدنيا فما هي إلا قيامة الدنيا و جنة الدنيا و نار الدنيا و أن الجنة و النار جاءتا خادمتين للدنيا إذ قال ص بل رؤي في صلاة الكسوف يتقدم في قبلته ثم تأخر تأخرا كثيرا و مد يده حين تقدم فسئل عن ذلك أني رأيت النار حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها و رأيت الجنة حين تقدمت و حين مددت يدي لأقطف منها قطفا و لو خرجت

به إليكم لأكلتم منه ما بقيت و ذكر أنه رأى في النا ر صاحبة الهرة و عمرو بن لحي الذي سيب السوائب و ذلك كله في حال الصلاة في يقظته و ما قال رأيت الآخرة و لا جنة الآخرة و لا نا رها بل قال في عرض هذا الحائط و الحائط من الدا ر الدنيا و لذا قال ع مثلت لي الجنة في عرض الحائط و لم يقل هي و قال رأيت الجنة و لم يصفها و ذكر التمثيل و تمثل الشيء ما هو عين الشيء بل هو شبهه و قال مثلت لي كما قال في جبريل ع فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا أ ترى كان غير جبريل لا و الله إلا جبريل فما رآهما إلا في الدنيا في دا رها و حياتها و قال متمدحا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و هما للدا ر الدنيا و قد قررنا أنه كل ما في الآخرة هو في الدنيا فمنه ما عرفناه و منه ما لم نعرفه بل في الدنيا من الزيادة ما ليست في الآخرة فالدنيا أكمل في النشأة و لو لا التكليف و عدم حصول كل الأغراض لم تزنها الآخرة فإن قلت فما الزيادة التي تزيد بها الدنيا على الآخرة قلنا الآخرة دا ر تمييز و الدا ر الدنيا دا ر تمييز و اختلاط فأهل النا ر مميزون و أهل الجنة مميزون فأهل الجنة في الجنة و أهل النار في النا ر يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ و الدار الدنيا فيها ما في الآخرة من التمييز لكن لا يعم فإنه قد علمنا في الدنيا بإعلام الله أن الرسل و الأنبياء و من عينته الرسل بالبشرى أنه سعيد يقول الله لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ فهذا عموم الدنيا فما ينقلب أحد من أهل السعادة إلى الآخرة حتى يبشر في الدنيا و لو نفس واحد فيحصل المقصود و من عينته الرسل بالبشرى أنه شقي فقد تميز بالشقاء يقول سبحانه فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ و سكت عن أكثر الناس فلم يعين منهم أحدا و ظهرت صفات الأشقياء في الآخرة في هذه الدا ر على السعداء من الحزن و البلاء و البكاء و الذلة و الخشوع و ظهرت صفات السعداء في الآخرة في هذه الدا ر من الخير و النعمة و التفكه و الوصول إلى نيل الأغراض و نفوذ الأوامر على الأشقياء من أهل النا ر إذ هذه النشأة تعطي أن يكون لها حظ و نصيب من هذه الصفات فمنهم من تجمع له في الدا ر الواحدة و منهم من تكون له في الدا رين فيظهر المؤمن بصفة الكافر حتى يختم له بالإيمان و يظهر الكافر بصفة المؤمن حتى يختم له بالكفر ثم إن الله قد شرك السعيد و الشقي في إطلاق الايمان و الكفر و هذان اللفظان معلومان فأكثر الناس ما يطلق الايمان إلا على المؤمن بالله و لا الكافر إلا على الكافر بالله و الله يقول وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ فسماهم مؤمنين وَكَفَرُوا بِاللَّهِ فقد أعطت الدنيا ما أعطت الآخرة و هذه الزيادة التي لا تكون في الآخرة و التشريع لا يكون في الآخرة إلا في موطن واحد حين يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ليرجح بتلك السجدة ميزان أصحاب الأعراف و الناس لا يشعرون و لما أوردناه يقول بعض أهل الله و لا أزكي على الله أحدا إن وجود الحق في الدنيا في الإنسان أكمل منه في الآخرة و قد رأينا من ذهب إلى هذا و شافهنا به في مجالس و جعل دليله الخلافة فالإنسان في الدنيا أكمل في الصفات الأسمائية منه في الآخرة بلا شك لأنه يظهر بالإنعام و الانتقام و لا يكون له ذلك في الآخرة فإنه لا إنعام له على أحد و لا انتقام و إن شفع فبإذن فالإنعام لمن أذن و أما في الجنة و النا ر بعد ذبح الموت فلا بل في القيامة

يكون من ذلك طرف انتقام لحكمة ذكرناها في هذا الكتاب مثل قوله ع فسحقا سحقا فراقبوا الله هنا عباد الله مراقبة الدنيا أبناءها فهي الأم الرقوب و كونوا على أخلاق أمكم تسعدوا

(الباب السابع و العشرون و مائة في ترك المراقبة)

لا تراقب فليس في الكون إلا	واحد العين و هو عين الوجود
فتسمى في حالة بمليك	و تكني في حالة بالعبيد
و دليلي ما جاء من افتقار	الفقراء إلى الغني الحميد
هكذا جاء في التلاوة نصا	في قريب من سعده و بعيد
ثم جاءوا ب أَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً	فبدا النقص و هو عين المزيد

لما كانت المراقبة تنزلا مثاليا للتقريب و اقتضت مرتبة العلماء بالله أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فارتفعت الأشكال و الأمثال و لم يتقيد أمر إلا له و لا انضبط و جهل الأمر و تبين أنه لم يكن معلوما في وقت الاعتقاد بأنه كان معلوما لنا و لم يحصل في العلم به أمر ثبوتي بل سلب محقق و نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة في الأعيان فلا كيف و لا أين و لا متى و لا وضع و لا إضافة و لا عرض و لا جوهر و لا كم و هو المقدار و ما بقي من العشرة إلا انفعال محقق و فاعل معين أو فعل ظاهر من فاعل مجهول يرى أثره و لا يعرف خبره و لا يعلم عينه و لا يجهل كونه فلمن نراقب و ما ثم من يقع عليه عين و لا من يضبطه خيال و لا من يحدده زمان و لا من تعدده صفات و أحكام و لا من تكسيفه أحوال و لا من تميزه أوضاع و لا من تظهره إضافة فكيف نراقب من لا يقبل الصفات و العلم يرفع الخيال فهو الرقيب لا المراقب و هو الحفيظ لا المحفوظ فالذي يحفظه الإنسان إنما هو اعتقاده في قلبه فذلك الذي وسعه من ربه فإن راقبت فاعلم من راقبت فما زلت عنك و لا عرفت سوى ذاتك فالحادث لا يتعلق إلا بالمناسب و هو ما عندك منه و ما عندك حادث فما برحت من جنسك و ما عبدت على الحقيقة سوى ما نصبته في نفسك و لهذا اختلفت المقالات في الله و تغيرت الأحوال فطائفة تقول هو كذا و طائفة تقول ما هو كذا بل هو كذا و طائفة قالت في العلم به لون الماء لون إنائه فهذا مؤثر بالدليل مؤثر فيه عند صاحب هذا القول في رأى العين فانظر إلى الحيرة سارية في كل معتقد فالكامل من عظمت حيرته و دامت حسرته و لم ينل مقصوده لما كان معبوده و ذلك أنه رام تحصيل ما لا يمكن تحصيله و سلك سبيل من لا يعرف سبيله و الأكمل من الكامل من اعتقد فيه كل اعتقاد و عرفه في الايمان و الدلائل و في الإلحاد

فإن الإلحاد ميل إلى اعتقاد معين من اعتقاد فاشهدوه بكل عين إن أردتم إصابة العين فإنه عام التجلي له في كل صورة وجه و في كل عالم حال فراقب إن شئت أو لا تراقب فما ثم إلا مثاب و مثيب و معاقب و معاقب انتهى الجزء الموفي مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثامن و العشرون و مائة في معرفة مقام الرضى و أسراره)

سألت ربي عصمة ... من كل سوء و أذى
و إن أرى من أجله ... كروحه منتبذا
مختطفا عن نفسه ... مستهلكا متخذا
حتى أقول صادقا ... من حالنا يا حبذا
رضيت منه بكذا ... رضيت عنه لكذا
و هكذا نسبه ... إليه حكما هكذا
و هو دليل قاطع ... على يسير فإذا
أفردته عن من و عن ... وصفته بذا و ذا
و كنت ذا معرفة ... بحقه و جهبذا

اعلم وفقك الله أن قولي دليل قاطع على يسير أعني الرضي يدل على يسير من كثير فيرضى به أدبا مع الله لأنه وكله و الرضي أمر مختلف فيه عند أهل الله هل هو مقام أو حال فمن رآه حالا ألحقه بالمواهب و من رآه مقاما ألحقه بالمكاسب و هو نعت إلهي و كل نعت إلهي إذا أضيف إلى الله فليس يقبل الوهب و لا الكسب فهو على غير المعنى الذي إذا نسبناه للخلق لم يبق له تلك الصفة فحصل له بنسبته للخلق إن ثبت كان مقاما و إن زال كان حالا و هو على الحقيقة يقبل الوصفين و هو الصحيح فهو في حق بعض الناس حال و في حق بعض الناس مقام و كل نعت إلهي بهذه المثابة فتجرى النعوت الإلهية إذا نسبت إلى الخلق مجرى الاعتقادات فكما أنه يقبل كل اعتقاد و يصدق فيه كل معتقد كذلك النعوت الإلهية إذا نسبت للخلق تقبل صفات المقامات و صفات الأحوال هذا هو تحرير هذه الصفة و أمثالها و هو الذي عليه الأمر و قد وصف الله نفسه و هو ما أعطاه العبد من نفسه رضي الله به و رضي عنه فيه و إن لم يبذل استطاعته فإنه لو بذل استطاعته التي إذا بذلها وقع في الحرج كان قد بذلها على جهد و مشقة و قد رفع الله الحرج عن عباده في دينه

فعلمنا أن المراد بالاستطاعة في مثل قوله فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و ما آتاها إن حدها أول درجات الحرج فإذا أحس به أو استشرف عليه قبل الإحساس به فذلك حد الاستطاعة المأمور بها شرعا ليجمع بين قوله تعالى فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و بين قوله ما (جَعَلَ) عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ و دين الله يسر و يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ في قوله ما اسْتَطَعْتُمْ و لما فهمت الصحابة من الاستطاعة ما ذكرناه لذلك كانت رخصة لعزمة قوله حَقَّ تُقاتِهِ فرضي الله منك إذا أعطيته مما كلفك حد الاستطاعة التي لا حرج عليك فيها و رضيت منه أنت بالذي أعطاك من حال الدنيا و رضيت عنه في ذلك و قد عرفت أحوال الدنيا أنها الطاعة خاصة كما بيناها في باب المراقبة و كلما أعطاك الحق في الدنيا و الآخرة من الخير و النعم فهو قليل بالنسبة إلى ما عنده فإن الذي عنده لا نهاية له و كل ما حصل لك من ذلك فهو متناه بحصوله في الوجود و نسبة ما يتناهى إلى ما لا يتناهى أقل القليل كما قال الخضر لموسى لما نقر الطائر بمنقره في البحر ليشرب من مائه فشبهه بما هم عليه من العلم و بعلم الله فلذلك قال رضي الله عنهم في يسير العمل و رضوا عنه في يسير الثواب لأنه لا يتمكن تحصيل ما لا يتناهى في الوجود لأنه لا يتناهى فلذلك قلنا متعلق الرضي اليسير و هو الرضي بالموجود فرضي به من الله و عن الله فيه و ما قدم الله رضاه عن عبيد بما قبله من اليسير من أعمالهم التي كلفهم إلا ليرضوا عنه في يسير الثواب لما علموا إن عنده ما هو أكثر من الذي وصل إليهم فهو يصل إليهم مع الآنات حالا بعد حال أبد الآباد من غير انقطاع مع انقطاع أعمالهم التي كانت عن تكليف مشروع فانقطعت الأعمال منهم و لم تنقطع العبادة فإذا تناهي حد العمل الحسن و القبيح في أهل الجنة و أهل النار بقي جزاؤهم جزاء العبادة في السعداء و جزاء العبودية في أهل النار و هو جزاء لا ينقطع أبدا فهذا أعطاهم اتساع الرحمة و شمولها فإن المجرمين لم يزل عنهم شهود عبوديتهم و إن ادعوا ربانية فيعلمون من نفوسهم أنهم كاذبون بما يجدونه فتزول الدعوى بزوال أوانها و تبقي عليهم نسبة العبودية التي كانوا عليها في حال الدعوى و قبل الدعوى و يجنون ثمرة قولهم بَلى فكانوا بمنزلة من أسلم بعد ارتداده فحكم على الكل سلطان بلي فأعقبهم سعادة بعد ما مسهم من الشقاء بقدر ما كانوا عليه من زمان الدعوى فما زال حكم بلي يصحبهم من وقته إلى ما لا يتناهى دنيا و برزخا و آخرة و عرضت عوارض لبعض الناس أخرجتهم في الظاهر عن حكم توحيدهم بما ادعوه من الألوهة في الشركاء فأثبتوه و زادوا فقام لهم الشركاء مقام الأسباب للمؤمنين و كل عارض زائل و حكمه يزول بزواله و يرجع الحكم إلى الأصل و الأصل يقتضي السعادة فمال الكل إن شاء الله إليها مع عمارة الدارين و لكل واحدة ملؤها و الرحمة تصحبها كما صحبت هنا العبودية لكل أحد ممن بقي عليها أو ادعى الربوبية فإنه ادعى أمرا يعلم من نفسه خلافه فمقام الرضي ما ثبته لك فقل فيه بعد هذا ما شئت حال أو مقام أو لا حال و لا مقام و اعلم الفرق فيه بين النسبتين نسبته لله و نسبته للخلق وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاسع و العشرون و مائة في معرفة ترك الرضي)

ترك الرضي عند أهل الرسم مثلبة | و عند أهل وجود الله آيات
على تحققهم بعين موجدهم | من حيث ما هم به محو و إثبات
يرضى الإله عن النفس التي ربطت | بحكمه و لهم فيها علامات
و النفس راضية عنه و ليس لها | بالعين علم و لا بالوجد لذات
و ما سوى النفس من عقل فليس له | رضي و ليست له فيها نهايات

جناب الله أوسع من أن أرضى منه باليسير و لكن أرضى عنه لا منه لأن الرضي منه يقطع همم الرجال و الله يقول آمرا نبيه ص وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً مع كونه قد حصل علم الأولين و الآخرين و أوتي جوامع الكلم فإنه لا يعظم على الله شيء طلب منه فإن المطلوب منه لا يتناهى فليس له طرف نقف عنده فوسع في طلب المزيد إن كنت من العلماء بالله و إذا كان اتساع الممكنات لا يقبل التناهي فما ظنك بالاتساع الإلهي فيما يجب له و ما يعطيه من المعرفة كل ممكن على عدم التناهي فيه فكيف إذا انضاف إلى تلك المعرفة ما لا تعلق للممكن بها لا من سلب و لا من إثبات نسب فإذا ترك العبد الرضي فعلى هذا الحد يتركه فهو راض عنه لا راض منه لأن الرضي منه جهل به و نقص و العبد الكامل مخلوق على صورة الكمال و أما قول بعضهم لي منذ ستين سنة أو كما وقت ما أقامني الله في أمر فكرهته قالت المشايخ أشار إلى دوام الرضي و احتجوا بهذا على ثبوت الأحوال فإن الرضي عندهم من الأحوال و هذا لا يصح من غير المعصوم و المحفوظ فربما كان هذا القائل من المحفوظين أو المعصومين فإن لم يكن فيريد الرضي بقضاء الله فيما أقامه لا بكل مقضي فإنه لا ينبغي الرضي بكل مقضي و إن رأيت وجه الحق فيه فإنك إذا كنت صحيح الرؤية فيه فإنك ترى وجه الحق فيه غير راض عنه فإن لم تره بذلك العين الإلهي و إلا فما رأيته إن رضيت به و لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ فتحفظ من هذا الحال أو هذا المقام فإنه زهوق لا يثبت عليه الاقدام فإن فيه منازعة الحق

(الباب الموفي ثلاثين و مائة في مقام العبودة)

إني انتسبت إلى نفسي لمعرفتي | بأن نسبتنا للحق معلوله
و كونه علة للخلق مجهلة | بما له من علو القدر مجهوله
هو الغني على الإطلاق ليس له | فقر قد أودع الرحمن تنزيله

هذا الذي قلته القرآن فصله فابحث عليه ترى بالبحث تفصيله

العبودية نسب إلى العبودة و العبودة مخلصة من غير نسب لا إلى الله و لا إلى نفسها لأنه لا يقبل النسب إليه و لذلك لم تجيء بيا النسب فأذل الأذلاء من ينتسب إلى ذليل على جهة الافتخار به و لهذا قيل في الأرض ذلول بنية المبالغة في الذلة لأن الأذلاء يطئونها فهي أعظم في الذلة منهم فمقام العبودية مقام الذلة و الافتقار و ليس بنعت إلهي قال أبو يزيد البسطامي و ما وجد سببا يتقرب به إلى الله إذ رأى كل نعت يتقرب به إلى الله للالوهية فيه مدخل فلما عجز قال يا رب بما ذا أتقرب إليك قال الله له بما جرت عادة الله مع أوليائه أن يخاطبهم به تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار و هنا سر لا يمكن كشفه فمن أطلعه الله عليه عرفه نطق الله عباده عليه بأن له صاحبه و ولدا و أمثالا و أن له البخل و أنه فقير من العرض بقولهم وَنَحْنُ أَغْنِياءُ ثم قال سَنَكْتُبُ ما قالُوا و كتبة الله إيجاب و هذا موضع السر لمن فتح الله عين بصيرته ثم في قوله لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ فألحقهم في العقاب بالكفار و هم الذين ستروا ما يجب للحق عليهم من التنزيه و الاشتراك في أسماء الصفات لا في مسمياتها فالعبد معناه الذليل يقال أرض معبدة أي مذللة قال الله عز و جل وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و ما قال ذلك في غير هذين الجنسين لأنه ما ادعى أحد الألوهية و لا اعتقدها في غير الله و لا تكبر على خلق الله إلا هذان الجنسان فلذلك خصهما بالذكر دون سائر المخلوقات فقال ابن عباس معناه ليعرفوني فما فسر بحقيقة ما تعطيه دلالة اللفظ و إنما تفسيره ليذلوا لي و لا يذل له من لا يعرفه فلا بد من المعرفة به أولا و أنه ذو العزة التي تذل الأعزاء لها فلذلك عدل ابن عباس في تفسير العبادة إلى المعرفة هذا هو الظن به و لم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول الله ص فكان عبدا محضا زاهدا في جمع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية و شهد الله له بأنه عبد مضاف إليه من حيث هويته و اسمه الجامع فقال في حق اسمه وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ و قال في حق هويته سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ فأسرى به عبدا و لما أمر بتعريف مقامه يوم القيامة قيد ذلك فقال أنا سيد ولد آدم و لا فخر بالراء أي ما قصدت الفخر عليكم بالسيادة بل أردت التعريف بشرى لكم إذ أنتم مأمورون باتباعي و قد روى و لا فخز بالزاي ما قلته متبجحا و أنا لست كذلك فإن الفخر التبجح بالباطل في صورة حق فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج كلما قرب من السراج عظم الظل و لا قرب من الله إلا بما هو لك وصف أخص لا له و كلما بعد من السراج صغر الظل فإنه ما يبعدك عن الحق إلا خروجك عن صفتك التي تستحقها و طمعك في صفته كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ و هما صفتان لله تعالى و ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و هذا قوله ص أعوذ بك منك و هذا المقام لا يبقى لك صفة تخص الحق و ينفرد بها و لا يمكن حصول اشتراك فيها من النعوت الثبوتية لا النعوت السلبية و الإضافية إلا و يعلمها

صاحب هذا المقام خاصة و لكن عز صاحبه ذوقا فإن الوصف الأخص منك إذا تحققت به و انفردت و دخلت به على الحق لم يقابلك إلا بالنعت الأخص به الذي لا قدم لك فيه و إذا جئت بالنعت المشترك تجلى لك بالنعت المشترك فتعرف سر نسبته إليك من نسبته إليه و هو علم غريب قل أن تجد له ذائقا و مع هذا فهو دون الأول الذي هو الأخص بك فاعلم ذلك فتحقق بهذا المقام فهذا أعطاك مقام العبودية و أما مقام العبودة فلا تدري ما يحصل لك فيه من العلم به فإنك تنفي النسب فيه عنه تعالى و عن الكون و هو مقام عزيز جدا لأنه لا يصح عند الطائفة أن يبقى الكون مع إمكانه بغير نسب و هو بالذات واجب لغيره و التنبيه على هذا المقام وصف الظاهر في المظهر بنعت العبد فإن الظاهر ينصبغ بحقيقة المظهر كان ما كان فلا ينتسب الظاهر إلى العبودية فإنه ليس وراءها نزول و المنتسب لا بد أن يكون أنزل في المرتبة من المنسوب إليه و لا ينتسب الظاهر إلا إليه فإن الأثر الذي أعطاه عين المظهر ليس غير الظاهر و ليس وراء الله مرمى و الشيء لا ينسب إلى نفسه فلهذا جاءت العبودة بغير ياء النسب يقال رجل بين العبودية و العبودة أي ذاته ظاهرة و نسبه مجهول فلا ينسب فإنه ما ثم إلى من فهو عبد لا عبد

(الباب الأحد و الثلاثون و مائة في مقام ترك العبودية)

إن انتسبت إلى معلول أنت له / و أنت لله لا للخلق فازدجروا
نحن المظاهر و المعبود ظاهرها / و مظهر الكون عين الكون فاعتبروا
ما جاء بي عبثا لكن لنعبده / حقا بذا حكم التشريع و النظر
و لست أعبده إلا بصورته / فهو الإله الذي في طيه البشر
فما القضاء إذا حققت صورتنا / و ما التصرف و الأحكام و القدر
فكلها عبر إن كنت ذا نظر / و لا يخيب من تسري به العبر

ترك العبودية لا يصح إلا عند من يرى أن عين الممكنات باقية على أصلها من العدم و إنها مظاهر للحق الظاهر فيها فلا وجود إلا لله و لا أثر إلا لها فإنها بذاتها تكسب وجود الظاهر ما تقع به الحدود في عين كل ظاهر فهي أشبه شيء بالعدد فإنها معقول لا وجود له و حكمه سار ثابت في المعدودات و المعدودات ليست سوى صور الموجودات كانت ما كانت و الموجودات سبب كثرتها أعيان الممكنات و هي أيضا سبب اختلاف صور الموجودات فالعدد حكمه مقدم على حكم كل حاكم و لما وصلت في أول هذا الباب من هذه النسخة إلى العدد و المعدودات نمت فرأيت رسول الله ص في منامي و أنا بين يديه و قد سألني سائل و هو يسمع ما أقل الجمع في

العدد فكنت أقول له عند الفقهاء اثنان و عند النحويين ثلاثة فقال ص أخطأ هؤلاء و هؤلاء فقلت له يا رسول الله فكيف أقول قال لي إن العدد شفع و وتر يقول الله تعالى وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ و الكل عدد فميز ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة و رمى بها على حصير كنا عليه فرمى درهمين بمعزل و رمى ثلاثة بمعزل و قال لي ينبغي لمن سئل في هذه المسألة أن يقول للسائل عن أي عدد تسأل عن العدد المسمى شفعا أو عن العدد المسمى وترا ثم وضع يده على الاثنين الدرهمين و قال هذا أقل الجمع في عدد الشفع ثم وضع يده على الثلاثة و قال هذا أقل الجمع في عدد الوتر هكذا فليجب من سئل في هذه المسألة كذا هو عندنا و استيقظت فقيدتها في هذا الباب كما رأيتها حين استيقظت و خرج عن ذكري مسائل كثيرة كانت بيني و بينه ص مما يتعلق بغير هذا الباب و أنا في غاية السرور و الفرح برؤيته ص و وجدت في خاطري عند انتباهي صحة النهي عن البتيراء فإنه تكلم في طريقه فما رأيت معلما أحسن منه و أخذت في تقييدي لهذا الكتاب فنرجع و نقول فالعدد حكمه مقدم على حكم كل حاكم فحكم على الممكنات بالكثرة كثرة الممكنات و اختلافات استعداداتها على الظاهر فيها مع أحديته فكثرته كثرة الممكنات و لما كان الأمر هكذا لم يمكن أن يكون للعبودية عين فلهذا المقام يقال بترك العبودية و من حكم العدد و قوة سريانه و إن لم يكن له وجود قول الله تعالى ما يَكُونُ مِن نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى من ذلِكَ يعني الاثنين و هذا يعضد رؤيانا المتقدمة وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا من المراتب التي يطلبها العدد فينسحب عليها حكم العدد و قوله ص إن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحد هذا من حكم العدد و قال لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ و لم يكفر من قال إنه سبحانه رابع ثلاثة و ذلك أنه لو كان ثالث ثلاثة أو رابع أربعة على ما توطأ عليه أهل هذا اللسان لكان من جنس الممكنات و هو سبحانه و تعالى ليس من جنس الممكنات فلا يقال فيه إنه واحد منها فهو واحد أبدا لكل كثرة و جماعة و لا يدخل معها في الجنس فهو رابع ثلاثة فهو واحد و خامس أربعة فهو واحد بالغا ما بلغت فذلك هو مسمى الله فهو و إن كان هو الوجود الظاهر بصور ما هي المظاهر عليه فما هو من جنسها فإنه واجب الوجود لذاته و هي واجبة العدم لذاتها أزلا فلها الحكم فيمن تلبس بها كما للزينة الحكم فيمن تزين بها فنسبة الممكنات للظاهر نسبة العلم و القدرة للعالم و القادر و ما ثم عين موجودة تحكم على هذا الموصوف بأنه عالم و قادر فلهذا نقول إنه عالم لذاته و قادر لذاته و هكذا هي الحقائق فالعدد حاكم لذاته في المعدودات و لا وجود له و المظاهر حاكمة في صور الظاهر و كثرتها في عين الواحد و لا وجودلها و ليس عندنا في العلم الإلهي مسألة أغمض من هذه المسألة فإن الممكنات على مذهب الجماعة ما استفادت من الحق إلا الوجود و ما يدري أحد ما معنى قولهم ما استفادت إلا الوجود إلا من كشف الله عن بصيرته و أصحاب هذا الإطلاق لا يعرفون معناه على ما هو الأمر عليه في نفسه فإنه ما ثم موجود إلا الله تعالى و

الممكنات في حال العدم فهذا الوجود المستفاد إما أن يكون موجودا و ما هو الله و لا أعيان الممكنات و إما أن يكون عبارة عن وجود الحق فإن كان أمرا زائدا ما هو الحق و لا عين الممكنات فلا يخلو أن يكون هذا الوجود موجودا فيكون موصوفا بنفسه و ذلك هو الحق لأنه قد قام الدليل على أنه ما ثم وجود أزلا إلا وجود الحق فهو واجب الوجود لنفسه فثبت أنه ما ثم موجود لنفسه غير الله فقبلت أعيان الممكنات بحقائقها وجود الحق لأنه ما ثم وجود إلا هو و هو قوله وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ و هو الوجود الصرف فانطلق عليه ما تعطيه حقائق الأعيان فحدث الحدود و ظهرت المقادير و نفذ الحكم و القضاء و ظهر العلو و السفل و الوسط و المختلفات و المتقابلات و أصناف الموجودات أجناسها و أنواعها و أشخاصها و أحوالها و أحكامها في عين واحدة فتميزت الأشكال فيها و ظهرت أسماء الحق و كان لها الأثر فيما ظهر في الوجود غيرة أن تنسب تلك الآثار إلى أعيان الممكنات في الظاهر فيها و إذا كانت الآثار للأسماء الإلهية و الاسم هو المسمى فما في الوجود إلا الله فهو الحاكم و هو القابل فإنه قابل التوب فوصف نفسه بالقبول و مع هذا فتحرير هذه المسألة عسير جدا فإن العبارة تقصر عنها و التصور لا يضبطها لسرعة تفلتها و تناقض أحكامها فإنها مثل قوله وَما رَمَيْتَ فنفى إِذْ رَمَيْتَ فأثبت وَلكِنَّ اللهَ رَمى فنفى كون محمد و أثبت نفسه عين محمد و جعل له اسم الله فهذا حكم هذه المسألة بل هو عينها لمن تحقق فهذا معنى ترك العبودية في خصوص العلماء بالله و أما من نزل منهم عن هذه الطبقة فإنه يقول لا يصح تركها باطنا لوجود الافتقار الذي لا ينكره المحدث من نفسه فلا بد أن يذله فتلك الذلة عين العبودية إلا أن يؤخذ الإنسان عن معرفته بنفسه و أما تركها من باب المعرفة فهو أن العبد إذا نظرته من حيث تصرفه لا من حيث ما هو ممكن و أطلقت عليه اسم العبودة من ذلك الباب فيمكن في المعرفة تركها من باب التصرف لا من باب الإمكان و ذلك أن حقيقة العبودية الوقوف عند أوامر السيد و ما هنا مأمور إلا من يصح منه الفعل بما أمر به و الأفعال خلق الله فهو الآمر و المأمور فأين التصرف الحقيقي الذي به يسمى العبد عبدا قائما بأوامر سيده أو منازعا له فيتصف بالإباق فبقي المسمى عبدا على ظهور الاقتدار الإلهي بجريان الفعل على ظاهره و باطنه إما بموافقة الأمر أو بمخالفته و إذا كان هذا على ما ذكرناه فلا عبودية تصريف فهو أعني العبد موجود بلا حكم و هذا مقام تحقيقه عند جميع علماء الذوق من أهل الله إلا طائفة من أصحابنا و غيرهم ممن ليس منا يرون خلاف ذلك و أن الممكن له فعل و أن الله قد فوض إلى عباده أن يفعلوا بعض الممكنات من الأفعال فكلفهم فعلها فقال أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ و أَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ و جاهِدُوا في الله و أمثال هذا فإذا أثبتوا أن للعبد فعلا لم يصح ترك عبودية التصريف و أما عبودية الإمكان فأجمعوا على كونها و أنه لا يتصور تركها فإن ذلك ذاتي للممكن

و بعض أصحابنا يلحظ في ترك العبودية كون الحق قوى العبد و جوارحه فإنه يغيب عن عبوديته في تلك الحال فهو ترك حال لا ترك حقيقة انتهى الجزء المائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثاني و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الاستقامة)

للمستقيم ولاية مخصوصة شملت جميع الكون في تخصيصها

للمستقيم تنزلت أرواحه بالطيب المكنون في تنصيصها

الاستقامة نزلت أربابها منها منازل لم تنل بخصوصها

هي نعته سبحانه في قصة قد قالها فانظره في منصوصها

جاءت هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم من غير قصد و كذلك أمثالها فإنما أنطق بما يجريه الله فينا من غير تعمل و لا روية اعلم وفقك الله أن الله أخبر عن نبيه و رسوله ع في كتابه أنه قال إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فوصف نفسه بأنه على صراط مستقيم و ما خطأ هذا الرسول في هذا القول ثم إنه ما قال ذلك إلا بعد قوله ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها فما ثم إلا من هو مستقيم على الحقيقة على صراط الرب لأنه ما ثم إلا من الحق آخذ بناصيته و لا يمكن إزالة ناصيته من يد سيده و هو على صراط مستقيم و نكر لفظ دابة فعم فأين المعوج حتى تعدل عنه فهذا جبر و هذه استقامة فالله يوفقنا لإنزال كل حكمة في موضعها فهنالك تظهر عناية الله بعبده لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً و هي أحكام الطريقة التي في قوله وَ مِنْهاجاً فكلها مجعولة بجعل الله فمن مشى في غير طريقه التي عين الله له المشي عليها فقد حاد عن سواء السبيل التي عين الله له المشي عليها كما أن ذلك الآخر لو ترك سبيله التي شرع الله له المشي عليها و سلك سبيل هذا سميناه حائدا عن سبيل الله و الكل بالنسبة إلى واحد واحد على صراط مستقيم فيما شرع له و لهذا خط رسول الله ص خطا و خط عن جنبتي ذلك الخط خطوطا فكان ذلك الخط شرعه و منهاجه الذي بعث به و قيل له قل لأمتك تسلك عليه و لا تعدل عنه و كانت تلك الخطوط شرائع الأنبياء التي تقدمته و النواميس الحكمية الموضوعة ثم وضع يده على الخط و تلا وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فأضافه إليه و لم يقل صراط الله و وصفه بالاستقامة و ما تعرض لنعت تلك الخطوط بل سكت عنها ثم قال فَاتَّبِعُوهُ الضمير يعود على صراطه وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ يعني شرائع من تقدمه و مناهجهم من حيث ما هي شرائع لهم إلا إن وجد حكم منها في شرعي فاتبعوه من حيث ما هو شرع لنا لا من حيث ما كان شرعا لهم فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني تلك الشرائع عن سبيله أي عن

طريقه الذي جاء به محمد ص و لم يقل عن سبيل الله لأن الكل سبيل الله إذ كان الله غايتها ذِلكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي تتخذون تلك السبيل وقاية تحول بينكم و بين المشي على غيره من السبل و هو قوله إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا من أي شرع كان إذا كان له الزمان و الوقت رَبُّنَا اللّٰه ثُمَّ اسْتَقَامُوا على طريقهم التي شرع الله لهم المشي عليها تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ و هذا التنزل هو النبوة العامة لا نبوة التشريع تتنزل عليهم بالبشر أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا فإنكم في طريق الاستقامة ثم قالوا لهم هؤلاء المبشرون من الملائكة نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا أي نحن كنا ننصركم في الحياة الدنيا في الوقت الذي كان الشيطان يلقي إليكم بلمته العدول عن الصراط الذي شرع لكم المشي عليه فكنا ننصركم عليه باللمة التي كنتم تجدونها في وقت التردد بين الخاطرين هل يفعل أو لا يفعل نحن كنا الذين نلقي إليكم ذلك في مقابلة إلقاء العدو فنحن أيضا أولياؤكم في الآخرة بالشهادة لكم إنكم كنتم تأخذون بلمتنا و تدفعون بها عدوكم فهذه ولايتهم في الآخرة و ولايتهم أيضا بالشفاعة فيهم فيما غلب عليهم الشيطان في لمته فيكون العبد من أهل التخليط فتشفع الملائكة فيه حتى لا يؤاخذ بعمل الشيطان فهذا معنى قوله وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ من شهادتنا لها و شفاعتنا فيها في هذا الموطن وَلَكُمْ (فِيها) ما تَدَّعُونَ من الدعة نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ بشهادتنا و شفاعتنا حيث قبلها فأسعدكم الله بها فستركم في كنفه و أدخلكم في رحمته هذا معنى الاستقامة المتعلقة بالنجاة و أما الاستقامة التي تطلبها حكمة الله فهي السارية في كل كون قال تعالى مصدقا لموسى ع أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فكل شيء في استقامة حاصلة فاستقامة النبات أن تكون حركته منكوسة و استقامة الحيوان أن تكون حركته أفقية و إن لم يكن كذلك لم ينتفع بواحد منهما لأن حركة النبات إن لم تكن منكوسة حتى يشرب الماء بأصولها لم تعط منفعة إذ لا قوة له إلا كذلك و كذلك الحيوان لو كانت حركته إلى العلو و قام على رجلين مثلا لم يعط فائدة الركوب و حمل الأثقال على ظهره و لا حصلت به المنفعة التي تقع بالحركة الأفقية فاستقامته ما خلق له فهي الحركة المعتبرة التي تقع بها المنفعة المطلوبة و إلا فالنبات و الحيوان لهما حركة إلى العلو و هو قوله وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ فلولا الحركة ما نما علوا و إنما غلبنا عليه الحركة المنكوسة للمنفعة المطلوبة فافهم ذلك فإن المتكلمين في هذا الفن ما حرر و الكلام في حقيقة هذه الحركات فالحركة في الوسط مستقيمة لأنها أعطت حقيقتها كحركة الأرض و حركة الكرة و الحركة من الوسط حركة العروج و الحركة إلى الوسط حركة النزول فحركة النزول ملكية و إلهية و حركة العروج حركة بشرية و كلها مستقيمة فما ثم إلا استقامة لا سبيل إلى المخالفة فإن المخالفة تشاجر ألا ترى أنه ما وقع التحجير على آدم إلا في الشجرة أي لا تقرب التشاجر و الزم طريقة إنسانيتك و ما تستحقه و اترك الملك و ما يستحقه و الحيوان و ما يستحقه و كل ما سواك و ما يستحقه و لا تزاحم أحدا في حقيقته فإن المزاحمة تشاجر و خلاف و لهذا لما قرب من الشجرة خالف نهي ربه فكان مشاجرا فذهبت عنه في تلك الحال السعادة

العاجلة في الوقت و ما ذهبت عنه استقامة التشاجر فإنه وفاها حقها بمخالفة النهي الإلهي اعوجاج القوس استقامته لما أريد له فما في الكون إلا استقامة فإن موجدة و هو الله تعالى على صراط مستقيم من كونه ربا فإن دخلت السبل بعضها على بعض و اختلطت فما خرجت عن الاستقامة استقامة الأخلاط و استقامة ما وجدت له فهي في الاستقامة المطلقة التي لها الحكم في كل كون و هي قوله وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ . . . وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ . . . فَاعْبُدْهُ أي تذلل له في كل صراط يقيمك فيه لا تذلل لغيره فإن غيره عدم و من قصد العدم لم تظفر يداه بشيء ثم إنه جاء بضمير الغائب في قوله فَاعْبُدْهُ أي لا تقل أنت المدرك فإن الأبصار لا تدركه إذ لو أدرك الغيب ما كان غيبا فاعبد ذاتا منزهة مجهولة لا تعرف منها سوى نسبتك إليها بالافتقار و لهذا تمم فقال وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ أي اعتمد عليه وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ قطع بهذا ظهر المدعين في هذا المقام إذا لم يكن صفتهم و لا حالهم و لا وصل إليهم علمه فالاستقامة سارية في جميع الأعيان من جواهر و أعراض و أحوال و أقوال كما قال وَ أَقْوَمُ قِيلًا و هي نعت إلهي و كوني جعلنا الله ممن لم يعدل عن استقامته إلا باستقامته آمين بعزته و أما الاستقامة بلسان عامة أهل الله فهي أن تقول الاستقامة عامة في الكون كما قررنا فما ثم طريق إلا و هو مستقيم لأنه ما ثم طريق إلا و هو موصل إلى الله و لكن قال الله تعالى لنبيه و لنا فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ لم يخاطبه بالاستقامة المطلقة فإنه قد تقرر أن إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ و أنه غاية كل طريق و لكن الشأن إلى أي اسم تصل و تصير من الأسماء الإلهية فينفذ في الواصل إليه أثر ذلك الاسم من سعادة و نعيم أو شقاوة و عذاب فمعنى الاستقامة الحركات و السكنات على الطريقة المشروعة و الصراط المستقيم هو الشرع الإلهي و الايمان بالله رأس هذا الطريق و شعب الايمان منازل هذا الطريق التي بين أوله و غايته و ما بين المنزلين أحواله و أحكامه و لما كان الصراط المستقيم مما تنزلت به الملائكة المعبر عنها بالأرواح العلوية و هي الرسل من الله إلى المصطفين من عباده المسمين أنبياء و رسلا جعل الله بينها و بين من تنزل عليه من هؤلاء الأصناف نسبا جوامع بينهما بتلك النسب يكون الإلقاء من الملائكة و بها يكون القبول من الأنبياء فكل من استقام بما أنزل على هؤلاء المسمين أنبياء و رسلا من البشر بعد ما آمن بهم أنهم رسل الله و أنهم أخذوا ما جاءوا به عن رسل آخرين ملكيين تنزلت الملائكة عليهم أيضا بالبشرى و كانت لمن هذه صفته جلساء و لما كانت هذه الأرواح العلوية حية بالذات كان الاسم الذي تولاها من الحضرة الإلهية الاسم الحي كما كان المتولي من الأسماء الإلهية لمن كانت حياته عرضية مكتسبة الاسم المحيي فما عقل الملك قط الأحياء بخلاف البشر فإنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم و لأهل هذه الحياة العرضية من العناصر ركن الماء قال تعالى وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ و قال وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فالماء أصل العناصر و الأسطقسات و العرش الملك و ما تم الملك و كمل إلا في عالم الاستحالة و هو عالم الأركان الذي أصله الماء و لو لا عالم الاستحالة ما كان

الله يصف نفسه بأنه كل يوم في شأن فالعالم يستحيل و الحق في شأن حفظ وجود أعيانه يمده بما به بقاء عينه من الإيجاد فهو الشأن الذي هو الحق عليه و ليس لغير عالم الاستحالة هذه الحقيقة و لما صار الماء أصلا لكل حي حياته عرضية كان من استقام سقاه الله ماء الحياة فإن كان سقي عناية كالأنبياء و الرسل حيي به من شاء الله و إن كان سقي ابتلاء لما فيه من الدعوى كان بحكم ما أريد بسقيه قال تعالى وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ فهذا سقي ابتلاء و إنما طلبت الاستقامة من المكلف في القيام بفرائض الله عليه فإن المكلف من جهة الحقيقة ملقى طريح عند باب سيده تجري عليه تصاريف الأقدار و ما أودع الله في حركات هذه الأكوار مما يجيء به الليل و النهار من تنوع الأطوار بين محو و إثبات لظهور آيات بعد آيات و قد جعل الله المكلف محلا للحياة و الحركات و طلب منه القيام من تلك الرقدة بما كلفه من القيام بحقه فأصعب ما يمر على العارفين أمر الله بالاستقامة و هو قوله تعالى فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا أي لا ترتفعوا عن أمره بما تجدونه في نفوسكم من خلقكم على الصورة الإلهية فتقولوا مثلنا لا يكون مأمورا فلا يعرف العلماء بالله هل وافق أمر الله إرادته فيهم أنهم يمتثلون أمره أو يخالفونه فلهذا صعب عليهم أمر الله و اشتد و هو قوله ع شيبتني هود فإنها السورة التي نزل فيها فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ و أخواتها مما فيها هذه الآية أو ما في معناها فهم من ذلك على خطر و طريق الاستقامة لا تتقيد مراتبه و لا تنضبط كما قال ص استقيموا و لن تحصوا يعني طرق الاستقامة و ما أحصيتم منها فلن تحصوا ما لكم في ذلك من الأجر و الخير و الظاهر إنما أراد لن تحصوا طرق الاستقامة فإنها كثيرة لن يسعها أحد منكم على التعيين و لهذا اتبع هذا القول بقوله و اعملوا و خير أعمالكم الصلاة و إذ لم تستطيعوا إحصاء طرق الاستقامة فخذوا الأفضل منها و ينظر إلى الاسم الحي المحيي بهذه العبادات الاسم القيوم و لهذا قيل للمكلف وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ فالقيوم أخو الحي الملازم له قال تعالى اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و قال الم اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و قال وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ فما جاء الاسم الحي إلا و القيوم معه فتدبر هذا الباب فإنه يحتوي على أسرار إلهية

(الباب الثالث و الثلاثون و مائة في مقام ترك الاستقامة)

أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ فلا تغرنك دار الغرور
و كل ما خالف ما قاله سبحانه فإنه قول زور
فكل معوج له غاية إليه حقا في جميع الأمور
فلا تعين واحدا أنه حكم بجهل حاصل أو قصور

فصلت الأشياء أغراضنا   إلى سعيد و إلى من يبور

و رجع الكل إلى قوله   أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

اعلم علمك الله أن ترك الاستقامة من أعلام الإقامة عند الله و الحضور معه في كل حال كما قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حق النبي ص من أنه كان يذكر الله على كل أحيانه فهو في الدنيا موصوف بصفة أرض الآخرة لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً و لما كانت الاستقامة تتميز بالاعوجاج و لا اعوجاج فلا استقامة مشهودة

فالكل في عين الوجود   على طريق واحد

و الكل في عين الرضي   من مؤمن أو جاحد

و قد يكون مشهد صاحب هذا الشهود النظر في إمكان العالم و الإمكان سبب مرضه و المرض ميل و الميل ضد الاستقامة و الإمكان للعالم نعت ذاتي لا يتصور زواله لا في حال عدمه و لا في حال وجوده فالمرض له ذاتي فالميل له ذاتي فلا استقامة فالعالم مرضه زمانة لا يرجى رفعها إلا إن الكون محل لوجود المغالطات لأمور تقتضيها الحكمة و يطلبها العقل السليم لعلمه بما يصلح الكون إذ شرع التكليف و لم يكن في الوسع أن تكون آحاد العالم على مزاج واحد فلما اختلفت الأمزجة كان في العالم العالم و الأعلم و الفاضل و الأفضل فمنه من عرف الله مطلقا من غير تقييد و منهم من لا يقدر على تحصيل العلم بالله حتى يقيده بالصفات التي لا توهم الحدوث و تقتضي كمال الموصوف و منهم من لا يقدر على العلم بالله حتى يقيده بصفات الحدوث فيدخله تحت حكم ظرفية الزمان و ظرفية المكان و الحد و المقدار و لما كان الأمر في العلم بالله في العالم في أصل خلقه و على هذا المزاج الطبيعي المذكور أنزل الله الشرائع على هذه المراتب حتى يعم الفضل الإلهي جميع الخلق كله فأنزل ليس كمثله شيء و هو لأهل العلم بالله مطلقا من غير تقييد و أنزل قوله تعالى أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ و هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و اللهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و هذا كله في حق من قيده بصفات الكمال و أنزل تعالى من الشرائع قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و هُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ و تَجْرِي بِأَعْيُنِنا و لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا فعمت الشرائع ما تطلبه أمزجة العالم و لا يخلو المعتقد من أحد هذه الأقسام و الكامل المزاج هو الذي يعم جميع هذه الاعتقادات و يعلم مصادرها و مواردها و لا يغيب عنه منها شيء فمثل هذا لا تتعين له الاستقامة لأنه لا يرى لهذه الحال ضدا تتميز به هذه الحالة لأنه فيها و الكون إذا كان في الشيء لا يدركه عينا و رؤية بصر و إن عرفه كما لا يدرك الهواء للقرب المفرط كذلك لا يدرك الحق للقرب المفرط فإنه أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ ف لا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فسبحان من خلق العالم للسعادة لا للشقاء فكان الشقاء فيه عرضا عرض له ثم يزول و ذلك لأن الله تعالى ما خلق العالم لنفس العالم و إنما خلقه لنفسه فقال فيه وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و نحن من الأشياء ثم قال في حقنا وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فما من أحد منا يتعزز على الله و لا يتكبر عليه و إن تكبر بعضنا على بعض و ما من صاحب نحلة و لا ملة و لا نظر إلا و تسأله عن طلبه فتجده مستوفر الهمة على طلب موجدة لأنه خلقه للمعرفة به و اختلفت أحوالهم في إدراك مطلوبهم لاختلاف أمزجتهم و نزلت الشرائع تصوب نظر كل ناظر و يتجلى لأهل الكشوف و الكل أهل كشف لكن بعضهم لا يدري أن مطلوبه قد أدركه و هو الذي خشع له و آخر قد علم أنه لا يرى سوى مطلوبه فالكل في عين الوجود و الشهود وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ فرحم الله الجميع و هذا معنى قوله وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و سيرد إن شاء الله في منزل الإنعام و الآلاء من هذا الكتاب ما أشرنا إليه في هذا الكلام فإنا جعلنا فيه أن الوجود مدرسة و أن الحق سبحانه هو رب هذه المدرسة و ملقي الدروس فيها على المتعلمين و هم العالم و الرسل هم المعيدون و الورثة هم المذنبون و هم معيدو المعيدين و العلوم التي يلقيها للمتعلمين في هذه المدرسة و إن كثرت فهي ترجع إلى أربعة أصناف صنف يلقى عليهم دروس موازين الكلام في الألفاظ و المعاني ليميزوا بها الصحيح من السقيم و إن كان الكل صحيحا عند العلماء بالله و إنما يسمى سقيما بالنظر إلى ضده أو غرض ما معين و العلم الثاني هو العلم بتنقيح الأذهان و تدريب الأفكار و تهذيب العقول لأن رب المدرسة إنما يريد أن يعرفهم بنفسه و هو الغاية المطلوبة التي لأجلها وضع هذه المدرسة و جمع هؤلاء الفقهاء فاستدرجهم للعلم به شيئا بعد شيء و بعضهم تجلى لهم ابتداء فعرفوه لصحة مزاجهم كالملائكة و الأجسام المعدنية و النباتية و الحيوانية و ما احتجب إلا عن الثقلين ففيهما وضع هذه العلوم ليتدربوا بها للعلم به و هو لا يزال خلف حجاب المعيدين و العقول ستر مسدل و باب مقفل و دروس يلقيها أيضا ليعلمهم بذلك ما سبب وجود هذه الهياكل و اختلافات أمزجتها و بما امتزجت و ما سبب عللها و أمراضها و صحتها و عافيتها و من أي شيء قامت و ما يصلحها و يفسدها و ما معنى الطبيعة فيها و أين مرتبتها من العالم و هل هي أمر وجودي عيني أو هي أمر وجودي عقلي و هل يخرج عنها شيء أو صنف من العالم أو لا حكم لها إلا في الأجسام المركبة التي تقبل الحل و التركيب و الكون و الفساد و ما أشبه هذا الفن و الدرس الرابع هو ما يلقيه من العلم الإلهي و ما يجب أن يكون عليه هذا المفتقر إليه الذي هو الله سبحانه و ما يستحيل أن ينعت به و ما يجوز فعله في خلقه و ما ثم درس خامس أصلا لأنه ليس وراء الله مرمى غير أن كل نوع من أنواع هذه العلوم ينقسم إلى علوم جزئية كثيرة يتسع المجال فيها فمن وقف مع شيء منها و لم يحضر من الدروس إلا درسها كان ناقصا عن غيره و من ارتفعت همته و علم أن هذه الدروس ليس المطلوب منها نفسها و لا وضعت لعينها و إنما المقصود منها تحصيل العلم بالله الذي

هو رب هذه المدرسة جعل في همته طلب هذا العلم الإلهي فمنهم من طلبه بمقدمات هذه العلوم و هو طلب عقلي و منهم من طلبه من المعيد و اقتصر عليه فإنه رأى بينه و بين المدرس وصلة و رأى رسولا يخرج إليه من خلف الحجاب يعرفه بأمور يلقيها على الحاضرين و أوقات يدخل المعيد إليه ثم يخرج من عنده فقال هذا الطالب العلم بالله من جهة هذا المعيد أحق و أوثق للنفس من أن تتخذ دليلا نظريا أو فكريا مما تقدم من هذه العلوم الأخر فلما أخذ علمه من المعيد كان وارثا و صار معيدا للمعيد و هو المذنب و يسمى في الشرع الوارث و هم ورثة الأنبياء

(الباب الرابع و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الإخلاص)

من أخلص الدين فذاك الذي لنفسه الرحمن يستخلصه

فكل نقصان إذا لم يكن في كونه فإنه ينقصه

اعلم أن الاسم الأحد ينطلق على كل شيء من ملك و فلك و كوكب و طبيعة و عنصر و معدن و نبات و حيوان و إنسان مع كونه نعتا إلهيا في قوله قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ و جعله نعتا كونيا في قوله وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً و ما من صنف ذكرناه من هؤلاء الأصناف الذين هم جميع ما سوى الله و قد حصرناهم إلا و قد عبد منهم أشخاص فمنهم من عبد الملائكة و منهم من عبد الكواكب و منهم من عبد الأفلاك و منهم من عبد العناصر و منهم من عبد الأحجار و منهم من عبد الأشجار و منهم من عبد الحيوان و منهم من عبد الجن و الإنس فالمخلص في العبادة التي هي ذاتية له أن لا يقصد إلا من أوجده و خلقه و هو الله تعالى فتخلص له هذه العبادة و لا يعامل بها أحدا ممن ذكرناه أي لا يراه في شيء مما ذكرناه لا من حيث عين ذلك الشيء و لا من حيث نسبة الأحدية له فإن الناظر أيضا له أحدية فليعبد نفسه فهو أولى له و لا يذل لاحدية مثله إذ و لا بد من ذلته لغير أحدية خالقه فيكون أعلى همة ممن ذل لاحدية مخلوق مثله و ما من شيء من المخلوقات إلا و فيه نفس دعوى ربوبية لما يكون عنه في الكون من المنافع و المضار فما من شيء في الكون إلا و هو ضار نافع فهذا القدر فيه من الربوبية العامة و بها يستدعي ذلة الخلق إليه ألا ترى الإنسان على شرفه على سائر الموجودات بخلافته كيف يفتقر إلى شرب دواء يكرهه طبعا لعلمه بما فيه من المنفعة له فقد عبده من حيث لا يشعر كرها و إن كان من الأدوية المستلذة لمزاج هذا المريض و هو قد علم إن استعماله ينفعه فقد عبده من حيث لا يشعر طوعا و محبة و كذا قال الله وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً و خذ الوجود كله على ما بينته لك فإنه ما من شيء في الكون إلا و فيه ضرر و نفع فاستجلب بهذه الصفة الإلهية نفوس المحتاجين إليه لافتقارهم إلى المنفعة و دفع المضار فأداهم ذلك إلى عبادة الأشياء و إن لم يشعروا و لكن الاضطرار إليها يكذبهم في ذلك فإن

الإنسان يفتقر إلى أخس الأشياء و أنقصها في الوجود و هو مكان الخلاء عند الحاجة يترك عبادة ربه بل لا يجوز له في الشرع أداؤها و هو حاقن فيبادر إلى الخلاء و لا سيما إذا أفرطت الحاجة فيه و اضطرته بحيث تذهب بعقله ما يصدق متى يجد إليه سبيلا فإذا وصل إليه وجد الراحة عنده و ألقى إليه ما كان أقلقه فإذا وجد الراحة خرج من عنده و كأنه قط ما احتاج إليه و كفر نعمته و استقذره و ذمه و هذا هو كفر بالنعمة و المنعم و لما علم الله ما أودعه في خلقه و ما جعل في الثقلين من الحاجة إلى ما أودع الله في الموجودات و في الناس بعضهم لبعض قال فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً أي لا يشوبه فساد وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً أي لا يذل إلا لله لا لغيره و أمر أن نعبده مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و قال أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ و هو الدين المستخلص من أيدي ربوبية الأكوان فإذا لم ير شيئا سوى الله و أنه الواضع أسباب المضار و المنافع لجأ إلى الله في دفع ما يضره و نيل ما ينفعه من غير تعيين سبب فهذا معنى الإخلاص و لا يصح وجود الإخلاص إلا من المخلصين بفتح اللام فإن الله إذا اعتنى بهم استخلصهم من ربوبية الأسباب التي ذكرناها فإذا استخلصهم كانوا مخلصين بكسر اللام و إنما أضاف إليهم الإخلاص ابتلاء ليرى هل يحصل لهم امتنان بذلك على الحق أم لا و قد وجد في قوله يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فإن منوا بذلك وبخوا و نبهوا بقوله بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في دعواكم إنكم مؤمنون فعراهم من هذه الصفة أن تكون لهم كسبا فينبغي للعاقل أن لا يأمن مكر الله في إنعامه فإن المكر فيه أخفى منه في البلاء و أدنى المكر فيه إن يرى نفسه مستحقا لتلك النعمة و أنها من أجله خلقت فإن الله ليس بمحتاج إليها فهي لي بحكم الاستحقاق هذا أدنى المكر الذي تعطيه المعرفة و يسمى صاحبه عارفا في العامة و هو في العارفين جاهل إذ قد بينا فيما قبل إن الأشياء إنما خلقت له تعالى لتسبح بحمده و كان انتفاعنا بها بحكم التبعية لا بالقصد الأول ففطر العالم كله على تسبيحه بحمده و عبادته و دعا الثقلين إلى ذلك و عرف أن لذلك خلقهم لا لأنفسهم و لا لشيء من المخلوقات مع ما في الوجود من وقوع الانتفاع بها بعضها من بعض و قال تعالى في الحديث الغريب الصحيح من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء و هو للذي أشرك فطلب من عباده إخلاص العمل له فمنهم من أخلصه له جملة واحدة فما أشرك في العمل بحكم القصد فما قصد به إلا الله و لا أشرك في العمل نفسه بأنه الذي عمل بل عمله خلق لله فالأول عموم و الثاني خصوص و هو غاية الإخلاص و لا يصح إخلاص إلا مع عمل أعني في عمل فإنه لا بد من شيء يكون مستخلصا بفتح اللام و حينئذ يجد الإخلاص محلا يكون لذلك العمل يسمى به العمل خالصا و العامل مخلصا و الله الموفق لذلك

(الباب الخامس و الثلاثون و مائة في معرفة ترك الإخلاص و أسراره)

من أخلص الدين فقد أشركا و قيد المطلق من وصفه

من يجهل الأمر فذاك الذي يدرك ذات المسك من عرفه

قال رجل للجنيد و من العالم حتى يذكر مع الله و كان من أهل الأحوال و قال تعالى أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰه و قال بعضهم رؤية الإخلاص منك في العمل مجوسية محضة يريد الشرك و إنما ينبغي أن يشاهد المكلف مجرى العمل و منشئه و كان أبو مدين يأمر أصحابه بإظها ر الطاعات فإنه لم يكن عنده فاعل إلا الله و التخليص يؤذن بالمنا زع و لا بد للمنا زع أن يطلب من المكلف أن يكون عبدا له و العمل من جملة أفعال الله الذي المكلف مظهرها فأجهل الناس من يجعل موجد الفعل تحت طاعة من يفعل من أجله و هو إما إبليس و إما الرياء إذا كان المكلف يقوم إلى العمل بهذه النية و المنا زع ما هو هناك فالمخلص أثبت العدم وجودا و جهل الأمر على ما هو في نفسه فمن حكم عليه ما ذكرناه و رأى نواصي كل دابة بيد الله و رأى ربه على صراط مستقيم و من أخذ بناصيتك لم يعدل بك عن طريقه الذي هو عليه فاذن لم يكن الإخلاص إلا عبا رة عن رؤيته في مشهد ما معين لا في كل مظهر و هو في كل مظهر و لا يقد ر صاحب هذه الحال أن يرى حجابا بينه و بين مشهوده فلا يتمكن له أن يميز شيئًا من شيء فإن العين واحدة و هي على صراط مستقيم

(الباب السادس و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الصدق و أسرا ره)

الصدق سيف الله في أرضه فاصدق ترى الصادق من عرضه

فإن أتى الدجال فاضرب به هامته بالحد من عرضه

فالسيف محصور بحديه في نفل من الفعل و في فرضه

و لا تقل هذا محال فقد يفرضه الفارض في فرضه

فكم غنى يظهر الفقر إذ يستقرض المسكين من قرضه

الصدق شدة و صلابة في الدين و الغيرة لله من أحواله و لصاحبه المتحقق به الفعل بالهمة و هو قوة الايمان قيل لأبي يزيد ما اسم الله الأعظم الذي به تنفعل الأشياء فقال أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم ما هو إلا الصدق أصدق و خذ أي اسم شئت أسماء الله كلها عظيمة قال تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ أي أصدق حبا لله من حب المشركين لمن جعلوهم شركاء و الصادق من أسمائه و قال تعالى لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ و لهذا له الدعوى فلا يكون الصادق صادقا ما لم يقم الصدق به فإذا قام به كان له ذوقا و كان كونه صادقا حال صدقه و هو قد تسمى بالصادق فلهذا يسألهم هل صدقهم هو النعت الإلهي الذي به تسمى الله بالصادق أم لا فإن كان هو طالبهم بأن يقوموا بأحكامه قيامه فلا يغلبهم شيء و لا يقاومهم في حال صدقهم فيكون الله صدقهم كما كان سمعهم و بصرهم

النسبة واحدة فإن لم يحكموا هذا المقام و لا وجدوا منه هذه الحال فما هو هذا الصدق الذي هو النعت الإلهي بل هو أمر ظهر بصورة الصدق ظهور الشبهة بصورة الدليل و كما لا وجه للشبهة لا حقيقة لهذا الصدق و هذا معنى قول الله هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ فلا يؤثر فيهم عوارض يوم القيامة بل تخاف الناس و لا يخافون و تحزن الناس و لا يحزنون و قال في حق طائفة فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ هذا حكمه في النطق فكيف في جميع الأحوال و الصدق إذا جاء من خارج جاء بغير صورته فإنه ظهر في مادة إمكانية فلم يؤثر أثرا في كل من جاء إليه فإن كان في المحل صدق الايمان ميزه و عرفه في المادة التي ظهر فيها فقبله و عمل بمقتضاه فكان نورا على نور لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ كما زاد من ليست له حالة الصدق رجسا إلى رجسهم و الصدق بذاته مؤثر حيث ظهر عينه ظهر حكمه و من ليست له هذه الحال المؤثرة في الوقت فهو غائب عن صدقه في ذلك الوقت و لا بد و يدعيه من مكان بعيد فالصدق من حيث تعلقه بالكون هو حال و من حيث تعلقه من الصادق بالله هو مقام فمن حيث هو مقام لا يكون عنه أثر فإن تعلقه بالله و الله ليس بمحل لتأثر الأكوان فيكون صاحبه صادق التوجه إلى الله فإن ظهر عمن هذه صفته أثر في الكون فعن غير تعمل و لا قصد إنما ذلك إلى الله يجريه على لسانه أو يده و لا علم له به فإن أثر على علم و ادعى أنه صادق مع الله فهو إما جاهل بالأمر و إما كاذب و هذا ليس من صفة أهل الله فحال الصدق يناقض مقامه و مقامه أعلى من حاله في الخصوص و حاله أشهر و أعلى في العموم و كان للإمام عبد القادر على ما ينقل إلينا من أحواله حال الصدق لا مقامه و صاحب الحال له الشطح و كذلك كان رضي الله عنه و كان للإمام أبي السعود بن الشبلي تلميذ عبد القادر مقام الصدق لا حاله فكان في العالم مجهولا لا يعرف و نكرة لا تتعرف نقيض عبد القادر عجزا محققا لتمكنه في مقام الصدق مع الله كما كان عبد القادر محققا متمكنا في حال الصدق فرضي الله عنهما فما سمعنا في زماننا من كان مثل عبد القادر في حال الصدق و لا مثل أبي السعود في مقام الصدق فالصدق الذي هو نعت إلهي لا يكون إلا لأهل الله و الصدق الذي في معلوم الناس سار في كل صادق من مؤمن و كافر و هذا الصدق للصدق الإلهي كالظل للشخص فهو ظله و لهذا يظهر أثره في كل صادق من كل ملة و لو لم يكن ظلا له ما صح عنه أثر فاجعل بالك لما أشرنا إليه و بسطناه فالناس عنه في عماية و عن أمثاله من المقامات و الأحوال

فلو لا الصدق ما كان الوجود   و لولاه لما كان الشهود

(الباب السابع و الثلاثون و مائة في معرفة مقام ترك الصدق و أسراره)

الصدق يخرج عن ضعف العبودة إذ   هو الصدوق الشديد القهر للنفس
و كل ما حال بين العبد في طبق   و ضعفه فاتركنه خيفة اللبس

إذ ليس يقهر إلا من يماثله و لا يماثله شخص من الإنس
و هو الأتم وجودا من مغايره و كل غير ففي قيد و في حبس
فإنه أحد و خلقه عدد و الفصل ليس له حكم بلا جنس

لما كان الصدق يطلب المماثلة و إن كان محمودا فرجال الله أنفوا من الاتصاف به مع حكمه فيهم و ظهور أثره عليهم غير أنه ليس مشهودا لهم ثم نظروا إليه من كونه نعتا إلهيا فلم يجدوا له عينا هناك و رأوا تعلق الصدق الإلهي إنما هو فيما وعد لا في كل ما أوعد و من شرط النعت الإلهي عدم التقييد فيما هو متعلق له فعلموا أنه نعت إضافي لاختصاصه ببعض متعلقاته فلما رأوه على هذا أوجبوا ترك مشاهدته فإنهم كالناظرين في أمر معدوم لا وجود له و الصدق و إن كان نسبة و ليست له عين موجودة فله درجات فدرجاته في العارفين من أهل الأسرار مائة و خمس و تسعون درجة و في العارفين من أهل الأنوار مائتان و خمس و عشرون و في الملامية من أهل الأسرار مائة و أربع و ستون درجة و في الملامية من أهل الأنوار مائة و أربع و تسعون درجةو أنا أعطيك أصلا مطردا في كل ما أذكره من ترك كل ما نثبته إنما أريد بذلك ترك شهوده لا ترك أثره فإن حكمه لا يتمكن أن يقول فيه ليس فإنه موجود مشهود لكل عين فعلى هذا تأخذ كل ما أذكره في هذا الكتاب من التروك فاعلم ذلك

(الباب الثامن و الثلاثون و مائة في معرفة مقام الحياء و أسراره)

إن الحياء من الايمان جاء به لفظ النبي و خير كله فبه
فليتصف كل من يرعى مشاهده و ليس يعرف هذا غير منتبه
مستيقظ غير نوام و لا كسل مراقب قلبه لدى تقلبه
إن الحي من أسماء الإله و قد جاء التخلق بالأسماء فأحظ به

ورد في الخبر أن الحيي اسم من أسماء الله تعالى و قال تعالى إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها يعني في الصغر و هو من صفات الايمان و من صفات المؤمن و من أسمائه تعالى المؤمن فالحيي نعت للمؤمن فإن الحياء من الايمان و الحياء خير كله و الحياء لا يأتي إلا بخير و هذه كلها أخبار صحيحة و حقيقتها أعني هذه الصفة الترك لأن الترك من كل موجود بقاء على الأصل و العمل فرع وجودي زائد على الأصل فلهذا قيل فيه خير كله فالحياء نعت سلبي فالعبد إذا ترك ما لله و ما يقول الكون إنه للعبد من الأمور الوجودية يتركه أيضا لله على حقيقة ما يترك ما هو لله بالإجماع من كل نفس لله فقد استحيا من الله حق الحياء و من ترك ما لله لله خاصة فقد استحيا

من الله و لكن لا حق الحياء و ذلك أن النعوت التي نعت الحق بها نفسه من المسمى إخبا ر التشبيه و آيات التشبيه على ما يزعم علماء الرسوم و أنه تنزل إلهي رحمة بالعباد و لطفا إلهيا و هو عندنا نعت حقيقي لا ينبغي إلا له تعالى و أنه في العبد مستعا ر كسائر ما يتخلق به من أسمائه فإنه خَيْرُ الْماكِرِينَ و الله يستهزئ بالمستهزئين من عباده باستهزاء و مكر هو له من حيث لا يشعرون و هو لا يصف نفسه بالحوادث فدل إن هذه النعوت بحكم الأصالة لله و ما ظهرت في العبد الإلهي إلا لكونه خلق على الصورة من جميع الوجوه و لما عرف العا رفون هذا و رأوا قوله تعالى وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و هذه النعوت الظاهرة في الأكوان التي يعتقد فيها علماء الرسوم أنها حق للعبد من جملة الأمور التي ترجع إلى الله تركوها لله لاستحيائهم من الله حق الحياء و هو من نعوت الاسم المؤمن و المؤمن المصدق بأن هذه النعوت له أزلا و إن لم يظهر حكمها إلا في المحدثات فالحياء يدخل في الصدق و لهذا قال الحياء من الايمان و أما قوله ص في الحياء إنه لا يأتي إلا بخير فهي كلمة صحيحة صادقة فإن البقاء على الأصل لا يأتي إلا بخير فإنها لا تصحبها دعوى فهو قابل لكل نعت إلهي يريد الحق أن ينعته به و ما في المحل ضد يرده و لا مقابل يصده فيبقى الحق يفعل ما يريد بغير معا رض و لا منا زع و أما نعت الحق به فهو تركه العبد يتصف بنعوت الحق و يسلمها له و لا يخجله فيها بل يصدقه و يعلى بها رتبته و لا يكذبه في دعواه فإنه مجلاه فهذا من كون الحق حيا ورد في الخبر أن شيخا يوم القيامة يقول الله له يا عبدي عملت كذا و كذا لأمور لم يكن ينبغي له أن يعملها فيقول يا رب ما فعلت و هو قد فعل فيقول الحق سيروا به إلى الجنة فتقول الملائكة التي أحصت عليه عمله يا ربنا أ لست تعلم أنه فعل كذا و كذا فيقول بلى و لكنه لما أنكر استحييت منه أن أكذب شيبته فإذا كان الحق يستحي من العبد أن يكذب شيبته و يوقره فالعبد بهذه الصفة أولى و للحياء د رجات عند العا رفين و عند الملامتين فد رجاته في العا رفين إحدى و خمسون د رجة و في الملامتين عشرون د رجة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الواحد و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(فصل) لما كان الحياء صفة تنسب إلى الايمان فهو من ذات الايمان كان أثره من ظاهر صورة الإنسان في الوجه إذ الوجه ذات الشيء و عينه و حقيقته فالحياء ينقسم كما ينقسم الايمان إلى بضع و سبعين شعبة أرفعها لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و المناسبة بين العالي و الدون أن الشرك أذى في طريق التوحيد إماطته الأدلة العقلية و الإنباءات الشرعية لما جعلته في طريق التوحيد الشبه المضلة و الأهواء الشيطانية و صورة الحياء الذي يد رك الموحد في توحيده و يزيل الأذى من طريق الخلق تلفظه بنفي الإله قبل وصوله إلى إيجابه إلى من يستحقه و هو قوله لا إله و النفي عدم فوقع الحياء من العبد المؤمن حيث بدأ بالعدم و هو عينه لأن المحدث نعته

تقدم حال العدم عليه ثم استفاد الوجود الذي هو بمنزلة الإيجاب لما وقع عليه النفي و لم يتمكن للمحدث أن يقول إلا هذا لأنه لا يصح العدم بعد الوجود و لا النفي بعد الإثبات فإنه لو تجلى له الحق ابتداء لم ينفه في الشريك لأنه كان يراه عينه لو كان له وجود و إن لم يكن له وجود فيكون نظر الموحد عند وقوعه على وجود الحق لا يتمكن أن يرى مع هذا الوجود عدما فكان لا يتلفظ بكلمة التوحيد أبدا و لا يرى نفسه أبدا فمن رحمة الله تعالى بالإنسان أنه أشهده أولا نفسه فرأى في نفسه قوى ينبغي أن لا تكون إلا لمن هو إله فلما حقق النظر بعقله و نظر إلى العوارض الطارئة عليه بغير إرادته و مخالفة أغراضه و وجد الافتقار في نفسه علم قطعا إن عين وجوده شبهة و أن هذه الصفات لا ينبغي أن تكون لمن هو إله فنفى تلك الألوهة التي قامت له من نفسه فقال لا إله ثم إنه لما أمعن النظر وجد نفسه قائما بغيره غير مستقل في وجوده فأوجب فقال عند ذلك إلا الله فلما أثبت نظر إلى هذا الذي أثبته فرآه عين صورة ما نفاه مرتبطا به ارتباط الظل بالشخص بنور العلم الذي فتح عينه إلى هذا الإدراك و قد كان نفاه بقوله لا إله فاستحى كيف أطلق لا إله و لهذا جعلته طائفة من أذكار العموم و كان بعض شيوخنا لا يقول في ذكره سوى لفظة الله الله كان لا يقول لا إله إلا الله فسألته عن ذلك فقال إن روحي بيد الله ما هي في حكمي و في كل نفس أنتظر الموت و اللقاء و كل حرف من حروف الكلام نفس فيمكن إذا انصرف أن تكون المفارقة في انصرافه و لا يأتي من الله بعده نفس آخر فإذا قلت لا أو عشت حتى أقول لا إله ثم أفارق قبل الوصول إلى الإيجاب فأقبض في وحشة النفي لا في أنس الإيجاب فلهذا عدلت إلى ذكر الجلالة إذ ليس لي مشهود سواه فمن كان هذا حاله فلا بد أن يستحيي في قوله لا إله إلا الله و هو أشد الحياء فكانت أرفع شعب الايمان فكانت أرفع شعب الحياء من الله حيث نظر إلى نفسه قبل نظره إلى خالقه و هو قوله ص من عرف نفسه عرف ربه و قوله سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ إذ كان عين ما نفى عين ما أثبت فإنه ما نفى إلا الإله و لا أثبت إلا الإله و أما حياؤه في إماطته الأذى عن طريق الخلق فإنه مأمور بإماطته ثم إنه يرى وجه الحق فيه بالضرورة لأنه أدنى المراتب فهو بمنزلة الآخر من الأسماء الإلهية و إليه ينظر كما كان لا إله إلا الله الاسم الأول و جاءت الهوية فأخذت الاسمين لها فقالت هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ فبقي مترددا بين حق ما يستحقه الاسم الآخر الظاهر في كون هذا أذى في طريق الخلق و يرى أن الخلق متصرفون بأسماء إلهية بين هذين الاسمين فلا تقع عين هذا المؤمن إلا على الله أولا و آخرا و ما بينهما و الأمر متوجه عليه بالإماطة فيستحيي من الأمر أن لا يبادر لما أمره به من الإماطة و يستحيي من الاسم الآخر الذي يراه في عين الأذى فإذا أدركه هذا الحياء ناداه الاسم من الأذى يا فلان بي تميط هذا الأذى عن طريق الخلق فإنا في الأذى كما أنا في الإماطة ما أزلته بغيري فلا تستحي انظر في قوله أدناها إماطة الأذى فعلق الأذى بالإماطة و هو آخر درجات الايمان فنحن في عين الإماطة ما نحن غيرها فيتجبر عند ذلك صاحب

هذه الحال فيميطه به كما نفى الإله بالإله و إذا كان حال العبد في حيائه من الله في الأول و الآخر و الأعلى و الأدون انحصرت المتوسطات بين هذين الطرفين فكان معصوم الحال محفوظ المقام كالصلاة تحريمها التكبير و تحليلها التسليم فظهرت المنة في الطرفين ليسلم الوسط بينهما و سبب ذلك الحصر فتبين لك بعد ما أوقفتك عليه من الحقائق أن الحياء من الله أن يراك حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك فعم بهذا جميع شعب الايمان و هو مقام يصحبه الأمر و النهي و التكليف فإذا انقضى زمان التكليف كان ينبغي له أن يزول و ليس الأمر كذلك فاعلم أنه من حقيقة وجود الحياء وجود العلم بما يجب لله تعالى و أنت القائم به و المطلوب عقلا و شرعا و محال أن يقد ر مخلوق على الوفاء بما يجب لله تعالى عليه من تعظيمه عقلا و شرعا و لا بد له من لقاء ربه و شهوده و مقامه هذا فالحياء يصحبه في الدنيا و الآخرة لأنه لا يزال ذاكرا لما يجب عليه و ذاكر العدم قيامه في حق الله بما يجب له و قد ورد في الخبر ما يؤيد هذا أن الحق إذا تجلى لعباده يوم الزور الأعظم و يرفع الحجب عن عباده فإذا نظروا إليه جل جلاله قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فهذا الاعتراف أوجبه الحياء من الله عز و جل فالحياء أنطقهم بذلك

(الباب التاسع و الثلاثون و مائة في معرفة مقام ترك الحياء)

ترك الحياء تحقق و تخلق | جاءت به الآيات في القرآن
فله النفاسة و النزاهة عندنا | إذ لا تخاف بمنزل العدوان
هذي هي الدنيا و أنت إمامها | وعبيدها بالنقص و الرجحان
فإذا فهمت الأمر يا هذا فكن | مثل اللسان بقية الميزان
لا تعدلن إلى الشمال فإنه | نقص و مل طلبا إلى الايمان
فهو الكمال لمن تحقق حالة | الإسلام و الايمان و الإحسان

ترك الحياء في موطنه نعت إلهي قال الله تعالى إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما و سبب ذلك من وجهين إما أن يكون ما في الوجود إلا الله فالوجود كله عظيم فلا يترك منه شيء لأن الحياء ترك فهو نعت سلبي و ترك الترك تحصيل فهو نعت ثبوتي فلا إله نعت سلبي و إلا الله نعت ثبوتي فما جئنا بالسلب إلا من أجل الإثبات فما جئنا بالحياء إلا من أجل تركه فإن الحياء للتفرقة و ترك الحياء لاحدية الجمع لا للجمع هذا هو الوجه الواحد و إما أن يكون في الوجود أعيان الممكنات التي لا قيام لها إلا بالله فينبغي إن لا يترك شيء منها لارتباط كل شيء منها بحقيقة إلهية هي تحفظه و قد ثبت أن الممكنات لا تتناهى فالحقائق و النسب الإلهية لا نهاية لها و لا يصح أن يكون في

الإلهيات تفاضل لأن الشيء لا يفضل نفسه و لا مفاضلة في هذه الأعيان إلا بما تنتسب إليه لأنه لا فضل لها من ذاتها و لا مفاضلة هناك فلا مفاضلة هنا فكما هو الأول هو الآخر كذلك العقل الأول الجماد و كما هو الظاهر هو الباطن كذلك عالم الغيب و الشهادة فما ثم تافه و لا حقير فإن الكل شعائر الله وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها من تَقْوى الْقُلوبِ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى زمان نظركم في نفوسكم بها و الأجل المسمى هو أن يكشف لكم عنكم إنكم ما هم أنتم إذ من حقيقته عدم الوجود فالوجود له معا ر فإذا تبين لكم إنكم ما هم أنتم و هو الأجل المسمى كان محلها و هو مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ و هو القديم الذي لا يقبل الحدوث فرأيتم إن الصفة تطلب موصوفها فزلتم أنتم من كونكم شعائر الله و صا ر الحق دليلا على نفسه إذ كان من المحال أن يدل شيء على شيء دلالة علم محقق فلا أدل من الشيء على نفسه و لهذا إذا حددت الأمر الظاهر ترده غامضا و لهذا لا تطلب حدود الأمور الظاهرة كمن يطلب حد النها ر و هو فيه و هو أوضح الأشياء لا يقدر أن يجهله و إذا كان الأمر كما ذكرنا فلا يستحي فلا حياء و لا حكم له بل يضرب الأمثال و يقيم الأشكال و يعلم لمن يخاطب و من يفهم عنه ممن لا يفهم و لكل فهم فلو وجد عند السامع ما هو أخفى من البعوضة لجاء بها كما قد جاء بذلك مجملا بقوله فَما فَوْقَها فأمرك و علمك في هذه الآية أن لا تترك شيئا إلا و تنسبه إلى الله و لا يمنعك حقا رة ذلك الشيء و لا ما تعلق به من الذم عرفا و شرعا في عقدك ثم تقف عند الإطلاق فلا تطلق ما في العقد على كل شيء و لا في كل حال وقف عند ما قال لك الشا رع قف عنده فإن ذلك هو الأدب الإلهي الذي جاء به الشرع و الأدب جماع الخير و في إيراد الألفاظ يستعمل الحياء لأنك تترك بعضها كما أمرت و في العقد لا تترك شيئا لا تنسبه إلى الله و هو مقام ترك الحياء فعامل الله تعالى بحسب المواطن كما رسم لك و لا تنا زع وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإنك إذا قلت ذلك لم تزل في مزيد جانيا ثمرة الوجوب

(الباب الأربعون و مائة في معرفة مقام الحرية و أسرا ره و هو باب خطر)

عبد الهوى آبق عن ملك مولاه — و ليس يخرج عنه فهو تياه
الحر من ملك الأكوان أجمعها — و ليس يملكه مال و لا جاه
فإن تعرض للتكوين أبطل ما — قد كان أصله من ملك مولاه

اعلم وفقك الله أن الحرية مقام ذاتي لا إلهي و لا يتخلص للعبد مطلقا فإنه عبد لله عبودية لا تقبل العتق و أحلناها في حق الحق من كونه إلها لا رتباطه بالمألوه ا رتباط السيادة بوجود العبد و المالك بالملك و الملك بالملك انظر في قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ . . . وَيَأْتِ بِآخَرِينَ فنبه بإتيان قوم آخرين على هذا الا رتباط فإنه يلزم من حقيقة الإضافة عقلا و وجودا تصور المتضايفين فلا حرية مع الإضافة و الربوبية

و الألوهية إضافة و لما لم يكن بين الحق و الخلق مناسبة و لا إضافة بل هو الغني عن العالمين و ذلك لا يكون لذات موجودة إلا لذات الحق فلا يربطها كون و لا تدركها عين و لا يحيط بها حد و لا يفيدها برهان وجدانها في العقل ضروري كما إن نفي صفات التعلق التي تدخلها تحت التقييد نظري فإذا أراد العبد التحقق بهذا المقام فإنه مقام تحقق لا مقام تخلق و نظر أنه لا يصح له ذلك إلا بزوال الافتقار الذي يصحبه لإمكانه و يرى أن الغيرة الإلهية تقتضي أن لا يتصف بالوجود إلا الله لما يقتضيه الوجود من الدعوى فعلم بهذا النظر أن نسبة الوجود إلى الممكن محال لأن الغيرة حد مانع من ذلك فنظر إلى عينه فإذا هو معدوم لا وجود له و أن العدم له وصف نفسي فلم يخطر له الوجود بخاطر فزال الافتقار و بقي حرا في عدميته حرية الذات في وجودها ثم إنه أراد أن يعرف ما يناسب الأسماء الإلهية التي لهذه الذات من ذات الممكن المعدوم فرأى إن كل عين من عيون الممكنات على استعداد لا يكون في غيره ليقع التمييز بين الأعيان فما وقع بين ذات الممكن و ذات الحق بالوجود للحق الواجب و العدم للممكن الواجب فجعل هذه الاستعدادات له بمنزلة الأسماء للحق و الوجود في أعيان الممكنات لله تعالى فإذا ظهر في عين من أعيان الممكنات لنفسه باسم ما من الأسماء الإلهية أعطاه استعداد تلك العين اسما حادثا تسمى به فيقال هذا عرش و هذا عقل و هذا قلم و لوح و كرسي و فلك و ملك و نار و هوى و ماء و أرض و معدن و نبات و حيوان و إنسان ما بين أجناس و أنواع ثم سرت هذه الحقيقة في الأشخاص فيقال زيد و عمرو و هذا الفرس و هذا الحجر و هذه الشجرة هذا كله أعطاه استعداد أعيان الممكنات فاستدللت بآثارها في الوجود على ما هي عليه من الحقائق في ذاتها كما استدللت بآثار الأسماء في الوجود على الأسماء الإلهية و ما للمسمى عين يقع عليها الإدراك فإذا وقف الممكن مع عينه كان حرا لا عبودية فيه و إذا وقف مع استعداداته كان عبدا فقيرا فليس لنا مقام في الحرية المطلقة إلا أن يكون مشهدنا ما ذكرناه فلا تحدث نفسك بغير هذا و من لا يشهد هذا المقام فإنه لا يعلم أبدا مدلول قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ أي هو غني عن الدلالة عليه إذ لو أوجد العالم للدلالة عليه لما صح له الغني عنه فاعلم المعرفة من نصب العالم دليلا و على من يدل و هو أظهر و أجلي من أن يستدل عليه بغير أو يتقد تعالى بسوى إذ لو كان الأمر كذلك لكان للدليل بعض سلطنة و فخر على المدلول و لو نصبه المدلول دليلا لم ينفك هذا الدليل عن مرتبة الزهو بكونه أفاد الدال به أمرا لم يتمكن للمدلول أن يوصل إليه إلا به فكان يبطل الغني و الحرية و هما ثابتان لله تعالى فما نصب الأدلة عليه و إنما نصبها على المرتبة ليعلم أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فهذا لسان الخصوص في الحرية و أما لسان العموم فالحرية عند القوم من لا يسترقه كون إلا الله فهو حر عن ما سوى الله فالحرية عبودة محققة لله فلا يكون عبد الغير الله الذي خلقه ليعبده فوفى بما خلق له فقيل فيه نعم العبد إنه أواب أي رجاع إلى العبودة التي خلق لها لأنه خلق محتاجا إلى كل ما في الوجود فما في الوجود شيء إلا و يناديه بلسان فقر هذا العبد أنا الذي يفتقر إلي

فا رجع إلي فإذا كان عالما بالأمور علم إن الحق عند من ناداه و أنه فقير إلى ذلك السبب لكونه مستعدا لهذا الفقر إليه فإذا بحقيقته افتقر ثم نظر إلى معطي ما هو محتاج إليه في هذا السبب فرآه الاسم الإلهي فما افتقر إلا إلى الله من اسمه و لا افتقر إلا بنفسه من أثر استعداده فعلم ما الفقر و من افتقر و من افتقر إليه فلهذا أمرص أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فقد نبهتك على ما فيه كفاية في الحرية و أسرارها مما لا تجده في غير هذا الكتاب من مصنفات غيرنا

(الباب الواحد و الأربعون و مائة في مقام ترك الحرية)

من ليس ينفك عن حاجاته أبدا		كيف التحرر و الحاجات تطلبه
فهو الفقير إلى الأشياء أجمعها		فالفقر مذهبه و الفقر مكسبه
لذا تسمى بأعيان الكيان لنا		حتى تعين في المنطوق مذهبه
فليس في الكون حر حيث يطلبنا		من كل وجه و منه نحن نطلبه

اعلم وفقك الله أن ترك الحرية عبودة محضة خالصة تسترق صاحبها الأسباب لتحققه بعلم الحكمة في وضعها فهو بذل تحت سلطانها فصاحبها كالأرض يطئوها البر و الفاجر و تعطي منفعتها المؤمن و الكافر تؤثر فيه تأثير الدعاء من الكون في الحق إجابة دعائه تحققا بمولاه حين رأى هذا المقام يصحبه مع الغني المنسوب إليه فكيف حال من يجوع مركبه و يعري و يظمأ و يضحى و هو مأمور بحفظه و النظر في شأنه و ما يصلحه قد ولاة الله عليه و أنزله خليفة فيه و ليس في قوته أن يقوم بحقه إلا أن تمكنه الأسباب من نفسها فبالضرورة يخضع في تحصيلها لأداء حق الله فيه المتوجه عليه فإن الله يقول له إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا و لزورك عليك حقا و من توجهت عليه الحقوق فإني له الحرية

فكل كون عليه حق		فهو عبيد لذلك الحق
و ليس حرا فكن عليما		به خبيرا كمن تحقق
و لا تكن مثل من تأبى		عن أمر مولاه إذ تخلق
الله رب و أنت عبد		له فكنه فالكون أسبق
قد قلت ذا حين كان سمعي		و مقولي حين كنت أنطق
و من يكن مثل ما ذكرنا		فذلك العالم الموفق

فهو عبد نفسه ما دامت تطلبه بحقها و عبد عينه ما دام يطلبه بحقه و عبد زوره ما دام يطلبه بحقه و النعم الإلهية تطلبه بشكر المنعم بها عليه و التكليف قائم و الاضطرار لازم إن رام دفعه لا يندفع يؤثر فيه المدح و الثناء فيقول الحمد لله المنعم المفضل و يملكه الذم و الجفاء و الأذى فيقول الحمد لله على كل حال فتغير حمده لتغير الأحوال فلو تغيرت الأحوال لتغير حمده لكان حرا عنها قال رسول الله ص لأبي بكر الصديق ما أخرجك قال يا رسول الله الجوع قال رسول الله ص و أنا أخرجني الجوع فجاء مع من كان معه من أصحابه إلى دار الهيثم بن أبي التيهان فذبح لهم و أطعمهم فما أخرجهم إلا من حكم عليهم لما توجه له حق عليهم و هو الجوع و الجوع أمر عدمي فموجود يؤثر فيه المعدوم كيف حاله مع الموجود و مثل هؤلاء المشهود لهم بالحرية و لهذا الذوق ما خرجوا إلا لطلب أداء ما عليهم من الحقوق لأنفسهم فقد استرقهم الجوع و لو لم يخرجوا و سكنوا لكانوا تحت قهر الصبر و ما تطلبه هذه الحال فغاية نسبة الفضل إليهم أنهم خرجوا كما قلنا يلتمسون أداء حقوق نفوسهم بالسعي فيها إذ كانوا متمكنين من ذلك و أعلى من هذا فلا يكون فإن قعدوا مع التمكن اتصفوا بالظلم و الجهل بالحكم الإلهي و إني تعقل الحرية فيمن هذه صفته في الدنيا و الآخرة أما في الدنيا فواقع لا يقدر على إنكاره جحده و يجحده من نفسه و إن لم يركن إلى الأسباب و لا يعتمد عليها و غايته إن يعتمد على الله في استعمالها فهو عبد معلول لأنه توجه خاص و كذلك في الآخرة عبد شهوته لكونه تحت سلطانها تحكم فيه و لا معنى للعبودية إلا هذا دخوله تحت الأحكام و رق الأسباب و لما أبصر هذا العارف من نفسه علم إن الحرية حديث نفس و حال عرضي لا ثبات له مع الصحو ثم إن ترك الحرية نعت إلهي فكيف يصح له الخروج عنه و غايته إن يكون فيه بصورة حق يلتمس الدعاء و يطلب التوبة من عباده و سؤال المغفرة منهم و يذمهم إن لم يأتوا بما التمسه منهم حتى قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يتوبون فيغفر لهم فقد نبهتك عن أسرار هذا المقام إن وقفت معها عرفت نفسك و عرفت ربك و ما تعديت قدرك و إن كان للحرية درجات في عباد الله فغير الأحرار أعظم عند الله درجة و أكمل وصفا و الأصل معهم حفيظ يحفظ عليهم ترك الحرية و الاسترقاق لما تعطيه الحكمة فإن قلت فكم للحرية من الدرجات فنقول لها في العارفين من أهل الأنس ستمائة درجة و تسع و أربعون درجة و في العارفين من أهل الأدب أربع و خمسون درجة و مائتا درجة و في الملامية من أهل الأنس ستمائة و ثمان عشرة درجة و في الملامية من أهل الأدب ثلاث و عشرون و مائتا درجة و هذه الدرجات بأعيانها لمن ترك الحرية و زيادة ما يعطيه الترك من الدرجات لقيامه بالحكمة و حفظ الأصل لإبقاء الحرية

(الباب الثاني و الأربعون و مائة في معرفة مقام الذكر و أسراره)

الذكر ستر على مذكوره أبدا و كل ذكر فأحوال و أسماء

و ليس ثم سوى ما قلته فإذا نظرت فيه بدت للعين أشياء

تدري بها كل من قام الوجود به و ذلك الحق لا عقل و لا ماء

الذكر نعت إلهي و هو نفسي و ملئي في الحق و في الخلق و مع كونه نعتا إلهيا فهو جزاء ذكر الخلق قال تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ فجعل وجود ذكره عن ذكرنا إياه و كذلك حاله فقال تعالى إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فانتج الذكر الذكر و حال الذكر حال الذكر و ليس الذكر هنا بأن نذكر اسمه بل لتذكر اسمه من حيث ما هو مدح له و حمد إذ الفائدة ترتفع بذكر الاسم من حيث دلالته على العين لا في حقك و لا في حقه فإن قلت فقد رجح أهل الله ذكر لفظة الله الله و ذكر لفظة هو على الأذكار التي تعطي النعت و وجدوا لها فوائد قلت صدقوا و به أقول و لكن ما قصدوا بذكرهم الله الله نفس دلالته على العين و إنما قصدوا هذا الاسم أو الهو من حيث إنهم علموا إن المسمى بهذا الاسم أو هذا الضمير هو من لا تقيده الأكوان و من له الوجود التام فإحضار هذا في نفس الذاكر عند ذكر الاسم بذلك وقعت الفائدة فإنه ذكر غير مقيد فإذا قيده بلا إله إلا الله لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة و إذا قيده بسبحان الله لم يتمكن له أن يحضر إلا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح و كذلك الله أكبر و الحمد لله و لا حول و لا قوة إلا بالله و كل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيد به لا يمكن أن يجني منه ثمرة عامة فإن حالة الذكر تقيده و قد عرفنا الله أنه ما يعطيه إلا بحسب حاله في قوله إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث فلهذا رجحت الطائفة ذكر لفظة الله وحدها أو ضميرها من غير تقييد فما قصدوا لفظة دون استحضار ما يستحقه المسمى و بهذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عام لجميع الفضائل اللائقة به التي تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالاسم الله فالذكر من العبد باستحضار و الذكر من الحق بحضور لأنا مشهودون له معلومون و هو لنا معلوم لا مشهود فلهذا كان لنا الاستحضار و له الحضور فالعلماء يستحضرونه في القوة الذاكرة و العامة تستحضره في القوة المتخيلة و من عباد الله العلماء بالله من يستحضره في القوتين يستحضره في القوة الذاكرة عقلا و شرعا و في القوة المتخيلة شرعا و كشفا و هذا أتم الذكر لأنه ذكره بكله و من ذلك الباب يكون ذكر الله له ثم إن الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر و ما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر قال وَ الذّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَ الذّاكِراتِ و قال اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً و ما أتى الذكر قط إلا بالاسم الله خاصة معرى عن التقييد فقال فَاذْكُرُوا اللهَ و ما قال بكذا و قال وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ و لم يقل بكذا و قال اذْكُرُوا اللهَ فِي أَيّامٍ مَعْدُوداتٍ و لم يقل بكذا و قال فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْها و لم يقل بكذا و قال فَكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ و لم يقل بكذا و قال ص لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا و كل دار يكونون فيها فإذا لم يبق في الدنيا منهم

أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول و تخرب و كم من قائل الله باق في ذلك الوقت و لكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي ذكرناه فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً لأنهم لم يسمعوا بذكر شركائهم و اشمأزت قلوبهم هذا مع علمهم بأنهم هم الذين وضعوها آلهة و لهذا قال قُلْ سَمُّوهُمْ فإنهم إن سموهم قامت الحجة عليهم فلا يسمى الله إلا الله و درجات الذكر عند العارفين من أهل الله إحدى وخمسون و تسعمائة درجة وعند الملامية تسع مائة وعشرون درجة

(الباب الثالث و الأربعون و مائة في معرفة مقام ترك الذكر)

لا يترك الذكر إلا من يشاهده — و ليس يشهده من ليس يذكره
فقد تحيرت في أمري و فيه فأين — الحق بينهما عينا فأوثره
ما إن ذكرتك إلا قام لي علم — فحين أبصره في الحين يستره
فلا أزال مع الأحوال أشهده — و لا أزال مع الأنفاس أذكره
و لا يزال لدى الأعيان يشهدني — و لا يزال مع الأسماء يظهر هو

لا يكتب هنا هو إلا بالواو لتعرف الهوية لا أنه ضمير ثم اعلم وفقك الله أن الذكر أفضل من تركه فإن تركه إنما يكون عن شهود و الشهود لا يصح أن يكون مطلقا و الذكر له الإطلاق ولكن الذكر الذي ذكرناه لا الذكر بالتسبيح و التهليل و غيره من الذكر المقيد فلو كان ترك الذكر لا عن شهود كنا ننظر هل كان سبب تركه مما يقتضي الإطلاق فتحكم فيه بالتساوي و الأحوال مقيدة بلا شك و إن كان الإطلاق تقييدا لأنه قد تميز عن المقيد و سرى في المقيدات كيف ما قلت و بنفس ما تميز فقد تقيد بما تميز به فالإطلاق تقييد و أعظم ما يقال فيه إنه مجهول لا يعرف فما خرج بهذا الوصف عن التقييد لأنه قد تميز عن المعلوم فعلى كل حال ما ثم إلا مقيد و ما ثم في ما لا ثم إلا مقيد فالعدم هو ما لا ثم و هو متميز عن الوجود و الوجود متميز عن العدم فما ثم معلوم و لا مجهول إلا و هو متميز فالتقييد له الحكم و ما بقي إلا تقييد متفاضل أعلاه تقييد في إطلاق و هو ذكر الله و الجهل به و الحيرة فيه

و ترك الذكر أولى بالشهود — فذكر الله أولى بالوجود
فكن إن شئت في جود الشهود — و كن إن شئت في فضل الوجود

(الباب الرابع و الأربعون و مائة في معرفة مقام الفكر و أسراره)

إن التفكر في الآيات و العبر | ليس التفكر في الأحكام و القدر
إن التفكر حال لست أجهله | فالله قرره في الآي و السور
لو لا التفكر كان الناس في دعة | و في نعيم مع الأرواح في سرر
الفكر نعت طبيعي و ليس له | حكم على أحد يدري سوى البشر
و لو يكون الذي قلناه ما نظرت | بالغا عيني إلى الأحوال و الصور
به المؤثر و الأسماء قائمة | تنفذ الأمر في بدو و في حضر

اعلم وفقك الله أن الفكر ليس بنعت إلهي إلا إذا كان بمعنى التدبير و التردد في الأولى فحينئذ يكون نعتا إلهيا و أما الفكر بمعنى الاعتبار فهو نعت طبيعي و لا يكون في أحد من المخلوقين سوى هذا الصنف البشري و هو لأهل العبر الناظرين في الموجودات من حيث ما هي دلالات لا من حيث أعيانها و لا من حيث ما تعطي حقائقها قال تعالى وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فإذا تفكروا أفادهم ذلك التفكر علما لم يكن عندهم فقالوا رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ فما عدلوا إلى الاستجارة به من عذاب النار إلا و قد أعطاهم الفكر في خلق السموات و الأرض علما أشهدهم النار ذلك العلم فطلبوا من الله أن يحول بينهم و بين عذاب النار و هكذا فائدة كل مفكر فيه إذا أعطى للمفكر علما ما يسأل الله منه بحسب ما يعطيه فمقام الفكر لا يتعدى النظر في الإله من كونه إلها و فيما ينبغي أن يستحقه من له صفة الألوهية من التعظيم و الإجلال و الافتقار إليه بالذات و هذا كله يوجد حكمه قبل وجود الشرائع ثم جاء الشرع به مخبرا و آمرا فأمر به و إن أعطته فطرة البشر ليكون عبادة يؤجر عليها فإنه إذا كان عملا مشروعا للعبد أثمر له ما لا يثمر له إذا اتصف به لا من حيث ما هو مشروع و ليس للفكر حكم و لا مجال في ذات الحق لا عقلا و لا شرعا فإن الشرع قد منع من التفكر في ذات الله و إلى ذلك الإشارة بقوله وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ أي لا تتفكروا فيها و سبب ذلك ارتفاع المناسبة بين ذات الحق و ذات الخلق و أهل الله لما علموا مرتبة الفكر و أنه غاية علماء الرسوم و أهل الاعتبار من الصالحين و أنه يعطي المناسبات بين الأشياء تركوه لأهله و أنفوا منه أن يكون حالا لهم كما سيأتي في باب ترك الفكر و الفكر حال لا يعطي العصمة و لهذا مقامه خطر لأن صاحبه لا يدري هل يصيب أو يخطئ لأنه قابل للاصابة و الخطاء فإذا أراد صاحبه أن يفوز بالصواب فيه غالبا في العلم بالله فليبحث عن كل آية نزلت في القرآن فيها ذكر التفكر و الاعتبار و لا يتعدى ما جاء من ذلك في غير كتاب و لا سنة متواترة فإن الله ما ذكر في القرآن أمرا يتفكر فيه و نص على إيجاده عبرة أو قرن معه التفكر إلا و الإصابة معه و الحفظ و حصول المقصود منه الذي أراده الله لا بد من ذلك لأن الحق ما

نصبه و خصه في هذا الموضع دون غيره إلا و قد مكن العبد من الوصول إلى علم ما قصد به هناك فقد ألقيت بك على الطريق و هكذا وجده أهل الله فإن تعديت آيات التفكر إلى آيات العقل أو آيات السمع أو آيات العلم أو آيات الايمان و استعملت فيها الفكر لم تصب جملة واحدة فالتزم الآيات التي نصبها الحق لقوم يتفكرون و لا تتعدى بالأمور مراتبها و لا تعدل بالآيات إلى غير منازلها و إذا سلكت على ما قلته لك حمدت مسعاك و شكرتني على ذلك فابحث على كل آية عبرة و تفكر تسعد إن شاء الله تعالى و كذلك الآيات التي فيها النظر من هذا الباب الفكري مثل قوله تعالى أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ و مثل قوله أَ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و كذلك أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ و قوله أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ الآية و كذلك آيات التدبر من هذا الباب مثل قوله أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ و اجعل بالك إذا ذكر الله شيئًا من ذلك بأي اسم ذكره فلا تتعدى التفكر فيه من حيث ذلك الاسم إن أردت الإصابة للمعنى المقصود لله مثل قوله أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ فانظر فيه من حيث ما هو قرآن لا من حيث ما هو كلام الله و لا من حيث ما هو فرقان و لا من حيث ما هو ذكر من قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ فكل اسم له حكم و ما عينه الحق في الذكر إلا حتى يفهمه عباده و يعلمهم كيف ينزلون الأشياء منازلها فتلك الحكمة و صاحبها الحكيم و قد مدح الله من شرفه بالحكمة فقال وَيُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ و قال وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ و قال وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ فإن حكمها يسرى في جميع الأشياء و هو أن الحكيم لا يتعدى بالشيء قدره و لا منزلته

(الباب الخامس و الأربعون و مائة في معرفة مقام ترك الفكر و أسراره)

ترك التفكر تسليم لخالقه — فلا تفكر فإن الفكر معلول
إن لم تفكر تكن روحا مطهرة — جليس حق على الأذكار مجبول
إن لم تفكر تكن روحا مطهرة — مثل الملائك لم يحجبك تفصيل
عن الإله الذي يعطي مواهبه — جودا و ذاك الذي يعطيه تنزيل
إما لقاء أو إلقاء فتعلمه — أو الكتابة أعطتها التفاصيل
فبالتفكر و وكلنا لأنفسنا — لولاه ما كان إشراك و تعطيل
إن التفكر أمر قد خصصت به — لأنني جامع و الجمع تحصيل
لصورة الحق و الأسماء أجمعها — و كل عين فما في الحق تبديل

و في المواطن كلفنا بخدمته أنت بذلك إخبار و تنزيل

التاركون للفكر رجال أرادوا رفع اللبس عنهم فيما يريدون العلم به ليلحقوا بوراثة من قيل فيه وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى و بما فطر عليه من فطر من المخلوقات كالملائكة و من شاء الله من المخلوقين الذين فطروا على العلم بالله و الوحي إليهم ابتداء من الله و عناية بهم و لأن الأفكار محل الغلط و الطائفة الأخرى نزحت إلى ترك التفكر لأن التفكر جولان في أحد أمرين إما في المخلوقات و إما في الإله و أعلى درجات جولانه في المخلوقات أن يتخذها دليلا و المدلول يضاد الدليل فلا يجتمع دليل و مدلوله عند الناظر أبدا فرأوا ترك التفكر و الاشتغال بالذكر إذ هما مشروعان فإنه لو مات في حال الفكر في الآيات لمات في غير الله و إن كان يطلبها لله و لكن لا يكون له مشهود إلا هي و إن كان جولانه في الإله ليتخذه دليلا على المخلوقات و الكائنات كما يراه بعضهم فقد طلبه لغيره و هو سوء أدب مع الله حيث ما قصد النظر فيه إلا ليدله على حكم الكائنات و لو استندت إليه فما طلبه لعينه و إن ظن أنه يجول بفكره فيه ليتخذه دليلا عليه فهذا غلط بين فإنه لا ينظر فيه إلا و هو عالم به فإن نظر فيه بمعنى هل يصح أن يكون دليلا على نفسه فهذا غاية الجهل فإنه لا شيء أدل من الشيء على نفسه فلما رأوا مثل هذا النظر تركوه فإذا تفكر من هذه صفته كان مثل الذي يشكر الخلق لإحسانهم فشكرهم عبادة لأن الله أمر بشكرهم كذلك أمرهم بالتفكر فيتفكرون فيما أمرهم أو عين لهم أن يتفكروا فيه امتثالا لأمره و يكون ما ينتجه من العلم في حكم التبع لأن علوم الفكر بكل وجه ما تقوم مقام علوم الذكر و الوحي و الوهب الإلهي في الرفعة و المكانة انتهى الجزء الثاني و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السادس و الأربعون و مائة في معرفة مقام الفتوة و أسراره)

اعلم أيدك الله

أن الفتوة ما ينفك صاحبها مقدما عند رب الناس و الناس
إن الفتى من له الإيثار تحلية فحيث كان فمحمول على الرأس
ما أن تزلزله الأهواء بقوتها لكونه ثابتا كالشامخ الراسي
لا حزن يحكمه لا خوف يشغله عن المكارم حال الحرب و البأس
انظر إلى كسره الأصنام منفردا بلا معين فذاك اللين القاسي

الفتوة نعت إلهي من طريق المعنى و ليس له سبحانه من لفظها اسم إلهي يسمى به كما ثبت شرعا و دليل عقل أنه له الغني عن العالم على الإطلاق فبالشرع قوله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و دليل العقل لو لم يكن وجوده واجبا لنفسه مع اتصافه بالوجود لكان ممكنا لأنه متصف بالوجود و لو كان ممكنا لافتقر إلى المرجح في وجوده فلم يكن يصح له اسم الغني على الإطلاق و لو افتقر بنوع ما فليس بغني مطلق و لكان من جملة العالم فيكون علامة تدل على مرجحه فهو غني على الإطلاق و من له هذا الغني ثم أوجد العالم فما أوجده لافتقاره إليه و إنما أوجد العالم للعالم إيثارا له على انفراده بالوجود و هذا هو عين الفتوة و من الفتوة الإلهية الخبران القرآني و النبوي فأما القرآن فقوله وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و صورة الفتوة هنا إنه خلقهم لينعمهم بالوجود و يخرجهم من شر العدم و يمكنهم من التخلق بالأسماء الإلهية و يجعل منهم خلفا و هذا كله إيثارا لهم على انفراده بكل ما استخلفهم فيه ثم علم إن الامتنان يقدح في النعمة عند المنعم عليه فستر ذلك إيثارا لهم بقوله وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأظهر أنه خلقهم من أجله لا من أجلهم و في الخبر النبوي الموسوي أنه تعالى خلق الأشياء من أجلنا و خلقنا من أجله و ستر بهذا قوله وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ليفهم الجميع بإعلامه أنهم يسبحون بحمده حتى لا نشم فيه رائحة الامتنان ففي الخبر الموسوي حكم الفتوة أنه خلق الأشياء من أجلنا إيثارا لنا على انفراده بالوجود كما خلقنا و قوله وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ غطاء حتى لا يشم فيه رائحة المنة مثل قوله في حقنا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ سواء و أما الخبر النبوي الثاني من الخبرين فما روى عن رسول الله ص عن الله سبحانه أنه قال كنت كنزا لم أعرف فأحببت إن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني ففي قوله كنت كنزا إثبات الأعيان الثابتة التي ذهبت إليها المعتزلة و هي قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ فهذا الخبر من الفتوة كيف كنى عن نفسه أنه أحب أن يعرف و من هذه صفته غطى على ما يجب له من الغني المطلق لأن المحبة لا تتعلق إلا بمعدوم و قد يكون ذلك المعدوم في معدوم أو في موجود فإن كان في معدوم فلا بد أيضا من وجوده حتى يظهر فيه ما أحب إيجاده و إن كان في موجود فأظهر فيه ما أحببته فلا بد أن يكون ما ذكره سترا على الغني المطلق و إيثارا الجناب هذا المحبوب حيث تعلق به من له الغني فيورثه عزة في نفسه حيث كان مقصودا لمن له صفة الغني و كان سبب الوجود إن الوجود و العلم طلبا بالحال من الله كمال مرتبتهما في التقسيم العقلي فأوجدهما منة لظهور الكمال الوجودي و العلمي هذا أصله منة منه فأعرض عن هذا و نسب وجود العالم لمحبته أن يعرف حتى لا يشم منه كمال الوجود و العلم رائحة المنة أيضا كما ذكر في القرآن سواء و إذا كان الحق قد نزل مع عباده في مكارم الأخلاق التي هي الفتوة إلى هذا الحد فالعبد أولى بهذه الصفة أن يتخلق بها فالفتوة على الحقيقة إظهار الآلاء و المنن و ستر المنة و الامتنان كما قال لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى تخلقا إلهيا فإنه سبحانه تصدق علينا بالوجود و المعرفة به و ما من علينا بذلك و أما قوله بَلِ اللهُ يَمُنُّ

عَلَيْكُمْ معناه أنه لو من لكان المن لله لما منوا عليه ص بالإسلام قال الله تعالى يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قال الله لمحمد ص قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ثم آثر محمدا ص على نفسه سبحانه حتى لا يجعل له نعتا فيما أجرى عليه لسان ذم فقال له قل لهم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ و لو شاء لقال بل أنا أمن عليكم إن هداكم الله بي للإيمان الذي رزقكم بتوحيده و أسعدكم به فما جعله تعالى محلا للمن هذا من الفتوة الإلهية التي لا يشعر بها فحكمها موجود في الحق و إطلاقها لم يرد لا في كتاب و لا سنة كما يعلم قطعا أنه لا فرق بين قولنا علمت الشيء و عرفته و أنا عالم بالشيء أو عارف و مع هذا ورد إطلاق اسم العالم و العليم و العلام عليه تعالى و ما ورد إطلاق الاسم العارف عليه فما يلزم من الأمر الذي لله منه حكم أن يطلق عليه منه اسم فأسماؤه من حيث إطلاقها عليه موقوفة على ورودها منه فلا يسمى إلا بما سمي به نفسه و إن علم فيه مدلول ذلك الاسم فالتوقيف في الإطلاق أولى و ما فعل هذا سبحانه كله إلا ليعلم الخلق الأدب معه إذا و قد علم إن من أهل الله من له شطحات ليتأدبوا فلا يشطحوا فإن الشطح نقص بالإنسان لأنه يلحق نفسه فيه بالرتبة الإلهية و يخرج عن حقيقته فيلحقه الشطح بالجهل بالله و بنفسه و قد وقع من الأكابر و لا أسميهم لأنه صفة نقص و أما رعاع الناس فلا كلام لنا معهم فإنهم رعاع بالنظر إلى هؤلاء السادة و إذا وقع مثل هذا من السادة فعليهم يقع العتب منا و قد يشطح أيضا الأدنى على الأعلى كمثل الشطحات على مراتب الأنبياء و هي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم على الله فإن مرتبة الإله تكذبهم بالحال و عند السامع و أما شطحتهم على الأنبياء فموضع شبهة يمكن أن تقبل الصحة في نفس الأمر فيغتر بها السامع الحسن الظن به الذي لا معرفة عنده بمراتب أصناف الخلق عند الله فيغار الله لذلك حيث هو حق للغير و ما يؤثر من الضلالة في الناس فيؤاخذ صاحب الشطحة بها و لا سيما إن ظهرت منه في حال صحو و كذلك من الشطحات المنقولة عن السادة رؤية فضيلة جنسهم من البشر على الملائكة جهلا منهم و هم مسئولون مؤاخذون بذلك عند الله و العالم بالله المكمل هو الذي يحمي نفسه أن يجعل لله عليه حجة بوجه من الوجوه و من أراد أن يسلم من ذلك فليقف عند الأمر و النهي و ليرتقب الموت و يلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا و لا من الشر مهربا و قد استبرأ لنفسه و أعطى كل ذي حق حقه كما أعطى الله كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هذا هو العاقل مقصود الحق من العالم و ما فوق هذه المرتبة مرتبة لمخلوق أصلا هذا قد مشى من الفتوة طرف صالح في حكمها في الجناب الإلهي و إذا كان الحق يا ولي مع غناه و ماله من صفات الجلال و نعوت الكمال قد أريتك ما له من هذه النسبة في إيثاره إياك فأنت أولى بهذه الصفة أن تتصف بها في حقه خاصة لا في حق الخلق كما اتصف هو بها في حق الخلق هذا هو عمدتها فينا فالفتى من لا يراعي الخلق و لا يتفتى عليهم فإن التفتي عليهم إنما هو لله كما ذكرنا فيكون هذا العبد يطلب التفتي على جانب الحق إيثارا له على الخلق فلا يتفتى

على الخلق إلا بصفة حق أو أمر حق فيكون الحق المتفتي لا هذا العبد هكذا هو التخلق بالفتوة و إلا فلا إذ كان من المحال أن تسري الفتوة من الفتى في إيثا ر الغير من غير تأذى الغير لأن الأغراض مختلفة و الأهواء متقابلة رياحها زوابع غير لواقح بل هي عقيم تدمر و لا توجد فما من حالة يرضاها زيد منك إلا و يسخطها عمرو فإذا كان الأمر هكذا فاترك الخلق بجانب إن أردت تحصيل هذا المقام وارجع إلى الله في أصل الفتوة فإن أصلها أن تخرج عن حظ نفسك إيثا ر الحظ غيرك لا تخرج عن حظ غيرك إيثا را لحظ غيرك فهذا ليس من الفتوة و لو كانت الفتوة هذا ما صح لها وجود فإذا تعارضت الأمور فرجح جانب الحق و زل عن حظك لما يستحقه جلاله إذ قد عاملك بصفة الفتوة مع غناه فأنت مع فقرك أحوج إلى ذلك و من إيثا رك إياه أنه إن طلب منك أن تطلب منه أجرا على ما تفتيت به عليه فمن الفتوة أن تطلب الأجر فإن امتثالك أمره خروجك عن حظك فيحصل لك حظك بترك حظك مع تحقيق الوصف بالفتوة إبراهيم عليه السلام جاد بنفسه على النا ر إيثا ر التوحيد ربه فإن كان ذلك عن أمر إلهي فهو أعظم في لفتوة و إن لم يكن عن أمر إلهي فهو فتى على كل حال فإنه من آثر أمر ربه على هوى نفسه فهو الفتى فحقيقة الفتوة أن يؤثر الإنسان العلم المشروع الوارد من الله على السنة الرسل على هوى نفسه و على أدلة عقله و ما حكم به فكره و نظره إذا خالف علم الشارع المقرر له هذا هو الفتى فيكون بين يدي العلم المشروع كالميت بين يدي الغاسل و لا ينبغي أن يقال هنا يكون بين يدي الحق كالميت بين يدي الغاسل فإنه غلط و مزلة قدم فإن الشرع قيدك فقف عند تقييده فما أوجب عليك مما هو له أن تنسبه إلى نفسك أو إلى مخلوق من المخلوقات سوى الله فمن الفتوة أن تنسبه إلى ذلك لا إلى الله حقيقة كما أمرك و إن دلك على خلاف ذلك عقلك فارم به و كن مع العلم المشروع و ما أوجب أن تنسبه إليه سبحانه فانسبه إليه تعالى و ما خيرك فيه فإن شئت أن تقف و لا تعين و إن شئت نظرت بما يتعلق بالمخير فيه من حمد فانسبه إليه و ما تعلق به من ذم فانسبه إليه و ما تعلق به من ذم فانسبه إلى نفسك أدبا مع الله فإن الأدب عبارة عن جماع الخير فما زلت عن مقام الفتوة كان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا جاءه مأكول طيب أكله و إذا جاءه مأكول خشن أكله و إذا جاع و جاءه نقد علم إن الله قد خيره إذ لو أراد أن يطعمه أي صنف شاء من المأكولات جاء به إليه فيقول هذا النقد ثمن المأكول جاء به الله للتخيير و الاختيار فينظر في ذلك الوقت ما هو الأحب إلى الله من المأكولات بالنظر إلى صلاح المزاج للعبادة لا إلى الفرض النفسي و اتباع الشهوة فإن وافقه كل مأكول حينئذ يرجع إلى موطن الدنيا و ما ينبغي أن يعامل به من الزهد في ملذوذاتها مع صلاح المزاج الذي يقوم بصلاحه العبادة المشروعة فيعدل بحكم الموطن إلى شظف العيش الذي تكرهه النفس لعدم اللذة به و يكتفي بلذة الحاجة فإنه يتناوله عند الضرورة فإن لذة الضرورة ما فوقها لذة لأن الطبع يطلبها و إذا حصل للطبع طلبه التذ به فالفتى هو من ذكرناه و يسرى فعله و تصرفه في الجماد و النبات و الحيوان و في كل موجود و

لكن على ميزان العلم المشروع و إن ورد عليه أمر إلهي فيما يظهر له يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الأمر من الشرع المحمدي فقد لبس فيه فيتركه و يرجع إلى حكم الشرع الثابت فإنه قد ثبت عند أهل الكشف بأجمعهم أنه لا تحليل و لا تحريم و لا شيء من أحكام الشرع لأحد بعد انقطاع الرسالة و النبوة من أهل الله فلا يعول عليه صاحب ذلك و يعلم قطعا أنه هوى نفسي إذ كان ذلك الأمر المحلل أو المحرم في نفس الأمر هذا شرطه و لا يمنع التعريف الإلهي لأهل الله بصحة الحكم المشروع في غير المتواتر بالمنصوص عليه و أما في المتواتر المنصوص إذا ورد التعريف بخلافه فلا يعول عليه هذا لا خلاف فيه عند أهل الله من أهل الكشف و الوجود فإنه من المنتمين إلى الله من يطرأ عليهم التلبيس في أحوالهم من حيث لا يشعرون و هو مكر خفي و كيد متين إلهي و استدراج من حيث لا يشعرون فإياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي و المبادرة لما حكم به و إن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك و بين إمضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فإنه مكر نفسي بصورة إلهية من حيث لا تشعر و قد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام و يرجحون كشفهم و ما ظهر لهم في فهمهم مما يبطل ذلك الحكم المقرر فيعتمدون عليه في حق نفوسهم و يسلمون ذلك الحكم المقرر في الظاهر للغير و هذا ليس بشيء عندنا و لا عند أهل الله و كل من عول عليه فقد خلط و خرج عن الانتظام في سلك أهل الله و لحق بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً و ربما يبقى صاحب هذا الكشف على العمل بظاهر ذلك الحكم و لا يعتقده في حق نفسه فيعمله تقريرا للظاهر و يقول ما أعطى من نفسي لهذا الأمر المشروع إلا ظاهري فإني قد أطلعت على سره فحكمه على سري خلاف حكمه في ظاهري فلا يعتقده في سره عند العمل به فمن عمل على هذا منه فقد حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ و خرج عن أن يكون من أهل الله و لحق بمن اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ فهو يظن أنه في الحاصل و هو في الفائت فتحفظوا يا إخواننا من غوائل هذا المقام و مكر هذا الكشف فقد نصحتكم و نصحت هذه الطائفة و وفيت بالأمر الواجب علي فيه فمن لم يعلم الفتوة كما ذكرناها فما علمها

(الباب السابع و الأربعون و مائة في معرفة مقام ترك الفتوة و أسراره)

ترك الفتوة إيثار لخالقنا　　　هو الفتوة إن حققت معناها
فنفيها عين إثبات لها فمتى　　　أمتها جاء ذاك الموت أحياها
فليس يعدمها إلا الفناء فكن　　　من أهله فيكون الحق مأواها

اعلم أن ترك الفتوة مشيك في حق نفسك و حظها إذا مشيت في ذلك عن أمر الله لا لما يقتضيه طبع النفس كنت صاحب فتوة فصاحب هذا المقام صاحب فتوة لا فتوة متصف بالنقيضين فالفتوة مثل الحب في الحكم سواء فإن الحب يقضي في المحب الاتصاف بالنقيضين إذا اتفق أن يكون أحد النقيضين محبوبا للمحبوب مما يكرهه المحب لكون الحب لا يطلبه و لا يقتضيه فاعلم أن الإنسان إنما يرغب في الأعمال التي نص الشارع على عملها أو تركها إن كانت من التروك ليكون بامتثال ما كلف على حد ما أعطاه الكشف و الايمان و العقل في أعلى المراتب و لا يكون ذا همة دنية فإذا تعرض له في وقت عملان أعني أمرين من فعل أو ترك عمد إلى أفضلهما و قد ورد الخبر أنه من قتل شخصا و لم يقتل به فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه و إن شاء عذبه و قال فيمن قتل نفسه بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة و لم يجعله في المشيئة و لا جعل لعمله كفارة في ماله فعلمنا أن حق النفس في حقه آكد عليه و أعظم في الحرمة من حق غيره و الفتوة العمل في حق الغير إيثارا على حق نفسه و قد قدم الشارع في غير ما موضع أن حق نفس الإنسان عليه أوجب من حق الغير عند الله و الفتى هو الماشي في الأمور بأمر غيره لا بأمر نفسه و في حق غيره لا في حق نفسه لكن بأمر ربه فهما طرفان أحدهما يسوغ و هو المشي في الأمور عن أمر الله و الشطر الآخر لا يسوغ في كل موطن فالعارف إذا أقيم في مقام أداء الحقوق إلى أصحابها و تعينت الحقوق عليه لأصحابها لم يتمكن له أن يتفتى مطلقا فيؤثر الغير على الإطلاق فإنه بأداء حق نفسه يبدأ و إذا بدأ به قدح في شرط الفتوة و إذا لم يبدأ به قدح في الطرف الآخر من الفتوة الذي هو امتثال أمر الله فيبقى هالكا و التخليص من ذلك أن يقول أنا مؤمن و الله تعالى اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ فنفسي للحق لا لي فابدأ بها و أوثرها على غيرها من النفوس من كونها لله لا لي فلهذا تكمل الفتوة في تركها المعلوم عند المحجوبين عن إدراك حقائق الأمور فإن مالكها أمرني بتقديمها في أداء الحقوق و أما حكاية صاحب السفرة و هي أن شيخا من المشايخ جاءه أضياف فأمر تلميذه أن يأتيه بسفرة الطعام فأبطأ عليه فسأله ما أبطأ بك فقال وجدت النمل على السفرة فلم أر من الفتوة إن أخرجهم فتربصت حتى خرجوا من نفوسهم فقال له الشيخ لقد دققت فجعل هذا الفعل من تدقيق باب الفتوة و نعم ما قال و نعم ما فاته فلو قال أحد لهذا الشيخ كيف شهد له بالتدقيق في الفتوة على جهة المدح و الأضياف متالمون بالتأخير و الانتظار و مراعاة الأضياف أولى من مراعاة النمل فإن قال الشيخ النمل أقرب إلى الله من حيث طاعتهم لله من الإنسان لما يوجد فيه من المخالفة و كراهة بعض الأمور التي هي غير مستلذة قلنا و جلد الإنسان و جوارحه و شعره و بشره ناطق بتسبيح الله تعالى كالنمل و لهذا تشهد يوم القيامة على النفس الناطقة الكافرة الجاحدة قال تعالى وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا و قال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ فهم

عدول و شهادتهم مقبولة فكان الأولى مراعاة الأضياف الذين أمر الشارع بتعجيل تقديم الطعام لهم فلو تفتي هذا الخادم و ترك السفرة للنمل و استأذن الشيخ و عرفه بالقصة و نظر في تقديم أمر آخر للاضياف كان أولى و أدق في الفتوة

(الباب الثامن و الأربعون و مائة في معرفة مقام الفراسة و أسرارها)

إن الفراسة نور النقل جاء به ... لفظ النبي الرسول المصطفى الهادي
رب الفراسة من كان الإله له ... عينا و سمعا و ذاك الناشىء الشادى
و ما النهاية إلا أن يقوم به ... عكس القضية في غيب و إشهاد

الفراسة من الافتراس فهو نعت إلهي قهري حكمه في الشوارد خوفا من صاحب هذه الصفة و الشرود سببه خوف طبيعي إما على النفس إن تفارق بدنها الذي ألفته و ظهر سلطانها فيه و إما من حيث ما ينسب إليها من الذم الذي يطلقه عليها المفترس بالفراسة الطبيعية أو بالفراسة الإلهية فلهذا لا تتعلق إلا بالشاردين لأن الغالب على العالم الجهل بنفوسهم و سبب جهلهم التركيب فلو كانوا بسائط غير مركبين من العناصر لم يتصفوا بهذا الوصف فاعلم أن الفراسة إذا اتصف بها العبد له في المتفرس فيه علامات بتلك العلامات يستدل و العلامات منها طبيعية مزاجية و هي الفراسة الحكمية و منها روحانية نفسية إيمانية و هي الفراسة الإلهية و هو نور إلهي في عين بصيرة المؤمن يعرف به إذ يكشف له ما وقع من المتفرس فيه أو ما يقع منه أو ما يؤول إليه أمره ففراسة المؤمن أعم تعلقا من الفراسة الطبيعية فإن الفراسة غاية ما تعطي من العلوم العلم بالأخلاق المذمومة و المحمودة و ما يؤدي إلى العجلة في الأشياء و الريث فيها و الحركات البدنية كلها و سأورد في هذا الباب طرفا منهما أعني من الفراستين بعد تحقيق ماهيتهما و الفراسة الإلهية تتعلق بعلم ما تعطيه الفراسة الطبيعية و زيادة و هي إنها تعطي معرفة السعيد من الشقي و معرفة الحركة من الإنسان المرضية عند الله من غير المرضية التي وقعت منه من غير حضور صاحب هذا النور فإذا حضر بين يديه بعد انقضاء زمان تلك الحركة و قد ترك ذلك العمل في العضو الذي كان منه ذلك العمل علامة لا يعرفها إلا صاحب الفراسة فيقول له فيها بحسب ما كانت الحركة من طاعة و معصية كما اتفق لعثمان رضي الله عنه و ذلك أنه دخل عليه رجل فعند ما وقعت عليه عينه قال يا سبحان الله ما بال رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله و كان ذلك الرجل قد أرسل نظره فيما لا يحل له إما في نظره إلى عورة إنسان أو نظر في قعر بيت مسكون و ما أشبه ذلك فقال له الرجل أ وحي بعد رسول الله ص فقال لا و لكنها فراسة أ لم تسمع إلى قول رسول الله ص اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله و عند ما دخلت على رأيت ذلك في عينيك فهذا معنى قولنا إنها تترك علامة في العضو الذي كان منه ذلك العمل المحمود أو المذموم و الفراسة

الطبيعية تعطي معرفة المعتدل في جميع أفعاله و أقواله و حركاته و سكناته و معرفة المنحرف في ذلك كله فيفرق بالنظر في أعضائه و نشأة كل عضو بين الأخرق و العاقل و الذكي و الفطن و الفدم الغمر و الشبق و غير الشبق و الغضوب و غير الغضوب و الخبيث و غير الخبيث و الخداع المحتال و السليم المسلم و النزق و غير النزق و ما أشبه هذا فاعلم أولا أن الفراسة الإيمانية و بها نبدأ أنها نور إلهي يعطاه المؤمن لعين البصيرة يكون كالنور لعين البصر و تكون العلامة في المتفرس فيه كنور الشمس الذي تظهر به المحسوسات للبصر فكما يفرق البصر بما فيه من النور و بما كشف له نور الشمس من المحسوسات فيعرف صغيرها من كبيرها و حسنها من قبيحها و أبيضها من أسودها من أحمرها من أصفرها و متحركها من ساكنها و بعيدها من قريبها و عاليها من أسفلها كذلك نور الفراسة الإيمانية يعرف محمودها من مذمومها و إنما أضيف نور الفراسة إلى الله الذي هو الاسم الجامع لأحكام الأسماء لأنه يكشف المحمود و المذموم و حركات السعادة في الدار الآخرة و حركات الشقاء إلى أن يبلغ بعضهم إذا رأى وطأة شخص في الأرض و هو أثره و الشخص ليس بحاضر يقول هذا قدم سعيد و هذا قدم شقي مثل ما يفعله القائف الذي يتبع الأثر فيقول صاحب هذا الأثر أبيض مثلا أعور العين و يصف خلقته كأنه رآه و ما طرأ عليه في خلقه من الأمور العوارض يرى ذلك كله في أثره من غير أن يرى شخصه و يحكم في الأنساب و يلحق الولد بأبيه إذا وقع الاختلاف فيه لعدم المناسبة في الشبه الظاهر المعتاد بين الآباء و الأبناء فأضاف نور الفراسة إلى الله لأجل هذا فلو أضافها إلى الاسم الحميد مثلا لم ير صاحب هذا النور إلا المحمود السعيد خاصة وكذلك لو أضاف إلى أي اسم إلهي لكان بحسب ما تعطي حقيقة ذلك الاسم فلما أضاف ذلك النور إلى الله أدرك به الخيرات و الشرور الواقعة في الدنيا و الآخرة و المذام و المحامد و مكارم الأخلاق و سفسافها و ما تعطيه الطبيعة و ما تعطيه الروحانية و يفرق بهذا النور بين الأحكام الشرعية و هي خمسة أحكام و يعرف بهذا النور لمن استند صاحب تلك الحركة من الأسماء الإلهية و من ينظر إليه من الأرواح العلوية و ما له من الآيات من الحركات الكوكبية لأن الله ما جعل سباحتها في الأفلاك باطلا بل لأمور أودعها الله تعالى في المجموع فيها و في حركاتها و في قطعها في البروج المقدرة في الفلك الأقصى و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فهي تؤدي في تلك السباحة ما أمنت عليه من الأمور التي يطلبها العالم العنصري و اعلم أن الطبيعة التي خلقها الله تعالى دون النفس و فوق الهباء فلما أراد الله إيجاد الأجسام الطبيعية و ما ثم عندنا إلا جسم طبيعي أو عنصري و العناصر أجسام طبيعية و إن تولد عنها أجساد أخر فكل ذلك من آثار الله فيما خلق الله الطبيعة عليها و الطبيعة عبارة عن أمور أربعة إذا تألفت تألفا خاصا حدث عنه ما يناسب تلك الألفة بتقدير العزيز العليم فلذلك اختلفت أجسام العالم لاختلاف ذلك المزاج فأعطى كل جسم في العالم بحسب ما اقتضاه مزاجه و ما زال الأمر ينزل إلى أن خلق الله العناصر و هي

الأركان فضم الحرارة إلى اليبوسة على طريق خاص فكان من ذلك المزج ركن النار الذي يعبر عنه أيضا بعنصر النار ثم الهواء كذلك ثم الماء ثم التراب ثم جعل سبحانه يستحيل بعضها إلى بعض بوسائط و بغير وسائط فإذا تنافر العنصران من جميع الوجوه استحال إلى المناسب ثم استحال ذلك المناسب إلى المناسب إليه الآخر الأقرب الذي كان منافرا للمستحيل الأول فقبل الاستحالة إليه بوساطة هذا المناسب الأقرب من سخافة أو كثافة ثم خلق الله الجسم الحيواني من أربع طبائع و هما المرتان و الدم و البلغم و جعل سبحانه في هذه الأخلاط قوى روحانية تظهر آثارها في الجسم المركب عنها فإن كانت هذه الأخلاط في الجسم الظاهر عنها على الاعتدال أو قريب من الاعتدال أعطت ما يعطيه الاعتدال من الأمور المستحسنة المحمودة و الحركات الاقتصادية في الأمور و إن لم تكن فيه على الاعتدال أعطت بحسب ما انحرفت إليه و ظهر في البدن سلطان الأقوى و الأكثر من هذه الأخلاط فيطرأ على الجسم من ذلك علل و على النفس من ذلك أخلاق فالطبيب يداوي العلل بأن يزيد في الناقص من هذه الأخلاط و ينقص من الزائد منها حتى يحصل الاعتدال و الطبيب الإلهي يداوي الأخلاق و يسوس الأغراض النفسية بالذكرى و الموعظة و التنبيه على معالي الأمور و ما لمن قامت به من السعادة و المحمدة عند الله و عند الناس و عند الأرواح العلى فتتأيد بذلك النفس الناطقة و تكون لها هذه الذكرى كالمعينة على صلاح هذا المزاج المنحرف فتعين الطبيب المدبر لطبيعة هذا البدن و إصلاح ما اختل منه و لهذا بعض الأطباء يأمرون المرضى لأمراض خاصة باستعمال سماع الألحان المطربة و الأماكن المستحسنة المتنوعة الأزهار و خرير المياه و تغاريد الطير كالبلبل و أمثاله كل ذلك طب روحاني يؤدي إلى صلاح المزاج يعين الطبيب عليه ثم علل أخر لا تحتمل الأصوات بل تصلح بنقيض ما ذكرناه و ذلك كله بحسب الخلط الغالب الأقوى و ضعف المناقض المقابل له و هذه العلل منها أصلية في نفس المزاج و الخلقة مثل الجحوظة في العينين أو الغئورة المفرطة أو الأنف الدقيق جدا أو الغليظ جدا أو المتسع الثقب المنتفخ أو نقيضه أو البياض الشديد أو السواد الشديد أو الجعودة في الشعر أو السبوطة فيه الكثيرة أو الزرقة الشديدة في العين الفيروزجيه أو الكحولة الغائية و كذلك سائر الأعضاء في عدم الاعتدال و هو الانحراف من الاعتدال إلى أحد الميلين كما ذكرنا فإن خلق الإنسان يكون بحسب ما هي هذه الأعضاء عليه من اعتدال و انحراف فإذا جاء هذا الطبيب الإلهي و هو النبي أو الوارث أو الحكيم فيرى ما تقتضيه هذه النشأة التي انقادت إليه و جعلت زمامها في يديه ليربيها و يسعى في سعادتها و يردها إلى خلاف ما تقتضيه نشأته إن كان منحرفا بأن يبين لها مصارف ذلك الانحراف التي يحمدها الله و يكون فيها سعادة هذه النفس فإنه لا يتمكن له أن ينشاها نشأة أخرى فقد فرغ ربك من خلق و من خلق و لم يبق بأيدينا إلا تبيين المصارف فالمعتدل النشأة إذا كان جاهلا بالأمور السعادية عند الله التي تحتاج إلى موقف و هو رسول الله ص يسأل العلماء

عن الأمور التي تعطي السعادة عند الله و أما مكا رم الأخلاق فلا يحتاج فيها إلى موقف فإن مزاج نشأته و اعتدالها لا تعطيه إلا مكا رم الأخلاق بل يحتاج إلى الموقف في بعض الأمور في استعمال الانحراف و هو في ذلك مكلف لما يكون في ذلك الانحراف من المصالح إما دنيا و إما آخرة و إما المجموع و أما المنحرف فتصد ر منه مذام الأخلاق و سفسافها و طلب نفوذ الأغراض القائمة به و لا يبالي ما يؤول إليه أمره في نيلها فالطبيب السؤوس يستد رجه حالا بعد حال بتبيين المصا رف كما ذكرناه فإذا جاء صاحب الفراسة الإيمانية و كان عالما بما يكون فيه المصلحة لهذا المتفرس فيه و رأى منه حركة تؤدي إلى مذموم أو تكون تلك الحركة قد وقعت منه مذمومة ساسة حتى يتمكن منه إلى أن يسلم إليه نفسه ليتحكم فيها فإن كان منحرفا كان في سلوكه صاحب مجاهدة و رياضة و إن كان معتدلا كان في سلوكه طيب النفس ملتذا صاحب فرح و سرور تهون عليه الأمور الصعاب على غيره و لا تكلف عنده في شيء من مكا رم الأخلاق فإذا صفت نفسه و زكت و لحقت بالعالم المطهر و نظرت بالعين الإلهي و سمعت به و تحركت بقوته عرفت مصاد ر الأمور و موا ردها و ما تنبعث عنه و ما تؤول إليه فذلك المعبر عنه بالفراسة الإيمانية و هي موهبة من الله تعالى ينالها السليم الطبع و غير السليم و أصل الاعتدال و الانحراف في العالم و في الموجب لغلبة بعض الأصول على بعضها التي لها الحكم في المركبات هي من آثا ر العلم الإلهي الذي منه يرحم الله من يشاء و يغفر و يعذب و يكره و يرضى و يغضب و أين الغضب من الرضي و أين العفو من الانتقام و أين السخط من الرضوان و كل ذلك جاءت به الأخبا ر الإلهية في الكتب المنزلة و علمها أهل الكشف مشاهدة عين و لو لا ما وردت على ألسنة الأنبياء و الرسل و نزلت بها الكتب من الله على أيديهم و أيدوا بالمعجزات ليثبت صدقهم عند الأجانب لأجل هذه الأمور الإلهية حتى تقبل منهم إذا وردوا بها فإن أدلة العقول تحيلها في الجناب الإلهي فلو نطق بها مشاهد لها مكاشف بها من غير تأيد آية تدل على صدقه جهل و طعن في نظره و أقيمت الدلالات العقلية على فساد عقله و فكره و حكم خياله عليه و أن الله لا ينبغي أن يوصف بهذه الأوصاف فهذا كان سبب نزولها على أيدي الرسل و الكتب ليستريح إليها المشاهد و يأنس بكلامه إذا أتى بمثل هذا النوع فلأجل هذه الأمور وردت الشرائع و لأجل الأحكام التي لا توافق أغراض الرؤساء و المقدمين لو سمعوها من غير الرسول فلما أنسوا بها من الرسل و ألفت النفوس أحكام النواميس الإلهية و استصحبتها هان على الملوك و الرؤساء أن يتلمذوا للصالحين و يدخلوا نفوسهم تحت أحكامهم و إن شق عليهم فهم يرجحون علمهم بذلك على ما يد ركونه من مشقة خلاف الغرض فإنه على هذا الشرط أدخل نفسه فحجته قائمة على نفسه فسبحان العليم الحكيم و لو لا شرف العلم ما شرفت الفراسة لأن الفراسة لو لا ما تعطي العلم ما شرفت و لا كان لها قد ر فالعلم أشرف الصفات و به تحصل النجاة إذا حكمه الإنسان على نفسه و تصرف في أموره بحسب حكمه رَبِّ زِدْنِي

عِلْماً رَبِّ زِدْنِي عِلْماً رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و استعملني له و اجعله الحاكم علي و الناظر إلي إذ أنت العلم و العالم و المعلوم لك لا لنا فأعطنا منه على قدرنا و أما الفراسة المذكورة عند الحكماء فأنا أذكر منها طرفا على ما أصلوه و ما جربوه و اختبروه ثم اعتبار ه في الصفات بما تقتضيه طريقنا في هذا الكتاب مختصرا كافيا إن شاء الله تعالى اعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق إنسانا معتدل النشأة ليكون جميع حركاته و تصرفاته مستقيمة وفق الله الأب لما فيه صلاح مزاجه و وفق الأم أيضا لذلك فصلح المني من الذكر و الأنثى و صلح مزاج الرحم و اعتدلت فيه الأخلاط اعتدال القدر الذي به يكون صلاح النطفة و وقت الله لإنزال الماء في الرحم طالعا سعيدا بحركات فلكية جعلها الله علامة على الصلاح فيما يكون في ذلك من الكائنات فيجامع الرجل امرأته في طالع سعيد بمزاج معتدل فينزل الماء في رحم معتدل المزاج فيتلقاه الرحم و يوفق الله الأم و يرزقها الشهوة إلى كل غذاء يكون فيه صلاح مزاجها و ما تتغذى به النطفة في الرحم فتقبل النطفة التصوير في مكان معتدل و مواد معتدلة و حركات فلكية مستقيمة فتخرج النشأة و تقوم على أعدل صورة فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل و لا بالقصير لين اللحم رطبة بين الغلظ و الرقة أبيض مشربا بحمرة و صفرة معتدل الشعر طويله ليس بالسبط و لا الجعد القطط في شعره حمرة ليس بذاك السواد أسيل الوجه أعين عينه مائلة إلى الغور و السواد معتدل عظيم الرأس سائل الأكتاف في عنقه استواء معتدل اللبة ليس في وركه و لا صلبه لحم خفي الصوت صاف ما غلظ منه و ما رق مما يستحب منه غلظة أو رقته في اعتدال طويل البنان للرقة سبط الكف قليل الكلام و الصمت إلا عند الحاجة ميل طبائعه إلى الصفراء و السوداء في نظره فرح و سرور قليل الطمع في المال ليس يريد التحكم عليك و لا الرئاسة ليس بعجلان و لا بطيء فهذا قالت الحكماء أعدل الخلقة و أحكمها و فيها خلق سيدنا محمد ص ليصح له الكمال في النشأة كما صح له الكمال في المرتبة فكان أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهرا و باطنا فإن اتفق أن يكون في الرحم اختلال مزاج فلا بد أن يؤثر ذلك الاختلال في نشأة الإنسان في الرحم في عضو من أعضائه أو في أكثر الأعضاء أو في أقلها بحسب ما تكون المادة في الوقت لذلك العضو من القوة الجاذبة التي تكون في النطفة فيخرج ذلك إما في كلية النشأة و إما في بعض أعضائها فمن ذلك و الله الموفق أن البياض الصادق مع الشقرة و الزرقة الكثيرة دليل على القحة و الخيانة و الفسوق و خفة العقل فإن كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن أزعر أوجن كثير الشعر على الرأس فقال أهل الفراسة من الحكماء إن التحفظ ممن هذه صفته كالتحفظ من الأفاعي القتالة فإن كان الشعر خشنا دل على الشجاعة و صحة الدماغ و إن كان لينا دل على الجبن و برد الدماغ و قلة الفطنة و إن كان الشعر كثيرا على الكتفين و العنق دل على الحمق و الجراءة و إن كثر على الصدر و البطن دل على وحشية الطبع و قلة الفهم و حب الجور و الشقرة دليل على الجبن و كثرة الغضب و سرعته و التسلط و الأسود من الشعر يدل على

السكون الكثير في العقل و الأناة و حب العدل و المتوسط بين هذين يدل على الاعتدال و إن كانت الجبهة منبسطة لا غضون فيها دل على الخصومة و الشغب و الرقاعة و الصلف فإن كانت الجبهة متوسطة في النتو و السعة و كانت فيها غضون فهو صدوق محب فهم عالم يقظان مدبر حاذق و من كان عظيم الأذنين فهو جاهل إلا أنه يكون حافظا و من كان صغير الأذنين فهو سارق أحمق و إن كان الحاجب كثير الشعر دل على الغي و غث الكلام فإن امتد الحاجب إلى الصدغ فصاحبه تياه صلف و من رق حاجبه فاعتدل في الطول و القصر و كانت سوداء فهو يقظان فإن كان العين أزرق فهي أردأ العيون و أردأ الزرق الغير و زجية فمن عظمت عيناه و جحظت فهو حسود وقح كسلان غير مأمون و إن كانت زرقاء كان أشد و قد يكون غاشا و من كانت عيناه متوسطة مائلة إلى الغور و الكحلة و السواد فهو يقظان فهم ثقة محب فإذا أخذت العين في طول البدن فصاحبها خبيث و من كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة ميت النظر فهو جاهل غليظ الطبع و من كان في عينه حركة بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر و من كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام فإن كان حواليها نقط صفر فصاحبها أشر الناس و أرداهم و إن كان أنفه دقيقا فصاحبه نزق و من كان أنفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع و من كان أفطس فهو شبق و من كان أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب و إذا كان غليظ الوسط مائلا إلى الفطوسة فهو كذوب مهذار و أعدل الأنوف ما طال غير طول فاحش و من كان أنفه متوسط الغلظ و قناه غير فاحش فهو دليل على العقل و الفهم و من كان واسع الفم فهو شجاع و من كان غليظ الشفتين فهو أحمق و من كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل و من كانت أسنانه ملتوية أو ناتئة فهو خداع متحيل غير مأمون و من كانت أسنانه منبسطة خفافا بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر و من كان لحم الوجه منه منتفخ الشدقين فهو جاهل غليظ الطبع و من كان نحيف الوجه أصفر فهو ردىء خبيث خداع شكس و من طال وجهه فهو وقح و من كانت أصداغه منتفخة و أوداجه ممتلئة فهو غضوب و من نظرت إليه فاحمر و خجل و ربما دمعت عيناه أو تبسم تبسما لا يريده فهو لك متودد محب فيك لك في نفسه مهابة و إن كان ذا صوت جهر دل على الشجاعة و المعتدل بين الكد و التأني و الغلظ و الرقة دل على العقل و التدبير و الصدق و سرعة الكلام و رقته يدل على الكذب و القحة و الجهل الغلظ في الصوت دليل على الغضب و سوء الخلق الغنة في الصوت دليلة على الحمق و قلة الفطنة و كبر النفس التحرك الكثير دليل على الصلف و الهذر و الخداع و الوقار في الجلسة و تدارك اللفظ و تحريك اليد في فضول الكلام دليل على تمام العقل و التدبير و صحة العقل قصر العنق دليل على الخبث و المكر طول العنق و رقته دليل على الحمق و الجبن و الصياح فإن انضاف إليهما صغر الرأس فإنه يدل على الحمق و السخف غلظ العنق يدل على الجهل و كثرة الأكل اعتدال العنق في الطول و الغلظ دليل على العقل و التدبير و خلوص المودة و

الثقة و الصدق البطن الكبير يدل على الحمق و الجهل و الجبن لطافة البطن و ضيق الصد ر يدلان على جودة العقل و حسن الرأي عرض الكتفين و الظهر يدلان على الشجاعة و خفة العقل انحناء الظهر يدل على الشكاسة و النزاقة استواء الظهر علامة محمودة بروز الكتفين دليل على سوء النية و قبح المذهب إذا طالت الذ راعان حتى يبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة و الكرم و نبل النفس و إذا قصرت فصاحبها جبان محب في الشر الكف الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصنائع و إحكام الأعمال و تدبير الرئاسة اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل و حب الجور القدم الصغير اللين يدل على الفجور رقة العقب تدل على الحسن غلظ العقب يدل على الشجاعة غلظ الساقين مع العرقوبين دليل على البله و القحة من كانت خطاًه واسعة بطيئة فهو منجح في جميع أعماله مفكر في عواقبه و الضد للضد فهذا ما نقلته من أقوال الحكماء من أهل التجربة من العلماء بالطبيعة و هذه النعوت قد تكثر و تقل و الحكم للغالب و قد تتساوى في الشخص فيدفع هذا حكم هذا بأن يكون في الشخص حكم أحدها بوجه في قضية خاصة و حكم أحدها بوجه آخر في قضية خاصة و بالجملة فإن الرياضة و استعمال العلم مؤثر في إزالة حكم كل صفة مذمومة مما ذكر و من جرب وجد صحة ما قلناه فإن العادة طبيعة خامسة لها أثر في الطبيعة الأصلية هذا كله مجرب وصل محقق الاعتبار فيما ذكرناه من العلامات التي أعطت الطبيعة حكمها فيه و شهدت لها التجارب فاعلم أن لطيفة الإنسان المدبرة جسده لما كان لها وجه إلى النور المحض الذي هو أبوها و وجه إلى الطبيعة و هي الظلمة المحضة التي هي أمها كانت النفس الناطقة وسطا بين النور و الظلمة و سبب توسطها في المكانة لكونها مدبرة كالنفس الكلية التي بين العقل و الهيولى الكل و هو جوهر مظلم و العقل نور خالص فكانت هذه النفس الناطقة كالبرزخ بين النور و الظلمة تعطي كل ذي حق حقه فمتى غلب عليها أحد الطرفين كانت لما غلب عليها و إن لم يكن لها ميل إلى أحد الجانبين تلقت الأمور على الاعتدال و أنصفت و حكمت بالحق فلنذكر في هذا الوصل اعتبار ما مشى في علامات الفراسة في الجسد فنقول أما البياض المفرط فاستفراغ الإنسان في النظر في عالم النور بحيث لا يبقى في استفراغه ما يدبر به عالم طبيعته كأبي عقال المغربي و أمثاله فيفسد سريعا قبل حصول الكمال و كذلك اعتبار السواد المفرط و هو استفراغه في عالم شهوته و طبيعته بحيث أن يحول بينه و بين النظر في علوم الأنوار و هي العلوم الإلهية فهذا مذموم الحال بلا خلاف فإذا كان وقتا و وقتا و وفى كل ذي حق حقه كما قال ص لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فذلك الإمام العادل و أما اعتبار الطول و القصر فهو مدة إقامته في النظر في أحد العالمين فأما مدة ممتدة و هي الطول أو قليلة و هي القصر و ينبغي من ذلك أن تكون المدة بقدر الحاجة و أما اعتدال اللحم في الرطوبة و بين الغلظ و الرقة فهو اعتدال للإنسان في البرزخيات بين المعنى و الحس كاللحم بين العظم و الجلد و أما اعتدال الشعر فهو إقامته بين البسط و القبض و أما كونه أسيل

الوجه فهي الطلاقة و البشاشة و أما كونه أعين فصحة النظر في الأمور و أما كون عينه مائلة إلى الغور و السواد فهو النظر في المغيبات و استخراج الأمور الخفية و أما الجحوظة فهو ميلة إلى استنباط العلوم من عالم الشهادة و هم أهل الاعتبار و أما اعتدال عظم الرأس فتوفير العقل و أما كونه سائل الأكتاف فاحتمال الأذى في الغيبة من غير أثر و أما استواء العنق فالاستشراف على الأشياء من غير ميل إليها و أما الطول الزائد في العنق فهو الاستشراف على ما لا ينبغي مثل التجسس و أما القصر المفرط فهو التفريط فيما ينبغي أن يستشرف عليه و أما اعتدال اللبة فاستقامة العبارة بالوزن الذي تقع به المنفعة عند المخاطب و أما قلة اللحم في الورك و الصلب فهو نظره في الأمور التي يتورك عليها و يعول عليها أن يخلصه إلى أحد الطرفين فإنه إن كانت برزخية قد تقدر به في غالب الأمر و أما كونه خفي الصوت فهو حفظ السر في موضع الجهر و أما صفاء الصوت فهو أن لا يزيد فيه شيئًا و أما طول البنان فللطافة التناول و أما بسط الكف فرمى الدنيا من غير تعلق و أما قلة الكلام و الضحك فنظره إلى مواقع الحكمة فيتكلم و يضحك بقدر الحاجة و أما كون ميل طباعه إلى المرتين فهو أن يغلب عليه في الصفراء الجنوح إلى العالم العلوي و في السوداء إلى العالم السفلي و استخراج ما أخفي فيه من قرة أعين مما تحجب الطبيعة أكثر العقول في النظر فيها لما يسبق في أذهانهم من ذم الطبيعة و أما كونه في نظره فرح و سرور فهو استجلاب نفوس الغير إليه بالمحبة و أما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن كل ما يميل به إلى ما لا فائدة له فيه و أما كونه ليس يريد التحكم عليك و لا الرئاسة فهو شغله بكمال عبوديته لا به و أما كونه ليس بعجلان و لا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة و لا عاجز و كذلك أيضا لما نظرنا إلى أرباب الفراسة الحكمية وجدناهم راجعين في ذلك إلى طرفين و واسطة و قسموا الأمور إلى محمود و مذموم أعني الأخلاق و جعلوا الخير كله في الوسط و جعلوا الانحراف في الطرفين فقالوا في الأبيض الشديد البياض و الأشقر الأزرق ما سمعت من الذم و أنه غير محمود و كذلك الشديد السواد و الرقيق الأنف جدا مذموم كل هذا و المعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين مثلا خارجا عن الحد هو المحمود على نحو ما تقدم فلما رأيناهم قد قصروها على ما ذكرنا نظرنا إلى ذلك في هذا العالم الإنساني أين ظهر الحسن و القبح فقلنا لا حسن يقع به المنزلة عند الله و لا قبح يقع باجتنابه الخير من الله إلا ما حسنه الشرع و قبحه فلما رأينا الحمد و الذم على الفعل من جهة ما شرعا نظرنا كيف نجمع طرفين و واسطة لنجعل الطرفين مخالفا لحكم الوسط الذي هو محل الاعتدال فنقول لا يخلو الإنسان أن يكون واحدا من ثلاثة بالنظر إلى الشرع و هو إما أن يكون باطنيا محضا و هو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا و فعلا و هذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية و العدول عما أراد الشارع بها و كل ما يؤدي إلى هدم قاعدة دينية مشروعة فهو مذموم بالإطلاق عند كل مؤمن و إما أن يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم و التشبيه فهذا أيضا مثل ذلك ملحق بالذم

شرعا فأما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى و حيثما وقف وقف قدما بقدم و هذه حالة الوسط و به صحت محبة الحق له قال تعالى أن يقول نبيه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فاتباع الشارع و اقتفاء أثره يوجب محبة الله للعباد و صحة السعادة الدائمة فهذا وجه مقابلة النسختين فإن قال قائل هذا مجمل فكيف يعرف تفصيله فإنا إذا رأينا رجلا ساكنا يشهد الصلوات و الجماعات و هو مع ذلك منافق مصر فنقول إن السكون و شهود الصلوات و شبه ذلك من عالم الشهادة و كونه كافرا بذلك في قلبه فهو من عالم الغيب و نحن إذا حصلت لنا الفراسة الذوقية الإيمانية كما ذكرناها و كما نتمها إن شاء الله تعالى حكمنا بكونه كافرا في نفوسنا و أبقينا ماله و دمه معصوما شرعا لظهور كلمة التوحيد فمعاملتنا له على هذا الحد و ما كلفنا غير هذا ثم لتعلم وفقك الله أن العالم العلوي بالجملة هو المحرك عالم الحس و الشهادة و تحت قهره حكمة من الله تعالى لا لنفسه استحق ذلك فعالم الشهادة لا يظهر فيه حكم حركة و لا سكون و لا أكل و لا شرب و لا كلام و لا صمت إلا عن عالم الغيب و ذلك أن الحيوان لا يتحرك إلا عن قصد و إرادة و هما من عمل القلب و الإرادة من عالم الغيب و التحرك و ما شاكله من عالم الشهادة و عالم الشهادة كلما أدركناه بالحس عادة و عالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي أو النظر الفكري مما لا يظهر في الحس عادة فنقول إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما إن عالم الشهادة يدرك بعين البصر و كما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما عدا الظلمة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع فإذا ارتفعت الموانع و انبسطت الأنوار على المحسوسات و اجتمع نور البصر و النور المظهر أدرك المبصر بالبصر المبصرات كذلك عين البصيرة حجابه الرين و الشهوات و ملاحظة الأغيار من العالم الطبيعي الكثيف إلى أمثال هذه الحجب فتحول بينه و بين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه و جلاها بالذكر و تلاوة القرآن فحصل له من ذلك نور و لله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود فإذا اجتمع النوران فكشف المغيبات على ما هي عليه و على ما وقعت في الوجود غير أن بينهما لطيفة معنى فذلك أن الحس يحجبه الجدار و البعد المفرط و القرب المفرط و عين البصيرة ليس كذلك لا يحجبه شيء إلا ما ذكرنا من الران و الكن و أشباه ذلك إلا أنه أيضا ثم حجابا لطيفا أذكره و هو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على عالم الغيب في الحضرات الوجودية لا يعمها كلها و لا ينبسط منه عليها في حق هذا المكاشف إلا على قدر ما يريد الله تعالى و ذلك هو مقام الوحي دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له و لغيرنا قوله قُلْ . . . ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ مع غاية الصفاء المحمدي و هو قوله أَوْ من وَراءِ حِجابٍ فمهما ظهر ممن حصل في هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما فتلك الفراسة و هي أعلى درجات المكاشفة و موضعها من كتاب الله إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ من السمة و هي العلامة كما قلنا و لا يخطئ أبدا بخلاف

الفراسة الحكمية و ثم كشف آخر في الفراسة و ذلك أن الله جعل في العالم حضرة السمات فيها صور بنى آدم و أحوالهم في أزمانهم إلى حين انفصالهم و هي مخبوءة عن جميع الخلائق العلوي و السفلي إلا عن القلم و اللوح فإذا أراد الله اصطفاء عبد و أن يخصه بهذا المقام طهر قلبه و شرحه و جعل فيه سراجا منيرا من إيمانه خاصة يسرجه من الأسماء الإلهية الاسم المؤمن المهيمن و بيده هذه الحضرة و ذلك السراج من حضرة الألوهة يأخذه الاسم المؤمن فإذا استنار القلب بذلك النور الإلهي و انتشر النور في زوايا قلبه مع نور عين البصيرة بحيث يحصل له إدراك المدركات على الكشف و المشاهدة لوجود هذه الأنوار فإذا حصل القلب على ما ذكرناه جعل في ساحة من ساحات هذا القلب تلك الحضرة التي ذكرناها فمن هناك يعرف حركات العالم و أسراره انتهى الجزء الثالث و مائة

(الباب التاسع و الأربعون و مائة في معرفة مقام الخلق و أسراره)

كون التخلق في الإنسان و الخلق مثل التكحل في العينين و الكحل
و إن تضاعف فيه أجره فمتى ينال مرتبة الأملاك و الرسل
ذاك الوحيد الذي يحيا الزمان به فهو المرتب للاحكام و الدول
تنحط من عزها غلب الرقاب له و هو المثبت للاعراض و العلل

قال رسول الله ص ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم و هو حديث صحيح فأدخل نفسه معنا فيما نهانا عنه في الحكم فالأخلاق كلها نعوت إلهية فكلها مكارم و كلها في جبلة الإنسان و لذلك خوطب بها فإن بعض من لا معرفة له بالحقائق يقول إنها في الإنسان تخلق و في الحق خلق فهذا من قائله جهل بالأمور إن لم يطلق ذلك مجازا أو بالنظر إلى تقدم وجود الحق على وجود العبد لأنه واجب الوجود لنفسه و الإنسان موجود بربه فاستفاد الوجود فاستفاد الخلق منه فإذا راعى هذا الأصل فقال بالتخلق كان صحيح المقصد و إن أراد بالتخلق أن ما هو للحق حقيقة و اتصف به العبد إن لم يكن عنده إلا في الوقت الذي اتصف به فسماه لذلك تخلقا لا خلقا و ما يكون خلقا إلا ما جبل عليه في أصل نشأته فلا علم له بنشأة الإنسان و لا بإعلام النبي ص بأن الله خلق آدم على صورته و يلزم هذا القائل أن يكون ما جعله من الصفات حقيقة للعبد ثم رأينا الحق قد اتصف به أن يكون ذلك في الله تخلقا من الله بما هو حق للإنسان و هذا لا يقول به من عنده أدنى شيء من العلم و الصحيح في هذه الأخلاق الإلهية إنها كلها في جبلة الإنسان و تظهر لمن يعرفها في كل إنسان على حد ما تظهر في الجناب الإلهي فإن كل خلق من هذه الأخلاق لا يصح أن تعم المعاملة به جميع الأكوان لا من جانب الحق و لا من جانب الإنسان فهو كريم على الإطلاق و كذلك الإنسان كريم على الإطلاق و مع كون الحق كريما على الإطلاق فمن أسمائه المانع و

من أسمائه الضار و من أسمائه المذي و يغفر و يعذب من يشاء و يؤتي الملك و ينزع الملك و ينتقم و يجود و هو مع هذا التقييد في حق قوم دون قوم مطلق الصفة وكذا هي في الإنسان فهي خلق أصلي له لا تخلق و لا يصح أن تعم من الإنسان هذه الأخلاق مع كونها مطلقة في حقه كما لم يصح أن تعم من الله في جميع الخلق مع كونه تعالى مطلق الوصف بها و لا يصح في هذه الصفات الاستعارة إلا مجازا كما قلنا من حيث إنه تعالى كان بهذه الصفات و ما كنا فلما كنا كنا بها لا أنا اكتسبناها و لا استعرناها منه فإنها صفة قديمة لله أي نسبة اتصف بها الحق و لا عالم و الصفة لا بد لها من موصوف بها فإنها من حقيقتها لأن تقوم بنفسها و يؤدي القول باستعارتها إلى قيامها بنفسها و إلى خلو الحق عنها و إلى أن يكون الحادث محلا لوجود القديم فيه و هذا كله ما لا يقول به أحد من العلماء بالله فجميع ما يظهر من الإنسان من مكارم أخلاق و سفساف أخلاق كلها في جبلته و هي له حقيقة لا مجاز و لا معارة كما أنه سبحانه جميع ما سمي به الحق نفسه لا و ما وصف به نفسه من صفات الأفعال من خلق و إحياء و إماتة و منع و عطاء و جعل و مكر و كيد و استهزاء و فصل و قضاء و جميع ما ورد في الكتب المنزلة و نطقت به الرسل من ضحك و فرح و تعجب و تبشبش و قدم و يد و يدين و أيد و أعين و ذراع كل ذلك نعت صحيح فإنه كلامه تعالى عن نفسه و كلام رسله عنه و هو الصادق و هم الصادقون بالأدلة العقلية و لكن على حد ما يعلمه و على حد ما تقبله ذاته و ما يليق بجلاله لا يزد شيئا من ذلك و لا نحيله و لا نكفيه و لا نقول بنسبة ذلك كله إليه كما ننسبه إلينا نعوذ بالله فإننا ننسبه إلينا على حد علمنا بنا فنعرف كيف ننسبه و الحق يتعالى أن تعرف ذاته فيتعالى أن يعرف كيف ننسب إليه ما نسبه إلى نفسه و من رد شيئا أثبته الحق لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله فقد كفر بما جاء به من عند الله و بمن جاء به و بالله و من آمن ببعض ذلك و رد بعضه فقد كفر حقا و من آمن بذلك و شبهه في نسبة ذلك إليه تعالى مثل نسبتها إلينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل و ما كفر هذا هو العقد الصحيح من غير ترجيح غير أن ثم أسماء تطلق على العبد و لا تطلق على الجناب الإلهي و إن كان المعنى يشمل ذلك كالبخيل يطلق على العبد و لا يطلق على الحق و هو منع و من أسمائه المانع و من بخل فقد منع هذا هو الحق غير أنا نلتمس له وجها و هو أن نقول كل بخل منع و ما كل منع بخل فمن منع المستحق حقه فقد بخل و الحق قرر قول موسى أن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما بخل عليك من أعطاك خلقك و وفاك حقك فمنع ما لا يستحقه الخلق ليس بمنع بخل فبهذا القدر نجعل التفرقة بين المنعين و كذلك اسم الكاذب مما اختص به العبد و لا ينبغي أن يطلق على الحق فهو الصادق بكل وجه كما أن العبد صادق و كاذب و صادق أيضا بكل وجه و لكن نسبة الصدق إلى العبد بكل وجه معروف عندنا لعلمنا بنا و نسبتها إلى الحق مجهولة لنا فهو الصادق كما ينبغي أن يضاف إليه الصدق و قال تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و قال ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة فقيد نزوله بالزمان و

التقييد بالزمان تقييد بالانتقال وكل ذلك مجهول النسبة ثابت الحكم متوجه كما ينبغي لجلاله وكذلك الاسم الجاهل من أسماء الكون و لا يليق بالجناب الإلهي فالإله عالم من حيث إنه موصوف بالعلم و العبد عالم من حيث إنه موصوف بالعلم و جاهل من حيث خصوص تعلق علمه ببعض الأشياء دون بعض و الحق مطلق العلم عام التعلق و قد قال تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فحدد خلاف المعقول و أشارت السوداء إن الله في السماء حين قال لها رسول الله ص أين الله و أثبت لها الايمان في إشارتها و هذا خلاف دليل العقل فقد عرف من الله ما لم نعرف و مع هذا فنقول إن الله هو العالم بنفسه و هو الصحيح فما من اسم تسمى العبد به و لم يتسم الحق به و كان في الخلق نعت نقص و سفساف خلق إلا و العقل و الحق قد منع أن يطلق على الله ذلك الاسم أو ينسب إليه ذلك الخلق و مع هذا فإنه يخبر بأمور و فصول تقابل أدلة العقول فهو الفعال لما يشاء و الجاعل في خلقه ما يشاء لا احتكام عليه و هو الحاكم لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ و قد نبهناك على أمر جليل و علم عظيم و سر غامض خفي لا يعلمه إلا الله و من أعلمه من المخلوقين أحاله عقل و ورد به نقل و بعد عنه فهم و قبله فهم فإن تدبرت فصول هذا الباب وقفت على لباب المعرفة الإلهية و تحققت قوله ص من عرف نفسه عرف ربه و قد أوجدتك أنك محل لكل صفة محمودة و مذمومة ثم أعلمتك معنى الحمد و الذم و حددتك و أطلقتك ذلك لتعلم أنك العالم الذي لا يعلم و هو سبحانه العالم الذي يعلم و لا يعلم فلا يعلم ما هو العبد عليه و أعني بالعبد العالم كله و الإنسان إلا الله تعالى هو يعلمه ثم أعلم بعض عبيده فمنا من علم نفسه و منا من جهل نفسه و منا من تخيل أنه علم نفسه و منا من علم من نفسه بعض ما هو عليه في نفسه و بذلك القدر ينسب إليه أنه علم من ربه فإنه من عرف نفسه عرف ربه و كما لا يجتمع الدليل و المدلول لا تجتمع أنت و هو في حد و لا حقيقة فإنه الخالق و أنت المخلوق و إن كنت خالقا و هو المالك و أنت المملوك و إن كنت مالكا فلا يحجبنك الاشتراك في الأخلاق فإنك المخلوق و هو الخلاق فهذا مقام الخلق قد أبنته و ما عدا هذا مما تشير إليه الصوفية من التخلق فهو تلفيق من الكلام و قولهم في التخلق بالأسماء كذلك و نحن قد أطلقنا مثل ما أطلقوه و لكن عن علم محقق و إطلاق مطلق بأدب إلهي عن تحقق فهو في الحقيقة خلق لا تخلق كما أفهمتك و أكثر من هذا الإيضاح و البيان الذي يطلبه هذا المقام فلا يكون فإنا ما تعدينا فيه حدود الله في عبارتنا و لا ذكرنا شيئا ما نسبه إلى نفسه فما خرجنا عن كلامه و ما أنزله على الصادقين من عباده وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ بل هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فهو العليم و لا عالم و هو الحكيم في ترتيب العالم فالعالم و العليم أعم و الحكيم تعلق خاص للعلم فهذا هو التحقق بالخلق الإلهي و أما الأخلاق التي تحتاج إلى معرفتها أهل السلوك و كلنا سالك إذ لا تصح نهاية فهو أن نقول إن العرف و الشرع قد وردا بمكارم الأخلاق و سفساف الأخلاق و أمرنا بإتيان مكارمها و اجتناب سفسافها ثم إن الشرع قد نبه على أنها على قسمين من الأخلاق ما يكون في جبلة الإنسان كما قال

رسول الله ص للاشج أشج عبد القيس إن فيك لخصلتين يحبهما الله و رسوله الحلم و الأناة و في لفظ آخر لغير مسلم فقال الرجل يا رسول الله أ شيء جبلت عليه قال نعم قال الحمد لله الذي جبلني عليهما أو كما قال و منها مكتسبة فالمكتسب هو الذي يعبر عنه بالتخلق و هو التشبه بمن هي فيه هذه الأخلاق الكريمة جبلية في أصل خلقه و لا شك أن استعمال مكارم الأخلاق صعب لملاقاة الضد في استعمالها في الكون فإن الغرضين و الإرادتين من الشخصين إذا تعارضتا و طلب كل واحد منهما منك أن تصرف معه كريم خلق بقضاء غرضه و لا يتمكن لك الجمع بينهما فمهما أرضيت الواحد أسخطت الآخر و إذا تعذر الجمع و استحال تعميم الرضي و تصريف الخلق الكريم مع كل واحد منهما تعين على الإنسان أن يخرج عن نفسه في ذلك و يجعل الحكم فيه للشرع فيتخذه لهذا الباب ميزانا و إماما فاجعل إمامك ما يرضي الله و فيما يرضي الله و لتصرف خلقك الكريم مع الله خاصة فهو الصاحب و الخليفة و هو أولى أن يعامل بمكارم الأخلاق فما قدمه الله قدمه فإن ذلك التقديم هو تصريف الحق لذلك الخلق مع ذلك العبد و في ذلك المحل فتصريف خلقك مع الله أولى من تصريفه مع الكون بل هو واجب لا أولى فإن جميع الخلق من الملائكة و الرسل و المؤمنين يحمدونك على ذلك الفعل و الخلق الذي عاملت به ذلك الشخص الذي قدمه الحق و أوجب عليك أن تعامله به و ما يذمك فيه إلا صاحب ذلك الغرض إذا لم يكن مؤمنا و مراعاة الأصل أولى و إذا لم تتخلق بمكارم الأخلاق على ما رسمته لك لم يصح لك هذا المقام و يذمك فيه كل مخلوق أ لا ترى شاهد الزور فإنه أول من يتجرح عنده و لا يعتقد فيه و يذمه في باطنه من شهد له و قد أسخط الله و ملائكته و رسله و المؤمنين و ليست مكارم الأخلاق إلا ما يتعلق منها بمعاملة غيرك لا غير و ما عدا ذلك فلا يسمى مكارم خلق و إنما هي نعوت يتخلق بها لتصحيح الصورة أو النسبة لا غير هذا هو ربط هذا الباب في السالكين و المخلصين سعادة الأبد و تفاصيل تصاريف الأخلاق مع الموجودات تكثر لو بيناها و كيفياتها لم يحصرها كتاب و بعد أن أعطيناك أصلا فيها تعتمد عليه فاعمل به و هو أن تنظر إلى حكم الشرع في كل حركة منك في حق كل موجود فتعامله بما قال لك الشارع عامله به على الوجوب أو الندب و لا تتعداه تكن في ذلك محمود النقيبة مأمونا معظما عند الله صاحب نور إلهي (نكتة) فإن كنت فعالا بالهمة أرضيت جميع الموجودات عنك إذ كان لك التصرف في الكل و هو مقام عزيز يعلم و يعقل و لكن ما حصله أحد من خلق الله فهو مخصوص بالحق و لا يظهر به الحق إلا إذا أخذ أهل النار منازلهم و أهل الجنة منازلهم رضي الكل بما هم فيه بإرضاء الحق فلا يشتهي واحد منهم يخرج عن منزلته و هو بها مسرور و هو سر عجيب ما رأينا أحدا نبه عليه من خلق الله و إن كانوا قد علموه بلا شك و ما صانوه و الله أعلم إلا صيانة لأنفسهم و رحمة بالخلق لأن

الإنكار يسرع إليه من السامعين و و الله ما نبهت عليه هنا إلا لغلبة الرحمة علي في هذا الوقت فمن فهم سعد و من لم يفهم لم يشق بعدم فهمه و إن كان محروما و السلام

(الباب الخمسون و مائة في معرفة مقام الغيرة التي هي الستر و أسراره)

ما أعجب الغيرة في العالم ... و وصفنا الله بها أعجب
و قولنا الله غيور على ... ما قرر الشرع و ما نذهب
و قد قبلناه و لكنه ... من أصعب الأمر الذي ينسب
و إنه من حيث أفكارنا ... فرض محال عينه ينصب
و الكشف مثل الشرع في قوله ... و شأن رب الكشف لا يحجب
و الأمر حق و هو أعجوبة ... من أجلها عقولهم تهرب
قد جعل الشبلي في حكمه ... أن لها حكما و ذا أصعب
و هو من أهل الكشف في علمنا ... ضرب مثال عندنا يضرب
و عند أهل الفكر في زعمهم ... على الذي يعطيهم المذهب
بأنها من عالم زلة ... و هي إلى حكم العمي أقرب

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الغيرة نعت إلهي ورد في الخبر أن رسول الله ص قال في سعد إن سعدا لغيور و أنا أغير من سعد و الله أغير مني و من غيرته حرم الفواحش و في هذا الحديث مسألة عظيمة بين الأشاعرة و المعتزلة و هو حديث صحيح فالغيرة أثبتها الايمان و لكن بأداة مخصوصة و هي اللام الأجلية أو من أو الباء و تستحيل بأداة على و هي التي وقعت من الشبلي إما غلطة و إما قبل أن يعرف الله معرفة العارفين فالغيرة في طريق الله هي الغيرة لله أو بالله أو من أجل الله و الغيرة على الله محال فتحقيق كونها نعتا إلهيا و هو نعت يطلب الغير و لذا سميت غيرة فلو لا ملاحظة الغير ما سميت غيرة و لا وجدت فالإله القادر يطلب المألوه المقدور و هو الغير فلا بد من وجود ما يطلب إلا له وجوده فأوجد العالم على أكمل ما يكون الوجود فإنه لا بد أن يكون كذلك لاستحالة إضافة النقص إلى الكامل الاقتدار فلذلك قال أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو الكمال فلو لم يوجد النقص في العالم لما كمل العالم فمن كمال العالم وجود النقص الإضافي فيه فلذلك قلنا إنه وجد على أكمل صورة بحيث إنه لم يبق في الإمكان أكمل منه لأنه على الصورة الإلهية و ورد في الخبر أن الله

خلق آدم على صورته فكان في قوة الإنسان من أجل الصورة أن ينسى عبوديته و لذلك وصف الإنسان بالنسيان فقال في آدم فَنَسِيَ و النسيان نعت إلهي فما نسي إلا من كونه على الصورة فما زلنا مما كنا فيه قال تعالى نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ كما يليق بجلاله فلما علم الحق أن هذا العبد بما كمله الله به من القوة الإلهية بالصورة الكمالية لا بد أن يدعي في نعوت ما هو حق لله لطلب الصورة الكمالية لذلك النعت و هو من بعض النعوت الإلهية فغار الحق من المشاركة في بعض نعوت الجلال و شغل الإنسان بما أباح له من باقي النعوت الإلهية فلما علم أيضا أنه لا يقف عند ذلك و أنه لا بد أن يعطي الصورة الكمالية حقها في الاتصاف بالنعوت الإلهية و إنها تتعدى ما حجر عليها مثل العظمة و الكبرياء و الجبروت فقال الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحدا منهما قصمته و قال كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فهذا هو عين الغيرة غار على هذه النعوت أن تكون لغير الله فحجرها و كذلك تحجرت على الحقيقة بقوله كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فلا يدخل مع هذا الطابع قلب كون من الأكوان تكبر على الله و لا جبروت لأجل هذا الطبع فعلم كل من أظهر من المخلوقين دعوى الألوهية كفرعون و غيره و تكبر و تجبر كل ذلك في ظاهر الكون و هذا الذي ظهرت منه صفة الكبرياء مطبوع على قلبه إن يدخل فيه الكبرياء على الله فإنه يعلم من نفسه افتقاره و حاجته و قيام الآلام به من ألم جوع و عطش و هواء و مرض التي لا تخلو هذه النشأة الحيوانية عنه في هذه الدار و تعذر بعض الأغراض أن تنال مرادها و تألمه لذلك و من هذه صفته من المحال أن يتكبر في نفسه على ربه فهذا معنى الطابع الذي طبع الله على قلب المتكبر الذي يظهر لكم به من الدعوى الجبار يجبركم على ما يريد فمنكم المطيع و المخالف و لو هلك بمخالفته و لهذا يرجى حكم السعادة في المال و لو بعد حين فإن القلوب ما يدخلها كبرياء على الله لكن يدخلها بعضهم على بعض قال تعالى لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ و إذا علمت السماء أنها أكبر من خلق الناس كانت موصوفة بالكبرياء على الناس و ذلك الكبرياء لا يقدح فيها فهذا معنى الغيرة الإلهية فلا رافع لما حجره فلا يتكبر على الله فيما بينه و بين الله أحد من خلق الله هذا محال وقوعه و القدر الذي وقع عليه التحجير الظاهر عليه وقع الذم لمن انتهكه و أضافه إلى نفسه و كذبوا على الله فيه و أما الغيرة لله و من أجل الله و بالله فهو أن يرى الإنسان ما حده الحق أن يتعداه الخلق فيقوم به صفة الغيرة لله لا لنفسه و من أجل الله لا من أجل نفسه إذ علم أن الخلق عبيد الله و أنه من حكم العبد أن لا يتعدى حد ما رسم له سيده و أما أن يغار على الله فإن الغيرة ستر يحجب المغار عليه حتى لا يكون إلا عنده خاصة و طريق الله مبني على أن ندعو الخلق إلى الله و أن نردهم إليه و نحببه إليهم و نعرفهم به و بمكانته و بهذا أمرنا و الغيرة الكونية تأبى ذلك كله لجهلها بالمغار عليه الذي لا يستحق الغيرة عليه و لو لا الوقوع فيمن انتمى إلى الله و جهل بعض ما ينبغي لله و قصد بذلك الخير و لكن ما علم طريقه و إلا كنا نذكر جهل هذا القائل بالغيرة

على الله و لكن يكفي تنبيهنا على أن هذا ليس بصحيح و إنما التبس على مثل هؤلاء الغيرة لله بالغيرة على الله و ما علموا ما بينهما من الفرقان ذكر في باب الغيرة القشيري في رسالته عن بعضهم أنه قيل له متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكرا و ليس هذا بغيرة فالقشيري أخطأ حيث جعل مثل هذا في باب الغيرة من كتابه و تخيل أن الشبلي في حال رؤية الذاكرين الله على الغفلة و بعدم الحرمة مثل من يذكره بلغو الايمان و الايمان الفاجرة و ذكر الله في طلب المعاش في الأسواق فغار أن يذكر بهذه الصفة لما لم يوف المذكور حقه من الحرمة عند الذكر و الشبلي ما يبعد أن يكون هذا قصده بذلك القول في بدء أمره و في وقت حجابه عن معرفة ربه و أما مع المعرفة فلا يكون هذا يعني قوله إذا لم أر له ذاكرا و إن معنى ذلك عندنا في حق كبراء العارفين أن الذكر لا يكون مع المشاهدة فلا بد للذاكر أن يكون محجوبا و إن كان الله جليس الذاكر و لكنه من وراء حجاب الذكر و كل من هو خلف حجاب من مطلوبه فإنه لا راحة عنده فإذا رفع الحجاب وقعت المشاهدة و زال الذكر بتجلي المذكور فلذلك قال إنما أستريح إذا لم أر له ذاكرا فطلب إن تكون مشاهدته تمنعه عن إدراك الذاكرين أو تمنى للذاكرين أن يكونوا في مقام الشهود الذي يمنعهم من الذكر إذ المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه على هذا يخرج قول هذا الرجل إن كان من العارفين و على ذوق آخر و هو أنه لا يستريح إلا إذا رأى أن الذكر هو الله لا الكون إذا كان الحق لسانه كما هو سمعه و بصره و يده فيستريح لأنه رأى أنه قد ذكره من يعلم كيف يذكره إذ كان هو الذاكر نفسه بلسان عبده فاستراح عند ذلك فلم ير له ذاكرا غيره و أما غيرة الرسول و أكابر الأولياء فغيرتهم لله كما قلنا و هي غيرة أدب و الغيرة كتمان ما ينبغي أن يكتم لعدم احترامه لو ظهر عند من لا يقدر قدره كما قال تعالى وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ فمن الغيرة ستر مثل هذا و من الغيرة الإلهية ستره لضنائنه من أهل الخصوص في كنف صونه فلا يعرفون و ذلك رحمة بالخلق فإنه تعالى لو أبدى مكانتهم و رتبتهم العلية لمن علم منه أنه لا بد أن يجري الأذى على يديه في حق هذا المقرب المجتبى ثم جرى منه ذلك الأذى في حقه لكان عدم احترام للجناب الإلهي حيث لم يعظم ما عظمه الله فسترهم عن العلم بهم فما احترموهم و آذوهم لجهلهم بهم و ذلك لما قدره الله و لهذا تسأل هذا الذي آذى ذلك العبد المقرب من نبي أو صديق فتقول له من غير تعيين ما عندك في أولياء الله فيجد عنده من الحرمة لهم و التبرك بذكرهم و الخضوع تحت أقدامهم لو وجدهم فإذا قلت له هذا منهم و هو منهم لم يقم عنده تصديق بذلك و لو جئته بأمر معجز و كل آية ما قدر يعتقد أن ذلك آية و لا أعطته علما فما آذى إلا من جهل لا من علم و مما يؤيد ما ذكرناه أنه لو حسن الظن بشخص و تخيل أنه من أولياء الله و ليس كذلك في نفس الأمر عظمه و احترمه هذا في فطرة كل مخلوق فما قصد أحد انتهاك حرمة الله في أوليائه و هذا من غيرة الحق فإن قلت فقد آذوا الله مع علمهم بأنه الله قلنا في الجواب عن ذلك ما علموا إن ذلك أذى و أنهم تأولوا فأخطئوا في نفس الأمر لحكم الشبهة التي قامت لهم و تخيلوا أنها دليل و هي في نفس الأمر ليست

كذلك و هذه كلها من الحق في عباده أمور مقدرة لا بد من وقوعها فمن غيرته حجابهم عن العلم به و بالخاصة من عباده فجناب الله و أهل الله على الإطلاق محترمون ما لم تعين أو يتأول فاعلم ذلك

(الباب الحادي و الخمسون و مائة في معرفة مقام ترك الغيرة و أسراره)

من يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فهو الذي — بنوره في كل أمر يهتدى
و غيرة العبد إذا حققتها — شح طبيعي من أسباب الردي
و غيرة الحق إذا علمتها — من رؤية الغير و لا غير بدا
فلا تقل بغيرة فإنها — مشتقة من غير فاتركها سدى
و أين عين الغير و هو عدم — فاسلك هديت الرشد أسباب الهدى
وانسب إلى الباري ما قال وما — جاء به شرع و لكن ابتدا
مما لو أن العقل يبقى وحده — ما قاله معتقدا و قدا
فإن يكن بعد سؤال قاله — فهو دواء و هو بالبرهان دا
فالحق ما قرره الشرع و لو — دل على كل محال و بدا
فالمؤمن الحق بهذا مؤمن — و كل من أوله قد اعتدى
لأنه ظن و بعض الظن قد — يكون إثما قائدا نحو الردي

إذا اقتضى نظر العبد العارف ظهور الحق في أعيان الممكنات الثابتة و إنها ما استفادت منه الوجود و إنما استفادت منه ما ظهر مما هي عليه من الحقائق عند ظهوره فيها فأعطته كل وصف و نعت اتصف به مما تضيفه بطريق الحقيقة إلى الإنسان أو العالم كيفما شئت قلت و من جملة النعوت الغيرة المحكوم بها في نسبة ما ظهر به الظاهر لظهور آخر لحكم آخر من عين آخر فإذا كانت العين واحدة فلا غيرة إذ لا غير و إذا نزلت عن هذا النظر إلى قوله ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا و قوله وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ لم يصح وجود الغيرة فإن الغيرة متعلقها النسب أو قل الأعمال و هي كلها لله فعلى من تقع الغيرة و ما هو ثم إذ كانت النسب و الأعمال كلها لله و الغيرة المعلومة الظاهرة في الكون شح طبيعي و الشح في ذلك الجناب العالي و في الأرواح العلى لا يصح فإذا ظهرت فمن النفس الحيوانية و لهذا توجد الغيرة في الحيوانات و أصلها ضيق الملك و فقد الغرض فالكرم المطلق لا يكون معه غيرة أصلا

(الباب الثاني و الخمسون و مائة في مقام الولاية و أسرارها)

إن الولاية عند العارفين بها نعت اشتراك و لكن فيه إشراك
حبالة نصبت للعارفين بها صيد العقول و سيف الشرع بتاك
و العبد ليس له في حكمها قدم و كيف يقضي بشيء فيه إشراك
إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ فقد نزلت و عين تحقيقها ما فيه إدراك
و ما الإله بمحتاج لنصرتنا و قد أتتكم به رسل و أملاك
فسلمته إلى من جاء منه و قل العجز عن درك الإدراك إدراك

الولاية نعت إلهي و هو للعبد خلق لا تخلق و تعلقه من الطرفين عام و لكن لا يشعر بتعلقه عموما من الجناب الإلهي و عموم تعلقه من الكون أظهر عند الجميع فإن الولاية نصر الولي أي نصر الناصر فقد تقع لله و قد تقع حمية و عصبيةفلذلك هو عام التعلق و لما كان هذا النعت للاله كان عام التعلق و هكذا كل نعت إلهي لا بد أن يكون عام التعلق و إن لم يكن كذلك فليس بنعت إلهي لكن بعض النعوت مثل نعت الولاية لا ينسبه الله لنفسه إلا بتعلق خاص للمؤمنين خاصة و الصالحين من عباده و هو ذو النصر العام في كل منصور و لما كان نعتا إلهيا هذا النصر المعبر عنه بالولاية و تسمى سبحانه به و هو اسمه الولي و أكثر ما يأتي مقيدا كقوله اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا سرى في كل ما ينسب إليه إلهية مما ليس بإله و لكن لما تقرر في نفس المشرك أن هذا الحجر أو هذا الكوكب أو ما كان من المخلوقات أنه إله و هو مقام محترم لذاته تعين على المشرك احترام ذلك المنسوب إليه لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه صحيحة و لها وجه و لما علم الله سبحانه أن المشرك ما احترم ذلك المخلوق إلا لكونه إلها في زعمه نظر الحق إليه لأنه مطلوبه فإذا و في بما يجب لتلك النسبة من الحق و الحرمة و كان أشد احتراما لها من الموحد و تراءى الجمعان كانت الغلبة للمشرك على الموحد إذ كان معه النصر الإلهي لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله و إن أخطأ في النسبة و قامت الغفلة و التفريط في حق الموحد فخذل و لم تتعلق به الولاية لأنه غير مشاهد لأيمانه و إنما قاتل ليقال فما قاتل لله فإن الله يقول وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فأي شخص صدق في احترام الألوهية و استحضرها و إن أخطأ في نسبتها و لكن هي مشهوده كان النصر الإلهي معه غيرة إلهية على المقام الإلهي فإنه العزيز الذي لا يغلب فما جعل نصره واجبا عليه للموحد و إنما جعل للمؤمن بما ينبغي للالوهية من الحرمة و وفى بها من وفى و هذا من أسرار الولاية التي لا يشعر بها كل عالم فإن هذا لسان خصوص و أما لسان العموم في هذه الآية و هو نصر المؤمنين فنقول إن الموحد إذا أخلص في إيمانه و ثبت نصر على قرنه بلا

شك فإذا طرأ عليه خلل و لم يكن مصمت الايمان و تزلزل خذله الحق و ما وجد في نفسه قوة يقف بها لعدوه من أجل ذلك الخلل فانهزم فلما رآه عدوه منهزما تبعه و ظهرت الغلبة للعدو على المؤمن فما نصر الله العدو و إنما خذل المؤمن لذلك الخلل الذي داخله فلما خذله لم يجد مؤيدا فانهزم فبالضرورة يتبعه عدوه فما هو نصر للعدو و إنما هو خذلان للمؤمن لما ذكرناه هذا لسان العموم في هذه المسألة فالولاية من الله عامة في مخلوقاته من حيث ما هم عبيده و بهذه الولاية تولاهم في الإيجاد و لما كان متعلق الولاية المؤمنين لذلك أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى و لم يقل لهم أ لست بواحد لعلمه بأنه إذا أوجدهم أشرك بعضهم و وحد بعضهم و اجتمعوا في الإقرار بالربوبية له و زاد المشرك الشريك ثم إنه سبحانه من عموم ولايته أن تولاهم بالوجود في أعيانهم و يحفظ الوجود عليهم و بتمشية أغراضهم و تولاهم بما رزقهم مما فيه قوام عيشهم و مصالحهم عموما و وفق من وفق منهم بولايته لوضع نواميس جعلها في نفوسهم من غير تنزل الذي هو الشرع فوضعها حكماء زمانهم و ذوو الرأي منهم العلماء بما يصلح العالم فتولاهم سبحانه بأن قرر في أنفسهم ما ينبغي أن تكون به المصلحة لهم مراعاة لكل جزء منهم فإن كل جزء من العالم مسبح لله تعالى من كافر و غير كافر فإن أعضاء الكافر كلها مسبحة لله و لهذا يشهد عليه يوم القيامة جلده و سمعه و بصره و يده و رجله غير أن العالم لا يفقهون هذا التسبيح و سريان هذه العبادة في الموجودات و هذا من توليه سبحانه ثم إنه تولاهم بإنزال الشرائع الصادقة المعرفة بمصالح الدنيا و الآخرة ثم تولاهم بما أوجد من الرحمة فيهم التي يتعاطفون بها بعضهم على بعض في الوالدين بأولادهم في تربيتهم و بالأولاد على والديهم من البر بهم و الاعتماد عليهم و بما جعل من شفقة المالكين على مماليكهم و على ما يملكونه من الحيوانات و تولى الحيوان بما جعل فيهم من عطف الأمهات على أولادها في كل حيوان يحتاج الولد إلى تدبير أمه و تولاهم بالأغراض ليهون عليهم المشقات و يسمى مثل هذا تسخيرا فيخرج الشخص لنيل غرضه فيما يزعم و هو من حيث التولي الإلهي ما خرج إلا في حق الغير و هو يتوهم أنه في حق نفسه كالتجار و أمثالهم فالقى في نفس التاجر المسافر طلب الربح في تجارته فقام طيبا نشيط النفس و اشترى من البضاعات ما يحتاج إليه أهل ذلك البلد الذي يقصده فيجوب الأمصار و يركب البحار و يتعدى الأماكن القريبة من أجل حاجة أهل البلد الذي يقصده بما جعل الله في قلبه من ذلك بولايته فإذا وصل إلى ذلك البلد باع بربح أو خسارة و نال أصحاب تلك المدينة أغراضهم و وصلوا إلي حوائجهم و هذا المسخر يتخيل في نفسه أنه ليس بمسخر و إنما سافر ليكسب فلو خرج بنية التسخير و جعل الكسب تبعا كان مستريح الخاطر إن كسب و إن لم يكسب فلهذا قلنا إن ولاية الله عامة التعلق لا تختص بأمر دون أمر و لهذا جعل الوجود كله ناطقا بتسبيحه عالما بصلاته فلم يتول الله إلا المؤمنين و ما ثم إلا مؤمن و الكفر عرض عرض للإنسان بمجيء الشرائع المنزلة و لولا وجود الشرائع ما كان ثم كفر بالله يعطي الشقاء و لذلك قال

وَما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً و ما جاءت الشرائع إلا من أجل التعريف بما هي الدار الآخرة عليه و لو كانت مقصورة على مصالح الدنيا لوقع الاكتفاء بالنواميس الحكمية المشروعة التي ألهم الله من ألهم من عباده لوضعها لوجود المصالح فهذه ولاية الحق و أسرارها و هي الولاية العامة و ولاية الولاية الكونية البشرية و الملكية منها و يكفي هذا القدر و لما جعلهم الله أولياء بعضهم لبعض فقال في المؤمنين بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ و المؤمنات و قال وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ فجعل الولاية بينهم تدور قال عن نفسه وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ لأنه قال وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ من طغى إذا ارتفع و قال في حق نفسه رَفِيعُ الدَّرَجاتِ و هم يعتقدون في الطاغوت الألوهية كما تقدم فلذلك رفعوه فما عبدوا إلا الرفيع الدرجات وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فاجعل بالك و تدبره تعثر على قوله وَقَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ انتهى الجزء الرابع و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب الثالث و الخمسون و مائة في معرفة مقام الولاية البشرية و أسرارها)

من صورة الحق نلنا من ولايته — جميعها فلنا في الحرب أقدام
لنا الخلافة في الدنيا محققة — و ما لها في جنان الخلد أحكام
إنا على النصف من جناتنا أبدا — و ما لنا في كثيب العين أقدام
و هو الكمال كمال الذات يجمعنا — فيه ابتهاج بنا ما فيه آلام
و دار دنياك أمراض و عافية — تعصى الأوامر فيها و هو علام
يقول افعل فلا تسمع مقالته — و لا يرى منه عند النقض إبرام
لذاك قلنا فلم تسمع مقالتنا — و فيه لله إتقان و إحكام
لو قال من قال كن بنعت خالقه — بدت لعينك أرواح و أجسام
لذاك خص من الألفاظ لفظة كن — لها الوجود و ما في الكون إعدام

الولاية البشرية قوله تعالى إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ و قوله أمرا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ فعلمنا أنه لو لم يكن ثم مقابل لوجود الحق و لوجوب وجوده يطلبنا ذلك المقابل بالنصر لنكون في قبضته و ملكه على وجود الحق ما قال الله لنا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ على هذا المقابل المنازع و هذه تعرف بالمقابلة المعقولة و لما كان الحق تعالى له صفة الوجود و صفة وجوب الوجود النفسي و كان المقابل يقال له العدم المطلق و له صفة يسمى

بها المحال فلا يقبل الوجود أبدا لهذه الصفة فلا حظ له في الوجود كما لا حظ للوجوب الوجود النفسي في العدم و لما كان الأمر هكذا كنا نحن في مرتبة الوسط نقبل الوجود لذاتنا و نقبل العدم لذاتنا و نحن لما نقبل عليه فيحكم فينا بما يعطيه حقيقته و نكون ملكا له و يظهر سلطانه فينا فصار العدم المحال يطلبنا أن نكون ملكا له و صار الحق الواجب الوجود لنفسه يطلبنا لنكون ملكه و يظهر فينا سلطانه و نحن على حقيقة نقبل بها الوصفين و نحن إلى العدم أقرب نسبة منا إلى الوجود فإنا معدومون و لكن غير موصوفين بالمحال لكن نعتنا في ذلك العدم الإمكان و هو أنه ليس في قوتنا أن ندفع عن نفوسنا الوجود و لا العدم لكن لنا أعيان ثابتة متميزة عليها يقع الخطاب من الطرفين فيقول العدم لنا كونوا على ما أنتم عليه من العدم لأنه ليس لكم أن تكونوا في مرتبتي و يقول الحق لكل عين من أعيان الممكنات كن فيأمره بالوجود فيقول الممكن نحن في العدم قد عرفناه و ذقناه و قد جاءنا أمر الواجب الوجود بالوجود و ما نعرفه و ما لنا فيه قدم فتعالوا ننصره على هذا المحال العدمي لنعلم ما هذا الوجود ذوقا فكانوا عند قوله كن فلما حصلوا في قبضته لم يرجعوا بعد ذلك إلى العدم أصلا لحلاوة لذة الوجود و حمدوا رأيهم و رأوا بركة نصرهم الله على العدم المحال فالعالم من حيث جوهريته ناصر لله فهو منصور أبدا و جاءت الأعراض فقبلت الوجود فلما ذاقته و علمته دعاها العدم إلى نفسه و قال لها إلى مردك لأنك عرض و لا بقاء لك في الوجود إذ العارض حقيقته أنه لا بقاء له فارجع إلى عن أمري فلذلك دل دليل العقل أن العرض ينعدم لنفسه إذ الفاعل لا يفعل العدم لأنه حكم لا شيء موجود فانعدمت الأعراض في الزمان الثاني من زمان وجودها فحصلت في قبضة العدم المحال فلم ترجع بعد ذلك إلى الوجود بل يوجد الله أمثالها فتشبهها في الحد و الحقيقة و ما هي أعيان تلك التي وجدت و انعدمت للاتساع الإلهي فهذه ولاية ما سوى الله أي نصر ما سوى الله لله و هذا من أسرار الولاية البشرية و مدركها عسير فإن مبناه على العلم بمراتب المعلومات فإذا فهمت هذا فاعلم إن الولاية البشرية على قسمين خاصة و عامة فالعامة توليهم بعضهم بعضا بما في قوتهم من إعطاء المصالح المعلومة في الكون فهم مسخرون بعضهم لبعض الأعلى للأدنى و الأدنى للأعلى و هذا لا ينكره عاقل فإنه الواقع فإن أعلى المراتب الملك فالملك مسخر في مصالح الرعايا و السوقة و الرعايا و السوقة مسخرون للملك فتسخير الملك الرعايا ليس عن أمر الرعايا و لكن لما تقتضيه المصلحة لنفسه و تنتفع الرعايا بحكم التبع لا أنهم المقصودون بذلك الانتفاع الذي يعود عليهم من التسخير و تسخير الرعايا على الوجهين الوجه الواحد يشاركون فيه الملك من أنهم لا يبعثهم على التسخير إلا طلب المنفعة العائدة عليهم من ذلك كما يفعله الملك سواء و التسخير الثاني ما هم عليه من قبول أمر الملك في العسر و اليسر و المنشط و المكره و بهذا ينفصلون عن تسخير الملوك فهم أذلاء أبدا لا يرتفع لهم رأس مع حاجة الملوك إليهم و هذا هو القسم العام و أما القسم الخاص فهو ما لهم من الولاية التي هي النصرة في قبول بعض أحكام الأسماء

الإلهية على غيرها من الأسماء الأخر بمجرد أفعالهم و ما يظهر في أكوانهم لكونهم قابلين لآثا ر الأسماء فيهم فينزلون بهذه الولاية منا زل الحقائق الإلهية فيكون الحكم لهم مثل ما هو الحكم للأسماء بما هم عليه من الاستعداد و هذه الولاية في أصحاب الأحوال أظهر في العامة من ظهورها في أصحاب المقامات و هي في أصحاب المقامات في الخصوص أظهر من ظهورها في أصحاب الأحوال و لكن مد ركها عسير فإن صاحب المقام على العادة المستمرة و هو متغير في كل زمان مع كل نفس لأنه في كل نفس في شأن إلهي لا علم لكل أحد به مع قيامه به من حيث لا يشعر فلا يحمد عليه و هذا الخاص يحمد عليه و صاحب الحال خا رق للعادة فتحيد إليه الأبصا ر و تقبل عليه النفوس و هو ثابت مدة طويلة على حالة واحدة لا يشعر لتغيرها عليه و يحجبه عن معرفة ذلك حبه لسلطنته التي أعطاها الحال فهو على النقيض من صاحب المقام و لو استشعر بنقصه في مرتبته لما رغب في الحال فإنه يدل على جهله و لصاحب هذا المقام أحوال مختلفة منها حال الأمانة و حال الدنو و حال القرب و حال الكشف و حال الجمع و حال اللطف و حال القوة و حال الحماسة و حال اللين و حال الطيب و حال النظافة و حال الأدب فإذا تجلى في السلطنة ا رتاض و قيل فيه سلطان و إذا تجلى في الجلال تأدب فهو أديب و في تجلى الجمال نظيف و في تجلى العظمة طاهر زكى قدوس و إذا تجلى في الطيب عطر عرفه و في الهيبة جعله سيدا و في اللطف ذوبه و في الحسن عشقه فروحنه فللأولياء التفريع و الإقبال و لهم الستور و الحجاب إذا قربهم صانهم و سترهم و خبأهم فجهلوا و إذا عاقبهم و ليسوا بأنبياء أظهر عليهم خرق العوائد فعرفوا فحجبوا الخلق عن الله و هم مأمورون بدعوتهم إلى الله فالحق لأصحاب المقامات من الأولياء مطيع و لكلامهم سميع لهم جميع المقامات و الأحوال و هم ذكران الرجال لا يلحقهم عيب و لا يقوم بهم فيما هم فيه ريب لهم الآخرة مخلصة كما هي لله و لهم الدنيا ممتزجة كما هي لسيدهم فهم بصفات الحق ظاهرون و لذلك جهلوا

(الباب الرابع و الخمسون و مائة في معرفة مقام الولاية الملكية)

إن الولاية توقيف على الخبر — من المهيمن في الأملاك و البشر
و في ملائكة التسخير أظهرها — رب العباد من أهل النفع و الضرر
أما ملائكة التهيام ليس لهم — فيها نصيب على ما جاء في الخبر
مهيمون سكارى من محبته — لا يعلمون بعين لا و لا أثر
الله أكرمهم الله قربهم — الله خصهم بالمشهد الخطر
إني فديتهم من كل حادثة — لا يعلمون بها بالسمع و البصر

اعلم أن الملائكة ثلاثة أصناف صنف مهيم لما أوجدهم تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم و أفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم و لا من هاموا فيه و لا ما هيمهم فهم في الحيرة سكارى و هم الذين أوجدهم الله من أبنية العماء الذي ما فوقه هو أو ما تحته هو أو هم و جميع الملائكة أرواح خلقهم الله في هياكل أنوار كسائر الملائكة إلا أن هؤلاء الملائكة ليس لهم من الولاية إلا ولاية الممكنات التي ذكرناها في شرح إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ و الصنف الثاني الملائكة المسخرة و رأسهم القلم الأعلى و هو العقل الأول سلطان عالم التدوين و التسطير و كان وجودهم مع العالم المهيم غير أنه حجبهم الله عن هذا التجلي الذي هيم أصحابهم لما أراد الله أن يهبه هذا الصنف المسخر من رتبة الإمامة في العالم و له ولاية تخصه و تخص ملائكة التسخير و الصنف الثالث ملائكة التدبير و هي الأرواح المدبرة للأجسام كلها الطبيعية النورية و الهبائية و الفلكية و العنصرية و جميع أجسام العالم و لهؤلاء ولاية أيضا فأما ملائكة التسخير فولايتهم أعني نصرتهم للمؤمنين إذا أذنبوا و توجهت عليهم أسماء الانتقام الإلهية و توجهت في مقامات تلك الأسماء أسماء الغفران و العفو و التجاوز عن السيئات فتقول الملائكة ما قال الله تعالى وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بقولهم رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ما يزيدون على ذلك في حق المؤمن العاصي غير التائب اتكالا منهم على علم الله فيما قصدوه في ذلك الكلام أدبا مع الله سبحانه حيث إنه استحق جناب الله على أهل الله أن يغار من أجله و يدعي على من عصاه و لم يقم بأمره و ما ينبغي لجلاله فإن الملائكة أهل أدب مع الله فقالوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً بقولك وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و هؤلاء العصاة من الداخلين في عموم لفظة كل و علما من قوله أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً فهذا مثل قول العبد الصالح الذي أخبرنا الله بقوله إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فتأدب مع الله في هذا القول لما عصى قومه الله تعالى و لم يتوبوا فعلم الله منه أنه تأدب مع الله و أنه عرض بالمغفرة لما علم أن رحمته سبقت غضبه غير أن نفس الملائكة أقوى في الأدب لأنهم أعلم بالله من هذا العبد و ما ينبغي لجلال الله فلم يقولوا و إن تغفر لهم و إنما قالوا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فهذا يسمى تعريض تنبيه على أن الحق بهذه المثابة كما أخبر عن نفسه فقولهم رحمة فقدموا ذكر الرحمة لأنه تعالى قدمها لما ذكر عبده خضرا فقال آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا قبل أن يذكر ما أعطاه ثم ذكر بعد ذلك الذي أعطاه من أجل رحمته به فقال وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً فلهذا قدمت الملائكة الرحمة و سكتت عن ذكر العصاة في دعائها فبين كلمة عيسى في حق قومه و بين دعاء الملائكة في حق العبيد العصاة من الأدب بون كثير لمن نظر و استبصر و لهذا قام النبي محمد ص بهذه الآية إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ ليلة كاملة ما زال يرددها حتى طلع الفجر إذ كانت كلمة غيره فكان يكررها حكاية و قصده معلوم في ذلك كما قيل في المثل إياك أعني فاسمعي يا جارة و لم يقم ليلة كاملة بآية قول الملائكة لأن مناسبته لعيسى أقرب و مناسبة عيسى للملائكة أقرب لأن جبريل توجه على أمه مريم في إيجاد

عيسى بشرا سويا فسلك محمد ص طريقا بين طريقين في طلب المغفرة لقومه فهذا استنصا رهم الله في حق المؤمنين العصاة و أما نصرتهم بالدعاء لمن تاب منهم فهو قولهم ربنا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ فصرحوا بذكرهم لما كان هؤلاء قد قاموا في مقام القرب الإلهي بالتوبة و قرعوا بابها في رجعتهم إلى الله و الملائكة حجبة الحق فطلبوا من الله المغفرة لهم لما اتصفوا بالتوبة و هذا من الأدب ثم إنهم لما عرفت الملائكة أن بين الجنة و النا ر منزلة متوسطة و هي الأعراف فمن كان في هذه المنزلة ما هو في النا ر و لا في الجنة و علمت من لطف الله بعباده أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فقالت الملائكة بعد قولهم وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ أي لا تنزلهم في الأعراف بل أدخلهم الجنة وَ مَن صَلَحَ الواو هنا بمعنى مع يقولون مع من صلح من آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ كما قال العبد الصالح وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و لم يقل واحد منهم إنك أنت الغفور الرحيم أدبا مع الجناب الإلهي من الطائفتين فاجتمعوا بذكر هذين الاسمين في حضرة الأدب مع الله ثم زادت الملائكة في نصرتها للملائكة الموكلين بقلوب بنى آدم و هم أصحاب اللمات ينصرونهم الدعاء على أعدائهم من الشياطين أصحاب اللمات الموكلين المسلطين على قلوب العباد المنا زعين لما تلقى الملائكة على قلوب بنى آدم في لماتها فقالوا وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ نصرة للملائكة على الشياطين ثم تلطفوا في السؤال بقولهم وَ من تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ثم من نصرتهم لمن في الأرض من غير تعيين مؤمن من غيره قول الله تعالى عنهم وَ الْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ مطلقا من غير تعيين أدبا مع الله و الأرض جامعة فدخل المؤمن و غيره في هذا الاستغفا ر ثم إن الله بشر أهل الأرض بقبول استغفا ر الملائكة بقوله أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و لم يقل الفعال لما يريد و لهذا أيضا قلنا إن مال عباد الله إلى الرحمة و إن سكنوا النا ر فلهم فيها رحمة لا يعلمها غيرهم و ربما تعطيهم تلك الرحمة أن لو شموا رائحة من روائح الجنة تضرروا بها كما تضر رياح الورد و الطيب بأمزجة المحرورين فهذا كله من ولاية الملائكة فعم نصرهم بحمد الله فنعم الإخوان لنا و أما نصرهم المؤمنين على الأعداء في القتال فإنهم ينزلون مددا بالدعاء و في يوم بد ر نزلوا مقاتلين خاصة و كانوا خمسة آلاف و فيه استرواح إذ ليس بنص بقوله وَ ما جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ فكانوا من الملائكة أو هم الملائكة الذين قالوا في حق آدم أَ تَجْعَلُ فِيها من يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ فأنزلهم في يوم بد ر فسفكوا الدماء حيث عابوا آدم بسفك الدماء فلم يتخلفوا عن أمر الله و قوله وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ به أي من عادة البشرية أن تسكن إلى الكثرة إذ كان أهل بد ر قليلين و المشركون كثيرين فلما رأوا الملائكة و هم خمسة آلاف و المسلمون ثلاثمائة و المشركون ألف رجل اطمأنت قلوب المؤمنين بكثرة العدد مع وجود القتال منهم فما اطمأنوا به برؤيتهم و حصل لهم من الأمان في قلوبهم حتى غشيهم النعاس إذ كان الخائف لا ينام و ما ذكر في الكثرة أكثر من خمسة آلاف لأن الخمسة من

الأعداد تحفظ نفسها و غيرها و ليس لغيرها من الأعداد هذه المرتبة فحفظ الله دينه و عباده المؤمنين بِخَمْسَةِ آلَافٍ من الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ أي أصحاب علامات يعرفون بها أنهم من الملائكة أو الملائكة الذين قالوا في حقنا نسفك الدماء فنصرونا على الأعداء بما عابوه علينا إذ أمرهم الله بذلك و لولاية الملائكة وجوه و مواقف متعددة و لكن ذكرنا حصر المراتب التي نبه الله عليها فنصروا أسماء الله و هو أعلى المقامات و نصروا ملائكة اللمات و نصروا المؤمنين و نصروا التائبين و نصروا من في الأرض و ما ثم من يطلب نصرهم أكثر من هذا فانحصرت مراتب النصر ثم إن الله أثنى عليهم بأنهم يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ استفتاحا إيثارا لجناب الله ثم بعد ذلك يَسْتَغْفِرُونَ و هو الذي يليق بهم تقديم جناب الله و لهذا ما قام رسول الله ص في مقام للناس يخطبهم الأقدم حمد الله و الثناء عليه ثم بعد ذلك يتكلم بما شاء و لذلك قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أو قال بذكر الله فهو أجذم أي مقطوع عن الله و إذا كان مقطوعا عن الله فإن شاء الله قبله و إن شاء لم يقبله و إذا بديء فيه بذكر الله فكان موصولا به غير مقطوع أي ليس بأجذم فذكر الله مقبول فالموصول به مقبول بلا شك ثم إنه من علم الملائكة أنهم ما يسبحون في هذه الأحوال إلا بحمد ربهم و الرب المصلح و لا يرد الإصلاح إلا على فساد و ما ذكر الله عنهم أنهم يسبحون بحمد غيره من الأسماء الإلهية إذ قال الله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فعلموا إن المتوجه على العالم إنما هو الاسم الرب إذ كان الغالب على عالم الأرض سلطان الهوى و هو الذي يورث الفساد الذي قالت الملائكة أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها فعلموا ما يقع لعلمهم بالحقائق و كذا وقع الأمر كما قالوه و إنما وقع الغلط عندهم في استعجالهم بهذا القول من قبل أن يعلموا حكمة الله في هذا الفعل ما هي و حملهم على ذلك الغيرة التي فطروا عليها في جناب الله لأن المولد من الأضداد المتنافرة لا بد فيه من المنازعة و لا سيما المولد من الأركان فإنه مولد من مولد من مولد من مولد ركن عن فلك عن برج عن طبيعة عن نفس و الأصل الأسماء الإلهية المتقابلة و من هنالك سرى التقابل في العالم فنحن في آخر الدرجات فالخلاف فيما علا عن رتبة المولد من الأركان أقل و إن كان لا يخلو أ لا ترى إلى الملإ الأعلى كيف يختصمون و ما كان لرسول الله ص علم بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ حتى أعلمه الله بذلك و سبب ذلك أن أصل نشأتهم أيضا تعطي ذلك و من هذه الحقيقة التي خلقوا عليها قالوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ و هو نزاع خفي للربوبية من خلف حجاب الغيرة و التعظيم و أصل النزاع و التنافر ما ذكرناه من الأسماء الإلهية المحيي و المميت و المعز و المذل و الضار و النافع و لا ينبغي أن يكون الإله إلا من هذه أسماؤه مضاف إليها مشيئته و إرادته المقيدتان بلو و هو حرف امتناع فيه سر خفي لأهل العلم بالله فإذا علمت هذا أقمت عذر العالم عند الله و لهذا كانت الملائكة تبدأ في نصرتها و دعائها بتسبيح ربها و الثناء عليه بمثل هذه الأسماء تعريضا أن أصل ما هم فيه من حقائق قوله وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ و من يَهْدِ اللهُ أي الكل بيدك و حينئذ يستغفرون إقامة لعذرهم عند الله و إلى

الله يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فكل علم في العالم مستنبط من العلم الإلهي فهو العلم العام و لا يعرفه إلا نبي أو ولي مقرب مجتبى من ملك و بشر و أما النظر العقلي فإنه لا يصل إلى هذا العلم أبدا من حيث فكره و نظره في الأدلة التي يستقل بها فهذا قد أريتك بعض ما هي عليه الولاية الملكية إلى ما فوق ذلك من تسخيرهم في إنزال الوحي و مصالح العالم من هبوب رياح و نشء سحاب و إنزال مطر إذ كانوا الصَّافَّاتِ و فَالزَّاجِراتِ و فَالتَّالِياتِ و الْمُرْسَلاتِ و النَّاشِراتِ و فَالْفارِقاتِ و فَالْمُلْقِياتِ و النَّازِعاتِ و النَّاشِطاتِ و السَّابِحاتِ و فَالسَّابِقاتِ و فَالْمُدَبِّراتِ و فَالْمُقَسِّماتِ و هؤلاء كلهم من ملائكة التسخير و ولاية كل صنف من مرتبته التي هو فيها و أما ملائكة التدبير و هم الأرواح المدبرة أجسام العالم المركب و هذه المدبرة هي النفوس الناطقة فإن الولاية فيها نصرتها لله فيما جعل في أخذها به سعادتها و سعادة جسدها الذي أمرت بتدبيره فيأتي الطبع فيريد نيل غرضه فينظر العقل ما حكم الشرع الإلهي في ذلك الغرض فإن رآه محمودا عند الله أمضاه و إن رآه مذموما نبه النفس عليه و طلب منها النصرة على قمع هذا الغرض المذموم فساعدته فنصرت العقل بقبول الخير و ذلك لتكون كلمة الله المشروعة هي العليا على كلمة الله في الذين كفروا التي هي السفلي كما كانت الصدقة تقع في يد السائل و هي السفلي و السائل قوله وَأَقْرِضُوا اللهَ و الصدقة تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل المتلفظ بحروف السؤال و اليد العليا هي المنفقة خير من اليد السفلي و هي السائلة و المال لله سبحانه هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ و نحن مستخلفون فيه بل نحن الخزائن و الخزنة لهذا المال فتحقق ما أومأنا إليه في هذا الباب فإنه نافع جدا و مزيل جهلا عظيما و مورث أدبا إلهيا فيه سعادة أبدية لمن وقف عنده و فهمه و عمل به

(الباب الخامس و الخمسون و مائة في معرفة مقام النبوة و أسرارها)

بين الولاية و الرسالة برزخ — فيه النبوة حكمها لا يجهل
لكنها قسمان إن حققتها — قسم بتشريع و ذاك الأول
عند الجميع و ثم قسم آخر — ما فيه تشريع و ذاك الأنزل
في هذه الدنيا و أما عند ما — تبدو لنا الأخرى التي هي منزل
فيزول تشريع الوجود و حكمه — و هناك يظهر أن هذا الأفضل
و هو الأعم فإنه الأصل الذي — لله فهو نبأ الولي الأكمل

النبوة نعت إلهي يثبتها في الجناب العالي الاسم السميع و يثبت حكمها صفة الأمر الذي في الدعاء المأمور به و إجابة الحق عباده فيما يسألونه فيه فإنها أيضا من الله في حق العبد سؤال إلهي بصفة افعل و لا تفعل و تقول نحن سَمِعْنا وَ أَطَعْنا و يقول هو سبحانه سمعت و أجبت فإنه قال أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و صيغة الأمر من العبد في الطلب اغْفِرْ لَنا ارْحَمْنا اعْفُ عَنّا فَانْصُرْنا و اهْدِنَا ارْزُقْنا و شبه ذلك و صيغة النهي من العبد في الدعاء لا تُزِغْ قُلُوبَنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ و ليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرنا إلا أنه لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما أطلق في الولاية فسمى نفسه وليا و ما سمي نفسه نبيا مع كونه أخبرنا و سمع دعاءنا فهو من الوجهين بهذه المثابة و لهذا قال ص إن الرسالة و النبوة قد انقطعت و ما انقطعت إلا من وجه خاص انقطع منها مسمى النبي و الرسول و لذلك قال فلا رسول بعدي و لا نبي ثم أبقى منها المبشرات و أبقى منها حكم المجتهدين و أزال عنهم الاسم أبقى الحكم و أمر من لا علم له بالحكم الإلهي أن يسأل أهل الذكر فيفتونه بما أداه إليه اجتهادهم و إن اختلفوا كما اختلفت الشرائع لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً و كذلك لكل مجتهد جعل له شرعة من دليله و منهاجا و هو عين دليله في إثبات الحكم و يحرم عليه العدول عنه و قرر الشرع الإلهي ذلك كله فحرم الشافعي عين ما أحله الحنفي و أجاز أبو حنيفة عين ما منعه أحمد بن حنبل فأجاز هذا ما لم يجز هذا فاتفقوا في أشياء و اختلفوا في أشياء و كل في هذه الأمة شرع مقرر لنا من عند الله مع علمنا إن مرتبتهم دون مرتبة الرسل الموحى إليهم من عند الله فالنبوة و الرسالة من حيث عينها و حكمها ما نسخت و إنما انقطع الوحي الخاص بالرسول و النبي من نزول الملك على أذنه و قلبه و تحجير لفظ اسم النبي و الرسول فلا يقال في المجتهد إنه نبي و لا رسول كما حجر الاجتهاد على الأنبياء فيما شرعه و المجتهد و إن كان يرشد الناس بما أداه إليه دليله و اجتهاده فلا يطلق عليه هذا الاسم فهو لفظ خاص بالأنبياء و الرسل ما هو لله و لا للأولياء بل هو اسم خاص للعبودية التي هي عين القرب من السيد و عدم مزاحمة السيد في رتبته بخلاف الولاية فإن العبد مزاحم له في اسم الولي تعالى و لهذا شق على المستخلصين من العبيد انقطاع اسم النبي و اسم الرسول لما كان من خصائصها و لم يكن له في الأسماء الإلهية عين و إذا كانت النبوة نعتا إلهيا في أحكامها و منها أوجب الحق على نفسه ما أوجب لأن الوجوب للشرع ما هو لغير الشرع فقال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ هذا من حكم الشرع فاعلم ذلك و تثبت في معرفة ما ذكرناه فإنه سهل المرتقى صعب النزول عنه هكذا رأيته في الواقعة ليلة أردت أن أقيد هذا الباب فما تكلمنا في هذا الباب بما تكلمنا به إلا بما شاهدناه في الواقعة و رأينا فيها باب اسم الرسول و النبي مغلقا على يميني و المعراج بإدراجه منه إلى الطريق الشارع الذي يمشي الناس عليه و أنا عند الباب واقف و ليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقام لأحد إلا ما في داخل ذلك المغلق الموثق الغلق و مع غلقه

ما ينحجب عني ما وراءه إلا أنه لا قدم لأحد فيه إلا الكشف و لقد طلع إلى شخص فلما وصل بسهولة و رآه توعر عليه النزول و حار و لم يقدر على الثبات فيه فتركني و سلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع و راح و تركني راجعا و استيقظت على هذه الحالة فقيدت ما أودعته في هذا الباب و رأيت في هذه الليلة رسول الله ص و هو يكره إدخال الجنازة في المسجد و يكره أيضا أن يستر الميت من الذكران بثوب زائد على كفنه و أمر أن يسلب عنه و يترك على نعشه في كفنه و أن لا يستر في تابوت أصلا و أمرني إذا كان البردان أسخن الماء للغسل من الجنابة و لا أصبح على جنابة و رأيته يشكر على الجماع و يستحسن ذلك من فاعله هذا كله رأيته في هذه الليلة و رأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة و ذكرت له أن رسول الله ص أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة فقال لي هكذا ذكر البخاري أنه رأى النبي ص في النوم فأمره بذلك و رأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك و رآني الفربري في النوم و علمت أنه رآني في النوم و رأيته أنا في نومه فذكر لي أن البخاري ذكر له هذا فعلمته أنا من قول الفربري و ثبت عندي و ها أنا في النوم قد قلته لك فاعمل به و استيقظت فأمرت أهلي أن يسخنوا لي ماء و اغتسلت مع الفجر و هذه كلها من المبشرات و أما النبوة التي هي غير مهموزة فهي الرفعة و لم يطلق على الله منها اسم و لها في الإله اسم رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ و لها أيضا الاسم العلي و الأعلى و هي النبوة المهموزة و هي مولدة عن النبوة التي هي الرفعة فالقصر الأصل و المد زيادة ألا ترى العرب في ضرورة الشعر تجوز قصر الممدود لأنه رجوع إلى الأصل و لا تجوز مد المقصور لأنه خروج عن الأصل و الروح بينه تعالى و بين من شاء من عباده بالبشارة و النذارة و للأولياء في هذه النبوة مشرب عظيم كما ذكرنا و لا سيما و النبي ص قد قال فيمن حفظ القرآن إن النبوة قد أدرجت بين جنبيه فإنها له غيب و هي للنبي شهادة فهذا هو الفرقان بين النبي و الولي في النبوة فيقال فيه نبي و يقال في الولي وارث و الوراثة نعت إلهي فإنه قال عن نفسه إنه خَيْرُ الْوارِثِينَ فالولي لا يأخذ النبوة من النبي إلا بعد أن يرثها الحق منهم ثم يلقيها إلى الولي ليكون ذلك أتم في حقه حتى ينتسب في ذلك إلى الله لا إلى غيره و بعض الأولياء يأخذونها وراثة عن النبي و هم الصحابة الذين شاهدوه أو من رآه في النوم ثم علماء الرسوم يأخذونها خلفا عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب و أما الأولياء فيأخذونها عن الله تعالى من كونه ورثها و جاد بها على هؤلاء فهم أتباع الرسل بمثل هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ قال أبو يزيد أخذتم علمكم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت قال الله تعالى لنبيه ص في مثل هذا المقام لما ذكر الأنبياء عليهم السلام في سورة الأنعام أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و كانوا قد ماتوا و ورثهم الله و هو خَيْرُ الْوارِثِينَ ثم جاد على النبي ص بذلك الهدى الذي هداهم به فجعله ص مقتديا بهداهم و الموصل الله و نعم السند وَ نِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ و هذا

عين ما قلناه في علم الأولياء اليوم بهدى النبي ص و هدى الأنبياء أخذوه عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة بهم و عناية سبقت لهم عند ربهم كما قال في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً و هذه النبوة سارية في الحيوان مثل قوله تعالى وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ و كلهم بهذه المثابة فمن علمه الله منطق الحيوانات و تسبيح النبات و الجماد و علم صلاة كل واحد من المخلوقات و تسبيحه علم إن النبوة سارية في كل موجود يعلم ذلك أهل الكشف و الوجود لكنه لا ينطلق من ذلك اسم نبي و لا رسول على واحد منهم إلا على الملائكة خاصة الرسل منهم و هم المسمون ملائكة و كل روح لا يعطي رسالة فهو روح لا يقال فيه ملك إلا مجازا كالأرواح المخلوقة من أنفاس المؤمنين الذاكرين الله يخلق الله من أنفاسهم أرواحا يستغفرون لصاحب ذلك الذكر إلى يوم القيامة و كذلك من أعمالهم كلها المحمودة التي فيها أنفاسهم و لقد رأيته ص في مبشرة و هو يقول و يشير إلى الكعبة يا ساكني هذا البيت لا تمنعوا أحدا طاف به و صلى في أي وقت شاء من ليل أو نهار فإن الله يخلق له من صلاته ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة و هؤلاء كلهم أرواح مطهرة فمن أرسل منهم في أمر سمي ملكا

(الباب السادس و الخمسون و مائة في معرفة النبوة البشرية و أسرارها)

إن النبوة إخبار لأرواح | مقيدين بأرواح و أشباح
لها القصور عليهم كلما وردت | بكل وجه من التشريع وضاح
و قد تكون بلا شرع مخبرة | بما يكون من أتراح و أفراح

اعلم أن النبوة البشرية على قسمين قسم من الله إلى عبده من غير روح ملكي بين الله و بين عبده بل إخبارات إلهية يجدها في نفسه من الغيب أو في تجليات لا يتعلق بذلك الإخبار حكم تحليل و لا تحريم بل تعريف إلهي و مزيد علم بالاله أو تعريف بصدق حكم مشروع ثابت إنه من عند الله لهذا النبي الذي أرسل إلى من أرسل إليه أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته عند علماء الرسوم فيطلع صاحب هذا المقام على صحة ما صح من ذلك و فساد ما فسد مع وجود النقل بالطرق الضعيفة أو صحة ما فسد عند أرباب النقل أو فساد ما صح عندهم و الإخبار بنتائج الأعمال و أسباب السعادات و حكم التكاليف في الظاهر و الباطن و معرفة الحد في ذلك و المطلع كل ذلك بينة من الله و شاهد عدل إلهي من نفسه غير أنه لا سبيل أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع نبيه و رسوله الذي أرسل إليه و أمرنا باتباعه فيتبعه على علم صحيح و قدم صدق ثابت عند الله تعالى ثم إن لصاحب هذا المقام الاطلاع على الغيوب في أوقات و في أوقات لا علم له بها و لكن من شرطه العلم بأوضاع الأسباب في العالم و ما يؤول إليه الواقف عندها أدبا و الواقف معها

اعتمادا عليها كل ذلك يعلمه صاحب هذا المقام و له درجات الاتباع و هو تابع لا متبوع و محكوم لا حاكم و لا بد له في طريقه من مشاهدة قدم رسوله و إمامه لا يمكن أن يغيب عنه حتى في الكثيب و هذا كله كان في الأمم السالفة و أما هذه الأمة المحمدية فحكمهم ما ذكرناه و زيادة و هو أن لهم بحكم شرع النبي محمد ص أن يسنوا سنة حسنة مما لا تحل حراما و لا تحرم حلالا و مما لها أصل في الأحكام المشروعة و تسنينه إياها ما أعطاه له مقامه و إنما حكم به الشرع و قرره بقوله من سن سنة حسنة الحديث كمسألة بلال في الركعتين بعد الأذان و إحداث الطهارة عند كل حدث و ركعتين عقيب كل وضوء و القعود على طهارة و ركعتين بعد الفراغ من الطعام و صدقة على وجه خاص بسنة و كل أدب مستحسن مما لم يعينه الشارع فلهذه الأمة تسنينه و لهم أجر من عمل بذلك غير أنهم كما قلنا لا يحلون حراما و لا يحرمون حلالا و لا يحدثون حكما ثم لهم الرفعة الإلهية العامة التي تصحبهم في الدنيا و الآخرة و القسم الثاني من النبوة البشرية هم الذين يكونون مثل التلامذة بين يدي الملك ينزل عليهم الروح الأمين بشريعة من الله في حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء و يحرم عليهم ما شاء و لا يلزمهم اتباع الرسل و هذا كله كان قبل مبعث محمد ص فأما اليوم فما بقي لهذا المقام أثر إلا ما ذكرناه من حكم المجتهدين من العلماء بتقرير الشرع لذلك في حقهم فيحلون بالدليل ما أداهم إلى تحليله اجتهادهم و إن حرمه المجتهد الآخر و لكن لا يكون ذلك بوحي إلهي و لا بكشف و الذي لصاحب الكشف في هذه الأمة تصحيح الشرع المحمدي ما له حكم الاجتهاد فلا يحصل لصاحب هذا المقام اليوم أجر المجتهدين و لا مرتبة الحكم فإن العلم بما هو الأمر عليه في الشرع المنزل يمنعهم من ذلك و لو ثبت عند المجتهد ما ثبت عند صاحب هذا المقام من الكشف بطل اجتهاده و حرم عليه ذلك الحكم و لذلك ليس للمجتهد أن يفتي في الوقائع إلا عند نزولها لا عند تقدير نزولها و إنما ذلك للشارع الأصلي لاحتمال إن يرجع عن ذلك الحكم بالاجتهاد عند نزول ما قدر نزوله و لذلك حرم العلماء الفتيا بالتقليد فلعل الإمام الذي قلده في ذلك الحكم الذي حكم به في زمانه لو عاش إلى اليوم كان يبدو له خلاف ما أفتى به فيرجع عن ذلك الحكم إلى غيره فلا سبيل أن يفتي في دين الله إلا مجتهد أو بنص من كتاب أو سنة لا بقول إمام لا يعرف دليله و إذا كان الأمر على ما ذكرناه فلم يبق في هذه الأمة المحمدية نبوة تشريع فلا نطيل الكلام فيها أكثر من هذا و لكن نطيل الكلام إن شاء الله أكثر من هذا في باب الرسالة البشرية لتقرير حكم المجتهدين و الأمر الإلهي بسؤالهم فيما جهل من حكم الله في الأشياء انتهى الجزء الخامس و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و الخمسون و مائة في معرفة مقام النبوة الملكية)

أوحى الإله إلى الأملاك تعبده يأمره ما لهم في النهي من قدم
و هم عبيد اختصاص لا يقابله ضد و قد منحوا مفاتح الكرم
لا يعرفون خروجا عن أوامره و رأسهم ملك سماه بالقلم
أعطاه من علمه ما لا يقدره خلق و إن له في رتبة القدم
حكما كما قال في العرجون خالقنا في سورة القلب جل الله من حكم
هم أنبياء أحباء بأجمعهم بلا خلاف و هم من جملة الأمم
لكل شخص من الأملاك مرتبة معلومة ظهرت للعين كالعلم
و هم على فضلهم على التفاضل في تقريبهم و لهم جوامع الكلم

قال الله تعالى لإبليس أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ و هم أرفع الأرواح العلوية و ليسوا بملائكة من حيث الاسم فإنه موضوع للرسل منهم خاصة فمعنى الملائكة الرسل و هو من المقلوب و أصله مالكة و الألوكة الرسالة و المالكة الرسالة فما تختص بجنس دون جنس و لهذا دخل إبليس في الخطاب بالأمر بالسجود لما قال الله لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لأنه ممن كان يستعمل في الرسالة فهو رسول فأمره الله ف أَبى وَ اسْتَكْبَرَ و قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي من نا رٍ وَ خَلَقْتَهُ من طِينٍ فالرسالة جنس حكم يعم الأرواح الكرام البررة السفرة و الجن و الإنس فمن كل صنف من أرسل و منه من لم يرسل فالنبوءة الملكية المهموزة لا ينالها إلا الطبقة الأولى الحافون من حول العرش و لهذا يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ و أفراد من ملائكة الكرسي و السموات و ملائكة العروج و آخر نبي من الملائكة إسماعيل صاحب سماء الدنيا و كل واحد منهم على شريعة من ربه متعبد بعبادة خاصة و ذلك قولهم وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فاعترفوا بأن لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها و لا معنى للشريعة إلا هذا فإذا أتى الوحي إليهم و سمعوا كلام الله بالوحي ضربوا بأجنحتهم خضعانا يسمعونه كسلسلة على صفوان فيصعقون ما شاء الله ثم ينادون فيفيقون فيقولون ما ذا فيقال لهم ربكم فيقولون الحق و هو قوله تعالى في حقهم حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فجاءوا في ذكرهم بالاسم العلي في كبريائه إن كان من قولهم فإنه محتمل أن يكون قول الله أو يكون حكاية الحق عن قولهم و العالون هم الذين قالوا لهؤلاء الذين أفاقوا ربكم و هم الذين نادوهم و هم العالون فلهذا جاء بالاسم العلي لأن كل موجود لا يعرف الحق إلا من نفسه و لذلك قال ص من عرف نفسه عرف ربه فجاء بمن و هي نكرة فعم كل عا رف من كل جنس و علق المعرفة بالربوبية و كذا قال العالون لهؤلاء الذين صعقوا حين استفهموهم ربكم و ما قالوا إلهكم و هم العالون فقالوا

العلي الكبير و اعلم أن العبادة في كل ما سوى الله على قسمين عبادة ذاتية و هي العبادة التي تستحقها ذات الحق و هي عبادة عن تجل إلهي و عبادة وضعية أمرية و هي النبوة فكل من عبده عن أمره و وقف عند حده ك الصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِراتِ زَجْراً فَالتَّالِياتِ و فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً و النَّاشِطاتِ نَشْطاً وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً و الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً و هم صنف من الملائكة التاليات وَالنَّاشِراتِ نَشْراً فَالْفارِقاتِ فَرْقاً فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً و هم إخوان المدبرات من الملائكة حضرتهم متجاورة و كل هؤلاء أنبياء ملكيون عبدوا الله بما وصفهم به فهم في مقامهم لا يبرحون إلا من أمر منهم بأمر يبلغه و سيأتي في الرسالة الملكية و هو قول جبريل وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ فهم تحت تسخير رب محمد ص من الاسم الذي يخصه و لله ملائكة في الأرض سياحون فيها يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلس ذكر نادى بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم و هم الملائكة الذي خلقهم الله من أنفاس بنى آدم فينبغي للمذكر أن يراقب الله و يستحيي منه و يكون عالما بما يورده و ما ينبغي لجلال الله و يجتنب الطامات في وعظه فإن الملائكة يتأذون إذا سمعوا في الحق و في المصطفين من عباده ما لا يليق و هم عالمون بالقصص و قد أخبر ص أن العبد إذا كذب الكذبة تباعد عنه الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به فتمقته الملائكة فإذا علم المذكران مثل هؤلاء يحضرون مجلسه فينبغي له أن يتحرى الصدق و لا يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلات من أثنى الله عليهم و اجتباهم و يجعل ذلك تفسير الكتاب الله و يقول قال المفسرون و ما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام كقصة يوسف و داود و أمثالهم عليهم السلام و محمد ص بتأويلات فاسدة و أسانيد واهية عن قوم قالوا في الله ما قد ذكر الله عنهم فإذا أورد المذكر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة و نفروا عنه و مقته الله و وجد الذي في دينه رخصة يلجأ إليها في معصيته و يقول إذا كانت الأنبياء قد وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا و حاشا و الله الأنبياء مما نسبت إليهم اليهود لعنهم الله فينبغي للمذكر أن يحترم جلساءه و لا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله و يرغب في الجنة و يحذر من النار و أهوال الموقف و الوقوف بين يدي الله من أجل من عنده من البطالين المفرطين من البشر و قد ذكرنا في شرح كلام الله فيما ورد من ذكر الأنبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم ما هو شرح على الحقيقة لكلام الله فهؤلاء المذكورون نقلة عن اليهود لا عن كلام الله لما غلب عليهم من الجهل فواجب على المذكر إقامة حرمة الأنبياء عليهم السلام و الحياء من الله أن لا يقلدا اليهود فيما قالوا في حق الأنبياء من المثالب و نقلة المفسرين خذلهم الله و منها مراعاة من يحضر مجلسه من الملائكة السياحين فمن يراعي هذه الأمور ينبغي أن يذكر الناس و يكون مجلسه رحمة بالحاضرين و منفعة

(الباب الثامن و الخمسون و مائة في مقام الرسالة و أسرارها)

إلا إن الرسالة برزخية و لا يحتاج صاحبها لنية
إذا أعطت بنيته قواها تلقتها بقوتها البنية
فيضحى مقسطا حكما عليما سؤوسا في تصاريف البرية
يصرفهم و يصرفه إليها كما تعطي مراتبها العلية
فمن فهم الذي قلناه فيها نفى أحكام كسب فلسفيه
و إن الاختصاص بها منوط كما دلت عليه الأشعرية
و ما من شرطها عمل و علم و لا من شرطها نفس زكيه
و لكن العوائد إن تراه على خير و أحوال رضية

اعلم أن الولاية هي المحيطة العامة و هي الدائرة الكبرى فمن حكمها أن يتولى الله من شاء من عباده بنبوة و هي من أحكام الولاية و قد يتولاه بالرسالة و هي من أحكام الولاية أيضا فكل رسول لا بد أن يكون نبيا و كل نبي لا بد أن يكون وليا فكل رسول لا بد أن يكون وليا فالرسالة خصوص مقام في الولاية و الرسالة في الملائكة دنيا و آخرة لأنهم سفراء الحق لبعضهم و صنفهم و لمن سواهم من البشر في الدنيا و الآخرة و الرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا و ينقطع حكمها في الآخرة و كذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة و النار نبوة التشريع لا النبوة العامة و أصل الرسالة في الأسماء الإلهية و حقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام و لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ و هي تتجدد و هو قوله ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فالإتيان به هو الرسالة و حدوث الذكر عند السامع المرسل إليه هو الكلام المرسل به و قد يسمى الكلام المرسل به رسالة و هو علم يوصله إلى المرسل إليه و لهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن و الرسل هو اللبن لكن للرسالة مقام عند الله منه يبعث الله الرسل فلهذا جعلنا للرسالة مقاما و هو عند الكرسي ذلك هو مقام الرسالة و نبوة التشريع و ما فوق ذلك فنبوة لا رسالة فالرسل لا يفضل بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل و إنما فضل الله بعض الرسل على بعض و بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و ما من جماعة يشتركون في مقام إلا و هم على السواء فيما اشتركوا فيه و يفضل بعضهم بعضا بأحوال أخر ما هي عين ما وقع فيه الاشتراك و قد يكون ما يقع به المفاضلة يؤدي إلى التساوي و هو مذهب أبي القاسم بن قسي من الطائفة و من قال بقوله فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه فيفضل الواحد منهم بأمر لا يكون عند غيره و يفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله و عندنا قد لا يكون

التساوي ويجمع لواحد جميع ما عند الجماعة فيفضل الجماعة بجمع ما فضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد و لا يفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله بأمر ليس عند آحاد الجنس هكذا هو في نفس الأمر في كل جنس فلا بد من إمام في كل نوع من رسول ونبي وولي ومؤمن وإنسان وحيوان ونبات ومعدن وملك وقد نبهنا على ذلك قبل هذا في الاختيارات فمقام الرسالة الكرسي لأنه من الكرسي تنقسم الكلمة الإلهية إلى خبر وحكم فللأولياء والأنبياء الخبر خاصة ولأنبياء الشرائع والرسل الخبر والحكم ثم ينقسم الحكم إلى أمر ونهي ثم ينقسم الأمر إلى قسمين إلى مخير فيه وهو المباح وإلى مرغب فيه ثم ينقسم المرغب فيه إلى قسمين إلى ما يذم تاركه شرعا وهو الواجب والفرض وإلى ما يحمد بفعله وهو المندوب ولا يذم بتركه والنهي ينقسم قسمين نهي عن أمر يتعلق الذم بفاعله وهو المحظور ونهي يتعلق الحمد بتركه ولا يذم بفعله وهو المكروه وأما الخبر فينقسم قسمين قسم يتعلق بما هو الحق عليه وقسم يتعلق بما هو العالم عليه والذي يتعلق بما هو الحق عليه ينقسم قسمين قسم يعلم وقسم لا يعلم فالذي لا يعلم ذاته والذي يعلم ينقسم قسمين قسم يطلب نفي المماثلة وعدم المناسبة وهو صفات التنزيه والسلب مثل لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ والْقُدُّوسُ وشبه ذلك وقسم يطلب المماثلة وهو صفات الأفعال وكل اسم إلهي يطلب العالم وهذه الأقسام كلها مجموع الرسالة وبه أتت الرسل والرسالة إذا ثبتت وثبت أنها اختصاص إلهي غير مكتسبة يثبت بها كون الحق متكلما أي موصوفا بالكلام فإنه مبلغ ما قيل له قل ولو كان مبلغا ما عنده أو ما يجده من العلم في نفسه لم يكن رسولا ولكان معلما فكل رسول معلم وما كل معلم رسول وما سميت رسالة إلا من أجل هذه الأقسام التي تحتوي عليه ولولا هذه الأقسام لم تكن رسالة لأن الأمر الواحد من غير معقولية سواه لا تقع الفائدة بتبليغه عند المرسل إليه لأنه لا يعقله ولهذا لا يعقل الذات الإلهية لأنها لا سوى لها ولا غير وتعقل الألوهية والربوبية لأن سواها المألوه والمربوب فتنبه لما أشرنا إليه تعثر على العلم المخزون والمرسلات عرفا تنبيه على التتابع والكثرة والتاليات يتلو بعضها بعضا فالرسالة يتلو بعضها بعضا ولهذا انقسمت والله الهادي

(الباب التاسع والخمسون ومائة في مقام الرسالة البشرية)

إن الرسول لسان الحق للبشر ... بالأمر والنهي والإعلام والعبر

هم أذكياء ولكن لا يصرفهم ... ذاك الذكاء لما فيه من الغرر

أ لا تراهم لتأبير النخيل وما ... قد كان فيه على ما جاء من ضرر

هم سالمون من الأفكار إن شرعوا ... حكما بحل وتحريم على البشر

إن الرسالة في الدنيا قد انقطعت في وقتنا للذي قد جاء في الخبر
و قد مضى حكمها دنيا و آخرة و ما لها في وجود العين من أثر
لو لا التكاليف لم يختص صاحبها عن غيره لوجود الوحي و النظر
النحل يوحى إليه دائما أبدا إلى القيامة في السكنى و في الثمر

الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل و مرسل إليه و المرسل به قد يعبر عنه بالرسالة و قد تكون الرسالة حال الرسول و هي بالجملة ليست بمقام و إنما هي نسبة حال و تنقطع بانقطاع التبليغ بالفعل و يزول حكمها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و أوجب عليه ذلك فقال يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ فالرسالة هنا هي التي أرسل بها و بلغها و هكذا وردت في القرآن حيثما وردت و لا يقبلها الرسول إلا بوساطة روح قدسي أمين ينزل بالرسالة على قلبه و أحيانا يتمثل له الملك رجلا و كل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية و إنما يسمى وحيا أو إلهاما أو نفثا أو إلقاء أو وجودا و لا تكون الرسالة إلا كما ذكرنا و لا يكون هذا الوصف إلا للرسول البشري و ما عدا هذا من ضروب الوحي فإنه يكون لغير النبي و الرسول و الفرق بين النبي و الرسول أن النبي إذا ألقى إليه الروح ما ذكرناه اقتصر بذلك الحكم على نفسه خاصة و يحرم عليه أن يتبع غيره فهذا هو النبي فإذا قيل له بلغ ما أنزل إليك إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء و إما عامة للناس و لم يكن ذلك إلا لمحمد ص لم يكن لغيره قبله فسمى بهذا الوجه رسولا و الذي جاء به رسالة و ما اختص به من الحكم في نفسه و حرم على غيره من ذلك الحكم هو نبي مع كونه رسولا و إن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبي و أعني نبوة الشرائع التي ليست للأولياء فكل رسول لم يخص بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبي و إن خص مع التبليغ فهو رسول و نبي فما كل رسول نبي على ما قلناه و لا كل نبى رسول بلا خلاف ثم إن الورثة و هم الأتباع الذين أمروا بالتبليغ كمعاذ و علي و دحية رسل رسول الله ص و لا يزال كل متأخر مأمورا بالتبليغ ممن أمر بالتبليغ متصل الطريق مأمورا عن مأمور إلى رسول الله ص يسمى رسولا و لكن ما هي الرسالة التي انقطعت و الرسالة التي انقطعت هي تنزل الحكم الإلهي على قلب البشر بوساطة الروح كما قررناه فذلك الباب هو الذي سد و الرسالة و النبوة التي انقطعت و أما الإلقاء بغير التشريع فليس بمحجور و لا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المقرر أو فساده فلم تنقطع و كذلك تنزل القرآن على قلوب الأولياء ما انقطع مع كونه محفوظا لهم و لكن لهم ذوق الإنزال و هذا لبعضهم (و لهذا) ذكر عن أبي يزيد أنه ما مات حتى استظهر القرآن أي أخذه عن إنزال و هو الذي نبه النبي ص فيمن حفظ القرآن يعني على هذا الوجه أن النبوة قد أدرجت بين جنبيه و لم يقل في صدره و

هذا معنى استظها ر القرآن أي أخذه عن ظهر فله مثل هذا التنزل مستمر فيمن شاء الله من عباده لكن على هذا النعت و الصفة و هو قوله تعالى يُلْقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلى من يَشاءُ من عِبادِهِ فالرسل مبشرون و منذ رون و الورثة منذ رون خاصة لا مبشرون لكنهم مبشرون اسم مفعول فإذا بشر الولي أحدا بسعادة فما هو من هذا الباب بل البشا رة في ذلك بتعيين السعيد و بشا رة الأنبياء متعلقة بالعمل المشروع و هو أنه من عمل كذا كان له كذا في الجنة أو نجاه الله من النا ر بعمل كذا هذا لا يكون إلا للرسل ليس للولي فيه دخول و له أن يعطي تعيين السعيد لا من حيث العمل فيقول في الكافر و هو في حال كفره إنه سعيد و في المؤمن في حال إيمانه إنه شقي فيختم لكل واحد بالسبب الموجب لسعادته أو شقاوته تصديقا لقول الولي هذا القد ر بقي للأولياء من نبوة الإخبا ر لا من نبوة التشريع و لها من الحروف ياء العلة و له الدعوى و الآيات و صاحبها مسئول و له الكشف في أوقات و هو قوله لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ به و هي و إن نزلت من الكرسي فإذا رجعت فلا تتعدى سد رة المنتهى و الرسالة تنزل معاني و تعود إلى السد رة صورا ينشئها العبد إنشاء و هذا له من الاسم الخلاق الذي أعطى و معراجها براقي و رفرفي و لكن من السموات و رئيس أ رواحها النا زلين بها جبريل و هو أستا ذ الرسل و هو الموكل بهذا المقام و ما يتصور لهذا المقام نسخ و إنما الأشخاص تختلف و كل شخص يجري فيه إلى أجل مسمى و لهذا جاء وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً و قال رُسُلَنا تَتْرا و لا يقع فيها تفاضل و إنما التفاضل بين المرسلين لا من كونهم مرسلين بل من مقام آخر و لا يشترط على الرسول فيها إقامة الدليل للمرسل إليه بل لها الجبر و لهذا مع وجود الدليل ما نجد وقوع الايمان في محل المرسل إليه من كل أحد بل من بعضهم فلو كان لنفس الدليل لعم و نراه يوجد ممن لم ير دليلا فدل أن الايمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده لا لعين الدليل فلهذا لم نشترط فيه الدليل فالإيمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقد ر على دفعه و كل من آمن عن دليل فلا يوثق بإيمانه فإنه معرض للشبه القادحة فيه لأنه نظري لا ضروري و قد نبهتك في هذا على سر غامض لا يعرفه كل أحد و لا تشترط أيضا في حقه العصمة إلا فيما يبلغه عن الله خاصة و يلزمه تبيين ما جاء به حتى يفهم عنه لإقامة الحجة على المبلغ إليه فإن عصم من غير هذا فمن مقام آخر و هو أن يخاطب العباد المرسل إليهم بالتأسي به فيكون التأسي به أصلا فإن انفرد بأمر لزمه أن يبينه لا بد من ذلك كما قال في نكاح الهبة خالِصَةً لَكَ من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ و من شرط صاحب هذا المقام طها رة القلب من الفكر فله الراحة فإنه لا يشرع إلا ما يوحى به إليه و أما مشورته لأصحابه ففي غير ما شرع له و ليس للرسول من حيث رسالته المشاورة فإذا انضاف إلى رسالته أن تكون جامعة فلمقام الخلافة المشورة و لما كان رسول الله ص من الخلفاء قيل له وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فينبغي لك أن تعرف الفرق بين الخلافة و الرسالة

(الباب الستون و مائة في معرفة الرسالة الملكية)

حذارا من إلقاء اللعين إذا يرى ... و دارت عليه مثل دائرة القلب
تنزلت الأملاك ليلا على قلبي ... نزول علوم الغيب عينا على قلب
و ذلك حفظ الله في مثل طورنا ... و عصمته في المرسلين بلا ريب
فنحن و إياهم مصانون بالحمى ... تخاطبنا الأسماء من حضرة القرب
و يفترق الصنفان عند رجوعهم ... من المشهد الأعلى إلى عالم الترب
فيظهر هذا بالرسالة واضعا ... حدودا و أحكاما عن الروح و الرب
و ذلك مأمور بستر مقامه ... و إن كان قد داناه في الذوق و الشرب
فسبحان من أعطى الوجود بجوده ... و قسمه قسمين للكشف و الحجب
فأشهد ذا فضلا و سبق عناية ... و أوقف ذا خلف الحجاب بلا ذنب
فقف و تأدب و اتعظ ثم و لا تقل ... حجبت بلا ذنب و هذا من الذنب
ألا إنما العقبي لمن بات سره ... يرى البعد و التقريب في الذنب و العتب

قال تعالى في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ يعني التذكرة التي هي الرسالة بِأَيْدِي سَفَرَةٍ و السفرة هم الرسل من الملائكة هنا كذلك ما يجودون به على المرسلين إليهم في رسالتهم بَرَرَةٍ أي محسنين فهؤلاء هم سفراء الحق إلى الخلق بما يريد أن ينفذه فيهم من الحكم من عالم الأركان فإذا أراد الله إنفاذ أمر في خلقه أوحى إلى الملك الأقرب إلى مقام تنفيذ الأوامر و هو الكرسي فيلقي إليه ذلك الأمر على وجوه مختلفة ثم يأمره بأن يوحي به إلى من يليه و يوحي إليه أن يوحي إلى من يليه أن يوحي به إلى من يليه من أعلى إلى أدنى إلينا هذا من حد انقسام الكلمة و أما من أحدية الكلمة فهو نزولها من رتبة زلفى إلى مقام أدنى إلى مكان أزهى إلى محل أسنى إلى رفرف أبهى إلى عرش أعلى إلى كرسي أجلي فتنقسم هناك الكلمة أي يتعين هنالك ما أريد بها من حكم أو خبر ثم تنزل إلى سدرة المنتهى إلى سماء فسماء إلى السماء الدنيا فينادي بملك الماء فيودع تلك الرسالة فيضعها في الماء و ينادي ملائكة اللمات و هم ملائكة القلوب فيلقنونها فيجعلها لمات في قلوب العباد فتعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة فتأتي بأمثاله إلى قلوب الخلق فتنطق الألسنة بما تجده في القلوب و هي الخواطر قبل التكوين بأنه كان كذا و اتفق كذا لما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فذلك مما جاءت به الملائكة و ما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين و يسمى ذلك في العالم الإرجاف و تراه العامة مقدمات التكوين و أما ملك الماء فيلقي ما أوحي به إليه في الماء فلا يشرب الماء

حيوان إلا و يعرف ذلك السر إلا الثقلين و لكن لا يعرف من أين جاء و لا كيف حصل و من هذا المنزل هو البلاء الذي ينزل في كانون فلا يجد إناء فيه ماء غير مغطى إلا دخل فيه و من هذا الباب ما يجده الإنسان من بغض شخص و حب شخص من غير سبب ظاهر معلوم له و يكون بالسماع و بالرؤية و ورد خبر في مثل هذا و من هذا الباب السياسة الحكمية لمصالح العالم التي لم يأت بها شرع عند فقد الأنبياء عليهم السلام و أزمنة الفترات تنزل بها ملائكة الإلهام و اللمات على قلوب عقلاء الزمان و حكماء الوقت فيلقونها في أفكارهم لا على أسرارهم فيضعونها و يحملون الناس عليها و الملوك و ما فيها شيء من الشرك فهذه هي الرسالة الملكية التي فيها مصالح العالم في الدنيا و هي البدع الحسنة التي أثنى الله على من رعاها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله و ثم رسالات أخر أيضا على أيدي الملائكة بتسخير العالم بعضه لبعض مطلقا

(الباب الحادي و الستون و مائة في المقام الذي بين الصديقية و النبوة و هو مقام القربة)

جماعة من رجال الله أنكره ... و ليس من شأنهم إنكار ما جهلوا

هو المقام الذي قامت شواهده ... في الحرق و القتل و الباقي الذي فعلوا

لو أنهم دبروا القرآن لاح لهم ... وجه الحقيقة فيما عنه قد غفلوا

و ما تخصص عنهم في مقامهم ... إلا الذين عن الرحمن قد عقلوا

و منه أيضا أبو بكر و ميزته ... بالسر لو نظروا في حكمنا كملوا

فليس بين أبي بكر و صاحبه ... إذا نظرت إلى ما قلته رجل

هذا الصحيح الذي دلت دلائله ... في الكشف عند رجال الله إذ عملوا

القربة نعت إلهي و هو مقام مجهول أنكرت آثاره الخاصة من الرسل عليهم السلام مع الافتقار إليه منهم و شهادة الحق لصاحبه بالعدالة و الاختصاص و هو مقام الخضر مع موسى و ما أذهله إلا سلطان الغيرة التي جعل الله في الرسل عليهم السلام على مقام شرع الله على أيديهم فلله أنكروا و تكرر منه ع الإنكار مع تنبيه العبد الصالح في كل مسألة و يأبى سلطان الغيرة إلا الاعتراض لأن شرعه ذوق له و الذي رآه من غيره أجنبي عنه و إن كان علما صحيحا و لكن الذوق أغلب و الحال أحكم و لذلك قيل لرسول الله ص قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و لم يقل له قل رب زدني حالا فلو زاد حالا لزاد إنكارا و كلما زاد علما زاد إيضاحا و كشفا و اتساعا و انشراحا و تنزها في

الوجوه التي سفرت من براقعها و ظهرت من وراء ستورها و كلها فا رتفع الضيق و الحرج و شوهد الكمال في النقص و لما حصلت في هذا المقام السني قلت مشيرا و منبها

و إني لأهوى النقص من أجل من أهوى	لأن به كان الكمال لمن يدري
و ما جاء بالنقصان إلا مخافة	من العين مثل البدر من آخر الشهر
و ما نقص البدر الذي تبصرونه	و لكنه بدر لمن غاص بالفكر
يراه تماما كاملا في ضيائه	على أكمل الحالات في البطن و الظهر
فلو لم يكن في الكون نقص محقق	لكان الوجود الحق ينقص في القدر
فبي كان للحق الوجود كماله	مع النقص فانظر ما تضمنه شعري
غزال من الفردوس جاء منقبا	من أجلي و ما يخفى على الله ما يجري
فقلت له أهلا و سهلا و مرحبا	بمن و حياة الحب قد ضمه صدري
أهيم بها حبا على كل حالة	حياة و موتا في القيامة و الحشر
لقد سفرت يوما فلاحت محاسن	تخبر عنها أنها ليلة القدر
سجدت لها حبا فلما رأيتها	علمت بأني ما تعلقت بالغير
فكبرت إجلالا لكونى هويتني	فسرى الذي قد كان هيمه جهري
و حققت أني عين من قد هويته	فلم أخش من بين و لم أخش من هجري
فبغداد داري لا أرى لي موطنا	سواها فإن عزت جنحت إلى مصري

هذا المقام دخلته في شهر محرم سنة سبع و تسعين و خمسمائة و أنا مسافر بمنزل الجيسل ببلاد المغرب فتهت به فرحا و لم أجد فيه أحدا فاستوحشت من الوحدة و تذكرت دخول أبي يزيد بالذلة و الافتقار فلم يجد في ذلك المنزل من أحد و ذلك المنزل هو موطني فلم أستوحش فيه لأن الحنين إلى الأوطان ذاتي لكل موجود و أن الوحشة مع الغربة و لما دخلت هذا المقام و انفردت به و علمت أنه إن ظهر علي فيه أحد أنكرني فبقيت أتتبع زواياه و مخادعه و لا أدري ما اسمه مع تحققي به و ما خص الله به من أتاه إياه و رأيت أوامر الحق تترى علي و سفراؤه تنزل إلي تبتغي مؤانستي و تطلب مجالستي فرحلت و أنا على تلك الحال من الاستيحاش بالانفراد و الأنس إنما يقع

بالجنس فلقيت رجلا من الرجال بمنزل يسمى آن حال فصليت العصر في جامعة فجاء الأمير أبو يحيى بن واجتن و كان صديقي و فرح بي و سألني أن أنزل عنده فأبيت و نزلت عند كاتبه و كانت بيني و بينه مؤانسة فشكوت إليه ما أنا فيه من انفرادي بمقام أنا مسرور به فبينا هو يؤانسني إذ لاح لي ظل شخص فنهضت من فراشي إليه عسى أجد عنده فرجا فعانقني فتأملته فإذا به أبو عبد الرحمن السلمي قد تجسدت لي روحه بعثه الله إلى رحمة بي فقلت له أراك في هذا المقام فقال فيه قبضت و عليه مت فإنا فيه لا أبرح فذكرت له وحشتي فيه و عدم الأنيس فقال الغريب مستوحش و بعد أن سبقت لك العناية الإلهية بالحصول في هذا المقام فاحمد الله و لمن يا أخي يحصل هذا ألا ترضى أن يكون الخضر صاحبك في هذا المقام و قد أنكر عليه موسى حاله مع ما شهد الله عنده بعدالته و مع هذا أنكر عليه ما جرى منه و ما أراه سوى صورته فحاله رأى و على نفسه أنكر و أوقعه في ذلك سلطان الغيرة التي خص الله بها رسله و لو صبر لرأى فإنه كان قد أعد له ألف مسألة كلها جرت لموسى و كلها ينكرها على الخضر قال شيخنا أبو النجا المعروف بأبي مدين لما علم الخضر رتبة موسى و علو قدره بين الرسل امتثل ما نهاه عنه طاعة لله و لرسوله فإن الله يقول وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فقال له في الثانية إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي فقال سمعا و طاعة فلما كانت الثالثة و نسي موسى حالة قوله إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ و ما طلب الإجارة على سقايته مع الحاجة فارقه الخضر بعد ما أبان له علم ما أنكره عليه ثم قال له وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي لأنه كان على شرعة من ربه و منهاج و في زمانها بخلاف حاله بعد بعث محمد ص فإنه الفرا كل الصيد في جوفه فقلت له يا أبا عبد الرحمن لا أعرف لهذا المقام اسما أميزه به فقال لي هذا يسمى مقام القربة فتحقق به فتحققت به فإذا به مقام عظيم لعلماء الرسوم من أهل الاجتهاد فيه قدم راسخة لكنهم لا يعرفون أنهم فيه و رأيت الإمداد الإلهي يسرى إليهم من هذا المقام و لهذا ينكر بعضهم على بعض و يخطئ بعضهم بعضا لأنهم ما حصل لهم ذوقا و لا يعلمون ممن يستمدون مشاهدة و كشفا فكل واحد منهم على حق كما أنه لكل نبي تقدم هذا الزمان المحمدي شرعة و منهاج و الايمان بذلك كله واجب على كل مؤمن و إن لم نلتزم من أحكامهم إلا ما لزمناه فالمجتهدون من علماء الشريعة ورثة الرسل في التشريع و أدلتهم تقوم لهم مقام الوحي للأنبياء و اختلاف الأحكام كاختلاف الأحكام إلا أنهم ليسوا مثل الرسل لعدم الكشف فإن الرسل يشد بعضهم من بعض و كذلك أهل الكشف من علماء الاجتهاد و أما غير أهل الكشف منهم فيخطئ بعضهم بعضا و لو قال الخضر لموسى من أول ما صحبه ما أفعل شيئا مما تراني أفعله عن أمري ما أنكره عليه و لا عارضة و لقد أنطقه الله بقوله سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً و الصبر لا يكون إلا على ما يشق عليه فلو قدم الصبر على المشيئة كما يفعل المحمدي لصبر و لم يعترض فإن الله قدمه في الإعلام تعليما لمحمد ص فمن أراد أن يحصل علم الله في خلقه

فليقف عند ترتيب حكمته في الأشياء فيقدم ما قدم الله و يؤخر ما أخر الله فإن من أسمائه المقدم و المؤخر فإذا أخرت ما قدمه أو قدمت ما أخره فهو نزاع خفي يورث حرمانا قال تعالى وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ فأخر الاستثناء و قدمه موسى فلم يصبر فلو أخره لصبر و هذه الآية مذكورة باللسان العبراني في التوراة فالله الله يا إخواننا من أهل هذه الملة المحمدية قفوا على مشاعر الله التي بينها لكم و لا تتعدوا ما رسم لكم ألا تراه ص لما صعد على الصفا في حجة الوداع قرأ إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ ثم قال أبدأ بما بدأ الله به و ما قال ذلك إلا تعليما لنا و لزوم أدب مع الله و لو لا أنه جائز له أن يبدأ بالمروة في سعيه لما قال هذا و رجح ما بدأ الله به على ما في المسألة من التخيير من أجل الواو فإنه ما بدأ الله به إلا لسر يعلمه فمن لم يبدأ به حرم فائدته و قال ص خذوا عني مناسككم و تقديم الصفا في السعي من المناسك و لقد رويت في هذا المعنى حكاية عجيبة عن يهودي أخبرني بها موسى بن محمد القرطبي القباب المؤذن بالمسجد الحرام المكي بالمنارة التي عند باب الحزورة و باب أجياد رحمه الله سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال كان رجل بالقيروان أراد الحج فتردد خاطره في سفره بين البر و البحر فوقتا يترجح له البر و وقتا يترجح له البحر فقال إذا كان صبيحة غد أول رجل ألقاه أشاوره فحيث يرجح لي أحكم به فأول من لقي يهوديا فتألم ثم عزم و قال و الله لأسألنه فقال يا يهودي أشاورك في سفري هذا هل أمشي في البر أو في البحر فقال له اليهودي يا سبحان الله و في مثل هذا يسأل مثلك ألم تر أن الله يقول لكم في كتابكم هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فقدم البر على البحر فلو لا إن لله فيه سرا و هو أولى بكم ما قدمه و ما أخر البحر إلا إذا لم يجد المسافر سبيلا إلى البر قال فتعجبت من كلامه و سافرت في البر يقول الرجل فو الله ما رأيت سفرا مثله و لقد أعطاني الله فيه من الخير فوق ما كنت أشتهي و قد أنكر أبو حامد الغزالي هذا المقام و قال ليس بين الصديقية و النبوة مقام و من تخطي رقاب الصديقين وقع في النبوة و النبوة باب مغلق فكان يقول لا تتخطوا رقاب الصديقين و لا شك أن الأنبياء أصحاب الشرائع هم أرفع عباد الله من البشر و مع هذا لا يبعد أن يخص الله المفضول بعلم ليس عند الفاضل و لا يدل تميزه عنه أنه بذلك العلم أفضل منه بل قال له يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا و ما قال له أنا أفضل منك بل علم حق موسى و ما ينبغي له و امتثل أمره فيما نهاه عنه من صحبته احتراما منه لمقام موسى و علو منزلته و سكوت موسى عنه حين فارقه و لم يرجع عن نهيه لأنه علم إن الخضر ممن لم يسمع نهي موسى ع و لا سيما و قد قال له وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي فعلم موسى أنه ما فارقه إلا عن أمر ربه فما اعترض عليه في فراقه إياه و حصل لموسى مقصوده و مقصود الحق في تأديبه فعلم إن لله عبادا عندهم من العلم ما ليس عنده و لم يكن إلا علم كون من الأكوان من علوم الكشف و هو من أحوال المريدين أصحاب السلوك فكيف لو كان من العلوم المتعلقة بالجناب الإلهي إما من العلم المحكم أو المتشابه

و من هذا المقام حصل لأبي بكر الصديق السر الذي وقر في نفسه و ظهرت قوة ذلك السر مع وقته و قول عائشة لرسول اللّٰه ص في مرضه حين أمر أن يصلي بالناس أنه رجل أسيف و رسول اللّٰه ص يعرف منه بالسر الذي حصل عنده ما لا تعرفه الجماعة فما بقي أحد يوم مات رسول اللّٰه ص إلا ذهل في ذلك اليوم و خولط في عقله و تكلم بما ليس الأمر عليه إلا أبو بكر الصديق فما طرأ عليه من ذلك أمر بل رقى المنبر و خطب الناس و ذكر موت النبي ص فقال من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات و من كان يعبد اللّٰه فإن اللّٰه حي لا يموت ثم تلا إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و ما مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ الآية فسكن جأش الناس حتى قال عمر و اللّٰه ما كأني سمعت بهذه الآية إلا في ذلك اليوم و هذا قوله ص إذا وجب يعني الموت فلا تبكين باكية و أما قبل وقوع الموت فالبكاء محمود و كذا فعل أبو بكر لما قام رسول اللّٰه ص فقال ما تقولون في رجل خير فاختار لقاء اللّٰه فبكى أبو بكر وحده دون الجماعة و علم أن رسول اللّٰه ص قد نعى لأصحابه نفسه فأنكر الصحابة على أبي بكر بكاءه و هو كان أعلم فلما مات ص بكى الناس و ضجوا إلا أبا بكر امتثالا لقوله ص إذا وجب فلا تبكين باكية هذا كله من السر الذي أعطاه هذا المقام فالذي ينبغي أن يقال ليس بين محمد و أبي بكر رجل لا أنه ليس بين الصديقية و النبوة مقام فإن الصديق تابع بطريق الايمان فما أنكره متبوعة أنكر و ما قرره متبوعة قرر هذا حظ الصديق من كونه صديقا و من كون مقام آخر لا يحكم عليه حال الصديقية فاعلم ذلك انتهى السفر الرابع عشر بانتهاء الجزء السادس و مائة من الفتوحات المكية

(الباب الثاني و الستون و مائة في معرفة الفقر و أسراره)

الفقر أمر يعم الكون أجمعه — عينا و حكما و لكن ليس ينطلق
إلا على ممكن أسماء خالقه — تبغيه فهي لهذا الأمر تستبق
إن القوي بالاستعداد قوته — مثل الضعيف ففي الأحكام تتفق
إن الحقائق تجري في ميادنها — و كل حق له في نفسه طلق
إن الفقير الذي استولت خصاصته — عليه في كل شيء ثوبه خلق
في كل حال من الأحوال تبصره — كأنه طبق من فوقه طبق
و ليس يمنعه عن عين موجدة — على طريقته الآفات و العلق

(و من ذلك)

الفقر حكم و لكن ليس يدركه — إلا الذي جل عن أهل و عن ولد

الفقر حكم يعم الكون أجمعه | ولا أحاشي من الأعيان من أحد
لأنها كلها بالذات تطلبه | و الفقر يطلبها بالذات في البلد
فكلها عدد لأنها عدد | و الكل شفع سوى المدعو بالأحد
و ما سواه من الأعيان فهو كما | قلناه كالواهب المحسان و الصمد
سبحانه جل أن يحظى به أحد | فلا يولد في عقل و في جسد

قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ يعني بأسمائه كما نحن فقراء إلى أسمائه و لذلك أتى بالاسم الجامع للأسماء الإلهية حقيقة سره لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ فلو اتصفوا اتصفوا بحقيقة سَنَكْتُبُ ما قالُوا سببه وَ أَقْرِضُوا اللهَ نزاهته قَرْضاً حَسَناً بيانه و دليله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه جزاؤه وَ ما يَفْعَلُوا من خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ و باب الفقر ليس فيه ازدحام لاتساعه و عموم حكمه و الفقر صفة مهجورة و ما يخلو عنها أحد و هي في كل فقير بحسب ما تعطيه حقيقته و هي ألذ ما ينالها العارف فإنها تدخله على الحق و يقبله الحق لأنه دعاه بها و لدعاء طلب و تقرب منها أختها و هي الذلة قال أبو يزيد قال لي الحق تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فذله و حجبه فهاتان صفتان في اللسان نعتان للممكنات ليس لواجب الوجود منهما نعت في اللسان تعالى الله حجاب مسدل و باب مقفل مفتاحه معلق عليه يراه البصير و لا يحس به الأعمى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ و في هذه الآية أعني آية قوله أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ تسمى الحق لنا باسم كل ما يفتقر إليه غيره منه أن يفتقر إلى غيره فالفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء و لا يفتقر إليه شيء و هذا هو العبد المحض عند المحققين فتكون حاله في شيئية وجوده كحاله في شيئية عدمه دواء نافع لداء عضال قوله وَ قَدْ خَلَقْتُكَ من قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً قضية في عين قضية عامة أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ من قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً تنبيه على شرف الرتبة هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ من الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً مع وجود عينه لأن الحين الدهري أتى عليه فالفقر احتياج ذاتي من غير تعيين حاجة لجهله بالأصلح له و من أسماء الله المانع و هو قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ حتى الغرض لما خلقه فينا أعطاه خلقه فلإنزال أصحاب أغراض فما يمنع إلا للمصلحة كما يملي لقوم لِيَزْدادُوا إِثْماً فقد أعطاهم الإثم كما أعطى الإثم خلقه فالحق لا يتقيد إنعامه و القوابل تقبل بحسب استعداداتها فمنعه عطاء لعلمه بالمصالح لذلك حكي عن بعضهم أنه سئل عن الفقير ما هو فقال من ليست له إلى الله حاجة يعني على التعيين و نبه أن الاحتياج له ذاتي و الله قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فقد أعطاك ما فيه المصلحة لك لو علمت فما بقي لصاحب هذا المقام ما يسأل الله فيه و ما شرع السؤال إلا لمن ليس له هذا الشهود و رآه

يسأل الأغيار فغار فشرع له أن يسأله و لما سبق في علمه أنه يخلق قوما و يخلق فيهم السؤال إلى الأغيار و يحجبهم عن العلم به أنه المسئول في كل عين مسئولة يفتقر إليها من جماد و نبات و حيوان و ملك و غير ذلك من المخلوقات أخبرنا أن الناس فقراء إلى الله أي هو المسئول على الحقيقة فإنه بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فالفقر إلى الله هو الأصل فالعلماء بالله هم الذين يحفظون أحوالهم (وصل) الغني بالله فقير إليه فالنسبة بلفظ الفقر إلى الله أولى من النسبة بالغنى لأن الغني نعت ذاتي يرفع المناسبة بين ذات الحق و الخلق و كل طلب فيوذن بمناسبة فإن الحاصل لا يبتغى فلا يكون الطلب إلا في شيء ليس عند الطالب في حال الطلب و لهذا لا يتعلق إلا بالعدم الذي هو عين المعدوم و قد يكون ذلك المطلوب في عين موجودة و لا عين موجودة ما في الكون إلا طالب فما في الكون إلا فقير لما طلب و يتميز الفقر عن سائر الصفات بأمر لا يكون لغيره و هو أنه صفة للمعدوم و الموجود و كل صفة وجودية من شرطها أن تقوم بالموجود أ لا ترى الممكن في حال عدمه يفتقر إلى المرجح فإذا وجد افتقر أيضا إلى استمرار الوجود له و حفظه عليه فلا يزال فقيرا ذا فقر في حال وجوده و في حال عدمه فهو أعم المقامات حكما فالذي يكتسب من هذه الصفة إضافة خاصة و هي الفقر إلى الله لا إلى غيره و به يثنى عليه و هو الذي يسعده و يقربه إلى الله و يشركه في هذه الإضافة كل وصف جبل عليه الإنسان مثل البخل و الحرص و الشرة و الحسد و غير ذلك تشرف و تعلو بالإضافة و المصرف و تتضع و تسفل بالإضافة و المصرف لا فقر أعظم من فقر الملوك لأنه مفتقر إلى مشاغلي و إلى كل ما يصح له به الملك و هو فقير إلى ملكه الذي يبقى عليه اسم الملك قيل للسلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة لما ذكر أبو القمح المنجم أن ريحا عظيمة في هذه السنة تكون لا تمر على شيء إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ فأشار عليه بعض جلسائه أن يتخذ في الأرض سربا يكون فيه ليلة هبوب تلك الريح فقال و يهلك الناس قيل له نعم فقال إذا هلك الناس فعلى من أكون ملكا أو سلطانا لا خير في الحياة بعد ذهاب الملك دعني أموت ملكا و الله لا فعلت فانظر ما أحسن هذا فكل موجود إضافي متحقق بالفقر و إن لم يشعر بذلك و إن وجده فلا يعلم أن ذلك هو المسمى فقرا و إذا كان حكمه هذا فالفقر إلى الله تعالى الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ثابت و موجود و لذلك الإشارة بقوله تعالى سَنَكْتُبُ ما قالُوا أي سنوجبه أي سيعلمون أن الفقر نعت واجب لا يشكون فيه وجوبا ذاتيا من أجل قولهم وَنَحْنُ أَغْنِياءُ لأنهم انحجبوا عما هو الأمر عليه من فقرهم و لذلك كانوا كافرين فستروا ما هم به عالمون ذوقا من أنفسهم لا يقدرون على إنكاره و إن باهتوا فالحال يكذبهم فقالوا نَحْنُ أَغْنِياءُ و ليسوا بأغنياء و قالوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ و ليس بفقير من حيث ذاته فإنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب معنى قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و إنه ليس مثل قوله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ و لا مثل قوله وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ فإذا علمت إن الفقر بهذه المثابة فالزم استحضاره في كل نفس و على كل حال و علق فقرك بالله

مطلقا من غير تعين فهو أولى بك و إن لم تقد ر على تحصيل عدم التعين فلا أقل إن تعلقه بالله تعالى مع التعين أوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى لا تجعل غيري موضع حاجتك و سلني حتى الملح تلقيه في عجينك هذا تعليم الله نبيه موسى ع و لقد رأيته سبحانه و تعالى في النوم فقال لي وكلني في أمورك فوكلته فما رأيت إلا عصمة محضة لله الحمد على ذلك جعلنا الله تعالى من الفقراء إليه به فإن الفقر إليه تعالى به هو عين الغنى لأنه الغني و أنت به فقير فأنت الغني به عن العالمين فاعلم ذلك

(الباب الثالث و الستون و مائة في معرفة مقام الغنى و أسرار ه)

إن الغنى صفة سلبية و لذا — تمتاز عن نسب الأسماء رتبتها
يخصه حكمها و العين في عدم — منها و ليس لها كون فينعتها
إن الدلالة في التحقيق مجهلة — ممن يقول بها و العقل يثبتها
لذاك قال غني في تنزله — عن عالم الكون جاءت فيه آيتها
في العنكبوت فدبره تجده على — ما قلت من نفي ما تعطي دلالتها
و ليس يعرف إلا من علامته — دنيا و آخرة و الشرع مثبتها

اعلم أيدك الله أن الغنى صفة ذاتية للحق تعالى فإن الله لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أي المثنى عليه بهذه الصفة و أما الغنى للعبد فهو غنى النفس بالله عن العالمين قال رسول الله ص ليس الغنى عن كثرة العرض لكن الغنى غنى النفس خرجه الترمذي و العرض المال و هذه كلمة نبوية صحيحة فإن غنى الإنسان عن العالم لا يصح و يصح غناه عن المال فإن الله سبحانه قد جعل مصالح العبد في استعمال أعيان بعض الأشياء و هي من العالم فلا غنى له عن استعمالها فلا غنى له عن العالم فلذلك خصصه بالمال فلا يوصف بالغنى عن العالم إلا الله تعالى من حيث ذاته جل و تعالى و الغنى في الإنسان من العالم فليس الإنسان بغني عن الغنى فهو فقير إليه و اعلم أن الغنى و إن كان بالله و العزة و إن كانت بالله فإنهما صفتان لا يصح للعبد أن يدخل بهما على الله تعالى و إن كان بالله فيهما فلا بد أن يتركهما فيدخل فقيرا ذليلا و معنى الدخول التوجه إلى الله فلا يتوجه إلى الله بغناه به و لا بعزته به و إنما يتوجه إلى الله بذله و افتقار ه فإن حضرة الحق لها الغيرة ذاتية فلا تقبل عزيزا و لا غنيا و هذا ذوق لا يقد ر أحد على إنكار ه من نفسه قال تعالى مؤدبا لنبيه ص في ظاهر الأمر و هو يؤدبنا به لنتعلم أَمَّا مَن اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى فكان مشهود محمد ص الصفة الإلهية و هو الغنى فتصدى لها لما تعطيه حقيقتها من الشرف و النبي في ذلك الوقت في حال الفقر في الدعوة إلى الله و أن تعم دعوته و علم إن الرؤساء و الأغنياء تبع الخلق لهم أكثر من تبع من ليس له هذا النعت

فإذا أسلم من هذه صفته أسلم لإسلامه خلق كثير و النبي ص له على مثل هذا حرص عظيم و قد شهد الله تعالى عندنا له بذلك فقال عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ أي عنادكم يعز عليه للحق المبين حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ في إن تسلموا و تنقادوا إلى ما فيه سعادتكم و هو الايمان بالله و ما جاء من عند الله و مع هذا الحضور النبوي أوقع العتب عليه تعليما لنا و إيقاظا له فإن الإنسان محل الغفلات و هو فقير بالذات و قد استحق الجاه و المال أن يستغني بهما من قاما به و لذلك قال أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى و ما قال أما من هو غني فإنه على التحقيق ليس بغني بل هو فقير لما استغنى به فقال ص إن الله أدبني فأحسن أدبي فمن مكارم الأخلاق الإقبال على الفقراء و الإعراض عن الأغنياء بالعرض من جاه أو مال فإذا رئ ممن هذه صفته الفقر و الذلة بنزوله عن هاتين المرتبتين وجب على أهل الله الإقبال عليهم فإنهم إن أقبلوا عليهم و هم مستحضرون لما هم عليه من الجاه و المال تخيلوا أن إقبال أهل الله عليهم لجاههم و لمالهم فيزيدون رغبة في بقاء ما هم عليه فلذلك منع الله أهله أن يقبلوا عليهم إلا بصفة الزهد فيهم فإذا اجتمع في مجلس أهل الله من هو فقير ذليل منكسر و غني بماله ذو جاه في الدنيا أظهر القبول و الإقبال على الفقير أكثر من إظهاره على الغني ذي الجاه لأنه المقصود بالأدب الذي أدب الله تعالى به نبيه ص غير إن صاحب هذه الصفة يحتاج إلى ميزان الحق في ذلك فإن غفل عنه كان الخطاء أسرع إليه من كل شيء و صورة الوزن فيه أن لا يرى في نفسه شغفا عليه و لا يخاطبه أعني لا يخاطب هذا الغني و لا ذا الجاه بصفة قهر تذله فإنه لا يذل تحتها بل ينفر و يزيد عظمة و أنت مأمور بالدعوة إلى الله فادعوه كما أمر الله نبيه ص أن يدعو الناس تعليما له و لنا فإنا مخاطبون بالدعاء إلى الله كما قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي و قال له ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ فإن جادلوك فَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ و قال لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ هذه هي الصفة اللازمة التي ينبغي أن يكون الداعي عليها و لا يجعل في نفسه عند دعائه لمن هذه نعوته من عباد الله طمعا فيما في أيديهم من عرض الدنيا و لا فيما هو عليه من الجاه فإن العزة لله وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ فلا تخلعن ثوبا ألبسكه الله و ليس له تصرف إلا في هذا الموطن فهذا معنى الحكمة و ما عتب الله نبيه ص في الأول إلا لعزة قامت بنفس أولئك النفر مثل الأقرع بن حابس و غيره فقالوا لو أفرد لنا محمد مجلسا جلسنا إليه فإنا نأنف أن نجالس هؤلاء الأعبد يعنون بذلك بلالا و خبابا و غيرهما فرغب النبي ص لحرصه على إيمانهم و لعلمه أنه يرجع لرجوعهم إلى الله بشر كثير فأجابهم إلى ما سألوا و تصدى إليهم لما حضروا و أعرض عن الفقراء فانكسرت قلوبهم لذلك فأنزل الله ما أنزل جبرا لقلوب الفقراء فانكسر الباقي من نفوس أولئك الأغنياء الأعزاء و قيل له فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ و نزل الله عليه عَبَسَ وَ تَوَلَّى الآيات و أنزل عليه وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ الآيات و فيها وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ ثم ذكر ما للظالمين عند الله في

الآخرة فطريقة الإرشاد و الدعاء إلى الله ميزانها الغني بالله عما في أيديهم و ما يكون بسببهم فإن لم تكن في نفسك بهذه المثابة فلا تدع و اشتغل بدعاء نفسك إلى الاتصاف بهذه الصفات المحمودة عند الله و لا تتعد الحد الذي أنت عليه و لا تخط في غير ما تملكه فتكون غاصبا و الصلاة في الدار المغصوبة لا تجوز بخلاف و الدعاء إلى الله صلاة و الإخلاص فيها الحرية عن استرقاق من يدعوهم إليه فهذا هو محل الغني بالله و هنا يستعمل فإن عدلت به إلى غير هذا فقد أخسرت الميزان و الله يقول وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزانَ و أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ فتخرجوه عن حده و هو قوله لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ و الغلو و الطغيان هما الرفعة فوق الحد الذي يستحقه المتغالي فيه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و الستون و مائة في معرفة مقام التصوف)

فاعلم إن التصوف تشبيه بخالقنا   لأنه خلق فانظر ترى عجبا
كيف التخلق و المكر الخفي له   في خلقه و بهذا القدر قد حجبا
و ذمه في صفات الخلق فاعتبروا   فيه فذا مثل للعقل قد ضربا
إن الحديد إذا ما الصنع يدخله   في غير منزلة يرده ذهبا
كذلك الخلق المذموم يرجع   محمودا إذا هو للرحمن قد نسبا
أن التوصف أخلاق مطهرة   مع الإله فلا تعدل به نسبا

قال أهل طريق الله التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف و سألت عائشة أم المؤمنين عن خلق سول الله ص فقالت كان خلقه القرآن و إن الله أثنى عليه بما أعطاه من ذلك فقال وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ و من شرط المنعوت بالتصوف أن يكون حكيما ذا حكمة و إن لم يكن فلا حظ له في هذا اللقب فإنه حكمة كله فإنه أخلاق و هي تحتاج إلى معرفة تامة و عقل راجح و حضور و تمكن قوي من نفسه حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسية و ليجعل القرآن أمامه صاحب هذا المقام فينظر إلى ما وصف الحق به نفسه و في أي حالة وصف نفسه بذلك الذي وصف نفسه و مع من صرف ذلك الوصف الذي وصف به نفسه فليقم الصوفي بهذا الوصف بتلك الحال مع ذلك الصنف فأمر التصوف أمر سهل لمن أخذه بهذا الطريق و لا يستنبط لنفسه أحكاما و يخرج عن ميزان الحق في ذلك فإنه من فعل ذلك لحق بالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً فإن الله لا يقيم له يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً كما أنهم لم يقيموا للحق هنا وزنا فعادت عليهم صفتهم فما عذبهم بغيرهم فتأمل قوله تعالى في كتابه فإنه ما ذكر صفة قهر

و شدة إلا و إلى جانبها صفة لطف و لين حيثما كان من كتاب الله ثم إن أفرد صفة منها و لم يذكر إلى جانبها ما يقابلها أطلبها تجد مقابلها في موضع آخر مفردا أيضا فذلك المفرد المقابل هو لهذا المفرد المقابل و الغالب الجمعية قال تعالى نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ثم أردف بالمقابل فقال تعالى وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ و قال إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ ثم أردف بالمقابل فقال وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ و قال وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ ثم أردف فقال وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ و تتبع هذا تجده كما ذكرناه لك ثم إنه ما ذكر نعتا من نعوت أهل السعادة إلا و ذكر إلى جانبه نعتا من نعوت أهل الشقاء إما بتقديم أو تأخير قال تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ في أهل السعادة ثم عطف فقال وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ و قال تعالى في حال أهل السعادة وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ ثم عطف فقال في أهل الشقاء وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ و الوجوه هنا عبارة عن النفوس الإنسانية لأن وجه الشيء حقيقته و ذاته و عينه لا الوجوه المقيدة بالأبصار فإنها لا تتصف بالظنون و مساق الآية يعطي أن الوجوه هنا هي ذوات المذكورين و قال في الأشقياء وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً ثم عطف بالسعداء فقال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ لِسَعْيِها راضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ و قال في أحوال السعداء فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فذكر خيرا ثم عطف و قال وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فذكر شرا و كذلك قوله مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها ثم عطف و قال وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها و قال في العناية فَأَلْهَمَها فُجُورَها ثم عطف فقال وَتَقْواها و قال قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها ثم عطف وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها و قال فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى ثم عطف و قال وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى فالصوفي من قام في نفسه و في خلقه قيام الحق في كتابه و في كتبه ف ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ فقد رميت بك على الطريق و ليس التصوف بشيء زائد عند القوم سوى ما ذكرته لك و بينته و لكن الله أنزل الميزان و العلم بالمواطن و بالأحوال فلا تخرج شيئا عن مقتضى ما تطلبه الحكمة وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فالتخلق به و الوقوف عنده يزيل المرض النفسي لا بد من ذلك و لكن للمؤمنين وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً لأنهم يعدلون به عن موطنه و يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ فيعممون الخاص و يخصصون العام فسموا ظالمين قاسطين و الحكماء هم المقسطون و من أوتي الحكمة فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و ما وصفه الله بالكثرة فإن القلة لا تدخله و سبب وصفه بالكثرة لأن الحكمة سارية في الموجودات لأن الموجودات وضع الله ثم خلق الإنسان و حمله الأمانة بأن جعل له النظر في الموجودات و التصرف فيها بالأمانة ليؤدي إلى كل ذي حق حقه كما إن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فجعل الإنسان خليفة في الأرض دون غيره من المخلوقين فهو أمين على خلق الله فلا يعدل بهم عن سنة الله

فالموجودات بيد الإنسان أمانة عرضت عليه فحملها فإن أداها فهو الصوفي و إن لم يؤدها فهو الظلوم الجهول و الحكمة تناقض الجهل و الظلم فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف و قد بين العلماء التخلق بأسماء الله الحسنى و بينوا مواضعها و كيف تنسب إلى الخلق و لا تحصى كثرة و أحسن ما تصرف فيه مع الله خاصة فمن تفطن و صرفها مع الله أحاط علما بتصريفها مع الموجودات فذلك المعصوم الذي لا يخطئ أبدا و المحفوظ من أن يتحرك أو يسكن سدى جعلنا الله من الصوفية القائمين بحقوق الله و المؤثرين جناب الله

(الباب الخامس و الستون و مائة في معرفة مقام التحقيق و المحققين)

الحق في حق الطبيعة كالآل تبصره بقيعة
فتظنه ماء فتاب لعين مائك أن تضيعه
انظر و حقق ما رأيت فربما كانت خديعة
صور التجلي هكذا الحق فيها كالوديعة
و أتت بها نكرا و إقرارا نصوص في الشريعة
لا تلتفت للقاع و انظر في منازلك الرفيعة
تجد المعمى ينجلي من خلف أستار بديعة
في غير شكل لا و لا صور تؤلفها الطبيعة
فإذا رأيت الحق فارجع و التزم سد الذريعة
و أنطق بما نطق الحديث به من ألفاظ شنيعة
و إذا عزيزة نازعتك فقل لها كوني مطيعه
كوني الكتومة لا تكوني بين صحبك بالمذيعة
و إذا دعيت بمثل ذا كوني المجيبة و السميعة
جمل صنيعك في القبول فقد تجازى بالصنيعة

اعلم أيدك الله أن التحقيق هو المقام الذي لا يقبل الشبه القادحة فيه و صاحب هذا النعت هو المحقق فالتحقيق معرفة ما يجب لكل شيء من الحق الذي تطلبه ذاته فيوفيه ذلك علما فإن اتفق أن يعامله به حالا فهو الذي ظهر عليه سلطان التحقيق و إن لم يظهر عليه فهو

عالم بأنه أخطأ و لا يقدح ذلك الخطاء في تحقيقه لأنه بصير بنفسه و بما أخطأ فيه لأنه أخطأ عن تعمل و هنا سر إلهي و هو أن الله هو الحكيم المطلق و هو الواضع للأمور في مواضعها و هو الذي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فليس في الكون خطأ بنسبة الترتيب لله و قد علم رب هذا التحقيق و المحقق به إن الأمر هكذا هو و قد علم أنه أخطأ و لكن بالنسبة إلى ما أمر به لا بالنسبة إلى ما هو الأمر عليه من حيث إن الله هو الواضع له في ذلك المحل المسمى هذاالفعل خطأ فصاحب التحقيق مأجور في خطئه أي مثنى عليه عند الله كالمجتهد ما هو مخطئ في نفس الأمر فإن حكمه مقرر و إنما خطؤه بالنسبة إلى غيره حيث لم يوافق دليله دليل غيره و كل شرع و كل حق فهكذا منزلة التحقيق و المحققين و من شرط صاحب هذا المقام أن يكون الحق سمعه و بصره و يده و رجله و جميع قواه المصرفة له فلا يتصرف إلا بحق في حق لحق و لا يكون هذا الوصف إلا لمحبوب و لا يكون محبوبا حتى يكون مقربا و لا يكون مقربا إلا بنوافل الخيرات و لا تصح له نوافل الخيرات إلا بعد كمال الفرائض و لا تكمل الفرائض إلا باستيفاء حقوقها و لذلك منعنا أن تصح لأحد على التعيين نافلة إلا بأخبار أو مشاهدة و ذلك أن الفرائض تستغرقها بالتكميل منها فإنه قد ورد في الصحيح عن الله تعالى أنه يقول يوم القيامة انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع و هو النافلة قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال رسول الله ص ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم و ما شهد الله بنافلة لأحد إلا لرسول الله ص فقال وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً و هو مقام القرب و السيادة المشهودة للكون فمن كان الحق سمعه فلا تدخل عليه شبهة فيما يسمع بل يدري ما سمع و من سمع و بمن سمع و ما يقتضيه ذلك المسموع فيعمل بحسب ذلك فلا يخطئ سمعه و كذلك إذا كان الحق بصره علم بمن أبصر و ما أبصر فلم يدخل في نظره شبهة و لا في حسه غلط و لا في عقله حيرة فهو لله بالله و كذلك في جميع حركاته و سكناته حركات عن تحقيق من محقق و لا ينظر في ذلك إلى تخطئة الغير فيها فإنه من المحال قطعا إن يكون في الوجود أمر يوافق أغراض الجميع فإن الله خلق نظرهم متفاوتا و ما جعل في موجوداته من تفاوت في نفس الأمر كما قال تعالى الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ فمنع إن يكون هناك تفاوت بل أراه الأمور على وضع الحكمة الإلهية فمن أعطى هذا العلم فقد أعطى ما يجب لكل أحد من خلق الله و هذا مقام عزيز قل إن ترى له ذائقا إلا من كان له هذا المقام و علامة صاحب هذا المقام أن يكون عنده لكل ما يسمى خطأ في الوجود وجه إلى الحق يعرفه و يعرف به إن سئل عنه عند من يعرف منه القبول عليه هذه علامته و هو الذي يرى ربه بكل عقيدة و بكل عين و في كل صورة و ليس هذا إلا لصاحب هذا المقام فإذا ادعاه أحد و وقع أمر في العالم يقع فيه الإنكار و لا يكون عند مدعي هذا المقام له مخرج لحق جملة واحدة فدعواه في هذا

المقام محال فإن صاحب هذا المقام يعلم أين وجه الحق في ذلك الأمر الذي صحبه النكر و أكثر ما يكون ذلك في العقائد و الأمور الشرعية و ما عدا هذين الموضعين فإنه يسهل وجود الحق فيما يقع فيه الإنكا ر العرضي و لا يلزم من إظها ر حق ذلك الأمر أن يكون لسان الحمد يجري عليه ليس ذلك المطلوب بل هو مذموم مثلا مع كونه حقا فما كل حق محمود شرعا و لا عقلا و إنما المراد بالتحقيق علم ما يستحقه كل أمر عدما كان أو وجودا حتى الباطل يعطيه حقه و لا يتعدى به محله و من كان هذا نعته فهو الإمام المبين و هو مجلى العالمين وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(و في هذا الباب قلت أخاطب نفسي)

يا نفس كوني للذي   أورده موافقة
و التزمي و انتظمي   مع النفوس الصادقة
فإنها موقوفة   على شهود السابقة
جنب براهين النهي   فإن منها الحالقة
فما له فرده   إليك بالموافقة
من سيئ لا يرتضى   لا تنعتي بالخالقه
حضرة فعل الله لا   تحتمل المشاقه
نفسك غالط عندها   لا تركب المحاققه
شقوتها مقرونة   بالبحث و المضايقة
لا تلتفت لما يرى   من الأمور الخارقة
ما لم تكن مسلما   لها على المطابقة
إن الحكيم المجتبى   في حلبة المسابقة
يجري على حكمته   مع العقول الفارقة
في حضرة النور التي   لها الشموس الشا رقه

فاعلم أيدك الله أن من التحقيق أن تعطي المغالطة في موضعها حقها فإن لها في كتاب الله موضعا و هو قوله في أعمال الكفا ر كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً و الحق هو الذي أعطاه في عين هذا الرائي صورة الماء و هو ليس بالماء الذي يطلبه هذا الظمآن فتجلى له في عين حاجته حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً فنكر و ما قال لم يجده الماء فإن السراب لم يكن ذلك المحل الذي جاء إليه محل السراب و لو كان لقال وجد السراب و ما كان سرابا إلا في عين الرائي طالب الماء فرجع هذا الرائي لنفسه لما لم يجد مطلوبه في تلك البقعة فوجد الله عنده فلجأ إليه في إغاثته بالماء أو بالمزيل لذلك الظماء القائم به فبأي أمر أزاله فهو المعبر عنه بالماء فلما نفى عنه اسم الشيء جعل الوجود له سبحانه لأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فما هو شيء بل هو وجود فانظر ما أدق هذا التحقيق فهذا كنا ر موسى فتجلى له في عين حاجته فلم تكن نا را كما قلنا

كنا ر موسى يراها عين حاجته   و هو الإله و لكن ليس يد ريه

(الباب السادس و العشرون و مائة في معرفة مقام الحكمة و الحكماء)

إن الحكيم مرتب الأشياء   في أعين الأكوان و الأسماء

يجري مع العلم القديم بحكمه   في الحكمة المزدانة الغراء

فتراه يعطي كل شيء خلقه   في حالة السراء و الضراء

و عن العوارض لا يزال منزها   في بدء ما تهوي من الأشياء

لكنه المعصوم في أفعاله   في كل ما يجري من الأهواء

اعلم أيدك الله أن الحكمة علم بمعلوم خاص و هي صفة تحكم و يحكم بها و لا يحكم عليها و اسم الفاعل منها حكيم فلها الحكم و اسم الفاعل من الحكم الذي هو أثرها حاكم و حكم و بهذا سمي الرسن الذي يحكم به الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو الحكمة و الأشياء المحكوم عليها بكذا تطلب بذاتها و استعدادها ما يحتاج إليه فلا يعطيها ذلك إلا من نعته الحكمة و اسمه الحكيم فهل للاستعدادات حكم في هذا المسمى حكيما أو الحكمة لها الحكم أو المجموع فأما الاستعداد على الانفراد فلا أثر له فإنا نرى من يستحق أمرا ما باستعداده و هو بين يدي عالم لكنه ليس بحكيم فلا يعطيه ما يستحقه لكونه جاهلا و قد يمنعه ما يستحقه مع كونه موصوفا بالعلم بما يستحقه ذلك الأمر و ما يفعل فلا بالمجموع و لا بالانفراد فعلمنا إن ذلك راجع إلى أمر رابع ما هو الحكمة و لا العليم بالحكمة و لا استعداد الأمر الذي يطلب الحكمة و ذلك الأمر الزائد هو الذي يبعثه على إعطاء ذلك الأمر حقه لعلمه بما يستحقه و

حينئذ يسمى حكيما و ما لم يكن منه ذلك فهو عالم بالحكمة و بما تستحقه و ما يستحقه ذلك الأمر باستعداده فلا يسمى حكيما إلا بوجود هذا الاستعمال و هو قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ من اسمه الحكيم فبالإعطاء الذي تعطيه الحكمة يسمى حكيما فهو علم تفصيلي عملي و العلم بالمجمل علم تفصيلي فإنه فصله عن العلم التفصيلي و لو لا ذلك لم يتميز المجمل من المفصل فمن الحكمة العلم بالمجمل و التجميل و المفصل و التفصيل قال تعالى وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ عملا وَ فَصْلَ الْخِطابِ في المقال فالحكيم يجري مع كل حال و موطن بحسب ذلك الحال و ذلك الموطن و ليس هذا إلا للملامية خاصة فهم المجهولون في الدنيا لأنهم لا يتميزون بأمر يخرجهم عن حكم ما يعطيه موطن الدنيا فإن قام به حال يناقض الموطن من وجه و هو حال النبوة أعني الرسالة فإنه لا بد أن يحكم عليه الحال و هو الذي تعطيه الحكمة فيتميز في موطن الدنيا بأنه عند الله بمكان و لم يكن له ذلك و لكن حال التبليغ يطلب الدلالة على صحة ما يدعو إليه فهذا هو حكم الحال فإن كان وليا دون رسول تعين عليه الجري بحكم الموطن لا بحكم الحال فإن ظهر من هذا الولي ما يدل على منزلته من ربه بما يعطي من التمكن و التصرف في العالم و ليس برسول فهو رعونة و صاحب نقص فإن ظهر بعلم غريب فهل يكون مثل صاحب الحال النفسي المؤثر أم لا قلنا لا فإن العلم الذي لا يكون معه أثر كوني سوى نفسه لا يقوم عند العامة و لا عند الخاصة له ذلك الوزن و لا لصاحبه ذلك التميز إلا عند الأكابر من أهل الله و ممن له تحقق و استشراف على ذلك المقام الأعلى و لذلك قال الله لنبيه ص قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً من أجل الموطن و ما أظهر آية في دعائه إلى الله في كل وقت و لا عند كل مدعو مع حاجته إلى ذلك و لكن لما كان مأمورا بالتبليغ ما عليه إلا البلاغ فإن شاء الحق أيده كان بالمعجزات و إن شاء زاد دعاؤه من أرسل إليهم فرارا مما دعاهم إليه من توحيده كنوح ع فأخبر فقال إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً و للحكماء السياسة في العالم بالطريقة المشروعة التي شرع الله لعباده ليسلكوا فيها فيقودهم ذلك السلوك إلى سعاداتهم انتهى الجزء السابع و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و الستون و مائة في معرفة كيمياء السعادة)

إن الأكاسير برهان يدل على ... ما في الوجود من التبديل و الغير
إن العدو بإكسير العناية إذ ... يلقى عليه بميزان على قدر
في الحين يخرج صدقا من عداوته ... إلى ولايته بالحكم و القدر

فصحح الوزن فالميزان شرعتنا و قد أبنت فكن فيه على حذر

الكيمياء مقادير معينة لأن كم عدد في عالم الصور

فكن به فطنا إن كنت ذا نظر و لا تردنك الأهواء عن النظر

تلحق برتبة أملاك مطهرة و ترتقي رتبا عن عالم البشر

الكيمياء عبارة عن العلم الذي يختص بالمقادير و الأوزان في كل ما يدخله المقدار و الوزن من الأجسام و المعاني محسوسا و معقولا و سلطانها في الاستحالات أعني تغير الأحوال على العين الواحدة فهو علم طبيعي روحاني إلهي و إنما قلنا إلهي لورود الاستواء و النزول و المعية و تعدد الأسماء الإلهية على المسمى الواحد باختلاف معانيها

فالأمر ما بين مطوي و منشور كالكيف و الكم أحوال المقادير

تاهت مراكبنا على بسائطها نية امتياز بسر غير مقهور

و الوحي ينزل أحكاما يشرعها و الحكم ما بين منهي و مأمور

فعلم الكيمياء العلم بالإكسير و هو على قسمين أعني فعله إما انشاء ذات ابتداء كالذهب المعدني و إما إزالة علة و مرض كالذهب الصناعي الملحق بالذهب المعدني كنشأة الآخرة و الدنيا في طلب الاعتدال فاعلم أن المعادن كلها ترجع إلى أصل واحد و ذلك الأصل يطلب بذاته أن يلحق بدرجة الكمال و هي الذهبية غير أنه لما كان أمرا طبيعيا عن أثر أسماء إلهية متنوعة الأحكام طرأت عليه في طريقه علل و أمراض من اختلاف الأزمنة و طبائع الأمكنة مثل حرارة الصيف و برد الشتاء و يبوسة الخريف و رطوبة الربيع و من البقعة كحرارة المعدن و برده و بالجملة فالعلل كثيرة فإذا غلبت عليه علة من هذه العلل في أزمان رحلته و نقلته من طور إلى طور و خروجه من حكم دور إلى حكم دور و استحكم فيه سلطان ذلك الموطن ظهرت فيه صورة نقلت جوهرته إلى حقيقتها فسمي كبريتا أو زيبقا و هما الأبوان لما يظهر من التحامهما و تناكحهما من معادن لعلل طارئة على الولد فهما إنما يلتحمان و يتناكحان ليخرج بينهما جوهر شريف كامل النشأة يسمى ذهبا فيشرف به الأبوان إذ كانت تلك الدرجة مطلوبة لكل واحد من الأبوين من حيث جوهريتهما إلا أن ذلك الأصل في الإلهيات نفس و في الطبيعة بخار إلا أن الأبوين أمر و طبيعة و إنما قلنا إن ذلك الأمر كان مطلوبا للأبوين من حيث جوهرهما لا من حيث صورتهما لأن الحكم في الجوهر الهيولائي إنما هو للصور فلما حالت العلة التي طرأت عليه في معدنه فصيرته كبريتا و زيبقا علمنا أيضا أن في قوتهما إذا لم يطرأ عليهما علة تخرجهما عن سلطان حكم اعتدال الطبائع و تعدل بهما عن طريقه إن

الولد الخارج بينهما الذي يستحيل أعيانهما إليه أنهما يلحقان بد رجة الكمال و هو الذهب الذي كان مطلوبا لهما ابتداء فإذا التحما و تناكحا في المعدن بحكم طبيعة ذلك المعدن الخاص و حكم قبوله لأثر طبيعة الزمان فيه و هو على صراط مستقيم مثل الفطرة التي فطر الله الناس عليها و أبواه هما اللذان يهودان الولد أو ينصرانه أو يمجسانه كذلك إذا كثرت فيه كمية الأب الواحد لعرض معدني من عرض زماني غلب بذلك إحدى الطبائع على أخواتها فزاد و أربى و نقص الباقي عن مقاومة الغالب حكم على الجوهر فرده لما تعطيه حقيقة ذلك الطبع و عدل به عن طريق الاعتدال التي هي المحجة التي تخرج بك إلى المدينة الفاضلة الذهبية الكاملة التي من حصل فيها لم يقبل الاستحالة إلى الأنقص عنها فإذا غلب عليه ذلك الطبع قلب عينه فظهرت صورة الحديد أو النحاس أو القزدير أو الآنك أو الفضة بحسب ما يحكم عليه و من هنا تعرف قوله تعالى في الاعتبا ر مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ أي تامة الخلقة و ليس إلا الذهب و غير تامة الخلقة و هي بقية المعادن فتتولاه في ذلك الوقت روحانية كوكب من الكواكب السيا رة السبعة و هو ملك من ملائكة تلك السماء يجري مع ذلك الكوكب المسخر في سباحته لأن الله هو الذي وجهه إلى غاية يقصدها عن أمر خالقه إبقاء لعين ذلك الجوهر فيتولى صورة الحديد ذلك الملك الذي جواده هذا الكوكب السابح من السماء السابعة من هنا و صورة القزدير و غيره و كذلك كل صورة معدنية يتولاها ملك يكون جواده هذا الكوكب السابح في سمائه و فلكه الخاص به الذي وجهه فيه ربه تعالى فإذا جاء العارف بالتدبير نظر في الأمر الأهون عليه فإن كان الأهون عليه إزالة العلة من الجسد حتى يرده إلى المجرى الطبيعي المعتدل الذي انحرف عنه فهو أولى فإن الكوكب السابح يراه صاحب الرصد وقتا في المنزلة عينها و وقتا عادلا عنها منحرفا فوقها أو تحتها فيعمد العارف بالتدبير إلى السبب الذي رده حديدا أو ما كان و يعلم أنه ما غلب الجماعة إلا بما فيه من الكمية فنقص من الزائد و زاد في الناقص و هذا هو الطب و العامل به العالم هو الطبيب فيزيل عنه بهذا الفعل صورة الحديد مثلا أو ما كان عليه من الصور فإذا رده إلى الطريق أخذ يحفظ عليه تقويم الصحة و إقامته فيها فإنه قد يعافي من مرضه و هو ناقة فيخاف عليه فهو يعامله بتلطيف الأغذية و يحفظه من الأهوية و يسلك به على الصراط القويم إلى أن يكسو ذلك الجوهر صورة الذهب فإذا حصلت له خرج عن حكم الطبيب و عن علته فإنه بعد ذلك الكمال لا ينزل إلى درجة النقصان و لا يقبله و لو رامها الطبيب لم يتمكن له ذلك فإن القاضي ما عنده نص في هذه المسألة حتى يحكم فيها بما يراه و سبب ذلك على الحقيقة أن القاضي عادل و لا يحكم إلا على من خرج عن طريق الحق و هذا الذهب عليه فلا يقضى عليه بشيء لأنه لم يتوجه للخصم عليه حق فهذا سببه فمن لزم طريق الحق ارتفع عن درجة الحكم عليه و صار حاكما على الأشياء فهذه طريقة إزالة العلل و ما رأيت عليها أحدا يعرف ذلك و لا نبه عليه و لا أشار و لا تجده إلا في هذا الباب أو في كلامنا و أما إذا أراد صاحب هذه

الصنعة انشاء العين المسمى إكسيرا ليحمله على ما يشاء من الأجساد المعدنية فيقلبها لما تحكم به طبيعة ذلك الجسد القابل و الدواء واحد الذي هو الإكسير فمن الأجساد من يرده الإكسير إلى حكمه فيكون إكسيرا يعمل عمله و هو المسمى بالنائب فيقوم في باقي الأجساد المعدنية و يحكم بحكمه مثل أن يأخذ وزن درهم أو أي وزن شاء من عين الإكسير فيلقيه على ألف وزن من أي جسد شئت من الأجساد فإن كان قزديرا أو حديدا أعطاه صورة الفضة و إن كان نحاسا أو رصاصا أسود أو فضة أعطاه صورة الذهب و إن كان الجسد زيبقا أعطاه قوته و تركه نائبا عنه يحكم في الأجساد حكمه و لكن بوزن يخالف وزن باقي الأجساد و ذلك وزن درهم من الإكسير فيلقيه على رطل الحكمة خاصة من الزيبق فيرده إكسيرا كله فيلقي من ذلك النائب وزنا على وزن ألف وزن من بقية الأجساد مثل الإكسير فيجري في الحكم مجراه فهذه صورة الإنشاء و الأولى صنعة إزالة المرض و إنما جئنا بهذا لنعلمك بارتباط الحكمة في مسمى الكيمياء بين الطريقين و لما ذا سميت كيمياء السعادة لأن فيها سعادة لا بد و زيادة ما عند الناس من أهل الله خير منها و هو أنه يعطيك درجة الكمال الذي للرجال فإنه ما كل صاحب سعادة يعطي الكمال فكل صاحب كمال سعيد و ما كل سعيد كامل و الكمال عبارة عن اللحوق بالدرجة العلي و هو التشبه بالأصل و لا يتخيل أن قول النبي ص كمل من الرجال كثيرون أنه أراد الكمال الذي ذكره الناس و إنما هو ما ذكرناه و ذلك بحسب ما يعطي الاستعداد العلمي في الدنيا فلنتكلم إن شاء الله على كيمياء السعادة بعد هذا التمهيد و الله الموفق لا رب غيره.

(وصل في فصل)

اعلم أن الكمال المطلوب الذي خلق له الإنسان إنما هو الخلافة فأخذها آدم ع بحكم العناية الإلهية و هو مقام أخص من الرسالة في الرسل لأنه ما كل رسول خليفة فإن درجة الرسالة إنما هي التبليغ خاصة قال تعالى ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و ليس له التحكم في المخالف إنما له تشريع الحكم عن الله أو بما أراه الله خاصة فإذا أعطاه الله التحكم فيمن أرسل إليهم فذلك هو الاستخلاف و الخلافة و الرسول الخليفة فما كل من أرسل حكم فإذا أعطى السيف و أمضى الفعل حينئذ يكون له الكمال فيظهر بسلطان الأسماء الإلهية فيعطي و يمنع و يعز و يذل و يحيي و يميت و يضر و ينفع و يظهر بأسماء التقابل مع النبوة لا بد من ذلك فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة فهو ملك و ليس بخليفة فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق على عباده لا من أقامه الناس و بايعوه و قدموه لأنفسهم و على أنفسهم فهذه هي درجة الكمال و للنفوس تعمل مشروع في تحصيل مقام الكمال و ليس لهم تعمل في تحصيل النبوة فالخلافة قد تكون مكتسبة و النبوة غير مكتسبة لكن لما رأى بعض الناس الطريق الموصل إليها طاهر الحكم و من شاء الله يسلك فيه تخيل أن النبوة مكتسبة و غلط فلا

شك أن الطريق يكتسب فإذا وصل إلى الباب يكون بحسب ما يخرج له في توقيعه و هنالك هو الاختصاص الإلهي فمن الناس من يخرج له توقيع بالولاية و منهم من يخرج له توقيع بالنبوة و بالرسالة و بالرسالة و الخلافة و منهم من يخرج له توقيع بالخلافة وحدها فلما رأى من رأى أن هؤلاء ما خرج لهم هذا التوقيع إلا بعد سلوكهم بالأفعال و الأقوال و الأحوال إلى هذا الباب تخيل أن ذلك مكتسب للعبد فأخطأ و اعلم أن النفس من حيث ذاتها مهياة لقبول استعداد ما تخرج به التوقيعات الإلهية فمنهم من حصل له استعداد توقيع الولاية خاصة فلم يزد عليها و منهم من رزق استعداد ما ذكرناه من المقامات كلها أو بعضها و سبب ذلك أن النفوس خلقت من معدن واحد كما قال تعالى خَلَقَكُمْ من نَفْسٍ واحِدَةٍ و قال بعد استعداد خلق الجسد وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي فمن روح واحد صح السر المنفوخ في المنفوخ فيه و هو النفس و قوله في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ يريد الاستعدادات فيكون بحكم الاستعداد في قبول الأمر الإلهي فلما كان أصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث أبيها و لم يظهر لها عين إلا بوجود هذا الجسد الطبيعي فكانت الطبيعة الأب الثاني خرجت ممتزجة فلم يظهر فيها إشراق النور الخالص المجرد عن المواد و لا تلك الظلمة الغائية التي هي حكم الطبيعة فالطبيعة شبيهة بالمعدن و النفس الكلية شبيهة بالأفلاك التي لها لفعل و عن حركاتها يكون الانفعال في العناصر و الجسد الكون في المعدن بمنزلة الجسم الإنساني و الخاصية التي هي روح ذلك الجسد المعدني بمنزلة النفس الجزئية التي للجسم الإنساني و هو الروح المنفوخ وكما أن الأجساد المعدنية على مراتب لعلل طرأت عليهم في حال التكوين مع كونهم يطلبون درجة الكمال التي لها ظهرت أعيانهم كذلك الإنسان خلق للكمال فما صرفه عن ذلك الكمال إلا علل و أمراض طرأت عليهم إما في أصل ذواتهم و إما بأمور عرضية فاعلم ذلك فلنبتدئ بما ينبغي أن يليق بهذا الباب و هو أن نقول إن النفوس الجزئية لما ملكها الله تدبير هذا البدن و استخلفها عليه و بين لها أنها خليفة فيه لتتنبه على أن لها موجدا استخلفها فيتعين عليها طلب العلم بذلك الذي استخلفها هل هو من جنسها أو شبيه بها بضرب ما من ضروب المشابهة أو لا يشبهها فتوفرت دواعيها لمعرفة ذلك من نفسها فبينما هي كذلك على هذه الحالة في طلب الطريق الموصلة إلى ذلك و إذا بشخص قد تقدمها في الوجود من النفوس الجزئية فأنسوا به للشبه فقالوا له أنت تقدمتنا في هذه الدار فهل خطر لك ما خطر لنا قال و ما خطر لكم قالوا طلب العلم بمن استخلفنا في تدبير هذا الهيكل فقال عندي بذلك علم صحيح جئت به ممن استخلفكم و جعلني رسولا إلى جنسي لأبين لهم طريق العلم الموصل إليه الذي فيه سعادتهم فقال الواحد إياه أطلب فعرفني بذلك الطريق حتى أسلك فيه و قال الآخر لا فرق بيني و بينك فأريد أن استنبط الطريق إلى معرفته من ذاتي و لا أقلدك في ذلك فإن كنت أنت حصل لك ما أنت عليه و ما جئت به بالنظر الذي خطر لي فلماذا أكون ناقص الهمة و أقلدك و إن كان حصل لك باختصاص منه كما خصنا بالوجود بعد أن لم نكن

فدعوى بلا برهان فلم يلتفت إلى قوله و أخذ يفكر و ينظر بعقله في ذلك فهذا بمنزلة من أخذ العلم بالأدلة العقلية من النظر الفكري و مثال الثاني مثال أتباع الرسول و مقلديه فيما أخبر به من العلم بصانعهم و مثال ذلك الشخص الذي اختلف في اتباعه هذان الشخصان مثال الرسول المعلم فشرع هذا العلم يبين الطريق الموصل إلى درجة الكمال و السعادة على ما اقتضاه نظر الشخص الواحد من الشخصين اللذين نظرا في شأن هذا المعلم و هو الذي لم يتبعه و لكن ما وقعت الموافقة معه إلا في بعض ما يقتضيه الأمر الطبيعي من مخالفة الطبع و لا كل مخالفة الطبع إلا بوزن خاص و مقدار معين و بهذا سمي كيمياء لدخول التقدير و الوزن فلما رأى ذلك هذا الشخص فرح بذلك حيث استقل به دون تقليده و رأى أن له شفوفا على صاحبه الذي قلده فاغتر به و أما المقلد فبقي على ما كان عليه من تقليد المعلم و زاد غير المقلد و هو ذلك الشخص بما رأى من الموافقة زهدا في تقليد هذا الشخص و انفرادا بنظره من أجل هذه الموافقة فسلك الرجلان أو الشخصان إن كانا امرأتين أو أحدهما امرأة في الطريق الواحد بحكم النظر و الآخر بحكم التقليد و أخذا في الرياضة و هو تهذيب الأخلاق و المجاهدة و هي المشاق البدنية من الجوع و العبادات العملية البدنية كالقيام الطويل في الصلاة و الدءوب عليها و الصيام و الحج و الجهاد و السياحة هذا بنظره و هذا بما شرع له أستاذه و معلمه المسمى شارعا فلما فرغا من حكم أسر الطبيعة العنصرية و ما بقي واحد منهما يأخذ من حكم الطبيعة العنصرية إلا الضروري الذي يحفظ به وجود هذا الجسم الذي بوجوده و اعتداله و بقائه يحصل لهذه النفس الجزئية مطلوبها من العلم بالله الذي استخلفها خاصة فإذا خرجا عن حكم الشهوات الطبيعية العنصرية و فتح لهما باب السماء الدنيا تلقى المقلد آدم ففرح به و أنزله إلى جانبه و تلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر فأنزله عنده ثم إن صاحب النظر الذي هو نزيل القمر في خدمة آدم و هو كالوزير له مأمورا من الحق بالتسخير له و رأى جميع ما عنده من العلوم لا يتعدى ما تحته من الأكر و لا علم له بما فوقه و أنه مقصور الأثر على ما دونه و رأى آدم أن عنده علم ما دونه و علم ما فوقه من الأمكنة و أنه يلقي إلى نزيله مما عنده مما ليس في وسع القمر أن يعرفه و علم أنه ما أنزله عليه إلا عناية ذلك المعلم الذي هو الرسول فاغتم صاحب النظر و ندم حيث لم يسلك على مدرجة ذلك الرسول و اعتقد الايمان به و أنه إذا رجع من سفرته تلك أن يتبع ذلك الرسول و يستأنف من أجله سفرا آخر ثم إن هذا التابع نزيل آدم علمه أبوه من الأسماء الإلهية على قدر ما رأى أنه يحمله مزاجه فإن للنشأة الجسمية العنصرية أثرا في النفوس الجزئية فما كلها على مرتبة واحدة في القبول فتقبل هذه ما لا تقبل غيرها و في أول سماء يقف من علم آدم على الوجه الإلهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه و علته و صاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلا و العلم بذلك الوجه هو العلم بالإكسير في الكيمياء الطبيعية فهذا هو إكسير العارفين و ما رأيت أحدا نبه عليه غيري و لو لا

أني مأمور بالنصيحة لهذه الأمة بل لعباد الله ما ذكرته فعلم كل واحد منهما ما لهذا الفلك من الحكم الذي ولاة الله به في هذه الأركان الأربعة و المولدات و ما أوحى الله في هذه السماء من الأمر المختص بها في قوله وَأَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و ما علم صاحب النظر نزيل القمر من ذلك إلا ما يختص بالتأثيرات المدنية و الاستحالات في أعيان الأجسام المركبة من الطبيعة العنصرية و حصل التابع ما فيها من العلم الإلهي الحاصل للنفوس الجزئية مما هو لهذا الفلك خاصة و ما نسبة وجود الحق من ذلك و ما له فيهم من الصور و من أين صحت الخلافة لهذه النشأة الإنسانية و لا سيما و آدم المنصوص عليه صاحب هذه السماء فعلم التابع صورة الاستخلاف في العلم الإلهي و علم صاحب النظر الاستخلاف العنصري في تدبير الأبد إن و علل الزيادة و الربو و النمو في الأجسام القابلة لذلك و النقص فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع و ما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر فما يزداد صاحب النظر إلا غما على غم و ما يصدق متى ينقضي سفره و يرجع إلى بدنه فإنهم في هذا السفر مثل النائم فيما يرى في نومه و هو يعرف أنه في النوم فلا يصدق متى يستيقظ ليستأنف العمل و يستريح من غمه و إنما يتقلق خوفا مما حصل له في سفره أن يقبض فيه فلا يصح له ترق بعد ذلك فهذا هو الذي يزعجه و التابع ليس كذلك فإنه يرى الترقي بصحبه حيث كان من ذلك الوجه الخاص الذي لا يعرفه إلا صاحب هذا الوجه فإذا أقاما في هذه السماء ما شاء الله و أخذا في الرحلة و ودع كل واحد منهما نزيله و ارتقيا في معراج الأرواح إلى السماء الثانية و في هذه السماء الأولى هو النائب السابع الإلهي الموكل بالنطفة الكائنة في الأرحام التي تظهر فيها هذه النشأة الإنسانية و هو يتوكل بها في الشهر السابع من سقوط النطفة و الطفل في هذا الشهر الجنين يزيد و ينمو في بطن أمه بزيادة القمر و يذبل و تقل حركته في بطن أمه في نقص القمر و ذلك هو العلامة فإن ولد في هذا الشهر لم يكن في القوة مثل الذي يولد في الشهر السادس فإذا فرعا السماء الثانية و فتحت لهما صعدا فنزل التابع عند عيسى ع و عنده يحيى ابن خالته و نزل صاحب النظر عند الكاتب فلما أنزله الكاتب عنده و أكرم مثواه اعتذر إليه و قال له لا تستبطئني فإني في خدمة عيسى و يحيى ع و قد نزل بهما صاحبك فلا بد لي من الوقوف عندهما حتى أرى ما يأمراني به في حق نزيلهما فإذا فرغت من شأنه رجعت إليك فيزيد صاحب النظر غما إلى غمه و ندامة حيث لم يسلك مسلك صاحبه و لا ذهب في مذهبه فأقام التابع عند ابني الخالة ما شاء الله فأوقفاه على صحة رسالة المعلم رسول الله ص بدلالة إعجاز القرآن فإنها حضرة الخطابة و الأوزان و حسن مواقع الكلام و امتزاج الأمور و ظهور المعنى الواحد في الصور الكثيرة و يحصل له الفرقان في مرتبة خرق العوائد و من هذه الحضرة يعلم علم السيمياء الموقوفة على العمل بالحروف و الأسماء لا على البخورات و الدماء و غيرها و يعرف شرف الكلمات و جوامع الكلم و حقيقة كن و اختصاصها بكلمة الأمر لا بكلمة الماضي و لا المستقبل و لا الحال و ظهور الحرفين من

هذه الكلمة مع كونها مركبة من ثلاثة و لما ذا حذفت الكلمة الثالثة المتوسطة البرزخية التي بين حرف الكاف و حرف النون و هي حرف الواو الروحانية التي تعطي ما للملك في نشأة المكون من الأثر مع ذهاب عينها و يعلم سر التكوين من هذه السماء و كون عيسى يحيي الموتى و انشاء صورة الطير و نفخه في صورته و تكوين الطائر طائرا هل هو بإذن الله أو تصوير عيسى خلق الطير و نفخه فيه هو بإذن الله و بأي فعل من الأفعال اللفظية يتعلق قوله بِإِذْنِي و بِإِذْنِ الله هل العامل فيه يكون أو تنفخ فعند أهل الله العامل فيه يكون و عند مثبتي الأسباب و أصحاب الأحوال العامل فيه تنفخ فيحصل لمن دخل هذه السماء و اجتمع بعيسى و يحيى علم ذلك و لا بد و لا يحصل ذلك لصاحب النظر و أعني حصول ذوق و عيسى روح الله و يحيى له الحياة فكما أن الروح و الحياة لا يفترقان كذلك هذان النبيان عيسى و يحيى لا يفترقان لما يحملانه من هذا السر فإن لعيسى من علم الكيمياء الطريقين الإنشاء و هو خلقه الطير من الطين و النفخ فظهر عنه الصورة باليدين و الطيران بالنفخ الذي هو النفس فهذه طريقة الإنشاء في علم الكيمياء الذي قدمناه في أول الباب و الطريق الثانية إزالة العلل الطارئة و هو في عيسى إبراء الأكمه و الأبرص و هي العلل التي طرأت عليهما في الرحم الذي هو من وظيفة التكوين فمن هنا يحصل لهذا التابع علم المقدار و الميزان الطبيعي و الروحاني لجمع عيسى بين الأمرين و من هذه السماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية التي يحيي بها القلوب كقوله أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ و هي حضرة جامعة فيها من كل شيء و فيها الملك الموكل بالنطفة في الشهر السادس و من هذه الحضرة يكون الإمداد للخطباء و الكتاب لا للشعراء و لما كان لمحمد ص جوامع الكلم خوطب من هذه الحضرة و قيل ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ لأنه أرسل مبينا مفصلا و الشعر من الشعور فمحله الإجمال لا التفصيل و هو خلاف البيان و من هنا تعلم تقليبات الأمور و من هنا توهب الأحوال لأصحابها و كلما ظهر في العالم العنصري من النيرنجيات الأسمائية فمن هذه السماء و أما القلقطيرات فمن غير هذه الحضرة و لكن إذا وجدت فا رواحها من هذه السماء لا أعيان صورها الحاملة لأرواحها فإذا حصل علم هذه الكائنات و سرعة الأحياء فيها من شأنه أن لا يقبل ذلك إلا في الزمان الطويل فإن ذلك من علم عيسى لا من الأمر الموحى به في ذلك الفلكو لا في سباحة كوكبه و هو من الوجه الخاص الإلهي الخارج عن الطريق المعتادة في العلم الطبيعي الذي يقتضي الترتيب النسبي الموضوع بالترتيب الخاص و هذه مسألة يغمض دركها فإن العالم المحقق يقول بالسبب فإنه لا بد منه و لكن لا يقول بهذا الترتيب الخاص في الأسباب فعامة هذا العلم إما ينفون الكل و إما يثبتون الكل و لم أر منهم من يقول ببقاء السبب مع نفي ترتيبه الزماني فإنه علم عزيز يعلم من هذه السماء فما يكون عن سبب في مدة طويلة يكون عن ذلك السبب في لمح البصر أو هو أقرب و قد ظهر ذلك فيما نقل في تكوين عيسى ع و في تكوين خلق عيسى الطائر و في إحياء الميت من قبره قبل أن يأتي المخاض للأرض في إبراز هذه المولدات ليوم

القيامة و هو يوم ولادتها فالق بالك و أشحذ فؤادك عسى أن يهديك ربك سواء السبيل و من هذه السماء قوله في ناشئة الليل إنها أَقْوَمُ قِيلًا فإذا حصل التابع هذه العلوم و انصرف الكاتب إلى نزيله و رد النظر إليه أعطاه من العلم المودع في مجراه ما يعطيه استعداده مما له من الحكم في الأجسام التي تحته في العالم العنصري لا من أرواحه فإذا كمل فذلك قراه يطلب الرحيل عنه فجاء إلى صاحبه التابع و خرجا يطلبان السماء الثالثة و صاحب النظر بين يدي التابع مثل الخادم بين يدي مخدومه و قد عرف قدره و رتبة معلمه و ما أعطاه من العناية اتباعه لذلك المعلم فلما قرعا السماء الثالثة فتحت فصعدا فيها فتلقى التابع يوسف ع و تلقى صاحب النظر كوكب الزهرة فأنزلته و ذكرت له ما ذكره من تقدم من كواكب التسخير فزاده ذلك غما إلى غمه فجاء كوكب الزهرة إلى يوسف ع و عنده نزيله و هو التابع و هو يلقي إليه ما خصه الله به من العلوم المتعلقة بصور التمثل و الخيال فإنه كان من الأئمة في علم التعبير فأحضر الله بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم ع و أحضر له سوق الجنة و أحضر له أجساد الأرواح النورية و النارية و المعاني العلوية و عرفه بموازينها و مقاديرها و نسبها فأراه السنين في صور البقر و أراه خصبها في سمنها و أراه جدبها في عجافها و أراه العلم في صورة اللبن و أراه الثبات في الدين في صورة القيد و ما زال يعلمه تجسد المعاني و النسب في صورة الحس و المحسوس و عرفه معنى التأويل في ذلك كله فإنها سماء التصوير التام و النظام و من هذه السماء يكون الإمداد للشعراء و النظم و الإتقان و الصور الهندسية في الأجسام و تصويرها في النفس من السماء التي ارتقى عنها و من هذه السماء يعلم معنى الإتقان و الإحكام و الحسن الذي يتضمن بوجوده الحكمة و الحسن الغرضي الملائم لمزاج خاص و في هذه السماء هو النائب الخامس الذي يتلقى تدبير النطفة في الرحم في الشهر الخامس و من الأمر الموحى من الله في هذه السماء حصل ترتيب الأركان التي تحت مقعر فلك القمر فجعل ركن الهواء بين النار و الماء و جعل ركن الماء بين الهواء و التراب و لو لا هذا الترتيب ما صح وجود الاستحالة فيهن و لا كان منهن ما كان من المولدات و لا ظهر في المولدات ما ظهر من الاستحالات فأين النطفة من كونها استحالت لحما و دما و عظاما و عروقا و أعصابا و من هذه السماء رتب الله في هذه النشأة الجسمية الأخلاط الأربعة على النظم الأحسن و الإتقان الأبدع فجعل مما يلي نظر النفس المدبرة المرة الصفراء ثم يليها الدم ثم يلي الدم البلغم ثم يلي البلغم المرة السوداء و هو طبع الموت و لو لا هذا الترتيب العجيب في هذه الأخلاط لما حصلت المساعدة للطبيب فيما يرومه من إزالة ما يطرأ على هذا الجسد من العلل أو فيما يرومه من حفظ الصحة عليه و من هذه السماء ظهرت الأربعة الأصول التي يقوم عليها بيت الشعر كما قام الجسد على الأربعة الأخلاط و هما السببان و الوتدان السبب الخفيف و السبب الثقيل و الوتد المفروق و الوتد المجموع فالوتد المفروق يعطي التحليل و الوتد المجموع يعطي التركيب و السبب الخفيف يعطي الروح و السبب الثقيل

يعطي الجسم و بالمجموع يكون الإنسان فانظر ما أتقن وجود هذا العالم كبيره و صغيره فإذا حصلا هذه العلوم هذان الشخصان و زاد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الإلهي كما اتفق في كل سماء لهما انتقلا يطلبان السماء الوسطى التي هي قلب السموات كلها فلما دخلاها تلقى التابع إدريس ع و تلقى صاحب النظر كوكب الشمس فجرى لصاحب النظر معه مثل ما تقدم فزاد غما إلى غمه فلما نزل التابع بحضرة إدريس ع علم تقليب الأمور الإلهية و وقف على معنى قوله ع القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن و بما ذا يقلبانه و رأى في هذه السماء غشيان الليل النهار و النهار الليل و كيف يكون كل واحد منهما لصاحبه ذكرا وقتا و أنثى وقتا و سر النكاح و الالتحام بينهما و ما يتولد فيهما من المولدات بالليل و النهار و الفرق بين أولاد الليل و أولاد النهار فكل واحد منهما أب لما يولد في نقيضه و أم لما يولد فيه و يعلم من هذه السماء علم الغيب و الشهادة و علم الستر و التجلي و علم الحياة و الموت و اللباس و السكن و المودة و الرحمة و ما يظهر من الوجه الخاص من الاسم الظاهر في المظاهر الباطنة و من الاسم الباطن في الظاهر من حكم استعداد المظاهر فتختلف على الظاهر الأسماء لاختلاف الأعيان ثم رحلا يطلبان السماء الخامسة فنزل التابع بها رون ع و نزل صاحب النظر بالأحمر فاعتذر الأحمر لصاحبه و نزيله في تخلفه عنه مدة اشتغاله بخدمة ها رون ع من أجل نزيله فلما دخل الأحمر على ها رون وجد عنده نزيله و هو يباسطه فتعجب الأحمر من مباسطته فسأل عن ذلك فقال إنها سماء الهيبة و الخوف و الشدة و البأس و هي نعوت توجب القبض و هذا ضيف ورد من أتباع الرسول تجب كرامته و قد ورد يبتغي علما و يلتمس حكما إلهيا يستعين به على أعداء خواطره خوفا من تعدى حدود سيده فيما رسم له فاكشف له عن محياها و أباسطه حتى يكون قبوله لما التمسه على بسط نفس بروح قدس ثم رد وجهه إليه و قال له هذه سماء خلافة البشر فضعف حكم إمامها و قد كان أصلها أقوى المباني فأمر باللين بالجبابرة الطغاة فقيل لنا فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً و ما يؤمر بلين المقال إلا من قوته أعظم من قوة من أرسل إليه و بطشه أشد لكنه لما علم الحق أنه قد طبع على كل قلب مظهر للجبروت و الكبرياء و أنه في نفسه أذل الأذلاء أمرا أن يعاملاه بالرحمة و اللين لمناسبة باطنه و استنزال ظاهره من جبروته و كبريائه لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و لعل و عسى من الله واجبتان فيتذكر بما يقابله من اللين و المسكنة ما هو عليه في باطنه ليكون الظاهر و الباطن على السواء فما زالت تلك الخميرة معه تعمل في باطنه مع الترجي الإلهي الواجب وقوع المترجي و يتقوى حكمها إلى حين انقطاع يأسه من اتباعه و حال الغرق بينه و بين أطماعه لجأ إلى ما كان مستسرا في باطنه من الذلة و الافتقار ليتحقق عند المؤمنين وقوع الرجاء الإلهي فقال آمنت بالذي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فأظهر حالة باطنه و ما كان في قلبه من العلم الصحيح بالله و جاء بقوله الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ لرفع الإشكال عند الإشكال كما قالت السحرة لما آمنت آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ رَبِّ

مُوسى وَها رُونَ أي الذي يدعوان إليه فجاءت بذلك لرفع الارتياب و قوله وَأَنَا من الْمُسْلِمِينَ خطاب منه للحق لعلمه أنه تعالى يسمعه و يراه فخاطبه الحق بلسان العتب و أسمعه آلْآنَ أظهرت ما قد كنت تعلمه وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ من الْمُفْسِدِينَ في اتباعك و ما قال له و أنت من المفسدين فهي كلمة بشرى له عرفنا بها لنرجو رحمته مع إسرافنا و إجرامنا ثم قال فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ فبشره قبل قبض روحه بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً يعني لتكون النجاة لمن يأتي بعدك آية علامة إذا قال ما قلته تكون له النجاة مثل ما كانت لك و ما في الآية أن بأس الآخرة لا يرتفع و لا أن إيمانه لم يقبل و إنما في الآية إن بأس الدنيا لا يرتفع عمن نزل به إذا آمن في حال رؤيته إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ فقوله فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ إذ العذاب لا يتعلق إلا بظاهرك و قد أريت الخلق نجاته من العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا فصار الموت فيه شهادة خالصة بريئة لم تتخللها معصية فقبضت على أفضل عمل و هو التلفظ بالإيمان كل ذلك حتى لا يقنط أحد من رحمة الله و الأعمال بالخواتم فلم يزل الايمان بالله يجول في باطنه و قد حال الطابع الإلهي الذاتي في الخلق بين الكبرياء و اللطائف الإنسانية فلم يدخلها قط كبرياء و أما قوله فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا فكلام محقق في غاية الوضوح فإن النافع هو الله فما نفعهم إلا الله و قوله سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ في عِبادِهِ يعني الايمان عند رؤية البأس الغير المعتاد و قد قال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من في السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً فغاية هذا الايمان أن يكون كرها و قد أضافه الحق إليه سبحانه و الكراهة محلها القلب و الايمان محله القلب و الله لا يأخذ العبد بالأعمال الشاقة عليه من حيث ما يجده من المشقة فيها بل يضاعف له فيها الأجر و أما في هذا الموطن فالمشقة منه بعيدة بل جاء طوعا في إيمانه و ما عاش بعد ذلك كما قال في راكب البحر عند ارتجاجه ضَلَّ من تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فنجاهم فلو قبضهم عند نجاتهم لماتوا موحدين و قد حصلت لهم النجاة فقبض فرعون و لم يؤخر في أجله في حال إيمانه لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الدعوى ثم قوله تعالى في تتميم قصته هذه وَإِنَّ كَثِيراً من النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ و قد أظهرت نجاتك آية أي علامة على حصول النجاة فغفل أكثر الناس عن هذه الآية و قضوا على المؤمن بالشقاء و أما قوله فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ فما فيه نص أنه يدخلها معهم بل قال الله أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ و لم يقل أدخلوا فرعون و آله و رحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمان المضطر و أي اضطرار أعظم من اضطرار فرعون في حال الغرق و الله يقول أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ فقرن للمضطر إذا دعاه الإجابة و كشف السوء عنه و هذا آمن لله خالصا و ما دعاه في البقاء في الحياة الدنيا خوفا من العوارض أو يحال بينه و بين هذا الإخلاص الذي جاءه في هذه الحال فرجح جانب لقاء الله على البقاء بالتلفظ بالإيمان و جعل ذلك الغرق نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى فلم يكن عذابه أكثر من غم الماء الأجاج و قبضه على أحسن صفة هذا ما يعطي ظاهر اللفظ و هذا معنى قوله إِنَّ في ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى يعني في أخذه نكال الآخرة و الأولى و قدم ذكر الآخرة و أخر الأولى ليعلم أن

ذلك العذاب أعني عذاب الغرق هو نكال الآخرة فلذلك قدمها في الذكر على الأولى و هذا هو الفضل العظيم فانظر يا ولي ما أثرت مخاطبة اللين و كيف أثمرت هذه الثمرة فعليك أيها التابع باللين في الأمور فإن النفوس الآبية تنقاد بالاستمالة ثم أمره بالرفق بصاحبه صاحب النظر و كان سبب هذا الأمر من هارون لأنه حصل له هذا ذوقا من نفسه حين أخذ موسى برأسه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ فاذاقه الذل بأخذ اللحية و الناصية فناداه بأشفق الأبوين فقال يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي و فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ لما ظهر عليه أخوه موسى بصفة القهر فلما كان لهارون ذلة الخلق ذوقا مع براءته مما أذل فيه تضاعفت المذلة عنده فناداه بالرحم فهذا سبب وصيته لهذا التابع و لو لم يلق موسى الألواح ما أخذ برأس أخيه فإن في نسختها الهدى و الرحمة تذكرة لموسى فكان يرحم أخاه بالرحمة و تبين مسألته مع قومه بالهدى فلما سكت عنه الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ فما وقعت عينه مما كتب فيها الأعلى الهدى و الرحمة فقال رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ثم أمره أن يجعل ما تقتضيه سماؤه من سفك الدماء في القرابين و الأضاحي ليلحق الحيوان بدرجة الأناسي إذ كان لها الكمال في الأمانة ثم خرج من عنده بخلعة نزيله و أخذ بيد صاحبه و قد أفاده ما كان في قوته من المعارف بما يقتضيه حكمه في الدور لا غير و انصرفا يطلبان السماء السادسة فتلقاه موسى ع و معه وزيره البرجيس فلم يعرف صاحب النظر موسى ع فأخذه البرجيس فأنزله و نزل التابع عند موسى فأفاده اثني عشر ألف علم من العلم الإلهي سوى ما أفاده من علوم الدور و الكور و أعلمه أن التجلي الإلهي إنما يقع في صور الاعتقادات و في الحاجات فتحفظ ثم ذكر له طلبه النار لأهله فما تجلى له إلا فيها إذ كانت عين حاجته فلا يرى إلا في الافتقار و كل طالب فهو فقير إلى مطلوبه ضرورة و أعلمه في هذه السماء خلع الصور من الجوهر و إلباسه صورا غيرها ليعلمه أن الأعيان أعيان الصور لا تنقلب فإنه يؤدي إلى انقلاب الحقائق و إنما الإدراكات تتعلق بالمدركات تلك المدركات لها صحيحة لا شك فيها فيتخيل من لا علم له بالحقائق أن الأعيان انقلبت و ما انقلبت و من هنا يعلم تجلى الحق في القيامة في صورة يتعوذ أهل الموقف منها و ينزهون الحق عنها و يستعيذون بالله منها و هو الحق ما هو غيره و ذلك في أبصارهم فإن الحق منزه عن قيام التغيير به و التبديل قال عليم الأسود لرجل وقف فضرب بيده عليم إلى أسطوانة في الحرم فرآها الرجل ذهبا ثم قال له يا هذا إن الأعيان لا تنقلب و لكن هكذا تراه لحقيقتك بربك يشير إلى تجلى الحق يوم القيامة و تحوله في عين الرائي و من هذه السماء يعلم العلم الغريب الذي لا يعلمه قليل من الناس فأحرى أن لا يعلمه الكثير و هو معنى قوله تعالى لموسى ع و ما علم أحد ما أراد الله إلا موسى و من اختصه الله وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى فقال هِيَ عَصايَ و السؤال عن الضروريات ما يكون من العالم بذلك إلا لمعنى غامض ثم قال في تحقيق كونها عصا أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى كل ذلك من كونها عصا أ رأيتم أنه أعلم الحق تعالى بما

ليس معلوما عند الحق و هذا جواب علم ضروري عن سؤال عن معلوم مد رك بالضرورة فقال له أَلْقِها يعني عن يدك مع تحققك إنها عصا فَأَلْقاها موسى فَإِذا هِيَ يعني تلك العصا حَيَّةٌ تَسْعى فلما خلع الله على العصا أعني جوهرها صورة الحية استلزمها حكم الحية و هو السعي حتى يتبين لموسى ع بسعيها إنها حية و لو لا خوفه منها خوف الإنسان من الحيات لقلنا إن الله أوجد في العصا الحياة فصا رت حية من الحياة فسعت لحياتها على بطنها إذ لم يكن لها رجل تسعى به فصورتها لشكلها عصا صورة الحيات فلما خاف منها للصورة قال له الحق خُذْها وَ لا تَخَفْ و هذا هو خوف الفجاة إذ كان ثم قال له سَنُعِيدُها الضمير يعود على العصا سِيرَتَهَا الْأُولى فجواهر الأشياء متماثلة و تختلف بالصور و الأعراض و الجوهر واحد أي ترجع عصا مثل ما كانت في ذاتها و في رأى عينك كما كانت حية في ذاتها و في رأى عينك ليعلم موسى من يرى و ما يرى و بمن يرى و هذا تنبيه إلهي له و لنا و هو الذي قاله عليم سواء من أن الأعيان لا تنقلب فالعصا لا تكون حية و لا الحية عصا و لكن الجوهر القابل صورة العصا قبل صورة الحية فهي صور يخلعها الحق القادر الخالق عن الجوهر إذا شاء و يخلع عليه صورة أخرى فإن كنت فطنا فقد نبهتك على علم ما تراه من صور الموجودات و تقول هو ضروري من كونك لا تقدر على إنكاره و قد بان لك أن الاستحالات محال و لله أعين في بعض عباده يدركون بها العصا حية في حال كونها عصا و هو إدراك إلهي و فينا خيالي و هكذا في جميع الموجودات سواء انظر لو لا قوة الحس ما قلت هذا جماد لا يحس و لا ينطق و ما به من حياة و هذا نبات و هذا حيوان يحس و يدرك و هذا إنسان يعقل هذا كله أعطاه نظرك و يأتي شخص آخر يقف معك فيرى و يسمع تسليم الجمادات و النبات و الحيوان عليه و كلا الأمرين صحيح و بالقوة التي تستدل بها على إنكار ما قاله هذا بها بعينها يستدل هذا الآخر فكل واحد من الشخصين دليله عين دليل الآخر و الحكم مختلف فو الله ما زالت حية عصا موسى و ما زالت عصا كل ذلك في نفس الأمر لم تخط رؤية كل واحد ما هو الأمر عليه في نفسه و قد رأينا ذلك و تحققناه رؤية عين ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ من عين واحدة و هو في التجلي الأول لا غيره و هو في التجلي الآخر لا غيره فقل إله و قل عالم و قل أنا و قل أنت و قل هو و الكل في حضرة الضمائر ما برح و ما زال فزيد يقول في حقك هو و عمرو يقول عنك أنت و أنت تقول عنك أنا فإنا عين أنت و عين هو و ما هو أنا عين أنت و لا عين هو فاختلفت النسب و هنا بحور طامية لا قعر لها و لا ساحل و عزة ربي لو عرفتم ما فهت به في هذه الشذور لطربتم طرب الأبد و لخفتم الخوف الذي لا يكون معه أمن لأحد تدكدك الجبل عين ثباته و إفاقة موسى عين صعقته

انظر إلى وجهه في كل حادثة من الكيان و لا تعلم به أحدا

أيها التابع المحمدي لا تغفل عما نبهتك عليه و لا تبرح في كل صورة ناظرا إليه فإن المجلى أجلي ثم أخذ بيده البرجيس و جاء به إلى صاحب النظر فعرفه ببعض ما يليق به مما علمه التابع من علم موسى بما يختص من تأثيرات الحركات الفلكية في النشآت العنصرية لا غير فارتحلا من عنده المحمدي على رفرف العناية و صاحب النظر على براق الفكر ففتح لهما السماء السابعة و هي الأولى من هناك على الحقيقة فتلقاه إبراهيم الخليل ع و تلقى صاحب النظر كوكب كيوان فأنزله في بيت مظلم قفر موحش و قال له هذا بيت أخيك يعني نفسه فكن به حتى آتيك فإني في خدمة هذا التابع المحمدي من أجل من نزل عليه و هو خليل الله فجاء إليه فوجده مسندا ظهره إلى البيت المعمور و التابع جالس بين يديه جلوس الابن بين يدي أبيه و هو يقول له نعم الولد البار فسأله التابع عن الثلاثة الأنوار فقال هي حجتي على قومي آتانيها الله عناية منه بي لم أقلها أشرا كالكن جعلتها حبالة صائد أصيد بها ما شرد من عقول قومي ثم قال له أيها التابع ميزا المراتب و اعرف المذاهب و كن على بينة من ربك في أمرك و لا تهمل حديثك فإنك غير مهمل و لا متروك سدى اجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور بحضورك مع الحق في كل حال و اعلم أنه ما وسع الحق شيء مما رأيت سوى قلب المؤمن و هو أنت فعند ما سمع صاحب النظر هذا الخطاب قال يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ و علم ما فاته من الايمان بذلك الرسول و اتباع سنته و يقول يا ليتني لم أتخذ عقلي دليلا و لا سلكت معه إلى الفكر سبيلا و كل واحد من هذين الشخصين يدرك ما تعطيه الروحانيات العلى و ما يسبح به الملأ الأعلى بما عندهما من الطهارة و تخليص النفس من أسر الطبيعة و ارتقم في ذات نفس كل واحد منهما كل ما في العالم فليس يخبر إلا بما شاهده من نفسه في مرآة ذاته فحكاية الحكيم الذي أراد أن يرى هذا المقام للملك فاشتغل صاحب التصوير الحسن بنقش الصور على أبدع نظام و أحسن إتقان و اشتغل الحكيم بجلاء الحائط الذي يقابل موضع الصور و بينهما ستر معلق مسدل فلما فرغ كل واحد من شغله و أحكم صنعته فيما ذهب إليه جاء الملك فوقف على ما صوره صاحب الصور فرأى صورا بديعة يبهر العقول حسن نظمها و بديع نقشها و نظر إلى تلك الأصبغة في حسن تلك الصنعة فرأى أمرا هاله منظره و نظر إلى ما صنع الآخر من صقالة ذلك الوجه فلم ير شيئًا فقال له أيها الملك صنعتي ألطف من صنعته و حكمتي أغمض من حكمته ارفع الستر بيني و بينه حتى ترى في الحالة الواحدة صنعتي و صنعته فرفع الستر فانتقش في ذلك الجسم الصقيل جميع ما صوره هذا الآخر بألطف صورة مما هو ذلك في نفسه فتعجب الملك ثم إن الملك رأى صورة نفسه و صورة الصاقل في ذلك الجسم فحار و تعجب و قال كيف يكون هكذا فقال أيها الملك ضربته لك مثلا لنفسك مع صور العالم إذا أنت صقلت مرآة نفسك بالرياضات و المجاهدات حتى تزكو و أزلت عنها صدأ الطبيعة و قابلت بمرآة ذاتك صور العالم انتقش فيها جميع ما في العالم كله و إلى هذا الحد ينتهي صاحب النظر و أتباع

الرسل و هذه الحضرة الجامعة لهما و يزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تنتقش في العالم جملة واحدة من حيث ذلك الوجه الخاص الذي لله في كل ممكن محدث مما لا ينحصر و لا ينضبط و لا يتصور يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر و من هذه السماء يكون الاستدراج الذي لا يعلم و المكر الخفي الذي لا يشعر به و الكيد المتين و الحجاب و الثبات في الأمور و التأني فيها و من هنا يعرف معنى قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ لأن لهما في الناس درجة الأبوة فلا يلحقهما أبدا قال تعالى أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ و من هذه السماء يعلم أن كل ما سوى الإنس و الجان سعيد لا دخول له في الشقاء الأخروي و إن الإنس و الجان منهم شقي و سعيد فالشقي يجري إلى أجل في الأشقياء لأن الرحمة سبقت الغضب و السعيد إلى غير أجل و من هنا يعرف تفضيل خلق الإنسان و توجه اليدين على خلق آدم دون غيره من المخلوقات و يعلم أنه ما ثم جنس من المخلوقات إلا و له طريقة واحدة في الخلق لم تتنوع عليه صنوف الخلق تنوعها على الإنسان فإنه تنوع عليه الخلق فخلق آدم يخالف خلق حواء و خلق حواء يخالف خلق عيسى و خلق عيسى يخالف خلق سائر بنى آدم و كلهم إنسان و من هنا زين للإنسان سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً و عند تجلى هذا التزيين يشكر الله تعالى التابع على تخلصه من مثل هذا و أما صاحب النظر فلا يجد فرجا إلا في هذا التجلي يعطيه الحسن في السوء و هو من المكر الإلهي و من هنا تثبت أعيان الصور في الجوهر التي تحت هذا الفلك إلى الأرض خاصة و من هنا تعرف ملة إبراهيم أنها ملة سمحاء ما فيها من حرج فإذا علم هذه المعاني و وقف على أبوة الإسلام أراد صاحب النظر القرب منه فقال إبراهيم للتابع من هذا الأجنبي معك فقال هو أخي قال أخوك من الرضاعة أو أخوك من النسب قال أخي من الماء قال صدقت لهذا لا أعرفه لا تصاحب إلا من هو أخوك من الرضاعة كما أني أبوك من الرضاعة فإن الحضرة السعادية لا تقبل إلا إخوان الرضاعة و آباءها و أمهاتها فإنها النافعة عند الله ألا ترى العلم يظهر في صورة اللبن في حضرة الخيال هذا لأجل الرضاع و انقطع ظهر صاحب النظر لما انقطع عنه نسب أبوه إبراهيم ع ثم أمره أن يدخل البيت المعمور فدخله دون صاحبه و صاحبه منكوس الرأس ثم خرج من الباب الذي دخل و لم يخرج من باب الملائكة و هو الباب الثاني لخاصية فيه و هو أنه من خرج منه لا يرجع إليه ثم ارتحل من عنده يطلب العروج و مسك صاحبه صاحب النظر هناك و قيل له قف حتى يرجع صاحبك فإنه لا قدم لك هنا هذا آخر الدخان فقال أسلم و أدخل تحت حكم ما دخل فيه صاحبي قيل له ليس هذا موضع قبول الإسلام إذا رجعت إلى موطنك الذي منه جئت أنت و صاحبك فهناك إذا أسلمت و آمنت و اتبعت سبيل من أناب إلى الله إنابة الرسل المبلغين عن الله قبلت كما قبل صاحبك فبقي هنالك و مشى التابع فبلغ به سدرة المنتهى فرأى صور أعمال السعداء من النبيين و أتباع الرسل و رأى عمله في جملة أعمالهم فشكر الله على ما وفقه إليه من اتباع الرسول المعلم و عاين هنالك أربعة أنهار

منها نهر كبير عظيم و جداول صغار تنبعث من ذلك النهر الكبير و ذلك النهر الكبير تنفجر منه الأنهار الكبار الثلاثة فسأل التابع عن تلك الأنهار و الجداول فقيل له هذا مثل مضروب أقيم لك هذا النهر الأعظم هو القرآن و هذه الثلاثة الأنهار الكتب الثلاثة التوراة و الزبور و الإنجيل و هذه الجداول الصحف المنزلة على الأنبياء فمن شرب من أي نهر كان أو أي جدول فهو لمن شرب منه وارث و كل حق فإنه كلام الله و العلماء ورثة الأنبياء بما شربوا من هذه الأنهار و الجداول فاشرع في نهر القرآن تفز بكل سبيل للسعادة فإنه نهر محمد ص الذي صحت له النبوة و آدم بين الماء و الطين و أوتي جوامع الكلم و بعث عامة و نسخت به فروع الأحكام و لم ينسخ له حكم بغيره و نظر إلى حسن النور الذي غشى تلك السدرة فرأى قد غشاها منه ذاك الذي غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها للغشاء النوري الذي لا تنفذه الأبصار بل لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ ثم قيل له هذه شجرة الطهور فيها مرضاة الحق و من هنا شرع السدر في غسل الميت للقاء الله الماء و السدر لينا له طهور هذه السدرة و إليها تنتهي أعمال بنى آدم السعادية و فيها مخازنها إلى يوم الدين و هنا أول أقدام السعداء و السماء السابعة التي وقف عندها صاحبك منتهى الدخان و لا بد لها و لمن هو تحتها من الاستحالة إلى صور كانت عليها أو على أمثالها قبل أن تكون سماء ثم قيل لهذا التابع ارق فرقي في فلك المنازل فتلقاه من هنالك من الملائكة و الأرواح الكوكبية ما يزيد على ألف و عشرات من الحضرات تسكنها هذه الأرواح فعاين منازل السائرين إلى الله تعالى بالأعمال المشروعة و قد ذكر من ذلك الهروي في جزء له سماه منازل السائرين يحتوي على مائة مقام كل مقام يحتوي على عشرة مقامات و هي المنازل و أما نحن فذكرنا من هذه المنازل في كتاب لنا سميناه مناهج الارتقاء يحتوي على ثلاثمائة مقام كل مقام يحتوي على عشرة منازل ففيه ثلاثة آلاف منزل فلم يزل يقطعها منزلة منزلة بسبع حقائق هو عليها كما يقطع فيها السبع الدراري و لكن في زمان أقرب حتى وقف على حقائقها بأجمعها و قد كان أوصاه إدريس بذلك فلما عاين كل منزل منها رآها و جميع ما فيها من الكواكب تقطع في فلك آخر فوقها فطلب الارتقاء فيه ليرى ما أودع الله في هذه الأمور من الآيات و العجائب الدالة على قدرته و علمه فعند ما حصل على سطحه حصل في الجنة الدهماء فرأى ما فيها مما وصف الله في كتابه من صفة الجنات و عاين درجاتها و غرفها و ما أعد الله لأهلها فيها و رأى جنته المخصوصة به و اطلع على جنات الميراث و جنات الاختصاص و جنات الأعمال و ذاق من كل نعيم منها بحسب ما يعطيه ذوق موطن القوة الجنانية فلما بلغ من ذلك أمنيته رقى به إلى المستوي الأزهى و الستر الأبهى فرأى صور آدم و بنيه السعداء من خلف تلك الستور فعلم معناها و ما أودع الله من الحكمة فيها و ما عليها من الخلع التي كساها بنى آدم فسلمت عليه تلك الصور فرأى صورته فيهن فعانقها و عانقته و اندفعت معه إلى المكانة الزلفى فدخل فلك البروج الذي قال الله فيه فأقسم به وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ فعلم إن التكوينات التي تكون في

الجنان من حركة هذا الفلك و له الحركة اليومية في العالم الزماني كما أن حركة الليل و النها ر في الفلك الذي فيه جرم الشمس و التكوينات التي تكون في جهنم من حركة فلك الكواكب و هو سقف جهنم أعني مقعره و سطحه أرض الجنة و الذي يسقط من الكواكب و ينتثر ضوءها فتبقى مظلمة و فعلها المودع فيها باق و هذا كله سبب التبديل الذي يقع في جهنم كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها كل ذلك بإذن الله مرتب الأشياء مراتبها كما إن الشمس إذا حلت بالحمل جاء زمن الربيع فظهرت زينة الأرض و أورقت الأشجار و ازينت وَ أَنْبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ و إذا حلت بالجدي أظهرت النقيض و القوابل تقبل بحسب ما هي عليه من المزاج فمهما اختلف مزاجها كان قبولها لما يحدث الله عند هذه الحركات الفلكية بحسب ما هي عليه و كذلك في الجنان في كل حين من خلق جديد و نعيم جديد حتى لا يقع ملل فإن كل شيء طبيعي إذا توالى عليه أمر ما من غير تبدل لا بد أن يصحب الإنسان فيه ملل فإن الملل نعت ذاتي له فإن لم يغذه الله بالتجديد في كل وقت ليدوم له النعيم بذلك و إلا كان يدركهم الملل فأهل الجنان يدركون في كل نظرة ينظرونها إلى ملكهم أمرا و صورة لم يكونوا رأوها قبل ذلك فينعمون بحدوثها و كذلك في كل أكلة و شربة يجدون طعما جديدا لذيذا لم يكونوا يجدونه في الأكلة الأولى فينعمون بذلك و تعظم شهوتهم و السبب في سرعة هذا التبدل و بقائه أن الأصل على ذلك فيعطي في الكون بحسب ما تعطيه حقيقة مرتبته ليكون خلاقا على الدوام و يكون الكون فقيرا على الدوام فالوجود كله متحرك على الدوام دنيا و آخرة لأن التكوين لا يكون عن سكون فمن الله توجهات دائمة و كلمات لا تنفد و هو قوله وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ فعند الله التوجه و هو قوله تعالى إِذا أَرَدْناهُ و كلمة الحضرة و هي قوله لكل شيء يريده كُنْ بالمعنى الذي يليق بجلاله و كن حرف وجودي فلا يكون عنه إلا الوجود ما يكون عنه عدم لأن العدم لا يكون لأن الكون وجود و هذه التوجهات و الكلمات في خزائن الجود لكل شيء يقبل الوجود قال تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ و هو ما ذكرناه و قوله وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ من اسمه الحكيم فالحكمة سلطانة هذا الإنزال الإلهي و هو إخراج هذه الأشياء من هذه الخزائن إلى وجود أعيانها و هو قولنا في أول خطبة هذا الكتاب الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم و عدمه و عدم العدم وجود فهو نسبة كون الأشياء في هذه الخزائن محفوظة موجودة لله ثابتة لأعيانها غير موجودة لأنفسها فبالنظر إلى أعيانها هي موجودة عن عدم و بالنظر إلى كونها عند الله في هذه الخزائن هي موجودة عن عدم العدم و هو وجود فإن شئت رجحت جانب كونها في الخزائن فنقول أوجد الأشياء من وجودها في الخزائن إلى وجودها في أعيانها للنعيم بها أو غير ذلك و إن شئت قلت أوجد الأشياء عن عدم بعد أن تقف على معنى ما ذكرت لك فقل ما شئت فهو الموجد لها على كل حال في الموطن الذي ظهرت فيه لأعيانها و أما قوله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ فهو صحيح في العلم لأن الخطاب هنا لعين الجوهر و الذي عنده أعني عند الجوهر من كل موجود إنما هو ما

يوجده الله في محله من الصفات و الأعراض و الأكوان و هي في الزمان الثاني أو في الحال الثاني كيف شئت قل من زمان وجودها أو حال وجودها تنعدم من عندنا و هو قوله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ و هو يجدد للجوهر الأمثال أو الأضداد دائما من هذه الخزائن و هذا معنى قول المتكلمين إن العرض لا يبقى زمانين و هو قول صحيح خبر لا شبهة فيه لأنه الأمر المحقق الذي عليه نعت الممكنات و بتجدد ذلك على الجوهر يبقى عينه دائما ما شاء الله و قد شاء إنه لا يفنى فلا بد من بقائه فيعلم التابع من هذه الحضرة التكوينات الجنانية و جميع ما ذكرناه و أما صاحب النظر رفيق التابع فما عنده خبر بشيء من هذا كله لأنه تنبيه نبوي لا نظر فكري و صاحب النظر مقيد تحت سلطان فكره و ليس للفكر مجال إلا في ميدانه الخاص به و هو معلوم بين الميادين فإنه لكل قوة في الإنسان ميدان يجول فيه لا يتعداه و مهما تعدت ميدانها وقعت في الغلط و الخطاء و وصفت بالتحريف عن طريقها المستقيم و قد يشهد الكشف البصري بما تعثر فيه الحجج العقلية و سبب ذلك خروجها عن طورها فالعقول الموصوفة بالضلال إنما أضلتها أفكارها و إنما ضلت أفكارها لتصرفها في غير موطنها و إنما تصرف ما تصرف منها في غير موطنه و جال في غير ميدانه ليظهر فضل بعض الناس على بعضهم و إنما ظهر الفضل في العالم ليعلم أن الحق له عناية ببعض عباده و له خذلان في بعض عباده و ليعلم أن الممكن لم يخرج عن إمكانه و أن المرجح له نظر خصوصي لمن شاء من هذه القوي بما يشاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ثم يخرج بالتابع مع حامله إلى الكرسي فيرى فيه انقسام الكلمة التي وصفت قبل وصولها إلى هذا المقام بالوحدة و يرى القدمين اللتين تدلتا إليه فينكب من ساعته إلى تقبيلهما القدم الواحدة تعطي ثبوت أهل الجنات في جناتهم و هي قدم الصدق و القدم الأخرى تعطي ثبوت أهل جهنم في جهنم على أي حالة أراد و هي قدم الجبروت و لهذا قال في أهل الجنان عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ فما وصفه بالانقطاع و قال في أهل جهنم الَّذِينَ شَقُوا ليحكم هذا القدم الجبروتي إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ ما قال إن الحال التي هم فيها لا تنقطع كما قال في السعداء و الذي منع من ذلك قوله وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و قوله إن رحمتي سبقت غضبي في هذه النشأة فإن الوجود رحمة في حق كل موجود و إن تعذب بعضهم ببعض فتخليدهم في حال النعيم غير منقطع و تخليدهم في حال الانتقام موقوف على إرادة فقد يعود الانتقام منهم عذابا عليهم لا غير و يزول الانتقام و لهذا فسره في مواضع بالألم المؤلم و قال عذاب أليم و العذاب الأليم و في مواضع لم يقيد العذاب بالأليم و أطلقه فقال فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ يعني و إن زال الألم و قال في عذاب جهنم و لم ينعته بأنه أليم و قال لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ من كونه عذابا وَهُمْ فِيهِ أي في العذاب مُبْلِسُونَ أي مبعدون من السعادة العرضية في هذا الموطن لأن الإبلاس لفظة مختصة بأهل جهنم في بعدهم فلهذا جاء بذكر الإبلاس ليوقع هذا الاصطلاح اللغوي في موضعه عند أهله ليعلموه فإنه لموطن جهنم لغة ليست لأهل الجنان و الإبلاس منها فيعرف التابع من هذا المقام ما لكل دار ثم إنه يفارق هذا الموضع و يزج به في النور

الأعظم فيغلبه الوجد و هذا النور هو حضرة الأحوال الظاهر حكمها في الأشخاص الإنسانية و أكثر ما يظهر عليهم في سماع الألحان فإنها إذا نزلت عليهم تمر على الأفلاك و لحركات الأفلاك نغمات طيبة مستلذة تستلذ بها الأسماع كنغمات الدولاب فتكسو الأحوال و تنزل بها على النفوس الحيوانية في مجالس السماع فإن كانت النفس في أي شيء كانت من تعلق بجارية أو غلام أو يكون من أهل الله فيكون تعلقه حب جمال الإلهي متخيل اكتسبوه من ألفاظ نبوية مثل قوله في الصحيح إن الله جميل يحب الجمال و قوله في التجريد اعبد الله كأنك تراه فيأخذه الوجد على ما تخيله و منهم من يغمره الحال لا من حضرة التخيل بل يجد أمرا لا يكيف و لا يدخل تحت الحصر و المقدار و منهم من تهب عليه من هذه الأحوال التي تعطي الوجد روايح على نفوس غير عاشقة إلا بنسبة جزئية لا كلية فتعطيه من الحكم لذلك معنى يسمى التواجد ثم يخرج من ذلك النور إلى موضع الرحمة العامة التي وسعت كل شيء و هو المعبر عنه بالعرش فيجد هنالك من الحقائق الملكية إسرافيل و جبريل و ميكائيل و رضوان و مالك و من الحقائق الملكية البشرية آدم و إبراهيم و محمد إسلام الله عليهم فيجد عند آدم و إسرافيل علم الصور الظاهرة في العالم المسماة أجساما و أجسادا و هياكل سواء كانت نورية أو غير نورية و يجد عند جبريل و محمد ع علم الأرواح المنفوخة في هذه الصور التي عند آدم و إسرافيل فيقف على معاني ذلك كله و يرى نسبة هذه الأرواح إلى هذه الصور و تدبيرها إياها و من أين وقع فيها التفاضل مع انبعاثها من أصل واحد و كذلك الصور علم من هذه الحضرة ذلك كله و يعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير التي تقلب صور الأجساد بما فيه من الروح و ينظر إلى ميكائيل و إبراهيم ع فيجد عندهما علم الأرزاق و ما يكون به التغذي للصور و الأرواح و بما ذا يكون بقاؤها و يقف على كون الإكسير غذاء مخصوصا لذلك الجسد الذي يرده ذهبا أو فضة بعد ما كان حديدا أو نحاسا و هو صحة ذلك الجسم و إزالة مرضه الذي كان قد دخل عليه في معدنه فصيره حديدا أو غير ذلك و كل هذا من هذه الحضرة يعلمه ثم ينظر إلى رضوان و مالك فيجد عندهما علم السعادة و الشقاء و الجنة و درجاتها و جهنم و دركاتها و هو علم المراتب في الوعد و الوعيد و يعلم حقيقة ما تعطي كل واحدة منهما و إذا علم هذا كله علم العرش و حملته و ما تحت إحاطته و هو منتهى الأجسام و ليس وراءه جسم مركب ذو شكل و مقدار فإذا علم هذا كله عرج به معراجا آخر معنويا في غير صورة متخيلة إلى مرتبة المقادير فيعلم منها كميات الأشياء الجسمية و أوزانها في الأجسام المقدرة من المحيط إلى التراب و ما فيهن و ما بينهن من أصناف العالم الذين هم عمار هذه الأمكنة ثم ينتقل إلى علم الجوهر المظلم الكل الذي لا جزء له و لا صورة فيه و هو غيب كل ما وراءه من العالم و منه ظهرت هذه الأنوار و الضياءات في عالم الأجسام و هي الأنوار المركبة سلخت من هذا الجوهر فبقي مظلما كما سلخ النهار من الليل فبانت الظلمة و هذا هو أصل الظلمة في العالم و أصل العالم في الأحكام الناموسية

ثم ينتقل من هذا المقام إلى حضرة الطبيعة البسيطة فيعلم حكمها في الأجسام مطلقا من اختلاف تركيباتها و أحوالها و من أين وقع الغلط لبعض الطبيعيين فيما غلطوا فيه من العلم بأحكامها و ذلك لجهلهم بالعلم بذاتها فصاحب هذا الكشف يعلم ذلك كله ثم ينتقل من النظر في ذلك إلى شهود اللوح المحفوظ و هو الموجود الانبعاثي عن القلم و قد رقم الله فيه ما شاء ه من الكوائن في العالم فيعلم هذا التالي لما في هذا اللوح علم القوتين و هما علم العلم و علم العمل و يعلم الانفعالات الانبعاثية و من كون هذا الروح لوحا يعلم ما سطره فيه من سماه لوحا بالقلم الإلهي مما أملاه الحق عليه و كتابته فيه نقش صور المعلومات التي يجر بها الله في العالم في الدنيا إلى يوم القيامة خاصة و هي علوم محصورة مسطرة صورا كصور الحروف المرقومة في الألواح و الكتب المسماة كلمات و عدد أمهاتها ما يكون من ضرب درجات الفلك في مثلها سواء من غير زيادة و لا نقصان و من هنا جعل الله في الفلك الذي تقطع فيه الكواكب بسباحتها ثلاثمائة درجة و ستين درجة و فيها انحصرت السنة في الدار الدنيا بسباحة الشمس و القمر قال تعالى الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ و تكرر بالسنين من أول وجودها و ما هو تكرار على الحقيقة إلى أن ينتهي إلى قدر ما خرج من ضرب الثلاثمائة و الستين في مثلها من السنين يكون عمر عالم الدنيا ثم يملي أمرا آخر و علوما تختص بالقيامة و بالموازين أيضا إلى أجل مسمى يتميز في الدارين و هو انتهاء مدة الانتقام على أهل دار الشقاء خاصة ثم يستأنف فيه كتابة العذاب في هذه الدار مع الخلود الدائم في الدارين لأهلها غير أنه لا بد مهما كانت الكتابة أن تجري إلى أجل مسمى لاستحالة دخول ما لا يتناهى في الوجود ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام إلى و أوحى إلى من أوحى إليهم أَلَّا تَتَّخِذُوا من دُونِي وَكِيلًا يقول لهم فالصحبة تطلب أعيان الأغيار ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى من ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا و المعية صحبة عامة و الخلة صحبة خاصة و سيرد بابها إن شاء الله غير إن في الصحبة أمرا يتعذر من وجه في الجناب الإلهي و هو المناسبة و المشاكلة إما من كل وجه و إما من أكثر الوجوه و لا مناسبة كما يرد في باب مقام ترك الصحبة فلا صحبة و قد وردت الصحبة فلا بد لها من وجه يستدعيها فإنه إخبار إلهي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ فلا تثبت الصحبة إلا إذا لم تأخذ في حدها الكفاءة فإذا أزلت الكفاءة في الصحبة ثبتت الصحبة في الجناب الإلهي فهو تعالى يصحبنا في كل حال نكون عليه و نحن لا نصحبه إلا في الوقوف عند حدوده فما نصحب على الحقيقة إلا أحكامه لا هو فهو معنا ما نحن معه لأنه يعرفنا و نحن لا نعرفه لذا أتى يصحبنا و لم يجيء نصحبه فإنه يحفظنا له لا لنا من هذه الحقيقة نطلبه لنا لا له فإن طالبنا طالبناه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فشرع تعالى لنا ما شرع فقال من عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ و هو قولنا نطلبه لنا لا له و قال فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ تحقيقا لطلبنا إياه لنا لا له و حقيقة طلبه إيانا له لا لنا قوله تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأوجدنا له لا لنا فطلبناه

لنا لا له بما خلقنا له ف الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ فأمر الصحبة عظيم و شأنها كبير و ما يرعاها إلا الأكابر و أحسن ما بلغني في رعى حقها و القيام به ما حكي عن الحجاج رحمه الله أنه أمر بضرب عنق شخص فقال لي أمر نحب أن أذكره للأمير قبل أن يقتلني فقال له الحجاج قل قال أيها الأمير لا أحب أن أقوله لك إلا حتى تتركني مكتوفا بحالي أمشي معك في إيوانك هذا من أوله إلى آخره و ما على الأمير في ذلك من بأس و لا يحول ذلك بينه و بين ما يريده مني و يقضي لي بهذا حاجة فقال لحاجبه أصعد به إلي و قام الحجاج يسايره في الإيوان و يصغي إليه ليرى ما ذا يقول له فلما بلغ معه إلى آخر الإيوان و عاد إلى مكانه قال أيها الأمير إن الكريم يراعي حق صحبة ساعة و قد صحبني الأمير و صحبته في هذه المشية و الأمير أولى من رعى حق الصحبة فقال الحجاج خلوا سبيله فو الله لقد صدق و لقد نبه عاقلا فلو قتلته لكنت ألأم الناس ثم أمر أن يجزل له في الأعطية و خيره في صحبته و الإقامة عنده فما أدري بعد ذلك هل أقام عنده أم لا فهذا من حسن ما يسمع في حق الصحبة من الوفاء به و الرعاية هذا من الحجاج فلا بد لعبيد الله أن يخلصوا مع الله نفسا واحدا يصح به إطلاق الصحبة مع الله فلا بد أن يرعى الله حق ذلك النفس و أما صحبة أهل الله بعضهم مع بعض أو صحبتهم للخلق أو صحبة الخلق إياهم فهم يطالبون أنفسهم بحق ما يجب للصاحب على الصاحب فإن كان عين الحق له حقا عنده لزمه الوفاء به امتثالا لأمر سيده و وقوفا عند حده و إن كان لم يأته في ذلك أمر و أبيح له و جعل له الاختيا ر في ذلك فليرجح مع صاحبه مكا رم الخلق بترك غرضه و عمله لغرض صاحبه ما لم يسخط الله في واجب معين فصحبة الله أولى و كذلك في صحبة غير الأشكال و غير الجنس مثل صحبته لما يملكه من الدواب و الأشجا ر و ما يصحبه من ذلك و إن لم يملكه فإن رأى شجرة ذابلة لاحتياجها إلى الماء و إن لم يكن مالكها حاضرا و قد ر على سقيها في صحبة تلك الساعة حيث استظل بها أو استند إليها طلبا لراحة من تعب أو وقف عندها ساعة لشغل طرأ له فهذه كلها صحبة و هو قاد ر على الماء فتعين عليه رعى حق الصحبة أن يسقيها لذلك لا لأجل صاحبها و لا طمعا فيما تثمر سواء أثمرت أو لم تثمر أو كانت مملوكة أو مباحة و كذلك الحيوانات المؤذية و غير المؤذية فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر و قد وردت في ذلك أخبا ر نبوية من سقى البغي الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها و كوالي بخارى و كان ظالما فوهبه الله لكلب أحسن في صحبته ثلاثة أيام فنودي كنت كلبا فوهبناك لكلب

(الباب الحادي و السبعون و مائة في معرفة مقام ترك الصحبة)

من ترك الصحبة فهو الذي   يراه من قيده الجاهل

و صحبة الحق على كنهه   يحيلها العالم و العاقل

فهو مع العالم في أينه و ما له أين و لا حامل

فانظر إلى الحكمة في قوله إني مع الأكوان يا غافل

مشاهدة القلم الأعلى فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية و من هنالك هو ابتداء مرتبة الخلافة و النيابة و من هناك دونت الدواوين و ظهر سلطان الاسم المدبر و المفصل و هو قوله يدبر الأمر يفصل الآيات و هذا هو علم القلم و يشاهد تحريك اليمنى إياه التحريك المعنوي اللطيف و من أين يستمد و أنه من ذاته له علم الإجمال و التفصيل و التفصيل يظهر بالتسطير و هو عين ذواته فلا افتقار له إلى معلم يستمد منه سوى خالقه عز و جل و كتابته نقش و لهذا تثبت فلا تقبل المحو و بهذا سمي اللوح بالمحفوظ يعني عن المحو فلو كانت كتابته مثل الكتابة بالمداد قبلت المحو كما يقبله لوح المحو في عالم الكون بالقلم المختص به الذي هو بين أصبعي الرحمن فيفرق من هذا المشهد بين الأقلام و الألواح و أنواع الكتبة و يعلم علم الأحكام و الإحكام و من هنا يعلم أنه لم يبق في الإمكان ما ينبغي أن يكون دليلا على الله إلا و قد ظهر من كونه دليلا و إن كثرت الأدلة فيجمعها كمالية الدلالة خاصة ثم ينظر عن يمين هذا المشهد فينظر إلى عالم الهيمان و هو العالم المخلوق من العماء ثم ينتقل إلى العماء و هو مستوي الاسم الرب كما كان العرش مستوي الرحمن و العماء هو أول الأينيات و منه ظهرت الظروف المكانيات و المراتب فيمن لم يقبل المكان و قبل المكانة و منه ظهرت المحال القابلة للمعاني الجسمانية حسا و خيالا و هو موجود شريف الحق معناه و هو الحق المخلوق به كل موجود سوى الله و هو المعنى الذي ثبتت فيه و استقرت أعيان الممكنات و يقبل حقيقة الأين و ظرفية المكان و رتبة المكانة و اسم المحل و من عالم الأرض إلى هذا العماء ليس فيها من أسماء الله سوى أسماء الأفعال خاصة ليس لغيرها أثر في كون مما بينهما من العالم المعقول و المحسوس غير إن صاحب التابع الذي هو صاحب النظر لما تركه صاحبه بالسماء السابعة و رحل عنه امتدت منه رقيقة على غير معراج التابع ظهرت للتابع في الفلك المكوكب و فقدها في الجنة ثم ظهرت له في فلك البروج ثم فقدها أيضا في الكرسي و في العرش ثم ظهر له في مرتبة المقادير و في الجوهر المظلم ثم فقده في الطبيعة ثم ظهر له في النفس من جهة كونها نفسا لا من جهة كونها لوحا ثم ظهر له في العقل الإبداعي من كونه عقلا لا من كونه قلما ثم فارقه بعد ذلك فلم ير له عينا و من هذا العماء يبتدئ بالترقي و المعراج في أسماء التنزيه إلى أن يصل إلى الحضرة التي يشهد فيها إن التنزيه يحده و يشير إليه و يقيده و يستشرف على العالم بأسره المعنوي و الروحاني و الجسمي و الجسماني فلا يجد في مشهده ذلك ما ينبغي أن ينزه عنه من ظهر فيه و يرى ارتباطه به ارتباط المرتبة بصاحبها فلا يتمكن له التنزيه الذي كان يتخيله و لا يتمكن له التشبيه فإنه ليس ثم

بمن فما ثم إلا الله لا شيء غير و ما ثم إلا وحدة الوحدات

ثم فارق أسماء الأفعال و تسلمته أسماء التنزيه فرأى صاحبه صاحب النظر يوافقه إلى أن وصل إلى الحضرة التي لا تقبل التنزيه و لا التشبيه فيتنزه عن الحد بنفي التنزيه و عن المقدار بنفي التشبيه فيفقد رفيقه صاحب النظر هنالك ثم ينقلب يطلب ما منه خرج فسلك به الحق تعالى طريقا غير طريقه الأولى و هو طريق لا يتمكن أن ينقال و لا يعرفه إلا من شاهده ذوقا و رجع صاحبه على معراجه ذلك إذ لم يكن تابعا إلى أن وصل إلى جسده فاجتمع مع رفيقه فبادر من حينه صاحب النظر إلى الرسول إن كان حاضرا أو لوارثه فيبايعه بيعة الايمان و الرضوان عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ و آية من نفسه و تلاه شاهِدٌ مِنْهُ و هو التابع فآمن بالله من حيث ما شرع له الايمان به لا من حيث دليله فوجد عنده و في قلبه نورا لم يكن يجده قبل ذلك فرأى في اللمحة الواحدة و هو في مكانه بذلك النور جميع ما رآه مع التابع في معراجه الأول و لم يقف بل ترقي مرقى التابع حتى بلغ العماء و الغاية القصوى و رأى الشيء في الأشياء و رأى وجوب وجود ما أحال وجوده فكرة و عقلا و هو في مكانه ذلك لم يبرح و أعطى إكسير التكوين و رأى حشر الأجساد من طور إلى طور باختلاف حكم و لاختلاف دور فتغيرت الأشكال و تقلبت الأحوال و رأى ما قلناه في مثل ذلك

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ	حقيقة تصورت
فمن لها بها لها	إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
تطلب بانكدارها	جبال صخر سيرت
تنظر في تسييرها	جحيم نار سعرت
سعرها موقدها	لجنة قد أزلفت
يدخلها طائفة	من قبرها قد بعثرت
قلت لها ما تبتغي	قالت وحوش حشرت
و إن ترى نفسي ما	قد قدمت و أخرت

و لما أسلم صاحب النظر و آمن و رأى من مقامه جميع ما رآه التابع في معراجه مشاهدة عين سأل أن يرى مقام المجرمين و هم المستحقون تلك الدار التي دخلوها بحكم الاستحقاق و علموا إن العلم أشرف حلة و أن الجهل أقبح حلية و أن جهنم ليست بدار لشيء من الخير كما إن الجنة ليست بدار لشيء من الشر و رأى الايمان قد قام بقلب من لا علم له بما ينبغي لجلال الله و رأى العلم بجلال الله و ما ينبغي له قد قام بمن ليس عنده شيء من الايمان و هذا العالم بعدم الايمان قد استحق دار الشقاء «و إن الجاهل» المؤمن قد استحق بالإيمان

دا ر السعادة و الد رجات في مقا بلة الد ركات فسلب هذا العالم المستحق دا ر الشقاء علمه حتى كأنه ما علمه أو لم يعلم شيئًا فيتعذ ب بجهله أشد منه من عذابه بحسه و هو أشده عليه فخلع علمه على هذا الجاهل المؤمن الذي دخل الجنة بإيمانه فنال المؤمن بذلك العلم الذي خلع عن هذا الذي استحق الإقامة بدا ر الشقاء د رجة ما يطلبه ذلك العلم فيتنعم به نفسا و جسما و في الكثيب عند الرؤية و يعطي ذلك الكافر جهل هذا المؤمن الجاهل فينال بذلك الجهل د رك ذلك من النا ر و تلك أشد حسرة تمر عليه فإنه يتذكر ما كان عليه من العلم و لا يعلم ذلك الآن و يعلم أنه سلبه و يكشف الله عن بصره حتى يرى مرتبة العلم الذي كان عليه في الجنان و يرى حلة علمه على غيره ممن لم يتعب في تحصيله و يطلب شيئًا منه في نفسه فلا يقد ر عليه و ينظر هذا المؤمن و يطلع على سواء الجحيم فيرى شر جهله على ذلك العالم الذي ليس بمؤمن فيزيد نعيما و فرحا فما أعظمها من حسرة و اتفق لي في هذه المسألة عجبا و ذلك أن بعض علماء الفلاسفة سمع مني هذه المقالة فربما أحالها في نفسه أو استخف عقلي في ذلك فاطلعه الله بكشف لم يشك فيه في نفسه بحيث أن تحقق الأمر على ما قلناه فدخل علي باكيا على نفسه و تفريطه و كانت لي معه صحبة فذكر لي الأمر و أناب و استد رك الفائت و آمن و قال لي ما رأيت أشد منها حسرة و تحقق قوله تعالى إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ و قوله فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ فهذا قد جمع بين خطاب لطف و لين و عنف و شدة لأن الواحد شيخ فخاطبه باللطف و الآخر شاب فخاطبه بالشدة نفعنا الله بالعلم و جعلنا من أهله و لا يجعلنا ممن يسعى بخيره في حق غيره و يشقى آمين بعزته انتهى الجزء الثامن و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الباب الثامن و الستون و مائة في معرفة مقام الأدب و أسرا ره»

إن الأديب هو الحكيم لأنه — مجموع خير و المساب مجمع

فإذا رأيت نعوته في خلقه — كنها ففيك لكل نعت موضع

لا ترعوي عنها فأنت من أهلها — و الحق يعطي ما يشاء و يمنع

أدباء أهل الله خير كلهم — فلذاك تبصرها تضر و تنفع

مثل الإساءة يرى العليل صنيعهم — حسنا و تكره نفسه ما يصنع

اعلم أيدك الله أن الله يقول وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فالأديب إمعة لما عنده من السعة فهو مع كل مقام بحسب ذلك المقام و مع كل حال بحسب ذلك الحال و مع كل خلق و مع كل غرض فالأديب هو الجامع لمكا رم الأخلاق و العليم بسفسافها لا يتصف بها بل هو جامع

لمراتب العلوم محمودها و مذمومها لأنه ما من شيء إلا و العلم به أولى من الجهل به عند كل عاقل فالأدب جماع الخير و هو ينقسم إلى أربعة أقسام في اصطلاح أهل الله «القسم الأول» أدب الشريعة و هو الأدب الإلهي الذي يتولى الله تعليمه بالوحي و الإلهام به أدب نبيه ص و به أدبنا نبيه ص فهم المؤدبون المؤدبون قال رسول الله ص إن الله أدبني فأحسن أدبي «و القسم الثاني» أدب الخدمة و هو ما اصطلحت عليه الملوك في خدمة خدمها و ملك أهل الله هو الله فقد شرع لنا كيفية الأدب في خدمته و هو معاملتنا إياه فيما يختص به دون معاملة خلقه فهو خصوص في أدب الشريعة لأن حكم الشريعة يتعلق بما هو حق لله و بما هو حق للخلق «و القسم الثالث» أدب الحق و هو الأدب مع الحق في اتباعه عند من يظهر عنده و يحكم به فترجع إليه و تقبله و لا ترده و لا تحملك الأنفة إن كنت ذا كبر في السن أو المرتبة و ظهر الحق عند من هو أصغر منك سنا أو قدرا أو ظهر الحق عند معتوه تأدبت معه و أخذته عنه و اعترفت بفضله عليك فيه هذا هو الاتصاف و ما رأيت من تحقق بهذا خلقا في عمري إلا سيد واحد يقال له أبو عبد الله ابن جبير لقيته بمدينة سبتة و قصر كتامة و هو جزء من آداب الشريعة فإن أدب الشريعة هو الأم لباقي الأقسام «و القسم الرابع» أدب الحقيقة و هو ترك الأدب بفنائك و ردك ذلك كله إلى الله و سيأتي في الباب الذي يلي هذا الباب و هو في المقامات كالوهب في أصناف العطاء و هو أن يعطي لينعم لا لسبب آخر و كذا المأدبة الاجتماع على طعام ماله سبب إلا الدعوة إليه خاصة من غير تقييد من صفة وليمة أو ختان أو ضيافة أو عقيقة و غير ذلك و كذا جامع الخير لا لسبب بل لكون جامع ذلك له نفس فاضلة خيرة بالذات فذلك هو الأديب و للأدب حال و مقام و هذا باب معرفة مقامه فمقامه هو ما يثبت له دائما و ليس ذلك إلا الأدب مع الحق فإنه له الدوام في الدنيا و الآخرة و ما فاز به إلا أهل الفتوة من الملامية لا غير سلكوا فيه كل مسلك و استخرجوا كنوزه و حصلوا فوائده كما قال الله تعالى إنه ما خلق السموات و هو كل عالم علوي و الأرض و هو كل عالم سفلي السماء من عالم الصلاح و الأرض من عالم الفساد و منه اشتقت اسم الأرضة لما تفسده في الثياب و الورق و الخشب و يسمى أيضا السوس و العث و ما بينهما إلا بالحق من العالم فهذا الحق المخلوق به هذا العالم هو الذي نتأدب معه فإنه سبب وجود أعيان العالم و به يحكم الله يوم القيامة بين عباده و في عباده و به أنزل الشرائع فقال لرسوله داود يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى و إن كان مخلوقا بالحق فإنه مما بين السماء و الأرض أو هو عين الأرض فمقام الأدب العمل بالحق و الوقوف عند الحق و إياك أن تتوهم من هذا القول إن الصدق هو الحق من حيث إنك تقول قال حقا إذا صدق في قوله و قال صدقا بل الحق حاكم على الصدق و على الكذب بالحسن و القبح فالحق في موطن يحمد الصدق و في موطن يذمه و ينهى عنه و يثني على الكذب الذي هو ضده و يحرض عليه و يوجب العمل به و في موطن آخر يذم الكذب و ينهى عنه و يحمد

الصدق و يأمر به و هذا مقام الأدب الذي ينفع صاحبه في كل موطن فألزمه و تتبع مواضعه و دلائله في الشرائع و في أفعال الرسول المتأسي بها لا غير لا ما اختص به فإنه ليس بأدب مع الحق «و أما مقام» أدب الخدمة فهو أن يعطي ذات المخدوم كان ما كان ما تستحقه من حيث عينها خاصة و هو أن تقف مع ما تطلبه بذاتها فتبادر إليه من قبل أن تأمرك به أو تساءلك فيه حتى لا يظهر عليها ذلة المسألة و لو كان أكبر منك و سالك في أمر فهو من حيث سؤاله إياك في ذلك الأمر أن تفعله إظهار حاجة إليك و لو عادت عليك منفعته و لكن مقام السؤال يقتضي ذلك فمقام أدب الخدمة الحضور دائما مع كل ذات مشهودة لك تنظر فيما تستحقه بما يعطيه الزمان أو المكان أو الحال فتقوم لها بذلك من غير سؤال و لا تنبه من أحد سوى حضورك فهذا مقام أدب الخدمة «و أما مقام» أدب الشريعة فهو أن تقوم بأمرها خاصة لا بما تعطيك ذاتها إلا إن أمرتك بذلك فيكون قيامك بما تعطيك ذاتها من حيث أمرها لا غير قال تعالى وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ و كل خدمة عن أمر فمن أدب الشريعة لا من أدب الخدمة «و أما مقام» أدب الحقيقة فإنا نذكره إن شاء الله و من أدب الشريعة أخذك لأحكامها المشروعة و الوقوف عند رسومها و حدودها و اتصافك بها لمجرد الخدمة و الاشتغال لا لتحلية النفس بالعلم بها دون العمل و من آداب الخدمة أن لا يشغلك و لا يبعثك عليها ما تنتجه لك من المخدوم من القبول و ملاحظات التأميل فإن شغلك ذلك فما خدمت سوى غرضك و نفسك و من آداب الحق أن لا يتعدى علمك في الأشياء علمه فيها و هو الموافقة و إن أعطاك علمك خلاف ذلك و لا سيما فيما أضافه الحق إلى الخلق من الأعمال فأضفها أنت إلى من أضافها الله و اترك علمك لعلمه فإنه العليم و أنت العالم و هو الصادق فيما يخبر فما أضاف أمرا إلى من أضافه إلا و ينبغي لذلك المضاف إليه تلك الإضافة فلا ترجح علمك على علمه من حيث قيام الدليل لك على أنه لا فاعل إلا الله فليس هذا من الأدب فصاحب الموافقة له كل تجل و شهود فاعلم ذلك

«الباب التاسع و الستون و مائة في معرفة مقام ترك الأدب و أسراره»

أضف الأمور إلى الإله جميعها   و إذا فعلت فلا يقال أديب
نسب الخليل إليه علة نفسه   و شفاءها لله و هو مصيب
و كذاك أستاذ المكلم عند ما   خرق السفينة و الجدار عجيب
فالعبد إن نظر الأمور بنفسه   تبصره يخطئ تارة و يصيب
فانظر بربك في الأمور فإنه   فيها فتحضر تارة و تغيب

قال تعالى آمرا قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً في معرض الذم لهم أي هو الذي حسن الحسن و قبح القبيح و قال تعالى مخبرا كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ من عَطاءِ رَبِّكَ و ذكر المذموم و المحمود و قال تعالى فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها ذلك الأول في الباطن فإنه في الإرادة و هذا في الظاهر إذ لا يعتبر إلا بعد الوقوع فالتارك للأدب أديب من حيث لا يعلم فإنه مع الكشف و بحكمه لا مع الذي هم المحجوبون فيه فهو يعاين علم الله في جريان المقادير قبل وقوعها فيبادر إليها فينطلق عليه بلسان الموطن أنه غير أديب مع الحق فإنه مخالف بل هذا هو غاية الأدب مع الحق و لكن أكثر الناس لا يشعرون و منهم من يقام في الإدلال كعبد القادر الجيلي ببغداد سيد وقته و منهم من يكون وقته في ذلك كنت سمعه و بصره و الأدب يستدعي الغير و ثم مقام يفني الأغيار فيزول الأدب لأنه ما ثم مع من و أما بلسان عامة الطريق و خواص أكثرهم فإن مقام ترك الأدب مع الحقيقة هو الواقع المشروع في العموم و الخصوص و هو مقام جليل لا يقف معه إلا الذكران من أهل الله و فحول أصحاب المقامات لا أصحاب الأحوال و القرآن كله نزل في هذا المقام إلا آيات مفردات قد ذكرناها في أول الباب و ما يحار في هذا المقام إلا رجلان مكاشف به و مشاهد له فالحقيقة تطلبه و الحق الموضوع يطلبه و الأدب مع أحدهما ترك الأدب مع الآخر و حصلت أنت في مقام الترجيح و ليس لك ذلك فمن الرجال من يترك أدب الحق الموضوع من اعتقاده و باطنه و يترك أدب الحقيقة من ظاهره و يكون أديبا مع الحق في ظاهره غير أديب مع الحقيقة في ظاهره و يكون أديبا مع الحقيقة في باطنه غير أديب مع الحق في باطنه لما رأوا أن النجاة في ذلك و السعادة و إن عكس الأمر شقاء فهو يطرد و لا ينعكس و ثم طائفة تقول إن الأدب مع الحق الذي هو الشرع أدب مع الحقيقة فمن تركه هنا تركه هنا و لا يعرفون من وجه و ذلك لأن الحق المشروع بين الأمر الذي لأجله حكم بالمنع فقال و من غيرته حرم الفواحش لا أنه جعلها فواحش بالتحريم و هذا المذهب أدخل في باب الحكمة و مذهب المخالف أدخل في أحدية العين و لهذا المقام رجال و لمخالفه رجال و بالجملة فهو موضع حيرة لا يخلص لهؤلاء من جميع الوجوه و لا لهؤلاء من جميع الوجوه فإن الإخبارات الإلهية أكثرها تعارض الأدلة العقلية في هذا الباب و أية حيرة أعظم من هذه الحيرة و هذا هو المتشابه الذي ينبغي أن يقول فيه من لم يطلعه الله على العلم به آمنا به كُلٌّ من عِنْدِ رَبِّنا و لكن ما يتذكر ذلك إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ و هم الآخذون بلب العقل لا بقشره وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السبعون و مائة في معرفة مقام الصحبة و أسراره»

صحبة الله بالأدب صحبة الله في السبب

صحبة الكون كله بالذي فيه من نسب

فإذا ما علمت ذا أجل إن شئت في الطلب

لم يزل كل من يرى صحبة الحق في تعب

ذل من يصحب الإله على صحة النسب

اعلم أن الصحبة نعت إلهي للخبر الوارد أنت الصاحب في السفر يقول النبي ص في سفره لله و الخليفة في الأهل كما جعل الله الرسول خليفة في العالم جعله العالم إذا فارقوا أهلهم خليفة في أهلهم و هو قوله فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا و أوحى إلى من أوحى إليهم أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا يقول لهم فالصحبة تطلب أعيان الأغيار ما يَكُونُ مِن نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِن ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا و المعية صحبة عامة و الخلة صحبة خاصة و سيرد بابها إن شاء الله غير إن في الصحبة أمرا يتعذر من وجه في الجناب الإلهي و هو المناسبة و المشاكلة إما من كل وجه و إما من أكثر الوجوه و لا مناسبة كما يرد في باب مقام ترك الصحبة فلا صحبة و قد وردت الصحبة فلا بد لها من وجه يستدعيها فإنه إخبار إلهي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ فلا تثبت الصحبة إلا إذا لم تأخذ في حدها الكفاءة فإذا أزلت الكفاءة في الصحبة ثبتت الصحبة في الجناب الإلهي فهو تعالى يصحبنا في كل حال نكون عليه و نحن لا نصحبه إلا في الوقوف عند حدوده فما نصحب على الحقيقة إلا أحكامه لا هو فهو معنا ما نحن معه لأنه يعرفنا و نحن لا نعرفه لذا أتى يصحبنا و لم يجيء نصحبه فإنه يحفظنا له لا لنا من هذه الحقيقة نطلبه لنا لا له فإن طالبنا طالبناه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فشرع تعالى لنا ما شرع فقال مَن عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ و هو قولنا نطلبه لنا لا له و قال فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ تحقيقا لطلبنا إياه لنا لا له و حقيقة طلبه إيانا له لا لنا قوله تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأوجدنا له لا لنا فطلبناه لنا لا له بما خلقنا له فـ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ فأمر الصحبة عظيم و شأنها كبير و ما يرعاها إلا الأكابر و أحسن ما بلغني في رعى حقها و القيام به ما حكي عن الحجاج رحمه الله أنه أمر بضرب عنق شخص فقال لي أمر نحب أن أذكره للأمير قبل أن يقتلني فقال له الحجاج قل قال أيها الأمير لا أحب أن أقوله لك إلا حتى تتركني مكتوفا بحالي أمشي معك في إيوانك هذا من أوله إلى آخره و ما على الأمير في ذلك من بأس و لا يحول ذلك بينه و بين ما يريده مني و يقضي لي بهذا حاجة فقال لحاجبه أصعد به إلي و قام الحجاج يسايره في الإيوان و يصغي إليه ليرى ما ذا يقول له فلما بلغ معه إلى آخر الإيوان و عاد إلى مكانه قال أيها الأمير إن الكريم يراعي حق صحبة ساعة و قد صحبني الأمير و صحبته في هذه المشية و الأمير أولى من رعى حق الصحبة فقال الحجاج خلوا سبيله فو الله لقد صدق و لقد نبه عاقلا فلو قتلته لكنت ألأم الناس ثم أمر أن يجزل له في الأعطية و خيره في صحبته و الإقامة عنده فما أدري بعد ذلك هل أقام عنده أم لا فهذا من حسن ما

يسمع في حق الصحبة من الوفاء به و الرعاية هذا من الحجاج فلا بد لعبيد الله أن يخلصوا مع الله نفسا واحدا يصح به إطلاق الصحبة مع الله فلا بد أن يرعى الله حق ذلك النفس و أما صحبة أهل الله بعضهم مع بعض أو صحبتهم للخلق أو صحبة الخلق إياهم فهم يطالبون أنفسهم بحق ما يجب للصاحب على الصاحب فإن كان عين الحق له حقا عنده لزمه الوفاء به امتثالا لأمر سيده و وقوفا عند حده و إن كان لم يأته في ذلك أمر و أبيح له و جعل له الاختيار في ذلك فليرجح مع صاحبه مكارم الخلق بترك غرضه و عمله لغرض صاحبه ما لم يسخط الله في واجب معين فصحبة الله أولى و كذلك في صحبة غير الأشكال و غير الجنس مثل صحبته لما يملكه من الدواب و الأشجار و ما يصحبه من ذلك و إن لم يملكه فإن رأى شجرة ذابلة لاحتياجها إلى الماء و إن لم يكن مالكها حاضرا و قدر على سقيها في صحبة تلك الساعة حيث استظل بها أو استند إليها طلبا لراحة من تعب أو وقف عندها ساعة لشغل طرأ له فهذه كلها صحبة و هو قادر على الماء فتعين عليه رعى حق الصحبة أن يسقيها لذلك لا لأجل صاحبها و لا طمعا فيما تثمر سواء أثمرت أو لم تثمر أو كانت مملوكة أو مباحة وكذلك الحيوانات المؤذية و غير المؤذية فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر و قد وردت في ذلك أخبار نبوية من سقى البغي الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها وكوالي بخارى و كان ظالما فوهبه الله لكلب أحسن في صحبته ثلاثة أيام فنودي كنت كلبا فوهبناك لكلب

(الباب الحادي و السبعون و مائة في معرفة مقام ترك الصحبة)

من ترك الصحبة فهو الذي   يراه من قيده الجاهل
و صحبة الحق على كنهه   يحيلها العالم و العاقل
فهو مع العالم في أينه   و ما له أين و لا حامل
فانظر إلى الحكمة في قوله   إني مع الأكوان يا غافل
هل هو بالذات على حكم من   يراه أو بالوصف يا عاقل

اعلم أيدك الله لما كانت الصحبة تطلب المناسب و هو يقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و دليل العقل يقضي به فله السيادة و العالم عبيد فخدمة لا صحبة و إنما امتنعت الصحبة من الطرف الواحد و صحت من الطرف الآخر لما نذكره فالحق ليس بصاحب لاحد من المخلوقين إلا بالصحبة التي أرادها الشارع في قوله أنت الصاحب في السفر بذلك المعنى كما اتخذناه وكيلا فيما هو ملكه و لأنه الفعال لما يريد كما قال ما يكون فعالا لما تريد أنت إلا إن توافق إرادتك إرادته وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ أن تشاءوا فمن حيث إنه أراد فعل لا من حيث

إنك أردت و الصاحب من يترك إرادته لإرادة صاحبه و هذا في جناب الحق محال فلا يصحب الرب إلا ربوبيته لكن يصحبه العالم لصحة هذا الشرط منه فمن صحبه من العالم ترك إرادته و غرضه و محابه و مراضيه لإرادة سيده و إن كره ذلك العبد فإن دعواه في الصحبة تجعله أن يوافق و يحمل ذلك و كذلك النبي لا يصحب إلا نبوته فإنه لا يتمكن للنبي أن يكون مع صاحبه بحيث ما يريد صاحبه منه و إنما هو مع ما يوحى إليه به لا يفعل إلا بحسبه فيصحب و لا يصحب و لهذا ليست الصحبة فعل فاعلين و كذلك الملك لا يصحب سوى ملكه فيصحب أيضا و لا يصحب فإن الناس مع الرسول في صحبتهم بحكم ما يشرع لهم ما هم بحكم إرادتهم برهانه فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً فلذلك صحبوه و ما صحبهم و الورثة أهل الإلقاء الإلهي يصحبون و لا يصحبون فإنهم مع ما يلقي الله إليهم كتقرير حكم المجتهد يحرم عليه العدول عنه فلا يصحب مؤمن مؤمنا أبدا لأنه لا يمكن له الوفاء معه على الإطلاق بحق الصحبة فإن المؤمن تحت حكم شرعه قال رسول الله ص لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فالمحكوم عليه لا يمكن أن يكون صاحبا لأحد كالعبد لا يتمكن له أن يصحب غير سيده لأنه ما هو بحكم نفسه فيمشي على أغراض صاحبه بل هو بحكم سيده فالصحبة لا تصح إلا من الطرف الواحد و هو الأدنى و قد نبهناك فاعلم وقف عند حدك حتى تعلم أنك صاحب أو مصحوب فاعمل بحسب ذلك و الكامل من لا يزال صاحبا أبدا

(الباب الثاني و السبعون و مائة في معرفة مقام التوحيد)

دمية في القلب قد نصبت ... ما لها روح و لا جسد
كتبت فيه عقيدتها ... بمداد كله جسد
أحد ما مثله أحد ... بجمال النعت منفرد
مصدر الأكوان حضرته ... و هو لا شفع و لا عدد
الذي قام الوجود به ... أمرنا عليه ينعقد
و أنا العبد الفقير به ... و هو المحسان و الصمد
فأعجبوا من حكمة وجدت ... نعم و الرحمن ما وجدوا
حكمة تحوي على حكم ... نالها الحساد إذ حسدوا
أبد يعنو إلى أزل ... أزل يمده الأبد

كل من يجري إلى أمد سيرى و ما له أمد

هكذا التوحيد فاعتبروا واحد في واحد أحد

اعلم أن التوحيد التعمل في حصول العلم في نفس الإنسان أو الطالب بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته و الوحدة صفة الحق و الاسم منه الأحد و الواحد و أما الوحدانية فقيام الوحدة بالواحد من حيث إنها لا تعقل إلا بقيامها بالواحد و إن كانت نسبة و هي نسبة تنزيه فهذا معنى التوحيد كالتجريد و التفريد و هو التعمل في حصول الانفراد الذي إذا نسب إلى الموصوف به سمي الموصوف به فردا أو منفردا أو متفردا إذا سمي به فالتوحيد نسبة فعل من الموحد يحصل في نفس العالم به إن الله واحد قال تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و قد وجد الصلاح و هو بقاء العالم و وجوده فدل على أن الموجد له لو لم يكن واحدا ما صح وجود العالم هذا دليل الحق فيه على أحديته و طابق الدليل العقلي في ذلك و لو كان غير هذا من الأدلة أدل منه عليه لعدل إليه و جاء به و ما عرفنا بهذا و لا بالطريق إليه في الدلالة عليه و قد تكلف قوم الدلالة عليه بطريق آخر و قدحوا في هذه الدلالة فجمعوا بين الجهل فيما نصبه الحق دليلا على أحديته و بين سوء الأدب فأما جهلهم فكونهم ما عرفوا موضح الدلالة على توحيده في هذه الآية حتى قدحوا فيه و أما سوء الأدب فمعا رضتهم بما دخلوا فيها بالأمور القادحة فجعلوا نظرهم في توحيده أتم في الدلالة مما دل به الحق على أحديته و ما ذهب إلى هذا إلا المتأخرون من المتكلمين الناظرين في هذا الشأن و أما المتقدمون كأبي حامد و إمام الحرمين و أبي إسحاق الأسفرايني و الشيخ أبي الحسن فما عرجوا عن هذه الدلالة و سعوا في تقريرها و أبانوا عن استقامتها أدبا مع الله تعالى و علما بموضع الدلالة منها و اعلم أن الكلام في توحيد الله من كونه إلها فرع عن إثبات وجوده و هذا باب التوحيد فلا حاجة لنا في إثبات الوجود فإنه ثابت عند الذي نا زعنا في توحيده و أما إثبات وجوده فمدرك بضرورة العقل لوجود ترجيح الممكن بأحد الحكمين و لنا في توحيده طريقان الطريق الواحدة أن يقال للمشرك قد اجتمعنا في العلم بأن ثم مخصصا و قد ثبت عينه و أقل ما يكون واحدا فمن زاد على الواحد فليدل عليه فعليك بالدليل على ثبوت الزائد الذي جعلته شريكا فليكن الخصم هو الذي يتكلف إثبات ذلك و الطريقة الأخرى قوله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا هذه مقدمة و المقدمة الأخرى السماء و الأرض و أعني بهما كل ما سوى الله ما فسدتا و هذه هي المقدمة الأخرى و الجامع بين المقدمتين و هو الرابط الفساد فانتجنا أحدية المخصص و هي المطلوب و إنما قلنا ذلك لأنه لو كان ثم إله زائد على الواحد لم يخل هذا الزائد إما أن يتفقا في الإرادة أو يختلفا و لو اتفقا فليس بمحال أن يفرض الخلاف لننظر من تنفذ إرادته منهما فإن اختلفا حقيقة أو فرضا في الإرادة فلا يخلو إما أن ينفذ في الممكن حكم إرادتهما معا و هو محال لأن الممكن لا يقبل الضدين و إما أن لا

ينفذ أو إما أن ينفذ حكم إرادة أحدهما دون الآخر فإن لم ينفذ حكم إرادتهما فليس واحد منهما بإله و قد وقع الترجيح فلا بد أن يكون أحدهما نافذ الإرادة و قصر الآخر عن تنفيذ إرادته فحصل العجز و الإله ليس بعاجز فالإله من نفذت إرادته و هو الله الواحد لا شريك له و هكذا استدل الخليل ع في الأقوال فأعطاه النظر أن الأفول يناقض حفظ العالم فالإله لا يتصف بالأفول أو الأفول حادث لطروه على الآفل بعد أن لم يكن آفلا و الإله لا يكون محلا للحوادث لبراهين أخر قريبة المأخذ و هذه الأنوار قد قبلت الأفول فليس واحد منها بإله و هذه بعينها طريقة قوله تعالى لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و كل دليل لا يرجع إلى هذا المعنى فلا يكون دليلا ثم قال الله تعالى في قصة إبراهيم هذه وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ و لم يكن له غير هذا فقوله حُجَّتُنا أي مثل حجتنا التي نصبناها دليلا على توحيدنا و هي قولنا لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و هذه الأدلة و أمثالها إنما المطلوب بها توحيد الله أي ما ثم إله آخر زائد على هذا الواحد و أما أحدية الذات في نفسها فلا تعرف لها ماهية حتى يحكم عليها لأنها لا تشبه شيئا من العالم و لا يشبهها شيء فلا يتعرض العاقل إلى الكلام في ذاته إلا بخبر من عنده و مع إتيان الخبر فإنا نجهل نسبة ذلك الحكم إليه لجهلنا به بل نؤمن به على ما قاله و على ما يعلمه فإن الدليل ما يقوم إلا على نفي التشبيه شرعا و عقلا فهذه طريقة قريبة عليها أكثر علماء النظر و أما الموحد بنور الايمان الزائد على نور العقل و هو الذي يعطي السعادة و هو نور لا يحصل عن دليل أصلا و إنما يكون عن عناية إلهية بمن وجد عنده و متعلقة صدق المخبر فيما أخبر به عن نفسه خاصة ليس متعلق الايمان أكثر من هذا فإن كشف متعلق الخبر فبنور آخر ليس نور الايمان لكن لا يفارقه نور الايمان و ذلك النور هو الذي يكشف له عن أحدية نفسه و أحدية كل موجود التي بها يتميز عن غيره سواء كانت ثم صفة يقع فيها الاشتراك أو لا يكون لا بد من أحدية تخصه يقع بها الامتياز له عن غيره فلما كشف للعبد هذا النور أحدية الموجودات علم قطعا بهذا النور ان الله تعالى له أحدية تخصه فأما أن تكون عينه فيكون أحدي الذات أحدي المرتبة و هي عينها و أما أن يكون أحدية المرتبة فيوافق الكشف الدليل النظري ويعلم قطعا أن الذات على أحدية تخصها هي عينها و هذا معنى قول أبي العتاهية

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

و تلك الآية أحدية كل معلوم سواء كان كثيرا أو غير كثير فإن للكثرة أحدية الكثرة لا تكون لغيرها البتة و الأحدية صفة تنزيه على الحقيقة فلا تكون بجعل جاعل كما يراه بعض أصحابنا فمن قال إنه وحد الواحد و يريد به ما يريد بالوحدة فليس بصحيح و إن أراد بقوله وحد الواحد و يعني به القبائل الثاني فهذا يصح و إنما الواحد من حيث عينه هو واحد لنفسه فأهل طريق الله رأوا أن التوحيد إذا ثبت أنه عين الشرك فإن الواحد لنفسه لا يكون واحدا بإثباتك إياه واحدا فما أنت أثبته بل هو ثابت لنفسه و أنت علمت أنه واحد لا

أنك أثبت أنه واحد فلهذا قال من أصحابنا قوله إذ كل من وحده جاحد لأن الواحد لا يوحد لأنه لا يقبل ذلك لأنه لو قبل ذلك لكان اثنين وحدته في نفسه و وحدة الموحد التي أثبتها له فيكون واحدا بنفسه و واحدا بإثبات الوحدة له من غيره فيكون ذا وحدتين فينتفي كونه واحدا وكل أمر لا يصح إثباته إلا بنفيه فلا يكون له ثبوت أصلا فالتوحيد على الحقيقة منا له سكوت خاصة ظاهرا و باطنا فمهما تكلم أوجد و إذا أوجد أشرك و السكون صفة عدمية فيبقى توحيد الوجود له و ما دخل الشرك في توحيده إلا بإيجاد الخلق لأن الخلق استدعى بحقائقه نسبا مختلفة تطلب الكثرة في الحكم و إن كانت العين واحدة فما طرأت الآفة في التوحيد إلا من الإيجاد فالتوحيد جنى على نفسه لم تجن عليه الموجودات و هذا هو علم التوحيد الوهبي الذي لا يدرك بالنظر الفكري و كل توحيد يعطيه النظر الفكري هو كسبي عند الطائفة و اعلم أن الشرع ما تعرض لأحدية الذات في نفسها بشيء و إنما نص على توحيد الألوهية و أحديتها بأنه لا إله إلا هو و إنما ذلك من فضول العقل لأن العقل عنده فضول كثير أداه إليه حكم الفكر عليه و جميع القوي التي في الإنسان فلا شيء أكثر تقليدا من العقل و هو يتخيل أنه صاحب دليل إلهي و إنما هو صاحب دليل فكري فإن دليل الفكر يمشي به حيث يريد و العقل كالأعمى بل هو أعمى عن طريق الحق فأهل الله لم يقلدوا أفكارهم فإن المخلوق لا يقلد المخلوق فجنحوا إلى تقليد الله فعرفوا الله بالله فهو بحسب ما قال عن نفسه ما هو بحسب ما حكم فضول العقل عليه وكيف ينبغي للعاقل أن يقلد القوة المفكرة و هو يقسم النظر الفكري إلى صحيح و إلى فاسد و لا بد له أن يحتاج إلى فارق بين صحيحه و فاسده و محال أن يفرق بين صحيح النظر الفكر و فاسده بالنظر الفكري فلا بد أن يحتاج إلى الله في ذلك فالذي نلجأ إليه في تمييز النظر الفكري صحيحه من فاسده حتى نحكم به نلجأ إليه ابتداء في أن يعطينا العلم بذلك المطلوب من غير استعمال فكر و عليه عولت الطائفة و عملت به و هو علم الأنبياء و الرسل و أولي العلم من أهل الله و لم تتعد بأفكارها محالها و علمت أن غايتها في الإدراك الصحيح في زعمها أن تبنى أدلتها على الأمور الحسية و البديهية و قد حكمت بغلط الحس ابتداء في أشياء و بالقدح في البديهيات ثم رجعت تأخذها مصادرة لتعذر الدلالة عليها فالرجوع إلى الله أولى في الأمور كلها كما قال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و هذا من جملة الأمر فلا علم إلا العلم المأخوذ عن الله فهو العالم سبحانه وحده و المعلم الذي لا يدخل على المتعلم منه فيما يأخذه عنه شبهة و نحن المقلدون له و الذي عنده حق فنحن في تقليدنا إياه فيما أعلمنا به أولى باسم العلماء من أصحاب النظر الفكري الذين قلدوه فيما أعطاهم لا جرم أنهم لا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ في العلم بالله و الأنبياء مع كثرتهم و تباعد ما بينهم من الأعصار لا خلاف عندهم في العلم بالله لأنهم أخذوه عن الله وكذلك أهل الله و خاصته فالمتأخر يصدق المتقدم و يشد بعضهم بعضا و لو لم يكن ثم إلا هذا لكفى و وجب الأخذ عنهم و هذا الباب أعني باب التوحيد يعطي المناسبة من وجه و قد قال بذلك جماعة من

أهل الله كأبي حامد و غيره من شيوخنا و لا يعطي المناسبة من وجه و قد قال به جماعة من أصحابنا كأبي العباس بن العريف الصنهاجي و نفوا المناسبة جملة و الذي أذهب إليه و أقول به على ما أصلناه أولا أن لا نقلد في علمنا بالله و بغير الله إلا الله فنحن بحسب ما يلقى إلينا في حق نفسه فإن خاطبنا بالمناسبة قلنا بها حيث خاطبنا لا نتعدى ذلك الموضع و نقتصر عليه و إن خاطبنا برفع المناسبة رفعناها في ذلك الموطن الذي رفعها فيه لا نتعداه فيكون الحكم له لا لنا فلا نزال نصيب أبدا و لا نخطىء و هو المعبر عنه بالعصمة في حق الأنبياء ع و الحفظ في حق الأولياء و متى ما لم يخبر عن الله فالإصابة إذا حصلت منه للحق اتفاقية بالنظر إليه مقصودة بالنظر إلى الحق هذا هو الذي نعتمد عليه فقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ على زيادة الكاف رفع للمناسبة الشيئية و تمام الآية وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ إثبات للمناسبة و الآية واحدة و الكلمات مختلفة فلا نعدل عن هذه الحجة فهي أقوى حجة و هي ما ذهبنا إليه من تقليد الحق فإنه طريق العلم و النجاة في الدنيا و الآخرة و هي طريق النبيين و المرسلين و القائلين بالفيض من الإلهيين فإذا جاءك من الله علم فلا تدخله في ميزان الفكر و لا تجعل لعقلك سبيلا إلى ذلك فتهلك من ساعتك فإن العلم الإلهي لا يدخل في الميزان لأنه الواضع له فكيف يدخل واضعه تحت حكمه النائب لا يحكم على من استخلفه و إنما يحكم على من استخلف عليه و العلم يناقض العقل فإن العقل قيد و العلم ما حصل عن علامة و أدل العلامات على الشيء نفس الشيء و كل علامة سواها فالإصابة فيها بالنظر إلينا اتفاقي و هذا القدر في هذا الباب على حكم طريقنا كاف في الغرض المقصود وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (وصل) في الوتر و هو نوع من أنواع التوحيد اعلم أن الوتر في لسان العرب هو طلب الثأر فأحدية الحق إنما اتصفت بالوتر لطلبها الثأر من الأحدية التي للواحد الذي أظهر الاثنين بوجوده فما زاد إلى ما لا يتناهى من الأعداد فلما أزال بهذا الظهور حكم الأحدية فصارت أحدية الحق تطلب ثار الأحدية المزالة التي أذهب عينها هذا الواحد الذي بوجوده ظهرت الكثرة و تطلب الوحدانية فتسمى بالوتر لهذا الطلب فوكل هذا الواحد من ينوب عنه في الذب عنه فأقام العارف وكيلا بلسان حق فقال أيها الحاكم الطالب ثار الأحدية ما ذهبت الأحدية بل هذا الذي تطلبه ما أعطى الاثنينية و لا الثلاثة و لا الأربعة فصاعدا فإنه لا يعطي ما لا يقتضيه حقيقته و إنما الذي أعطانا الاثنين أحدية الاثنين و أحدية الثلاثة و الأربعة بالغا ما بلغ العدد و ذلك لتستدل أعيان الأعداد بأحديتها تلك على أحديتك فما سعت إلا في حقك و من أجلك إذ تعلم أن الأعداد ما ظهرت في الكون إلا من حكم الأسماء الإلهية فإنها كثرة و مع كثرتها فالأحدية لها متحققة فأراد هذا الواحد أن لا يجهل أعيان الأعداد أحدية الأسماء حتى لا تتوهم الكثرة في جناب الله فأعطى في كل عدد أحدية ذلك العدد غيرة من وجود الكثرة المذهبة لعين الأحدية و الوحدة فقبل عذره و علم أنه متخلق في ذلك بأخلاق أحدية الحق في إقامة أحدية الأسماء الكثيرة و مشى عليه

اسم الوتر للغيرة فالله وتر يحب الوتر و سيأتي في الباب الذي بعد هذا العلم بالكثرة و الاشتراك إن شاء الله (وصل) في الفرد و أما الفرد فهو من حكم هذا الباب و يسمى به لانفراده بما يتميز به عن خلقه فما هو فرد من حيث ما هو واحد فإنه واحد لنفسه و فرد لتميزه عن أحدية كل شيء و لا يصح الفرد لغيره سبحانه فإنه كل ما سوى الله فيه اشتراك بعضه مع بعض و يتميز بأحديته و لا ينفرد فإن صفة الاشتراك تمنع من ذلك فلا يصح اسم الفرد على الحقيقة إلا لله الحق خاصة فإنه الفرد من جميع الوجوه إذ لم تكن له صفة اشتراك كما لسواه من الموجودات و لذلك تطلب الحدود الموجودات و الله لا يطلبه حد و لا يقابله مثل و لا ضد تعالى الله و أسماؤه كلها لها الفردية فإنها له نسب لا أعيان فيأخذ الحد ذلك الاسم إذا دل على الحادث و لا يأخذه الحد إذا سميت به الله تعالى فتحد اللفظ و لا تحد مدلوله إلا إذ كان مدلوله حادثا لا غير و لا يلزم من الاشتراك في اللفظ الاشتراك في المعنى لأن اللفظ لك لا له و أنت مشترك فيك فلهذا قيل اللفظ الاشتراك أ لا ترى الألفاظ المشتركة كالمشتري ليس الاشتراك إلا في إطلاق الاسم و لهذا يقع التفصيل إذا طولب بالحد صاحبه فيقال أي مشتر تريد المشتري الذي هو كوكب في السماء أو المشتري الذي هو عاقد البيع فإذا حده تميز كل عين عن صاحبتها فليس في اللفظ من ماهية المدلول شيء فبهذا تقول في الحق سميع و بصير و له يد و يدان أو أيد و أعين و رجل و جميع ما أطلقه على نفسه مما لا يتمكن للعقل أن يطلقه عليه لأنه لم يعلم ذلك الإطلاق إلا على المحدثات و لو لا الشرع و الأخبار النبوية الإلهية ما جاءت بها ما أطلقناها عقلا عليه و مع هذا فننفي التشبيه و لا يتناول أمرا بعينه لجهلنا بذاته و إنما نفينا التشبيه بقوله ليس كمثله شيء لا بما أعطاه الدليل العقلي حتى لا يحكم عليه إلا كلامه تعالى و بهذا نحب نلقاه إذا لقيناه و كشف عن بصائرنا و أبصارنا غطاء العمي إن كان يمكن كشفه مطلقا أو يكشف منه ما يمكن كشفه إما على التساوي في حق الجميع و إما على التفاضل في حق العباد فينفرد كل شخص برؤية لا تكون لغيره و لا يصح الكشف في علم التوحيد إلا عند من يقول بالمناسبة و لا عند من يقول بنفي المناسبة لأن التوحيد ليس بأمر وجودي و إنما هو نسبة و النسب لا تدرك كشفا و إنما تعلم من طريق الدليل فإن الكشف رؤية و لا تتعلق الرؤية من المرئي إلا بكيفيات يكون المرئي عليها و هل في ذلك الجناب الإلهي كيفية أم لا فالدليل ينفي الكيفية فإن كان يريد أنه لا كيفية له في ذاته فلا يكشف و إن كان يريد أنه لا تعقل كيفيته فيمكن أن يكشف من حيث ما له كيفية لا تعقل لكن يحصل العلم بها عند الكشف فإن كل كيفية حصلها العقل من نظره في الأشياء فإنها تستحيل عليه عنده مع ثبوت الايمان بأسمائها لا بمعقوليتها من نزول و استواء و معية و تقليب و تردد و ضحك و تعجب و رضي و غضب فإن جسد الله هذه المعاني في حضرة التمثيل كالعلم في صورة اللبن فذلك له و حينئذ تنال كشفا و إلا فلا

تنال أبدا و لا يعلم من أين أخذتها النبوة هل تلقتها خبرا أو كشفا فإن كان خبرا فقد وقع التساوي و إن كان عن كشف فهو بحسب ما ذكرناه وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و السبعون و مائة في معرفة مقام الشرك و هو التثنية)

الشرك في الأسماء لا يجهل	عليه أهل الكشف قد عولوا
قالوا وَ مَا الرَّحْمٰنُ قلنا لهم	هو الإله الحكم الأول
لا فرق بين الله في كونه	دل على الذات و ما يسأل
به من الأسماء في كل ما	يلفظه اللافظ أو يعقل
و الشرك محمود على بابه	عند الذي يعلم أو يجهل
هو الوجود المحض لا يمتري	فيه إمام حكمه فيصل
و إنما المذموم منه الذي	أثبته في عقده المبطل

قال الله تعالى قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فاعلم إن الله تعالى من حيث ذاته فهو الواحد الأحد و قال وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا فإذا دعوته عرفت من يجيبك و ما يجيبك هل يجيبك من حيث ذاته أو من حيث نسبة يطلبها ذلك الاسم ما هي عين الذات و لا يجيبك تعالى مع ارتفاع وجود تلك النسبة فإذا عرفت هذا عرفت أمورا كثيرة في عين واحدة لا تعقل الذات عند الدعاء بهذه الأسماء دون هذه النسب و لا تعقل النسب دون هذه الذات فإذا قلت يا عليم علمت إن معقوله خلاف معقول يا قدير و كذلك يا مريد و يا سميع و يا بصير و يا شكور و يا حي و يا قيوم و يا غني إلى ما شئت من الأسماء الحسنى فهذه النسب و إن كثرت فالمسمى واحد و المنسوب إليه هذه النسب واحد فإذا لا تعقل الكثرة في هذا الواحد إلا هكذا فكل اسم قد شارك الاسم الآخر و غيره من الأسماء الإلهية في دلالته على الذات مع معقولية حقيقة كل اسم إنها مغايرة لمعقولية غيره من الأسماء و تميز كل واحد منها عن صاحبه و اشتراكهم في ذات المسمى و ليست هذه الأسماء لغير من تسمى بها فالأسماء الإلهية مترادفة من وجه متباينة من وجه مشتبهة من وجه فالمترادفة كالعالم و العلام و العليم و كالعظيم و الجبار و الكبير و المشتبهة كالعليم و الخبير و المحصي و المتباينة كالقدير و الحي و السميع و المريد و الشكور و أما الضرب الآخر من الشركة في إيجاد العالم فهو باستعداد الممكن لقبول تأثير القدرة فيه إذ المحال لا يقبل ذلك فما استقلت القدرة بالإيجاد دون استعداد الممكن و لا استقل استعداد الممكن دون القدرة الإلهية بالإيجاد و

هذا سار في كل ممكن ثم اشتراك آخر خصوص في بعض الممكنات و هو إذا أراد إيجاد العرض فلا بد من الاقتدار الإلهي و الإرادة الإلهية لتخصيص ذلك العرض المعين و لا بد من العلم به حتى يقصده بالتخصيص و لا بد من استعداد ذلك المراد لقبول الإيجاد و لا بد من وجود المحل لصحة إيجاد ذلك العرض إذ كان من حقيقته أنه لا يقوم بنفسه فلا بد له من محل يقوم به و لا بد لذلك المحل أن يكون على استعداد يقبل وجود ذلك العرض فيه و هذا كله ضرب من الشركة في الفعل فهذا معنى الشركة و الكثرة المطلوبة في الإلهيات في هذا الباب و لا يحتمل هذا الباب أكثر مما أومأنا إليه من هذه الأصول و تلخيص هذا الباب إن كل أمر يطلب القسمة فلا يصح فيه توحيد و أعمه المعلوم فنقول المعلومات تنقسم بوجه إلى ثلاثة أقسام إلى واجب و جائز و مستحيل ثم ما من شيء نذكره بعد هذا من موجود و معدوم و غير ذلك إلا و يقبل القسمة فأين التوحيد في كل مذكور أو معلوم فلم يبق إلا توحيد الكثرة في معلوم معين يسمى الله و هو الذي ينبغي أن يكون على كذا و كذا و تذكر ما لا تصح الألوهية إلا به و حينئذ يصح أن يكون الله و لا يشاركه في هذه الصفات بمجموعها واحد آخر فذلك يعني بقوله واحد بأحدية هذا المجموع مع أحدية العين وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و السبعون و مائة في معرفة مقام السفر و أسراره)

إن السفور دليل الخوف و الحذر ... هذا هو العرف في الأعراض بالخبر

فإن رأيت فتاة الحي قد سفرت ... فكن فديتك من هذا على حذر

لذا نقول بأن الممكنات على ... أصولها ما لها عين من الصور

و لا تقل بحلول إنها عدم ... و قد يكون لها التكوين في السور

قال تعالى في وصف أهل الله السَّائِحُونَ و السياحة الجولان في الأرض على طريق الاعتبار و القربة إلى الله لما في الأنس بالخلق من الوحشة فاعلم أن أهل الله ما طلبوا السياحة في الأرض و لزوم الفقر و سواحل البحار إلا لما غلب عليهم من الأنس بالجنس الذين هم أشكاله من الأناسي و هو و إن كان ذلك الأنس في الظاهر فهو استيحاش في الباطن من حيث لا يشعر طالب السياحة و لا يعلم طالب السياحة أنه ما دعاه إلى ذلك إلا الوحشة إلا بعد وقوفه على ما تنتج له السياحة و ذلك أن الله خلق الإنسان الذي هو آدم و كل خليفة على صورته نفى عنه المماثلة فقال إنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سرت هذه الحقيقة في الإنسان فإذا جنح إلى الله و تاب استشرفت نفسه على هذه المرتبة أعني نفي المثلية فلما رأى أمثاله من الناس غار أن يكون له مثل كما غار الحق أن يكون ثم من ينسب إليه الألوهية غيره فاستوحش من المخلوقين و طلب الانفراد بذاته من أمثاله حتى لا يبقى له آنس إلا بذاته وحده و لا يرى له مثلا ففر بنفسه إلى الأماكن

القاصية عن رؤية أمثاله فلازم الجبال و بطون الأودية و هذه الحالة هي السياحة فأسفرت له هذه السياحة عن مطلوبه فآنس بذاته فذلك تشبهه بمقام قوله لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لأنه لم يبق مدع كان يدعي الألوهية موجودا كذلك هذا ما بقي له في الفقر الذي هو فيه من يتسمى بإنسان الذي هو مثله غير الوحش فالوحش و غير الجنس له بمنزلة العالم من الله فلهذا طلب السفر أي المعنى الذي يظهر ما ذكرناه و لهذا المعنى أشار الشبلي حين بات عند بعض إخوانه فسامره الشبلي فقال له صاحبه يا شبلي قم تتعبد فقال له الشبلي العبادة لا تكون بالشركة و كذلك الربوبية لا تكون بالشركة فبقوة الصورة التي خلق الإنسان عليها طلب الفرار من الناس دون غيرهم من المخلوقين و لهذا ما ادعى أحد من الخلق الألوهية إلا هذا الجنس الإنساني فلم يرد السائح أن يرى مثله لهذا الذي ذكرناه هذا مقام هذا السفر و أما السفر في المعقولات بالفكر و في مراتب المعارف و العلوم فله باب آخر في هذا الكتاب يريد بعد هذا إن شاء الله في باب من أبواب الأحوال فهذه سياحة الخصوص من أهل الله و أما سياحة العموم منهم فسبب سياحتهم قوله تعالى يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ فنظروا ما هي أرض الله فقالوا كل أرض موات لا يكون عليها ملك لغير الله فتلك أرضه الخاصة به المضافة إليه البريئة من الشركة فيها البعيدة من المعمور فإن الأرض الميتة القريبة من العمران يمكن أن يصل إليها بعض الناس فيحييها فيملكها بإحيائها و البعيدة من العمران سالمة من هذا التخيل فقالوا ما أمرنا الله بالعبادة فيها إلا و لها خصوص وصف و ليس فيها من خصوص الأوصاف إلا كونها ليس فيها نفس لغير الله ففيها نفس الرحمن فإذا عبد الإنسان ربه في مثل هذه الأرض وجد أنسا من تلك الوحشة التي كانت له في العمران و وجد لذة و طيبا في قلبه و انفراده و ذلك كله من أثر نفس الرحمن الذي نفس الله به عنه ما كان يجده من الغم و الضيق و الحرج في الأرض المشتركة فهذا الذي أدى العامة من أهل الله إلى السياحة ثم إنهم رأوا في هذه الأرض من الآيات و العجائب و الاعتبارات ما دعاهم إلى النظر فيما ينبغي لما لك هذه الأرض فأنار الله قلوبهم بأنوار العلوم و فتح لهم في النظر في الآيات و هي العلامات الدالة على عظمة من انقطعوا إليه و هو الله تعالى ورثا نبويا من قوله تعالى سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ ثم قال لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا فعرج به إلى السموات إلى أن بلغ به الإسراء إلى حيث قدره الله له من المنازل العالية فأراه من الآيات ما زاده علما بالله إلى علمه لذا قرن به أنه هو السميع لما خوطب به البصير لما شاهده من الآيات فالسائحون من عباد الله يشاهدون من آيات الله و من خرق العوائد ما يزيدهم قوة في إيمانهم و نفسهم و معرفتهم بالله و أنسا به و رحمة بخلقه و شفقة عليهم فإذا رأوا قنة جبل شامخ تذكروا علوا لهم حيث لم يطلبوا من الله إلا الأنفس و هو الانفراد به في خلوة من أشكالهم حذرا من الشغل بسواهم و إذا كانوا في بطن واد أو قاع من القيعان ذكرهم ذلك بعبوديتهم و تواضعهم تحت جبروت سلطان خالقهم فذلوا في أنفسهم و عرفوا مقدارهم و علموا إن ما ينالونه من الرفعة إنما

ذلك عناية الله لا باستحقاق ثم إذا كانوا على ساحل بحر تذكروا بالبحر سعة علم الله و سعة عظمته و رحمته ثم يرون مع هذه العظمة ما تحدث فيه الرياح من تلاطم الأمواج و تداخل بعضها في بعض فيذكرهم ذلك في جناب الحق تعارض الأسماء الإلهية و تداخل بعضها في بعض في تعلقاتها مثل الاسم المنتقم و السريع الحساب و الشديد العقاب عند معصية العاصي و يجيء أيضا في مقابلة هذه الأسماء الاسم الغفار و العفو و المحسان فتتقابل الأسماء على هذا العبد العاصي و كذلك التردد الإلهي يعتبرونه في تموج هذا البحر فيفتح لهم في بواطنهم في علوم إلهية لا ينالونها إلا في مشاهدة ذلك البحر في سياحتهم فيكثر منهم التكبير و التعظيم لجناب الله ثم ما يحصل لهم من خرق العوائد في استئناس الوحوش بهم و إقبالهم عليهم و فيهم من تكلمه الوحوش بلسانه و فيهم من يعلم منطقها و ترى ما هم عليه من عبادة الله ما يزيدهم ذلك حرصا و اجتهادا في طاعة ربهم و الحكايات في كتب القوة في ذلك كثيرة جدا و لولا أن كتابنا هذا مبناه على المعارف و الأسرار لسقنا من الحكايات ما شاهدناه بنفوسنا في سياحتنا و اجتماعنا بهذه الطائفة و ما رأينا فيهم من العجائب و هذا القدر كاف في الغرض المقصود من هذا الباب حتى يرد الكلام إن شاء الله في السفر و مراتبه فيما بعد عند ذكر المسافر و السالك و الطريق وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إلى الحق و إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(الباب الخامس و السبعون و مائة في مقام ترك السفر)

احذر بأن تجعل الأعيان واحدة إذا أتتك بها الآيات و السور
من قوله أنت عبدي و الإله أنا و ما لنا عندكم عين و لا أثر

قال الله تعالى الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ من فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ قال تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فقطع المسافات زيادة تعب بل تعب خاصة فإنه ما يحركني إلا طلبه فلولا أني جعلته مطلوبي و مقصدي بهذه السياحة و السفر ما طلبته و قد أخبرني أنه معي في حال انتقالاتي كما هو معي في حال الإقامة و له في كل شيء وجهة فلما ذا أجول فالحركة لتحصيله دليل على عدم الوجدان في السكون فاطلب وجهه في موضع إقامتي فإذا عرفته فيه كنت منزلا من منازل القمر مقصودا لا قاصدا و لا نازلا تطلبني الأسماء و لا أطلبها و تقصدني الأنوار و لا أقصدها وقفت مع من لا يجوز عليه التحرك و الانتقال فصاحب السفر مع قوله ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا و صاحب الإقامة مع قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و السكون أولى من الحركة فإن العبد مأمور بالسكون تحت مجاري الأقدار و ما يأتي به الله إليه في الليل و النهار و قال في ذم من بادر الأقدار بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة و المبادرة حركة ما قال الله لنا آمرا فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً إلا لنسكن و يكون هو سبحانه الذي يتصرف في أمر عبده حتى يوفيه ما قدر له

من كل ما يصيبه حتى أنه لو كان مما يصيبه السفر و الانتقال لنقله الحق بهذه الصفة التي هو عليها من السكون في محفة عناية إلهية لا يعرف الحركة المتعبة مستريحا مظللا عليه مخدوما هذا سفر تارك السفر إذا كان مقدرا له السفر و قد ذقنا الأمرين و رأينا السكون أرجح من الحركة و أقوى في المعرفة مع انتقال الأحوال عليه في كل نفس و ذاك الانتقال عليه لا بد منه له فهو طريق مطرقة يسلك فيها و لا يسلك فإذا انتقل هو بذاته فلا يزيد شيئا على تلك الانتقالات عليه إلا التعب خاصة فكان المسافر يستعجل عذابا و مشقة فإن الأمور الجارية على العبد مثل الرزق و الأجل إن لم تأت إليه أتى إليها لا بد من ذلك

و لا معنى لشكوى الشوق يوما　　　إلى من لا يزول من العيان

السكون مع المشاهدة و الحركة مع الفقد إلا الحركة المأمور بها لأنك لا تخلو إن تتحرك في طلبه فأنت فاقدا و في غير طلبه فأنت خاسر فالسكون بكل حال أولى من الحركة التي في مقام ذلك السكون و أنت في مقام أن تتحرك بالله فالسكون بالله مع الله أولى لراحة الوقت فإنه و الله إن كنت فاقدا له في السكون فأنت في الحركة المحسوسة أفقد بما لا يتقارب فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ . . . وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ لو لم يكن من شرف السكون إلا ورود الأسماء الإلهية عليك و نزول الحق إليك لأنك إن تحركت إليه حددته و إن سكنت معه عبدته الحركة إليه عين الجهل به و السكون معه عين العلم به ما أسرى برسول الله ص ليراه و إنما أسرى به ليريه من آياته من قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ فمن رجح ترك السفر فقد أصاب في النظر و قصد عين الخبر إذا كان جليس الذاكر فإلى أين يرحل فهذا قد أبنت لك عن السفر و تركه فكن بحسب ما يقع لك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و السبعون و مائة في معرفة أحوال القوم رضي الله عنهم عند الموت)

للقوم عند حلول الموت أحوال　　　تنوعت و هي أمثال و أشكال

فمنهم من يرى الأسماء تطلبه　　　و منهم من يرى الأملاك و الحال

في ذاك مختلف عند الوجود لما　　　تعطي الحقائق و التفصيل إجمال

و منهم من يرى الإرسال مقبلة　　　إليه تتحفه و الرسل أعمال

و منهم من يرى التنزيه يطلبه　　　و هو الذي عنده التشبيه إضلال

و كلهم سعدوا و العين واحدة　　　و عندهم في جنان الخلد أشغال

هذا هو الحق لا تبغي به بدلا　　　فهو الصحيح الذي ما فيه إشكال

قال رسول الله ص يموت المرء على ما عاش عليه و يحشر على ما عليه مات و قال تعالى فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ يعني عند الموت أي يعاين ما هو أمره عليه الذي ينفرد به أهل الله العابدون ربهم إذا أتاهم اليقين يقول لنبيه ص اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ يعني الموت لأنه أمر متيقن لا اختلاف في وقوعه في كل حيوان و إنما وقع الخلاف في ماهيته قال شاعرهم

فخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب و الخلف في الشجب

يعني ما هو و الشجب الموت فإذا حضرتهم الوفاة رضي الله عنهم فلا بد لهم من مشاهد اثنتي عشرة صورة يشهدونها كلها أو بعضها لا بد من ذلك و هن صورة عمله و صورة علمه و صورة اعتقاده و صورة مقامه و صورة حاله و صورة رسوله و صورة الملك و صورة اسم من أسماء الأفعال و صورة اسم من أسماء الصفات و صورة اسم من أسماء النعوت و صورة اسم من أسماء التنزيه و صورة اسم من أسماء الذات و كان الأولى أن تكون هذه الصور كلها بالسين لا بالصاد فإنها منازل معان إلا أنه لما تجسدت المعاني و ظهرت بالأشكال و المقادير لذلك تصورت في صور إذ كان الشهود بالبصر و حكمت الحضرة بذلك الخيالية البرزخية فالموت و النوم سواء فيما تنتقل إليه المعاني فمنهم من يتجلى له عند الموت عمله العمل فيتجلى له عمله في الزينة و الحسن على قدر ما أنشأه العامل عليه من الجمال فإن أتم العمل كما شرع له و لم ينقص منه شيئا يشينه انتقاصه كان في أتم نشأة حسنة ظهرت من تمام أركان ذلك العمل الظاهرة و الباطنة من الحضور و شهود الرب في قلبه و في قبلته إذا صلى و كل عمل مشروع فهو صلاة و لهذا قال ص عن الله تعالى أنه يقول يوم القيامة أنظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كانت انتقص منها شيئا قال أنظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم فإن كان العمل غير ذات العامل كمانع الزكاة و كغاصب أمر ما حرم عليه اغتصابه كسي ذلك المال صورة عمل هذا العبد من حسن أو قبح فإن كان قبيحا طوق به كما قال في مانع الزكاة سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ و قال فيه ع يمثل له ما له شجاعا أقرع الحديث و فيه يقول له أنا كنزك فيطوق به و الكنز من عمل العبد في المال و هكذا العباد الله الصالحين فيما يجودون به من الخير بما يرجع إلى نفوسهم و إلى التصرف في غير ذواتهم فيرى علامات ذلك كله و هذا داخل تحت قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ و هذا الموطن من بعض مواطن ما يرى فيه عمله فيشاهد العبد الصالح عند الاحتضار عمله الصالح الذي هو لروحه مثل البراق لمن أسرى به عليه فيرفع تلك الروح الطيبة إلى درجاتها حيث كانت من عليين فإن عباد الله على طبقات في أعمالهم في الحسن و الأحسن و الجميل و الأجمل العلم (و منهم) رضي الله عنهم من تجلى له عند الموت علمه بالجناب الإلهي و هم رجلان رجل أخذ علمه بالله عن نظر و استدلال و رجل أخذ علمه عن كشف و صورة

الكشف أتم و أجمل في التجلي لأن الكشف و اقتناء هذا العلم ينتجه تقوى و عمل صالح و هو قوله وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ فيظهر له علمه عند الموت صورة حسنة أو نورا يلتبس به فيفرح به فإن صحبته دعوى في اقتنائه ذلك العلم نفسية فهو في الصورة الجميلة دون من لم تصحبه دعوى في اقتناء ذلك العلم بل يراه منحة إلهية و فضلا و منة لا يرى لنفسه تعملا بل يكون ممن فنى عن عمله في عمله فكان معمولا به كالآلة للصانع يعمل بها و ينسب العمل إليه لا إليها فيقع الثناء على الصانع العامل بها لا عليها فهكذا يكون بعض عباد الله في اقتناء علومهم الإلهية فتكون صورة العلم في غاية من الحسن و الجمال الاعتقاد (و منهم) المعتقد الذي لا علم عنده إلا إن عقده موافق للعلم بالأمر على ما هو عليه فكان يعتقد في الله ما يعتقده العالم لكن عن تقليد لمعلمه من العلماء بالله و لكن لا بد أن يتخيل ما يعتقده فإنه ليس في قوته إن يجرده عن الخيال و هو عند الاحتضار و للاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب ما هو الخيال الذي هو قوة في الإنسان في مقدم دماغه بل هو خيال من خارج كجبريل في صورة دحية و هو حضرة مستقلة وجودية صحيحة ذات صور جسدية تلبسها المعاني و الأرواح فتكون درجته بحسب ما اعتقده من ذلك المقام فإن كان هذا العبد صاحب مقام قد لحق بدرجة الأرواح النورية فإنها التي ذكر الله عنها أنها قالت وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فيظهر له مقامه في صورة فينزل فيها منزلة الوالي في ولايته فيكون بحسب مقامه و هذه كلها بشارات الحياة الدنيا الذين قال الله فيهم الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا (الحال) فإن كان صاحب حال في وقت احتضاره يرد عليه من الله حال يقبض فيه فهو له كالخلعة لا كالولاية فيتلبس بها و يتجمل بحسب ما يكون ذلك الحال دل على منزلته و الحال قد تكون ابتداء و قد تكون عن عمل متقدم و بينهما فرقان و إن كان الحال موهوبا على كل وجه و لكن الناس على قسمين منهم من تتقدم له خدمة فيقال إنه مستحق لما خلع عليه و منهم من لم يتقدم له ذلك فتكون المنة و العناية به أظهر لأنه لا يعرف له سبب مع أن الأحوال كلها مواهب و المقامات استحقاق الرسل (و منهم) من يتجلى له عند الاحتضار رسوله الذي ورثه إذ كان العلماء ورثة الأنبياء فيرى عيسى عند احتضاره أو موسى أو إبراهيم أو محمد أو أي نبي كان على جميعهم السلام فمنهم من ينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عند ما يأتيه فرحا به لأن الرسل كلهم سعداء فيقول عند الاحتضار عيسى أو يسميه المسيح كما سماه الله و هو الأغلب فيسمع الحاضرون بهذا الولي يتلفظ بمثل هذه الكلمة فيسيئون الظن به و ينسبونه إلى أنه تنصر عند الموت و أنه سلب عنه الإسلام أو يسمى موسى أو بعض أنبياء بنى إسرائيل فيقولون إنه تهود و هو من أكبر السعداء عند الله فإن هذا المشهد لا تعرفه العامة بل يعرفه أهل الله من أرباب الكشوف و إن كان ذلك الأمر الذي هو فيه اكتسبه من دين محمد ص و لكن ما ورث منه هذا الشخص إلا أمرا مشتركا كان لنبي قبله و هو قوله أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ فلما

كانت الصورة مشتركة جلى الحق له صاحب تلك الصورة في النبي الذي كانت له تلك الصفة التي شاركه فيها محمد ص مثل قوله أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي و ذلك ليتميز هذا للشخص بظهور من ورثه من الأنبياء عمن ورث غيره فلو تجلى في صورة محمدية التبس عليه الشخص الذي ورث محمدا ص فيما اختص به دون غيره من الرسل الملك (و منهم) من يتجلى له عند الاحتضار صورة الملك الذي شاركه في المقام فإنهم الصَّافُّونَ و منهم الْمُسَبِّحُونَ و منهم التالون إلى ما هم عليه من المقامات فينزل إليه الملك صاحب ذلك المقام مؤنسا و جليسا تستنزله عليه تلك المناسبة فربما يسميه عند الموت و يرى من المحتضر تهمما به و بشاشة و فرحا و سرورا و ما وصفنا في هذا الاحتضار إلا أحوال الأولياء الخارجين عن حكم التلبيس ما ذكرنا من أحوال العامة من المؤمنين فإن ذلك مذاق آخر و للأولياء هذا الذي نذكره خاصة فلذلك ما نتعرض لما يطرأ من المحتضر من العامة مما يكره رؤيته و يتمعر وجهه ليس ذلك مطلوبنا و لا يرفع بذلك رأسا أهل الله و إن تعرض لهم فإنهم عارفون بما يرونه (أسماء الأفعال) و منهم من يتجلى له عند الموت هجيره من الأسماء الإلهية فإن كان من أسماء الأفعال كالخالق بمعنى الموجد و الباري و المصور و الرزاق و المحيي و كل اسم يطلب فعلا فهو بحسب ما كان عليه في معاملته معه ظهر له بما يناسب ذلك العمل فيراه في أحسن صورة فيقول له من أنت يرحمك الله فيقول هجيرك و سيأتي ذكر الهجيرات من هذا الكتاب في باب أحوال الأقطاب من آخره إن شاء الله (أسماء الصفات) فإن كان هجيره كل اسم يستدعي صفة كمال كالحي و العالم و القادر و السميع و البصير و المريد فإن هذه الأسماء كلها أسماء المراقبة و الحياء فهم أيضا بحسب ما كانوا في حال حياتهم عند هذه الأذكار من طهارة النفوس عن الأعراض التي تتخلل هذه النشأة الإنسانية التي لا يمكن الانفكاك عنها و ليس لها دواء إلا الحضور الدائم في مشاهدة الوجه الإلهي الذي له في كل كون عرضي و غير عرضي (أسماء النعوت) فإن كان هجيره أسماء النعوت و هي أسماء النسب كالأول و الآخر و ما جرى هذا المجرى فهو فيها بحسب ما يقوم به من علم الإضافات في ذكره ربه بمثل هذه الأسماء فيعرفه إن لها عينا وجوديا كمثبتي الصفات أو لا عين لها (أسماء التنزيه و منهم) من يتجلى له عند الاحتضار أسماء التنزيه كالغني فإن كان مثل هذا الاسم هجيره في مدة عمره فهو فيه بحسب شهوده هل يذكره بكونه غنيا عن كذا و يذكره غنيا حميدا من غير أن يخطر له عن كذا و كذا فيما يماثله من أسماء التنزيه سواء (أسماء الذات و منهم) من كان هجيره الاسم الله أو هو و الهو أرفع الأذكار عندهم كأبي حامد و منهم من يرى أنت أتم و هو الذي ارتضاه الكتاني مثل قوله يا حي يا قيوم يا لا إله إلا أنت و منهم من يرى أنا أتم و هو رأى أبي يزيد فإذا احتضر من هذا ذكره فهو بحسب اعتقاده في ذلك من نسبة تلك الكناية من توهم تحديد و تجريد عن تحديد و منهم من يرى أن التجريد و التنزيه تحديد و من المحال أن يعقل أمر من غير تحديد أصلا فإنه لا يخلو إما أن يعقل داخلا أو خارجا أو لا داخل و لا خارج

أو هو عين الأمر لا غيره و كل هذا تحديد فإن كل مرتبة قد تميزت عن غيرها بذاتها و لا معنى للحد إلا هذا و هذا القدر كاف انتهى الجزء التاسع و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و السبعون و مائة في معرفة مقام المعرفة)

من ارتقى في درج المعرفة — رأى الذي في نفسه من صفه
لأنها دلت على واحد — للفرق بين العلم و المعرفة
لها وجود في وجود الذي — أرسله الحق و ما كلفه
فهو إمام الوقت في حاله — و يشتهي الواقف أن يعرفه
تجري على الحكمة أحكامه — في الرتبة العالية المشرفه

اعلم أن المعرفة نعت إلهي لا عين لها في الأسماء الإلهية من لفظها و هي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد و المعرفة عند القوم محجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل و تقوى و سلوك فهو معرفة لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبه بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه و الحيرة فيه و القدح في الأمر الموصل إليه و اعلم أنه لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته و كل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد فيما أعطاه و ما في الوجود من علم الأشياء بذاته إلا واحد و كل ما سوى ذلك الواحد فعلمه بالأشياء و غير الأشياء تقليد و إذا ثبت أنه لا يصح فيما سوى الله العلم بشيء إلا عن تقليد فلنقلد الله و لا سيما في العلم به و إنما قلنا لا يصح العلم بأمر ما فيما سوى الله إلا بالتقليد فإن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بقوة ما من قواه التي أعطاه الله و هي الحواس و العقل فالإنسان لا بد أن يقلد حسه فيما يعطيه و قد يغلط و قد يوافق الأمر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر و العقل يقلد الفكر و منه صحيح و فاسد فيكون علمه بالأمور بالاتفاق فما ثم إلا تقليد و إذا كان الأمر على ما قلناه فينبغي للعاقل إذا أراد أن يعرف الله فليقلده فيما أخبر به عن نفسه في كتبه و على ألسنة رسله و إذا أراد أن يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قواه و ليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه فيعرف الأمور كلها بالله و يعرف الله بالله إذ و لا بد من التقليد و إذا عرفت الله بالله و الأمور كلها بالله لم يدخل عليك في ذلك جهل و لا شبهة و لا شك و لا ريب فقد نبهتك على أمر ما طرق سمعك فإن العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم علماء بما أعطاهم النظر و الحس و العقل و هم في مقام التقليد لهم و ما من قوة إلا و لها

غلط قد علموه و مع هذا غالطوا أنفسهم و فرقوا بين ما يغلط فيه الحس و العقل و الفكر و بين ما لا يغلط فيه و ما يد ريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا و لا مزيل لهذا الداء العضال إلا من يكون علمه بكل معلوم بالله لا بغيره و هو سبحانه عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد أن تكون أنت عالما بما يعلمه به سبحانه لأنك قلدت من يعلم و لا يجهل و لا يقلد في علمه و كل من يقلد سوى الله فإنه قلد من يدخله الغلط و تكون إصابته بالاتفاق فإن قيل لنا و من أين علمت هذا و ربما دخل لك الغلط و ما تشعر به في هذه التقسيمات و أنت فيها مقلد لمن يغلط و هو العقل و الفكر قلنا صدقت و لكن لما لم نر إلا التقليد ترجح عندنا أن نقلد هذا المسمى برسول و المسمى بأنه كلام الله و علمنا عليه تقليدا حتى كان الحق سمعنا و بصرنا فعلمنا الأشياء بالله و عرفنا هذه التقاسيم بالله فكان إصابتنا في تقليد هذا بالاتفاق لأنا قلنا مهما أصاب العقل أو شيء من القوي أمرا ما على ما هو عليه في نفسه إنما يكون بالاتفاق فما قلنا إنه يخطئ في كل حال و إنما قلنا لا نعلم خطأه من إصابته فلما كان الحق جميع قواه و علم الأمور بالله عند ذلك علم الإصابة في القوي من الغلط و هذا الذي ذهبنا إليه ما يقدر أحد على إنكاره فإنه يجده من نفسه فإذا تقرر هذا فاشتغل بامتثال ما أمرك الله به من العمل بطاعته و مراقبة قلبك فيما يخطر فيه و الحياء من الله و الوقوف عند حدوده و الانفراد به و إيثار جنابه حتى يكون الحق جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك و قد نصحتك إذ قد رأينا الحق أخبر عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية و الأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر و لزوم الايمان بها فقلد ربك إذ و لا بد من التقليد و لا تقلد عقلك في تأويله فإن عقلك قد أجمع معك على التقليد بصحة هذا القول أنه عن الله فما لك منازع منك يقدح فيما عندك فلا تقلد عقلك في التأويل و اصرف علمه إلى الله قائله ثم اعمل حتى تنزل في العلم به كهو فحينئذ تكون عارفا و تلك المعرفة المطلوبة و العلم الصحيح الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ و بعد أن تقرر هذا فلنرجع إلى الطريقة المعهودة في هذا الباب التي بأيدي الناس من أهله فإن هذه الطريقة التي نبهناك عليها طريقة غريبة فنقول إن المحاسبي ذكر أن المعرفة هي العلم بأربعة أشياء الله و النفس و الدنيا و الشيطان و الذي قال رسول الله ص إن المعرفة بالله ما لها طريق إلا المعرفة بالنفس فقال من عرف نفسه عرف ربه و قال أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه فجعلك دليلا أي جعل معرفتك بك دليلا على معرفتك به فأما بطريقة ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات و صفات و جعله إياك خليفة نائبا عنه في أرضه و إما بما أنت عليه من الافتقار إليه في وجودك و أما الأمران معا لا بد من ذلك و رأينا الله يقول في العلم بالله المعبر عنه بالمعرفة سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ فأحالنا الحق على الآفاق و هو ما خرج عنا و على أنفسنا و هو ما نحن عليه و به فإذا وقفنا على الأمرين معا حينئذ عرفناه و تبين لنا أنه الحق فدلالة الله أتم و ذلك إنا إذا نظرنا في نفوسنا ابتداء لم نعلم هل يعطي النظر فيما خرج عنا من العالم و هو قوله في

الْآفاقِ علما بالله ما لا تعطيه نفوسنا أو كل شيء في نفوسنا فإذا نظرنا في نفوسنا حصل لنا من العلم به ما يحصل للناظر في الآفاق فأما الشارع فعلم إن النفس جامعة لحقائق العالم فجمعك عليك حرصا منه كما قال فيه حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ حتى تقرب الدلالة فتفوز معجلا بالعلم بالله فتسعد به و أما الحق فذكر الآفاق حذرا عليك مما ذكرناه أن تتخيل أنه قد بقي في الآفاق ما يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه نفسك فأحالك على الآفاق فإذا عرفت عين الدلالة منه على الله نظرت في نفسك فوجدت ذلك بعينه الذي أعطاك النظر في الآفاق أعطاك النظر في نفسك من العلم بالله فلم تبق لك شبهة تدخل عليك لأنه ما ثم إلا الله و أنت و ما خرج عنك و هو العالم ثم علمك كيف تنظر في العالم فقال أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ . . . أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ الآية أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و كل آية طلب منك فيها النظر في الآيات كما قال إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و يَتَفَكَّرُونَ و يَسْمَعُونَ و يَفْقَهُونَ و لِلْعالِمِينَ و لِلْمُؤْمِنِينَ و لِأُولِي النُّهى و لِأُولِي الْأَلْبابِ لما علم أنه سبحانه خلق الخلق أطوارا فعدد الطرق الموصلة إلى العلم به إذ كل طور لا يتعدى منزلته بما ركب الله فيه فالرسول ع ما أحالك إلا على نفسك لما علم أنه سيكون الحق قواك فتعلمه به لا بغيره فإنه العزيز و العزيز هو المنيع الحمى و من ظفر به غيره فليس بمنيع الحمى فليس بعزيز فلهذا كان الحق قواك فإذا علمته و ظفرت به يكون ما علمه و لا ظفر به إلا هو فلا يزول عنه نعت العزة و هكذا هو الأمر فقد سد باب العلم به إلا منه و لا بد و لهذا ينزهه العقل و يرفع المناسبة من جميع الوجوه و يجيء الحق فيصدقه في ذلك ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ يقول لنا صدق العقل فإنه أعطى ما في قوته لا يعلم غير ذلك فإني أعطيت كل شيء خلقه و العقل من جملة الأشياء فقد أعطيناه خلقه و تمم الآية فقال ثُمَّ هَدى أي بين فبين سبحانه أمرا لم يعطه العقل و لا قوة من القوي فذكر لنفسه أحكاما هو عليها لا يقبلها العقل إلا إيمانا أو بتأويل يردها تحت إحاطته لا بد من ذلك فطريقة السلامة لمن لم يكن على بصيرة من الله أن لا يتأول و يسلم ذلك إلى الله على علمه فيه هذه طريقة النجاة فالحق سبحانه يصدق كل قوة فيما تعطيه فإنها وفت بجميع ما أعطاها الله و بقي للحق من جانب الحق ذوق آخر يعلمه أهل الله و هم أهل القرآن أهل الله و خاصته فيعتقدون فيه كل معتقد إذ لا يخلو منه تعالى وجه في كل شيء هو حق ذلك الوجه و لو لم يكن الأمر كذلك ما كان إلها و لكان العالم يستقل بنفسه دونه و هذا محال فخلو وجه الحق عن شيء من العالم محال و هذه المعرفة عزيزة المنال فإنها تؤدي إلى رفع الخطاء المطلق في العالم و لا يرتفع الخطاء الإضافي و هو المنسوب إلى مقابله فهو خطأ بالتقابل و ليس بخطإ مع عدم التقابل فالكامل من أهل الله من نظر في كل أمر على حدة حتى يرى خلقه الذي أعطاه الله و وفاه إياه ثم يرى ما بين الله لعباده مما خرج عن خلق كل شيء فينزل موضع البيان من قوله ثُمَّ هَدى موضعه و ينزل كل خلق على ما أعطاه خالقه فمثل هذا لا يخطئ و لا يخطئ بإطلاق في الأصول و الفروع فكل مجتهد مصيب إن

عقلت في الأصول و الفروع و قد قيل بذلك و بعد أن تقرر ما ذكرناه فلنقل إن المعرفة في طريقنا عندنا لما نظرنا في ذلك فوجدناها منحصرة في العلم بسبعة أشياء و هو الطريق التي سلكت عليه الخاصة من عباد الله الواحد علم الحقائق و هو العلم بالأسماء الإلهية الثاني العلم بتجلى الحق في الأشياء الثالث العلم بخطاب الحق عباده المكلفين بالسنة الشرائع الرابع علم الكمال و النقص في الوجود الخامس علم الإنسان نفسه من جهة حقائقه السادس علم الخيال و عالمه المتصل و المنفصل السابع علم الأدوية و العلل فمن عرف هذه السبع المسائل فقد حصل المسمى معرفة و يندرج في هذا ما قاله المحاسبي و غيره في المعرفة (العلم الأول) و هو العلم بالحقائق و هو العلم بالأسماء الإلهية و هي على أربعة أقسام قسم يدل على الذات و هو الاسم العلم الذي لا يفهم منه سوى ذات المسمى لا يدل على مدح و لا ذم و هذا قسم لم نجده في الأسماء الواردة علينا في كتابه و لا على لسان الشارع إلا الاسم الله و هو اسم مختلف فيه و قسم ثان و هو يدل على الصفات و هو على قسمين قسم يدل على أعيان صفات معقولة يمكن وجودها و قسم يدل على صفات إضافية لا وجود لها في الأعيان و قسم ثالث و هو يدل على صفات أفعال و هو على قسمين صريح و مضمن و قسم رابع مشترك يدل بوجه على صفة فعل مثلا و بوجه على صفة تنزيه أما علم الأسماء الإلهية و هو العلم الأول من المعرفة فهو العلم بما تدل عليه مما جاءت له و هو في هذه الأقسام التي قسمناها حتى نبينها في هذا الباب إن شاء الله و العلم أيضا بخواصها و الكلام فيه محجور على أهل الله العارفين بذلك لما في ذلك من كشف أسرار و هتك أستار و تأبى الغيرة الإلهية إظهار ذلك بل أهل الله مع معرفتهم بذلك لا يستعملونها مع الله و الدليل على ذلك أن رسول الله ص أعلم الناس بها و بإجابة الله تعالى من دعاه بها لما هي عليه من الخاصية في علم الله بها و قد دعاه رسول الله ص في أمته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه ذلك و لم يجبه و إن كان قد عوضه فمن باب آخر و هو أن كل دعاء لا يرد جملة واحدة و إن عوقب صاحبه و لكن يرد ما دعا به خاصة إذا دعا فيما لا يقتضيه خاصية ذلك الاسم و أجاب دعاء بلعام بن باعورا في موسى ع و قومه لما دعاه بالاسم الخاص بذلك و هو قوله آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ فلم يكن له من الاسم إلا حروفه فنطق بها و لهذا قال فَانْسَلَخَ مِنْها فكانت في ظاهره كالثوب على لابسه و كما تنسلخ الحية من جلدها و لو كان في باطنه لمنعه الحياء و المقام من الدعاء على نبي من الأنبياء و أجيب لخاص الاسم و عوقب و جعل مثله كَمَثَلِ الْكَلْبِ و نسي حروف ذلك الاسم فلو أن رسول الله ص يدعو بالاسم الخاص و يستعمله لأجابه الله في عين ما سأل مع علمنا بأنه علم علم الأولين و الآخرين و أنه أعلم الناس فعلمنا إن دعاءه لم يكن بخاص الاسم و تأدب و سبب ذلك الأدب الإلهي فإنه لا يعلم ما في نفس الله كما قال عيسى ع تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ فلعل ذلك الذي يدعوه فيه ما له فيه خيرة فعدل واع إلى الدعاء فيما يريدون من الله بغير الاسم الخاص بذلك المراد فإن كان لله في

علمه فيه رضي و للداعي فيه خيرة أجاب في عين ما سئل فيه و إن لم يكن عوض الداعي درجات أو تكفيرا في سيئات و معلوم عند الخاص و العام إن ثم اسما عاما يسمى الاسم الأعظم و هو في آية الكرسي و أول سورة آل عمران و مع علم النبي ع به ما دعا به في ما ذكرناه و لو دعا به أجابه الله في عين ما سأل فيه و علم الله في الأشياء لا يبطل فلهذا أدب الله أهله فهذا من علم الأسماء الإلهية و من الأسماء ما هي حروف مركبة و منها ما هي كلمات مركبة مثل الرحمن الرحيم هو اسم مركب كبعلبك و الذي هو حروف مركبة كالرحمن وحده و اعلم أن الحروف كالطبائع و كالعقاقير بل كالأشياء كلها لها خواص بانفرادها و لها خواص بتركيبها و ليس خواصها بالتركيب لأعيانها و لكن الخاصية لاحدية الجمعية فافهم ذلك حتى لا يكون الفاعل في العالم إلا الواحد لأنه دليل على توحيد الإله فكما أنه واحد لا شريك له في فعله الأشياء كذلك سرت الحقيقة في الأفعال المنسوبة إلى الأكوان إنها لا تصدر منها إذا كانت مركبة إلا لأحدية ذلك التركيب و كل جزء منها على انفراده له خاصية تناقض خاصية المجموع فإذا اجتمع اثنان فصاعدا أعطى أثرا لا يكون لكل جزء من ذلك المجموع على انفراده كسواد المداد حدث السواد عن المجموع لأحدية الجمع و كل جزء على انفراد لا يعطي ذلك السواد و هكذا تركيب الكلمات كتركيب الحروف و من هنا تعلم أن الحرف الواحد له عمل و لكن بالقصد كما عمل ش في لغة العرب عند السامع إن بشي ثوبه و هو حرف واحد و ق أن يقي نفسه من كذا و ع إن يعي ما سمعه مع كونه حرفا واحدا و أما كن فهو من فعل الكلمة الواحدة لا من فعل الحروف و خاصيته في الإيجاد و له شروط مع هذا يتأدب هل الله مع الله فجعلوا بدله في الفعل بسم الله و قد استعمله رسول الله ص في غزوة تبوك و ما سمع منه قبل ذلك و لا بعده و إنما أراد إعلام الناس من علماء الصحابة بمثل هذه الأسرار بذلك فالذي نذكر في هذا الباب العلم بما ذكرناه من أقسام الأسماء الإلهية أسماء الذات التي هي كالأعلام فلا أعرف بيد العالم في كتاب و لا سنة منها شيئا إلا الاسم الله في مذهب من لا يرى أنه مشتق من شيء ثم إنه مع الاشتقاق الموجود فيه هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما يسمى شخصا بيزيد على طريق العلمية و إن كان هو فعلا من الزيادة و لكن ما سميناه به لكونه يزيد و ينمو في جسمه و في علمه و إنما سميناه به لنعرفه و نصيح به إذا أردناه فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فإذا قيلت على هذا فهي أعلام كلها و إذا قيلت على طريق المدح إن كانت من أسماء المدح فهي أسماء صفات علي الحقيقة و من شأن الصفة إنها لا يعقل لها وجود إلا في موصوف بها لأنها لا تقوم بنفسها سواء كان لها وجود عيني أو إضافي لا وجود له في عينه فهي تدل على الموصوف بها بطريق المدح أو الذم و بطريق الثناء و بهذا وردت الأسماء الحسنى الإلهية في القرآن و نعت بها كلها ذاته سبحانه و تعالى من طريق المعنى و كلمة الله من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق و إن كانت فيه رائحة الاشتقاق

كما يراه بعض علماء هذا الشأن من أصحاب العربية و أما أسماء الضمائر فإنها تدل على الذات بلا شك و ما هي مشتقة مثل هو و ذا و أنا و أنت و نحن و الياء من أني و الكاف من أنك فلفظة هو اسم ضمير الغائب و ليست الضمائر مخصوصة بالحق بل هي لكل مضمر فهو لفظ يدل على ذات غائبة مع تقدم كلام يدل عليه عند السامع و إن لم يكن كذلك فلا فائدة فيه و لذلك لا يجوز الإضمار قبل الذكر إلا في ضرورة الشعر لما يتقيد به الشاعر من الأوزان و أنشد وافى ذلك جزى ربه عني عدي بن حاتم فأضمر قبل الذكر فإنه أراد أن يقول جزى عني عدي بن حاتم ربه فلم يتزن فقدم الضمير من أجل الوزن و من الضمائر لفظة ذا و هي من أسماء الإشارة مثل قوله ذِلكُمُ اللّٰه و كذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي و كذلك لفظة أنت و تاء المخاطب مثل قوله كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ و لفظة نحن و لفظ إنا مشددة و لفظة نا مثل قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و كذلك حرف كاف الخطاب إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فهذه كلها أسماء ضمائر و إشارات و كنايات تعم كل مضمر و مخاطب و مشار إليه و مكنى عنه و أمثال هذه و مع هذا فليست أعلاما و لكنها أقوى في الدلالة من الأعلام لأن الأعلام قد تفتقر إلى النعوت و هذه لا افتقار لها و ما منها كلمة إلا و لها في الذكر بها نتيجة و ما أحد من أهل اللّٰه أهل الأذواق رأيناه نبه على ذلك في طريق اللّٰه للسالكين بالأذكار الأعلى لفظ هو خاصة و جعلوها من ذكر خصوص الخصوص لأنها أعرف من الاسم اللّٰه عندهم في أصل الوضع لأنها لا تدل إلا على العين خاصة المضمرة من غير اشتقاق و إنما غلبها أهل اللّٰه على سائر المضمرات و الكنايات لكونها ضمير غيب مطلق عن تعلق العلم بحقيقته و قالوا إن لفظة هو ترجع إلى هويته التي لا يعلمها إلا هو فاعتمدوا على ذلك و لا سيما الطائفة التي زعمت أنه لا يعلم نفسه تعالى اللّٰه عن ذلك و ما علمت الطائفة أن غير لفظة هو في الذكر أكمل في المرتبة مثل الياء من أني و النون من نزلنا و لفظة نحن فهؤلاء أعلى مرتبة في الذكر من هو في حق السالك لا في حق العارف فلا أرفع من ذكر هو عند العارفين في حقهم و كما هي عندهم أعلى في الرتبة من لفظة هو كذلك هي أعلى من أسماء الخطاب مثل كاف المخاطب و تائه و أنت فإنه لا يقول إني و إنا و نحن إلا هو عن نفسه فمن قالها به فهو القائل به وَلَذِكْرُ اللّٰهِ أَكْبَرُ فنتيجته أعظم لأن الذكر يعظم بقدر عظم علم الذاكر و لا أعلم من اللّٰه و باقي أسماء الضمائر مثل هو و ذا و كاف الخطاب هي من خواص عين المشار إليه فهي أشرف من الهو و مع هذا فما أحد من أهل اللّٰه سن الذكر بها كما فعلوا بلفظة هو فلا أدري هل منعهم من ذلك عدم الذوق لهذا المعنى و هو الأقرب فإنهم ما جعلوها ذكرا فإن قالوا فإنها تطلب التحديد قلنا فذلك سائغ في جميع المضمرات و نحن نقول بالذكر بذلك كله مع الحضور على طريق خاص و قد ورد في الشرع ما يقوي ما ذهبنا إليه من ذلك قوله ص إن اللّٰه قال على لسان عبده سمع اللّٰه لمن حمده و قوله عن اللّٰه كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و الحق بلا شك هو القائل بالنون و أنا و إنا و نحن و إني فلنذكره بها نيابة عنه أو

نذكره به لأنه الذاكر بها على لساني فهو أتم في الحضور بالذكر و أقرب فتحا للوقوف على ما تدل عليه و لهذه الأسماء أيضا أعني المضمرات خواص في الفعل لم أر أحدا يعرف منها من أهل الله إلا لفظة هو فإذا قلت هو كان هو و إن لم يكن هو عند قولك هو و لكن يكون هو عند قولك هو و كذلك ما بقي من أسماء الإضمار فاعلم ذلك فإنه من أسرار المعرفة بالله و لا يشعر به و لا نبه أحد عليه من أهل الله غيرة و بخلا أو خوفا لما يتعلق به من الحظر لما يظهر فيه من تكوين الله عند لفظة هو من العبد إذ كان الله يقولها على لسان عبده آية ذلك من كتاب الله فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فإن تكوين الله بلفظ هو من العبد هو ظهوره في مظهر خاص في ذلك الوقت إذ لا يظهر غيره و لا قال هو إلا هو فهو أظهر نفسه فهو الظاهر المظهر و الباطن المبطن و العزيز المعز و الغني المغني فقد نبهتك على سر هذا الذكر بهذا الاسم و على هذا تأخذ جميع أسماء الضمائر و الإشارات و الكنايات و لكن الطهارة و الحضور و الأدب و العلم بهذه الأمور لا بد منه حتى تعرف من تذكر و كيف تذكر و من يذكر و بمن تذكر و الله خير الذاكرين له و لك (القسم الثاني) من علم الأسماء الإلهية و هذا القسم ينقسم قسمين العلم بأسماء صفات المعاني مثل الحي و هو اسم يطلب ذاتا موصوفة بالحياة و العلم يسمى الموصوف به عالما و القادر للموصوف بالقدرة و المريد للموصوف بالإرادة و السميع و البصير و الشكور للموصوف بالسمع و البصر و الكلام و هذه كلها معان قائمة بالموصوف أو نسب على خلاف ينطلق عليه منها أسماء و لها أحكام في الموصوف بها و تلك الأسماء و إن كانت تدل على ذات موصوفة بصفة تسمى علما و قدرة و لكن لها مراتب كمن قام به العلم يسمى عالما و عليما و علاما و خبيرا و محصيا و محيطا هذه كلها أسماء لمن وصف بالعلم و لكن مدلول كونه عالما خلاف مدلول كونه عليما و خبيرا يفهم من ذلك ما لا يفهم من العالم فإن عليما للمبالغة فيفهم منه ما لا يفهم من العالم فإن من يعلم أمرا ما من المعلومات يسمى عالما و لا يسمى عليما و لا علاما إلا إذا تعلق علمه بمعلومات كثيرة و خبير التعلق العلم بعد الابتلاء قال تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و كذا المحصي يتعلق بحصر المعلومات من وجه يصح فهو تعلق خاص يطلبه العلم و كذلك المحيط له تعلق خاص و هو العلم بحقائق المعلومات الذاتية و الرسمية و اللفظية و ما يتناهى منها إنه متناه و ما لا يتناهى منها إنه غير متناه فقد أحاط به علما إنه لا يتناهى فإن هنا زلت طائفة كبيرة من أهل العلم و هكذا تأخذ جميع الصفات كالقادر و المقتدر و القاهر كل ذلك تطلبه القدرة و بين هذه الأسماء فرقان و إن كانت الصفة الواحدة تطلبها فإن القاهر في مقابلة المنازع و القهار في مقابلة المنازعين و القادر في مقابلة القابل للأثر فيه مع كونه معدوما في عينه ففيه ضرب من الامتناع و هي مسألة مشكلة لأن تقدم العدم للممكن قبل وجوده لا يكون مرادا و لا هو صفة نفسية للممكن فهذا هو الإشكال فينبغي أن يعلم و المقتدر لا يكون إلا في حال تعلق القدرة بالمقدور لأنه تعمل في تعلق القدرة بالمقدور لإيجاد عينه كالمكتسب و الكاسب فقد بان لك

الفرقان بين الأسماء و إن كانت تطلب صفة واحدة و لكن بوجوه مختلفة إذ لا يصح الترادف في العالم لأن الترادف تكرار و ليس في الوجود تكرار جملة واحدة للاتساع الإلهي فاعلم ذلك و ما وجدنا في الشرع للكلام اسما إلهيا إلا الشكور و المجيب فالكلام ما وجدنا اسما من لفظ اسمه في الشرع و كذلك الإرادة ليس لها اسم في علمي من لفظ اسمهما غير أن من أسمائها من جهة معناها أسماء الأفعال فإنه قال فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و لها تعلق صعب التصور و هو إرادته أن يقول و ليس قوله من الأفعال و لا هو نسبة عدمية و لا صفة عدمية و كذلك يتصور في القدرة أيضا و ذلك أن يقال الحق قادر أن يكلم عباده بما شاء فهنا علم ينبغي أن يعرف و ذلك أن الله أدخل تعلق إرادته تحت حكم الزمان فجاء بإذا و هي من صيغ الزمان فقال إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ و الزمان قد يكون مزادا و لا يصح فيه إذا لأنه لم يكن بعد فيكون له حكم فعلم هذا من علوم غامض الأسماء الإلهية ثم اعلم أن الذي يعقد عليه أهل الله تعالى في أسمائه سبحانه هي ما سمي به نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله و أما إذا أخذناها من الاشتقاق أو على جهة المدح فإنها لا تحصى كثرة و الله يقول وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و ورد في الصحيح أن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة و ما قدرنا على تعيينها من وجه صحيح فإن الأحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء و كل اسم إلهي يحصل لنا من طريق الكشف أو لمن حصل فلا نورده في كتاب و إن كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي إليه ذلك من الفساد في المدعين الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ و في زماننا منهم كثير و لما فحصنا عن الحفاظ لم نر أحدا اعتنى بها مثل الحافظ أبي محمد علي بن سعيد بن حزم الفارسي و غاية ما وصلت إليه قدرته ما أذكره من الأسماء الحسنى هذا مبلغ إحصائه فيها من الطرق الصحاح على ما حدثناه علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الفريابي عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدي الإشبيلي و حدثناه عبد الحق إجازة و غير واحد ما بين سماع و قراءة و إجازة عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني عن أبي محمد علي بن حزم الفارسي قال إنما تؤخذ يعني الأسماء من نص القرآن و مما صح عن النبي ص و قد بلغ إحصاؤنا ما نذكره و هي الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم الكريم العظيم حليم القيوم الأكرم السلام التواب الرب الوهاب الأقرب سميع مجيب واسع العزيز الشاكر القاهر الآخر الظاهر الكبير الخبير القدير البصير الغفور الشكور الغفار القهار الجبار المتكبر المصور البر مقتدر الباري العلي الغني الولي القوي الحي الحميد المجيد الودود الصمد الأحد الواحد الأول الأعلى المتعال الخالق الخلاق الرزاق الحق اللطيف رءوف عفو الفتاح المتين المبين المؤمن المهيمن الباطن القدوس الملك مليك الأكبر الأعز السيد سبوح وتر محسان جميل رفيق المسعر القابض الباسط الشافي المعطي المقدم المؤخر الدهر فهذا الذي روينا عن أشياخنا عن أشياخهم عنه في إحصائه و عندنا من القرآن أسماء أخر جاءت مضافة و هي عندنا من الأسماء و ليست عنده من الأسماء و كذلك في الأخبار و من

أراد أن يقف على أسماء الله تعالى على الحقيقة فلينظر في قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ و على الحقيقة فما في الوجود إلا أسماؤه و لكن حجبت عيون البصائر عن العلم بها أعيان الأكوان فإنه سبحانه الواقي لا غيره فهو المحتجب بكل واق و شبه هذا فهو فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا و جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً و جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و قيام السموات و الأرض و هو الصبور و قابِلِ التَّوْبِ و سَرِيعُ الْحِسابِ و شَدِيدُ الْعِقابِ و رَفِيعُ الدَّرَجاتِ و ذُو الْعَرْشِ و ذو المعارج و قد رميت بك على الطريق فهذا قسم الصفات الدالة على المعاني و النسب و الإضافات كالأول و الآخر و الظاهر و الباطن (القسم الثالث) و هو أسماء الأفعال و هي صريح كالمصور و مضمن مثل قوله وَ مَكَرَ اللهُ و أسماء الأفعال كلها أسماء الإرادة (القسم الرابع) أسماء الاشتراك كاسمه المؤمن و الرب فالمؤمن المصدق و المؤمن معطي الأمان و الرب المالك و الرب المصلح و الرب السيد و الرب المربي و الرب الثابت فإذا حصل بيدك اسم من الأسماء الإلهية فانظر في أية مرتبة هو من هذه المراتب فادع به من حيث مرتبته لا تخرجه عنها جملة واحدة و لا تغفل عن دلالته على الذات التي لها هذه النعوت كلها تكن أحدي العين في عين الكثرة فتكون الواحد الكثير فإن المراتب و الحقائق تطلب الأسماء لمن هي صفاته حتى إذا دعي بها زهت و علمت إن لله بها عناية حيث أطلق عليه من أحكامها أسماء و حيث جعل ذاته محلا لأحكامها فالحلم معنى معقول يطلق منه اسم على من ظهر فيه حكمه و هو الحليم مع المقدرة و المتجاوز و الصفوح و العفو و كذلك مرتبة الكرم معنى معقول يطلق منه اسما على من ظهر منه حكمه كالكريم و المعطي و الجواد و الوهاب و المنعم و هكذا تأخذ جميع الأسماء على حد ما أشرت إليك و لا تتعد بها مراتبها مع علمك أنه ليس في أسماء الله ترادف و إنها كلها متباينة فهذا قد أبنت لك عن العلم الأول من المعرفة الذي لأهل الله مجملا مع نبذ من التفصيل فتفهم ذلك النوع الثاني من علوم المعرفة و هو علم التجلي اعلم أن التجلي الإلهي دائم لا حجاب عليه و لكن لا يعرف أنه هو و ذلك أن الله لما خلق العالم أسمعه كلامه في حال عدمه و هو قوله كن و كان مشهودا له سبحانه و لم يكن الحق مشهودا له و كان على أعين الممكنات حجاب العدم لم يكن غيره فلا تدرك الموجود و هي معدومة كالنور ينفر الظلمة فإنه لا بقاء للظلمة مع وجود النور كذلك العدم و الوجود فلما أمرها بالتكوين لإمكانها و استعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لأن في قوتها الرؤية كما في قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فعند ما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم و فتح عينيه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو و لا علم أنه الذي أمره بالتكوين فأفاده التجلي علما بما رآه لا علما بأنه هو الذي أعطاه الوجود فلما انصبغ بالنور التفت على اليسار فرأى العدم فتحققه فإذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابلة النور فقال ما هذا فقال له النور من الجانب الأيمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فإنا

النور و أنا مذهبه و نورك الذي أنت عليه إنما هو من حيث ما يواجهني من ذاتك ذلك لتعلم أنك لست أنا فإنا النور بلا ظل و أنت النور الممتزج لإمكانك فإن نسبت إلى قبلتك و إن نسبت إلى العدم قبلك فأنت بين الوجود و العدم و أنت بين الخير و الشر فإن أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن إمكانك و إذا أعرضت عن إمكانك جهلتني و لم تعرفني فإنه لا دليل لك على أني إلهك و ربك و موجدك إلا إمكانك و هو شهودك ظلك و إن أعرضت عن نورك بالكلية و لم تزل مشاهدا ظلك لم تعلم أنه ضل إمكانك و تخيلت أنه ظل المحال و المحال و الواجب متقابلان من جميع الوجوه فإن دعوتك لم تجبني و لم تسمعني فإنه يصمك ذلك المشهود عن دعائي فلا تنظر إلي نظرا يفنيك عن ظلك فتدعى أنك أنا فتقع في الجهل و لا تنظر إلى ظلك نظرا يفنيك عني فإنه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة و تارة و ما خلق الله لك عينين إلا لتشهدني بالواحدة و تشهد ظلك بالعين الأخرى و قد قلت لك في معرض الامتنان أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ أي بينا له الطريقين طريق النور و الظل إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً فإن العدم المحال ظلمة و عدم الممكن ظل لا ظلمة و لهذا في الظل راحة الوجود و اعلم أن التجلي الأول الذي حصل للممكن عند ما اتصف بالوجود و انصبغ بالنور هو التجلي للأرواح النورية التي ليست لها هذه الهياكل المظلمة و لكن لها ظل إمكانها الذي لا يبرح فيها و هي و إن كانت نورا بما انصبغت به فظلها فيها لا ظهور له عليها و حكمه فيها لا يزول و هذه المرتبة كان يريد أن يكون نهى رسول الله ص إذ كان يقول في دعائه اللهم اجعلني نورا ثم بعد هذا التجلي الإبداعي الذي هيم بعض الأرواح النورية تجلى تجليا لبعض هذه الأرواح المبدعة فعلم منه في هذا التجلي جميع المراتب التي تظهر عنه في عالم الأنوار و الظلم و اللطائف و الكثائف و البسائط و المركبات و الجواهر و الأعراض و الأزمنة و الأمكنة و الإضافات و الكيفيات و الكميات و الأوضاع و الفاعلات و المنفعلات إلى يوم القيامة و أنواع العالم و مبلغها مائتا ألف مرتبة و سبع آلاف مرتبة و ستمائة مرتبة و قام هذا العدد من ضرب ثلاثمائة و ستين في مثلها ثم أضيف إليها ثمانية و سبعون ألفا فكان المجموع ما ذكرناه و هو علم العقل الأول و عمر العالم من حين ولي النظر فيه هذا المفعول الإبداعي و ما قبل ذلك فمجهول لا يعلمه إلا الله تعالى فلما علم العقل من هذا التجلي هذه المراتب و هي علومه كان من جملة ذلك انبعاث النفس الكلية عنه و هي أول مفعول انبعاثي و هي ممتزجة بين ما انفعل عنها و بين ما انفعلت عنه فالذي انفعلت عنه نور و الذي انفعل عنها ظلمة و هي الطبيعة فظهر ظل النفس في ظاهرها مما يلي جانب الطبيعة لكن لم يمتد عنها ظلها كما يمتد عن الأجسام الكثيفة و انتقش فيها جميع ما للعقل من العلوم التي ذكرناها و لها وجه خاص إلى الله لا علم للعقل به فإنه سر الله الذي بينه و بين كل مخلوق لا تعرف نسبته و لا يدخل تحت عبارة و لا يقدر مخلوق على إنكار وجوده فهو المعلوم المجهول و هذا هو التجلي في الأشياء المبقي أعيانها و أما التجلي للأشياء فهو تجلى يفني أحوالا و

يعطي أحوالا في المتجلي له و من هذا التجلي توجد الأعراض و الأحوال في كل ما سوى الله ثم له تجل في مجموع الأسماء فيعطي في هذا التجلي في العالم المقادير و الأوزان و الأمكنة و الأزمان و الشرائع و ما يليق بعالم الأجسام و عالم الأرواح و الحروف اللفظية و الرقمية و عالم الخيال ثم له تجل آخر في أسماء الإضافة خاصة كالخالق و ما أشبهه من الأسماء فيظهر في العالم التوالد و التناسل و الانفعالات و الاستحالات و الأنساب و هذه كلها حجب على أعيان الذوات الحاملات لهذه الحجب عن إدراك ذلك التجلي الذي لهذه الحجب الموجد أعيانها في أعيان الذوات و بهذا القدر تنسب الأفعال للأسباب و لولاها لكان الكشف فلا يجهل و لكن كما قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و وقوع خلاف المعلوم محال فبالتجلي تغير الحال على الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود و به ظهر الانتقال من حال إلى حال في الموجودات و هو خشوع تحت سلطان التجلي فله النقيضان يمحو و يثبت و يوجد و يعدم و قد بين الله لنا ذلك بقوله تعالى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا فنقله من حال الشموخ إلى حال الخشوع و الاندكاك و قال ص في الحديث الذي صححه الكشف إن الله إذا تجلى لشيء خشع له فالله متجل على الدوام لأن التغيرات مشهودة على الدوام في الظواهر و البواطن و الغيب و الشهادة و المحسوس و المعقول فشأنه التجلي و شأن الموجودات التغيير بالانتقال من حال إلى حال فمنا من يعرفه و منا من لا يعرفه فمن عرفه عبده في كل حال و من لم يعرفه أنكره في كل حال ثبت في الصحيح أن النبي ص قال الحمد لله على كل حال فأثنى عليه على كل حال لأنه المعطي بتجليه كل حال و أوضح من هذا في التبليغ ما يكون مع إقامة الحدود و إنكار ما ينبغي أن ينكر فإن المنكر بالتغيير أنكر يَسْئَلُهُ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ أحوال إلهية في أعيان كيانية بأسماء نسبية عينتها تغييرات كونية فتجلى أحدي العين في أعيان مختلفة الكون فرأت صورها فيه فشهد العالم بعضه بعضا في تلك العين فمنه المناسب و هو الموافق و منه غير المناسب و هو المخالف فظهرت الموافقة و الخلاف في أعيان العالم دنيا و آخرة لأنه لا تزال أعيان العالم تبصر بعضها بعضا في تلك العين المنجلية فتنعكس أنوارها عليها بما تكتسبه من تلك العين فيحدث في العالم ما يحدث دنيا و آخرة عن أثر حقيقة تلك العين لما تعلقت بها أبصار العالم كالمرآة تقابل الشمس فينعكس ضوءها على القطن المقابل لانعكاس النور فيحدث فيه الحرق هذا عين ما يظهر في العالم من تأثير بعضه في بعض من شهود تلك العين فالمؤثر روحاني و الذي تأثر طبيعي و ما من شيء تكون له صورة طبيعية في العالم إلا و لها روح قدسي و تلك العين لا تتحجب أبدا فالعالم في حال شهود أبدا و التغيير كائن أبدا لكن الملائم و غير الملائم و هو المعبر عنه بالنفع و الضرر فهذا علم التجلي من أحد أقسام المعرفة إن لم يحصل للإنسان مع بقية إخوانه فليس بعارف و لا حصل له مقام المعرفة النوع الثالث من المعرفة و هو العلم بخطاب الحق عباده بالسنة الشرائع اعلم وفقك الله أن ما عدا الثقلين من كل ما سوى الله على معرفة بالله و وحي من الله و علم بمن

تجلى له مفطور على ذلك سعيد كله و لهذا قال تعالى أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ من في السَّماواتِ وَ من في الْأَرْضِ فعم ثم فصل ليبين للناس ما نزل إليهم فقال وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ من النَّاس و هو قوله إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ يقول و ما هم قليل يعني أنهم كثير فهو قوله وَ كَثِيرٌ من النَّاسِ ثم قال وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ و سبب ذلك إن وكله من حيث نفسه الناطقة الموجودة بين الطبيعة و النور بما جعل الله فيها من الفكر ليكتسب به المعرفة بالله تعالى اختيارا من الله و أعطاها العقل كما أعطى سائر الموجودات و أعطاه صفة القبول و عشقه بالقوة المفكرة لاستنباط العلوم من ذاته لتظهر فيه قوة إلهية فإنه يحب الرئاسة و الظهور و الشفوف على أبناء جنسه لاشتراكهم في ذلك ثم لما أعطاهم القوة المفكرة نصب لهم علامات و دلائل تدل على الحدوث لقيامها بأعيانهم و نصب لهم دلائل و علامات تدل على القدم الذي هو عبارة عن نفي الأولية عن وجوده و تلك الدلائل بأعيانها هي التي نصبها للدلالة على الحدوث فسلبها عن الذات القديمة المسماة الله هو الدليل ليس غير ذلك فللأدلة وجهان و هي عين واحدة يدل ثبوتها على حدوث العالم و سلبها على موجد العالم فلما نظر بهذا النظر و قال عرفت الله بما نصبه من الأدلة على معرفتنا بنا و به و هي الآيات المنصوبة في الآفاق و في أنفسنا حتى يتبين لنا أنه الحق و قد تبين و هو الذي عبرنا عنه بالتجلي فإن التجلي إنما هو موضوع للرؤية و ذلك قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فذكر الرؤية و الآيات للتجلي فيتبين لهم أنه الحق يعني ذلك التجلي الذي رأوه علامة أنه علامة على نفسه ف يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ المطلوب و لهذا تمم فقال في الآية عينها أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ يعني أن يكون دليلا على نفسه و أوضح الدلالات دلالة الشيء على نفسه بظهوره فلما حصلت لعقولهم هذه المعرفة بالتنزيه عما نسبوه إلى ذوات العالم و هو دليل واحد العين متردد في الدلالة بين سلب لمعرفة الله و بين إثبات لمعرفة العالم أقام الحق لهذا الجنس الإنساني شخصا ذكر أنه جاء إليهم من عند الله برسالة يخبرهم بها فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا إن الأمر جائز ممكن فلم يقدموا على تكذيبه و لا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا و سألوه هل جئت إلينا بعلامة من عنده حتى نعلم أنك صادق في رسالتك فإنه لا فرق بيننا و بينك و ما رأينا لك أمرا تميزت به عنا و باب الدعوى مفتوح و من الدعوى ما يصدق و منها ما لا يصدق فجاء بالمعجزة فنظروا فيها نظر إنصاف و هي بين أمرين الواحد أن تكون مقدورة لهم فيدعي الصرف عنها مطلقا فلا تظهر إلا على يدي من هو رسول إلى يوم القيامة هذا إذا كانت معجزة لا آية فقط فإن المعجزات نصبت للخصم الألد الفاقد نور الايمان و الأمر الآخر أن تكون المعجزة خارجة عن مقدور البشر بالحس و الهمة معا فإذا أتى بأحد هذين الأمرين و تحققه الناظر دليلا آمن برسالته و صدقه في مقالته و إخباره عن ربه إذا كانت الدلالة على المجموع بحسب ما وقعت به الدعوى و لا يمكن في ذوق طريقنا تصديقه مع الدلالة إلا بتجل إلهي لقلبه من اسمه النور فإذا انصبغ باطنه بذلك النور صدقه فذلك نور الايمان و

غيره لم يحصل عنده من ذلك النور شيء مع علمه بأنه صادق من حيث الدلالة لا من حيث النور المقذوف في القلب فجحد مع علمه و هو قوله تعالى وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا و دونهم في هذه الرتبة من قيل فيه و أضله الله على علم فذلك نور العلم به لا نور الايمان فلما صدقه من صدقه و أظهر صدقه و اعتمد على عقله حيث قاده إلى الحق و لم يحصل له ضوء من نور الايمان يستضيء به و ما علم أنه بذلك النور صدقه لا بنور علمه الذي هو عند من جحده مع علمه بصدق دعواه فلما اعتمد على عقله هذا المصدق و جاء آخر من المصدقين به أيضا كشف الله له عن نور إيمانه و نور علمه فكان نورا على نور و جاء ثالث ما عنده من نور العلم النظري شيء و لا يعرف موضع الدلالة من تلك الآية المعجزة و قذف الله في قلبه نور الايمان فآمن و صدق و ليس معه نور علم نظري و لكن فطرة سليمة و عقل قابل و هيكل منور بعيد من استعمال الفكر فسارع في القبول فقعد هؤلاء الثلاثة الأصناف بين يدي هذا الرسول الذي صدقوه فأخذ الرسول يصف لهم مرسله الحق تعالى ليعرفهم به المعرفة التي ليست عندهم مما كانوا قد أحالوا مثل ذلك على الحق تعالى و سلبه عنه أهل الأدلة النظرية و أثبتوا تلك الصفات للمحدثات دلالة على حدوثها فلما سمعوا ما تنكره الأدلة العقلية النظرية و ترده افترقوا عند ذلك على فرق فمنهم من ارتد على عقبه و شك في دليله الذي دله على صدقه و أقام له في ذلك الدليل شبهات قادحة فيه صرفته عن الايمان و العلم به فارتد على عقبه و منهم من قال إن في جمعنا هذا من ليس عنده سوى نور الايمان و لا يدري ما العلم و لا ما طريقه و هذا الرسول لا نشك في صدقه و في حكمته و من الحكمة مراعاة الأضعف فخاطب هذا الرسول بهذه الصفات التي نسبها إلى ربه أنه عليها هذا الضعيف الذي لا نظر له في الأدلة و ليس عنده سوى نور الايمان رحمة به لأنه لا ينبت له الايمان إلا بمثل هذا الوصف و للحق أن يصف نفسه بما شاء على قدر عقل القابل و إن كان في نفسه على خلاف ذلك و اتكل هذا المخبر بهذا الوصف و المراعي حق هذا الأضعف على ما يعرفه من علمنا به و تحققه من صدقنا فيه و وقوفنا مع دليلنا فلا يقدح شيء من هذا فيما عندنا إذ قد عرفنا مقصود هذا الرسول بالأمر فثبتوا على إيمانهم مع كونهم أحالوا ما وصف الرسول به ربه في أنفسهم و أقروه حكمة و استجلابا للأضعف و فرقة أخرى من الحاضرين قالوا هذا الوصف يخالف الأدلة و نحن على يقين من صدق هذا المخبر و غايتنا في معرفتنا بالله سلب ما نسبناه لحدوثها فهذا أعلم بالله منا في هذه النسبة فنؤمن بها تصديقا له و نكل علم ذلك إليه و إلى الله فإن الايمان بهذا اللفظ ما يضرنا و نسبة هذا الوصف إليه تعالى مجهولة عندنا لأن ذاته مجهولة من طريق الصفات الثبوتية و السلب فما يعول عليه و الجهل بالله هو الأصل فالجهل بنسبة ما وصف الحق نفسه به في كتابه أعظم فلنسلم و لنؤمن على علمه بما قاله عن نفسه و فرقة أخرى من الحاضرين قالوا لا نشك في دلالتنا على صدق هذا المخبر و قد آتانا في نعت الله الذي أرسله إلينا بأمور إن

وقفنا عند ظاهرها و حملناها عليه تعالى كما نحملها على نفوسنا أدى إلى حدوثه و زال كونه إلها و قد ثبت فننظر هل لها مصرف في اللسان الذي جاء به فإن الرسول ما أرسل إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ فنظروا أبوابا مما يؤول إليها ذلك الوصف مما يقتضي التنزيه و ينفي التشبيه فحملوا تلك الألفاظ على ذلك التأويل فإذا قيل لهم في ذلك أي شيء دعاكم إلى ذلك قالوا أمر أن القدح في الأدلة فإنا بالأدلة العقلية أثبتنا صدق دعواه و لا نقبل ما يقدح في الدلالة العقلية فإن ذلك قدح في الدلالة على صدقه و الأمر الآخر قد قال لنا هذا الصادق إن الله الذي أرسله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و وافق الأدلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فإن قلنا ما قاله في الله على الوجه الذي يعطيه ظاهر اللفظ و نحمله عليه كما نحمله على المحدثات ضللنا فأخذنا في التأويل إثباتا للطريقين و فرقة أخرى و هي أضعف الفرق لم يتعدوا حضرة الخيال و ما عندهم علم بتجريد المعاني و لا بغوامض الأسرار و لا علموا معنى قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لا قوله وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و هم واقفون في جميع أمورهم مع الخيال و في قلوبهم نور الايمان و التصديق و عندهم جهل باللسان فحملوا الأمر على ظاهره و لم يردوا علمه إلى الله فيه فاعتقدوا نسبة ذلك النعت إلى الله مثل نسبته إلى نفوسهم و ما بعد هذه الطائفة طائفة في الضعف أكثر منها فإنهم على نصف الايمان حيث قبلوا نعت التشبيه و لم يعقلوا نعوت التنزيه من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و الفرقة الناجية من هؤلاء الفرق المصيبة للحق هي التي آمنت بما جاء من عند الله على مراد الله و علمه في ذلك مع نفي التشبيه ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فهذه يا ولي ألسنة الشرائع في العالم فجاء بالصورة في حق الحق و العين و اليد و الرجل و السمع و البصر و الرضي و الغضب و التردد و التبشبش و التعجب و الفرح و الضحك و الملل و المكر و الخداع و الاستهزاء و السخرية و السعي و الهرولة و النزول و الاستواء و التحديد في القرب و الصبر على الأذى و ما جرى هذا المجرى مما هو نعت المخلوقين ذلك لنؤمن عامة و لنعلم أن التجلي الإلهي في أعيان الممكنات أعطى هذه النعوت فلا شاهد و لا مشهود إلا الله فالسنة الشرائع دلائل التجليات و التجليات دلائل الأسماء الإلهية فارتبطت أبواب المعرفة بعضها ببعض فكل لفظ جاءت به الشريعة فهو على ما جاءت به لكن عالمنا يعرف بأي لسان تكلم الشرع و لمن خاطب و بمن خاطب و بما خاطب و لمن ترجع الأفعال و إلى من تنسب الأقوال و من المتقلب في الأحوال و من قال سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ لنقول و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب هذا أراد أن يسمع منا و قد قلناه و الحمد لله (النوع الرابع) من علوم المعرفة و هو العلم بالكمال و النقص في الوجود اعلم أنه من كمال الوجود وجود النقص فيه إذ لو لم يكن لكان كمال الوجود ناقصا بعدم النقص فيه قال تعالى في كمال كل ما سوى الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما نقصه شيئا أصلا حتى النقص أعطاه خلقه فهذا كمال العالم الذي هو كل ما سوى الله إلا الله ثم الإنسان فلله كمال يليق به و للإنسان كمال يقبله و من نقص من الأناسي عن هذا الكمال فذلك النقص الذي في العالم لأن الإنسان من

جملة العالم و ما كل إنسان قبل الكمال و ما عداه فكامل في مرتبته لا ينقصه شيء بنص القرآن قال ص في الإنسان كمل من الرجال كثيرون و من النساء مريم و آسية و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فما ظهر في العالم نقص إلا في هذا الإنسان و ذلك لأنه مجموع حقائق العالم و هو المختصر الوجيز و العالم هو المطول البسيط فأما كمال الألوهية فظاهر بالشرائع و أما بأدلة العقول فلا فعين ما يراه العقل كما لا هو النقص عند الله لو كان كما يقتضيه دليل العقل فجاء العقل بنصف معرفة الله و هو التنزيه و سلب أحكام كثيرة عنه تعالى و جاء الشارع يخبر عن الله بثبوت ما سلب عنه العقل بدلالته و تقرير ما سلبه عنه فجاء بالأمرين للكمال الذي يليق به تعالى فحير العقول فهذا هو الكمال الإلهي فلو لم يعط الحيرة لما ذكره لكان تحت حكم ما خلق فإن القوي الحسية و الخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها و العقول تطلبه بذواتها و أدلتها من نفي و إثبات و وجوب و جواز و إحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس و الخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول و الحواس تسمع فحارت الحواس و الخيال و قالوا ما بأيدينا منه شيء و خاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس و الخيال و العقول تسمع فحارت العقول و قالت ما بأيدينا منه شيء فعلا عن إدراك العقول و الحواس و الخيال و انفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فلم يعلمه سواه و لا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما و لا رأوا له عينا فآثار تشهد و جناب يقصد و رتبة تحمد و إله منزه و مشبه يعبد هذا هو الكمال الإلهي و بقي الإنسان متوسط الحال بين كمال الحيرة و الحد و هو كمال العالم فبالإنسان كمل العالم و ما كمل الإنسان بالعالم فلما انحصرت في الإنسان حقائق العالم بما هو إنسان لم يتميز عن العالم إلا بصغر الحجم خاصة و بقيت له رتبة كماله فجميع الموجودات قبلت كمالها و الحق كامل و الإنسان انقسم قسمين قسم لم يقبل الكمال فهو من جملة العالم غير أنه مجموع العالم جمعية المختصر من الكبير و قسم قبل الكمال فظهرت فيه لاستعداده الحضرة الإلهية بكمالها و جميع أسمائها فأقام هذا القسم خليفة و كساه حلة الحيرة فيه فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت فيه ما قالت لتنافر حقائقه التي ركب الله فيها جسده فلما أعلمها الحق بما خلقه عليه و أعطاه إياه حارت فيه فقالت لا علم لنا و الحائر لا علم له فأعطاه علم الأسماء الإلهية التي لم تسبحه الملائكة بها و لا قدسته كما قال ع إنه يحمد الله غدا في القيامة عند سؤاله في الشفاعة بمحامد لا يعلمها الآن يقتضيها الموطن فإن محامد الله تعالى بحسب ما تطلبها المواطن و النشآت فأعطت نشأة آدم و من أشبهه من أولاده الأهلية للخلافة في العالم و ما كان ذلك لغيرهم فكان كمال الإنسان بهذا الاستعداد لهذا التجلي الخاص فظهر بأسماء الحق على تقابلها و أعطاه الحق فيما بين له مصارفها فهو يظهر بما ظهر من استخلفه و هي المسمى في الخلافة بالحق و العدل قال الله لداود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فيهوي بمتبعه عن هذه الدرجة التي أهلت لها و أهلت لك و لأمثالك كما قال أبو العاهية

أتته الخلافة منقادة　　إليه تجرر أذيالها

و لم تك تصلح إلا له　　و لم يك يصلح إلا لها

و لو رامها أحد غيره　　لزلزلت الْأَرْضُ زِلْزالَهَا

فإذا أعطى التحكم في العالم فهي الخلافة فإن شاء تحكم و طهر كعبد القادر الجيلي و إن شاء سلم و ترك التصرف لربه في عباده مع التمكن من ذلك لا بد منه كأبي مسعود بن الشبلي إلا أن يقترن به أمر إلهي كداود فلا سبيل إلى رد أمر الله فإنه الهوى الذي نهي عن اتباعه و كعثمان رضي الله عنه الذي لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق فيه فإن رسول الله ص نهاه أن يخلع عنه ثوب الخلافة فكل من اقترن بتحكمه أمر إلهي وجب عليه الظهور به و لا يزال مؤيدا و من لم يقترن به أمر إلهي فهو مخير إن شاء ظهر به ظهر بحق و إن شاء لم يظهر فاستتر بحق و ترك الظهور أولى فتلحق الأولياء الأنبياء بالخلافة خاصة و لا يلحقونهم في الرسالة و النبوة فإن بابهما مسدود فللرسول الحكم فإن استخلف فله التحكم فإن كان رسولا فتحكمه بما شرع و إن لم يكن رسولا فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمانه فإنه بالحكم ينسب إلى العدل و الجور انتهى الجزء العاشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(النوع الخامس) من علوم المعرفة و هو علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه اعلم أن الإنسان ما أعطى التحكم في العالم بما هو إنسان و إنما أعطى ذلك بقوة إلهية ربانية إذ لا تتحكم في العالم إلا صفة حق لا غير و هي في الإنسان ابتلاء لا تشريف و لو كانت تشريفا بقيت معه في الآخرة في دار السعداء و لو كانت تشريفا ما قيل له وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فحجرت عليه و التحجير ابتلاء و التشريف إطلاق و لا نسب في التحكم إلى عدل و لا إلى جرر و لا ولي الخلافة في العالم إلا أهل الله بل ولى الله التحكم في العالم من أسعده الله به و من أشقاه من المؤمنين و مع هذا أمرنا الحق أن نسمع له و نطيع و لا نخرج يدا من طاعة و قال فإن جاروا فلكم و عليهم و هذه حالة ابتلاء لا حالة شرف فإنه في حركاته فيها على حذر و قدم غرور و لهذا يكون يوم القيامة على بعض الخلفاء ندامة فإذا وقف الإنسان على معرفة نفسه و اشتغل بالعلم بحقائقه من حيث ما هو إنسان فلم ير فرقا بينه و بين العالم و رأى أن العالم الذي هو ما عدا الثقلين ساجد لله فهو مطيع قائم بما تعين عليه من عبادة خالقه و منشئه طلب الحقيقة التي يجتمع فيها مع العالم فلم يجد إلا الإمكان و الافتقار و الذلة و الخضوع و الحاجة و المسكنة ثم نظر إلى ما وصف به الحق العالم كله فرآه قد وصفه بالسجود له حتى ظله و رأى أنه ما وصف بذلك من جنسه إلا الكثير لا الكل كما وصف كل جنس من العالم فخاف أن يكون من الكثير الذي حق عليه العذاب ثم رأى أن العالم قد فطروا بالذات

على عبادة الله و افتقر هذا الإنسان إلى من يرشده و يبين له الطريق المقربة إلى سعادته عند الله لما سمع الله يقول وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فعبده بالافتقار إليه كما عبد سائر العالم ثم رأى أن الله قد حد له حدودا و رسم له أمورا و نهاه أن يتعداها و إن يأتي من أمره سبحانه ما استطاع فتعين عليه العلم بما شرع الله له ليقيم عبادة الله الفرعية كما أقام العبادة الأصلية فإن العبادة الأصلية هي التي تطلبها ذوات الممكنات بما هي ممكنات و العبادات الفرعية هي أعمال يفتقر فيها العبد إلى إخبار إلهي من حيث ما يستحقه سيده و ما تقتضيه عبوديته فإذا علم أمر سيده و نهيه و وفى حق سيده تعالى و حق عبودته فقد عرف نفسه و كل من عرف نفسه عرف ربه و من عرف ربه عبده بأمره فما ثم من جمع بين العبادتين عبادة الأمر و عبادة النهي إلا الثقلان فإن الأرواح الملكية لا نهي عندها ؟؟ قال فيهم لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ و لم يذكر لهم نهي و قال في عبادتهم الذاتية يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ فإن حقيقة نشأتهم تعطي ذلك فهذه هي العبادة الذاتية و هي عبادة سارية في كل ما سوى الله و لما كان الإنسان مجموع حقائق العالم كما قلنا و عرف نفسه من جهة حقائقه تعين عليه أن يقوم وحده من حيث هو بعبادة جميع العالم و إن لم يفعل فما عرف نفسه من جهة حقائقه لأنها عبادة ذاتية و صورة معرفته بذلك أن يشاهد جميع حقائقه كلها في عبادتها كشفا كما هي عليه في نفسها سواء كوشف بذلك أو لم يكاشف فهذا الذي أريده بالعلم بحقائقه أي عن الكشف فإذا شاهدها لم يتمكن له مخالفة أمر سيده فيما أمر به من عبادته بالوقوف عند حدوده و مراسمه فيما دخل فيه و فيما خرج عنه فإذا قال سبحان الله بكله على ما رسمنا انتقش في جوهر نفسه جميع ما قاله العالم كله من حيث تلك التسبيحة و هذه هي النفس الزكية التي تسمى لسان العالم بحيث لو صح أن يتعطل شيء من العالم في عبادة ربه لقام هذا العبد العارف بهذا القدر مقامه فيما فرط فيه و سد مسده لو تصور هذا و يجازى هذا العبد من جانب الحق بهذا القدر و هو مجازاة الأصغر بجائزة الأكبر يقول لو قدرنا العالم كله ما سوى الإنسان غفل عن عبادة الله طرفة عين و كان هذا الإنسان ذاكر الله قائما بحقه في تلك اللحظة ناب مناب العالم و سد مسده فجوزي بجزاء العالم كله و إن كان لا يتصور من العالم غفلة فإنه ليس من أهل الغفلة إلا الثقلان خاصة فانظر ما أعطاك العلم بنفسك و بما أنت عليه من حقائق الكون

(النوع السادس) من علوم المعرفة و هو علم الخيال و عالمه المتصل و المنفصل و هذا ركن عظيم من أركان المعرفة و هذا هو علم البرزخ و علم عالم الأجساد التي تظهر فيها الروحانيات و هو علم سوق الجنة و هو علم التجلي الإلهي في القيامة في صور التبدل و هو علم ظهور المعاني التي لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت في صورة كبش و هو علم ما يراه الناس في النوم و علم الموطن الذي يكون فيه الخلق بعد الموت و قبل البعث و هو علم الصور و فيه تظهر الصور المرئيات في الأجسام الصقيلة كالمرآة و ليس بعد العلم بالأسماء الإلهية و لا

التجلي و عمومه أتم من هذا الركن فإنه واسطة العقد إليه تعرج الحواس و إليه تنزل المعاني و هو لا يبرح من موطنه تجبى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ و هو صاحب الإكسير الذي تحمله على المعنى فيجسده في أي صورة شاء لا يتوقف له النفوذ في التصرف و الحكم تعضده الشرائع و تثبته الطبائع فهو المشهود له بالتصرف التام و له التحام المعاني بالأجسام يحير الأدلة و العقول فلنبينه إن شاء الله في هذا الفصل بأوجز ما يمكن و أبلغ و الله الموفق لا رب غيره اعلموا يا إخواننا أنه ما من معلوم كان ما كان إلا و له نسبة إلى الوجود بأي نوع كان من أنواع الوجود فإنه على أربعة أقسام فمنها معلوم يجمع مراتب الوجود كلها و منها معلوم يتصف ببعض مراتب الوجود و لا يتصف ببعضها و هذه المراتب الأربعة التي للوجود منها الوجود العيني و هو الموجود في نفسه على أي حقيقة كان من الاتصاف بالدخول و الخروج أو بنفيهما فيكون مع كونه موجودا في عينه لا داخل العالم و لا خارج لعدم شرط الدخول و الخروج و هو التحيز و ليس ذلك إلا لله خاصة و أما ما هو من العالم قائم بنفسه غير متحيز كالنفوس الناطقة و العقل الأول و النفس و الأرواح المهيمة و الطبيعة و الهباء و أعني بهذه كلها أرواحها فكل ذلك داخل في العالم إلا أنه لا داخل أجسام العالم و لا خارج عنها فإنها غير متحيزات (و المرتبة الثانية) الوجود الذهني و هو كون المعلوم متصورا في النفس على ما هو عليه في حقيقته فإن لم يكن التصور مطابقا للحقيقة فليس ذلك بوجود له في الذهن (و المرتبة الثالثة) الكلام و للمعلومات وجود في الألفاظ و هو الوجود اللفظي و يدخل في هذا الوجود كل معلوم حتى المحال و العدم فإن له الوجود اللفظي فإنه يوجد في اللفظ و لا يقبل الوجود العيني أبدا أعني المحال و أما العدم فإن كان العدم الذي يوصف به الممكن فيقبل الوجود العيني و إن كان العدم الذي هو المحال فلا يقبل الوجود العيني (و المرتبة الرابعة) الوجود الكتابي و هو الوجود الرقمي و هو نسبته إلى الوجود في الخط أو الرقم أو الكتابة و نسبة المعلومات كلها من المحال و غير المحال نسبة واحدة فهذا المحال و إن كان لا يوجد له عين فله نسبة وجود في اللفظ و الخط فما ثم معلوم لا يتصف بالوجود بوجه و سبب ذلك قوة الوجود الذي هو أصل الأصول و هو الله تعالى إذ به ظهرت هذه المراتب و تعينت هذه الحقائق و بوجوده عرف من يقبل مراتب الوجود كلها ممن لا يقبلها فالأسماء متكلما بها كانت أو مرقومة ينسحب وجودها على كل معلوم فيتصف ذلك المعلوم بضرب من ضروب الوجود فما في العلم معدوم مطلق العدم ليس له نسبة إلى الوجود بوجه ما هذا ما لا يعقل فافهم هذا الأصل و تحققه ثم اعلم بعد هذا أن حقيقة الخيال المطلق هو المسمى بالعماء الذي هو أول ظرف قبل كينونة الحق ورد في الصحيح أنه قيل لرسول الله ص أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء و إنما قال هذا من أجل إن العماء عند العرب هو السحاب الرقيق الذي تحته هواء و فوقه هواء فلما سماه بالعماء أزال ما يسبق إلى فهم العرب من ذلك فنفى عنه الهواء حتى يعلم أنه لا يشبهه من كل وجه فهو أول موصوف

بكينونة الحق فيه فإن للحق على ما أخبر خمس كينونات كينونة في العماء و هو ما ذكرناه و كينونة في العرش و هو قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و كينونة في السماء في قوله ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا و كينونة في الأرض و هو قوله وَ هُوَ اللهُ في السَّماواتِ وَ في الْأَرْضِ و كينونة عامة و هو مع الموجودات على مراتبها حيثما كانت كما بين ذلك في حقنا فقال وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كل هذه النسب بحسب ما يليق بجلاله من غير تكييف و لا تشبيه و لا تصور بل كما تعطيه ذاته و ما ينبغي أن ينسب إليها من ذلك لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ فلا يصل أحد إلى العلم و لا إلى الظفر بحقيقته الْحَكِيمُ الذي نزل لعباده في كلماته فقرب البعيد في الخطاب لحكمة أرادها تعالى ففتح الله تعالى في ذلك العماء صور كل ما سواه من العالم إلا إن ذلك العماء هو الخيال المحقق ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها و يصور ما ليس بكائن هذا لاتساعه فهو عين العماء لا غيره و فيه ظهرت جميع الموجودات و هو المعبر عنه بظاهر الحق في قوله هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ و لهذا في الخيال المتصل يتخيل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله بتصوره فإذا تحكم عليه الخيال المتصل فما ظنك بالخيال المطلق الذي هو كينونة الحق فيه و هو العماء فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل ثم جاء الشرع في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل من كينونة الحق في قبلة المصلي و في مواجهة المصلي إياه فقبله الخيال المتصل و هو من بعض وجوه الخيال المطلق الذي هو الحضرة الجامعة و المرتبة الشاملة و انتشاء هذا العماء من نفس الرحمن من كونه إلها لا من كونه رحمانا فقط فجميع الموجودات ظهر في العماء بكن أو باليد الإلهية أو باليدين إلا العماء فظهوره بالنفس خاصة و لو لا ما ورد في الشرع النفس ما أطلقناه مع علمنا به و كان أصل ذلك حكم الحب و الحب له الحركة في المحب و النفس حركة شوقية لمن تعشق به و تعلق له في ذلك التنفس لذة و قد قال تعالى كما ورد كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فبهذا الحب وقع التنفس فظهر النفس فكان العماء فلهذا أوقع عليه اسم العماء الشارع لأن العماء الذي هو السحاب يتولد من الأبخرة و هي نفس العناصر لما فيه من حكم الحرارة فلهذا الالتفات سماه عماء ثم نفى عنه الهواء الذي يحيط به كما يحيط بجسم السحاب و يصرفه الهواء حيث شاء فنفى أن يكون هذا العماء يتحكم فيه غيره إذ هو أقرب الموجودات إلى الله الكائن عن نفسه فلما عمر هذا العماء الخلأ كله الذي هو مكان العالم أو ظرفه إذ لو انعدم العالم لتبين الخلأ و هو امتداد متوهم في غير جسم فهذا العماء هو الحق المخلوق به كل شيء و سمي الحق لأنه عين النفس و النفس مبطون في المتنفس هكذا يعقل فالنفس له حكم الباطن فإذا ظهر له حكم الظاهر ف هُوَ الْأَوَّلُ في الباطن وَ الْآخِرُ في الظاهر وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فإنه فيه ظهر كل شيء مسمى من معدوم يمكن وجود عينه و من معدوم يوجد عينه ثم ظهر في عين هذا العماء أرواح الملائكة المهيمة و ما هم ملائكة بل هم أرواح مطهرة ثم ما زال يظهر فيه صور أجناس العالم شيئا بعد شيء و طورا بعد طور إلى أن كمل من حيث أجناسه فلما كمل بقيت الأشخاص من

هذه الأجناس تتكون دائما تكوين استحالة من وجود إلى وجود لا من عدم إلى وجود فخلق آدم من تراب و خلق بنى آدم من نطفة و هي الماء المهين ثم خلق النُّطْفَةَ عَلَقَةً فلهذا قلنا في الأشخاص إنها مخلوقة من وجود لا من عدم فإن الأصل على هذا كان و هو العماء من النفس و هو وجود و هو عين الحق المخلوق به و أجناس العالم مخلوقون من العماء و أشخاص العالم مخلوقون من العماء أيضا و من أنواع أجناسه فما خلق شيء من عدم لا يمكن وجوده بل ظهر في أعيان ثابتة و هو قولنا في أول هذا الكتاب الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم و عدمه عن عدم من حيث إنه لم يكن لها عين ظاهرة و عدمه و عدم العدم وجود أي و إن لم يكن لها عين فهذه العين من وجود ظهرت على الحقيقة فأعدمت العدم الأول الذي أثبته بنسبة ما فهو من حيث تلك النسبة ثابت و من هذه النسبة الأخرى منفي و إذا تحققت هذا فإن شئت قلت هو عن عدم و إن شئت قلت هو عن وجود بعد علمك بالأمر على ما هو عليه و لو لا قوة الخيال ما ظهر من هذا الذي أظهرناه لكم شيء فإنه أوسع الكائنات و أكمل الموجودات و يقبل الصور الروحانيات و هو التشكل في الصور المختلفة من الاستحالة الكائنة و الاستحالة منها ما فيها سرعة كاستحالة الأرواح صورا جسدية و المعاني صورا جسدية تظهر في كون هذا العماء و ثم استحالات فيها بطء كاستحالة الماء هواء و الهواء نارا و النطفة إنسانا و العناصر نباتا و حيوانا فهذه كلها و إن كانت استحالات فما لها سرعة استحالة الصور في القوة المتخيلة في الإنسان و هو الخيال المتصل و لا في استحالات صور الأرواح في صور الأجسام أجسادا كالملائكة في صور البشر فإن السرعة هنالك أقوى و كذا زوالها أسرع من استحالات الأجسام بعد الموت إلى ما تستحيل إليه ثم إذا فهمت هذا الأصل علمت أن الحق هو الناطق و المحرك و المسكن و الموجد و المذهب فتعلم أن جميع الصور بما ينسب إليها مما هو له خيال منصوب و أن حقيقة الوجود له تعالى ألا ترى إلى واضع خيال الستارة ما وضعه إلا ليتحقق الناظر فيه علم ما هو أمر الوجود عليه فيرى صورا متعددة حركاتها و تصرفاتها و أحكامها لعين واحدة ليس لها من ذلك شيء و الموجد لها و محركها و مسكنها بيننا و بينه تلك الستارة المضروبة و هو الحد الفاصل بيننا و بينه به يقع التميز فيقال فيه إله و يقال فينا عبيد و عالم أي لفظ شئت ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود و بين الأجسام النورية و الطبيعة كالعلم و الحركة هذا في النفوس و هذه في الأجسام فتتجسد في حضرة الخيال كالعلم في صورة اللبن و كذلك تعين النسب و إن كانت لا عين لها لا في النفس و لا في الجسم كالثبات في الأمر نسبة إلى الثابت فيه يظهر هذا الثبات في صورة القيد المحسوس في حضرة الخيال المتصل و كالأرواح في صور الأجسام المتشكلة الظاهرة بها كجبريل في صورة دحية و من ظهر من الملائكة في صور الذر يوم بدر هذا في الخيال المنفصل و كالعصا و الحبال في صور الحيات تسعى كما قال يُخَيَّلُ إِلَيْهِ يعني إلى موسى من سِحْرِهِمْ أي من علمهم بما فعلوه أَنَّهَا تَسْعى فأقاموا ذلك في حضرة

الخيال فأدركها موسى مخيلة و لا يعرف أنها مخيلة بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم و لهذا خاف فقيل له لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى فالفرقان بين الخيال المتصل و الخيال المنفصل أن المتصل يذهب بذهاب المتخيل و المنفصل حضرة ذاتية قابلة دائما للمعاني و الأرواح فتجسدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك و من هذا الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل و الخيال المتصل على نوعين منه ما يوجد عن تخيل و منه ما لا يوجد عن تخيل كالنائم ما هو عن تخيل ما يراه من الصور في نومه و الذي يوجد عن تخيل ما يمسكه الإنسان في نفسه من مثل ما أحس به أو ما صورته القوة المصورة إنشاء لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها لكن جميع آحاد المجموع لا بد أن يكون محسوسا فقد يندرج المتخيل الذي هو صورة الملك في صورة البشر و هو من الخيال المنفصل في الخيال المتصل فيرفعه في الخيال المتصل و هو خيال بينهما صورة حسية لولاها ما رفع مثالها الخيال المتصل و من هذا الباب التجلي الإلهي في صور الاعتقادات و هذا مما يجب الايمان به خرج مسلم في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري و هو حديث طويل و فيه حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر و فاجر فيأتيهم رب العالمين تبارك و تعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فيقول ما ذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم و لم نصاحبهم قال فيقول أنا ربكم قال فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم و بين ربكم آية تعرفونه بها فيقولون نعم قال فَيُكْشَفُ عَنْ ساقٍ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود و لا يبقى من كان يسجد اتقاء و رياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم و قد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم قال فيقولون نعم أنت ربنا الحديث فانظر نظر المنصف في هذا الخبر من تحول الحق سبحانه في الصور و هو سبحانه لا غيره فأنكر في صورة و أقر به في صورة و العين واحدة و الصور مختلفة فهذا عين ما أردناه من اختلاف الصور في العماء أعني صور العالم فالصور بما هي صور هي المتخيلات و العماء الظاهرة فيه هو الخيال و في هذا الحديث شفاء لكل صاحب علة إذا استعمله بالنظر السديد على الإنصاف و طلب الحق و هكذا تجليه على القلوب و في أعيان الممكنات فهو الظاهر و هو الصور بما تعطيه أعيان الممكنات باستعداد إنها فيمن ظهر فيها فالممكنات هو العماء و الظاهر فيه هو الحق و العماء هو الحق المخلوق به و اختلاف أعيان الممكنات في أنفسها في ثبوتها و الحكم لها فيمن ظهر فيها و هكذا أيضا تجلى الحق للنائم في حال نومه و يعرف أنه الحق و لا يشك و كذلك في الكشف و يقول له عابر الرؤيا حقا رأيت و هو في الخيال المتصل فما أوسع حضرة الخيال و فيها يظهر وجود المحال بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال فإن الواجب الوجود و هو الله تعالى لا يقبل الصور و قد ظهر بالصورة في هذه الحضرة فقد قبل المحال الوجود الوجود في هذه الحضرة و فيها

يرى الجسم في مكانين كما رأى آدم نفسه خارجا عن قبضة الحق فلما بسط الحق يده فإذا فيه آدم و ذريته الحديث فهو في القبضة و هو عينه خارج عن القبضة فلا تقبل هذه الحضرة إلا وجود المحالات و كذلك الإنسان في بيته نائم و يرى نفسه على صورته المعهودة في مدينة أخرى و على حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليها و هو عينه لا غيره لمن عرف أمر الوجود على ما هو عليه و لو لا هذه الرائحة ما قدر العقلاء على فرض المحال عند طلب الدلالة على أمر ما لأنه لو لم يقبل المحال الوجود في حضرة ما ما صح أن يفرض و لا يقدر فإذا قلت مثل هذا لمن فرضه ينسى بالخاصية حكم ما فرضه و يقول لا يتصور وجود المحال و هو يفرض وجوده و يحكم عليه بما يحكم على الواقع فلو لم يتصوره ما حكم عليه و إذا تصوره فقد قبل الوجود بنسبة ما فتحقق ما قلناه تجد الحق و من هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة و هو في نفس الأمر حي يرزق و يأكل يدركه المؤمن بإيمانه و المكاشف ببصره و كالميت في قبره يشاهده ساكنا و هو متكلم يسأل و يجيب فإن قلت لمن يرى هذا إنه خيل له يقول لك بل أنت خيل لك إنه ساكت و هو متكلم و خيل لك إنه مضطجع و هو قاعد و يعضده في قوله الايمان بالخبر الصحيح الوارد فهو أقوى في الدلالة منك فعينه أتم نظرا من عينك و الكامل النظر الذي هو أكمل من الاثنين يقول لكل واحد صدقت هو ساكت متكلم مضطجع قاعد مقتول حي و كل صورة مشهودة فيه من الباب الذي ذكرناه و من ذلك الصورة في المرآة و كل جسم صقيل إن كان الجسم الصقيل كبيرا كبرت الصورة المرئية فيه ثم إذا نظرت إلى الصورة من خارج وجدتها غير متنوعة فيما ظهر فيها من التنوع بتنوع المرائي حتى في تموج الماء تظهر الصورة متموجة و كل عين أي كل نظرة تقول للأخرى إنها في مقام الخيال و إن الحق بيدها و تصدق كل نظرة منها فتعلم قطعا إن الصورة المرئية في المرائي و الأجسام الصقيلة إنما ظهورها في الخيال كرؤية النائم و تشكل الروحاني سواء و إنها ليست في المرآة و لا في الحس فإنها تخالف صورة الحس من حيث تعلقه الخاص به دون المرآة و ليس في الوجود في الغيب و الشهادة إلا ما ذكرناه و كذلك إدراكات الجنة فاكهتها لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ مع وجود الأكل و ارتفاع الحجر فيأكلها من غير قطع بمجرد القطف و قربه من الشخص و عدم امتناعها من القطف و وجود الأكل و بقاء العين في غصن الشجرة فتشاهدها غير مقطوعة و تشهدها قطفا في يدك تأكلها و تعلم و لا تشك أن عين ما تأكله هو عين ما تشهده في غصن شجرته غير مقطوع و كذلك سوق الجنة تظهر فيه صور حسان إذا نظر إليها أهل الجنان فكل صورة يشتهيها دخل فيها فيلبسها و يظهر بها في ملكه و لعينه و هو يراها في السوق ما انفصلت و لا فقدت و لو اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها و هي على حالها في السوق ما برحت فهذا كله نظير الحقائق كالبياض في كل أبيض بذاته لا أنه انقسم و لا تجزأ بل حقيقة البياضية معقولة ما انتقص منها شيء مع وجودها في كل أبيض و كذلك الحيوانية في كل حيوان و الإنسانية في كل إنسان فيعترف بهذا جميع العقلاء و ينكرون ما

ذكرناه من هذه الأمور في التجلي و غيره فما جاء من ذلك في الكتاب و السنة اعترف به المؤمنون و ساعدوا أهل الكشف و أنكره أصحاب النظر و إن قبلوه قبلوه بتأويل بعيد أو بتسليم لمن قاله إذا كان القائل الله أو رسوله فإن ظهر عنك مثله جهلوك و أنكروا ذلك و نسبوك إلى فساد الخيال فهم يعترفون بما أنكروه فإنهم أثبتوا الخيال و فساده و لا يدل فساده على عدمه و إنما هو فساده حيث لم يطابق عنده الصحيح الذي هو صحيح و سواء عندنا قلت فيه صحيح أو فاسد قد ثبت عينه و إن تلك الصورة في الخيال فدعها تكون صحيحة أو فاسدة ما أبالي و لم يكن مقصودنا إلا إثبات وجود الخيال لم نتعرض إلى صحة ما يظهر فيه و لا إلى فساده فقد ثبت أن الحكم له بكل وجه و على كل حال في المحسوس و المعقول و الحواس و العقول و في الصور و المعاني و في المحدث و في القديم و في المحال و في الممكن و في الواجب و من لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة و هذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة ثم إنه مما يؤيد ما ذكرناه إنك لا تشك إنك مدرك لما أدركته إنه حق محسوس لما تعلق به الحس و أن الحديث الوارد عن النبي ص في قوله الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فنبه أن ما أدركتموه في هذه الدار هو مثل إدراك النائم بل هو إدراك النائم في النوم و هو خيال و لا تشك أن الناس في البرزخ بين هذه الدار و الدار الآخرة و هو مقام الخيال فانتباهك بالموت هو كمن يرى أنه استيقظ في النوم في حال نومه فيقول في النوم رأيت كذا و كذا و هو يظن أنه قد استيقظ و يعضد هذا الخبر قوله تعالى في حق الميت فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ أي تدرك ما لم تكن أدركته بالموت فهو يقظة بالنسبة لما كنت عليه في حال الحياة الدنيا ثم إذا بعثت في النشأة الآخرة يقول المبعوث من بَعَثَنا من مَرْقَدِنا هذا فكان كونه في مدة موته كالنائم في حال نومه مع كون الشارع سماه يقظة و هكذا كل حال تكون فيه لا بد لك من الانتقال عنه و تبقي مثل ما كنت عليه في خيالك المتصل و في قوة كونه كان على الحقيقة في الخيال المنفصل إذ لو كان حقيقة ما تغير و لا انتقل فإن الحقائق لا تتبدل و حقيقة الخيال التبدل في كل حال و الظهور في كل صورة فلا وجود حقيقي لا يقبل التبديل إلا الله فما في الوجود المحقق إلا الله و أما ما سواه فهو في الوجود الخيالي و إذا ظهر الحق في هذا الوجود الخيالي ما يظهر فيه إلا بحسب حقيقته لا بذاته التي لها الوجود الحقيقي و لهذا جاء الحديث الصحيح بتحوله في الصور في تجليه لعباده و هو قوله كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ فإنه لا يبقى حالة أصلا في العالم لا كونية و لا إلهية إِلَّا وَجْهَهُ يريد ذاته إذ وجه الشيء ذاته فلا تهلك أين الصورة التي تحول فيها من الصورة التي تحول عنها هذا حظ الصورة التي تحول عنها من نسبة الهلاك إليها فكل ما سوى ذات الحق فهو في مقام الاستحالة السريعة و البطيئة فكل ما سوى ذات الحق خيال حائل و ظل زائل فلا يبقى كون في الدنيا و الآخرة و ما بينهما و لا روح و لا نفس و لا شيء مما سوى الله أعني ذات الحق على حالة واحدة بل تتبدل من صورة إلى صورة دائما أبدا و ليس الخيال إلا هذا فهذا هو عين معقولية الخيال أنظره في الأصل

حيث قال في العماء فشبه بالسحاب و التشبيه تخيل و العماء هو جوهر العالم كله فالعالم ما ظهر إلا في خيال فهو متخيل لنفسه فهو هو و ما هو هو و مما يؤيد ما ذكرناه وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فنفى عين ما أثبت أي تخيلت أنك رميت و لا شك أنه رمى و لهذا قال إِذْ رَمَيْتَ ثم قال الرمي صحيح وَلكِنَّ اللهَ رَمى أي ظهرت يا محمد بصورة حق فأصابت رميتك ما لا تصيبه رمية البشر كما نفخ عيسى في صورة الطير فكان طيرا فظهر في نفخ عيسى النفخ الإلهي و هو قوله وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي و النفخ نفس و العماء عين ذلك النفس فهو نفخ في وجود الحق فتشكل منه خلق في حق فكان الحق المخلوق به ما ظهر من صور العالم فيه و ما ظهر من اختلاف التجلي الإلهي فيه و هذا القدر كاف فيما ذهبنا إليه من علم الخيال و قد تقدم في هذا الكتاب معرفة الأرض التي خلقت من بقية طينة آدم ع و هي ما ظهر من صور العالم فيها فالعلم بتلك الأرض جزء من هذه المسألة (النوع السابع) من المعرفة و هو علم العلل و الأدوية و يحتاج إليه من يربي من الشيوخ و لا تنفع هذه الأدوية إلا فيمن يقبل استعمالها فإن لم يستعملها العليل فلا يظهر لها أثر فلنبين إن شاء الله العلل بطريق الحصر لأمهاتها ثم نذكر الأدوية المختصة بها العلل في هذه الطريقة ليس لها محل إلا النفوس خاصة لا حظ للعقول فيها البتة و لا للأبدان فإن علل العقول معروفة و علل الأجسام معروفة و أدوية علل الأجسام موقوفة على الأطباء و أدوية علل العقول اتخاذ الخلوات بالميزان الطبيعي و إزالة التفكر فيها و مداومة الذكر ليس غير ذلك و ما بقي لنا الخوض فيه إلا علل النفوس و هي ثلاثة أمراض مرض في الأقوال و مرض في الأفعال و مرض في الأحوال و أما مرض الاعتقادات فهو مرض العقول و قد ذكرناه فلنذكر أمراض الأقوال فمنها التزام قول الحق و هو من أكبر الأمراض دواؤه معرفة المواطن التي ينبغي أن يصرفه فيها فإن الغيبة حق و قد نهي عنها و النميمة حق و قد نهي عنها و ما يفعله الرجل مع أهله في فراشه إذا أفضى إليها فيقول في ذلك حقا و هذا القول من الكبائر و النصيحة في الملإ بالحق حق و هو فضيحة و لا تقع إلا من الجهلاء و أصحاب الأغراض لأن الفائدة المطلوبة من النصيحة حصول المنفعة و ثبوت الود فإذا وقع النصح في الملإ لم يحصل القبول و أثمر عداوة و ذمه الله فإنه يخجل بتلك النصيحة في الملإ و يجعل الشخص الذي خاطبه بالنصح في الملإ يكذب في اعتذاره عن ذلك و يجد عليه فيه و يكون ذلك سببا إلى فساد كبير فلو نصحه في خلوة بطريقة حسنة بأن يظهر له عيب نفسه في نفس الأمر و لا يشعره إنه يقصده بذلك ليعلمه إن كان جاهلا بقبح ذلك الأمر الذي نصحه فيه شكره في نفسه و أحبه و دعي له و أثمر له الخير و كان في ميزانه فما كل حق مأمور به و لا مستحسن شرعا و لا عرفا و كذلك من يجبه الناس بما يكرهون و إن كان حقا فإنه يدل على لؤم الطباع و الجهل و قلة الحياء من الله فإنه بعيد أن يسلم في نفسه من عيب يكون فيه لا يرضى الله فلو اشتغل بالنظر في عيبه لشغله ذلك عن عيب غيره و من التزم تتبع حركات صاحبه بحيث أن يقيد عليه أنفاسه فهو من أشد الأمراض فإنه شغل بما لا يعنيه و غفلة عن نفسه و النفس تخزنه

عندها في زمان صداقته ليوم ما و هو لا يشعر و يحجبه عن هذا الشعور محبته فيه في الوقت فإذا وجد في نفسه أدنى كراهة في صاحبه أو أعراض لملل أو هفوة صدرت منه في حقه أخرج ما كان عنده مخزونا من القبائح التي كان خبأوها عنده و اختزنها له في نفسه في تتبعه فيقول له في معرض التوبيخ ألم تقل كذا في يوم كذا ألم تفعل كذا في يوم كذا ثم إذا عدد عليه ما كان اختزنه يقول له و هذا كله يدل على قلة الدين أو عدم الدين و أنا كنت أرى منك هذا كله و أقول لعل له في هذا وجهاد و لا وجه لك فيه في الشرع و هذا خلاف الحق فيسمعه ما يكره و ما كان غافلا عنه و ما كان يعلم أن هذا يحصي عليه أنفاسه و يرجع عليه من أكبر الأعداء و أصل هذا كله من التتبع لمثالبه و اختزانه إياها في خزانة نفسه و ذلك لسوء الطبع و دناءة الأصل و الفرع و هذا يوجد في الأصحاب و الأصدقاء كثيرا و قد قيل في ذلك

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما هجر الصديق فكان أعرف بالمضرة

و هذا كله وبال يعود على قائله و إن كان حقا و من أمراض الأقوال السؤال عن أحوال الناس و ما يفعلون و لم جاء فلان و لم مشى فلان و السؤال عن كل ما لا يعني و سؤاله عن أهله ما فعلوا في غيبته دواه دواه التأسي برسول الله ص في كونه ما أتى أهله من سفره ليلا و نهيه أصحابه عن ذلك حتى لا يفجأهم فيرى منهزما يكره و الاستئذان من هذا الباب إبقاء للستر فإنه قد علم إن لكل أحد هنات و أيضا فم كل ما يعمله الإنسان و إن كان خيرا يجب أن يعلمه منه كل أحد فإذا ألح هذا السائل عن العلم به أضر بالمسئول حيث جعله ينطق بما لا يريده أو يكذب فإن لم ينطق أثر في نفس السائل خرازة و يقول لو كنت عنده بمكانة ما ستر عني ما سألته عنه فنقص من خلوص مودته التي كانت له في نفسه و لو حصلت له تهمة في نفسه تؤديه إلى مثل هذا الفعل فليس له ذلك شرعا و لا عقلا و لا مروءة و هذا باب قل أن يقع إلا من خبيث الباطن لا دين له سيئ السريرة قال ص من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه و من أمراض الأقوال الامتنان و التحدث بما يفعله من الخير مع الشخص على طريق المن و المن الأذى دواؤه لما كان يسوءه ذلك و يحبط أجر رب النعمة فإن الله تعالى قد أبطل ذلك العمل بقوله لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى و أي أذى أعظم من المن فإنه أذى نفسي و دواؤه إنه لا يرى أوصل إليه مما كان في يديه إلا ما هو له في علم الله و إن ذلك الخير إنما كان أمانة بيده ما كان له لكنه لم يكن يعرف صاحبها فلما أخرجها بالعطاء لمن عين الله في نفس الأمر حينئذ يعرف صاحب تلك الأمانة فشكر الله على أدائها و من أعطى هذا النظر فلا تصح منه منة أصلا و من أمراض الأقوال أيضا أن يفعل الرجل الخير مع بعض أولاده لأمر في نفسه و بعض أولاده ما فعل معهم ذلك الخير فيقول له قائل بحضور من لم يفعل معه ذلك من أولاده لم لم تفعل مثل ذلك مع هذا الولد الآخر فهذا من فضول الكلام حيث قاله بحضور ولده و يثمر في نفس الولد عداوة لأبيه و لا يقع

مثل هذا إلا من جاهل كثير الفضول فإنها كلمة شيطانية و ليس لها دواء بعد وقوعها و أما قبل وقوعها فداؤها أن ينظر في قول النبي ص من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه و من أمراض الأقوال أيضا أن يقول الإنسان أنا أقول الحق و لا أبالي عز على السامع ذلك أو لم يعز عليه من غير أن ينظر إلى فضول القول و مواطنه ثم يقول قلت لفلان الحق و عز عليه سماعه و يزكي نفسه و يجرح غيره و ينسى قوله تعالى لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ و هو دواء هذه العلة الدواء لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ و لها مواطن و صفة مخصوصة و هو أن يأمره في السر لا في الجهر فإن الجهر علة لا يشعر بها لأنه قد يعطيها لغير الله ثم قال أَوْ مَعْرُوفٍ و قول المعروف هو القول في موطنه الذي عينه الله و يرجو حصول الفائدة به في حق السامع فهذا معنى أَوْ مَعْرُوفٍ فمن لم يفعل فهو جاهل و إن ادعى العلم ثم قال أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ فيعلم إن مراد الله التوادد و التحابب فيسعى في ذلك و إن لم يجعل الكلام في موضعه أدى إلى التقاطع و التنافر و التدابر ثم بعد هذا كله قال في حق المتكلم و من لم يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله و لا يكون ذلك إلا ممن يعلم ما يرضى الله و لا يعلم ما يرضى الله إلا بالعلم بما شرع الله في كتابه و على لسان رسوله فيرى عند ما يريد أن ينطق بالأمر هل نطقه به في ذلك الموطن يرضى الله من جميع الوجوه فإن وجد وجها يقدح فيه فالكل غير مقبول و غير مرضي عند الله فإنه لا يحتمل التجزي و لا الانقسام و هذا موضع غلط و دواؤه ما قلنا من العمل المشروع و العلم بما يرضى الله و من أمراض الأقوال أيضا تغيير المنكر على شخص معين من سلطان و غيره دون أن يعم دواءه معرفة الميزان في ذلك و براءته في نفسه من كل منكر يعلم أن الشرع ينكره عليه في مذهبه و اجتهاده لا غير و لا يلزمه ما هو عند غيره منكر و عنده مباح ثم الذي هو عنده منكر ينظر إلى من يغير عليه ذلك إن كان ممن هو عنده معروف كالنبيذ عند الحنفي المتخذ من التمر إذا رآه يشربه أو يتوضأ به و هو عنده حرام فلا يغيره إلا على من يعتقد تحريمه خاصة أو يكون من المنكر المجمع عليه فهذا هو الميزان و تفاريع الأقوال كثيرة و حصر عللها و أدويتها في أمرين الواحد أن تتكلم إذا اشتهيت أن تسكت و تسكت إذا اشتهيت أن تتكلم و الأمر الآخر أن لا تتكلم إلا فيما إن سكت عنه كنت عاصيا و إن لم فلا و إياك و الكلام عند ما تستحسن كلامك و تستحليه فإن الكلام في ذلك الوقت من أكبر الأمراض و ما له دواء إلا الصمت لا غير إلا أن تشهد على رفع الستر هذا هو الضابط (وصل) و أما أمراض الأفعال فهو أن يكون أداؤك لذلك الفعل الذي هو عبادة كالصلاة مثلا في الملإ أحسن من أدائك في السر يقول ص في مثل هذه الفعلة تلك استهانة استهان بها ربه في رجل حسن صلاته في الملإ و أساءها في الخلوة و هذا من أصعب الأمراض النفسية و دواؤه أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ و الله أحق أن يستحي منه و أمثال هذه الآيات و الأخبار و لهذا دواء آخر و لكن يغمض تركيبه و هو أن ينوي بتحسينه تعليم الجاهل و تذكرة الغافل و من الأمراض الفعلية أيضا ترك العمل من أجل الناس و هو الرياء عند الجماعة و

أما العمل من أجل الناس فذلك شرك ما هو رياء عند السادة من أهل الله و دواؤه وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ و ما أشبه هذه الآية فاعلم ذلك (وصل) و أما أمراض الأحوال فصحبة الصالحين حتى يشتهر في الناس أنه منهم و هو في نفسه مع شهوته فإن حضروا سماعا و هو قد تعشق بجارية أو غلام و الجماعة لا تعلم بذلك فأصابه وجد و غلب عليه الحال لتعلقه بذلك الشخص الذي في نفسه فيتحرك و يصيح و يتنفس الصعداء و يقول الله الله أو هو هو و يشير بإشارات أهل الله و الجماعة تعتقد في حاله أنه حال إلهي مع كونه ذا وجد صحيح و حال صحيحة و لكن فيمن دواءه وَقَدْ خابَ مَن دَسَّاها و ما أشبه هذه الآية من الأخبار و من أمراض الأحوال أيضا أن يلبس دون ما في نفسه دواؤه أن يلبس ما في نفسه مما يحل له لباسه و أمثال هذا فمن عرف هذه العلل و أدوائها و استعملها مع نفسه نفعها (حكي) عن الشيخ روزبهار أنه كان قد ابتلي بحب امرأة مغنية و هام فيها وجدا و كان كثير الزعقات في حال وجده في الله بحيث إنه كان يشوش على الطائفين بالبيت في زمن مجاورته فكان يطوف على سطوح الحرم و كان صادق الحال و لما ابتلي بحب هذه المغنية لم يشعر به أحد و انتقل حكم ذلك الذي كان عنده بالله بها و علم أن الناس يتخيلون فيه إن ذلك الوجد لله على أصله فجاء إلى الصوفية و خلع الخرقة و رمى بها إليهم و ذكر للناس قصته و قال لا أريد أكذب في حالي و لزم خدمة المغنية فأخبرت المرأة بحاله و وجده بها و أنه من أكابر أهل الله فاستحت المرأة و تابت إلى الله مما كانت فيه ببركة صدقه و لزمت خدمته و أزال الله ذلك التعلق بها من قلبه فرجع إلى الصوفية و لبس خرقته و لم ير أن يكذب مع الله في حاله فهكذا صدقهم فهذا حصر الأمر فإن الإنسان لا يخلو أن يقام في قول أو فعل أو حال و ما ثم رابع و كذلك صاحب القيام في حال الوجد إذا قام بوجده ثم زال عنه جلس من حينه و لا يتواجد فإن تواجد و لم يقل للحاضرين إنه متواجد فهو صاحب مرض فهذا جماع هذه المسألة و تفاريع الأقوال و الأفعال و الأحوال كثيرة فليحذر من الكذب في ذلك و ليلزم الصدق و لا يظهر للناس إلا بما يظهر لله في الموطن الذي ينبغي فإن العلم بحكم الله في تفاصيل هذه الأمور شرط في أهل الله و لا بد من ذلك فما عبد الله من لم يعلم حكمه فإن الله ما اتخذ وليا جاهلا فهذا قد ذكرنا جماع أبواب المعرفة و فصولها التي إذا حصلها الإنسان سمي عارفا خاصة فإن زاد على هذا العلم بالله و ما يجب له و ما يجوز عليه و ما يستحيل و يفرق بين علمه بذاته و بين علمه بكونه إلها فهذا مقام العلماء بالله لا مقام العارفين فإن المعرفة محجة و طريق و العلم حجة و العلم نعت إلهي و المعرفة نعت كياني نفسي رباني و هذا الباب للمعرفة غير أن أصحابنا من أهل الله قد أطلقوا على العلماء بالله اسم العارفين و على العلم بالله من طريق الذوق معرفة وحدوا هذا المقام بنتائجه و لوازمه التي تظهر عن هذه الصفة في أهلها (سئل) الجنيد عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه أي هو متخلق بأخلاق الله حتى كأنه هو و ما هو هو و هو هو فالعارف عند الجماعة من أشعر الهيبة نفسه و السكينة و عدم

العلاقة الصارفة عنه و أن يجعل أول المعرفة لله و آخرها ما لا يتناهى و لا يدخل قلبه حق و لا باطل و أن توجب له الغيبة عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق فلا يشهد غير الله و لا يرجع إلى غيره فهو يعيش بربه لا بقلبه و أن تكون المعرفة إذا دخلت قلبه تفسد أحواله التي كان عليها بأن تقلبها إليه تعالى لا بأن تعدمها فإنها عندهم كما قال الله تعالى عن قول بلقيس إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ و عندنا ليس كذلك بل يجعلوا أعزة أهلها بالله بعد ما كانت بغير الله و ذلتها لله لا لغير الله فلا حال عندهم للعارف لمحو رسومه و فناء هويته و غيبة أثره و أنه لا تصح المعرفة و في العبد استغناء بالله و إن العارف أخرس منقطع مقتطع منقمع عاجز عن الثناء على معروفه و أنه خائف متبرم بالبقاء في هذا الهيكل و إن كان منورا لما عرفه الشارع أن في الموت لقاء الله فتنغصت عليه الحياة الدنيا شوقا إلى ذلك اللقاء فهو صافي العيش كدر طيب الحياة في نفس الأمر لا في نفسه قد ذهب عنه كل مخلوق و هابه كل ناظر إذا رىء ذكر الله و أنه ذو أنس بالله و أن يكون مع الله بلا فصل و لا وصل حيي في قلبه تعظيم قلبه مرآة للحق حليم محتمل فارغ من الدنيا و الآخرة ذو دهش و حيرة يأخذ أعماله عن الله و يرجع فيها إلى الله بطنه جائع و بدنه عار لا يأسف على شيء إذ لا يرى غير الله طيار تبكي عينه و يضحك قلبه فهو كالأرض يطئوها البر و الفاجر و كالسحاب يظل كل شيء و كالمطر يسقى ما يحب و ما لا يحب لا تمييز عنده لا يقضي وطره من شيء بكاؤه على نفسه و ثناؤه على ربه يضيع ماله و يقف مع ما للحق لا يشتغل عنه طرفة عين عرف ربه بربه مهدي في أحواله لا يلحظه الأغيار و لا يتكلم بغير كلام الله مستوحش من الخلق ذو فقر و ذلة يورث غنى و عزة معرفته طلوع حق على الأسرار و مواصلة الأنوار حاله فوق ما يقول استوت عنده الحالات في الفتح فيفتح له على فراشه كما يفتح له في صلاته و إن اختلفت الواردات بحسب المواطن دائم الذكر ذو لوامع يسقط التمييز لا يكدره شيء و يصفو به كل شيء تضيء له أنواع العلم فيبصر بها عجائب الغيب مستهلك في بحار التحقيق صاحب أمواج تغط فترفع و تحط صاحب وقت و استيفاء حقوق المراسم الإلهية على التمام نعته في تحوله من صفة إلى صفة دائم لا يتعمل و لا يجتلب أحيد الوقت يسع الأشياء و لا تسعه يرجو و لا يرجى رحيم مؤنس مشاهد جلال الحق و جمال الحضرة امعة مع كل وارد يصادف الأمور من غير قصد له وجود في عين فقد ذو قهر في لطف و لطف في قهر حق بلا خلق مشاهد قيام الله على كل شيء فإن عنه به باق معه به غائب عن التكوين حاضر مع المكون صاح بغيره سكران بحبه جامع للتجلي لا يفوته ما مضى بما هو فيه ثابت المواصلة محكم للعبادة في العادة مع إزالة العلل طائع بذاته قابل أمر ربه منزه عن الشبيه تجري عليه منه أحكام الشرع في عين الحقيقة ذو روح و ريحان قلبه طريق مطرقة لكل سالك صاحب دليل و كشف و شهود يكرم الوارد و يتأدب مع الشاهد بريء من العلل صاحب إلقاء و تلق مضنون به مستور بوله محبوس في الموقف ذاهب تحت القهر

رجوعه سلوك و حجابه شهود سره لا يعلم به ز ره كلما ظهر له وجهعلم أنه بطن عنه وجه منفرد بلا انفراد متواتر الأحوال بحكم الأسماء أمين بالفهم قابل للزيادة موحد بالكثرة صاحب حديث قديم يعلم ما وراء الحجب من غير رفع حجاب ذو نور طامس شعاعاته محرقة و فجآت وارداته مقلقة يرد عليه ما لا يعرف متمكن في تلوينه لكون خالقه كل يوم في شأن مجرد بكله عن السوي واقف بالحق في موطنه مريد لكل ما يراد منه ذو عناية إلهية تجذ به سالك في سكون مقيم في سفره صاحب نظرة و نظر يجد ما لا تسعه العبارة من دقائق الفهم عن الله من غير سبب مهذب الأخلاق غير قائل بالاتحاد ذاهب في كل مذهب بغير ذهاب مقدس الروح عن رعونات النفوس معلوم المراتب في البساط مؤمن بالناطق في سره مصغ إليه راغب فيما يريد به مشفق مما في باطنه مظهر خلاف ما يخفى لمصلحة وقته ولهه لا يحكم عليه غريب في الملإ الأعلى و الأسفل ذو همة فعالة مقيدة غير مطلقة غيور على الأسرار أن تذاع لا يسترقه شيء يطالع بالكوائن على طريق المشورة باستجلاء في ذلك يجده يمنعه ذلك من الانزعاج لأنه لا يقتضيه مقام الكون له جماع الخير يتحكم بالمشيئة لا بالاسم قد استوت طرفاه فازله مثل أبده تدور عليه المقامات و لا يدور عليها له يدان يقبض بهما و يبسط في عالم الغيب و الشهادة عن أمر الحق ولاية و خلافة حمال أعباء المملكة يستخرج به غيابات الأمور ينشئ خواطره أشخاصا على صورته محفوظ الأربعة فريد من النظر آله في الملكوت وقائع مشهودة و نعوت العارف أكثر من أن تحصى فهذه بعض إشارات الطائفة في حقيقة العارف و المعرفة جئنا بها لنعلم مقاصدهم في ذلك حتى لا يقول أحد عنا إنا قد انفردنا بطريق لم يسلكوا عليها بل الطريق واحدة و إن كان لكل شخص طريق تخصه فإن الطرق إلى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق يعني أن كل نفس طريق إلى الله و هو صحيح فعلى قدر ما يفوتك من العلم بالأنفاس و مراعاتها يفوتك من العلم بالطريق و بقدر ما يفوتك من العلم بالطرق يفوتك من غاياتها و غاية كل طريق هو الله فإنه ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ و أما صفة العارف عندنا من الموطن الإلهي الذي يشهده العارفون من الحق في وجودهم و هو شهود عزيز و ذلك أن يكون العارف إذا حصلت له المعرفة قائما بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الإطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت و الصفة عند الغير من جميع العالم من بشر و جن و ملك و حيوان لا يعرف فيحد و لا يفارق العادة فيميز حامل الذكر مستور الحال عام الشفقة على عباد الله يفرق في رحمته بين من أمر برحمته حتى يجعل له خصوص وصف عارف بإرادة الحق في عباده قبل وقوع المراد فيريد بإرادة الحق لا ينازع و لا يقاوم و لا يقع في الوجود ما لا يريده و إن وقع ما لا يرضى وقوعه بل يكرهه شديد في لين يعلم مكارم الأخلاق في سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم بريء ممن تبرأ الله منه محسن إليه مع البراءة منه مصدق بكل خبر في العالم كما يعلم عند الغير أنه كذب فهو عنده صدق مؤمن عباد الله من غوائله

مشاهد تسبيح المخلوقات على تنوعات أذكارها لا تظهر إلا لعارف مثله إذا تجلى له الحق يقول أنا هو لقوة التشبه في عموم الصفات الكونية و الإلهية إذا قال بسم الله كان عن قوله ذلك كل ما قصده بهمته لا يقول كن أدبا مع الله يعطي المواطن حقها كبير بحق صغير لحق متوسط مع حق جامع لهذه الصفات في حال واحدة خبير بالمقادير و الأوزان لا يفرط و لا يفرط يتأثر مع الأناة لتغير الأحوال فلا يفوته من العالم و لا مما هو عليه الحق في الوقت شيء مما يطلبه العالم في زمن الحال يشاهد نشأ الصور من أنفاسه بصورة ما هو عليه في قلبه عند خروج النفس فإذا ورد عليه النفس الغريب من خارج لتبريد القلب خلع على ذلك النفس خلعة الوقت فينصبغ ذلك النفس بذلك النور الذي يجد في القلب يستر مقامه بحاله و حاله بمقامه فيجهله أصحاب الأحوال بمقامه و يجهله أصحاب المقامات بحاله له عنف على شهوته إذا لم ير وجه الحق في طبيعتها يبذل لك لا له عطاءه غير معلول لا يمن إذا امتن و يمتن بقبول المن لا يؤاخذ الجاهل بجهله فإن جهله له وجه في العلم لا يشعر المعطي من عنده حين ما يعطيه يعرفه أن ذلك أمانة عنده أمر بإيصالها إليه لا يعرفه أن ذلك من عند الله يفتح مغاليق الأمور المشكلة بالنور المبين يأكل من فوقه و من تحت رجله يضم القلوب إليه إذا شاء من حيث لا تشعر و يرسلها إذا شاء من حيث لا تشعر يملك أزمة الأمور و تملكه بما فيها من وجه الحق لا غير ينظر إلى العلو فينسفل بنظره و ينظر إلى السفل فيعلو و يرتفع بنظره يحجر الواسع و يوسع المحجور يسمع كل مسموع منه لا من حيثية ذلك المسموع و يبصر كل مبصر منه لا من حيث ذلك المبصر يقتضي بين الخصمين بما يرضى الخصمين فيحكم لكل واحد لا عليه مع تناقض الأمر يميل إلى غير طريقه في طريقه لحكمة الوقت يغلب ذكر النفس على ذكر الملإ من أجل المفاضلة غيرة أن يفاضل الحق فإنه ذاكر بحق في حق الأمور كلها عنده ذوقية لا خبرية يعرف ربه من نفسه كما علم الحق العالم من علمه بنفسه لا يؤاخذ بالجريمة فإن الجريمة استحقاق و المجرم المستحق عظمته في ذلته و صغاره لا ينتقل عن ذلته في موطن عظمته دنيا و آخرة هو في علمه بحسب علمه إن اقتضى العمل عمل و إن اقتضى أن لا عمل لم يعمل عنده خزائن الأمور بحكمه و مفاتيحها بيده ينزل بقدر ما يشاء و يخرج ما يشاء من غير اشتعار غواص في دقائق الفهوم عند ورود العبارات له نعوت الكمال له مقام الخمسة في حفظ نفسه و غيره ينظر في قوله أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فلا يتعداه يدبر أمور الكون بينه و بين ربه كالمشير العالم الناصح في الخدمة القائم بالحرمة لا أبنية لسره لا يبخل عند السؤال ينظر في الآثار الإلهية الكائنة في الكون ليقابلها بما عنده لما سمع الله يقول سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ يسمع نداء الحق من ألسنة الخلق يسع الأشياء و لا تسعه سوى ربه فهو ابنه و عينه مرتب للأوامر الإلهية الواردة في الكون ثابت في وقت التزلزل لا تزلزله الحادثات ليست في الحضرة الإلهية صفة لا يراها في نفسه يظهر في أي صورة شاء بصفة الحياة مع الوقوف عند المحدود يعرف حقه من حق خالقه يتصرف في الأشياء بالاستحقاق و يصرف الحق فيها

بالاستخلاف له الاقتدار الإلهي من غير مغالبة لا تنفذ فيه همم الرجال و لا يتوجه للحق عليه حق يتولى الأمور بنفسه لا بربه لأنه لا يرى نفسه لغلبته ربه عليه تعود عليه صفات التنزيه مع وجود التشبيه يحصي أنفاسه بمشاهدة صورها فيعلم ما زاد و ما نقص في كل يوم و ليلة ينظر في المبدأ و المعاد فيرى التقاء طرفي الدائرة يلقى الكلمة في المحل القابل فيبدل صورته و حاله في أي صورة كان ما يطأ مكانا إلا حيي ذلك المكان بوطأته لأنه وطئه بحياة روحية إذا قام قام لقيامه ربه و يغضب لغضبه و يرضى لرضاه فإن حالته في سلوكه كانت هكذا فعادت عليه هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ لا يخطر له خاطر في شيء إلا تكون و لا يعرف ذلك الشيء أنه كونه له على الأشياء شرف العماء لا شرف الاستواء فهو وحيد في الكون غير معروف العين من لجأ إليه خسر و لا تقتضي حاجته إلا به فإنه ظاهر بصورة العجز و قدرته من وراء ذلك العجز لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ليصح الامتياز فهذا و إن تأخر بظاهره فهو متقدم بباطنه ليجمع في شهوده بين الأول و الآخر و الباطن و الظاهر يحسن للمسيء و المحسن يرجع إلى الله في كل أمر و لا ينتقم لنفسه و لا لربه إلا بأمره الخاص فإن لم يأمره عفي بحق لشهوده السابقة في الحال القليل عنده كثير و الكثير عنده قليل يجري مع المصالح فيكون الحق له ملكا يسبح أسماء الله بتنزيهها عن أن تنالها أيدي الغافلين غيرة على الجناب الإلهي من حيث كونها دلائل عليه دلالة الاسم على المسمى إن ولي منصبا يعطي العلوم ير فيه متعاليا بالله فأحرى بنفسه يعدل في الحكم و لا يتصف بالظلم جامع علوم الشرع من عين الجمع مستغن عن تعليم المخلوقين بتعليم الحق يعطي ما تحصل به المنفعة و لا يعطي ما تكون به المضرة إن عاقب فتطهير لا تبقي مع نور عدله ظلمة جور و لا مع نور علمه ظلمة جهل يبين عن الأمور بلسان إلهي فيكشف غامضها و يجليها في منصتها يخترع من مشاهدة صورة موجدة لا من نفسه و ليس هذا لكل عارف إلا لمن يعلم المصارف فإنه مشهد ضنين له البقاء في التلوين يرث و لا يورث بالنبوة العامة يتصرف و يعمل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي يؤذي فيحلم عن مقدرة و إذا آخذ فبطشه شديد لأنه خالص غير مشوب برحمة قال أبو يزيد بطشي أشد فهذه صفة العارف عندي فتحقق فإن موطن هذا لمأخذ عزيز وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (وصل) في تسمية هذا المقام بالمعرفة و صاحبه بالعارف اختلف أصحابنا في مقام المعرفة و العارف و مقام العلم و العالم فطائفة قالت مقام المعرفة رباني و مقام العلم إلهي و به أقول و به قال المحققون كسهل التستري و أبي يزيد و ابن العريف و أبي مدين و طائفة قالت مقام المعرفة إلهي و مقام العلم دونه ربه أيضا أقول فإنهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة و أرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي و عمدتنا قول الله تعالى وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ فسماهم عارفين و ما سماهم علماء ثم ذكر ذكرهم فقال يَقُولُونَ رَبَّنا و لم يقولوا إلهنا آمَنّا و لم يقولوا علمنا و لا شاهدنا فأقروا بالاتباع فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ و ما قالوا

نحن من الشاهدين و قالوا وَما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَما جاءَنا من الْحَقِّ وَنَطْمَعُ و لم يقولوا و نقطع أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا و لم يقولوا إلهنا مع القوم و لم يقولوا مع عبادك الصالحين كما قالت الأنبياء فقال الله لهؤلاء الطائفة التي صفتهم هذه فَأَثابَهُمُ اللهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ محل شهوات النفوس فأنزلناهم حيث أنزلهم الله و قد استوفينا القول في الفرق بين المعرفة و العلم في كتاب مواقع النجوم و بينا فيه إن القائل بمقام المعرفة إذا سألته عنه أجاب بما يجيب به المخالف في مقام العلم فوقع الخلاف في التسمية لا في المعنى ثم حدث لهم في هذا المقام خلاف آخر هل الموصوف به مالك جميع المقامات أم لا و الصحيح إنه ليس من شرطه التحكم و أن ملك جميع المقامات بما يعطيه من الأحوال و التصرف في العالم و إنما شرطه أن يعلم فإذا أراد التحكم نزل إلى الحال لأن التحكم للأحوال إذا علم إن نزوله غير مؤثر في مقامه و لهذا لا ينزلون إلى الحال إلا عن أمر إلهي فإذا سمع من شيخ محقق في هذا الطريق إن صاحب هذا المقام مالك جميع المقامات فإنه يريد بالعلم لا بالحال و قد يعطي الحال و لكن ما هو بشرط فإن قال أحد إنه شرط فهو مدع لا معرفة له بطريق الله و لا بأحوال الأنبياء و أكابر الأولياء و يرد عليه هذا القول فإن الكامل كلما علا في المقام نقص في الحال أعني في الدنيا و أما في الآخرة فلا كما أن المشاهدة تغني عن رؤية الأغيار كذلك المقام يذهب بالأحوال لأن الثبوت يقابل الزوال انتهى الجزء الحادي عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

و علموا أن الله تعالى لما خلق القوة المسماة عقلا و جعلها في النفس الناطقة ليقابل بها الشهوة الطبيعية إذا حكمت على النفس أن تصرفها في غير المصرف الذي عين لها الشارع فعلم الله أنه قد أودع في قوة العقل القبول لما يعطيه الحق و لما تعطيه القوة المفكرة و قد علم الله أنه جعل في القوة المفكرة التصرف في الموجودات و التحكم فيها بما يضبطه الخيال من الذي أعطته القوي الحسية و من الذي أعطته القوة المصورة مما لم تدركه من حيث المجموع بالقوة الحسية فعلم أنه لا بد أن تحكم عليه القوة المفكرة بالتفكر في ذات موجدة و هو الله تعالى فأشفق عليها من ذلك لما علمه من قصورها عن درك ما ترومه من ذلك فخاطبها قرآنا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله إلا رحمة بكم و شفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما نثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بأدلتكم فتحرمون الايمان فتشقون شقاوة الأبد ثم أمر رسول الله ص أن ينهانا أن نفكر في ذات الله كما فعل بعض عباد الله فأخذوا يتكلمون في ذات الله من أهل النظر و اختلفت مقالاتهم في ذات الله و كل تكلم بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر فما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته و عصوا الله و رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه رحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله و ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً فقالوا هو علة و قال آخرون ليس بعلة و قال

آخرون ذات الحق لا تصح أن تكون جوهرا و لا عرضا و لا جسما بل عين أنيتها عين ماهيتها و إنها لا تدخل تحت شيء من المقولات العشرة و أطنبوا في ذلك و كانوا كما جاء في المثل أسمع جعجعة و لا أرى طحنا ثم جاء الشرع بنقيض ما دلت عليه العقول فجاء بالمجيء و النزول و الاستواء و الفرح و الضحك و اليد و القدم و ما قد روينا في صحيح الأخبار مما هو من صفات المحدثات ثم جاء ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مع ثبوت هذه الصفات فلو استحالت كما يدل عليه العقل ما أطلقها على نفسه و لكان الخبر الصدق كذبا إذ ما بعث الله رسولا إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ ليبين لهم ما أنزل إليهم ليفهموا و قد بين ص و بلغ و أشهد الله على أمته أنه بلغ فجهلنا النسبة ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خاصة و فهمنا معقول هذه الألفاظ الواردة و أن المعقول منها واحد بالنظر إلى الوضع فتختلف نسبتها باختلاف المنسوب إليه ما تختلف حقائقها لأن الحقائق لا تتبدل فمن وقف مع هذه الألفاظ و معانيها و قال بعدم علم النسبة إلى الحق فهو عالم مؤمن و من نسبها على وجه من وجوه المصارف الخارجة عن التجسيم فلا مؤمن و لا عالم فلو أنصف هذا الناظر في ذات الله ما نظر في ذات الله و آمن بما جاء من عند الله إذ قد دله دليل على صدق المخبر و هو الرسول فهذا منعني في هذا الباب من الكلام في ذات الله بما تعطيه أدلة العقول و عدلنا إلى علم ذلك بما جاء من المنقول مع نفي المماثلة في النسبة و العلم الصحيح بحقيقة الصفة الواردة الموصوف بها ذاتا مجهولة و قد نصحتك فاعلم و اثبت على ما جاءتك به الشريعة تسلم فهو أعلم بنفسه و أصدق في قوله و ما عرفنا إلا بما هو عليه لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

(الباب الثامن و السبعون و مائة في معرفة مقام المحبة)

الحب ينسب للإنسان و الله	بنسبة ليس يدري علمنا ما هي
الحب ذوق و لا تدري حقيقته	أ ليس ذا عجب و الله و الله
لوازم الحب تكسوني هويتها	ثوب النقيضين مثل الحاضر الساهي
بالحب صح وجوب الحق حيث يرى	فينا و فيه و لسنا عين أشباه
استغفر الله مما قلت فيه و قد	أقول من جهة الشكر لله

(و مما يتضمن هذا الباب أيضا قولنا)

أحببت ذاتي حب الواحد الثاني	و الحب منه طبيعي و روحاني
و الحب منه إلهي أتتك به	ألفاظ نور هدى في نص قرآن

و قد سألت و ما أدري سؤالكم ... عن أي حب و لا عن أي ميزان

فكل حب له بدء يحققه ... علمي سوى حب رب ما له ثاني

و كل حب له بدء و ليس له ... نهاية غير حب الطبع و اثنان

لا يوصفان إذا حققت شأنهما ... و ما هما بنهايات و نقصان

فغاية الحب في الإنسان وصلته ... روحا بروح و جثمانا بجثمان

و غاية الوصل بالرحمن زندقة ... فإن إحسانه جزء إحسان

إن لم أصوره لم تعلم بمن كلفت ... نفسي و تصويره رد لبرهان

(ومما يتضمنه هذا الباب أيضا قولنا)

أنا محبوب الهوى لو تعلموا ... و الهوى محبوبنا لو تفهموا

فإذا أنتم فهمتم غرضي ... فاحمدوا الله تعالى و اعلموا

ما لقومي عن كلامي أعرضوا ... أبهم عن درك لفظي صمم

ما لقومي عن عيان ما بدا ... من حبيبي في وجودي قد عموا

لست أهوى أحدا من خلقه ... لا و لا غير وجودي فافهموا

مذ تألهت رجعت مظهرا ... و كذا كنت فيّ فاعتصموا

أنا حبل الله في كونكم ... فالزموا الباب عبيدا و اخدموا

و إذا قلت هويت زينبا ... أو نظاما أو عنانا فأحكموا

إنه رمز بديع حسن ... تحته ثوب رفيع معلم

و أنا الثوب على لابسه ... و الذي يلبسه ما يعلم

ليس في الجبة شيء غير ما ... قاله الحلاج يوما فأنعموا

و حياة الحب لو أشهده ... لاعتراني لشهودي بكم

ما يرى عين وجود الحق من ... أصله في كل حال عدم

(ومما يتضمنه هذا الباب قولنا)

إن الوجود لحرف أنت معناه ... و ليس لي أمل في الكون إلا هو
الحرف معنى و معنى الحرف ساكنه ... و ما تشاهد عين غير معناه
و القلب من حيث ما تعطيه فطرته ... يجول ما بين مغناه و معناه
عز الإله فما يحويه من أحد ... و بعد هذا فإنا قد وسعناه
و ما أنا قلت بل جاء الحديث به ... عن الإله و هذا اللفظ فحواه
لما أراد الإله الحق يسكنه ... لذاك عدله خلقا و سواه
فكان عين وجودي عين صورته ... وحي صحيح ولا يدريه إلا هو
الله أكبر لا شيء يماثله ... و ليس شيء سواه بل هو إياه
فما ترى عين ذي عين سوى عدم ... فصح إن الوجود المدرك الله
فلا يرى الله إلا الله فاعتبروا ... قولي ليعلم منحاه و معزاه

(ومما يتضمنه هذا الباب أيضا قولنا) في واقعة رأيت الحق فيها يخاطبني بمعنى ما في هذه الأبيات وسماني باسم ما سمعت به قط إلا منه تعالى في تلك الواقعة و هو نرديار فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ فقال ممسوك الدار و هي هذه الأبيات و قد تقدمت في هذا الكتاب بأطول مما هي هنا و ما سقت منها هنا إلا ما وقع

مسكتك في داري لإظهار صورتي ... فسبحانكم مجلى و سبحان سبحانا
فما نظرت عيناك مثلي كاملا ... و لا نظرت عين كمثلك إنسانا
فلم يبق في الإمكان أكمل منكم ... نصبت على هذا من الشرع برهانا
فأي كمال كان لم يك غيركم ... على كل وجه كان ذلك ما كانا
ظهرت إلى خلقي بصورة آدم ... و قررت هذا في الشرائع إيمانا
فلو كان في الإمكان أكمل منكم ... لكان وجود النقص في إذا كانا
لأنك مخصوص بصورة حضرتي ... و أكمل مني ما يكون فقد بأنا

(ومما ضمنته هذا الباب أيضا قولنا)

الله أكبر أن يحظئ به أحد　　وهو الحبيب العلي السيد الصمد
الشمس تدركنا و الشمس ندركها　　نعم و منها إلينا العطف و الرفد
و إننا لنراها و هي ظاهرة　　مثل التجلي و لم يظفر به أحد
النور يمنعنا من أن نكيفها　　فكيف من لا له كيف فيتحد
الكيف والكم من نعت الجسوم و ما　　هناك جسم و لا حال و لا عدد

(ومما يتضمنه هذا الباب أيضا قولنا)

بادر لجبر الذي قد فات من عمرك　　و لتتخذ زادك الرحمن في سفرك
و قل له بالهوى يا منتهى أملي　　ما أشوق السر و المعنى إلى خبرك
لقد علمت بأني حين أبصر من　　كان الوجود به ما زلت من نظرك
لو لا الفناء و نفي المثل عنك و ما　　قد جاء عنك من الإحراق من بصرك
ما كان لي أمل في غير مشهدكم　　و لا قرأت كتابا ليس في سيرك
إني سألتك يا من لا شبيه له　　أمرا أراد به المحتوم من قدرك
فقال لي من قضائي إن ترى قدري　　يرده قدري و الكل من أثرك
قد جاءكم عن نبي في إزالة ما　　قضيته و بما يزيد في عمرك
لكم كلام نفيس كله درر　　و ذا من الدر فلنلحقه في دررك

(ومما يتضمنه هذا الباب في حب الحب قولنا)

و لما رأيت الحب يعظم قدره　　و مالي به حتى الممات يدان
تعشقت حب الحب دهري و لم أقل　　كفاني الذي قد نلت منه كفاني
فابد إلى المحبوب شمس اتصاله　　أضاء بها كوني و عين جناني
و ذاب فؤادي خيفة من جلاله　　فوقع لي في الحين خط أمان

و نزهني في روض إنس جماله		فغبت عن الأرواح و الثقلان
و أحضرني و السر مني غائب		و غيبني و الأمر مني داني
فإن قلت أنا واحد فوجوده		و إن أثبتوا عيني فمزدوجان
و لكنه مزج رقيق منزه		يرى واحدا و العلم يشهد ثاني
فقلت له و هو القوول و إنه		عبارته المثلى جرت بلسان
أيا من بدا في نفسه لنفيسه		و لا عدد فالعين مني فإني
فنفسك شاهدت النفيسة منعما		بنفسك و انظر في المراة تراني
فيا غائبا من كان هذا مقامه		يرى في جنان الناعمات بجان
فلا و الذي طارت إلى حسن ذاته		قلوب فأفناها عن الطيران

اعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه و تسمى بالودود و في الخبر بالمحب ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة يا ابن آدم أنى وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا و قد وردت المحبة في القرآن و السنة في حق الله و في حق المخلوقين و ذكر أصناف المحبوبين بصفاتهم و ذكر الصفات التي لا يحبها الله و ذكر الأصناف الذين لا يحبهم الله فقال تعالى لنبيه ص آمرا أن يقول لنا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا من يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و قال في ذكر الأصناف الذين يحبهم إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ و يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ و يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ و يُحِبُّ الصَّابِرِينَ و يحب الشاكرين و يحب المتصدقين و يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ كما نفى عن نفسه أن يحب قوما لأجل صفات قامت بهم لا يحبها ففحوى الخطاب أنه سبحانه يحب زوالها و لا تزول إلا بضدها و لا بد فقال إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و لا يُحِبُّ الْفَسادَ و ضده الصلاح فعين ترك الفساد صلاح و قال إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ و لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ و لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ و لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ و لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ و لا يحب الْجَهْرَ بِالسُّوءِ من الْقَوْلِ و لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ثم إنه سبحانه حبب إلينا أشياء منها بالتزيين و منها مطلقة فقال ممتنا علينا وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ و قال زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ الآية و قال في حق الزوجين وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً و نهانا أن نلقي بالمودة إلى أعداء الله فقال لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و المحبة الواردة في القرآن كثيرة و أما الأخبار فقوله ص عن الله إنه قال كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق و تعرفت

إليهم فعرفوني فما خلقنا إلا له لا لنا لذلك قرن الجزاء بالأعمال فعملنا لنا لا له و عبادتنا له لا لنا و ليست العبادة نفس العمل فالأعمال الظاهرة في المخلوقين خلق له فهو العامل و يضاف إليه حسنها أدبا مع الله مع كونها كل من عند الله لأنه قال وَنَفْسٍ وَما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ و قال اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فدخلت أعمال العباد في ذلك و قال رسول الله ص إن الله يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به الحديث و من هذا التجلي قال من قال بالاتحاد و بقوله وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و بقوله وَما تَعْمَلُونَ و في الخبر أن الله يحب كل مفتن تواب و في الخبر وجبت للمتحابين في و في الخبر حبوا الله لما أسدى إليكم من نعمه و في الخبر أن الله جميل يحب الجمال و أن الله يحب أن يمدح و قال ع حبب إلي من دنياكم ثلاث الحديث و الأخبار في هذا الباب كثيرة جدا و اعلم أن مقامها شريف و إنها أصل الوجود

وعن الحب صدرنا　　　وعلى الحب جبلنا

فلذا جئناه قصدا　　　و لهذا قد قبلنا

و لهذا المقام أربعة ألقاب منها الحب و هو خلوصه إلى القلب و صفاؤه عن كدورات العوارض فلا غرض له و لا إرادة مع محبوبه (و اللقب الثاني) الود و له اسم إلهي و هو الودود و الود من نعوته و هو الثابت فيه و به سمي الودود الثبوتة في الأرض (و اللقب الثالث) العشق و هو إفراط المحبة و كنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ و هو قوله قَدْ شَغَفَها حُبًّا أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف و هي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة و قد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق و العاشق و العشق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه و اشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة (و اللقب الرابع) الهوى و هو استفراغ الإرادة في المحبوب و التعلق به في أول ما يحصل في القلب و ليس لله منه اسم و لحصوله سبب نظرة أو خبر أو إحسان و أسبابه كثيرة و معناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات و كذلك اتباع الرسول فيما شرع و هذا منزلته فينا مسمى الهوى قال بعضهم في الحب المولد عن الخبر

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة　　　و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

(و لنا في الحب المولد عن النظر و الخبر في الغزليات)

حبي لغيرك موقوف على النظر　　　إلا هواك فمبناه على الخبر

إنه يعلم أني ما علمت لها ... على الذي قيل لي أختا من البشر
فبغيتى من عزلتي إن أفوز بها ... و أن تجود على عيني بالنظر

(ولنا أيضا في هذا المعنى)

حقيقتي همت بها ... و ما رآها بصري
و لو رآها لغدا ... قتيل ذاك الحور
فعند ما أبصرتها ... صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها ... أهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى ... لو كان يغني حذرى
حكم القضاء والقدر ... و إنما هيمني
و الله ما هيمني ... جمال ذاك الخفر
يا حسنها من ظبية ... ترعى بذات الخمر
إذا رنت أو عطفت ... تسبى عقول البشر
تفتر عن ظلم و عن ... حب غمام نشر
كأنما أنفاسها ... أعراف مسك عطر
كأنها شمس ضحى ... في النور أو كالقمر
إن سفرت أبرزها ... نور صباح مسفر
أو سدلت غيبها ... ظلام ذاك الشعر
يا قمرا تحت دجى ... خذي فؤادي و ذر
عيني لكي أبصركم ... إذ كان حظي نظري
فإن مبني كلفي ... بحبها من خبري

(ولنا أيضا في هذا المعنى)

الأذن عاشقة و العين عاشقة	شتان ما بين عشق العين و الخبر
فالإذن تعشق ما و همي يصوره	و العين تعشق محسوسا من الصور
فصاحب العين إن جاء الحبيب له	يوما ليبصره يلتذ بالنظر
و صاحب الأذن إن جاء الحبيب له	في صورة الحس ما ينفك عن غير
إلا هوى زينب فإنه عجب	قد استوى فيه حظ السمع و البصر

و ألطف ما في الحب ما وجدته و هو أن تجد عشقا مفرطا و هوى و شوقا مقلقا و غراما و نحولا و امتناع نوم و لذة بطعام و لا يدري فيمن و لا بمن و لا يتعين لك محبوبك و هذا ألطف ما وجدته ذوقا ثم بعد ذلك بالاتفاق أما يبدو لك تجل في كشف فيتعلق ذلك الحب به أو نرى شخصا فيتعلق ذلك الوجد الذي تجده به عند رؤيته فتعلم إن ذلك كان محبوبك و أنت لا تشعر أو يذكر شخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى الذي عندك فتعلم أنه صاحبك و هذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب فتجهل حالها و لا تدري بمن هامت و لا فيمن هامت و لا ما هيمها و يجد الناس ذلك في القبض و البسط الذي لا يعرف له سبب فعند ذلك يأتيه ما يحزنه فيعرف أن ذلك القبض كان لهذا الأمر أو يأتيه ما يسره فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر و ذلك لاستشراف النفس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة و هي مقدمات التكوين و يشبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك فتجد في فطرة كل إنسان افتقارا لموجود يستند إليه و هو الله و لا يشعر به و لهذا قال يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ يقول لهم ذلك الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقة الله لا غيره و لكن لا تعرفونه فعرفنا الحق به و لما ذقنا هذا المقام قلنا فيه

علقت بمن أهواه عشرين حجة	و لم أدر من أهوى و لم أعرف الصبرا
و لا نظرت عيني إلى حسن وجهها	و لا سمعت أذناي قط لها ذكرا
إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى	فنعمني يوما و عذبني دهرا

و لنا أيضا في هذا المعنى ذوقا فإنا لا نعبر إلا عما ذقناه

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري	و لا أدري من هذا الذي قال لا أدري
فقد حرت في حالي و حارت خواطري	و قد حارت الحيرات في و في أمري

فبينا أنا من بعد عشرين حجة أترجم عن حب يعانقه سرى
و لم أدر من أهوى و لا أعرف اسمه ولا أدر من هذا الذي ضمه صدري
إلى أن بدا لي وجهها من نقابها كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر
فقلت لهم من هذه قيل هذه بنية عين القلب بنت أخي الصد
فكبرت إجلالا لها و لأصلها فليلي بها أربى على ليلة القدر

و لنا في هذا المعنى ذوقا في أول دخولي إلى الشام وجدت ميلا مجهولا مدة طويلة في قصة طويلة إلهية متخيلة في صورة جسدية فقلنا نخاطبها في ذلك بالحال و لسانه

أقول و عندي من هواك الذي عندي مقالة من قال الحبيب له قل لي
و لما دخلت الشام خولطت في عقلي فلم أر قبلي في الهوى عاشقا مثلي
عشقت و ما أدري الذي قد عشقته أ خالقي المحبوب أم هو من شكلي
و لا سمعت أذناي قط بذكره فهل قال هذا عاشق غيرنا قبلي
فجبت بلاد الله شرقا و مغربا لعلي أرى شخصا يوافقني علي
فلم أر إلا ذا حبيب معين يلازمه طبعا ملازمة الظل
فقلت إلهي أن قلبي مهيم و لم أدر فانظر في مقامي و في ذلي
فنادى منادي الحب من بين أضلعي لقد غصت يا مسكين في أبحر الجهل
ألا فاستمع قولي و خذ سر حكمتي فإني من أهل التعاليم و الفضل
بسبع و عشر ثم خمسين بعدها إذا أنت حصلت اثنتين على وصلي
يقوم لكم شكل بديع مربع تماما على الوصل الذي فيه و الفصل
كمثل اسمه الله بيانا محققا فكان اسم محبوبي على صورة الأصل
فذاك اسم من تهواه إن كنت عالما و هذا من العلم المضاف إلى البخل
فإن كنت ذا فهم فلا تبتغي سوى مثلثة التربيع جامعة الشمل

فثليثها بيت و بيت مصحف　　لها حسن إدلال يدل على دلى

فبيت إلى لعين عين و ثم بيت لماجد　　هما أهل بيت للسماحة و البذل

و أوله حرف نزيه مسبع　　من الستة الأعلام من أحرف الفصل

و هذا ألطف ما يكون من المحبة و دونه حب الحب و هو الشغل بالحب عن متعلقة جاءت ليلى إلى قيس و هو يصيح ليلى ليلى و يأخذ الجليد و يلقيه على فؤاده فتذيبه حرارة الفؤاد فسلمت عليه و هو في تلك الحال فقالت له أنا مطلوبك أنا بغيتك أنا محبوبك أنا قرة عينك أنا ليلى فالتفت إليها و قال إليك عني فإن حبك شغلني عنك و هذا ألطف ما يكون و أرق في المحبة ولكن هو دون ما ذكرناه في اللطف و كان شيخنا أبو العباس العريبي رحمه الله يسأل الله أن يرزقه شهوة الحب لا الحب و اختلف الناس في حده فما رأيت أحدا حده بالحد الذاتي بل لا يتصور ذلك فما حده من حده إلا بنتائجه و آثاره و لوازمه و لا سيما و قد اتصف به الجناب العزيز و هو الله و أحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا سمعناه يقول و قد سئل عن المحبة فقال الغيرة من صفات المحبة و الغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد و اعلم أن الأمور المعلومات على قسمين منها ما يحد و منها ما لا يحد و المحبة عند العلماء بها المتكلمين فيها من الأمور التي لا تحد فيعرفها من قامت به و من كانت صفته و لا يعرف ما هي و لا ينكر وجودها و اعلم أن كل حب لا يحكم على صاحبه بحيث أن يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه و يعميه عن كل منظور سوى وجه محبوبه و يخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه و ذكر من يحب محبوبه و يختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه و يرمي قفله على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه إما عن رؤية تقدمته و إما عن وصف ينشئ منه الخيال صورة فيكون كما قيل

خيالك في عيني و ذكرك في فمي　　و مثواك في قلبي فأين تغيب

فيه يسمع و له يسمع و به يبصر و له يبصر و به يتكلم و له يتكلم و لقد بلغ بي قوة الخيال إن كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ص فلا أقدر أنظر إليه و يخاطبني و أصغى إليه و أفهم عنه و لقد تركني أياما لا أسيغ طعاما كلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها و ينظر إلي و يقول لي بلسان أسمعه بإذني تأكل و أنت تشاهدني فامتنع من الطعام و لا أجد جوعا و أمتلئ منه حتى سمنت و عبلت من نظري إليه فقام لي مقام الغذاء و كان أصحابي و أهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء لأني كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقا و لا أجد جوعا و لا عطشا لكنه كان لا يبرح نصب عيني في قيامي و قعودي و حركتي و سكوني و اعلم أنه لا يستغرق الحب المحب كله إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى أو أحدا من جنسه من جارية أو غلام و أما ما عدى من ذكرته فإنه

لا يستغرقه حبه إياه و إنما قلنا ذلك لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها إلا من هو على صورته إذا أحبه فما فيه جزء إلا و فيه ما يماثله فلا تبقي فيه فضلة يصحو بها جملة واحدة فيهيم ظاهره في ظاهره و باطنه في باطنه ألا ترى الحق قد تسمى بالظاهر و الباطن فتستغرق الإنسان المحبة في الحق و في أشكاله و ليس ذلك فيما سوى الجنس من العالم فإنه إذا أحب صورة من العالم إنما يستقبله بالجزء المناسب و يبقى ما بقي من ذاته صاحية في شغلها و أما استغراق حبه إذا أحب الله فلكونه على صورته كما ورد في الخبر فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها و لهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية و يتخلق بها من ليست عنده صفة الحب و بكونها من عنده صفة الحب فلهذا يستغرق الإنسان الحب و إذا تعلق بالله و كان الله محبوبه فيفني في حبه في الحق أشد من فنائه في حب أشكاله فإنه في حب أشكاله فاقد في غيبته ظاهر المحبوب و إذا كان الحق هو المحبوب فهو دائم المشاهدة و مشاهدة المحبوب كالغذاء للجسم به ينمي و يزيد فكلما زاد مشاهدة زاد حبا و لهذا الشوق يسكن باللقاء و الاشتياق يهيج باللقاء و هو الذي يجده العشاق عند الاجتماع بالمحبوب لا يشبع من مشاهدته و لا يأخذ نهمته منا لأنه كلما نظر إليه زاد وجدا به و شوقا مع حضوره معه كما قيل

و من عجب إني أحن إليهم ... و أسأل شوقا عنهم و هم معي
و تبكيهم عيني و هم في سوادها ... و تشتاقهم نفسي و هم بين أضلعي

و كل حب يبقى في المحب عقلا يعقل به عن غير محبوبه أو تعقلا فليس بحب خالص و إنما هو حديث نفس قال بعضهم و لا خير في حب يدبر بالعقل و حكايات المحبين في هذا الباب أكثر من أن تحصى و لنا في ازدياد المحبة مع المشاهدة و الشوق

أغيب فيفني الشوق نفسي فالتقى ... فلا أشتفي فالشوق غيبا و محضرا
و يحدث لي لقياه ما لم أظنه ... مكان الشفا داء من الوجد آخرا
لأني أرى شخصا يزيد جماله ... إذا ما التقيناه نخوة و تكبرا
فلا بد من وجد يكون مقارنا ... لما زاد من حسن نظاما محررا

أشير إلى تجليه سبحانه في صور مختلفة في الآخرة لعباده و في الدنيا لقلوب عباده كما ورد في صحيح مسلم من تحوله سبحانه في الصور كما ينبغي لذاته من غير تشبيه و لا تكييف فو الله لو لا الشريعة التي جاءت بالأخبار الإلهي ما عرف الله أحد و لو بقينا مع الأدلة العقلية التي دلت في زعم العقلاء على العلم بذاته بأنه ليس كذا و ليس كذا ما أحبه مخلوق فلما جاء الخبر الإلهي بالسنة الشرائع بأنه سبحانه كذا و أنه كذا من أمور تناقض ظواهرها الأدلة العقلية أحببناه لهذه الصفات الثبوتية ثم بعد أن أوقع النسب و ثبت السبب و

النسب الموجبات للمحبة قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فثبت الأسباب الموجبة للحب التي نفاها العقل بدليله و هذا معنى قوله فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني فما يعرف الله إلا بما أخبر به عن نفسه من حبه إيانا و رحمته بنا و رأفته و شفقته و تحببه و نزوله في التحديد لمثله تعالى و نجعله نصب أعيننا في قلوبنا و في قبلتنا و في خيالنا حتى كأنا نراه لا بل نراه فينا لأنا عرفناه بتعريفه لا بنظرنا و منا من يراه و يجهله فكما أنه لا يفتقر إلى غيره كذلك و الله لا يحب في الموجودات غيره فهو الظاهر في كل محبوب لعين كل محب و ما في الموجود إلا محب فالعالم كله محب و محبوب و كل ذلك راجع إليه كما أنه لم يعبد سواه فإنه ما عبد من عبد إلا بتخيل الألوهية فيه و لولاها ما عبد يقول تعالى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وكذلك الحب ما أحب أحد غير خالقه و لكن احتجب عنه تعالى بحب زينب و سعاد و هند و ليلى و الدنيا و الدرهم و الجاه و كل محبوب في العالم فأفنت الشعراء كلامها في الموجودات و هم لا يعلمون و العارفون لم يسمعوا شعرا و لا لغزا و لا مديحا و لا تغزلا إلا فيه من خلف حجاب الصور و سبب ذلك الغيرة الإلهية أن يحب سواه فإن الحب سببه الجمال و هو له لأن الجمال محبوب لذاته و الله جميل يحب الجمال فيحب نفسه و سببه الآخر الإحسان و ما ثم إحسان إلا من الله و لا محسن إلا الله فإن أحببت للإحسان فما أحببت إلا الله فإنه المحسن و إن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فإنه الجميل فعلى كل وجه ما متعلق المحبة إلا الله و لما علم الحق نفسه فعلم العالم من نفسه فأخرجه علم صورته فكان له مرآة يرى صورته فيه فما أحب سوى نفسه فقوله يُحْبِبْكُمُ الله على الحقيقة نفسه أحب إذ الاتباع سبب الحب و اتباعه صورته في مرآة العالم سبب الحب لأنه لا يرى سوى نفسه و سبب الحب النوافل و هي الزيادات و صورة العالم زيادة في الوجود فأحب العالم نافلة فكان سمعه و بصره حتى لا يحب سوى نفسه و ما أغمضها من مسألة و ما أسرع تفلتها من الوهم فإنه اتفق في الوجود أمر غريب و ذلك أن ثم أمورا يتحقق بها العقل و يثبت عليها و لا يتزلزل و تتفلت من الوهم و لا يقدر يبقى على ضبطها مثل هذه المسألة يثبتها العقل و لا يقدر يزول عنها و تتفلت من الوهم و لا يقدر على ضبطها و ثم أمور أخر بالعكس تتفلت من العقل و تثبت في الوهم و يحكم عليها و يؤثر فيها كمن يعطيه العقل بدليله أن رزقه لا بد أن يأتيه سعى إليه أو لم يسع فيتفلت هذا العلم عن العقل و يحكم عليه الوهم بسلطانه إنك إن لم تسع في طلبه تموت فيغلب عليه فيقوم يتعمل في تحصيله فحقه من جهة عقله زائل و باطله من جهة وهمه ثابت لا يتزلزل و كمن يرى حية أو أسدا على صورة لا يتمكن فيما يعطيه العقل أن يصل ضرره إليه فيغيب عن ذلك الدليل و يتوهم ضرره فينفر منه و يتغير وجهه و باطنه بحكم الوهم و سلطانه و هذا موجود فللوهم سلطان في مواطن و للعقل سلطان في مواطن فلنذكر في هذا الباب إن شاء الله من لوازم الحب و مقاماته ما تيسر فنقول إن الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة فلا تتعلق المحبة إلا بمعدوم غير موجود في حين التعلق يريد وجود ذلك المحبوب أو وقوعه و إنما

قلت أو وقوعه لأنها قد تتعلق بإعدام الموجود و إعدام الموجود في حال كون الموجود موجودا ليس بواقع فإذا عدم الموجود الذي تعلقت به المحبة فقد وقع و لا يقال وجد الإعدام فإنه جهل من قائله و قولنا يريد وجود ذلك المحبوب و أن المحبوب على الحقيقة إنما هو معدوم فذلك أن المحبوب للمحب هو إرادة أوجبت الاتصال بهذا الشخص المعين كائنا من كان إن كان ممن من شأنه أن يعانق فيحب عناقه أو ينكح فيحب نكاحه أو يجالس فيحب مجالسته فما تعلق حبه إلا بمعدوم في الوقت من هذا الشخص فيتخيل إن حبه متعلق بالشخص و ليس كذلك و هذا هو الذي يهيجه للقائه و رؤيته فلو كان يحب شخصه أو وجوده في عينه فهو في شخصيته أو في وجوده فلا فائدة لتعلق الحب به فإن قلت أنا كنا تحب مجالسة شخص أو تقبيله أو عناقه أو تأنيسه أو حديثه ثم نرى تحصل ذلك و الحب لا يزول مع وجود العناق و الوصال فإذا متعلق الحب قد لا يكون معدوما قلنا أنت غالط إذا عانقت الشخص الذي تعلقت المحبة بعناقه أو مجالسته أو مؤانسته فإن متعلق حبك في تلك حال ما هو بالحاصل و إنما هو بدوام الحاصل و استمراره و الدوام و الاستمرار معدوم ما دخل في الوجود و لا تتناهى مدته فإذا ما تعلق الحب في حال الوصلة إلا بمعدوم و هو دوامها و ما أحسن ما جاء في القرآن قوله يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ بضمير الغائب و الفعل المستقبل فما أضاف متعلق الحب إلا لغائب و معدوم و كل غائب فهو معدوم إضافي فمن أوصاف المحبة أن يجمع المحب في حبه بين الضدين ليصح كونه على الصورة لما فيه من الاختيار و هذا هو الفرق بين الحب الطبيعي و الروحاني و الإنسان يجمعهما وحده و البهائم تحب و لا تجمع بين الضدين بخلاف الإنسان و إنما جمع الإنسان في حبه بين الضدين لأنه على صورته و قد وصف نفسه بالضدين و هو قوله هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ و صورة جمع الحب بين الضدين أن الحب من صفاته اللازمة له حب الاتصال بالمحبوب و من صفاته اللازمة حب ما يحبه المحبوب فيحب المحبوب الهجر فإن أحب المحب الهجر فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة فإن المحبة تطلب الاتصال و إن أحب الاتصال فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة فإن المحب يحب ما يحب محبوبه و لم يفعل فالمحب محجوج على كل حال و غاية الجمع بينهما أن يحب حب المحبوب للهجر لا الهجر و يحب الاتصال و لا تخرج هذه المسألة على أكثر من هذا كالراضي بالقضاء فيصح له اسم الرضاء بالقضاء مع كونه لا يرضى بالمقضي إذا كان المقضي به كفرا كذا ورد الشرع و هكذا في مسألة الحب يحب المحب الاتصال بالمحبوب و يحب حب المحبوب الهجر لا يحب الهجر لأن الهجر ما هو عين حب المحبوب الهجر كما أن القضاء ما هو عين المقضي فإن القضاء حكم الله بالمقضي لا عين المقضي فيرضى بحكم الله و حب الحيوان ليس كذلك لأنه حب طبيعي لا روحاني فيطلب الاتصال بمن يحب خاصة و لا يعلم أن محبوبه له حب في كذا لا علم له بذلك فلهذا قسمنا الحب الذي هو صفة للإنسان إلى نوعين فيه حب طبيعي و به يشارك البهائم و الحيوانات و حب روحاني و به ينفصل و يتميز عن حب

الحيوان و إذا تقرر هذا وصل فاعلم أن الحب منه إلهي و روحاني و طبيعي و ما ثم حب غير هذا فالحب الإلهي هو حب الله لنا و حبنا الله أيضا قد يطلق عليه أنه إلهي و الحب الروحاني هو الذي يسعى به في مرضاة المحبوب لا يبقى له مع محبوبه غرض و لا إرادة بل هو بحكم ما يراد به خاصة و الحب الطبيعي هو الذي يطلب به جميع نيل أغراضه سواء سر ذلك المحبوب أو لم يسره و على هذا أكثر حب الناس اليوم فلنقدم أولا الكلام على الحب الإلهي في وصل ثم يتلوه وصل في الحب الروحاني ثم يتلوه وصل ثالث في الحب الطبيعي وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الوصل الأول) في الحب الإلهي و هو أن يحبنا لنا و لنفسه أما حبه إيانا لنفسه فهو قوله أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني فما خلقنا إلا لنفسه حتى نعرفه و قوله (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فما خلقنا إلا لنفسه و أما حبه إيانا لنا فلما عرفنا به من الأعمال التي تؤدينا إلى سعادتنا و نجاتنا من الأمور التي لا توافق أغراضنا و لا تلائم طباعنا خلق سبحانه الخلق ليسبحوه فنطقهم بالتسبيح له و الثناء عليه و السجود له ثم عرفنا بذلك فقال وَ إِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أي بالثناء عليه بما هو عليه و ما يكون منه و عرفنا أيضا فقال أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ من في السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ فلزم ذلك و ثابر عليه و خاطب بهذه الآية نبيه ص الذي أشهده ذلك و رآه فقال له أَ لَمْ تَرَ و لم يقل أ لم تروا فإنا ما رأينا فهو لنا إيمان و هو لمحمد ص عيان و كذا قال له أيضا لما أشهده سجود كل شيء أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ من في السَّماواتِ وَ من في الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ من النَّاسِ فما ترك أحدا فإنه ذكر من في السموات و من في الأرض فذكر العالم العلوي و السفلي فأشهده سجود كل شيء فكل من أشهده الله ذلك و رآه دخل تحت هذا الخطاب و هذا تسبيح فطري ذاتي عن تجل تجلى لهم فأحبوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي و هذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذي يستحقه و كذلك قال في أهل الكشف و هم عامة الإنس و كل عاقل أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللهُ من شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ هذا حظ النعيم البصري ثم أخبر أن ذلك التفيؤ يمينا و شمالا أنه سجود لله و صغار و ذلة لجلاله فقال سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ فوصفهم بعقليتهم أنفسهم حتى سجدوا لله داخرين ثم أخبر فقال متمما وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ من دابَّةٍ أي ممن يدب عليها يقول يمشي و هم يعني أهل السموات و الملائكة يعني التي ليست في سماء و لا أرض ثم قال وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ يعني عن عبادة ربهم ثم وصفهم بالخوف ليعلمنا أنهم عالمون بمن سجدوا له ثم وصف المأمورين منهم إنهم يفعلون ما يؤمرون و هم الذين قال فيهم لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ثم قال في الذين هم عند ربهم يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ أي لا يملون كل ذلك يدل على أن العالم كله في مقام الشهود و العبادة إلا كل مخلوق له قوة التفكر و ليس إلا النفوس

الناطقة الإنسانية و الجانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له و السجود فأعضاء البدن كلها بتسبيحه ناطقة ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود و الأيدي و الأرجل و الألسنة و السمع و البصر و جميع القوي فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ و هذا كله من حكم حبه إيانا لنفسه فمن و في شكره و من لم يوف عاقبه فنفسه أحب و تعظيمه و الثناء عليه أحب و أما حبه إيانا لنا فإنه عرفنا بمصالحنا دنيا و آخرة و نصب لنا الأدلة على معرفته حتى نعلمه و لا نجهله ثم إنه رزقنا و أنعم علينا مع تفريطنا بعد علمنا به و إقامة الدليل عندنا على أن كل نعمة نتقلب فيها إنما ذلك من خلقه و راجعة إليه و إنه ما أوجدها إلا من أجلنا لننعم بها و نقيم بذلك و تركنا نرأس و نربع ثم إنه بعد هذا الإحسان التام لم نشكره و العقل يقضي بشكر المنعم و قد علمنا أنه لا محسن إلا الله فمن إحسانه أن بعث إلينا رسولا من عنده معلما و مؤدبا فعلمنا بما لنا في نفسه فشرع لنا الطريق الموصل إلى سعادتنا و أبانه و حذرنا من الأمور المردية و اجتناب سفساف الأخلاق و مذامها ثم أقام الدلالة على صدقه عندنا فجاء بالبينات و قذف في قلوبنا نور الايمان و حببه إلينا و زينه في قلوبنا و كره إلينا الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ فآمنا و صدقنا ثم من علينا بالتوفيق فاستعملنا في محابه و مراضيه فعلمنا أنه لو لا ما أحبنا ما كان شيء من هذا كله ثم إن رحمته سبقت غضبه و إن شقي من شقي فلابد من شمول الرحمة و العناية و المحبة الأصلية التي تؤثر في العواقب و لما سبقت المحبة و حقت الكلمة و عمت الرحمة و كانت الدار الدنيا دار امتزاج و حجاب بما قدره العزيز العليم خلق الآخرة و نقلنا إليها و هي دار لا تقبل الدعاوي الكاذبة فأقر الجميع بربوبيته هناك كما أقروا بربوبيته في قبضة الذر من ظهر آدم فكنا في الدار الدنيا وسطا بين طرفين طرفي توحيد و إقرار و في الوسط وقع الشرك مع ثبوت الوجود فضعف الوسط و لذلك قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّٰهِ زُلْفى فنسبوا العظمة و الكبرياء إلى الله تعالى في شركهم ثم أخبر تعالى أنه طبع على قلب كل من ظهر في ظاهر لقومه بصفة الكبرياء و الجبروت و ما جعل ذلك في قلوبهم بسبب طابع العناية فهم عند نفوسهم بما يجدونه من العلم الضروري أذلاء صاغرين لذلك الطابع فما دخل الكبرياء على الله قلب مخلوق أصلا و إن ظهرت منه صفات الكبرياء فثوب ظاهر لا بطانة له منه و هذا كله من رحمته و محبته في خلقه ليكون المال إلى السعادة فلما ضعف الوسط و تقوى الطرفان غلب في آخر الأمر و امتلأت الدار إن و جعل في كل واحدة منهما نعيما لأهلها يتنعمون به بعد ما طهرهم الله بما نالوه من العذاب لينالوا النعيم على طهارة ألا ترى المقتول قودا كيف يطهره ذلك القتل من ظلم القتل الذي قتل من قتل به فالسيف محاء و كذلك إقامة الحدود في الدنيا كلها تطهير للمؤمنين حتى قرصة البرغوث و الشوكة يشاكها و ثم طائفة أخرى تقام عليهم حدود الآخرة في النار ليتطهروا ثم يرحمون في النار لما سبق من عناية المحبة و إن لم تخرجوا من النار فحب الله عباده لا يتصف بالبدء و لا بالغاية فإنه لا

يقبل الحوادث و لا العوارض لكن عين محبته لعباده عين مبدأ كونهم متقدميهم و متأخريهم إلى ما لا نهاية له فنسبة حب الله لهم نسبة كينونته كانت معهم أينما كانوا في حال عدمهم و في حال وجودهم فكما هو معهم في حال وجودهم هو معهم في حال عدمهم لأنهم معلومون له مشاهد لهم محب فيهم لم يزل و لا يزال لم يتجدد عليه حكم لم يكن عليه بل لم يزل محبا خلقه كما لم يزل عالما بهم فقوله فأحببت أن أعرف تعريفا لنا مما كان الأمر عليه في نفسه كل ذلك كما لا يليق بجلاله لا يعقل تعالى إلا فاعلا خالقا و كل عين فكانت معدومة لعينها معلومة له محبوبا له إيجادها ثم أحدث له الوجود بل أحدث فيها الوجود بل كساها حلة الوجود فكانت هي ثم الأخرى ثم الأخرى على التوالي و التتابع من أول موجود المستند إلى أولية الحق و ما ثم موجود آخر بل وجود مستمر في الأشخاص فالآخر في الأجناس و الأنواع و ليس الأشخاص في المخلوقات إلا في نوع خاص متناهية في الآخرة و إن كانت الدنيا متناهية فالأكوان جديدة لا نهاية لتكوينها لأن الممكنات لا نهاية لها فأبدها دائم كما الأزل في حق الحق ثابت لازم فلا أول لوجوده فلا أول لمحبته عباده سبحانه ذكر المحبة يحدث عند المحبوب عند التعريف الإلهي لا نفس المحبة القرآن كلام الله لم يزل متكلما و مع هذا قال معرفا ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فحدث عندنا الذكر لا في نفسه من سيدنا و مالكنا و مصلحنا و مغذينا و ما يأتينا من ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ فحدث عندنا الذكر من الرحمن لا في نفسه فالرحمة و النعمة و الإحسان في البدء و العاقبة و المال و لم يجر لاسم من أسماء الشقاء ذكر في الإتيان إنما هو رب أو رحمن ليعلمكم ما في نفسه لكم (تكملة في الحب الإلهي) و هي كوننا نحب الله فإن الله يقول يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و نسبة الحب إلينا ما هو نسبة الحب إليه و الحب المنسوب إلينا من حيث ما تعطيه حقيقتنا ينقسم قسمين قسم يقال فيه حب روحاني و الآخر حب طبيعي و حبنا الله تالى بالحبين معا و هي مسألة صعبة التصور إذ ما كل نفس ترزق العلم بالأمور على ما هي عليه و لا نرزق الايمان بها على وفق ما جاء من الله في إخباره عنه و لذلك امتن الله بمثل هذا على نبيه ص فقال وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا فنحن بحمد الله ممن شاء من عباده و ما بقي لنا بعد التقسيم في حبنا إياه إلا أربعة أقسام و هي إما أن نحبه له أو نحبه لأنفسنا أو نحبه للمجموع أو نحبه و لا لواحد مما ذكرناه و هنا يحدث نظر آخر و هو لما ذا نحبه إذ و قد ثبت إنا نحبه فلا نحبه له و لا لأنفسنا و لا للمجموع فما هو هذا الأمر الرابع هذا فصل و ثم تقسيم آخر و هو و إن أحببناه فهل نحبه بنا أو نحبه به أو نحبه بالمجموع أو نحبه و لا بشيء مما ذكرناه و كل هذا يقع الشرح فيه و الكلام عليه إن شاء الله و كذلك نذكر في هذه التكملة ما بدء حبنا إياه و هل لهذا الحب غاية فيه ينتهي إليها أم لا فإن كانت له غاية فما تلك الغاية و هذه مسألة ما سألني عنها أحد إلا امرأة لطيفة من أهل هذا الشأن ثم نذكر أيضا إن شاء الله هل الحب صفة نفسية في المحب أو معنى زائد على ذاته وجودي أو

هو نسبة بين المحب و المحبوب لا وجود لها كل ذلك تحتاج إليه هذه التكملة فاعلم إن الحب لا يقبل الاشتراك و لكن إذا كانت ذات المحب واحدة لا تنقسم فإن كانت مركبة جا ز أن يتعلق حبها بوجوه مختلفة و لكن لأمور مختلفة و إن كانت العين المنسوب إليها تلك الأمور المختلفة واحدة أو تكون تلك الأمور في كثيرين فيه فتتعلق المحبة بكثيرين فيحب الإنسان محبوبين كثيرين و إذا صح أن يحب المحب أكثر من واحد جا ز أن يحب الكثير كما قال أمير المؤمنين

ملك الثلاث الآنسات عناني   و حللن من قلبي بكل مكان

الفتوحات (٤-ج)، جلد ٢، ص: ٣٣٠ هنا سر خفي في قوله عناني فأفرد و ما أعطى لهؤلاء المحبوبين من نفسه أعنة مختلفة فدل أن هذا المحب و إن كان مركبا فما أحب إلا معنى واحدا قام له في هؤلاء الثلاثة أي ذلك المعنى موجود في عين كل واحدة منهن و الدليل على ذلك قوله في تمام البيت و حللن من قلبي بكل مكان فلو أحب من كل واحدة معنى لم يكن في الأخرى لكان العنان الذي يعطي لواحدة غير العنان الذي يعطي الأخرى و لكان المكان الذي تحله الواحدة غير المكان الذي تحله الأخرى فهذا واحد أحب واحدا و ذلك الواحد المحبوب موجود في كثيرين فأحب الكثير لأجل ذلك و هذا كحبنا الله تعالى له و منا من يحبه لنفسه و منا من يحبه للمجموع و هو أتم في المحبة لأنه أتم في المعرفة بالله و الشهود لأن منا من عرفه في الشهود فأحبه للمجموع و منا من عرفه لا في الشهود و لكن في الخبر فأحبه له و منا من عرفه في النعم فأحبه لنفسه و منا من أحبه للمجموع و ذلك أن الشهود لا يكون إلا في صورة و الصورة مركبة و المحب ذو صورة مركبة فيسمع من وجه فيحبه للخبر مثل قوله على لسان نبيه هل واليت لي وليا أو عاديت في عدوا فإذا أحببت الأشياء من أجله و عاديت الأشياء من أجله فهذا معنى حبنا له ليس غير ذلك فقمنا بجميع ما يحبه منا أن نقوم به عن طيب نفس و يكون من لا يشاهده من صورتي في حكم التبع كما هي الجوارح منا و حيوانيتنا بحكم النفس الناطقة لا تقدر على مخالفتها لأنها كالآلات لها تصرفها كيف تريد في مرضاة الله و في غير مرضاته و كل جزء من جوارح الإنسان إذا ترك بالنظر إلى نفسه لا يتمكن له أن يتصرف إلا فيما يرضى الله فإنه له و جميع ما في الوجود بهذه المثابة إلا الثقلان و هو قوله وَإِنْ مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ يريد بذلك التسبيح الثناء على الله لا للجزاء لأنه في عبادة ذاتية لا يتصور معها طلب مجا زاة فهذا من حبه له سبحانه إلا بعض النفوس الناطقة لما جعل لها في معرفة الله القوة المفكرة لم تفطر على العلم بالله و لهذا قبض عليها في قبض الذرية من ظهورهم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ شهادة قهر فسجدت لله كرها لا طوعا من أجل القبض عليها ثم أرسلها مسرحة من تلك القبضة الخاصة و هي مقبوض عليها من حيث لا تشعر فتخيلت أنها مسرحة فلما وجدت مدبرة لهذا الهيكل المظلم جرت في الأمور بحسب ما يعطيها غرضها لا تحب من الأمور إلا ما يلائم

طبعها و غفلت عن مشهد الإقرار بالربوبية عليها لموجدها فبينا هي كذلك إذ قالت لها القوة المفكرة جميع القوي قد استعملتها و غفلت عني و تركتني و أنا من بعض آلاتك و ما لك بي عناية فاستعمليني فقالت لها نعم لا تؤاخذيني فإني جهلت رتبتك و قد أذنت لك في التصرف فيما تعطيه حقيقتك حتى أتحقق بما أنت عليه فأصرفك فيه و أستعملك فقالت سمعا ثم ردت وجهها القوة الفكرية إليها كالمعلمة و قالت لها لقد غفلت عن ذاتك و عن وجودك أنت لم تزالي هكذا موجودة لذاتك أو لم تكوني ثم كنت قالت النفس لم أكن ثم كنت قال الفكر فهذا الذي كونك عينك أو غيرك فكري و حققي و استعمليني فلهذا العمل أنا ففكرت النفس فعلمت بما أعطاها الدليل أنها لم توجد عينها و أنها موجودة لغيرها فالفقر للموجد لها ذاتي بما تجده في نفسها مما يقوم بها من الآلام الطبيعية فتفتقر إلى الأسباب المعتادة لإزالة تلك الآلام فبذلك الافتقار علمت أنها فقيرة في وجود عينها للسبب الموجد لها فلما ثبت لها حدوثها و ثبت أن لها سببا أوجدها ثم فكرت فعلمت إن ذلك السبب لا ينبغي أن يشبهها فيكون فقيرا مثلها و إنه لا يناسب هذه الأسباب المزيلة لآلامها لمشاهدتها حدوث هذه الأسباب بعد أن لم تكن و قبولها للاستحالات و الفساد فثبت عندها أن لها موجدا أوجدها و أوجد كل من يشبهها من الحوادث و الأسباب المزيلة لآلامها فتنبهت أن ثم أمرا ما لولاه لبقيت ذات مرض و علة فمن رحمته بها أوجد لها هذه الأسباب المزيلة آلامها و قد كانت تحب هذه الأسباب و تجري إليها بالطبع فانتقل تعلق ذلك الحب في السبب الموجد تلك الأسباب و قالت هو أولى بي إن أحبه و لكن لا أعلم ما يرضيه حتى أعامله به فحصل عندها حبه فأحبته لما أنعم عليها من وجودها و وجود ما يلائمها و هنا وقفت و هي في ذلك كله غافلة ناسية إقرارها بربوبية موجدها في قبضة الذر فبينا هي كذلك إذ جاءها داع من خارج من جنسها ادعى أنه رسول من عند هذا الذي أوجدها فقالت له أنت مثلي و أخاف أن لا تكون صادقا فهل عندك من يصدقك فإن لي قوة مفكرة بها توصلت إلى معرفة موجدي فقام لها بدليل يصدقه في دعواه ففكرت فيه إلى أن ثبت صدقه عندها فآمنت به فعرفها أن ذلك الموجد الذي أوجدها كان قد قبض عليها و أشهدها على نفسها بربوبيته و إنها شهدت له بذلك فقالت ما عندي من ذلك خبر و لكن من الآن أقوم بواجب ذلك الإقرار فإنك صادق في خبرك و لكن ما أدري ما يرضيه من فعلي فلو حددت حدودا و رسمت لي مراسم أقف عندها حتى تعلم أني ممن وفي بشكره على ما أنعم به علي فرسم لها ما شرع فقامت بذلك شكرا و إن خالف غرضها و لم تفعل ذلك خوفا و لا طمعا لأنه لما رسم لها ما رسم ابتداء و عرفها أن وقوفها عند تلك المراسم يرضيه و ما ذكر لها ما لها في ذلك من الثواب و ما عليها إن خالفت من العقاب فبادرت هذه النفس الزكية لمراضيه في ذلك فقالت لا إله إلا الله كما قيل لها ثم بعد ذلك عرفها بما لها في ذلك من الثواب الجزيل و الإنعام التام و ما لمن خالف شرعه من العقاب فانضاف إلى عبادتها إياه حبا و رضي خاصة

عبادة أخرى تطلبها رغبة في الثواب و رهبة من العقاب فجمعت في عبادتها بين أمرين بين عبادة له و عبادة رغبة و رهبة فأحبته له و لنفسها من حيث ما هي كثيرة بطبيعتها و روحانيتها فتعلقت الرغبة و الرهبة من حيث طبيعتها و تعلقت عبادتها إياه محبة له من روحانيتها فإن أحبت شيئا من الموجودات سواه فإنما تحبه من روحانيتها له و من طبيعتها النيل غرضها فلما رآها الحق على ذلك و قد علم أن من حقيقتها الانقسام و قد جمعت بين الحبين و هو قد وصف نفسه بالغيرة فلم يرد المشاركة و أراد أن يستخلصها لنفسه فلا تحب سواه فتجلى لها في صورة طبيعية و أعطاها علامة لا تقدر على إنكارها في نفسها و هي المعبر عنها بالعلم الضروري فعلمت أنه هو هذه الصورة فمالت إليه روحا و طبعا فلما ملكها و علم أن الأسباب لا بد أن تؤثر فيها من حيث طبيعتها أعطاها علامة تعرفه بها ثم تجلى لها بتلك العلامة في جميع الأسباب كلها فعرفته فاحبت الأسباب من أجله لا من أجلها فصارت بكلها له لا لطبيعتها و لا لسبب غيره فنظرته في كل شيء فزهت و سرت و رأت أنها قد فضلت غيرها من النفوس بهذه الحقيقة فتجلى لها في عين ذاتها الطبيعية و الروحانية بتلك العلامة فرأت أنها ما رأته إلا به لا بنفسها و ما أحبته إلا به لا بنفسها فهو الذي أحب نفسه ما هي أحبته و نظرت إليه في كل موجود بتلك العين عينها فعلمت أنه ما أحبه غيره فهو المحب و المحبوب و الطالب و المطلوب و تبين لها بهذا كله أن حبها إياه له و لنفسها فما شاهدته في هذه المرتبة الأخرى من حبها إياه إن ما كان به لا بها و لا بالمجموع و ما ثم أمر زائد إلا العدم فأرادت أن تعرف ما قدر ذلك الحب و ما غايته فوقفت على قوله كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف و قد عرفته لما تجلى لها في صورة طبيعية فعلمت أنه يستحق من تلك الصورة التي ظهر لها فيها اسم الظاهر و الباطن فعلمت أن الحب الذي أحب به أن يعرف إنما هو في الباطن المنسوب إليه و علمت أن المحب من شأنه إذا قام بالصورة أن يتنفس لما في ذلك التنفس من لذة المطلوب فخرج ذلك النفس عن أصل محبة في الخلق الذي يريد التعرف إليهم ليعرفوه فكان العماء المسمى بالحق المخلوق به فكان ذلك العماء جوهر العالم فقبل صور العالم و أرواحه و طبائعه كلها و هو قابل إلى ما لا يتناهى فهذا بدء حبه إيانا و أما حبنا إياه فبدؤه السماع لا الرؤية و هو قوله لنا و نحن في جوهر العماء كن فالعماء من تنفسه و الصور المعبر عنها بالعالم من كلمة كن فنحن كلماته التي لا تنفد قال تعالى وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ و هي عيسى وَرُوحٌ مِنْهُ و هو النفس و تلك الحقيقة سارية في الحيوان فإذا أراد الله أماته أزال عنه النفس فبالنفس كانت حياته و سيأتي في باب النفس صور التكوينات عنه في العالم فلما سمعنا كلامه و نحن ثابتون في جوهر العماء لم تتمكن أن نتوقف عن الوجود فكنا صورا في جوهر العماء فأعطينا بظهورنا في العماء الوجود للعماء بعد ما كان معقولي الوجود حصل له الوجود العيني فهذا كان سبب بدء حبنا إياه و لهذا نتحرك و نطيب عند سماع النغمات لأجل كلمة كن الصادرة من الصورة الإلهية غيبا و شهادة فشهادة صورة كلمة

كن اثنان كاف و نون و هكذا عالم الشهادة له وجهان ظاهر و باطن فظاهره النون و باطنه الكاف و لهذا مخرج الكاف في الإنسان أدخل لعالم الغيب فإنه من آخر حروف الحلق بين الحلق و اللسان و النون من حروف اللسان و غيب هذه الكلمة هو الواو بين الكاف و النون و هي من حروف الشفتين فلها الظهور و هي حرف علة لا حرف صحيح و لهذا وجد عنه التكوين لأنه حرف علة و لما كان من حروف الشفتين بامتداد النفس من خارج الشفتين إلى ظاهر الكون لهذا كان ظهور الحكم في الجسم للروح فظهرت منه الأفعال و الحركات من أجل روحه و كان روحه غيبا لأن الواو لا وجود لها في الشهادة لأنها حذفت لسكونها و سكون النون فهي تعمل من خلف الحجاب فهي غائبة العين ظاهرة الحكم فغاية حبنا إياه أن نعلم حقيقة ما حبنا هل هو صفة نفسية للمحب أو معنوية فيه أو نسبة بين المحب و المحبوب و هي العلاقة التي تجذب المحب لطلب الوصلة بالمحبوب فقلنا هي صفة نفسية للمحب فإن قيل نراها تزول قلنا من المحال زوالها إلا بزوال المحب من الوجود و المحب لا يزول من الوجود فالمحبة لا تزول و إنما الذي يعقل زواله إنما هو تعلقه بمحبوب خاص يمكن أن يزول ذلك التعلق الخاص و تزول تلك العلاقة بذلك المحبوب المعين و تتعلق بمحبوب آخر و هي متعلقة بمحبوبين كثيرين فتنقطع العلاقة بين المحب و محبوب خاص و هي موجودة في نفسها فإنها عين المحب فمن المحال زوالها فالحب هو نفس المحب و عينه لا صفة معنى فيه يمكن أن ترتفع فيرتفع حكمها فالعلاقة هي النسبة بين المحب و المحبوب و الحب هو عين المحب لا غيره فصف بالحب من شئت من حادث و غيره فليس الحب سوى عين المحب فما في الوجود إلا محب و محبوب لكن من شأن المحبوب أن يكون معدوما و لا بد فيجب إيجاد ذلك المعدوم أو وقوعه في موجود و لا بد لا في معدوم هذا أمر محقق لا بد منه فالعلاقة التي في المحب إنما هي في ذلك الموجود الذي يقبل وجود ذلك المحبوب أو وقوعه لا وجوده إذا كان المحبوب لا يمكن أن يتصف بالوجود و لكن يتصف بالوقوع مثال ذلك أن يحب إنسان إعدام أمر موجود لما في وجوده من الضرر في حقه كالألم فإنه أمر وجودي في المتألم فيحب إعدامه فمحبوبه الإعدام و هو غير واقع فإذا زال الألم فازالته عدمه بعد وجوده بانتقاله إلى العدم فلهذا قلنا في مثل هذا بالوقوع لا بالوجود فالمحبوب معدوم أبدا و لا تصح محبة الموجود جملة واحدة إلا من حيث العلاقة إذ لا تتعلق إلا بموجود يظهر فيه وجود ذلك المحبوب المعدوم و قد بيناه قبل هذا في هذا الباب فقد تبين لك في هذه التكملة ماهية الحب و بدؤه و غايته و بما أحب المحب و حبه لمحبوبه أو لنفسه كل ذلك قد تبين فلنعدل إلى الكلام في الوصل الثاني إن شاء الله تعالى فقد حصل في الحب الإلهي ما فيه غنية على قدر الوقت انتهى الجزء الثاني عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الوصل الثاني) في الحب الروحاني و هو الحب الجامع في المحب أن يحب محبوبه لمحبوبه و لنفسه إذ كان الحب الطبيعي لا يحب المحبوب إلا لأجل نفسه فاعلم أن الحب الروحاني إذا كان المحب موصوفا بالعقل و العلم كان بعقله حكيما و بحكمته عليما فرتب الأمور ترتيب الحكمة و لم يتعد بها منازلها فعلم إذا أحب ما هو الحب و ما معنى المحب و ما حقيقة المحبوب و ما يريد من المحبوب و هل لمحبوبه إرادة و اختيار فيحب ما يحب المحبوب أم لا إرادة له فلا يحب إلا لنفسه أو الموجود الذي لا يريد وجود محبوبه إلا في عين ذلك الموجود فبهذا القدر نقول في الموجود إنه محبوب و إن لم يكن إلا فيه لا عينه فذلك الموجود إن كان ممن يتصف بالإرادة فيمكن أن يحبه له لا لنفسه و إن لم يتصف بالإرادة فلا يحب المحب محبوبه إلا لنفسه أعني لنفس المحب لا لمحبوبه فإن محبوبه غير موصوف بأن له محبة في شيء أو غرضا لكن الذي يوجد فيه هذا المحبوب قد يكون ذا إرادة فيتعين على المحب أن يحب محبوب ذلك الموجود فيحبه له و لكن بحكم التبع هذا تعطيه المحبة فإن المحب يطلب بذاته الوصلة بعد طلبه وجود محبوبه فإن عين وجود محبوبه عين وصلته لا بد من ذلك و هو قولنا

زمان الوجود زمان الوصال　　　زمان الوداد كلوا و اشربوا

و هذا البيت من قصيدة لنا في مجلى حقيقة تجلت لنا في حضرة شهودية و هي

تعجبت من زينب في الهوى　　　و ليس لنا غيرها مذهب

فلما تجلى لنا نور من　　　أنار الحشى فانجلى الغيهب

بذلت لها نفسها ضنة　　　بها و الهوى أبدا متعب

فلم يك بين حصول الهوى　　　و نيل المنى أمد يضرب

لأنه عند ما يحصل الهوى يقع التنفس و التنهد فيخرج النفس بشكل ما تصور في نفس المحب من صورة المحبوب فيظهره صورة من خارج يشاهدها فيحصل له مقصوده و نعيمه بها من غير زمان كما تقدم في ذكر وجود العماء فتممنا و قلنا بعد هذا في القصيدة عينها

تعجبت من رحمة الله بي　　　و من مثل ذا ينبغي تعجبوا

زمان الوداد زمان الوجود　　　زمان الوصال كلوا و اشربوا

فأين الغرام و أين السقام　　　و أين الهيام إلا فأعجبوا

مطهرة الثوب محجوبة　　　فليست إلى أحد تنسب

فإن المحبوب كما قلنا لا بد أن يكون معدوما و في حال عدمه فهو طاهر الثوب في أول ما يوجد لأنه ما اكتسب منه مما يشينه و يدنسه في أول ظهوره و وجوده فالأصل الطهارة و هو قوله كل مولود يولد على الفطرة و هي الطهارة و قولنا محجوبة هو عدمها الذي قلنا من شهود الوجود و قولنا فليست إلى أحد تنسب لأن المعدوم لا ينسب و لكن المحب يطلبه لنفسه ثم تممنا فقلنا و هو آخر القصيدة

فقد وجب الشكر لله إذ هي البكر لي و أنا الثيب

لأن المحبوب وجد عن عدم فهو بكر و قد كنت أحببت قبل ذلك فإنا ثيب فإذا كان المحبوب الذي هو المعدوم إذا وجد لا يوجد في موجود يتصف بالإرادة لم يتصف هذا المحب بأنه يريده له فيحبه لنفسه بالضرورة كالحب الطبيعي فإذا كان المحبوب لا يوجد إلا في موجود متصف بالإرادة كالحق تعالى أو جارية أو غلام و ما ثم من يتعلق به حب المحب إلا من ذكرناه فحينئذ يصح أن يحب ما يحب هذا الموجود الذي لا يوجد محبوبه إلا فيه فإن اتفق أن يكون ذلك لا يريد ما أحب هذا المحب بقي المحب على أصله في محبته محبوبه لأن محبوبه ما له إرادة كما قلنا فلا يلزم من هذا أن يحب ما أحب هذا الموجود الذي لا يحب ما يحبه هذا المحب إذ كان ذلك الموجود ما هو عين المحبوب و إنما هو محل لوجود ذلك المحبوب و ليس في قوة المحب إيجاد ذلك المحبوب في هذا الموجود إلا إن أمكنه من نفسه و أما إن كان المحبوب ممن لا يكون وجوده في موجود فلا يتمكن له إيجاد المحبوب البتة إلا أن تقوم من الحق به عناية فيعطيه التكوين كعيسى ع و من شاء الله من عباده فإذا أعطى هذا فبالضرورة يحمله الحب على إيجاد محبوبه و هذه مسألة لا تجدها محققة على ما ذكرناه فيها في غير هذا الكتاب لأني ما رأيت أحدا حقق فيها ما ذكرناه و إن كان المحبون كثيرين بل كل من في الوجود محب و لكن لا يعرف متعلق حبه و ينحجبون بالموجود الذي يوجد محبوبه فيه فيتخيلون أن ذلك الموجود محبوبهم و هو على الحقيقة بحكم التبعية فعلى الحقيقة لا يحب أحد محبوبا لنفس المحبوب و إنما يحبه لنفسه هذا هو التحقيق فإن المعدوم لا يتصف بالإرادة فيحبه المحب له و يترك إرادته لإرادة محبوبه و لما لم يكن الأمر في نفسه على هذا لم يبق إلا أن يحبه لنفسه فافهم فهذا هو الحب الروحاني المجرد عن الصورة الطبيعية فإن تلبس بها و ظهر فيها كما قلنا في الحب الإلهي و هو في الروحاني أقرب نسبة لأنه على كل حال صورة من صور العالم و إن كان فوق الطبيعة فاعلم أنه إذا قبل الروح الصورة الطبيعية في الأجساد المتخيلة لا في الأجسام المحسوسة التي جرت العادة بإدراكها فإن الأجساد المتخيلة أيضا معتادة الإدراك لكن ما كل من يشهدها يفرق بينها و بين الأجسام الحقيقية عندهم و لهذا لم يعرف الصحابة جبريل حين نزل في صورة أعرابي و ما علمت أن ذلك جسد متخيل حتى عرفهم النبي ص لما قال لهم هذا جبريل و لم يقم بنفسهم شك أنه عربي و كذلك مريم حين تمثل لها الملك بَشَراً سَوِيًّا لأنه ما كانت عندها علامة في الأرواح إذا تجسدت و كذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة

فيتعوذون منه لعدم معرفتهم به فكان الحكم في الجناب الإلهي و الروحاني في الصور سواء في حق المتجلي له من الجهل به فلا بد لمن اعتنى الله به من علامة بها يعرف تجلى الحق من تجلى الملك من تجلى الجان من تجلى البشر إذا أعطوا قوة الظهور في الصور كقضيب البان و أمثاله فإذا كان البشر بهذه النشأة الترابية العنصرية له قوة التحول في الصور في عين الرائي و هو على صورته فهذا التحول في الأرواح أقرب فاعلم من ترى و بما ذا ترى و ما هو الأمر عليه و قد بينا ذلك في باب المعرفة في علم الخيال فانظره هناك فإذا تجلى الروح في صورة طبيعية مشى الحكم عليها كما ذكرناه في الحب الإلهي سواء من حيث قبول تلك الصورة للظاهر و الباطن لا تعدل عن ذلك المجرى فاعلم ذلك فيجمع الروحاني بين الحب الطبيعي و الروحاني و بين الحب لنفسه و لمحبوبه إن كان محبوبه كما قلنا ذا إرادة و يتبين لك بما قررناه أن الناس لا يعرفون ما يحبون و أنه يندرج محبوبهم في موجود ما فيتخيلون أنهم يحبون ذلك الموجود و ليس كذلك فاعلم قدر ما أعلمتك به و اشكر الله حيث خلصك من الجهل بي و هذا القدر كاف في الغرض المقصود فإن فيه تفاريع كثيرة و غرضنا في هذا الكتاب تحصيل الأصول و الحمد لله (الوصل الثالث) في الحب الطبيعي و هو نوعان طبيعي و عنصري و نسينا أن تذكر غاية الحب الروحاني فلنذكره في الحب الطبيعي لتعلقه بالصورة الطبيعية فغايته الاتحاد و هو أن تصير ذات المحبوب عين ذات المحب و ذات المحب عين ذات المحبوب و هو الذي تشير إليه الحلولية و لا علم لها بصورة الأمر فاعلم أن الصورة الطبيعية على أي حال كان ظهورها جسما أو جسدا بأي نسبة كانت فإن المحبوب الذي هو المعدوم و إن كان معدوما فإنه ممثل في الخيال فله ضرب من ضروب الوجود المدرك بالبصر الخيالي في الحضرة الخيالية بالعين الذي تليق بها فإذا تعانق الحبيبان و امتص كل واحد منهما ريق صاحبه و تحلل ذلك الريق في ذات كل واحد من الحبيبين و تنفس كل واحد من الصورتين عند التقبيل و العناق فخرج نفس هذا فدخل في جوف هذا و نفس هذا في جوف هذا و ليس الروح الحيواني في الصور الطبيعية سوى ذلك النفس و كل نفس فهو روح كل واحد من المتنفسين و قد حيي به من قبله في حال التنفيس و التقبيل فصار ما كان روحا لزيد هو بعينه يكون روحا لعمرو و قد كان ذلك النفس خرج من محب فتشكل بصورة حب فصحبته لذة المحبة فلما صار روحا في هذا الذي انتقل إليه و صار نفس الآخر روحا في هذا الآخر عبر عن ذلك بالاتحاد في حق كل واحد من الشخصين و صح له أن يقول أنا من أهوى و من أهوى أنا و هذا غاية الحب الروحاني في الصور الطبيعية و هو قوله في القصيدة في أول هذا الباب روحا بروح و جثمانا بجثمان ثم نرجع إلى الحب الطبيعي فنقول إن الحب الطبيعي هو العام فإن كل ما تقدم من الحب في الموصوفين به قبلوا الصور الطبيعية على ما تعطيه حقائقهم فاتصفوا في حبهم بما تتصف به الصور الطبيعية من الوجد و الشوق و الاشتياق وحب اللقاء بالمحبوب و رؤيته و الاتصال به و قد وردت أخبار كثيرة صحاح في ذلك يجب الايمان بها مثل

قوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه مع كونه ما زال من عينه و لا يصح أن يزول عن عينه فإنه عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ و رقيب و مع هذا فجاء باللقاء في حقه و في حق عبده و وصف نفسه بالشوق إلى عباده و أنه أشد فرحا و محبة في توبة عبده من الذي ضلت راحلته عليها طعامه و شرابه في أرض دوية ثم يجدها بعد ما يئس من الحياة و أيقن بالموت فكيف يكون فرحه بها فالله أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الشخص براحلته مع غناه سبحانه و قدرته و نفوذ إرادته في عباده و لكن انظر في سر قوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فتعلم أنه ما تعدى بالأمور استحقاقها و أن مرتبة العلم ما فوقها مرتبة و قد قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ لأنه خلاف المعلوم فوقوعه محال فالأمر و إن كان ممكنا بالنظر إليه فليس بممكن بالنظر إلى علم الله فيه بوقوع أحد الإمكانين و أحدية المشيئة فيه و ما تعلقت المشيئة الإلهية بكونه فلا بد من كونه و ما لا بد من وقوعه لا يتصف بالإمكان بالنظر إلى هذه الحقيقة و لهذا عدل من عدل من الناظرين في هذا الشأن من إطلاق اسم الممكن عليه إلى اسم الواجب الوجود بالغير و هو أولى في التحقيق لأحدية المشيئة و لهذا قال و لو شاء حيث ما قاله و لو حرف امتناع لامتناع فقد سبقت المشيئة بما سبقت كما قال وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ فكان اسم وجوب الوجود بالغير أكمل في نسبة الأمر من اسم الممكن إذ ما ثم إلا أمر واحد كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ فزال الاحتمال فزال الإمكان فما ثم إلا وجوب مطلق أو وجوب مقيد ثم نرجع و نقول اعلم أن الحب الطبيعي من ذاته إذا قام بالمحب أن لا يحب المحبوب إلا لما له فيه من النعيم به و اللذة فيحبه لنفسه لا لعين المحبوب و قد تبين لك فيما تقدم أن هذه الحقيقة سارية في الحب الإلهي و الروحاني فأما بدء الحب الطبيعي فما هو للانعام و الإحسان فإن الطبع لا يعرف ذلك جملة واحدة و إنما يحب الأشياء لذاته خاصة فيريد الاتصال بها و الدنو منها و هو سار في كل حيوان و هو في الإنسان بما هو حيوان فيحبه الحيوان في نفس الأمر لقوام وجوده به لا لأمر آخر و لكن لا يعرف معنى قوام وجوده و إنما يجد داعية من نفسه للاتصال بموجود معين ذلك الاتصال هو محبوبه بالأصالة و ذلك لا يكون إلا في موجود معين فيحب ذلك الوجود بحكم التبعية لا بالأصالة فاتصاله اتصال محسوس و قرب محسوس و هو قولنا و جثمانا بجثمان فهذا هو غاية الحب الطبيعي فإن كان نكاحا عين محبوبه في موجود ما فغايته حصول ذلك المحبوب في الوجود فيطلب و يشتاق للمحل الذي يظهر فيه عين محبوبه و لا يظهر إلا بينهما لا في واحد منهما لأنها نسبة بين اثنين و كذلك إن كان عناقا أو تقبيلا أو مؤانسة أو ما كان و لا فرق بين أن تقول طبيعة الشيء أو حقيقته كل ذلك سائغ في العبارة عنه و هو في الإنسان أتم من غيره لأنه جامع حقائق العالم و الصورة الإلهية فله نسبة إلى الجناب الأقدس فإنه عنه ظهر و عن قوله كن تكون و له نسبة إلى الأرواح بروحه و إلى عالم الطبيعة و العناصر بجسمه من حيث نشأته فهو يحب كل ما تطلبه العناصر و الطبيعة بذاته و ليس إلا عالم الأجسام و الأجساد و الأرواح و منها أجسام عنصرية و كل جسم عنصري فهو طبيعي و منها أجسام

طبيعية غير عنصرية فما كل جسم طبيعي عنصري فالعناصر من الأجسام الطبيعية لا يقال فيها عنصرية و كذلك الأفلاك و الأملاك و لهذا عرفنا إن الملأ الأعلى يختصمون فيدخلون في قوله تعالى وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ و هم يخالفون هؤلاء المرحومين مخالفيهم وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ أي من أجل الخلاف خلقهم لأن الأسماء الإلهية متفاضلة فمن هناك صدر الخلاف أين الضار من النافع و المعز من المذل و القابض من الباسط و أين الحرارة من البرودة و أين الرطوبة من اليبوسة و أين النور من الظلمة و أين العدم من الوجود و أين النار من الماء و أين الصفراء من البلغم و أين الحركة من السكون و أين العبودية من الربوبية أ ليست هذه متقابلات ف لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ و أين التحليل من التحريم في العين الواحدة للشخصين فيحرم على هذا ما يحل لهذا فيتوارد حكمان مختلفان على عين واحدة فانظر حكم الطبيعة المتضادة من أين صدرت و ما كان سبب وجودها متقابلة من العلم الإلهي لتعلموا أنه ليس بيد أحد من المخلوقين مما سوى الله من الأمر شيء لا في الدنيا و لا في الآخرة حتى أن الآخرة ذات دارين رؤية و حجاب فالحمد لله الذي أبان لنا عن الأمور و مصادرها و مواردها و جعلنا من العارفين بها فالله يجعلنا ممن أسعده بما علمه فقد تبين لك أن المحبوب هو الاتصال بموجود ما من كثيرين أو قليلين و مع كونه مؤانسة و مجالسة و تقبيلا و عناقا و غير ذلك بحسب ما تقتضيه حقيقة الموجود فيه عين المحبوب و بحسب حقيقة المحب فالمحبوب واحد العين متنوع و هو حب الاتصال خاصة إما بحديث أو ضم أو تقبيل هذا تنوعه في واحد أو كثيرين فلا يصح أن يحب المحب اثنين أصلا لأن القلب لا يسعهما فإن قلت هذا يمكن أن يصح في حب المخلوق و أما في حب الخالق فلا فإنه قال يحبهم فأحب كثيرين قلنا الحب معقول المعنى و إن كان لا يحد فهو مدرك بالذوق غير مجهول و لكن عزيز التصور و هو مجهول النسبة إلى الله تعالى فإن الله لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فقولك و أما في حب الحق فلا هذا تحكم منك فإنه لا يقول هذا إلا من يعرف ذات الحق و هي لا تعرف فلا تعرف النسبة و تعرف المحبة فإنه ما خاطب عباده إلا بلسانهم و بما يعرفونه في لحنهم من كل ما ينسبه إلى نفسه و وصف أنه عليه و لكن كيفية ذلك مجهولة (وصل) و أما القسم الثاني و هو الحب العنصري فهو و إن كان طبيعيا فبين القسمين فارق و ذلك أن الطبيعي لا يتقيد بصورة طبيعية دون صورة طبيعية و هو مع كل صورة كما هو مع الأخرى في الحب مثل الكهرباء مع ما يتعلق بها و مسكه بالخاصية و أما العنصري فهو الذي يتقيد بصورة طبيعية وحدها كقيس ليلى و قيس لبني و كثير عزة و جميل بثينة و لا يكون هذا إلا لعموم المناسبة بينهما كمغناطيس الحديد و يشبهه في الحب الروحاني وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و يشبهه من الحب الإلهي التقييد بعقيدة واحدة دون غيرها كما يشبه الروحاني الطبيعي في الطهارة و يشبه الإلهي الطبيعي في الذي يراه في جميع العقائد عينا واحدة (وصل) و اعلم أن الحب كما قلناه و إن كان له أربعة ألقاب فلكل لقب حال فيه ما هو عين الآخر فلنبين ذلك كله فمن ذلك الهوى و يقال على نوعين و هما

في الحب النوع الواحد سقوطه في القلب و هو ظهوره من الغيب إلى الشهادة في القلب يقال هوى النجم إذا سقط يقول تعالى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى فهو من أسماء الحب في ذلك الحال و الفعل منه هوى يهوى بكسر عين الفعل في الماضي و فتحها في المستقبل و الاسم منه هوى و هو الهوى و هذا الاسم هو الفعل الماضي من الهوى الذي هو السقوط يقال هوى بفتح عين الفعل في الماضي يهوي بكسرها في المستقبل و الاسم منه هوى و سبب حصول المعنى الذي هو الهوى في القلب أحد ثلاثة أشياء أو بعضها أو كلها إما نظرة أو سماع أو إحسان و أعظمها النظر و هو أثبتها فإنه لا يتغير باللقاء و السماع ليس كذلك فإنه يتغير باللقاء فإنه يبعد أن يطابق ما صوره الخيال بالسماع صورة المذكور و أما حب الإحسان فمعلول تزيله الغفلة مع دوام الإحسان لكون عين المحسن غير مشهودة و أما الهوى الثاني فلا يكون إلا مع وجود حكم الشريعة و هو قوله لداود فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى يعني لا تتبع محابك بل اتبع محابي و هو الحكم بما رسمته لك ثم قال فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ أي يحيرك و يتلفك و يعمى عليك السبيل الذي شرعته لك و طلبت منك المشي عليه و هو الحكم به فالهوى هنا محاب الإنسان فأمره الحق بترك محابه إذا وافق غير الطريق المشروعة له فإن قلت فقد نهاه عما لا يصح أن ينتهي عنه فإن الحب الذي هو الهوى سلطانه قوي و لا وجود لعين العقل معه قلنا ما كلفه إزالة الهوى فإنه لا يزول إلا أن الهوى كما قلنا يختلف متعلقة و يكون في موجودين كثيرين و قد بينا أن الهوى الذي هو الحب حقيقته حب الاتصال في موجود ما أو كثيرين فطلب منه تعالى أن يعلقه بالحق الذي شرع له و هو سبيل الله كما يعلقه بسبل كثيرة ما هي سبيل الله فهذا معنى قوله وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فما كلفه ما لا يطيق فإن تكليف ما لا يطاق محال على العالم الحكيم أن يشرعه فإن احتججت بتكليف الايمان من سبق في علم الله أنه لا يؤمن كأبي جهل و أمثاله قلنا الجواب من وجهين الوجه الواحد إني لست أعني بتكليف ما لا يطاق إلا ما جرت العادة به أنه لا يطيقه المكلف مثل أن يقول له اصعد إلى السماء بغير سبب و اجمع بين الضدين فقم في الوقت الذي لا يقوم و إنما كلفه ما جرت العادة به أن يطيقه و هو اعتقاد الايمان أو التلفظ به و كلاهما يجد كل إنسان في نفسه التمكن من مثل هذا كسبا أو خلقا كيفما شئت فقل و لهذا تقوم الحجة به لله على العبد يوم القيامة و قد قال قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فلو كلفه ما ليس في وسعه عادة لم يصح قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ بل كان يقول و لله أن يفعل ما يريد كما قال لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ و معنى ذلك أنه لا يقال للحق لم كلفتنا و نهيتنا و أمرتنا مع علمك بما قدرته علينا من مخالفتك هذا موضع لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ فإنه يقول لهم هل أمرتكم بما تطيقونه أو بما لا تطيقونه عندكم فلا بد أن يقولوا بما جرت العادة به أن نطيقه فقد كلفهم ما يطيقونه فثبت إن لله الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فإنهم جاهلون بعلم الله فيهم زمان التكليف و الجواب الثاني قد تقدم من أنه لا بد من الايمان به و قد وقع في قبض الله الذرية و يظهر حكمه في الآخرة فلا يبقى إلا مؤمن و هو في الدار الدنيا معترف بوجوده و إن أشرك فما يشرك إلا

بموجود و لهذا ما طلب منه إلا توحيد الأمر له خاصة و هو محبوب الحق و هو معدوم منهم و هو يحب توحيده أن يظهر في هؤلاء الموجودين فهو و إن أحب واحدا فأحبه من كثيرين فمن اتصف به أحبه الله لكون محبوبه و هو التوحيد ظهر فيه و من أبغضه فلكون محبوبه لم يظهر فيه و هو التوحيد فمال الكل إلى الايمان و قد قررنا ذلك في سبق الرحمة غضب الله فقد تبين لك معنى الهوى و أما الحب فهو أن يتخلص هذا الهوى في تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل فإذا تخلص له وصفا من كدورات الشركاء من السبل سمي حبا لصفائه و خلوصه و منه سمي الحب الذي يجعل فيه الماء حبا لكون الماء يصفو فيه و يروق و ينزل كدرة إلى قعره و كذلك الحب في المخلوقين إذا تعلق بجناب الحق سبحانه و تخلص له من علاقته بالأنداد الذين جعلها المشركون شركاء لله في الألوهة سمي ذلك حبا بل قال فيه تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ و سبب ذلك أنه إذا كشف الغطاء و تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا من الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا فزال حبهم إياهم في ذلك الموطن و بقي المؤمنون على حبهم لله فكانوا أشد حبا لله بما زادوا على أولئك في وقت رجوعهم عن حبهم آلهتهم حين لم تغن عنهم من الله شيئًا فلا يبقى مع المشركين يوم القيامة إلا حبهم لله خاصة فإنهم في الدنيا أحبوه و أحبوا شركاءهم على أنهم آلهة و لو لا ذلك التوهم و الغلط ما أحبوهم فكان محبوبهم الألوهة و تخيلوها في كثيرين فأحبوه و أحبوا الشركاء فإذا كان في القيامة كما ذكرنا لم يبق عندهم سوى حبهم لله تعالى فكانوا في الآخرة أشد حبا لله منهم له في الدنيا لكون حبهم كان منقسما فاجتمع عليه في الآخرة لما لم يعاين محبوبه و هو الألوهة إلا فيه خاصة فلذلك كان سبق الرحمة و قوة الطرفين و ضعف الواسطة بما فيها من الشركة و قد بينا ذلك كله فيما تقدم فهذا الفرق بين الحب و الهوى و أما العشق فهو إفراط المحبة أو المحبة المفرطة و هو قوله في الذين آمنوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ و هو مع صفاته لو أخذ الذي هو مسمى الحب و ظهوره في حبة القلب الذي أيضا به سمي حبا فإذا عم الإنسان بجملته و أعماه عن كل شيء سوى محبوبه و سرت تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه و قواه و روحه و جرت فيه مجرى الدم في عروقه و لحمه و غمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجوده و عانقت جميع أجزائه جسما و روحا و لم يبق فيه متسع لغيره و صار نطقه به و سماعه منه و نظره في كل شيء إليه و رآه في كل صورة و ما يرى شيئًا إلا و يقول هو هذا حينئذ يسمى ذلك الحب عشقا كما حكي عن زليخا أنها افتصدت فوقع الدم في الأرض فانكتب به يوسف يوسف في مواضع كثيرة حيث سقط الدم لجريان ذكر اسمه مجرى الدم في عروقها كلها و هكذا حكي عن الحلاج لما قطعت أطرافه انكتب بدمه في الأرض الله الله حيث وقع و لذلك قال رحمه الله

ما قد لي عضو و لا مفصل   إلا و فيه لكم ذكر

فهذا من هذا الباب و هؤلاء هم العشاق الذين استهلكوا في الحب هذا الاستهلاك و هو الذي يسمى بالغرام و سيأتي ذكره في نعت المحبين إن شاء الله و أما الود فهو ثبات الحب أو العشق أو الهوى أية حالة كانت من أحوال هذه الصفة فإذا ثبت صاحبها الموصوف بها عليها و لم يغيره شيء عنها و لا أزاله عن حكمها و ثبت سلطانها في المنشط و المكره و ما يسوء و يسر في حال الهجر و الطرد من الموجود الذي يحب أن يظهر فيه محبوبه و لم يبرح تحت سلطانه لكونه مظهر محبوبه سمي لذلك ودا و هو قوله تعالى سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا أي ثباتا في المحبة عند الله و في قلوب عباده هذا معنى الود و للحب أحوال كثيرة جدا في المحبين سأذكرها إن شاء الله مثل الشوق و الغرام و الهيام و الكلف و البكاء و الحزن و الكبد و الذبول و الانكسار و أمثال ذلك مما يتصف به المحبون و يذكرونه في أشعارهم مفصلة إن شاء الله و قد يقع في الحب أغاليط كثيرة أولها ما ذكرناه و هو إنهم يتخيلون أن المحبوب أمر وجودي و هو أمر عدمي يتعلق الحب به أن يراه موجودا في عين موجودة فإذا رآه انتقل حبه إلى دوام تلك الحال التي أحب وجودها من تلك العين الموجودة فلا يزال المحبوب معدوما و ما يشعر بذلك أكثر المحبين إلا أن يكونوا عارفين بالحقائق و متعلقاتها و قد بينا ذلك و أكثر كلامنا في هذا الباب إنما هو في المحبة المفرطة فإنها تذهب بالعقول أو تورث النحول و الفكر الدائم و الهمم اللازم و القلق و الأرق و الشوق و الاشتياق و السهاد و تغيير الحال و كسوف البال و الوله و البله و سوء الظن بالمحبوب أعني الموجود الذي تحب ظهور محبوبك فيه الذي تزعم العامة فيه أنه المحبوب لها و نحن فيه على نوعين طائفة منا نظرت إلى المثال الذي في خيالها من ذلك الموجود الذي يظهر محبوبه فيه و يعاين وجود محبوبه و هو الاتصال به في خياله فيشاهده متصلا به اتصال لطف ألطف منه في عينه في الوجود الخارج و هو الذي اشتغل به قيس المجنون عن ليلى حين جاءته من خارج فقال لها إليك عني لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالية فإنها في خياله ألطف منها في عينها و أجمل و هذا ألطف المحبة و صاحب هذا النعت لا يزال منعما لا يشكو الفراق و لنا في هذا النعت اليد الطولى بين المحبين فإن مثل هذا في المحبين عزيز الوجود لغلبة الكثافة عليهم و سبب ذلك عندنا أنه من استفرغ في حب المعاني المجردة عن المواد فغايته إذا كثفها أن ينزلها إلى الخيال و لا ينزل بها أكثر فمن كان أكثف حاله الخيال فما ظنك بلطافته في المعاني و هذا الذي حاله هذا هو الذي يمكن أن يحب الله فإن غايته في حبه إياه إذا لم يجرده عن التشبيه أن ينزله إلى الخيال و هو قوله ع اعبد الله كأنك تراه فإذا أحببنا و نحن بهذه الصفة موجودا نحب ظهور محبوبنا فيه من المحسوسات عالم الكثائف نلطفه بأن نرفعه إلى الخيال لنكسوه حسنا فوق حسنه و نجعله في حضرة لا يمكنه الهجر معها و لا الانتقال عنها فلا يزال في اتصال دائم و لنا في ذلك

ما لمجنون عامر من هواه   غير شكوى البعاد و الاغتراب

و أنا ضده فإن حبيبي | في خيالي فلم أزل في اقتراب
فحبيبي مني و في و عندي | فلما ذا أقول ما بي و ما بي

أما قولنا يذهب الحب بالعقول فإنهم قالوا و لا خير في حب يدبر بالعقل و قال أبو العباس المقراني الكساد الحب أملك للنفوس من العقول و إنما قالوا ذلك لأن العقل يقيد صاحبه و الحب من أوصافه الضلال و الحيرة و الحيرة تنافي العقل فإن العقل يجمعك و الحيرة تفرقك قال إخوة يوسف ليعقوب إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ يريدون حيرته في حب يوسف و الحيرة تفرق و لا تجمع و لهذا وصفت المحبة بالبث و هو تفرق هموم المحب في وجوه كثيرة قال تعالى وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِساءً و كذلك قوله هَبَاءً مُنْبَثًّا و المحب في حكم محبوبه فلا تدبير له في نفسه و إنما هو يحكم ما يعطيه و يأمره به سلطان الحب المستولي على قلبه و من ضلالته في حبه أنه يتخيل في كل شخص أن محبوبه حسن عنده و أنه يرى منه مثل ما يراه هذا المحب و هذا من الحيرة و على هذا جرى المثل حسن في كل عين من تود يعني عندك أيها المحب تتخيل أن كل من يرى محبوبك يحسن عنده كما يحسن عندك و من ضلالة المحب أنه يتحير في الوجوه التي يرى أنه يحصل محبوبه منها فيقول أفعل كذا لنصل بهذا الفعل إلى محبوبي أو كذا و كذا فلا يزال يحار في أي الوجوه يشرع لأنه يتخيل أن وجود اللذة بمحبوبه في الحس أعظم منها في الخيال و ذلك لغلبة الكثافة على هذا المحب و يغفل عن لذة التخيل في حال النوم فإنه أشد من التذاذه بالخيال لأنه أشد اتصالا به من الخيال و الاتصال بالخيال أشد من الاتصال بالخارج و هو المحسوس فلذته بمعنى أشد اتصالا من الخيال فيحار المحب في تحصيل الوجوه التي بها يصل إلى الاتصال من خارج و يسأل عن ذلك من يعرف أن عنده خبرا من هذا الشأن عسى يجد عنده حيلة في ذلك و لا سيما و قد سمع في ذلك في قول القائل لو صح منك الهوى أرشدت للحيل يعني فيما تصنع حتى تتصل بالمحبوب (وصل) فأول ما أذكره من نعوت المحبين ما حدثنا به يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي العباسي القصار بمكة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال أخبرنا ابن عبد الباقي أخبرنا أحمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو بكر الدينوري المفسر سنة ثمان و ثمانين و مائتين حدثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال سمعت ذا النون يقول إن لله عبادا ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته و فسح أرواحهم بالشوق إلى رؤيته فسبحان من شوق إليه أنفسهم و أدنى منه فهمهم و صفت له صدورهم فسبحان موفقهم و مؤنس وحشتهم و طبيب أسقامهم إلهي لك تواضعت أبدانهم و إلى الزيادة منك انبسطت أيديهم فاذقتهم من حلاوة الفهم عنك ما طيبت به عيشهم و أدمت به نعيمهم ففتحت لهم أبواب سماواتك و أبحت لقلوبهم الجولان في ملكوتك بل ما نسيت محبة المحبين و عليك معول شوق المشتاقين و إليك حنت قلوب العارفين و بك أنست قلوب الصادقين و عليك عكفت

رهبة الخائفين و بك استجارت أفئدة المقصرين قد يئست الراحة من فتورهم و قل طمع الغفلة فيهم فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم و لا يفترون عن التعب و السهر يناجونه بألسنتهم و يتضرعون إليه بمسكنتهم يسألونه العفو عن زلاتهم و الصفح عما وقع من الخطاء في أعمالهم فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان و خدموه خدمة الأبرار و من نعوتهم رضي الله عنهم النحول و هو نعت يتعلق بكثائفهم و بلطائفهم فأما تعلقه بلطائفهم فإن أرواح المحبين و إن لطفت عن إدراك الحواس و لطفت عن تصوير الخيال فإن الحب يلطفها لطافة السراب لمعنى أذكره و ذلك أن السراب يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً و ذلك لظمئه لولا ذلك ما حسبه ماء لأن الماء موضع حاجته فيلجأ إليه لكونه مطلوبه و محبوبه لما فيه من سر الحياة ف إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً و إذا لم يجده شيئا وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ عوضا من الماء فكان قصده حسا للماء و الله يقصد به إليه من حيث لا يشعر فكما أنه تعالى يمكر بالعبد من حيث لا يشعر كذلك يعتني بالعبد في الالتجاء إليه و الرجوع إليه و الاعتماد عليه بقطع الأسباب عنه عند ما يبديها له من حيث لا يشعر فوجود الله عنده عند فقد الماء المتخيل له في السراب هو رجوعه إلى الله لما تقطعت به الأسباب و تغلقت دون مطلوبه الأبواب رجع إلى من بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و هو كان المطلوب به من الله هذا فعله مع أحباه يردهم إليه اضطرارا و اختيارا كذلك أرواحهم يحسبونها قائمة بحقوق الله التي فرضها عليها و إنها المتصرفة عن أمر الله محبة لله و شوقا إلى مرضا تهليراها حيث أمرها فإذا كشف لها الغطاء و احتد بصرها وجدت نفسها كالسراب في شكل الماء فلم تر قائما بحقوق الله إلا خالق الأفعال و هو الله تعالى فوجدت الله عين ما تخيلت أنه عينها فذهبت عينها عنه و بقي المشهود الحق بعين الحق كما فنى ماء السراب عن السراب و السراب مشهود في نفسه و ليس بماء كذلك الروح موجود في نفسه و ليس بفاعل فعلم عند ذلك أن المحب عين المحبوب و أنه ما أحب سواه و لا يكون إلا كذلك و ألطف من هذا النحول في الأرواح فلا يكون و أما النوع المتعلق من النحول بكثائفهم فهو ما يتعلق به الحس من تغير ألوانهم و ذهاب لحوم أبدانهم لاستيلاء جولان أفكارهم في أداء ما كلفهم المحبوب أداءه مما افترضه عليهم فبذلوا المجهود ليتصفوا بالوفاء بالعهود إذ كانوا عاهدوا الله على ذلك و عقدوا عليه في إيمانهم به و برسوله و سمعوه يقول آمرا يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و قال أَوْفُوا بِعَهْدِي و لا تنقضوا الميثاق و قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا فهذا سبب نحول أجسامهم و من نعوت المحبين الذبول و هو نعت صحيح في أرواحهم و أجسامهم أما في أجسامهم فسببه ترك ملاذ الأطعمة الشهية التي لها الدسم و الرطوبة و هي مستلذة للنفوس و تورث في الأجسام نضرة النعيم فلما رأوا رضي الله عنهم أن الحبيب كلفهم القيام بين يديه و مناجاته ليلا عند تجليه و نوم النائمين و رأوا أن الرطوبات الحاصلة في أجسامهم تصعد منها أبخرة إلى الدماغ تخدر الحواس و تغمرها فيغلبهم النوم عما في نفوسهم من القيام بين يدي محبوبهم لمناجاته في خلواتهم حين يناموا ثم إن تلك الأبخرة

تورث قوة في أبدانهم تؤدي تلك القوة الجوارح إلى التصرف في الفضول الذي حجر عليهم التصرف فيه محبوبهم فتركوا الطعام و الشراب إلا قدر ما تمس الحاجة إليه من ذلك فقلت الرطوبة في أجسامهم فزالت عنهم نضرة النعيم و ذبلت شفاههم و استرخت أبدانهم و راح نومهم و تقوى سهرهم فنالوا مقصودهم من القيام بين يديه و وجدوا المعونة على ذلك بما تركوه فذلك هو ذبول الأجسام و أما ذبول أرواحهم فإن لهم نعيما بالمعارف و العلوم لأن لهم نسبة إلى أرواح الملإ الأعلى ليأنسوا بالجنس رغبة في المعاونة لما سمعوا الله تعالى يقول وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى فتخيلوا أنهم المخاطبون بذلك و ليس الأمر كذلك فإن الذين خوطبوا بذلك هم الذين يليق بهم أن يتعاونوا على الإثم و العدوان و لذلك أردف بالنهي فقال وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللهَ و هذا ليس من صفات الملإ الأعلى فلما عرفوا غلطهم في ذلك عدلوا عن هذه الآية إلى قوله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا أي احبسوا نفوسكم مع الله فلما فارقوا الجنس بهذه الآية ذبلت أرواحهم و قد كانت في نضرة النعيم بمجالسة الجنس لأنها تعلقت بمن لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلم تعرف بينها و بينه مناسبة مثلية فتتعلق بها فقالت لها المعرفة بالله هو ما خاطبك سبحانه إلا بلسانك و لحنك و لغتك و ما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان الذين أنت منهم فارجع إلى مفهوم ما خاطبك به فإنه لم يخرجه عن حقيقة مدلوله و لا تنال بجهلك النسبة إليه من ذلك فإن تلك الصفة التي خاطبك بها تطلبه بذاتها لأنه وصف نفسه بها و لا تكون صفاته إلا بمناسبة خاصة منا إليه فإذا تعلقت أنت بتلك الصفة و لزمتها بالضرورة تحصلك عنده فتعلم عند ذلك صورة نسبتها إليه علم ذوق و تجل إلهي فيزيد ذبولك حتى تصير كالنقطة المتوهمة كما قال بعضهم

أصبحت فيك من الضنا كالنقطة المتوهمة

و هي التي لا وجود لها إلا في الوهم فهذا نعتهم في الذبول و قد روينا في خبر مؤيد بكشف أن إسرافيل ع و هو من أرفع الأرواح العلوية يتضاءل في نفسه كل يوم لاستيلاء عظمة الله على قلبه سبعين مرة حتى يصير كالوضع كما يحشر المتكبرون في نفوسهم على عباد الله يوم القيامة كأمثال الذر ذلة و صغارا و ذلك لما ظهروا به في الدنيا من التعاظم و التكبر فهذا نعت ذبولهم في أرواحهم و أجسامهم و من نعوت المحبين أيضا الغرام و هو الاستهلاك في المحبوب بملازمة الكمد قال تعالى إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً أي مهلكا لملازمة شهود المحبوب فإن الغريم هو الذي لزمه الدين و به سمي غريما و مقلوبة أيضا الرغام و هو اللصوق بالتراب فإن الرغام التراب يقال رغم أنفه إذ كان الأنف محل العزة قوبل بالرغام في الدعاء فألصقوه بالتراب فيكون الغرام حكمه في المغرم من المقلوب فهو موصوف بالذلة لأن التراب أذل الأذلاء و لهذا وصفت الأرض بأنها ذلول على طريق المبالغة لكون الأذلاء يطئونها و لما لازم الحب قلوب المحبين و الشوق قلوب المشتاقين و الأرق نفوس الأرقين و كل صفة للحب موصوفها منه سمي صاحب هذه الملازمات كلها مغرما و سميت صفته غراما فهو

اسم يعم جميع ما يلزم المحب من صفة الحب فليس للمحب صفة أعظم إحاطة من الغرام و من نعوت المحبين الشوق و هو حركة روحانية إلى لقاء المحبوب و حركة طبيعية جسمانية حسية إلى لقاء المحبوب إذا كان من شكله ذلك المحبوب فإذا لقيه أي محبوب كان فإنه يجد سكونا في حركة فيتحير لما ذا ترجع تلك الحركة مع وجود اللقاء و يراها تتزيد و يد ركه معها خوف في حال الوصلة فيجد الخوف متعلقة توقع الفرقة و يجد الحركة الاشتياقية تطلب استدامة حالة الوصلة و لذلك يهيج باللقاء كما قيل في الشوق

و أبرح ما يكون الشوق يوما　　　إذا دنت الديار من الديار

و قال الآخر فيما ذكرناه من الخوف في حال الوصلة

و أبكي إن ناءوا شوقا إليهم　　　و أبكي إن دنوا خوف الفراق

هذا جزاء من أحب غير عينه و جعل وجود عين محبوبه فيما هو خارج عنه فلو أحب الله لم تكن هذه حالته فمحب الله لا يخاف فرقة و كيف يفارق الشيء لازمه و هو في قبضته لا يبرح و بحيث يراه محبوبه و هو أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ أين الفراق و ما في الكون إلا هو يقول الله تعالى من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا الحديث فهكذا ينبغي أن تعرف يا أخي قدر من أحبك لله أو لنفسه إذا كان الحق مع غناه عن العالم إذا أحبه عبده سارع إليه بالوصلة و قربه و أدنى مجلسه و جعله من خواص جلسائه فأنت أولى بهذه الصفة إذا أحبك شخص فقد أعطاك السيادة عليه و جعل نفسه محلا لتحكمك فيه فينبغي لك إن كنت عاقلا أن تعرف قدر الحب و قدر من أحبك و لتسارع إلى وصلته تخلقا بأخلاق الله مع محبته فإنه من بدأك بالمحبة فتلك يد له عليك لا تكافئها أبدا و ذلك لأن كل ما يفعله من الحب بعد ابتدائه معه فإنما هو نتيجة عن ذلك الحب الذي أحبك ابتداء و من نعوت المحبين الهيام و هم المهيمون الذين يهيمون على وجوههم من غير قصد جهة مخصوصة و المحبون لله أولى بهذه الصفة فإن الذي يحب المخلوق إذا هام على وجهه فهو لقلقه و يأسه من مواصلة محبوبه و محب الله متيقن بالوصلة و قد علم أنه سبحانه لا يتقيد و لا يختص بمكان يقصد فيه لأن حقيقة الحق تأبى ذلك و لذلك قال فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ و قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ بمحبة مهيم في كل واد و في كل حال لأن محبوبه الحق فلا يقصده في وجه معين بل يتجلى له في أي قصد قصده على أي حالة كان فهم أحق بصفة الهيمان من محبي المخلوقين فهو تعالى المشهود عند المحبين من كل عين و المذكور بكل لسان و المسموع من كل متكلم هكذا عرفه العارفون و بهذه الحقيقة تجلى للمحبين و من نعوت المحبين الزفرات و هي نار نور محرقة يضيق القلب عن حملها فتخرج منضغطة لتراكمها مما يجده المحب من الكمد فيسمع لخروجها صوت تنفس شديد الحرارة كما يسمع لصوت النار صوت يسمى ذلك الصوت زفرة و لا يكون ذلك إلا في الجسم الطبيعي

خاصة و قد يكون في الصورة المتجسدة و لهذا تتصف الصورة المتجسدة عن المعنى المجرد إذا ظهر فيها و قيل هذه صورته بالغضب و الرضي كالأجسام الطبيعية كما قال ص عن نفسه إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر و إذا كان الجناب الإلهي الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قد وصف نفسه بالرضى و الغضب في هاتين الصفتين و في أمثالهما مما وصف الحق بها نفسه و من تلك الحقيقة ظهرت في العالم و لهذا قلنا إن الله سبحانه علمه بنفسه علمه بالعالم لا يكون إلا هكذا فكل حقيقة ظهرت في العالم و صفة فلها أصل إلهي ترجع إليه لو لا ذلك الأصل الإلهي يحفظ عليها وجودها ما وجدت و لا بقيت و لا يعلم ذلك إلا الآحاد من أهل الله فإنه علم خصوص قال تعالى وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ثم ورد في الخبر ما هو أشد من هذا لمن عقل عن الله و هو ما ورد في الحديث الصحيح من قول الأنبياء في القيامة أن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله فهذا أشد من ذلك حيث اتصف غضبه بالحدوث و الزوال و في ذلك المقام يقول محمد ص فيمن بدل من أصحابه بعده سحقا سحقا لاقتضاء الحال و الموطن فإن صاحب السياسة يجري في أحكامه بحسب الأحوال و المواطن و من نعوت المحبين الكمد و هو أشد حزن القلب لا يجري معه دمع إلا أن صاحبه يكون كثير التأوه و التنهد و هو حزن يجده في نفسه لا على فائت و لا تقصير و هذا هو الحزن المجهول الذي هو من نعوت المحبين ليس له سبب إلا الحب خاصة و ليس له دواء إلا وصال المحبوب فيفنيه شغله به عن الإحساس بالكمد و إن لم تقع الوصلة بالمحبوب اتصال ذوات فيكون المحبوب ممن يأمره فيشغله القيام بأوامره و فرحه بذلك عن الكمد فأكثر ما يكون الكمد إذا لم يقع بينه و بين المحبوب ما يشغله عن نفسه و ليس للمحب صفة تزول مع الاشتغال غير الكمد و نعوت المحبة كثيرة جدا مثل الأسف الوله البهت الدهش الحيرة الغيرة و الخرس السقام القلق الخمود البكاء التبريح و الوجد و السهاد و ما ذكره المحبون في أشعارهم من ذلك و كلامنا في هذا الباب ما يختص بحب الله لعباده و حب العباد لله لا غير ذلك فالله سبحانه قد ذكرا قواما بأنه يحبهم لصفة قامت بهم أحبهم لأجلها كما سلب محبته عن قوم لصفات قامت بهم ذكر ذلك في كتابه و عن لسان رسول الله ص انتهى الجزء الثالث عشر و مائة بانتهاء السفر الخامس عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فمن ذلك الاتباع لرسوله ص فيما شرع قال تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ فاعلم إن لله محبتين أو تعلقين محبته لعباده الذي هو خصوص إرادة التعلق الأول حبه إياهم ابتداء بذلك الحب وفقهم للاتباع اتباع رسله سلام الله على جميعهم ثم أنتج لهم ذلك الاتباع تعلقين من المحبة لأن الاتباع وقع من طريقين من جهة أداء الفرائض و التعلق الآخر من جهة ملازمة النوافل قال ص فيما يرويه عن

ربه عز و جل أنه قال الحديث و فيه و ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه و لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا و مؤيدا و إذا كان الحق سمع العبد و قواه في النوافل فكيف بالحب الذي يكون من الحق له بأداء الفرائض و هو أن يكون الحق يريد بإرادة هذا العبد المجتبى و يجعل له التحكم في العالم بما شاء بمشيئته تعالى الأولية التعلق التي بها و فقه فاندرج هذا التعلق في الأول و هو قوله وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللّٰهُ و كل صفة ذكرها الحق أنه يحب من أجلها من قامت به فما حصلت له تلك الصفة إلا بالاتباع فإن رسول الله ص سنها و ذلك عن الله فإنه ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى و إنه يفعل به و بنا فنفى أن يكون الفعل له و لنا كما يراه بعضهم و هو قوله ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ فهو قوله ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و معنى الاتباع أن نفعل ما يقول لنا فإن قال اتبعوني في فعلي اتبعناه و إن لم يقل فالذي يلزمنا الاتباع فيما يقول فينتج لنا الاتباع فيما أمرنا به و نهانا عنه و الوقوف عند حدوده أن نتبعه في أفعاله في خلقه و هي المسماة كرامة و آية أي علامة على صدق الاتباع و الرسل أيضا تابعون فإنه يقول ع إن أتبع إلا ما يوحى إلي فيكون ما يظهر عليه من الاتباع في فعل الله نتيجة اتباعه لأوامر الله آية و يكون لنا ذلك كرامة و هو الفعل بالهمة و التوجه من غير مباشرة فيظهر على يد هذا العبد من خرق العوائد مما لا ينبغي أن يكون إلا على ذلك الوجه من غير سبب إلا مجرد الإرادة إلا لله تعالى فإن ذلك الفعل إذا ظهر عن سبب موضوع ظاهر لم يكن من هذا الباب كطيران الطائر بسبب ظاهر و إن كان لا يمسكه إلا الله أي الله الذي وضع له أسباب الإمساك في الهواء و الإنسان إذا اخترق الهواء و مشى فيه بمجرد الإرادة لا بسبب ظاهر معتاد أشبه فعل الحق في تكوين الأشياء بالإرادة فهذا الفارق بينه و بين وقوع ذلك بالأسباب و أصله التحقق بالاتباع و المتبع في التشريع إنما هو الله و المتبع في الفعل بالإرادة إنما هو الله و الكل بعناية الله و مشيئته لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و من ذلك حبه سبحانه التوابين فالتواب صفته و من أسمائه تعالى يقول عز و جل أَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوّابُ فما أحب إلا اسمه و صفته و أحب العبد لاتصافه بها و لكن إذا اتصف بها على حد ما أضافها الحق إليه و ذلك أن الحق يرجع على عبده في كل حال يكون العبد عليه مما يبعده من الله و هو المسمى ذنبا و معصية و مخالفة فإذا أقيم العبد في حق من أساء إليه من أمثاله و أشكاله فرجع عليه بالإحسان إليه و التجاوز عن إساءته فذلك هو التواب ما هو الذي رجع إلى الله فإنه لا يصح أن يرجع إلى الله إلا من جهل إن الله معه على كل حال و ما خاطب الحق بقوله تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ إلا من غفل عن كون الله معه على كل حال كما قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فإن رجعت إليه من حيث حساب أو سؤال فذلك رجوع في الحقيقة من حال أنت عليها لحال ما أنت عليها و لما كانت الأحوال كلها بيد الله أضيف الرجوع إلى الله على هذا الوجه فالراجع إلى الله إنما يرجع من المخالفة إلى الموافقة و من

المعصية إلى الطاعة فهذا معنى حب التوابين فإذا كنت من التوابين على من أساء في حقك كان الله توابا عليك فيما أسأت من حقه فرجع عليك بالإحسان فهكذا فلتعرف حقائق الأمور و تفهم معاني خطاب الله عباده و تميز بين المراتب فتكون من العلماء بالله و بما قاله وجاء ذكره لهذه المحبة في التوابين عقب ذكر الأذى الذي جعله في المحيض و كذلك قال ع إن الله يحب كل مفتن تواب أي مختبر يريد أن يختبره الله بمن يسيء إليه من عباد الله فيرجع عليهم بالإحسان إليهم في مقابلة إساءتهم و هو التواب لا إن الله يختبر عباده بالمعاصي حاشا الله أن يضاف إليه مثل هذا و إن كانت الأفعال كلها لله من حيث كونها أفعالا و ما هي معاصي إلا من حيث حكم الله فيها بذلك فجميع أفعال الله حسنة من حيث ما هي أفعال فافهم ذلك و من ذلك حبه للمتطهرين قال تعالى وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فالتطهير صفة تقديس و تنزيه و هي صفته تعالى و تطهير العبد هو أن يميط عن نفسه كل أذى لا يليق به أن يرى فيه و إن كان محمودا بالنسبة إلى غير و هو مذموم شرعا بالنسبة إليه فإذا ظهر نفسه من ذلك أحبه الله تعالى كالكبرياء و الجبروت و التفخر و الخيلاء و العجب فمنها صفات لا تدخل القلب جملة واحدة للطابع الإلهي الذي على القلوب و هو قوله كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فيظهر في ظاهره الكبرياء و الجبروت على من استحق من قومه إما في زعمه و تخيله و إما في نفس الأمر و هو في قلبه معصوم من ذلك الكبرياء و الجبروت لأنه يعلم عجزه و ذلته و فقره لجميع الموجودات و أن قرصة البرغوث تؤلمه و المرحاض يطلبه لدفع ألم البول و الخراءة عنه و يفتقر إلى كسيرة خبز يدفع بها عن نفسه ألم الجوع فمن صفته هذه كل يوم و ليلة كيف يصح أن يكون في قلبه كبرياء و جبروت و هذا هو الطبع الإلهي على قلبه فلا يدخله شيء من ذلك و أما ظهور ذلك على ظاهره فمسلم و لكن جعل الله لها مواطن يظهر فيها بهذه الأوصاف و لا يكون مذموما و جعل لها مواطن يذمه فيها فمن طهر ذاته عن أن ترى عليه هذه النعوت في غير مواطنها فهو متطهر و يحبه الله كما نفى محبته عن كل مختال فخور فإنه لا يظهر بهذه الصفة إلا من هو جاهل و الجهل مذموم و لهذا نهى الله نبيه ص أن يكون جاهلا و قال لنوح ع إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فإنه لا يخلو أن يفتخر على مثله أو على ربه و خالقه فإن افتخر على مثله فقد افتخر على نفسه و الشيء لا يفتخر على نفسه ففخره و اختياله جهل و محال أن يفتخر على خالقه لأنه لا بد إن يكون عارفا بخالقه أو غير عارف بأن له خالقا فإن عرف و افتخر عليه فهو جاهل بما ينبغي أن يكون لخالقه من نعوت الكمال و إن لم يعرف كان جاهلا فما أبغضه الله و لم يحبه إلا لجهله إذ لم يكن هذا في غير موطنه إلا لجهله و الجهل موت و العلم حياة و هو قوله تعالى أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ يعني بالعلم وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ و ذلك نور الايمان و الكشف الذي أوحى الله به إليه أو امتن به عليه فالمتطهر من مثل هذه النعوت محبوب لله فافهم و من ذلك حبه المطهرين قال الله تعالى وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ و هم الذين طهروا غيرهم كما طهروا نفوسهم فتعدت طهارتهم إلى

غيرهم فقاموا فيها مقام الحق نيابة عنه فإنه المطهر على الحقيقة و الحافظ و العاصم و الواقي و الغافر فمن منع ذاته و ذات غيره إن يقوم بها ما هو مذموم في حقها عند الله فقد عصمها و حفظها و وقاها و سترها عن قيام أمثال هذه بها فهو مطهر لها بما علمها من علم ما ينبغي لينفر عنه بنور العلم و حياته ظلمة الجهالة و موتها فيكون في ميزانه يوم القيامة و من الأنوار التي تسعى بين يديه و هو محبوب عند الله مخصوص بعناية ولاية إلهية و استخلاف و الولاة الخلفاء من المقربين ممن استخلفهم عليهم لأنهم موضع مقصور من استخلفهم دون غيرهم و كل إنسان وال على جوارحه فما فوق ذلك و قد أعلمه الله بما هي الطهارة التي يطهر بها رعاياه و من ذلك حبه للصابرين و هو قوله وَ اللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ و هم الذين ابتلاهم الله فحبسوا نفوسهم عن الشكوى إلى غير الله الذي أنزل بهم هذا البلاء فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَما ضَعُفُوا عن حمله لأنهم حملوه بالله و إن شق عليهم لا بد من ذلك و إن لم يشق عليهم فليس ببلاء وَما اسْتَكانُوا لغير الله في إزالته و لجئوا إلى الله في إزالته كما قال العبد الصالح مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فرفع الشكوى إليه لا إلى غيره فأثنى الله عليه بأنه وجده صابرا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ مع هذه الشكوى فدل إن الصابر يشكو إلى الله لا إلى غيره بل يجب عليه ذلك لما في الصبر إن لم يشك إلى الله من مقاومة القهر الإلهي و هو سوء أدب مع الله و الأنبياء ع أهل أدب و هم على علم من الله فإنك تعلم أن صبرك ما كان إلا بالله ما كان من ذاتك و لا من حولك و قوتك فإن الله يقول وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ فبأي شيء تفتخر و هو ليس لك فما ابتلى الله عباده إلا ليلجئوا في رفع ذلك إليه و لا يلجئوا في رفعه إلى غيره فإذا فعلوا ذلك كانوا من الصابرين و هو محبوب الله و من أسمائه تعالى النعتية الصبور فما أحب إلا من رأى خلعته عليه ثم إن هنا سرا و أقامك فيه مقامه فإن الصبر لا يكون إلا على أذى و قد عرفنا إن في خلقه من يؤذي الله و رسوله و نعتهم لنا لنعرفهم فندفع ذلك الأذى عنه تعالى بمقاتلتهم أو بتعليمهم إن كانوا جاهلين طالبين العلم و قد سمي نفسه صبورا و قد رفع إلينا ما أوذي به و عرفنا بهم لنذب عنه و ندفع الأذى مع الاتصاف بالصبور لنعلم أنا إذا شكونا إليه ما نزل من البلاء و سألناه في رفعه عنا و سؤالنا إياه لا يزول عنا اسم الصبر فلا تزول عنا محبته كما لم يزل عنه اسم الصبور بتعريفه إيانا من أذاه حتى ندفع عنه فإنه ورد في الصحيح ليس أحد أصبر على أذى من الله فاجعل بالك لما نبهناك عليه و من ذلك حب الشاكرين فوصف الحق نفسه في كتابه إنه يحب الشاكرين و الشكر نعمته فإنه شاكِرٌ عَلِيمٌ فما أحب من العبد إلا ما هو صفة له و نعت و الشكر لا يكون إلا على النعم لا على البلاء كما يزعم بعضهم ممن لا علم له بالحقائق لأنه تعالى أبطن نعمته في نقمته و نقمته في نعمته فالتبس على من لا علم له بالحقائق أي بحقائق الأمور فتخيل أنه يشكر على البلاء و ليس بصحيح كشارب الدواء المكروه و هو من جملة البلاء و لكن هو بلاء على من يهلك به و هو المرض الذي لأجله استعمله فالألم هو عدو هذا الدواء إياه يطلب و لكن لما قام البلاء بهذا المحل الواجد للألم ورد

عليه المنازع الذي يريد إزالته من الوجود و هو الدواء فوجد المحل لذلك كراهة و علم أنه في طي ذلك المكروه نعمة لأنه المزيل للألم فشكر الله تعالى على ما فيه من النعمة و صبر على ما يكره من استعماله لعلمه بأنه طالب ذلك الألم حتى يزيله فما سعى إلا في راحة هذا المحل فتفطن لهذا فلهذا كان شاكرا فلما شكره على ما في هذا المكروه من النعمة الباطنة زاده نعمة أخرى و هي العافية و إزالة المرض و تصبره الدواء الكرة عليه و لذلك قال لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ فزاده العافية و كذلك أيضا لما أوذي الحق و سعينا في إزالة ذلك المؤذي بأن آذيناه أو سسناه حتى رجع عن الأمر الذي كان يؤذي الحق به فإن كنا قد آذينا هذا المؤذي بقتال و أمثاله كان ذلك للحق بمنزلة شرب الدواء الذي يكرهه المريض في الحال و يراه نعمة لما فيه من إزالة ذلك الأمر المؤذي و إنما قلنا ذلك لأن الكل من فعله و قضائه و قدره و قد أوحى الله لنبيه داود أن يبني له بيتا يعني بيت المقدس فكلما بناه تهدم فقال له ربه فيما أوحى إليه أنه لا يقوم على يديك فإنك سفكت الدماء فقال له يا رب ما كان ذلك إلا في سبيلك فقال صدقت ما كان إلا في سبيلي و مع هذا أ ليسوا عبيدي فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء فقال يا رب اجعله مني فأوحى الله إليه أنه يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان ع فهذا عين ما نبهتك عليه إن تفطنت و من هنا تعرف الأمر على ما هو عليه و أن مبنى الأمر الإلهي أبدا على هو لا هو فإن لم تعرفه كذا فما عرفته وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فهذا عين ما قلناه من أنه هو لا هو و هنا حارت عقول من لم يشاهد الحقائق على ما هي عليه فلما أزال العبد هذا الأذى عن جناب الحق و إن كان فيه ما في استعمال الدواء شكره الله على ذلك و الشكر يطلب المزيد فطلب من عباده سبحانه بشكره أن يزيدوه فزادوه في العمل و هو قوله ع أ فلا أكون عبدا شكورا فزاد في العبادة لشكر الله له شكرا فزاد الحق في الهداية و التوفيق في موطن الأعمال حتى إلى الآخرة حيث لا عمل و لا ألم على السعداء و أما التنبيه على استعمال الدواء الكرة في إماطة الأذى عن الله فقد أبان عنه الحق في قوله في قبضه نسمة عبده المؤمن فوصف نفسه تعالى بأنه يكره مساءة عبده لكون العبد يكره الموت و لا بد له منه مع أنه وصفه نفسه بأنه كاره لذلك فهذا عين كراهة ما يجده المريض في شرب الدواء لأن مرتبة العلم تعطي ذلك فإنه وقوع خلاف المعلوم محال فلا بد من وجوب وجود العالم لما تعطيه الحقائق الإلهية و أين الإمكان من الوجوب فاشحذ فؤادك و اعلم فَإِنَّ اللهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ فاردف وصفه نفسه بالشكر وصفه بالعلم فزد في عملك تكن قد جازيت ربك على شكره إياك على ما عملت له و ذلك العمل هو الصوم فإنه له و دفع الأذى عنه و هو قوله هل واليت في وليا أو عاديت في عدوا و هو قوله وجبت محبتي للمتحابين في و المتزاورين في و المتجالسين في و المتباذلين في و الله يجعلنا ممن أنعم عليه فرأى نعمة الله عليه في كل حال فشكر و من ذلك حب المحسنين و هو قوله وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و الإحسان صفته و هو المحسن المجمل فصفته أحب و هي الظاهرة في نفسه و

الإحسان الذي به يسمى العبد محسنا هو أن يعبد الله كأنه يراه أي يعبده على المشاهدة و إحسان الله هو مقام رؤيته عباده في حركاتهم و تصرفاتهم و هو قوله أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فشهوده لكل شيء هو إحسانه فإنه بشهوده يحفظه من الهلاك فكل حال ينتقل فيه العبد فهو من إحسان الله إذ هو الذي نقله تعالى و لهذا سمي الإنعام إحسانا فإنه لا ينعم عليك بالقصد إلا من يعلمك و من كان علمه عين رؤيته فهو محسن على الدوام فإنه يراك على الدوام لأنه يعلمك دائما و ليس الإحسان في الشرع إلا هذا و قد قال له فإن لم تكن تراه فإنه يراك أي فإن لم تحسن فهو المحسن و هذا تعليم النبي ص لجبريل بحضور الصحابة من باب قولهم إياك أعني فاسمعي يا جارة فالمخاطب غير مقصود بذلك العلم فإنه عالم به و المقصود به من حضر من السامعين و بهذا فسره رسول الله ص فقال في هذا الحديث هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم و من ذلك حب المقاتلين في سبيل الله بوصف خاص قال تعالى إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ يريد لا يدخله خلل فإن الخلل في الصفوف طرق الشياطين و الطريق واحدة و هي سبيل الله و إذا قطع هذا الخط الظاهر من النقط و لم يتراص لم يظهر وجود للخط و المقصود وجود الخط و هذا معنى الرص لوجود سبيل الله فمن لم يكن له تعمل في ظهور سبيل الله فليس من أهل الله و كذلك صفوف المصلين لا تكون في سبيل الله حتى تتصل و يتراص الناس فيها و حينئذ يظهر سبيل الله في عينه فمن لم يفعل و أدخل الخلل كان ممن سعى في قطع سبيل الله و إزالته من الوجود فأراد الله من عباده في مثل هذا أن يجعلهم من الخالقين و لذلك قال فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و لا يكون السبيل إلا هكذا كالخط الموجود من النقط المتجاورة التي ليس بين كل نقطتين حيز فارغ لا نقطة فيه و حينئذ تظهر صورة الخط كذلك الصف لا يظهر فيه سبيل الله حتى يتراص الناس فيه فهو يطلب الكثرة و هو في جناب الله تراص أسمائه تبارك و تعالى فيظهر عن تراصها سبيل الخلق فيكون الحي و إلى جانبه العليم و لا يكون بينهما فراغ لاسم آخر و يكون إلى جانبه المريد و يكون إلى جانبه القائل و يكون إلى جانبه القادر و يكون إلى جانبه الحكم و إلى جانبه المقيت و إلى جانبه المقسط و إلى جانبه المدبر و إلى جانبه المفصل و إلى جانبه الرازق و إلى جانبه المحيي فهكذا يكون صف الأسماء الإلهية لإيجاد سبيل الخلق الذي يكون بهذا التراص وجوده فإذا ظهرت هذه السبيل و ليست بزائدة على تراص هذه الأسماء فاتصف الخلق بهذه الأسماء لأنها بتراصها و هو حالها عن طريق الخلق فلا تزال ظاهرة في الخلق لا تعقل إلا هكذا فالعالم حي عالم مريده قائل قادر حكم مقيت مقسط مدبر مفصل هكذا إلى بقية الأسماء الإلهية و هو المعبر عنه في الطريق بالتخلق بالأسماء فتظهر في العبد كما تظهر في إيجاد الطريق المستقيم بتراصها فإن دخلها في الكون خلل زال سبيل الله و ظهرت سبل الشياطين التي تتخلل خلل الصفوف كما ورد في الخبر فاجعل بالك لما نبهتك عليه فإذا قام العبد بأسماء الحق مقام الأسماء في إيجاد الخلق و قاتل بهذه الصفة الأعداء الذين هم بمنزلة

الشياطين التي تتخلل خلل الصف فبالضرورة ينصرون لأنه لم يبق هناك خلل يدخل منه العدو فأحب الله من هذه صفتهم و كذا الإنسان وحده هو صف في كل ما هو فيه متحرك فتكون حركاته كلها لله لا يتخللها شيء لغير الله فلا يقاومه أحد فإن الأعداء أبصارهم إليه محدقة ينظرون في حركاته و أفعاله عسى يجدون خللا يدخلون عليه منه فيقطعون بينه و بين الله بقطع سبيل الله و كل فعل خط فإنه مجموع أسماء إلهية و صفات محمودة و الأفعال كثيرة فيكثف الأمر و يعظم و تظهر صور المركبات في العالم إذ كل خطين فما زاد سطح و كل سطحين جسم و كل جسم فمركب من ثمانية و هو صورة كمال ظهرت عن ذات و سبع صفات فغاية التركيب الجسم و ليس وراءه مرتبة و قد قام على ثمانية بلا خلاف بين الجميع و ما زاد على هذا فهو أجسم أي أكثر سطوحا و إذا كان أكثر سطوحا كان أكثر خطوطا و إذا كان أكثر خطوطا كان أكثر نقطا فلم يزد على ما تركب منه الجسم الذي هو أول الأجسام مادة غير ما قبله الأول أو كان به الجسم الأول فمن تراص في صفة كان خلاقا قال تعالى فَتَبَارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأثبت لهم هذا الوصف و جعل نفسه أحسن لا وليته في ذلك إذ لولاه ما ظهرت أعيان هؤلاء الخالقين فأثبت ما أثبت الله و لا تزله فتحرم فائدة العلم بموافقة الحق فتكون من المخالفين فتكون من الجاهلين فمن كان بهذه الصفة كان محبوبا لله تعالى و من كان محبوبا لم يدر أحد ما يعطيه محبه إذ لنفسه يعطي و قد تعرضت هنا مسألة يجب بيانها و هي أن الله أحب أولياءه و المحب لا يؤلم محبوبه و ليس أحد بأشد ألما في الدنيا و لا بلاء من أولياء الله رسلهم و أنبيائهم و أتباعهم المحفوظين المعانين على أتباعهم فمن أي حقيقة استحقوا هذا البلاء مع كونهم محبوبين فلنقل إن الله قال يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و البلاء أن لا يكون أبدا إلا مع الدعوى فمن لم يدع أمرا ما لا يبتلى بإقامة الدليل على صدق دعواه فلولا الدعوى ما وقع البلاء غير أن الرسول ما يطالب بالدليل فإنه ما ادعى و لهذا يقال ليس على النافي إقامة دليل و ليس الأمر كذلك بل عليه الدليل إذا ادعى النفي فإن ادعى النفي في أمر ما فذلك ثبوت عين الدعوى فيطالب النافي من حيث دعواه على إقامة لدليل لأنه مثبت و لما أحب الله من أحب من عباده رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا في نفوسهم حبا لله فادعوا أنهم من محبي الله فابتلاهم الله من كونهم محبين و أنعم عليهم من كونهم محبوبين فإنعامه دليل على محبته فيهم فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و ابتلاؤه إياهم لما ادعوه من حبهم إياه فلهذا ابتلى الله أحبابه من المخلوقين وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و من ذلك حب الجمال هو نعت إلهي ثبت في الصحيح أن رسول الله ص قال إن الله جميل يحب الجمال فنبهنا بقوله جميل أن نحبه فانقسمنا في ذلك على قسمين فمنا من نظر إلى جمال الكمال و هو جمال الحكمة فأحبه في كل شيء لأن كل شيء محكم و هو صنعة حكيم و منا من لم تبلغ مرتبته هذا و ما عنده علم بالجمال إلا هذا الجمال المقيد الموقوف على الغرض و هو في الشرع موضع قوله اعبد الله كأنك تراه فجاء بكاف الصفة فتخيل هذا الذي لم يصل إلى فهمه أكثر من

هذا الجمال المقيد فقيده به كما قيده بالقبلة فأحبه لجماله و لا حرج عليه في ذلك فإنه أتى بأمر مشروع له على قدر وسعه و لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا و بقي علينا حبه تعالى للجمال فاعلم إن العالم خلقه الله في غاية الإحكام و الإتقان كما قال الإمام أبو حامد الغزالي من أنه لم يبق في الإمكان أبدع من هذا العالم فأخبر أنه تعالى خلق آدم على صورته و الإنسان مجموع العالم و لم يكن علمه بالعالم تعالى إلا علمه بنفسه إذ لم يكن في الوجود إلا هو فلا بد أن يكون على صورته فلما أظهره في عينه كان مجلاه فما رأى فيه إلا جماله فأحب الجمال فالعالم جمال الله فهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فقد أحبه بحب الله و ما أحب إلا جمال الله فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها و إنما يضاف إلى صانعه فجمال العالم جمال الله و صورة جماله دقيق أعني جمال الأشياء و ذلك أن الصورتين في العالم و هما مثلا شخصان ممن يحبهما الطبع و هما جاريتان أو غلامان قد اشتركا في حقيقة الإنسانية فهما مثلان و كمال الصورة التي هي أصول من كمال الأعضاء و الجوارح و سلامة المجموع و الآحاد من العاهات و الآفات و يتصف أحدهما بالجمال فيحبه كل من رآه و يتصف الآخر بالقبح فيكرهه كل من رآه فما هو الجمال الذي انطلق عليه اسم الجمال حتى أحبه كل من رآه فقد وكلناك في علم ذلك إلى نفسك و نظرك فهذا إذا وقع حب الشخص من مجرد الرؤية خاصة لا بعد الصحبة و المعاشرة فدبروا نظر تعثر إن شاء الله على عين الأمر في وصف الحق نفسه بأنه جميل و بحبه للجمال مع خلقه المكروه و المضار و ما لا يلائم الطباع و لا يوافق الأغراض فهذا قد ذكرنا طرفا من الصفات التي يحب الله من اتصف بها و هي كثيرة جدا فقد نبهناك بما ذكرناه على مأخذها و كيف يتصرف الإنسان فيها فلنذكر طرفا من نعوت الحب الذي ينبغي أن يكون المحب عليها إن شاء الله و بها يسمى محبا فهي كالحدود للحب فمن ذلك أنه موصوف بأنه مقتول تألف سائر إليه بأسمائه طيار دائم السهر كامن الغم راغب في الخروج من الدنيا لي لقاء محبوبه متبرم بصحبة ما يحول بينه و بين لقاء محبوبه كثير التأوه يستريح إلى كلام محبوبه و ذكره بتلاوة ذكره موافق لمحاب محبوبه خائف من ترك الحرمة في إقامة الخدمة يستقل الكثير من نفسه في حق ربه و يستكثر القليل من حبيبه يعانق طاعة محبوبه و يجانب مخالفته خارج عن نفسه بالكلية لا يطلب الدية في قتله يصبر على الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوبه من تدبيره هائم القلب مؤثر محبوبه على كل مصحوب محو في إثبات قد وطأ نفسه لما يريده به محبوبه متداخل الصفات ما له نفس معه كله له يعتب نفسه بنفسه في حق محبوبه ملتذ في دهش جاوز الحدود بعد حفظها غيور على محبوبه منه يحكم حبه فيه على قدر عقله جرحه جبار لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب و لا النقص بجفائه ناس حظه و حظ محبوبه غير مطلوب بالآداب مخلوع النعوت مجهول الأسماء كأنه سأل و ليس بسال لا يفرق بين الوصل و الهجر هيمان متيم في إدلال ذو تشويش خارج عن الوزن يقول عن نفسه إنه عين محبوبه مصطلم مجهود لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا أو قلت كذا مهتوك الستر سره علانية

فضيحة الدهر لا يعلم الكتمان لا يعلم أنه محب كثير الشوق و لا يدري إلى من عظيم الوجد و لا يدري فيمن لا يتميز له محبوبه مسرور محزون موصوف بالضدين مقامه الخرس حاله يترجم عنه لا يحب العوض سكران لا يصحو مراقب متحر لمراضيه مؤثر في المحبوب الرحمة به و الشفقة لما يعطيه شاهد حاله ذو أشجان كلما فرغ نصب لا يعرف التعب روحه عطية و بدنه مطية لا يعلم شيئًا سوى ما في نفس محبوبه قرير العين لا يتكلم إلا بكلامه هم المسمون بحملة القرآن لما كان المحبون جامعين جميع الصفات كانوا عين القرآن كما قالت عائشة و قد سألت عن خلق رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآن لم تجب بغير هذا و سئل ذو النون عن حملة القرآن من هم فقال هم الذين أمطرت عليهم سحاب الأشجان و أنصبوا الركب و الأبدان و تسربلوا الخوف و الأحزان و شربوا بكأس اليقين و راضوا أنفسهم رياضة الموقنين فكان قرة أعينهم فيما قل و زجا و بلغ و كفا و ستر و وارى كحلوا أبصارهم بالسهر و غضوها عن النظر و ألزموها العبر و أشعروها الفكر فقاموا ليلهم أرقا و استهلت آماقهم نسقا صحبوا القرآن بأبدان ناحلة و شفاه ذابلة و دموع زائلة و زفرات قاتلة فحال بينهم و بين نعيم المتنعمين و غاية آمال الراغبين فاضت عبراتهم من وعيده و شابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت أقدامهم و كان وعيده نصب قلوبهم و من ألطف ما روينا في حال المحب عن شخص من المحبين دخل على بعض الشيوخ فتكلم الشيخ له على المحبة فما زال ذلك الشخص ينحل و يذوب و يسيل عرقا حتى تحلل جسمه كله و صار على الحصير بين يدي الشيخ بركة ماء ذاب كله فدخل عليه صاحبه فلم ير عند الشيخ أحدا فقال له أين فلان فقال الشيخ هو ذا و أشار إلى الماء و وصف حاله فهذا تحليل غريب و استحالة عجيبة حيث لم يزل ينحف عن كثافته حتى عاد ماء فكان أولا حيا بماء فعاد الآن يحيي كل شيء لأن الله قال وَ جَعَلْنا من الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فالمحب على هذا من يحيا به كل شيء (و أخبرني) والدي رحمه الله أو عمي لا أدري أيهما أخبرني أنه رأى صائدا قد صاد قمرية حمامة أيكة فجاء ساق حر و هو ذكرها فلما نظر إليها و قد ذبحها الصائد طار في الجو محلقا إلى أن علا و نحن ننظر إليه حتى كاد يخفى عن أبصارنا ثم إنه ضم جناحيه و تكفن بهما و جعل رأسه مما يلي الأرض و نزل نزولا له دوي إلى أن وقع عليها فمات من حينه و نحن ننظر إليه هذا فعل طائر فيا أيها المحب أين دعواك في محبة مولاك (و حدثنا) محمد بن محمد عن هبة الرحمن عن أبي القسم بن هوازن قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنونا و هو جالس يتكلم في المحبة في المسجد و جاء طير صغير قريبا منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سأل منه الدم و مات هذا فعل الحب في الطائر قد أفهمه الله قول هذا الشيخ فغلب عليه الحال و حكم عليه سلطان الحب موعظة للحاضرين و حجة على المدعين لقد أعطانا الله منها الحظ الوافر إلا أنه قوانا عليه و الله إني لأجد من الحب ما لو وضع في ظني على

السماء لانفطرت و على النجوم لانكدرت و على الجبال لسيرت هذا ذوقي لها لكن قواني الحق فيها قوة من ورثته و هو رأس المحبين إني رأيت فيها في نفسي من العجائب ما لا يبلغه وصف واصف و الحب على قدر التجلي و التجلي على قدر المعرفة و كل من ذاب فيها و ظهرت عليه أحكامها فتلك المحبة الطبيعية و محبة العارفين لا أثر لها في الشاهد فإن المعرفة تمحو آثارها لسر تعطيه لا يعرفه إلا العارفون فالمحب العارف حي لا يموت روح مجرد لا خبر للطبيعةبما يحمله من المحبة حبه إلهي و شوقه رباني مؤيد باسمه القدوس عن تأثير الكلام المحسوس برهان ذلك هذا الذي ذاب حتى صار ماء لو لم يكن ذا حب ما كان هذا حاله فقد كان محبا و لم يذب حتى سمع كلام الشيخ فثار كامن حبه فكان منه ما كان فحب لا حكم له في المحب حتى يثيره كلام متكلم حب طبيعي لأن الطبيعة هي التي تقبل الاستحالة و الإثارة إذ قد كان موصوفا بالحب قبل كلام الشيخ و لم يذب هذا الذوبان الذي صيره ماء بعد ما كان عظما و لحما و عصبا فلو كان إلهي الحب ما أثرت فيه كلمات الحروف و لا هزت روحانيته هذه الظروف فاستحى من دعواه في الحب و قام في قلبه نار الحياء فما زال يحلله إلى أن صار كما حكي فلا يلحق التغيير في الأعيان و التنقل في أطوار الأكوان إلا صاحب الحب الطبيعي و هذا هو الفرقان بين الحب الروحاني الإلهي و بين الحب الطبيعي و الحب الروحاني وسط بين الحب الإلهي و الطبيعي فيما هو إلهي يبقى عينه و بما هو طبيعي يتغير الحال عليه و لا يفنيه فالفناء أبد من جهة الحب الطبيعي و بقاء العين من جانب الحب الإلهي جبريل لما كان حبه روحانيا و هو روح و له وجه إلى الطبيعة من حيث جسميته لأن الأجسام الطبيعية الخارجة عن العناصر لا تستحيل بخلاف الأجسام العنصرية فإنها تستحيل لأنها عن أصول مستحيلة و الطبيعة لا تستحيل في نفسها لأن الحقائق لا تنقلب أعيانها فغشي على جبريل و لم يذب عين جوهر جسمه كما ذاب صاحب الحكاية فغشي عليه من حيث ما فيه من حب الطبيعة و بقي العين منه من حيث حبه الإلهي فالمحب الإلهي روح بلا جسم و المحب الطبيعي جسم بلا روح و المحب الروحاني ذو جسم و روح فليس للمحب الطبيعي العنصري روح يحفظه من الاستحالة فلهذا يؤثر الكلام في المحبة في المحب الطبيعي و لا يؤثر في المحب بالحب الإلهي و يؤثر بعض تأثير في المحب بالحب الروحاني حدثنا محمد بن إسماعيل اليمني بمكة قال حدثنا عبد الرحمن بن علي قال أنا أبو بكر بن حبيب العامري قال أنا علي بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال أخبرنا بكران بن أحمد قال سمعت يوسف بن الحسين قال كنت قاعدا بين يدي ذي النون و حوله ناس و هو يتكلم عليهم و الناس يبكون و شاب يضحك فقال له ذو النون ما لك أيها الشاب الناس يبكون و أنت تضحك فأنشأ يقول

كلهم يعبدون من خوف نار   و يرون النجاة حظا جزيلا

ليس لي في الجنان و النا ر رأى　　　أنا لا أبتغي بحبي بديلا

فقيل له فإن طردك فما ذا تفعل فقال

فإذا لم أجد من الحب وصلا　　　رمت في النار منزلا و مقيلا

ثم أزعجت أهلها ببكائي　　　بكرة في ضريعها و أصيلا

معشر المشركين نوحوا على　　　أنا عبد أحببت مولا جليلا

إن لم أكن في الذي ادعيت صدوقا　　　فجزاني منه العذاب الوبيلا

و خدمت أنا بنفسي امرأة من المحبات العا رفات بإشبيلية يقال لها فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي خدمتها سنين و هي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس و تسعين سنة وكنت أستحي أن أنظر إلى وجهها و هي في هذا السن من حمرة خديها و حسن نعمتها و جمالها تحسبها بنت أربع عشرة سنة من نعمتها و لطافتها و كان لها حال مع الله وكانت تؤثرني على كل من يخدمها من أمثالي و تقول ما رأيت مثل فلان إذا دخل علي دخل بكله لا يترك منه خا رجا عني شيئًا و إذا خرج من عندي خرج بكله لا يترك عندي منه شيئًا و سمعتها تقول عجبت لمن يقول إنه يحب الله و لا يفرح به و هو مشهوده عينه إليه ناظرة في كل عين لا يغيب عنه طرفة عين فهؤلاء البكاءون كيف يدعون محبته و يبكون أما يستحيون إذا كان قربه مضاعفا من قرب المتقربين إليه و المحب أعظم الناس قربة إليه فهو مشهوده فعلى من يبكي إن هذه لأعجوبة ثم تقول لي يا ولدي ما تقول فيما أقول فأقول لها يا أمي القول قولك قالت إني و الله متعجبة لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تخدمني فو الله ما شغلتني عنه فذلك اليوم عرفت مقام هذه المرأة لما قالت إن فاتحة الكتاب تخدمها فبينا نحن قعود إذ دخلت امرأة فقالت لي يا أخي إن زوجي في شريش شذونة أخبرت أنه يتزوج بها فما ذا ترى قلت لها و تريدين أن يصل قالت نعم فرددت وجهي إلى العجوز و قلت لها يا أم ألا تسمعين ما تقول هذه المرأة قالت و ما تريد يا ولدي قلت قضاء حاجتها في هذا الوقت و حاجتي أن يأتي زوجها فقالت السمع و الطاعة إني أبعث إليه بفاتحة الكتاب و أوصيها أن تجيء بزوج هذه المرأة و أنشأت فاتحة الكتاب فقرأتها و قرأت معها فعلمت مقامها عند قراءتها الفاتحة و ذلك إنها تنشيها بقراءتها صورة مجسدة هوائية فتبعثها عند ذلك فلما أنشأتها صورة سمعتها تقول لها يا فاتحة الكتاب تروحي إلى شريش و تجيئي بزوج هذه المرأة و لا تتركيه حتى تجيء به فلم يلبث إلا قدر مسافة الطريق من مجيئه فوصل إلى أهله و كانت تضرب بالدف و تفرح فكنت أقول لها في ذلك فتقول لي إني أفرح به حيث اعتنى بي و جعلني من أوليائه و اصطنعني لنفسه و من أنا حتى يختا رني هذا السيد على أبناء جنسي و عزة صاحبي لقد يغا ر على غيرة ما

أصفها ما ألتفت إلى شيء باعتماد عليه عن غفلة إلا أصابني ببلاء في ذلك الذي التفت إليه ثم أرتني عجائب من ذلك فما زلت أخدمها بنفسي و بنيت لها بيتا من قصب بيدي على قدر قامتها فما زالت فيه حتى درجت و كانت تقول لي أنا أمك الإلهية و نور أمك الترابية و إذا جاءت والدتي إلى زيارتها تقول لها يا نور هذا ولدي و هو أبوك فبريه و لا تعقيه أخبرنا يونس بن يحيى بمكة سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال أخبرنا أبو بكر بن الغزال قال أخبرنا أبو الفضل بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا عثمان بن محمد العثماني قال حدثنا محمد ابن إبراهيم المذكر حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت ذا النون يقول خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فبينا أنا أطوف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة و إذا هو يبكي و يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك و بحت بسري إليك و اشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك و لمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول

ذوقتني طعم الوصال فزدتني　　　شوقا إليك مخامر الأحشاء

ثم أقبل يخاطب نفسه فقال أمهلك فما ارعويت و ستر عليك فما استحييت و سلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت على النعاس و منعتني حلاوة مناجاتك لم قرة عيني لمة ثم أنشأ يقول

روعت قلبي بالفراق فلم أجد　　　شيئا أمر من الفراق و أوجعا

حسب الفراق بأن يفرق بيننا　　　و لطالما ما قد كنت منه مروعا

قال ذو النون فأتيت إليه فإذا به امرأة (حكاية) محب أذاع سر محبوبه أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف حدثنا عبد الرحمن بن علي أخبرنا المحمدان بن ناصر و ابن عبد الباقي وحدثني أيضا عنهما يونس بن يحيى قالا أخبرنا حمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا أحمد بن محمد المتوكلي حدثنا أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا علي بن القاسم الشاهد قال سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة ثم انقطع عنه زمانا ثم حضر عنده و قد اصفر لونه و نحل جسمه و ظهرت آثار العبادة عليه و الاجتهاد فقال له ذو النون يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك و اجتهادك من المواهب التي منحك بها و وهبها لك و اختصك بها فقال الفتى يا أستاذ و هل رأيت عبدا اصطنعه مولاه من بين عبيده و اصطفاه و أعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسر إليه سرا أ يحسن أن يفشي ذلك السر ثم أنشأ يقول

من سارروه فأبدى السر مجتهدا　　　لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

و باعدوه فلم يسعد بقربهم　　　و أبدلوه من الإيناس إيحاشا

لا يصطفون مذيعا بعض سرهم حاشى ودادهم من ذلكم حاشا

يقول لا يصح لاجتهاد في سر المحبوب المحب بل ينتظر أمر محبوبه فإن أمره بإذاعته أذاعه و إن لم فالأصل الكتمان و لقد منحني الله سرا من أسراره بمدينة فاس سنة أربع و تسعين و خمسمائة فاذعته فإني ما علمت أنه من الأسرار التي لا تذاع فعوتبت فيه من المحبوب فلم يكن لي جواب إلا السكوت إلا أني قلت له تول أنت أمر ذلك فيمن أودعته إياه إن كانت لك غيرة عليه فإنك تقدر و لا أقدر و كنت قد أودعته نحوا من ثمانية عشر رجلا فقال لي أنا أتولي ذلك ثم أخبرني أنه سله من صدورهم و سلبهم إياه و أنا بسبتة فقلت لصاحبي عبد الله الخادم إن الله أخبرني أنه فعل كذا و كذا فقم بنا نسافر إلى مدينة فاس حتى نرى ما ذكر لي في ذلك فسافرت فلما جاءتني تلك الجماعة وجدت الله قد سلبهم ذلك و انتزعه من صدورهم فسألوني عنه فسكت عنهم و هذا من أعجب ما جرى لي في هذا الباب فلله الحمد حيث لم يعاقبني بالوحشة التي قالها هذا الشاب لذي النون و لما كان طريق الله ذوقا تخيل هذا الشاب أن الذي عامله به الحق هكذا يعامل به جميع الخلق فذوقه صحيح و حكمه في ذلك على الله ليس بصحيح و هذا يقع في الطريق كثيرا إلا من المحققين فإنه لا يقع لهم مثل هذا لمعرفتهم بمراتب الأمور و حقائقها و هو علم عزيز المنال (و روينا) عن ذي النون من حديث محمد بن يزيد عن ذي النون قال قلت لامرأة متى يحوي الهموم قلب المحب قالت إذا كان للتذكار مجاورا و للشوق محاضرا يا ذا النون أ ما علمت إن الشوق يورث السقام و تجديد التذكار يورث الحزن ثم قالت

لم أذق طيب طعم وصلك حتى زال عني محبتي للأنام

قال فأجبتها

نعم المحب إذا تزايد وصله و علت محبته بعقب وصال

فقالت أوجعتني أوجعتني أ ما علمت أنه لا يوصل إليه إلا بترك من دونه قلت لو قالت لي مثل هذا قلت لها إذا كان ثم (و حدثنا) غير واحد منهم ابن أبي الصيف عن عبد الرحمن بن علي قال أخبرنا إبراهيم بن دينار قال حدثنا إسماعيل بن محمد إنا عبد العزيز بن أحمد أخبرني أبو الشيخ عبد الله بن محمد قال سمعت أبا سعيد الثقفي يحكي عن ذي النون قال كنت في الطواف فسمعت صوتا حزينا و إذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة و هي تقول

أنت تدري يا حبيبي يا حبيبي أنت تدري
و نحول الجسم و الروح يبوحان بسري

يا عزيزي قد كتمت الحب حتى ضاق صدري

قال ذو النون فشجاني ما سمعت حتى انتحبت و بكيت و قالت إلهي و سيدي و مولاي بحبك لي إلا غفرت لي قال فتعاظمني ذلك و قلت يا جارية أ ما يكفيك أن تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي فقالت إليك يا ذا النون أ ما علمت إن لله قوما يحبهم قبل أن يحبوه أ ما سمعت الله يقول فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له فقلت من أين علمت أني ذو النون فقالت يا بطال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك ثم قالت انظر من خلفك فأدرت وجهي فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها قلت يقرب حديث هذه الجارية من حال موسى ع مع ربه انظر إلى الجبل لله تعالى ميادين تسمى ميادين المحبة كلها ثم يختص كل ميدان منها باسم من نعوت المحبة مثل ميدان الوجد و ميدان الشوق و كل حال يكون فيه جولان و حركة فله ميدان هذا أمر كلي و كذلك أيضا للمعارف حضرات و مجالس ما هي ميادين إلا إذا أشهدك سبحانه في معرفته تفرقة في أعيان الأكوان فإن شاهدت أنه العين الظاهرة فيها بأسمائها فتلك ميادين الأسرار و إن شاهدت معيته للأكوان بأسمائه فتلك ميادين الأنوار و إن اختلط عليك الأمر فترى أمرا فتقول هو هو ثم ترى أمرا فتقول ما هو هو ثم ترى أمرا فتقول لا أدري أ هو هو أم لا هو هو فتلك ميادين الحضرة و لكل عين كون علامة يعرفها من جال في هذه الميادين فيعرف بتلك العلامة من قامت به في عالم الشهادة في هذه الهياكل المظلمة بالطبع المنورة بالمعرفة فمن هناك يسمونهم بأسمائهم مثل حال هذه الجارية و روينا من حديث موسى بن علي الإخميمي عن ذي النون أنه لقي رجلا باليمن كان قد رحل إليه في حكاية طويلة و فيها ثم قال له ذو النون رحمك الله ما علامة المحب لله فقال له حبيبي إن درجة الحب درجة رفيعة قال فإنا أحب أن تصفها لي قال إن المحبين لله شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عز جلال الله فصارت أبدانهم دناوية و أرواحهم حجبية و عقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة و تشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حبا له لا طمعا في جنة و لا خوفا من نار فشهق الفتى شهقة كانت فيها نفسه قلنا كان هذا القائل من العارفين فإنه ذكر ما يدل على ذلك و هي ثلاثة ألقاب ليس في الكون إلا هي فقال أبدانهم دناوية لأنه قال وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ فلا بد أن يترك له من حقائقه من يكون معه في الدنيا إذ كان الإنسان مجموع العالم و ليس إلا بدنه لأنه أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و هو عرق بدني فلو مشى بكله لكان ناقص الحال و الثاني عقولهم سماوية لأن العقول صفات تقييد فإن العقل يقيد إذ كان من العقال و السموات محال الملائكة المقيدة بمقاماتها فقالت وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فلا تتعداه قد حبسه فيه من أوجده له و لهذا فسره بأن قال تسرح بين صفوف الملائكة فهم بعقولهم في السموات و ما في الكون المركب الا سماء و أرض و الثالث أرواحهم حجبية لأنه لما سوى سبحانه الصورة البدنية احتجب بل حجبها عن ظهوره في عينها و نفخت فيه من روحي

فظهرت أرواحهم عن هذا الروح الحجابي فهم مشاهدون أصلهم عالمون بأنه حجاب ليعلموا من هو الظاهر في أعيانهم و من المسمى فلانا و لم سمي و هنا أسرار دقيقة و حكايات المحبين العارفين كثيرة انتهى الجزء الرابع عشر و مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصل) نختم به هذا الباب يسمى عندنا مجالي الحق للعارفين المحبين في منصات الأعراس لإعطاء نعوت المحبين في المحبة فمن ذلك منصة و مجلى نعت المحب بأنه مقتول و ذلك لأنه مركب من طبيعة و روح

و الروح نور و الطبيعة ظلمة　　　و كلاهما في عينه ضدان

و الضدان متنافران و المتنافران متنازعان كل واحد يطلب الحكم له و أن يرجع الملك إليه و المحب لا يخلو إما أن تغلب الطبيعة عليه فيكون مظلم الهيكل فيحب الحق في الخلق فيدرج النور في الظلمة اعتمادا على الأصل في قوله وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ و النهار نور فعلم أنهما متجاوران و إن كانا ضدين و أن أحدهما يجوز أن يكون مبطونا في الآخر فما يضرني أن أحب الحق في الخلق لا جمع بين الأمرين و إما إن غلب عليه الروح فيكون منور الهيكل فيحب الخلق في الحق لقوله حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فأحبته في النعم عن أمره فمشهوده الحق و مهما وقعت الغيرة بين الضدين و رأى كل ضدان مطلوبه ربما يتخلص لضده يقول أقتله حتى لا يظهر به ضدي دوني فإن قتلته الطبيعة مات و هو محب للاكوان و إن قتله الروح كان شهيدا حيا عند ربه يرزق فهو مقتول بكل حال كل محب في العالم و إن كان لا يشعر بذلك منصة و مجلى نعت المحب بأنه تألف و ذلك أنه خلقه الله من اسمه الظاهر و الباطن فجعله عالم غيب و شهادة و خلق له عقلا يفرق به بين حكم الاسمين لإقامة الوزن بين العالمين في ذاته ثم تجلى له في اسمه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فحيره فلم يعطه هذا التجلي إقامة الوزن و لا سيما و قد قال له وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فتلف من حيث لم ير حالا توجب العدل و إقامة الوزن فخرج عن حد التكليف إذ لا يكلف إلا عاقل لما تقيد بعقله فهذا نعت المحب بأنه تألف منصة و مجلى نعته بأنه سائر إليه بأسمائه و ذلك أنه تجلى له في أسماء الكون و تجلى له في أسمائه الحسنى فتخيل في تجليه بأسماء الكون أنه نزول من الحق في حقه و لم يك ذلك من أفقه فلما تخلق بأسمائه الحسنى غلبه ما جرت عليه طريقة أهل الله من التخلق و هو يتخيل أن أسماء الكون خلقت له لا لله و أن منزلة الحق فيها بمنزلة العبد في أسمائه الحسنى فقال لا أدخل عليه إلا بأسمائي و إذا خرجت إلى خلقه أخرج إليهم بأسمائه الحسنى تخلقا فلما دخل عليه بما يظن أنها أسماؤه و هي أسماء الكون عنده رأى ما رأته الأنبياء من الآيات في إسرائها و معارجها في الآفاق و في أنفسهم فرأى إن الكل أسماؤه تعالى و أن العبد لا اسم له حتى إن اسم العبد ليس له و إنه متخلق به كسائر الأسماء الحسنى فعلم إن السير إليه و الدخول عليه

و الحضور عنده ليس إلا بأسمائه و أن أسماء الكون أسماؤه فاستدرك الغلط بعد ما فرط ما فرط فجبر له هذا الشهود ما فاته حين فرق بين العابد و المعبود و هذا مجلى عزيز في منصة عظمى كانت غاية أبي يزيد البسطامي دونها فإن غايته ما قاله عن نفسه تقرب إلي بما ليس لي فهذا كان حظه من ربه و رآه غاية وكذلك هو فإنه غايته لا الغاية و هذه طريقة أخرى ما رأيتها لأحد من الأولياء ذوقا إلا للأنبياء و الرسل خاصة من هذا المجلى وصفوه سبحانه بما يسمى في علم الرسوم صفات التشبيه فيتخيلون إن الحق وصف نفسه بصفات الخلق فتأولوا ذلك و هذا المشهد يعطي أن كل اسم للكون فأصله للحق حقيقة و هو للخلق لفظا دون معنى و هو به متخلق فافهم منصة و مجلى

نعت المحب بأنه طيار   علم صحيح ما عليه غبار

هذا بيت غير مقصود هو ما ذكرناه من أسماء الكون كان يتخيل أن تلك الأسماء وكره فلما تبين له أنه في غير وكره ظهر فطار عن كونه و كره و حلق في جو كونه اسما حقه فهو في كل نفس يطير منه إلى نفس آخر لأن عين الأسماء كلها لمن هو كل يوم في شأن فما من يوم و إلا و المحب يطير فيه من شأن إلى شأن هذا يعطيه شهوده منصة و مجلى نعت المحب بأنه دائم السهر لما رأى أن المحبوب لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ علم إن ذلك من مقام حبه لحفظ العالم و دعاه إلى هذا النظر كون الحق يتجلى في الصور و للصور أحكام و من أحكام بعض الصور النوم و رآه في مثل هذه الصورة لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ من حيث هذه الصورة فعلم إن ذلك من مقام حبه لحفظ العالم و إذا كان المحب جليس محبوبه و محبوبه بهذه الصفة فالنوم عليه حرام فالمحب يقول مع الفراق إن النوم عليه حرام فكيف مع الشهود و المجالسة قال بعضهم في سهر الفراق

النوم بعدكم علي حرام   من فارق الأحباب كيف ينام

فالنوم مع المشاهدة أبعد و أبعد منصة و مجلى نعت المحب بأنه كامن الغم أي غمه مستور لا ظهور له فسبب ذلك قوله تعالى وَ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثم يرى في شهوده أنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه إذ هو محركها بما تتحرك فيه و يرى في شهوده ما يقابل الكون به خالقه من سوء الأدب و ما لا ينبغي أن يوصف به مما مدلوله العدم فيريد أن يتكلم و يبدي ما في نفسه من الغيرة التي تقتضيها المحبة ثم يرى أن ذلك بإذنه لأنه ممن يرى الله قبل الأشياء مقام أبي بكر فيسكن و لا يتمكن له أن يظهر غمه لأن الحب حكم عليه بأن ذلك الذي يعامل به المحبوب لا يليق به و يرى أنه سلط خلقه عليه بما أنطقهم به و ما عذرهم و أرسل الحجاب دونهم فكمن غم هذا المحب في الدنيا فإنه في الآخرة لا غم له و لهذا يطلب الخروج من الدنيا منصة و مجلى نعت المحب بأنه راغب في الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه هو لما ذكرناه في

هذا الفصل قبله لأن النفس من حقيقتها طلب الاستراحة و الغم تعب و كمونه أتعب و الدنيا محل الغموم و الذي تختص به هذه المنصة رغبته في لقاء محبوبه و هو لقاء خاص عينه الحق إذ هو المشهود في كل حال و لكن لما عين ما شاء من المواطن و جعله محلا للقاء مخصوص رغبنا فيه و لا نناله إلا بالخروج من الدار التي تنافي هذا اللقاء و هي الدار الدنيا خير النبي ص بين البقاء في الدنيا و الانتقال إلى الأخرى فقال الرفيق الأعلى فإنه في حال الدنيا في مرافقة أدنى و ورد في الخبر أنه من أحب لقاء الله يعني بالموت أحب الله لقاءه و من كره لقاء الله كره الله لقاءه فلقيه في الموت بما يكرهه و هو أن حجبه عنه و تجلى لمن أحب لقاءه من عباده و لقاء الحق بالموت له طعم لا يكون في لقائه بالحياة الدنيا فنسبة لقائنا له بالموت نسبة قوله سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و الموت فينا فراغ لأرواحنا من تدبير أجسامها فأرادوا حب هذا المحب أن يحصل ذلك ذوقا و لا يكون ذلك إلا بالخروج من دار الدنيا بالموت لا بالحال و هو أن يفارق هذا الهيكل الذي وقعت له به هذه الألفة من حين ولد و ظهر به بل كان السبب في ظهوره ففرق الحق بينه و بين هذا الجسم لما ثبت من العلاقة بينهما و هو من حال الغيرة الإلهية على عبيده لحبه لهم فلا يريد أن يكون بينهم و بين غيره علاقة فخلق الموت و ابتلاهم به تمحيصا لدعواهم في محبته فإذا انقضى حكمه ذبحه يحيى ع بين الجنة و النار فلا يموت أحد من أهل الدارين فهذا سبب رغبتهم في الخروج من الدنيا إلى لقاء المحبوب لأن الغيرة نصب و يحيي الموت بالذبح حياة خاصة كما حكمنا بعد الموت فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا منصة و مجلى نعت المحب بأنه متبرم بصحبة ما يحول بينه و بين لقاء محبوبه هذا النعت أعم من الأول في المحب فإن العارف ما يحول بينه و بين لقاء محبوبه إلا العدم و ما هو ثم و ليس الوجود سواه فهو شاهده في كل عين تراه فليس بين المحب و المحبوب إلا حجاب الخلق فيعلم أن ثم خالقا و مخلوقا فلم يقدر على رفع صحبة هذه الحقيقة فإنها عينه و الشيء لا يرتفع عن نفسه و نفسه تحول بينه و بين لقاء محبوبه فهو متبرم بنفسه لكونه مخلوقا و صحبته لنفسه ذاتية لا ترتفع أبدا فلا يزال متبرما أبدا فلهذا يتبرم لأنه يتخيل أنه إذا فارق هذا الهيكل فارق التركيب فيرجع بسيطا لا ثاني له فينفرد بأحديته فيضربها في أحدية الحق و هو اللقاء فيكون الحق الخارج بعد الضرب لا هو فهذا يجعله يتبرم و العارف المحب لا يتبرم من هذا لمعرفته بالأمر على ما هو عليه كما ذكرناه في رسالة الاتحاد منصة و مجلى نعت المحب بأنه كثير التأوه و هو قوله إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ وصف الحق من كونه اسمه الرحمن أن له نفسا ينفس به عن عباده و في ذلك النفس ظهر العالم و لذلك جعل تكوين العالم بقول كُنْ و الحرف مقطع الهواء فالهواء يولده ما هو هو لأنه لا يظهر الحرف إلا عند انقطاع الهواء و الهواء نفس و لهذا الهواء في العناصر هو نفس الطبيعة و لهذا يقبل الحروف و هو ما يظهر فيه من الأصوات عند الهبوب و الظاهر من تلك الأصوات حرف الهاء و الهمزة و هما أقصى المخارج مخارج الحروف فإنهما مما يلي القلب و هما أول حروف الحلق بل حروف الصدر فهما أول حرف يصوره

المتنفس و ذلك هو التأوه لقربه من القلب الذي هو محل خروج النفس و انبعاثه فيظهر عنه جميع الحروف كما يظهر العالم بالتكوين عن قول كُنْ و هو سر عجيب سأذكره في باب النفس بفتح الفاء إن شاء الله فإذا تجلى الحق من قلب المحب و نظرت إليه عين البصيرة لأن القلب وسع الحق و رأى ما يقع من الذم على هذه النشأة الطبيعية و هي تحتوي على هذه الأسرار الإلهية و إنها من نفس الرحمن ظهرت في الكون فذمت و جهل قدرها فكثر منه التأوه لهذه القادحة لما يرى في ذلك من الوضوح و الجلاء و الناس في عماية عن ذلك لا يبصرون فيتأوه غيرة على الله و شفقة على المحجوبين لكون النبي ص جعل كمال الايمان في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه فلهذا يتأسف على من حرمه الله هذا الشهود و يتأوه لحبه في محبوبه من أجل ما يراه من عمى الخلق عنه و من شأن المحب الشفقة على المحبوب لأن الحب يعطي ذلك منصة و مجلى نعت المحب بأنه يستريح إلى كلام محبوبه و ذكره بتلاوة ذكره قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ فسمى كلامه ذكرا فاعلم إن أصل وجود الكون لم يكن عن صفة إلهية إلا عن صفة الكلام خاصة فإن الكون لم يعلم منه إلا كلامه و هو الذي سمع فالتذ في سماعه فلم يتمكن له إلا أن يكون و لهذا السماع مجبول على الحركة و الاضطراب و النقلة في السامعين لأن السامع عند ما سمع قول كن انتقل و تحرك من حال العدم إلى حال الوجود فتكون فمن هنا أصل حركة أهل السماع و هم أصحاب وجد و لا يلزم فيمن فإن الوجد لذاته يقتضي ما يقتضي و إنما المحبوب يختلف فالحب و الوجد و الشوق و جميع نعوت الحب وصف للحب كان المحبوب ما كان إلا أني اختصصت في هذا الكتاب الحب المتعلق بالله الذي هو المحبوب على الحقيقة و إن كان غير مشعور به في مواطن عند قوم و مشعورا به عند قوم و هم العارفون فما أحبوا إلا الله مع كونهم يحبون أرواحهم و أهليهم و أصحابهم فاعلم ذلك حتى إن بعض الصالحين حكى لنا عنه أنه قال إن قيسا المجنون كان من المحبين لله و جعل حجابه ليلى و كان من المولهين و أخذت صدق هذا القول من حكايته التي قال فيها لليلى إليك عني فإن حبك شغلني عنك و ما قربها و لا أدناها و من شأن الحب أن يطلب المحب الاتصال بالمحبوب و هذا الفعل نقيض المحبة و من شأن المحب أن يغشى عليه عند فجأة ورود المحبوب عليه و يدهش و هذا يقول لها إليك عني و ما دهش و لا فنى فتحقق عندي بهذا الفعل صدق ما قاله هذا العارف في حق قيس المجنون و ليس ببعيد فلله ضنائن من عباده فمن هناك استراح المحبون إلى كلام المحبوب و ذكره و القرآن كلامه و هو ذكر فلا يؤثرون شيئا على تلاوته لأنهم ينوبون فيه عنه فكأنه المتكلم كما قال فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ و التالي إنما هو محمد ص فأهل القرآن هم أهل الله و خاصته فهم الأحباب المحبون منصة و مجلى نعت المحب بأنه موافق لمحاب محبوبه هذا ما يكون إلا من نعوت المحبين لله خاصة لكونه تعالى لا يحد و لا يتقيد و هو المتجلي في الاسم القريب كما يتجلى في الاسم البعيد فهو البعيد القريب قال المحب وكل ما يفعل المحبوب محبوب فإذا فعل البعد كان محبوبه البعد عن المحبوب

لأنه محبوب المحبوب فإنه أحبه لحب المحبوب لا بنفسه و لا يحبه بحب المحبوب لا بنفسه حتى يكون المحبوب صفة له و إذا كان المحبوب من صفات المحب قام به و إذا قام به فهو في غاية الوصلة في عين البعد أوصل منه به في القرب لأنه في القرب بصفة نفسه لا بصفة محبوبه لأنه لا يقوم بالمحل علتان لمعلول واحد هذا لا يصح فما يحب القرب إلا لنفسه كما لا يحب البعد إلا بمحبوبه فهو في حب البعد أتم منه محبة في حب القرب و لنا في هذا المعنى

هوى بين الملاحة و الجمال يقاسيه القوي من الرجال
و يضعف عنه كل ضعيف قلب تقلب في النعيم و في الدلال
و تقليبي مع الهجران عندي ألذ من العناق مع الوصال
فإني في الوصال عبيد نفسي و في الهجران عبد للموالي
و شغلي بالحبيب بكل وجه أحب إلي من شغلي بحالي

ففي هذا الشعر ايثار مآثره المحبوبة و يتضمن ما أشرنا إليه في كلامنا قبله و أما قولنا إن المحبوب صفة المحب فيما ذكرناه فهو قوله تعالى فإذا أحببته كنت سمعه و بصره فجعل عينه سمع العبد و بصره فأثبت أنه صفته فما أحب المحب البعد إلا بمحبوبه و هذا غاية الوصلة في عين البعد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه خائف من ترك الحرمة في إقامة الخدمة و ذلك أنه لا يخاف من هذا إلا عارف متوسط لم يبلغ التحقيق في المعرفة إلا أنه يشعر به من غير ذوق سوى ذوق الشعور و هو محب و المحب مطيع لمحبوبه في جميع أوامره و تحقيق الأمر يعطي أن الآمر عين المأمور و المحب عين المحبوب إلا إن الظاهر يظهر بحسب ما تعطيه حقيقة المظهر و بالمظاهر تظهر التنوعات في الظاهر و تختلف الأحكام و الأسامي و بها يظهر الطائع و العاصي فالذي هو في مقام الشعور و لم يحصل في حد أن ينزل الأشياء منازلها في الظاهر يخاف أن يصدر منه ما يناقض الحرمة في خدمته إذ يقول ليس إلا هو كما يذهب إلى ذلك من يرى الأعيان عينا واحدة و لكن لا يعرف كيف فلا يزال يسيء الأدب لأنه أخذ ذلك عن غير ذوق و هذا مذهب من يرى أن المدبر أجسام الناس روح واحدة و أن عين روح زيد هو عين روح عمرو و فيه من الغلط ما قد ذكرناه في غير هذا الموضع و هو أنه يلزم ما يعلمه زيد لا يجهله عمرو لأن العالم من كل واحد عين روحه و هو واحد و الشيء الواحد لا يكون عالما بالشيء جاهلا به فيخاف المحب إن صدرت منه قلة حرمة بهفوة و غلط أن يستند فيها بعد وقوعها إلى ما ذكرناه فيحصل في قلة المبالاة بما يظهر عليه من ذلك و المحبة تأبى إلا حرمة المحبوب و إن كان المحب مدلا بحبه لغلبة الحب عليه و أنه يرى نفسه عين محبوبه فيقول أنا من أهوى و من أهوى أنا فهذا سبب خوفه لا غير (منصة و

مجلى) نعت المحب أن يستقل الكثير من نفسه في حق ربه و يستكثر القليل من حبيبه و ذلك أنه يفرق بين كونه محبا لما يرى في نفسه من الانكسا ر و الذلة و الدهش و الحيرة التي هي أثر الحب في المحبين و يرى نخوة المحبوب و تيهه و رياسته و إعجابه عليه فيرى أنه إذا أعطاه جميع ما يملكه فهو قليل لما أعطاه من نفسه و أن حق محبوبه أعظم عنده من حق نفسه بل لا يرى لنفسه حقا و إن كان في الحقيقة ما يسعى إلا في حق نفسه هكذا تعطيه المحبة كان لبعض الملوك مملوك يحبه اسمه إياس فدخل على الملك بعض جلسائه و رأى قدمي المملوك في حجر الملك و الملك يكبسهما فتعجب فقال إياس يا هذا ما هذه أقدام إياس هذه قلب الملك في حجره يكبسه هذا معنى قولنا إن المحب في حق نفسه يسعى فإنه له في ذلك الفعل لذة عظيمة لا ينالها إلا بذلك الفعل فالمحبوب ممتن عليه إذ أمكنه مما تقع للمحب به لذة من المحبوب فيرى المحب أي شيء جاء من المحبوب فهو كثير فهو إنعام سيد على عبد و أي شيء كان من المحب في حق المحبوب و لو كان تلف الروح و المهجة في رضاه لكان قليلا لأنه طاعة عبد لسيد محسان و ما قدروا الله حق قدره فالمحبوب غني فقليله كثير و المحب فقير فكثيره قليل و لكن و إن كان هذا نعت المحب عندهم فهو نعت محب ناقص المعرفة كثير الحب على عماية لأن المحب إذا كان المخلوق ليس له حتى يستقل أو يستكثر و أما إذا كان المحب الله فإنه يستكثر القليل من عبده و هو قوله فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ و لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و أما استقلاله الكثير في حق أحبابه من عباده فإن ما عند الله ما له نهاية و دخول ما لا نهاية له في الوجود محال فكل ما دخل في الوجود فهو متناه فإذا أضيف ما تناهي إلى ما لا يتناهى ظهر كأنه قليل أو كأنه لا شيء و إن كان كثيرا و هنا نظر يطول فاقتصرنا (منصة و مجلى) نعت المحب يعانق طاعة محبوبه و يجانب مخالفته قال شاعرهم

تعصى الإله و أنت تظهر حبه	هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

المحب عبد و العبد من وقف عند أوامر سيده و تجنب مخالفة أوامره و نواهيه فلا يراه حيث نهاه و لا يفقده حيث أمر لا يزال ماثلا بين يديه فإذا أمره رأى هذا المحب أنه قد امتن عليه حيث استعمله و أمره و إن هذا من عنايته به و إن فقد رؤيته و مشاهدته فيما شغله به فهو في نعيم و لذة بكونه يتصرف في مراسيم سيده و عن إذنه فإن كان المحب الله فأمر المحبوب له دعاؤه و رغبته فيما يعن له و يحبه ثم إنه يكره أشياء فيدعوه بصفة النهي مثل قوله لا تُزِغْ قُلُوبَنا و لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً و لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا به فهذا سؤال بصفة نهي فقد وقع منه الأمر و النهي لسيده و إجابة الحق هذا العبد من حيث هو محب لهذا العبد كالطاعة من العبد لأوامر سيده و مجانبة مخالفته (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه خارج عن نفسه بالكلية اعلم أن نفس الشخص الذي يتميز به عن كثير من المخلوقات إنما هو إرادته

فإذا ترك إرادته لما يريد به محبوبه فقد خرج عن نفسه بالكلية فلا تصرف له فإذا أراد به محبوبه أمرا ما و علم هذا المحب ما يريده محبوبه منه أو به سارع أو تهيأ لقبول ذلك و رأى أن ذلك التهيؤ و المسارعة من سلطنة الحب الذي تحكم فيه فلم ير المحبوب في محبه من ينازعه فيما يريده به أو منه لأنه خرج له عن نفسه بالكلية فلا إرادة له معه و لكن مع وجود نفسه و طلبه الاتصال به و إن لم يكن كذلك فهو في مرتبة الجماد الذي لا إرادة له فما له لذة إلا اللذة التي متعلقها التذاذ محبوبه بما يراه منه في قبوله المحب الله أوحى الله إلى موسى يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك يعني الدنيا و الآخرة لأنه العين المقصودة و هو رأس الأحباء محمد ص فالكل في تسخير هذه النشأة الإنسانية الأفلاك و ما تحتوي عليه و الكواكب و ما في سيرها هذا في الدنيا و أما في الآخرة فما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر حتى نهاية الأمر و هو التجلي الإلهي يوم الزور الأعظم فهذا معنى خروج المحب عن نفسه بالكلية في كل ما يمكن أن يحتاج إليه المحبوب و ما لا حاجة للمحبوب به و لا يعود عليه منه لذة و ابتهاج فلا يدخل تحت هذا الباب (منصة و مجلى) نعت المحب لا يطلب الدية في قتله لأنا قد وصفناه أولا بأنه مقتول قتل المحب شهادة فقتله حياته و الحي لا دية فيه إنما يؤدي القتيل الذي يموت فله شرعت الدية المحب الله كون العبد محبوبا إرادته نافذة لا إرادة للمحب تنازع إرادته المقتول لا إرادة له و من كان بإرادة محبوبه فلا إرادة له و إن كان مريدا و لا دية له لأن الحي لا دية فيه و الحياة الذاتية له و هو حب الفرائض إذا أداها أحبه الله ففي النوافل يكون سمع العبد و بصره و في الفرائض يكون العبد سمع الحق و بصره و لهذا ثبت العالم فإن الله لا ينظر إلى العالم إلا ببصر هذا العبد فلا يذهب العالم للمناسبة فلو نظر إلى العالم ببصره لاحترق العالم بسبحات وجهه فنظر الحق العالم ببصر الكامل المخلوق على الصورة هو عين الحجاب الذي بين العالم و بين السبحات المحرقة (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه يصبر على الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوبه من تدبيره الإنسان مجموع الطبع و النور فالطبع يطلبه و النور يطلبه و كلف النور أن يغتبن و يترك كثيرا مما ينبغي له و تطلبه حقيقته لما يطلبه الطبع من المصالح و أمر النور الذي هو الروح أن يوفيه حقه و هو قوله ص لمن قال له من أبر قال أمك ثلاث مرات ثم قال له في الرابعة ثم أباك فرجح بر الأم على بر الأب و الطبيعة الأم و هو قوله ص إن لنفسك عليك حقا و هي النفس الحيوانية و لعينك عليك حقا فهذا كله من حقوق الأم التي هي طبيعة الإنسان و أبوه هو الروح الإلهي و هو النور فإذا ترك أمورا كثيرة من محابه من حيث نوريته فإنه يتصف بأنه مضرور و هو مأمور بالصبر فهذا معنى يصبر على الضراء و إن كانت حقيقته تنفر من ذلك و لكن أمر الله أوجب ثم قال له في صبره وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللّٰهِ فإن الله تسمى بالاسم الصبور فكأنه قال له أنا على عزة جلالي قد وصفت نفسي بأني أؤذى و إني أحلم و أصبر و تسميت بالصبور و أنا غير مأمور و لا محجور علي فأدخلت نفسي تحت محاب خلقي و تركت ما ينبغي لي لما ينبغي لخلقي إيثارا لهم و رحمة

مني بهم فأنت أحق بأن تصبر على الضراء بي أي بسبب أمري و بسبب كوني صبورا على أذى خلقي حين وصفوني بما لا يقتضيه جلالي و هذا من كون الله محبا في هذا المجلى و أما كونه كذلك لما كلفه محبوبه من تدبير نشأته الطبيعية فإذا كان المحبوب الخلق و المحب الحق فصورة التكليف ما يطلبه العبد من سيده إذا عرف أنه محبوب لسيده من تدبير مصالحه بشرط الموافقة لأغراضه و محابه فيفعل الحق معه ذلك فهذا ذلك المعنى الذي نعت به المحب (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه هائم القلب لما كان القلب سمي بذلك لكثرة تصرفاته و تقليبه كثرت وجوهه و توجهاته و هذه صفة الهائم و لا سيما إذا كان الحق يظهر له في كل وجه يتوجه إليه و في كل مصرف يتصرف فيه فإنه ناظر إلى عين محبوبه في كل وجه المحب الله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ما ترددت في شيء أنا فاعله كثرة الوجوه في الأمر الواحد تؤدي إلى التردد أيها يفعل و كلها رضي المحبوب فنحن لا نعرف الأرضى و هو يعرف الأرضى في حقنا غير أنا نعرف الأرضي ما بين النوافل و الفرائض فنقول الفرائض أرضى و لكن إذا اجتمعت بحكم التخيير كالكفارة التي فيها التخيير لا يعرف الأرضي إلا بتعريف مجدد و كذلك الأرضي في النوافل لا يعرف إلا بتوقيف و النوافل كثيرة و ما منها إلا مرضي من وجه و أرضى من وجه فلا بد من تعريف جديد ففي مثل هذا يكون المحب هائم القلب أي حائرا في الوجوه التي يريد أن يتقلب فيها (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مؤثر محبوبه على كل مصحوب لما كان العالم كله كل جزء منه عنده أمانة للإنسان و قد كلف بأداء الأمانة و أماناته كثيرة و لأدائها أوقات مخصوصة له في كل وقت أمانة منها ما نبه عليه أبو طالب من أن الفلك يجري بأنفاس الإنسان بل بنفس كل متنفس و المقصود الإنسان بالذكر خاصة لأنه بانتقاله ينتقل الملك و يتبعه حيث كان فلا يزال العالم يصحبه الإنسان لهذه العلة ثم إن الإنسان مفتقر لهذه الأمانات التي عند العالم و مع افتقاره إليها فإن المحبين من رجال الله العارفين شغلوا نفوسهم بما أمرهم به محبوبهم فهم ناظرون إليه حبا و هيما ناقد تيمهم بحبه و هيمهم بين بعده و قربه فمن هنا نعتوا بأنهم آثروه على كل مصحوب لأنه صاحبهم لقوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كل من في العالم يصحبه أيضا لأجل الأمانة التي بيده فيؤثر الإنسان لمحبته لله جناب الله على كل مصحوب قيل لسهل ما القوت قال الله قيل له ما نريد إلا ما تقع به الحياة قال الله فلم ير إلا الله فلما ألحوا عليه و قالوا له إنما نريد ما به عمارة هذا الجسم فلما رآهم ما فهموا عنه عدل إلى جواب آخر فقال دع الديار إلى بانيها إن شاء عمرها و إن شاء خربها يقول ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الهيكل الخاص و لا بد تشتغل هي بما كلفها المحبوب الذي هو عين حياتها و وجودها و أي بيت أسكنها فيه سكنته هذا إن كان يقول بعدم التجريد عن النشأة الطبيعية كما نقول و كما أعطاه الكشف و إن كان يقول بالتجريد عن الطبيعة و ارتفاع العلاقة فهو على كل حال ممن يؤثر الله على كل مصحوب المحب الله آثر الإنسان من كونه محبوبه على جميع العالم فأعطاه الصورة الكاملة و لم يعطها لأحد من أصناف

العالم و إن كان موصوفا بالطاعة و التسبيح لله فقد آثره على كل مصحوب قال تعالى وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً أعطاه جميع الأسماء كلها الإلهية فسبحه بكل اسم إلهي له بالكون تعلق و مجده و عظمه لا اسم القصعة و القصيعة الذي ذهب إليه من لا علم له بشرف الأمور و لذلك قالت الملائكة نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ و لا يقدس و لا يسبح إلا بأسمائه فأعلمهم بأن لله أسماء في العالم ما سبحته الملائكة و لا قدسته بها و قد علمها آدم فلما أحضر ما أحضره من خلقه مما لا علم للملائكة به ف فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ التي تسبحونى بها و تقدسوني قالوا لا عِلْمَ لَنَا فقال لآدم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ علموا إن لله أسماء لم يكن لهم بها علم يسبحه بها هؤلاء الذين خلقهم و علمها آدم فسبح الله بها كما قال للملائكة لما طافت به بالبيت ما كنتم تقولون قالت الملائكة كنا نقول في طوافنا به قبلك سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فقال لهم آدم و أنا أزيدكم لا حول و لا قوة إلا بالله أعطاها الله إياه من كنز من تحت العرش لم تكن الملائكة تعلم ذلك فلو أراد المفسر بقوله حتى القصعة و القصيعة الاسم الإلهي المتوجه على الصغير و الكبير فسبحه الصغير في تصغيره بما لا يسبحه به الكبير في تكبيره أصاب و إنما قصد لفظة القصعة و القصيعة و لا شرف في مثل هذا فإنه راجع لما يصطلح عليه إذ لها في كل لسان اسم مركب من حروف لا يشبه الاسم الآخر فليس المراد إلا ما تقع به الفائدة التي يماثل بها قول الملائكة في فخرها على الإنسان إنها مسبحة و مقدسة فاراها الله تعالى شرف آدم من حيث دعواها و هو ما ذكرناه ليس غيره و ما ثم في المخلوقات أشرف من الملك و مع هذا فقد فضل عليه الإنسان الكامل بعلم الأسماء فهو في هذه الحضرة و هذا المقام أفضل فهذا حد إيثار الحق له (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه محو في إثبات أما إثباته فظهر في تكليفه و من العبادات الفعلية في صلاته فقسمها بينه و بين عبده فأثبته و أما محوه في هذا الإثبات فقوله وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ و قوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ و قوله إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ و قولهوَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى و قوله مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فهذا في غاية البيان من كتاب الله محو في إثبات فالمحب ما له تصرف إلا فيما يصرف فيه قد حبره حبه الآن يريد سوى ما يريده به و الحقيقة في نفس الأمر تأبى إلا ذلك و كل ما يجري منه فهو خلق لله و هو مفعول به لا فاعل فهو محل جريان الأمور عليه فهو محو في إثبات المحب الله محو في إثبات لا تقع العين إلا على فعل العبد فهذا محو الحق و لا يعطي الدليل العقلي و الكشف إلا وجود الحق لا وجود العبد و لا الكون فهذا إثبات الحق فهو محو في عالم الشهادة إثبات في حضرة الشهود (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه قد وطأ نفسه لما يريده به محبوبه و ذلك أن الحب لما حال بينه و بين رؤية الأسباب و لم يبق له نظر إلا إلى جناب محبوبه تعالى جهل ما يحتاج العالم إليه فيه و لا بد له في نفس الأمر أن يؤدي إليه ما يطلبه به من حقوقه كما قال ص و لزورك عليك حق فأتى بما يدخل فيه جميع العالم و هو الزيارة و هذا من جوامع كلمه فوطأ هذا المحب نفسه لما

يريده به محبوبه فعلم ما للعالم من الحقوق عليه من جهة ما أراده به محبوبه من تصريفه فيما صرفه و الحق حكيم فلا يحركه إلا في العمل الخاص و أداء الحق الخاص فيما يطلبه به من كان من العالم في ذلك الوقت فيعرف العالم من الله فيربح شهود الحق و هو قول الصديق ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله فشاهد عين العالم في شهود الله المحب الله لما كان في نفس الأمر أن الحق سبحانه لا تقبل ذاته التصريف فيها و جعل في نفوس العالم الافتقار إليه فيما فيه بقاؤهم و مصالحهم و تمشية أغراضهم فكأنه قد وطأ نفسه لجميع ما يريدونه منه و ما يريدونه به و لهذا إذا سألوه فيما لم يجيء وقته قال لهم سَنَفْرُغُ لَكُمْ فهو الفاعل في كل حال و ليست ذاته بمحل لظهور الآثار فقد وقعت التوطئة أنه مهيأ لما يحتاج إليه الكون لا لنفسه و له في كل ما أوجده تسبيح هو غذاء ذلك الموجود فلهذا أخبر سبحانه أنه ما من شيء إلا و هو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قد ذكرناه في مقام الفتوة (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه متداخل الصفات و ذلك أن المحب يطلب الاتصال بالمحبوب و يطلب اتباع إرادة المحبوب و قد يريد المحبوب ما يناقض الاتصال فقد تداخلت صفات المحب في مثل هذا المحب الله هو الأول من عين ما هو آخر فدخلت آخريته على أوليته و دخلت أوليته على آخريته و ما ثم إلا عينه فأوليته عينه و آخريته عبده و هو محبوبه فقد تداخلت صفاته في صفات محبوبه فإن قلت عبد لم تخلص و إن قلت سيد لم تخلص و أنت صادق في الأمرين فهذا حكم التداخل (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ما له نفس مع محبوبه يقول ما هو مستريح مع محبوبه لأنه مراقب محبوبه في كل نفس يرى أين محابه فيتصرف فيها فلا يبرح ذا عناء ببذل المجهود في رضي المحبوب و رضاه مجهول فلا راحة للمحب فهذا معنى قولهم ما له نفس أي لا يستريح من التنفيس و هو إزالة الكرب و الشدة و هذا نعت المحب الصادق في حبه المحب الله قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و لا يتصرف إلا في حق عباده و لا يقصد من عباده إلا أحبابه و ينتفع الباقي بحكم التبعية يأكلون فضلات موائدهم فشغله بمصالحهم دنيا و آخرة غير أنه موصوف بأنه لا يمسه لغوب يقول تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ و هو قوله أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ يعني في كل نفس هو تعالى في خلق جديد في عباده و هو قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و قال في أهل السعادة لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ مع كونهم في كل حال يتصرفون في حق الله لا في حق نفوسهم ثم إن ذلك يعود عليهم لا يقصدونه من أجل عوده عليهم بل الحقائق تعطي ذلك فلهذا وصف المحب بأنه لا نفس له مع محبوبه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه كله لمحبوبه و ذلك أنه مجموع و بحكم جمعيته ظهر عينه فآحاده لله إذ الأحدية لله و ليس المجموع سوى هذه الآحاد فكله لله فإن كل واحد من المجموع إذا ضربته في الواحد الحق كان الخارج من ذلك واحد الحق فهذا معنى كله لمحبوبه و هو واحد المجموع لأن المجموع له أحدية و على هذا يخرج إذا كان المحب الله فالكل في حق الله مع أحديته إنما ذلك الأسماء الإلهية و هي التسعة و التسعون فظهرت الكثرة في الأسماء فصح

اسم الكل و آحاد هذا الكل عين كل اسم على حدة يطلب من العبد ذلك الاسم حقيقة واحدة يظهر سلطانه فيها و لا تكون إلا واحدة فتضرب الواحد في الواحد فيظهر في الشاهد واحد العبد و هو المحبوب فكله لله لأن الأسماء كلها تظهر أحكامها في العبد و الأسماء لله فالكل للعبد المحبوب عند الله فما في الحضرة الإلهية شيء إلا للعبد المحبوب فَإِنَّ اللهَ بذاته غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فهو غني عن الكثرة و عن الدلالة عليه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه يعتب نفسه بنفسه في حق محبوبه و ذلك أن المحب يرى أنه يعجز عما لمحبوبه عليه من الحقوق التي أوجبها حبه عليه و لا علم له بطريق الإحاطة بمحاب محبوبه فيجهد في أنه يعمل بقدر ما علم من ذلك ثم يقول لنفسه لو صدقت في حبك لكشف لك عن جميع محابه فإنك في دار التكليف و هي دار محصورة و محاب الحبيب فيها معينة بخلاف الآخرة فإنك مسرح العين فيها لأنها كلها محابه فلا عتاب هناك فلهذا عتب المحب هنا نفسه بنفسه في حق محبوبه المحب الله وصف نفسه بالتردد في حق حبه للعبد المؤمن إذ من حق المحبوب أن لا يعمل له المحب ما يكرهه و المحبوب يكره الموت و الحق يكره مساءته من حيث ما هو محبوب له فهذا معنى العتب و لا بد له من الموت لما سبق من العلم و لكن لجهل العبد بما له في اللقاء من الخير بخلاف المحبين فإنهم يحبون الموت لا للراحة بل للالتقاء مع المحبوب و من المحبين من يغلب عليه رضي المحبوب و يرى أنه لا يحصل ذلك على حالة يعرف بها قدر حب المحب إلا بوجود التحجير و تميز ما يرضى مما يسخط و لا يكون له ذلك إلا في دار التكليف و أما في الآخرة فلا تحجير فيقع التساوي فيرتفع تميز قدر المحب في تصرفه من غير المحب فيكره بعض المحبين الموت لهذا المعنى و هذا لصدقهم في المحبة و المحب الله أيضا في هذه الحقيقة و قد قضى بالموت على الجميع و كان غرض هذه الطائفة المخصوصة التي تريد التمييز أن لا يرتفع عنها التحجير لتعلم قدر محبتها لسيدها على غيرها من الطوائف و يأبى سبق العلم بالكائن إلا أن يكون فهذا القدر يسمى عتبا في حق الحق يميزه قوله تعالى فَعّالٌ لِما يُرِيدُ لا بل يميزه و يختار خاصة و الذي يفهم أيضا من قوله وَلَوْ شاءَ فهذا و أمثاله موجب العتب لا الإرادة و لا العلم فإن الحكم لهما فتفطن لما ذكرناه فكل ذلك أسرار إلهية غاروا عليها أصحابنا لما رأوا من عظيم قدرها و هو كما قالوه غير إن هذا الذي أبرزنا منها بالنظر إلى ما عندنا من العلم بالله قشر فهذا سبب أقدامنا على إبرازه و لما فيه من المنفعة في حق العباد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ملتذ في دهش الدهش سببه فجأة المحبوب و هو المعبر عنه بالهجوم و سيأتي له باب في هذا الكتاب و لما كان الحق دعا قلوب العباد إليه و شرع لهم الطريق الموصلة المشروعة و تعرف إليهم بالدلالات فعرفوه و تحبب إليهم بالنعم فأحبوه فلما تجلى لهم على غير موعد عند ما دخلوا عليه و هم غير عارفين بأنهم في حال دخول عليه فجئهم تجليه فعرفوه بالعلامة فدهشوا لفجأة التجلي و التذوا لعلمهم بالعلامة في نفوسهم أنه حبيبهم و مطلوبهم فهذا التذاذهم في دهش المحب الله وصف نفسه بالاختيار و أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و

إنه لو شاء فعل و إنه لا مكره له و هو الصادق في قوله و ما حكم به على نفسه و هو أيضا المقيت فقد ترتبت الأمور ترتيب الحكمة ف لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ فهو في كل حال يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي فعل حكيم عالم بالمراتب فتأتيه أسئلة السائلين و ما يوافق توقيت الإجابة في عين ما سألوه فيه و قد تقرر أنه لا مكره له و لا بد من التوقف عند هذا السؤال لمناقضته إذا أجابه ترتيب الحكمة فهذا المقدار يسمى دهشا و أما التذاذه فإن السائل في ذلك محبوب فهو يحب سؤاله و دعاءه كما قد ورد في الخبر أن شخصين محبوب لله و بغيض سألا الله في حاجة فأوحى الله للملك أن يقضي حاجة البغيض مسرعا حتى يشتغل عن سؤاله لكونه يبغضه و يبغض صوته و يقول للملك توقف عن حاجة فلان فإني أحب أن أسمع صوته و سؤاله فإني أحبه فهذا مقضي الحاجة على بغض و هذا غير مقضي الحاجة مع حب و عناية فلو كشف لهذا المحبوب هذا السر في وقت تأخر الإجابة ما وسعه شيء من الفرح بذلك فالتوقف عن الإجابة كتوقف الداهش لصدق قوله في أنه لا مكره له و الالتذاذ علمه بأنه لا بد من وصوله إلى ما طلب و فرحه به فسبحان العزيز الحكيم (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه جاوز الحدود بعد حفظها هذا معين في أحباء أهل بدر فإنهم ممن جاوزوا الحدود بعد حفظها فقال لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم و أما في غير المعينين في العموم و هم معينون في الخصوص و قد عين الحق صفتهم فهو ما ذكر الله سبحانه في قوله أذنب عبد ذنبا فعلم إن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب فقال في الرابعة أو في الثالثة اعمل ما شئت فقد غفرت لك فأباح له و أخرجه من التحجير في الدنيا إذ كان الله لا يأمر بالفحشاء فما عصى الله صاحب هذه الصفة بل تصرف فيما أباحه الله له و قد كان قبل هذه الصفة من أهل الحدود فجاوزها بعد حفظها فهذا أعطاه شرف العلم مع وجود عقل التكليف بخلاف صاحب الحال فإن حكم صاحب الحال حكم المجنون الذي ارتفع عنه القلم فلا يكتب لا له و لا عليه و هذا يكتب له و لا عليه فهذا قدر ما بين العلم و الحال فما أشرف العلم فالمحب إذا كان صاحب علم هو أتم من كونه صاحب حال فالحال في هذه الدار الدنيا نقص و في الآخرة تمام و العلم هنا تمام و في الآخرة تمام و أتم المحب الله لما علم من عباده المحبين له أنهم غير مطالبين لله ما أوجبه لهم على نفسه جاوزوا الحدود بعد حفظها فأعطاهم ما أوجبه على نفسه و هو حفظها ثم أعطاهم بغير حساب و هو مجاوزته الحدود فإن الحد الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف و مجاوزة الحدود الزيادة في قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى و هو حفظ الحد وَ زِيادَةٌ و هي ما جاوز الحد هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه غيور على محبوبه منه و هذا أحق ما يوجد في حق من يحب الله و هذا مقام الشبلي أداه إلى ذلك تعظيم محبوبه في نفسه و حقارة قدره فرأى أنه لا يليق بذلك الجناب العزيز إدلال المحبين فإن المحبين لهم إدلال في الحضرة الإلهية إلا المحبين الموصوفين بالغيرة فإنهم لا إدلال لهم لما غلب عليهم من التعظيم فهم الموصوفون بالكتمان

و سببه الغيرة و الغيرة من نعوت المحبة فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين و هذا مقام رسول اللّٰه ص فإنه وصف نفسه بأنه أغير من سعد بعد ما وصف سعدا بأنه غيور فإني ببنية المبالغة في غيرة سعد ثم ذكر أنه ص أغير من سعد فستر محبته و ما لها من الوجد فيه بالمزاح و ملاعبة الصغير و إظهار حبه فيمن أحبه من أزواجه و أولاده و أصحابه هذا كله من باب الغيرة و قوله إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فلم يجعل عند نفسه أنه من المحبين فجهلته طبيعته و تخيلت أنه معها لما رأته يمشي في حقها أو يؤثرها و لم تعلم بأن ذلك عن أمر محبوبه إياه بذلك فقيل إن محمدا ص يحب عائشة و الحسن و الحسين و ترك الخطبة يوم الجمعة و نزل إليهما لما رآهما يعثران في أذيالهما و صعد بهما و أتم خطبته هذا كله من باب الغيرة على المحبوب إن تنتهك حرمته و إن هذا ينبغي أن يكون الأمر عليه تعظيما للجناب الأقدس أن يعين ثم لا يظهر ذلك الاحترام من الكون فسدل ستر الغيرة في قلوب عباده المحبين المحب اللّٰه قال ص في هذا الحديث و اللّٰه أغير مني و من غيرته حرم الفواحش ليفتضح المحبون في دعواهم محبته فغار أن يدعي فيه الكاذب دعوى الصادق و لا يكون ثم ميزان يفصل بين الدعوتين فحرم الفواحش فمن ادعى محبته وقف عند حدوده فتبين الصادق من الكاذب و الكل باللّٰه قائم فغار على محبوبه منه فأضاف الأفعال إليه لا إلى العبد حتى لا ينسب نقص للعبد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه يحكم حبه فيه على قدر عقله لأن عقله قيده فعقله قيده و ما خاطب تعالى إلا العقلاء و هم الذين تقيدوا بصفاتهم و ميزوها عن صفات خالقهم فلما وقع التباين حصل التقييد فكان العقل و لهذا أدلة العقول تميز بين الحق و العبد و الخالق و المخلوق فمن وقف مع عقله في حال حبه لم يتمكن أن يقبل من سلطان الحب إلا ما يقتضيه دليله النظري و من وقف مع قبول عقله لا مع نظر عقله فقبل من الحق ما وصف به نفسه تحكم فيه سلطان الحب بحسب ما قبله عقله من ذلك فالعقل بين النظر و القبول فحكم الحب في العقل الناظر و القابل ليس على السواء فافهم فإن هنا أسرارا المحب اللّٰه نسبة العقل إلينا نسبة العلم إليه فلا يكون إلا ما سبق به علمه كما لا يكون منا إلا قدر ما اقتضاه عقلنا فحكم حبه في خلقه لا يجاوز علمه و حكم حبنا فيه لا يجاوز عقلنا نظرا أو قبولا فافهم (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مثل الدابة جرحه جبار (حكي) أن خطافا راود خطافة كان يحبها في قبة لسليمان ع و كان سليمان ع في القبة فسمعه و هو يقول لها لقد بلغ مني حبك أن لو قلت لي أهدم هذه القبة على سليمان لفعلت فاستدعاه سليمان ع و قال له ما هذا الذي سمعته منك فقال يا سليمان لا تعجل علي إن للمحب لسانا لا يتكلم به إلا المجنون و أنا أحب هذه الأنثى فقلت ما سمعت و العشاق ما عليهم من سبيل فإنهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم و العقل فضحك سليمان و رحمه و لم يعاقبه فهذا جرح قد جعله جبارا و أهدره و لم يؤاخذه به كذلك المحب للّٰه كل ما أعطاه إدلال الحب و صدق المودة من الخلل في ظاهر الأمر لا يؤاخذ به المحب فإن ذلك حكم الحب و الحب مزيل للعقل و ما يؤاخذ اللّٰه إلا العقلاء لا المحبين

فإنهم في أسره و تحت حكم سلطان أحب المحب الله جرحه جبار و هو الصادق و توعد على الخطيئة بما توعد به ثم عفا و لم يؤاخذ من غير توبة من العاصي بل امتنانا منه و فضلا فأهدر ما كان له أن يأخذ به كان ما اجترحه المسيء جبارا و ما توعده به الحق من وقوع الانتقام به جبار لأنه عفا عنه من غير سبب البهيمة لا تقصد ضرر العباد و لا تعقل فجرحها جبار المحب محكوم عليه فغيره هو القاتل فجرحه جبار ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب و لا النقص بجفائه هذا الحكم لا يكون إلا في محب أحبه لذاته عن تجل تجلى له فيه من اسمه الجميل فلا يزيد بالبر و لا ينقص بالإعراض بخلاف حب الإحسان و النعم فإنه يقبل الزيادة و النقص و هو الحب المعلول قالت المحبة لو قطعتني إربا إربا لم أزدد فيك إلا حبا يعني أنه لا ينقص حبنا لذلك و هو قول المرأة المحبة يقال إن هذا قول رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرجال حالا و مقاما و قد فصلت و قسمت رضي الله عنها و هو أعجب الطرق في الترجمة عن الحب

أحبك حبين حب الهوى ... و حبا لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواك

و أما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراك

فلا الحمد في ذا و لا ذاك لي ... و لكن لك الحمد في ذا و ذاك

(و قالت الأخرى جارية عتاب الكاتب)

يا حبيب القلوب من لي سواكا ... ارحم اليوم زائرا قد أتاكا

أنت سؤلي و بغيتي و سروري ... قد أبي القلب أن يحب سواكا

يا منايا و سيدي و اعتمادي ... طال شوقي متى يكون لقاكا

ليس سؤلي من الجنان نعيما ... غير أني أريدها لأراكا

(و لنا في هذا النعت)

نعيمك أو عذابك لي سواء ... فحبك لا يحول و لا يزيد

فحبي في الذي تختار مني ... و حبك مثل خلقك لي جديد

هذا ميزان الاعتدال و هو الميزان الإلهي لا تؤثر فيه العوارض و لا يتأثر بالأحوال المحب الله لا ينتفع بالطاعة و لا يتضرر بالمخالفة من أحبه من عباده لم تضره الذنوب و لا قدحت في منزله بل بشره فقال عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ فقدم العفو على السؤال عندنا و على العتاب عند غيرنا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ فقدم المغفرة على الذنب و ليس يذنب عنده و إنما ذكره لتعرف العناية الإلهية بإحبابه لا ذنب لمحبوب و لا حسنة لمحب عند نفسه و مع هذا كله فإنه مقام خفي غير جلي سريع التفلت في المحب يتصور فيه المطالبة مع الأنفاس مدعية حافظ لميزانه إن أخل به قامت الحجة عليه من الجانبين فلا يحفظه إلا ذو معرفة تامة و ذو حب صادق قوي السلطان ثابت الحكم (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه غير مطلوب بالآداب إنما يطلب بالأدب من كان له عقل و صاحب الحب ولهان مدله العقل لا تدبير له فهو غير مؤاخذ في كل ما يصدر عنه إذا كان المحب الله فهو الكبير المالك مشرع الآداب في العقلاء مؤدب أوليائه كما قال ص إن الله أدبني فأحسن أدبي و السيد لا يقال يتأدب مع غلامه و إنما يقال السيد يعطي ما يستحقه العبد المحبوب عنده المكرم لديه منة منه و فضلا فالسيد غير مطالب بالأدب مع عبده و إن كان محبوبا له (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ناس حظه و حظ محبوبه استفرغه الحب فأنساه المحبوب و أنساه نفسه و هذا هو حب الحب و الحقيقة الإلهية التي صدرت منها هذه الحقيقة لا تنقال نعم تنقال إلا أنها من الأسرار التي لا تذاع فمن كشفها عرفها و لا يجوز له أن يعرف بها و آيتها من كتاب الله نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و من نسي صورته نسي نفسه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مخلوع النعوت المحب لا نعت له يقيد به و لا صفة فإنه بحيث يريد محبوبه أن يقيمه فيه فنعته ما يراد به و ما يراد به لا يعرفه فهو مخلوع النعوت المحب الله هو كامل لذاته لا يكمل بالزائد فلا نعت له و لا صفة لأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فسُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مجهول الأسماء قال الشاعر

لا تدعني إلا بيا عبدها   فإنه أشرف أسمائي

فهذا مثل قولهم فيه إنه مخلوع النعوت فالعبودية له ذاتية فما له اسم معين سوى ما يسميه به محبوبه فبأي اسم سماه و دعاه به أجابه و لباه فإذا قيل للمحب ما اسمك يقول سل المحبوب فما سماني به فهو اسمي لا اسم لي أنا المجهول الذي لا يعرف و النكرة التي لا تتعرف المحب الله لا اسم له يدل على ذاته و إنما المألوه الذي هو محبوبه نظر إلى ما له فيه من أثر فسماه بآثاره فقبل الحق ما سماه به فقال المألوه يا الله قال الله له لبيك قال المربوب يا رب قال له الرب لبيك قال المخلوق له يا خالق قال الخالق لبيك قال المرزوق يا رزاق قال الرزاق لبيك قال الضعيف يا قوي قال القوي أجبتك فأحوالنا تدعوه دعاء تحقيق فيتخذها أسماء و لهذا تختلف ألفاظها و تركيب حروفها بحسب اللسان و المعنى الموجب للاسم معقول عند المخلوقين فيقول العربي يا الله للذي يقول له الفارسي أي خداي و يقول له الرومي أيشا و

يقول له الأرمني أي اصفاج و يناديه التركي أي تنكري و يناديه الإفرنجي أي كريطور و يقول له الحبشي واق فهذه ألفاظ مختلفة لمعنى واحد مقصود من كل مخلوق فلهذا قلنا إنه مجهول الأسماء إذ الأسماء دلائل فالمحبوب بأي اسم دعا محبه أجابه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه كأنه سأل و ليس يسأل و هذا النعت يسمى البهت و السبات و لا يكون له هذا إلا في حال الاستغراق فيما عنده من حب محبوبه حتى إن محبوبه ربما يكون بإزائه و لا يعرفه به و يناديه و لا يعرف صوته مع نظره إليه فهو كالسالي في حاله و هو في غاية الهيمان فيه المحب الله يقول فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و يطالبهم بأنفاسهم أن يكون تنفسهم بذكره و إنه سَمِيعُ الدُّعاءِ (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه لا يفرق بين الوصل و الهجر لشغله بما عنده من محبوبه فهو مشهوده دائما أو يكون كما قال القائل

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فهو في الحالتين صاحب شكوى فما تغير عليه الحال في عذاب دائم و أما نحن فعلى المذهب الأول ما لنا شغل إلا به فهو مشهودنا لا نعرف غيره و لا نشهد سواه و لنا في ذلك

شغلي بها وصلت ليلا و إن هجرت فما أبالي أطال الليل أم قصرا

المحب الله الكلمة الإلهية واحدة قال تعالى وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ لا تفريق عنده فبعده عين قربه و قربه عين بعده فهو البعيد القريب ما عنده وصل بنا فيقبل الفصل و لا هجر فيقبل الوصل

فعين الوصل عين الهجر فيه و ما يدريه إلا من رآه

(منصة و مجلى) نعت المحب بأنه متيم في إدلال المتيم الذي تعبده الحب و أذله مع إدلال يجده عنده و لا يعرف سببه سوى ما تعطي الحقائق من أن المحب يعطي المحبوب سيادته عليه فكأنه ولاة و من حالته هذه فلا بد أن تشم منه رائحة إدلال في إذلال و خضوع و هذا يعطيه مقام الحب المحب الله عبدي جعت فلم تطعمني ظمئت فلم تسقني مرضت فلم تعدني من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا فضاعف التقريب من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ فتضاعف الأجر إدلال و السؤال سؤال (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه ذو تشويش و سبب ذلك جهله بما في نفس المحبوب فلا يدري بأي حالة يكون معه أما إذا كان الحق محبوبه فإنه قد عرف ذلك بما شرع له فلا يبقى عليه تشويش في قلبه إلا فيما منحه من الأسرار و ما حاباه به من اللطائف و هو يحب أن يحببه إلى خلقه حتى تجتمع الهمم و القلوب كلها عليه و لا يتمكن له ذلك إلا بإذاعة أسراره لأن النفوس مجبولة على حب المنح و الهبات و العطايا ثم إنه لا يعلم هل يرضى إذاعة تلك الأسرار به أم لا فهذا سبب تشويش قلوب المحبين لله المحب الله نفذ الأمر الإلهي بأن يؤمن من سبق

علمه فيه إنه لا يؤمن و قوله و علمه واحد فمن أي حقيقة قال آمرا من علم أنه لا يمتثل أمره فقد عرضه للمعصية وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فمن هنا صدر التشويش في العالم و اختلاف الأغراض و المنازعات (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه خارج عن الوزن التصرفات على الوزن المعتبر في الحكمة يطلب الفكر الصحيح و المحب لا فكرة له في تدبير الكون و إنما همه و شغله بذكر محبوبه قد أفرط فيه الخيال فلا يعرف المقادير فإن كان محبوبه الله لما وسعه قلبه فذلك الخارج عن الوزن فلا يزنه شيء أ لا ترى إلى التلفظ بذكره و هي لفظة لا إله إلا الله لا تدخل الميزان و لما دخلت بطاقتها من حيث ما هي مكتوبة في الميزان لصاحب السجلات طاشت السجلات و ما وزنها شيء و لو وضعت أصناف العالم ما وزنتها و هي لفظة من قائل لم يتصف بالمحبة فما ظنك بقول محب فما ظنك بحاله فما ظنك بقلبه الذي هو أوسع من رحمة الله وسعته إنما كانت من رحمة الله فهذا من أعجب ما ظهر في الوجود إن اتساع القلب من رحمة الله و هو أوسع من رحمة الله يقول أبو يزيد لو أن العرش و ما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بها فكيف حال المحب المحب الله تعالى عن الموازنة محبوب الحق عند الحق لأن المحب لا يفارق محبوبه و ما عند الله باق فالمحبوب باق و ما يبقى ما يوازنه ما يفنى (منصة و مجلى) نعت المحب بكونه يقول عن نفسه إنه عين محبوبه لاستهلاكه فيه فلا يراه غير إله قال قائلهم في ذلك أنا من أهوى و من أهوى أنا و هذه حالة أبي يزيد المحب الله أحب بعض عباده فكان سمعه و بصره و لسانه و جميع قواه (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مصطلم مجهود لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا لم قلت كذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله ص عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته و لا لشيء لم أفعله لم لم تفعله لأنه كان يرى تصريف محبوبه فيه و تصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم لا بل يستلذ لأن المحب مصطلم بنار تحرق كل شيء تجده في قلبه ما سوى محبوبه غيرة فهو يبذل المجهود و لا يرى أنه وفي و لا يخطر له أنه تحرك فيما يرضي محبوبه المحب الله في هذا الموطن لا تتحرك ذرة إلا بإذنه فكيف يقول لم و ما فعل إلا هو يقول الحق لمحبوبه أنا يدك اللازم له لكل محبوب تجل لا يكون لغيره فما يجتمع عنده اثنان و لا يصح فهذا الاصطلام و نعته بالمجهود ما نسب إليه من التردد (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه مهتوك الستر سره علانية فضيحة الدهر لا يعلم الكتمان قال المحب الصادق

من كان يزعم أن سيكتم حبه ... حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أغلب للفؤاد بقهره ... من أن يرى للستر فيه نصيب
و إذا بدا سر اللبيب فإنه ... لم يبد إلا و الفتى مغلوب
إني لأحسد ذا هوى متحفظا ... لم تتهمه أعين و قلوب

الحب غلاب لا يبقي سترا إلا هتكه و لا سرا إلا أعلنه زفراته متصاعدة و عبراته متتابعة تشهد عليه جوارحه بما تحمله من الأسقام و السهر و تنم به أحواله إن تكلم تكلم بما لا يعقل ما له صبر و لا جلد همومه مترادفة و غمومه متضاعفة المحب الله إذا أحب الله العبد أوحى إلى الملك أن ينادي به في السموات إن الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فتقبله البواطن و إن أنكرته الظواهر من بعض الناس فلأغراض قامت بهم فإنهم في هذا الشأن مثل سجودهم لله كل من في العالم ساجد لله وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ما قال كلهم و هكذا حب هذا العبد في قلوبهم و إن وضع له القبول في الأرض فتحبه بقاع الأرض كلها و جميع ما فيها و كثير من الناس على أصلهم في السجود لله سواء (منصة و مجلى) نعت المحب بأنه لا يعلم أنه محب كثير الشوق لا يدري لمن عظيم الوجد لا يدري فيمن لا يتميز له محبوبه القرب المفرط حجاب فيجد آثار الحب و قد لبسته صورة محبوبه مما يحكم في خياله فيطلبه من خارج فلا يجد ما عانق من صورته في نفسه لكثافة الظاهر عن لطف الباطن المحب مع المعنى الذي يأخذه من المحبوب و يرفعه في نفسه و ذلك المعنى المرفوع عند المحب منه هو الذي يقلقه و يزعجه فهو فيه و لا يدرى أنه هو فيه فلا يطلبه إلا به اللطيف يغيب عن الحواس يقول و لا يعقل ما يقول و لا بقوله قلبي عند محبوبي

ضاع قلبي أين أطلبه ما أرى جسمي له وطنا

و لا بقوله محبوبي في قلبي لا أدري في أي الحالتين هو أصدق بجمع بين الضدين هو عندي ما هو عندي المحب الله تجلى الله لآدم و يداه مقبوضتان فقال يا آدم اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم و ذريته الحديث فآدم في القبضة و آدم خارج القبضة هكذا صورة المحبوب مع المحب هو فيه ما هو فيه فنعوته كثيرة لا تحصى و ليس لها حد فيبلغ بالبحث و الاستقصاء غير أن مشارب الحب متنوعة باختلاف المحبوب فإن عقلت عني فقد رميت بك على الطريق فإياك و التشبيه فالحب و الجد و الشوق و الكمد حقيقة واحدة لها نسب مختلفة لاختلاف المتعلق فهي نعوت تحكم سلطانها فيمن قامت به لا يرجع منها إلى المحبوب نعت و لا له فيها حكم إلا أن يكون محبا فافهم و هذا القدر كاف على الإيجاز في نعت المحبين في الجانبين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس عشر و مائة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الباب التاسع و السبعون و مائة في معرفة مقام الخلة)

بخلة الكون يسد الخلل بخلة الحق فأكرم به

من نعت حق و رسولي هدى		و ما له في الخلق من مشبه
إن عجزت عنه نفوس الورى		فأنت من عالمه قم به

الخلة نعت إلهي يقول قائلهم

و تخللت مسلك الروح مني		و بذا سمي الخليل خليلا

يعضده حال الحلاج و زليخا انكتب بدم زليخا يوسف حيث وقع و بدم الحلاج الله الله حيث وقع فأنشد

ما قد لي عضو و لا مفصل		إلا و فيه لكم ذكر

إذا تخللت المعرفة بالله أجزاء العارف من حيث ما هو مركب فلا يبقى فيه جوهر فرد إلا و قد حلت فيه معرفة ربه فهو عارف به بكل جزء فيه و لولا ذلك ما انتظمت أجزاؤه و لا ظهر تركيبه و لا نظرت روحانيته طبيعته فبه تعالى انتظمت الأمور معنى و حسا و خيالا و كذلك أشكال خيال الإنسان لا تتناهى و ما ينتظم منها شكل إلا بالله و يكون حكمها في تلك الحضرة في المعرفة بالله حكم ما ذكرناه في الصورة الحسية و الروحانية هكذا في كل موجود فإذا أحس الإنسان بما ذكرناه و تحقق به وجودا و شهودا كان خليلا من حصل في هذا المقام كان حاله في العالم نعت الحق فبه يرزق مع كفر النعم و يملي ليزداد ذلك الشخص إثما فيظهر عظم المغفرة و سلطان العفو و التجاوز (حكاية) نزل ضيف من غير ملة إبراهيم ع بإبراهيم ع فقال له إبراهيم ع وحد الله حتى أكرمك و أضيفك فقال يا إبراهيم من أجل لقمة أترك ديني و دين آبائي فانصرف عنه فأوحى الله إليه يا إبراهيم صدقك لي سبعون سنة أرزقه و هو يشرك بي فتريد أنت منه أن يترك دينه و دين آبائه لأجل لقمة فلحقه إبراهيم ع و سأله الرجوع إليه ليقربه و اعتذر إليه فقال له المشرك يا إبراهيم ما بدا لك فقال إن ربي عتبني فيك و قال لي أنا أرزقه منذ سبعين سنة على كفره بي و أنت تريد منه أن يترك دينه و دين آبائه لأجل لقمة فقال المشرك أ و قد وقع هذا مثل هذا ينبغي أن يعبد فأسلم و رجع مع إبراهيم ع إلى منزله ثم عمت كرامته خلق الله من كل وارد ورد عليه فقيل له في ذلك فقال تعلمت الكرم من ربي رأيته لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم فأوحى الله إليه أنت خليلي حقا قال رسول الله ص المرء على دين خليل فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه		و كل خليل بالمقارن مقتد
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم		و لا تصحب الأردى فتردى مع الردي

قيل لبعضهم من أحب الناس إليك قال أخي إذا كان خليلي علامة الخليل أن يسد خلة صاحبه بما أمكنه فإذا لم يستطع قاسمه في همه كما قيل

خليلي من يقاسمني همومي　　　ويرمي بالعداوة من رمانى

(و قال الآخر)

ما أنا إلا لمن بغاني　　　أرى خليلي كما يراني

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و قد قلنا بأن الخليل على دين خليله و هؤلاء الموصوفون بأنهم أعداء الله مع كون الله يحسن إليهم فذلك لجهلهم به و حجب الأسباب دونه في أعينهم فلا يعلمون إلا ما شاهدوه فمن أراد تحصيل هذا المقام و أن يكون خليلا للرحمن يجمع بين الآية في قوله لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مع جهل الأعداء به إن الإحسان منه تعالى و هو محسن إليهم مع عداوتهم و لم يجعل في قلوبهم الشعور بذلك فينبغي للإنسان الطالب مقام الخلة أن يحسن عامة لجميع خلق الله كافرهم و مؤمنهم طائعهم و عاصيهم و أن يقوم في العالم مع قوته مقام الحق فيهم من شمول الرحمة و عموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أن ذلك الإحسان منه و يوصل الإحسان إليهم من حيث لا يعلمون فمن عامل الخلق بهذه الطريقة و هي طريقة سهلة فإني دخلتها و ذقتها فما رأيت أسهل منها و لا ألطف و ما فوق لذتها لذة فإذا كان العبد بهذه المثابة صحت له الخلة و إذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فدعا الله لهم في نفسه بينه و بين ربه هكذا تكون حالة الخليل فهو رحمة كله و لو لا الرحمة الإلهية ما كان الله يقول وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها و ما كان الله يقول حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أ ليس هذا كله إبقاء عليهم و لو لا ما سبقت الكلمة و كان وقوع خلاف المعلوم محالا ما تألمت ذرة في العالم فلا بد من نفوذ الكلمة ثم يكون المال للرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فهو في الدنيا يرزق مع الكفر و يعافي و يرحم فكيف مع الايمان و الاعتراف في الدار الآخرة على الكشف كما كان في قبض الذرية فعقابهم و عذابهم تطهير و تنظيف كأمراض المؤمنين و ما ابتلوا به في الدنيا من مقاساة البلايا و حلول الرزايا مع إيمانهم ثم دخول بعض أهل الكبائر النار مع إيمانهم و توحيدهم إلى أن يخرجوا بالشفاعة ثم إخراج الحق من النار من لم يعمل خيرا قط حتى الساكنين في جهنم لهم فيها حال يستعذبونها و بهذا سمي العذاب عذابا فالخليل على عادة خليله و هو قوله ص المرء على دين خليله أي على عادة خليله قال إمرؤ القيس

كدينك من أم الحويرث قبلها　　　وجارتها أم الرباب بمأسل

يقول كعادتك فمن كانت عادته في خلق الله ما عودهم الله من لطائف مننه و أسبغ عليهم من جزيل نعمه و أعطف بعضهم على بعض فلم يظهر في العالم غضب لا تشوبه رحمة و لا عداوة لا تتخللها مودة فذلك يستحق اسم الخلة لقيامه بحقها و استيفائه شروطها لو لم يكن من عظيم الرجاء في شمول الرحمة إلا قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فإذا استقرت الرحمة في العرش الحاوي على جميع أجسام العالم فكل ما يناقضها أو يريد رفعها من الأسماء و الصفات فعوارض لا أصل لها في البقاء لأن الحكم للمستولي و هو الرحمن ف إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فابحث على صفات إبراهيم ع و قم بها عسى الله أن يرزقك بركته فإنه بالخلة قام بها ما هي أوجبت له الخلة فلهذا دللناك على التخلق بأخلاق الله و قد قال ص بعثت لأتمم مكارم الأخلاق و معنى هذا أنه لما قسمت الأخلاق إلى مكارم و إلى سفساف و ظهرت مكارم الأخلاق كلها في الشرائع على الأنبياء و الرسل و تبين سفسافها من مكارمها عند الجميع و ما في العالم على ما يقوم عليه الدليل و يعطيه الكشف و المعرفة إلا أخلاق الله فكلها مكارم فما ثم سفساف أخلاق فبعث رسول الله ص بالكلمة الجامعة إلى الناس كافة و أوتي جوامع الكلم و كل نبي تقدمه على شرع خاص فأخبر ص أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق لأنها أخلاق الله فالحق ما قيل فيه إنه سفساف أخلاق بمكارم الأخلاق فصار الكل مكارم أخلاق فما ترك ص في العالم سفساف أخلاق جملة واحدة لمن عرف مقصد الشرع فأبان لنا مصارف لهذا المسمى سفساف أخلاق من حرص و حسد و شره و بخل و فزع و كل صفة مذمومة فأعطانا لها مصارف إذا أجريناها على تلك المصارف عادت مكارم أخلاق و زال عنها اسم الذم و كانت محمودة فتمم الله به مكارم الأخلاق فلا ضد له كما أنه لا ضد للحق و كل ما في الكون أخلاقه فكلها مكارم و لكن لا تعرف و ما أمر الله باجتناب ما يجتنب منها إلا لاعتقادهم فيها إنها سفساف أخلاق و أوحى إلى نبيه أن يبين مصارفها ليتنبهوا فمنا من علم و منا من جهل فهذا معنى قوله إنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق و به كان خاتما

(الباب الثمانون و مائة في معرفة مقام الشوق و الاشتياق و هو من نعوت المحبين العشاق)

شوق بتحصيل الوصال يزول   و الاشتياق مع الوصال يكون
إن التخيل للفراق يديمه   عند اللقاء فربه مغبون
من قال هون صعبة قلنا له   ما كل صعب في الوجود يهون
هو من صفات العشق لا من غيره   و العشق داء في القلوب دفين
ما حكم هذا النعت إلا هاهنا   و هناك يذهب عينه و يبين

يقول بعض العشاق

فأبكى إن نأوا شوقا إليهم و أبكي إن دنوا خوف الفراق

الشوق يسكن باللقاء فإنه هبوب القلب إلى غائب فإذا ورد سكن و الاشتياق حركة يجدها المحب عند اجتماعه بمحبوبه فرحا به لا يقدر يبلغ غاية وجده فيه فلو بلغ سكن لأنه لا يشبع منه فإن الحس لا يفي بما يقوم في النفس من تعلقها بالمحبوب فهو كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا قال ع منهومان لا يشبعان طالب علم و طالب دنيا من حيث ما هو محب في تحصيل كل واحد منهما و ما للعلم غاية ينتهي إليها فلهذا لا يشبع و كذلك الدنيا فإنها مشتهي النفوس و الشهوة تطلبها و قد تجلى ذلك المشتهي في صورة قريبة تسمى دنيا فتعلقت الشهوة بها ثم تنتقل إلى الآخرة في الجنة فتتبعها الشهوة فلا تشبع أبدا لأنها صورة لا يتناهى أمدها و لو لا الشهوة ما طابت الجنة فالشوق ما سكن و الاشتياق ما بقي ولنا في هذا الباب

ليس يصفو عيش من ذاق الهوى دون أن يلقى الذي يعشقه
فإذا أبصره يكمه ذلك المعنى الذي يقلقه
و هو معنى حكمه مختلف عند من يعرف ما أطلقه

لما كان الحب لا يتعلق إلا بمعدوم كما قدمناه في باب المحبة كذلك الشوق لا يصح أن يتعلق بحاضر و إنما متعلقة غائب غير مشهود له في الحال و لذا كان الشوق من أوصاف المحبة و لهذا يطرد و ينعكس فيقال كل محب مشتاق و كل مشتاق محب و من ليس بمشتاق فليس بمحب و من ليس بمحب فليس بمشتاق و قد ورد خبر لا علم لي بصحته إن الله تعالى ذكر لمشتاقين إليه و قال عن نفسه إنه أشد شوقا إليهم كما يليق بجلاله فشوقه إليهم أن ينيلهم الراحة بلقاء من اشتاقوا إليه و الوقت المقدر الذي لا يتبدل لم يصل فلا بد من تأخر وجود ما وقع الشوق الإلهي إليه هذا إن صح الخبر و لا علم لي به لا من الكشف و لا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور و قد اتصفت الجنة بالاشتياق إلى علي و سلمان و عمار و بلال و تكلم الناس في ذلك من حيث اشتقاق أسماء هؤلاء من العلو و السلامة و العمران و الاستبلال و لكن ما هو محقق فإن الشوق أمر ذوقي و لو خطر لي هذا الخبر حين رأيت الجنة لسألتها عن شوقها لهؤلاء دون غيرهم فإنها أعرف بالسبب الذي أداها إلى الشوق لهؤلاء الأربعة و كذلك النبي ص قد رأيته مرارا و سألته عن أشياء و ما خطر لي أن أسأله عن شوق الجنة لهؤلاء بل غلني ما كان أهم علي منه و الشوق علم ذوق يعرفه كل مشتاق من نفسه

(الباب الأحد و الثمانون و مائة في معرفة مقام احترام الشيوخ)

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم بها أدبا لله بالله

هم الأدلاء و القربى تؤيدهم على الدلالة تأيدا على الله

الوارثون هم للرسل أجمعهم فما حديثهم إلا عن الله

كالأنبياء تراهم في محاربهم لا يسألون من الله سوى الله

فإن بدا منهم حال تولهم عن الشريعة فاتركهم مع الله

لا تتبعهم و لا تسلك لهم أثرا فإنهم طلقاء الله في الله

لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه و لو جاء بالإنباء عن الله

و لما رأينا في هذا الزمان جهل المريدين بمراتب شيوخهم قلنا في ذلك

جهلت مقادير الشيوخ أهل المشاهد و الرسوخ

و استنزلت ألفاظهم جهلا و كان لها الشموخ

الشيوخ نواب الحق في العالم كالرسل ع في زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء ع غير أنهم لا يشرعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة في العموم ما لهم التشريع و لهم حفظ القلوب و مراعاة الآداب في الخصوص هم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة فالطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن الإنساني خاصة و العالم بعلم الطبيعة يعرفها مطلقا و إن لم يكن طبيبا و قد يجمع الشيخ بين الأمرين و لكن حظ الشيخوخة من العلم بالله أن يعرف من الناس موارد حركاتهم و مصادرها و العلم بالخواطر مذمومها و محمودها و موضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود و يعرف الأنفاس و النظرة و يعرف ما لهما و ما يحويان عليه من الخير الذي يرضى الله و من الشر الذي يسخط الله و يعرف العلل و الأدوية و يعرف الأزمنة و السن و الأمكنة و الأغذية و ما يصلح المزاج و ما يفسده و الفرق بين الكشف الحقيقي و الكشف الخيالي و يعلم التجلي الإلهي و يعلم التربية و انتقال المريد من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة و يعلم متى يترك التحكم في طبيعة المريد و يتحكم في عقله و متى يصدق المريد خواطره و يعلم ما للنفس من الأحكام و ما للشيطان من الأحكام و ما تحت قدرة الشيطان و يعلم الحجب التي تعصم الإنسان من إلقاء الشياطين في قلبه و يعلم ما تكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد و يفرق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الروحاني و بين الفتح الإلهي و يعلم بالشم أهل الطريق الذين يصلحون له من الذين لا يصلحون و يعلم التحلية التي يحلي بها نفوس المريدين الذين هم عرائس

الحق و هم له كالماشطة للعروس تزينها فهم أدباء الله عالمون بآداب الحضرة و ما تستحقه من الحرمة و الجامع لمقام الشيخوخة إن الشيخ عبارة عمن جمع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته و سلوكه و كشفه إلى أن ينتهي إلى الأهلية للشيخوخة و جميع ما يحتاج إليه المريد إذا مرض خاطره و قلبه بشبهة وقعت له لا يعرف صحتها من سقمها كما وقع لسهل في سجود القلب و كما وقع لشيخنا حين قيل له أنت عيسى بن مريم فيداويه الشيخ بما ينبغي و كذلك إذا ابتلي من يخرج ليسمع من الحق من خارج لا من نفسه بمحرم يؤمر بفعله أو ينهى عن واجب فيكون الشيخ عارفا بتخليصه من ذلك حتى لا يجري عليه لسان ذنب مع صحة المقام الذي هو فيه فهم أطباء دين الله فمهما نقصهم شيء مما يحتاجون إليه في التربية فلا يحل له أن يقعد على منصة الشيخوخة فإنه يفسد أكثر مما يصلح و يفتن كالمتطبب يعل الصحيح و يقتل المريض فإذا انتهى إلى هذا الحد فهو شيخ في طريق الله يجب على كل مريد حرمته و القيام بخدمته و الوقوف عند مراسمه لا يكتم عنه شيئًا مما يعلم أن الله يعلمه منه يخدمه ما دامت له حرمة عنده فإن سقطت حرمته من قلبه فلا يقعد عنده ساعة واحدة فإنه لا ينتفع به و يتضرر فإن الصحبة إنما تقع المنفعة فيها بالحرمة فمتى ما رجعت الحرمة له في قلبه حينئذ يخدمه و ينتفع به فإن الشيوخ على حالين شيوخ عارفون بالكتاب و السنة قائلون بها في ظواهرهم متحققون بها في سرائرهم يراعون حدود الله و يوفون بعهد الله قائمون بمراسم الشريعة لا يتأولون في الورع آخذون بالاحتياط مجانبون لأهل التخليط مشفقون على الأمة لا يمقتون أحدا من العصاة يحبون ما أحب الله و يبغضون ما أبغض الله ببغض الله لا تأخذهم في الله لومة لائم يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ المجمع عليه يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ و يعفون عن الناس يوقرون الكبير و يرحمون الصغير و يميطون الأذى عن طريق الله و طريق الناس يدعون في الخير بالأوجب فالأوجب يؤدون الحقوق إلى أهلها يرون إخوانهم بل الناس أجمعهم لا يقتصرون بالجود على معارفهم جودهم مطلق الكبير لهم أب و المثل لهم أخ و كفؤ و الصغير لهم ابن و جميع الخلق لهم عائلة يتفقدون حوائجهم إن أطاعوا رأوا الحق موفقهم في طاعتهم إياه و إن عصوا سارعوا بالتوبة و الحياء من الله و لاموا نفوسهم على ما صدر منهم و لا يهربون في معاصيهم إلى القضاء و القدر فإنه سوء أدب مع الله هينون لينون ذوو مقة رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً في نظرهم رحمة لعباد الله كأنهم يبكون الهم عليهم أغلب من الفرح لما يعطيه موطن التكليف فمثل هؤلاء هم الذين يقتدي بهم و يجب احترامهم و هم الذين إذا رؤوا ذكر الله و طائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديد ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ تسلم لهم أحوالهم و لا يصحبون و لو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى إن يظهر لا يعول عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع فإنه لا طريق لنا إلى الله إلا ما شرعه فمن قال بأن ثم طريقا إلى الله خلاف ما شرع فقوله زور فلا يقتدى بشيخ لا أدب له و إن كان صادقا في حاله و لكن يحترم و اعلم أن حرمة الحق في حرمة الشيخ و عقوقه في

عقوقه هم حجاب الحق الحافظون أحوال القلوب على المريدين فمن صحب شيخا ممن يقتدي به و لم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق في قلبه و الغفلة عن الله و سوء الأدب عليه يدخل عليه في كلامه و يزاحمه في رتبته فإن وجود الحق إنما يكون للادباء و الباب دون غير الأدباء مغلق و لا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيوخ قال بعض أهل الله في مجالس أهل الله من قعد معهم في مجالسهم و خالفهم في شيء مما يتحققون به في أحوالهم نزع الله نور الايمان من قلبه فالجلوس معهم خطر و جليسهم على خطر و اختلف أصحابنا في حق المريد مع شيخ آخر خلاف شيخه هل حاله معه من جانب الحق مثل شيخه أم لا فكلهم قالوا بوجوب حرمته عليه و لا بد هذا موضع إجماعهم و ما عدا هذا فمنهم من قال حاله معه على السواء من حاله مع شيخه و منهم من فصل و قال لا تكون الصورة واحدة إلا بعد أن يعلم المريد أن ذلك الشيخ الآخر ممن يقتدي به في الطريق و أما إذا لم يعرف ذلك فلا و لهذا وجه و للآخر وجه النبي ص يقول للمرأة إنما الصبر عند الصدمة الأولى و كانت قد جهلت أنه رسول الله ص و المريد لا يقصد إلا الحق فإذا ظهر مقصوده حيث ظهر قال به و أخذه فإن الرجال إنما يعرفون بالحق لا يعرف الحق بهم و الأصل إنه كما لم يكن وجود العالم بين الهين و لا المكلف بين رسولين مختلفي الشرائع و لا امرأة بين زوجين كذلك لا يكون المريد بين شيخين إذا كان مريد تربية فإن كانت صحبة بلا تربية فلا يبالي بصحبة الشيوخ كلهم لأنه ليس تحت حكمهم و هذه الصحبة تسمى صحبة البركة غير أنه لا يجيء منه رجل في طريق الله فالحرمة أصل في الفلاح

(الباب الثاني و الثمانون و مائة في معرفة مقام السماع)

خذها إليك نصيحة من مشفق ... ليس السماع سوى السماع المطلق

و احذر من التقييد فيه فإنه ... قول يفند كل عند محقق

أن السماع من الكتاب هو الذي ... يدريه كل معلم و مطرق

إن التغني بالقرآن سماعنا ... و الحق ينطق عند كل منطق

و الله يسمع ما يقول عبيده ... من قوله فسماعه بتحقق

أصل الوجود سماعنا من قول كُنْ ... فبه نكون و نحن عين المنطق

انظر إلى تقديمه في آية ... تعثر على العلم الشريف المرهق

فالسمع أشرف ما تحقق عارف ... بتعلق و تحقق و تخلق

قال تعالى سَمِيعٌ عَلِيمٌ و قال سَمِيعٌ بَصِيرٌ فقدمه على العلم و البصر أول شيء علمناه من الحق و تعلق به منا القول منه و السماع منا فكان عنه الوجود و كذلك نقول في هذا الطريق كل سماع لا يكون عنه وجد و عن ذلك الوجد وجود فليس بسماع فهذه رتبة السماع التي يرجع إليها أهل الله و يسمعون فقوله تعالى للشيء قبل كونه كن هو الذي يراه أهل السماع في قول القائل و تهيؤ السامع المقول له كن للتكوين بمنزلة الوجد في السماع ثم وجوده في عينه عن قوله كن كما قال تعالى كُنْ فَيَكُونُ بمنزلة الوجود الذي يجده أهل السماع في قلوبهم من العلم بالله الذي أعطاهم السماع في حال الوجد فمن لم يسمع سماع وجود فما سمع و لهذا جعل القوم الوجود بعد الوجد و لما لم يصح الوجود أعني وجود العالم إلا بالقول من الله و السماع من العالم لم يظهر وجود طرق السعادة و علم الفرق بينها و بين طرق الشقاء إلا بالقول الإلهي و السماع الكوني فجاءت الرسل بالقول جميعهم من قرآن و توراة و إنجيل و زبور و صحف فما ثم إلا قول و سماع غير هذين لم يكن فلو لا القول ما علم مراد المريد ما يريده منا و لو لا السمع ما وصلنا إلى تحصيل ما قبل لنا فبالقول نتصرف و عن القول نتصرف مع السماع فهما مرتبطان لا يصح استقلال واحد منهما دون الآخر و هما نسبتان فبالقول و السماع نعلم ما في نفس الحق إذ لا علم لنا إلا بإعلامه و إعلامه بقوله و لا يشترط في القول الآلة و لا في السماع بل قد يكون بآلة و بغير آلة و أعني بآلة القول اللسان و آلة السماع الأذن فإذا علمت مرتبة السماع في الوجود و تميزه عن غيره من النسب فاعلم أن السماع عند أهل الله مطلق و مقيد فالمطلق هو الذي عليه أهل الله و لكن يحتاجون فيه إلى علم عظيم بالموازين حتى يفرقوا بين قول الامتثال و بين قول الابتلاء و ليس يدرك ذلك كل أحد و من أرسله من غير ميزان ضل و أضل و المقيد هو السماع المقيد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله و هو الذي يريدونه غالبا بالسماع لا السماع المطلق فالسماع على هذا الحد ينقسم على ثلاثة أقسام سماع إلهي و سماع روحاني و سماع طبيعي فالسماع الإلهي بالأسرار و هو السماع من كل شيء و في كل شيء و بكل شيء و الوجود عندهم كله كلمات الله و كلماته لا تنفد و لهم في مقابلة هذه الكلمات إسماع لا تنفد تحدث لهم هذه الأسماع في سرائرهم بحدوث الكلمات و هو قوله ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ فمنهم من أعرض بعد السماع و منهم من وقف عند ما سمع و هذا مقام لا يعلمه كل أحد و ما في الوجود إلا هو و لكن يجهل و لا يعلم و هو يتعلق بأسماء الله تعالى على كثرتها فلكل اسم لسان و لكل لسان قول و لكل قول منا سمع و العين واحد من القائل و السامع فإن كان نداء أجبنا و امتثلنا و كان من قوله إن قال لنا ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فكما قال و سمعنا أمرنا عند ما جعل فينا قوة القول أن نقول فيسمع هو تعالى فمنا من يقول به كما قال إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فكلام صاحب هذا المقام كله نيابة و منا من يقول بنفسه في زعمه و ما هو كذلك في نفس الأمر فإن الله عند لسان كل قائل فكما أنه ليس في الوجود إلا الله كذلك ما ثم

قائل و لا سامع إلا الله و كما قسمنا قولنا بين من يقول بالله و يقوله بنفسه كذلك سماعنا منا من يسمع بربه و هو قوله كنت سمعه الذي يسمع به و منا من يسمع بنفسه في زعمه و الأمر على خلافه فهذا هو السماع الإلهي و هو سار في جميع المسموعات و أما السماع الروحاني فمتعلقه صريف الأقلام الإلهية في لوح الوجود المحفوظ من التغيير و التبديل فالوجود كله رق منشور و العالم فيه كتاب مسطور فالأقلام تنطق و آذان العقول تسمع و الكلمات ترتقم فتشهد و عين شهودها عين الفهم فيها بغير زيادة و لا ينال هذا السماع إلا العقول التي ظهرت لمستوي و لما كان السماع أصله على التربيع و كان أصله عن ذات و نسبة و توجه و قول فظهر الوجود بالسماع الإلهي كذلك السماع الروحاني عن ذات و يد و قلم و صريف قلم فيكون الوجود للنفس الناطقة في سماع صريف هذه الأقلام في ألواح القلوب بالتقليب و التصريف و كذلك السماع الطبيعي مبناه على أربعة أمور محققة فإن الطبيعة مربعة معقولة من فاعلين و منفعلين فأظهرت الأركان الأربعة أيضا فظهرت النشأة الطبيعية على أربعة أخلاط و أربع قوى قامت عليها هذه النشأة و كل خلط منها يطلب بذاته من يحركه لبقائه و بقاء حكه فإن السكون عدم فأوجد في نفوس العلماء حين سمعوا صريف الأقلام ما ينبغي أن يحرك به هذه النشأة الطبيعية فأقاموا لها أربع نغمات لكل خلط من هذه الأخلاط نغمة في آلة مخصوصة و هي المسماة في الموسيقى و هو علم الألحان و الأوزان بالبم و الزير و المثنى و المثلث كل واحد من هذه يحرك خلطا من هذه الأخلاط ما بين حركة فرح و حركة بكاء و أنواع الحركات و هذا لها بما هي نشأة طبيعية لا بما هي روحانية فإن الحركة في النشأة الطبيعية و السماع الطبيعي لا يكون معه علم أصلا و إنما صاحبه يجد طربا في نفسه أو حزنا عند سماع هذه النغمات من هذه الآلات و من أصوات القوالين و لا يجد معها علما أصلا فإنه ليس هذا حظ السماع الطبيعي مع الحال الصحيح و الوجد الصحيح الذي يطلبه الطبع و هو سماع الناس اليوم و السماع الروحاني يكون معه علم و معرفة في غير مواد جملة واحدة و السماع الإلهي يكون معه علم و معرفة في مواد و في غير مواد عام التعلق يجده في السماع الطبيعي و الروحاني لكن بالسمع الإلهي الذي يخص الطبع و العقل خاصة و منهم من يعلم ذلك و منهم من لا يعلمه مع كونه يجده و لا يقدر على إنكار ما يجد فسماع الحق مطلق كما أن وجوده مطلق و تمييزه عسير و للنغمات في الكلام الإلهي و القول أصل تستند إليه و هو أقوى الأصول و لهذا لها القوة و التأثير في الطباع فلا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه عند ورود النغمة و تعلق السمع بها إذا صادفت محلها ذلك الطرب أو الأثر الذي يجده السامع في نفسه فسلطانها قوي و ذلك لقوة أصلها الذي تستند إليه فإن الأسماء الإلهية و إن كانت لعين واحدة فمعلوم عند أهل الله ما بينها من التفاوت و لما كان التفاوت معقولا فيها و علم ذلك بآثارها علمنا أن الحقائق الإلهية التي استندت إليها هذه النغمات أقوى من الذي استند إليه الكلام فإنا نسمع قارئا يقرأ أو منشدا ينشد شعرا فلا نجد في نفوسنا حركة

لذلك بل ربما تبرم من ذلك في أوقات لأنه جاء على غير الوزن الطبيعي فإذا سمعنا تلك الآية أو الشعر من صاحب نغمة و في حقها في الميزان أصابنا وجد و حركنا و وجدنا ما لم نكن نجد فلهذا فرقنا بين ما استندت إليه النغمات الطبيعية و بين ما استند إليه القول هذا ميزان المحسوس و أما ميزان العقل فينظر حكمة الترتيب الإلهي في العالم فإن كان من أهل السماع الإلهي فينظر ترتيب الأسماء الإلهية فيكون سماعه من هناك و إن كان من أهل السماع الروحاني فينظر ترتيب آثارها في العالم الأعلى و الأسفل فيجد في كل مسموع فإن المسموعات كلها نغم عنده فمنهم من تكون له حركة محسوسة و منهم من لا تكون له و أما الحركة الروحانية فلا بد منها و لله طائفة خرجت عن الحركات الروحانية إلى الحركات الإلهية و هو قول الجنيد وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ و لكن في الحال التي تحسبها جامدة فتنسب الحركة إلى هذا الشخص نسبتها إلى الجناب الأقدس في فرحه بتوبة عبده و تبشبشه لمن أتى بيته فهذه أحوال إلهية يجب الايمان بها و لا يعقل لها كيفية إلا من خصه الله بها و كانت حركته في سماعه إلهية و هي من العلوم التي تنال و لا تنقال و ليس الخير بالنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة يشبه هذا الفرح و لا التبشبش لأن هذا الفرح عن سبب كوني ظهر وجوده سمع الحق عليه و النزول إلى السماء الدنيا عن أمر يتوقع لا عن أمر واقع فالأول يلحق بباب السماع و الثاني لا يلحق به فاعلم ذلك و قد ربطنا السماع بما يجب له و حققناه و لم نترك منه فصلا و لا قسما إلا ذكرناه بأوجز عبارة ليوقف عنده و حكاياته كثيرة لا يحتاج إلى إيرادها فإن كتابنا هذا مبناه على تحقيق أصول الأمور لا على الحكايات فإن الكتب بها مشحونة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الثمانون و مائة في معرفة مقام ترك السماع)

الله الله لا عقل يصوره — و الوهم يعبده في صورة البشر
فالشرع يطلقه وقتا و يحصره — و الكون يثبته في سائر الصور
ترك السماع مقام ليس يدركه — إلا القوي من الأقوام في الخبر
إن قال كن فلمن و العين واحدة — و لم يكن غيره في العين و الأثر
فما لكن عند هذا القول من أثر — بل عين كن لم تكن إن كنت ذا نظر
و لم يقل بسماع القول غير فتى — متيم بمعاني الآي و الصور
لو لا الكلام لما كان السماع و قد — جاء الكلام فكن منه على حذر

السماع المطلق لا يمكن تركه و الذي يتركه الأكابر إنما هو السماع المقيد المتعارف و هو الغناء قيل لسيدنا أبي السعود ابن الشبلي البغدادي ما تقول في السماع فقال هو على المبتدئ حرام و المنتهي لا يحتاج إليه فقيل له فلمن فقال لقوم متوسطين أصحاب قلوب و جاءت امرأة إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب بين يديك بالدف فقال لها إن كنت نذرت و إلا فلا فهو و إن كان مباحا فالتنزيه عنه عند الأكابر أولى و كان أبو يزيد البسطامي يكرهه و لا يقول به و قيل لابن جريج فيه فقال ليتني أخرج منه رأسا برأس لا علي و لا لي و أما مذهبنا فيه فإن الرجل المتمكن من نفسه لا يستدعيه و إذا حضر لا يخرج بسببه و هو عندنا مباح على الإطلاق لأنه لم يثبت في تحريمه شيء عن رسول الله ص فإن كان الرجل ممن لا يجد قلبه مع ربه إلا فيه فواجب عليه تركه أصلا فإنه مكر إلهي خفي ثم إن كان يجد قلبه فيه و في غيره و على كل حال و لكنه يجده في النغمات أكثر فحرام عليه حضوره و لا أعني بالنغمات المسموعة في الشعر فقط و إنما أعني بوجود النغمة في الشعر و في غيره حتى في القرآن إذا وجد قلبه فيه لحسن صوت القارئ و لا يجد قلبه فيه عند ما يسمعه من قارئ غير طيب الصوت فلا يعول على ذلك الوجد و لا على ما يجد فيه من الرقة في الجناب الإلهي فإنه معلول و تلك رقة الطبيعة فإن كان عارفا بالتفصيل و يفرق بين سماعه الإلهي و الروحاني و الطبيعي ما يلتبس عليه و لا يخلط و لا يقول في سماع الطبيعة إنه سماعه بالله فمثل هذا لا يحجر عليه و تركه أولى و لا سيما إن كان ممن يقتدى به من المشايخ فيستتر به المدعي الكاذب أو الجاهل بحاله و إن لم يقصد الكذب

(الباب الرابع و الثمانون و مائة في معرفة مقام الكرامات)

بعض الرجال يرى كون الكرامات ... دليل حق على نيل المقامات
و أنها عين بشرى قد أتتك بها ... رسل المهيمن من فوق السموات
و عندنا فيه تفصيل إذا علمت ... به الجماعة لم تفرح بآيات
كيف السرور الاستدراج يصحبها ... في حق قوم ذوي جهل و آفات
و ليس يدرون حقا أنهم جهلوا ... و ذا إذا كان من أقوى الجهالات
و ما الكرامة إلا عصمة وجدت ... في حال قول و أفعال و نيات
تلك الكرامة لا تبغي بها بدلا ... واحذر من المكر في طي الكرامات

اعلم أيدك الله أن الكرامة من الحق من اسمه البر و لا تكون إلا للأبرار من عباده جَزاءً وِفاقاً فإن المناسبة تطلبها و إن لم يقم طلب ممن ظهرت عليه و هي على قسمين حسية و معنوية فالعامة ما تعرف الكرامة إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر و الأخبار بالمغيبات الماضية و الكائنة و الآتية و الأخذ من الكون و المشي على الماء و اختراق الهواء و طي الأرض و الاحتجاب عن الأبصار و إجابة الدعاء في الحال فالعامة لا تعرف الكرامات إلا مثل هذا و أما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله و العامة لا تعرف ذلك و هي أن تحفظ عليه آداب الشريعة و أن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق و اجتناب سفسافها و المحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها و المسارعة إلى الخيرات و إزالة الغل و الحقد من صدره للناس و الحسد و سوء الظن و طهارة القلب من كل صفة مذمومة و تحليته بالمراقبة مع الأنفاس و مراعاة حقوق الله في نفسه و في الأشياء و تفقد آثار ربه في قلبه و مراعاة أنفاسه في خروجها و دخولها فيتلقاها بالأدب إذا وردت عليه و يخرجها و عليها خلعة الحضور فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر و لا استدراج بل هي دليل على الوفاء بالعهود و صحة القصد و الرضي بالقضاء في عدم المطلوب و وجود المكروه و لا يشاركك في هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون و أهل الله المصطفون الأخيار و أما الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر الخفي ثم إنا إذا فرضناها كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة أو تنتج استقامة لا بد من ذلك و إلا فليست بكرامة و إذا كانت الكرامة نتيجة استقامة فقد يمكن أن يجعلها الله حظ عملك و جزاء فعلك فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها و ما ذكرناه من الكرامات المعنوية فلا يدخلها شيء مما ذكرناه فإن العلم يصحبها و قوة العلم و شرفه تعطيك أن المكر لا يدخلها فإن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلهي فإنها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة و العلم يعصمك من العجب بعملك فإن العلم من شرفه أنه يستعملك و إذا استعملك جردك منه و أضاف ذلك إلى الله و أعلمك أن بتوفيقه و هدايته ظهر منك ما ظهر من طاعته و الحفظ لحدوده فإذا ظهر عليه شيء من كرامات العامة ضج إلى الله منها و سأل الله ستره بالعوائد و أن لا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم لأن العلم هو المطلوب و به تقع المنفعة و لو لم يعمل به فإنه لا يستوي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فالعلماء هم الآمنون من التلبيس فالكرامة من الله تعالى بعباده إنما تكون للوافدين عليه من الأكوان و من نفوسهم لكونهم لم يروا وجه الحق فيهما فأسنى ما أكرمهم به من الكرامات العلم خاصة لأن الدنيا موطنه و أما غير ذلك من خرق العادات فليست الدنيا بموطن لها و لا يصح كون ذلك كرامة إلا بتعريف إلهي لا بمجرد خرق العادة و إذا لم تصح إلا بتعريف إلهي فذلك هو العلم فالكرامة الإلهية إنما هي ما يهبهم من العلم به عز و جل سئل أبو يزيد عن طي الأرض فقال ليس بشيء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة و ما هو عند الله بمكان و سئل

عن اختراق الهواء فقال إن الطير يخترق الهواء و المؤمن عند الله أفضل من الطير فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر و هكذا علل جميع ما ذكرناه ثم قال إلهي إن قوما طلبوك لما ذكروه فشغلتهم به و أهلتهم له اللهم مهما أهلتني لشيء فأهلني لشيء من أشيائك يقول من أسرارك فما طلب إلا العلم لأنه أسنى تحفة و أعظم كرامة و لو قامت عليك به الحجة فإنه يجعلك تعترف و لا تحاج فإنك تعلم ما لك و ما عليك و ما له و ما أمر الله تعالى نبيه ص أن يطلب منه الزيادة من شيء إلا من العلم لأن الخير كله فيه و هو الكرامة العظمى و البطالة مع العلم أحسن من الجهل مع العمل و أسباب حصول العلم كثيرة و لا أعني بالعلم إلا العلم بالله و الدار الآخرة و ما تستحقه الدار الدنيا و ما خلقت له و لأي شيء وضعت حتى يكون الإنسان من أمره على بصيرة حيث كان فلا يجهل من نفسه و لا من حركاته شيئًا و العلم صفة إحاطية إلهية فهي أفضل ما في فضل الله كما قال وَعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْماً بِرَحْمَةٍ مِنّا فاعلم أن العلم من معدن الرحمة فقد أعلمتك ما هي الكرامة و إنها التعريف الإلهي بأن هذا الذي أتحفك به كرامة منه لا ينقص لك حظا من آخرتك و لا هو جزاء لشيء من عملك إلا لمجرد قدومك و إن قدومك عليه لم يكن إلا لجهلك به حيث لم تره في أول قدم كما اتفق لأبي يزيد لما خرج في طلب الحق من بسطام في أول أمره فلقيه بعض الرجال فقال له ما تطلب يا أبا يزيد قال الله قال له الذي تطلبه تركته ببسطام فتنبه أبو يزيد كيف يطلبه و هو تعالى يقول وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فلا علم و لا إيمان فإذا حرمك الله تحصيل علم مشاهدته فلا أقل من الايمان به فلهذا قلنا ما قدم عليه إلا من جهله فلما لم يكن لهذه الطائفة هم إلا به و يطلبه كانوا وافدين عليه فأتحفهم بما أتحفهم به و عرفهم إن ذلك جائزة الوفود خاصة و مهما لم يعلموا ذلك منه بإعلامه إياهم و إلا فيخاف من المكر الإلهي في ذلك أو نقص حظ أخروي يتمنون في الآخرة أنهم لم يعطوا شيئًا من ذلك في الدنيا

(الباب الخامس و الثمانون و مائة في معرفة مقام ترك الكرامات)

ترك الكرامة لا يكون دليلا فاصخ لقولي فهو أقوم قيلا
إن الكرامة قد يكون وجودها حظ المكرم ثم ساء سبيلا
فاحرص على العلم الذي كلفته لا تتخذ غير الإله بديلا
ستر الكرامة واجب متحقق عند الرجال فلا تكن مخذولا
و ظهورها في المرسلين فريضة و بها تنزل وحيه تنزيلا

كما إن الآيات و الكرامات واجب على الرسول إظهارها من أجل دعواه كذلك يجب على الولي التابع سترها هذا مذهب الجماعة لأنه غير مدع و لا ينبغي له الدعوى فإنه ليس بمشرع و ميزان الشرع موضوع في العالم قد قام به علماء الرسوم أهل الفتاوى في دين الله فهم أرباب التجريح و التعديل و هذا الولي مهما خرج عن ميزان الشرع الموضوع مع وجود عقل التكليف عنده سلم له حاله للاحتمال الذي في نفس الرحمن في حقه و هو أيضا موجود في الميزان المشروع فإن ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود و لا بد و لا يعصمه ذلك الاحتمال الذي في نفس الأمر من أن يكون من العبيد الذين أبيح لهم فعل ما حرم على غيرهم شرعا فأسقط الله عنهم المؤاخذة و لكن في الدار الآخرة فإنه قال في أهل بدر ما قد ثبت من إباحة الأفعال لهم و كذلك في الخبر الوارد افعل ما شئت فقد غفرت لك و لم يقل أسقطت عنك الحد في الدنيا فالذي يقيم عليه الحد مأجور و هو في نفسه غير مأثوم كالحلاج و من جرى مجراه ثم إن ترك الكرامة قد يكون ابتداء من الله و هو أنه عز و جل لا يمكن هذا الولي في نفسه من شيء من ذلك جملة واحدة مع كونه عنده من أكابر عباده و أعني خرق العوائد الظاهرة لا العلم بالله و قد يكون هذا الولي أعطاه الله تعالى في نفسه التمكن من ذلك فيترك ذلك كله لله فلا يظهر عليه منه شيء أصلا و قد رأينا ممن هو على هذا القدم جماعة كما قال سيدنا أبو السعود بن الشبل عاقل زمانه و قد سأله بعض من لا يكتمه من حاله شيئًا هل أعطاك الله التصرف و هو أصل الكرامات فقال نعم منذ خمس عشرة سنة و تركناه تظرفا فالحق يتصرف لنا يريد رضي الله عنه أنه امتثل أمر الله في اتخاذه عز و جل وكيلا فقال له السائل ما ثم فقال الصلوات الخمس و انتظار الموت الرجل مثل ساعي الطير فم مشغول و قدم تسعى و كان يقول ما أعجبني فيما قيل إلا قوله

وأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون أخمصك الحشر

هكذا هو الرجل و إلا فلا يدعى أنه رجل و في حين تقييدي هذا الوجه من هذه النسخة خاطبني الحق في سرى من اتخذني وكيلا فقد ولاني و من ولاني فله مطالبتي و على إقامة الحساب فيما ولاني فيه فانعكس الأمر و تبدلت المراتب هذا صنع الله مع عباده الذين ارتضاهم و اصطفاهم و ما فوق هذا الامتنان امتنان ترتقي الهمة إلى طلبه فالعبد المحقق لا تخرجه هذه الرتبة عن علمه بقدره فما يتخذ الله وكيلا إلا من كان الحق قواه و جوارحه إذ يستحيل تبدل الحقائق فالعبد عبد و الرب رب و الحق حق و الخلق خلق فإذا ظهر خرق عادة على مثل هذا فما هي كرامة عندنا لأن الكرامة تعود على من ظهرت عليه و إنما يتفق لمن هذا مقامه مثل ما اتفق لنا في مجلس حضرنا فيه سنة ست و ثمانين و خمسمائة و قد حضر عندنا شخص فيلسوف ينكر النبوة على الحد الذي يثبتها المسلمون و ينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد و أن الحقائق لا تتبدل و كان زمان البرد و الشتاء و بين أيدينا منقل عظيم يشتعل نارا فقال

المنكر المكذب إن العامة تقول إن إبراهيم ع ألقى في النا ر فلم تحرقه و النا ر محرقة بطبعها الجسوم القا بلة للإحراق و إنما كانت النا ر المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم الخليل عبا رة عن غضب نمرود عليه و حنقه فهي نا ر الغضب و كونه ألقى فيها لأن الغضب كان عليه و كونها لم تحرقه أي لم يؤثر فيه غضب الجبا ر لما ظهر به عليه من الحجة بما أقامه من الأدلة فيما ذكر من أفول الأنوار و أنها لو كانت آلهة ما أفلت فركب له من ذلك دليلا فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين ممن كان له هذا المقام و لم تكن فإن أ ريتك أنا صدق ما قاله الله تعالى في النا ر أنها لم تحرق إبراهيم و أن الله جعلها عليه كما قال بردا و سلاما و أنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم ع في الذب عنه لا إن ذلك كرامة في حقي فقال المنكر هذا لا يكون فقال له أ ليست هذه هي النا ر المحرقة قال نعم قال تراها في نفسك ثم ألقى النا ر التي في المنقل في حجر المنكر و بقيت على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده فلما رآها ما تحرقه تعجب ثم ردها إلى المنقل ثم قال له قرب يدك أيضا منها فقرب يده فأحرقته فقال له هكذا كان الأمر و هي مأمورة تحرق بالأمر و تترك الإحراق كذلك و الله تعالى الفاعل لما يشاء فأسلم ذلك المنكر و اعترف فمثل هذا يظهر على تا رك الكرامات فإنه يقيمها في زمانه نيابة عن الرسول ص في المعجزة و الآية على صدقه فجاء بها لإقامة الدليل على صدق الشا رع و الدين لا على نفسه إنه ولي لله بخرق هذه العادة فهذا معنى ترك الكرامات و لها رجال و هم الملامية خاصة و أما الصوفية فيظهرون بها و هي عند الأكابر من رعونات النفوس إلا على حد ما ذكرناه

(الباب السادس و الثمانون و مائة في معرفة مقام خرق العادات)

خرق العوائد أقسام مقسمة	أتى بها النظر الفكري محصورة
منها معينة بالحق قائمة	كالمعجزات على الإرسال مقصورة
و ما سواها من الأقسام محتمل	و ليس للعلم في تعيينه صوره
و كلها في كتاب الله بينة	فقف عليه تجدها فيه مسطورة
بشرى و سحر و مكر أو علامته	و كلها في كتاب الله مذكوره
فهذه خمسة أقسامها انحصرت	للناظرين و في الأكوان مشهورة

اعلم أن مقام خرق العادات على وجوه كثيرة منها ما يكون عن قوى نفسية فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله تعالى الأمر فيها و قد تكون عن حيل طبيعية معلومة كالفلقطيرات و غيرها و بابها معلوم عند العلماء و قد تكون عن نظم حروف بطوالع و ذلك لأهل الرصد و قد تكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائي لا في نفس الأمر و

قد تكون في نفس الأمر على قدر قوة ذلك الاسم و هذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله و ثم خرق عوائد مختصة بالجناب الإلهي ليس للعبد فيها تعمل و لا قوة و لكن يظهرها الله عليه أو تظهر عنه بأمر الله و إعلامه و هي على مراتب منها ما تسمى معجزة و لها شروط و نعت خاص معلوم و منها ما تسمى آية لا معجزة و منها ما تكون كرامة و منها ما تكون مؤيدة و منها ما تكون منبهة و باعثة و منها ما يكون جزاء و منها ما يكون مكرا و استدراجا و كلها لها علامات عند أهل الله مع كون هؤلاء لا علم لهم بشيء من ذلك بخلاف الصنف الأول فإنهم على علم ما يصدر منهم و ما من شيء مما ذكرناه في الصنف الثاني المضاف عمله إلى الله تعالى إلا و الاحتمال يدخله هل هو عن عناية أو لا عن عناية إلا المعجزة و الآية فإنها عن عناية و لا بد إنها الصدق المخبر و المؤيدة كذلك و ما عدا هذين فيتطرق إليه الاحتمال كما ذكرنا ثم نرجع إلى ما تقضي به طريقنا إن خرق العادة في الأولياء لا يكون إلا لمن خرق العادة في نفسه بإخراجها عن حكم ما تعطيه حقيقتها و هو تصرفها في المباح أو ما يلقي إليها الشيطان بالتزيين من إتيان المحظور أو ترك الواجب فمن خرق في نفسه هذه العادة خرق الله له عادة في الكون بأمر يسمى كلاما على الخاطر أو مشيا في الهواء أو ما كان و قد ذكرنا فصول هذه الكرامات و بينا مراتبها و ما ينتجها في كتاب مواقع النجوم ما سبقنا إليه في علمنا أعني إلى ترتيبه لا إلى علم ما فيه و هو كتاب صحيح الطريق عظيم الفائدة صغير الجرم بنيناه على المناسبة فإن المناسبة أصل وجود العالم و خرق العوائد من العالم و قد جعل الله آياته في العالم معتادة و غير معتادة فالمعتادة لا يعتبرها إلا أهل الفهم عن الله خاصة و ما سواهم فلا علم لهم بإرادة الله فيها و قد ملأ الله القرآن من الآيات المعتادة من اختلاف الليل و النهار و نزول الأمطار و إخراج النبات و جرى الجواري في البحر و اختلاف الألسنة و الألوان و المنام بالليل و النهار لابتغاء الفضل و كل ما ذكر في القرآن أنه آية لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و يَسْمَعُونَ و يَفْقَهُونَ و يُؤْمِنُونَ و يَعْلَمُونَ و يُوقِنُونَ و يَتَفَكَّرُونَ و مع هذا كله فلا يرفع بذلك أحد من الناس رأسا إلا أهل الله و هم أهل القرآن خاصة الله و أما الآيات الغير المعتادة و هي خرق العوائد فهي التي تؤثر في نفوس العامة مثل الزلازل و الرجفات و الكسوف و نطق حيوان و مشي على ماء و اختراق هواء و إعلام بكوائن في المستقبل تقع على حد ما أعلم و الكلام على الخواطر و الأكل من الكون و إشباع القليل من الطعام الكثير من الناس هذا تعتبره العامة خاصة و متى لم يكن خرق العادة عن استقامة أو منبها و باعثا على الرجوع إلى الله و يرجع و ليس له فيه تعمل فهو مكر و استدراج من حيث لا يعلم و هذا هو الكيد المتين تحف الله مع المخالفات و فيه سر عجيب للعارفين لو لا ما في إذاعته من الضرر في العموم لذكرناه و ما كل ما يدرى يقال و ليس خرق العوائد إلا أول مرة فإذا عاد ثانية صار عادة و أما في الحقيقة فالأمر جديد أبدا و ما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة و إنما هو أمر يظهر زي مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة و انحجب الناس عن هذه الحقيقة و قد نبهتك

على ما هو الأمر عليه إن كنت تعقل ما أقول فالألوهة أوسع من أن تعيد و لكن الأمثال حجب على أعين العمي الذين يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ و هو وجود عين المثل الثاني هُمْ غافِلُونَ ف هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ فالممكنات غير متناهية و القدرة نافذة و الحق خلاق فأين التكرار إذ لا يعقل إلا بالإعادة فالإعادة خرق العادة

(انتهى النصف الأول من الجزء الثاني من الفتوحات المكية و يليه النصف الثاني

أوله الباب السابع و الثمانون و مائة في معرفة مقام المعجزة)